

شَرْحُ

القصيد في التونتيم

المستماة

الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية

للإمام ابن القيم رحمه الله

المتوفى سنة ٧٥١ هـ

تأليف

العلامة محمد بن صالح العثيمين رحمه الله

والعلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله

ومعه تعليقات مهمة ومفيدة

للعلامة محمد خليل هراس رحمه الله

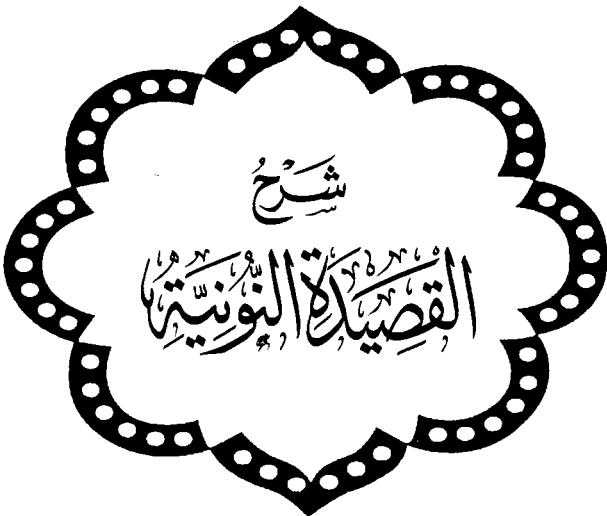
اعتنى به وعلقت عليه

فضيلة الشيخ الدكتور أبو عاصم عبد المنعم أبو بكر

المجلد الرابع

مكتبة الطبري

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



شرح

القصيدة التونسية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
رَبِّ الْعَالَمِينَ
رَبِّ الْعَالَمِينَ
رَبِّ الْعَالَمِينَ

حقوق الطبع محفوظة للناسخ

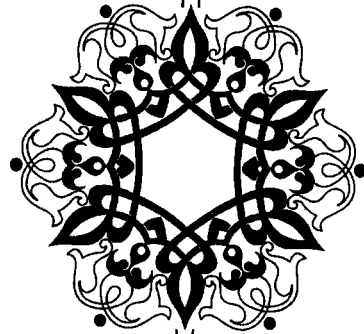


ALTABARI'S LIBRARY

سنة الطبع: ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م

رقم الإيداع: ٢٠٠٨ / ٧٦٩٧

رقم الطبعة: الأولى



مكتبة طبري
للنشر والتوزيع

جمهورية مصر العربية - القاهرة - عين شمس
١٤ شارع ١٣٦ من شارع مسجد الوطنية - خلف سنترال النزهة

الجوال: ٠١٦١٦٦٣٣٣٤ - ٠١٠٦٦٨١٠٧٩

فاكس: ٠٢٢٢٩٩٩٣٦٠ - ٠٢٢٢٩٩٩٣٨٠

tabari24@gmail.com





تهديد بين يدي الفصل



قال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللهُ:

فصل

في النوع الثاني من نوعي توحيد الأنبياء والمرسلين المخالف لتوحيد المعطلين

وهذا النوع يسمى توحيد الإلهية وتوحيد العبادة، وهو أفراد الله بالعبادة الظاهرة والباطنة، وحقيقة هذا التوحيد هو الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، والتقرب إلى الله بمعرفة ذلك وفهمه واعتقاده فإنه أصل التوحيد وأساسه، ثم القيام التام بعبودية القلب وهي قوة الإنابة إلى الله بمحبته وخوفه ورجائه وسائر أعمال القلوب، ثم القيام بالصلاة فرضها ونفلها، والزكاة والصدقة والصيام والحج والعمرة والجهاد في سبيله بالقول والفعل، وأداء حقوق الله وحقوق عباده الواجبة والمستحبة، وترك ما يكرهه الله ورسوله من المحرمات والمكروهات، وإخلاص ذلك كله لله تعالى، فكل هذا داخل في عبادة الله وتوحيده، ولا يتم ذلك إلا بتكميلها بالصدق وهو الجد والاجتهاد في إيقاعها على أكمل الوجوه وأحسنها، وأن تكون موافقة لمرضاة الله وما شرعه رسوله.

فهذه الثلاث: الإخلاص والمتابعة والصدق، من اجتمعت له تم له هذا التوحيد. فإن الإخلاص ينفي الشرك الأكبر الجلي وهو صرف نوع من العبادة لغير الله واتخاذ نَدِّ مع الله أو كمال الإخلاص ينفي الشرك الأصغر في الألفاظ ووسائل الشرك، والصدق ينفي الكسل والفتور ونقصان العمل، والمتابعة تنفي البدع القولية الاعتقادية والبدع الفعلية، فهذا يتحقق التوحيد، وكمال هذا بتكميل محبة الله وتقديمها على كل محبة، ومحبة ما يحب الله وكرهه ما يكرهه الله من الأشخاص والأعمال والأزمنة والأمكنة.

وبراهين هذا التوحيد أقوى البراهين: براهينه العلم بتفرد الرب بالربوبية والعظمة والكبرياء والسلطان، وأنه ما بالعباد من نعمة ظاهرة، وباطنة إلا منه، وهو الذي يأتي بالחסنات ويدفع

السيئات، وهو المنفس لكرب المكروبين وإغاثة المضطرين، وهو الذي يجير ولا يجار عليه.

﴿وَهُوَ الَّذِي يُزِيلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ، وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾

[الشورى: ٢٨].

ومن براهينه أن جميع الكتب السماوية وجميع الرسل صلوات الله وسلامه عليهم دعوا إلى توحيده وإخلاص العمل له. وأنه مركز في عقول جميع العقلاء - التي لم تغيرها العقائد الباطلة - وجوب عبادته وحده لا شريك له، ووجوب حمده وشكره وإخلاص العمل له.

ومن براهينه معرفة أوصاف ما عبد من دونه من جميع المخلوقين، وأنه ليس فيهم من خصائص الإلهية والربوبية شيء بل هم ناقصون فقراء عاجزون ﴿لَا يَمْلِكُونَ﴾ مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير ﴿[سبا: ٢٢].

﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَفُولُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾ [الأحقاف: ٥، ٦].

فنسأل الله الكريم الوهاب أن يملأ قلوبنا من معرفته ومحبته وإخلاص الدين له، وأن يكمل لنا توحيده بقوة الإنابة إليه والشوق إلى لقائه والتلذذ بخدمته واللهج بذكره. وأن يحب إلينا الإيمان ويزينه في قلوبنا. ويكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان ويجعلنا من الراشدين. إنه جواد كريم.



فصل

في النوع الثاني من نوعي توحيد الأنبياء
والمرسلين المخالف لتوحيد
المعطلين والمشركين

٣٤٧١- هَذَا وَثَانِي نَوْعِي التَّوْحِيدِ تَوْ

حِيدُ الْعِبَادَةِ مِنْكَ لِلرَّحْمَنِ

٣٤٧٢- أَلَّا تَكُونَ لِغَيْرِهِ عِبْدًا وَلَا

تَعْبُدُ بِغَيْرِ شَرِيعَةِ الْإِيمَانِ^(١)

(١) [٣٤٧١: ٣٤٧٣] قال العلامة محمد خليل هراس:

وهذا النوع من التوحيد هو المقصود الأعظم من بعثة الرسل عليهم الصلاة والسلام، بل كان هو خلاصة رسالاتهم ومفتح دعواتهم، فما منهم من رسول إلا كان التوحيد أول ما يدعو إليه قومه، كما دل على ذلك القرآن الكريم، قال تعالى من سورة النحل ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦] وقال من سورة الأنبياء ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

بل هذا التوحيد هو الذي خلق الله الخلق لأجله وشرع الجهاد لإقامته وجعل الثواب في الدنيا والآخرة لمن قام به وحققه، وجعل العقاب على من كفر به وتركه، وجعله الفيصل بين أهل السعادة القائمين به وأهل الشقاوة التاركين له.

وقد فسر المؤلف هذا التوحيد بأن لا يجعل العبد لغير الله شركة مع الله في شيء من عبادته، بل يصرف عبادته كلها، سواء كانت عبادة بالقلب، كالحب والذل والخوف والرجاء والتعظيم والإنابة، أو كانت عبادة باللسان، كالسبح والتحميد والتهليل والتكبير والتمجيد وكل أنواع الثناء التي لا تنبغي إلا لله. وكذلك السؤال والدعاء والاستعاذة والحلف والتسمية وغير ذلك. أو كانت عبادة بالأبدان، كالصلاة والصيام والحج والجهاد، أو عبادة بالمال كالصدقات والנדور والذبائح والحبوس وجميع أبواب البر التي تنفق فيها الأموال، وأن لا يعبد الله إلا بما شرعه هو على لسان رسوله ﷺ، فلا يزيد عليه شيئاً ولا ينقص منه شيئاً، ولا يغير فيه ولا يبدل، فإن كل ذلك بدعة ضلالة لا يقبلها الله عز وجل، بل يردها على صاحبها ويمقتة عليها. قال ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد» أي مردود على صاحبه لا ثواب له عليه، لأنه عبادة باهوى وتشريع ما لم يأذن به الله، وإنما يعبد الله بما شرع لا بالأهواء والبدع. فإذا عرف العبد ذلك معرفة حقة أفرد الله بالعبادة كلها، الظاهرة منها والباطنة فيقوم بشرائع الإسلام



٣٤٧٣- فَتَقُومَ بِالإِسْلَامِ وَالإِيمَانِ وَالْ

إِحْسَانِ فِي سِرِّ وَفِي إِعْلَانِ

٣٤٧٤- وَالصِّدْقِ وَالإِخْلَاصِ رُكْنَا ذَلِكَ اللهُ

تَوْحِيدِ كَالرُّكْنَيْنِ لِلْبَيْتَانِ

٣٤٧٥- وَحَقِيقَةُ الإِخْلَاصِ تَوْحِيدُ الْمُرَا

دِ فَلَا يَزَاحِمُهُ مُرَادٌ ثَانِ

٣٤٧٦- لَكِنْ مُرَادُ الْعَبْدِ يَنْقَى وَاحِدًا

مَا فِيهِ تَفْرِيقٌ لَدَى الْإِنْسَانِ

٣٤٧٧- إِنْ كَانَ رَبُّكَ وَاحِدًا سُبْحَانَهُ

فَاخْضُضْهُ بِالتَّوْحِيدِ مَعَ إِحْسَانِ

٣٤٧٨- أَوْ كَانَ رَبُّكَ وَاحِدًا أَنْشَأَكَ لَمْ

يَشْرِكُهُ إِذْ أَنْشَأَكَ رَبُّ ثَانِ

٣٤٧٩- فَكَذَلِكَ أَيْضًا وَخَدَهُ فَاغْبُدْهُ لَا

تَغْبُدْ سِوَاهُ يَا أَخَا الْعِرْفَانِ

٣٤٨٠- وَالصِّدْقُ تَوْحِيدُ الإِرَادَةِ وَهُوَ بَدْ

لُ الْجَهْدِ لَا كَسْلًا وَلَا مُتَوَانِي

٣٤٨١- وَالسُّئَةُ الْمُثَلَّى لِسَالِكِيهَا فَتَو

حِيدُ الطَّرِيقِ الْأَعْظَمِ السُّلْطَانِي

٣٤٨٢- فَلِوَاحِدٍ كُنْ وَاحِدًا فِي وَاحِدِ

أَعْنِي سَبِيلَ الْحَقِّ وَالإِيمَانِ

٣٤٨٣- هَذِي ثَلَاثُ مُسْعِدَاتٍ لِلَّذِي

قَدْ نَالَهَا وَالْفُضْلُ لِلْمَثَانِ

٣٤٨٤- فَإِذَا هِيَ اجْتَمَعَتْ لِنَفْسٍ حُرَّةٍ

بَلَّغَتْ مِنَ الْعُلْيَاءِ كُلَّ مَكَانٍ^(١)

٣٤٨٥- اللَّهُ قَلْبٌ شَامَ هَاتِيكَ الْبُرُوقِ

قَ مِنْ الْخِيَامِ فَهَمَّ بِالطَّيْرَانِ

٣٤٨٦- لَوْلَا التَّعَلُّلُ بِالرَّجَاءِ تَصَدَّعَتْ

أَغْشَارُهُ كَتَصَدَّعَ الْبُنْيَانِ

٣٤٨٧- وَتَرَاهُ يَنْسُطُهُ الرَّجَاءُ فَيَنْثَنِي

مُتَمَّيلاً كَتَمَّيَلُ الشُّوَّانِ

٣٤٨٨- وَيَعُودُ يَقْبِضُهُ الْإِيَّاسُ لِكُونِهِ

مُتَحَلِّقًا عَنِ رُفْقَةِ الْإِحْسَانِ

٣٤٨٩- فَتَرَاهُ بَيْنَ الْقَبْضِ وَالْبَسْطِ اللَّذَا

بَيْنَ هُمَا لِأَفْقِ سَمَائِهِ قُطْبَانِ

٣٤٩٠- وَبَدَا لَهُ سَعْدُ الشُّعُودِ فَصَارَ مَسْدٌ

رَاهُ عَلَيْهِ لَا عَلَى الدَّبْرَانِ

٣٤٩١- اللَّهُ ذِيكَ الْفَرِيقُ فَإِنَّهُمْ

خُضُّوا بِخَالِصَةٍ مِنَ الرَّحْمَنِ

(١) [٣٤٨٢: ٣٤٨٤] قال العلامة محمد خليل هراس:

وهذا معنى قول المصنف (فلواحد كن واحداً في واحد) أي فلواحد وهو الله عز وجل، وهذا هو توحيد المراد «كن واحداً» في عزمك وصدقك وإرادتك وهذا هو توحيد الإرادة، في واحد وهو متابعة الرسول الذي هو طريق الحق والإيمان، فمن اجتمعت له هذه الثلاثة نال كل كمال وسعادة وفلاح، ولا ينقص من كمال سعادته إلا بقدر نقصه من واحد منها.

٣٤٩٢- شُدَّتْ رَكَائِبُهُمْ إِلَى مَعْبُودِهِمْ

وَرَسُولِهِ يَا خَيِّةَ الْكَسْلَانَ

الشَّرح

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

قوله: (فصل في النوع الثاني من نوعي توحيد الأنبياء والمرسلين المخالف لتوحيد المعطلين والمشركين).

وقد سبق في الفصول الماضية التوحيد العلمي الخبري أما هذا النوع فهو التوحيد الحكمي والطلبي. وقد كان التوحيد فيما سبق يتعلق بالرحمن جل وعلا من أسمائه وصفاته وأفعاله، أما الآن فهو فيما يتعلق بأفعال الإنسان الذي وُجِّه إليه الطلب.

هَذَا وَثَانِي نَوْعِي التَّوْحِيدِ تَوْ حَيْدُ الْعِبَادَةِ مِنْكَ لِلرَّحْمَنِ

قوله: (توحيد العبادة) أي: أن تكون لله عبداً لا تعبد غيره، فلا تعبد الدنيا ولا الدرهم، ولا الخميصة، ولا الحميلة، ولا الملك، ولا الرئيس، ولا الوزير، ولا الرسول، ولا الملك، فلا تعبد أحداً سواه أبداً؛ لأن الله وحده هو الذي له الذل المطلق والحب المطلق:

الحب المطلق الذي لا يعتره شيء من الكراهة أو البغض.

والذل المطلق الذي لا يعتره ترفع، وكلاهما لله وحده. فاجعل الذل له والمحبة له حتى تكون عابداً حقيقةً، ولهذا قال:

أَلَا تَكُونُ لِعَيْبِهِ عَبْداً وَلَا تَعْبُدُ بغيرِ شَرِيعَةِ الْإِيمَانِ

قوله: (ألا تكون لغيره عبداً) أي: لا تكون لغير الله أبداً، فاعبد الله وحده واعلم أن الإنسان قد يعبد هواه، وما أكثر عبادة الهوى ومن ذلك: أن يكتفم الحق إرضاءً للناس، أو أن يقول الباطل إرضاءً للناس، فهذا حقيقة إنما عبد غير الله، ولم يعبد الله. فالذي يعبد الله يذل الله مهما كان الغير معاد له، يلتمس رضا الله قبل كل شيء، ولهذا قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ: (ألا تكون لغير الله عبداً ولا تعبد بغير شريعة الإيمان)

فالشرط الأول فيه الإخلاص، والثاني فيه المتابعة.

فَتَقُومُ بِالْإِسْلَامِ وَالْإِيمَانِ وَالْإِحْسَانِ فِي سِرِّ وَفِي إِعْلَانِ

وهذه الأمور الثلاثة هي الدين؛ لأن جبريل سأل النبي ﷺ عنها، ثم قال النبي ﷺ: «هَذَا جِبْرِيلُ

أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ»^(١).

الإسلام: هو الأعمال الظاهرة.

والإيمان: هو الأعمال الباطنة.

والإحسان: يشمل هذا وهذا، إحسان الظواهر، وإحسان السرائر.

قوله: (في سر وفي إعلان) سواء كان ذلك في الخفاء عن أعين الناس أو في الإعلان.

وَالصِّدْقُ وَالْإِخْلَاصُ رُكْنَا ذَلِكَ التَّوْحِيدِ كَالرُّكْنَيْنِ لِلْبَيْتَانِ

قوله: (الصدق): سيأتي في كلامه معناه، وهو: الجِدُّ في الطلب؛ لأن كل من كان صادقاً في القصد

فلا بد أن يكون جاداً في الطلب، فلو قلت مثلاً لشخص: أنا أريد أن أسافر إلى مكة. فإذا كنت

صادقاً في إرادة السفر إلى مكة فستسعى بقدر ما تستطيع إلى للوصول إلى مكة.

إذن فالصدق معناه: الجِدُّ في الطلب للوصول إلى المقصود، ومن قال: إني صادق وليس عنده

جد؛ فهو كاذب.

وقوله: (الإخلاص) أي التوحيد، والمعنى أن توحيد المقصود، ولا تقصد سواه.

وَحَقِيقَةُ الْإِخْلَاصِ تَوْحِيدُ الْمُرَادِ فَلَا يَزَاحِمُهُ مُرَادٌ ثَانٍ

قوله: (توحيد المراد) أي: توحيد الله عز وجل في العبادة فلا يزاحمه في مراده مراد ثان.

فمثلاً: إذا صلى الإنسان لرضا الله فهذا موحد. وإن صلى يريد أن يمدحه الناس فهو غير موحد،

بل مشرك؛ لذا فوحد الله عز وجل في قصدك وفي عملك.

لَكِنَّ مُرَادَ الْعَبْدِ يَبْقَى وَاحِدًا مَا فِيهِ تَفْرِيقٌ لَسَدَى الْإِنْسَانِ

أي: أن المراد الواحد في العباد هو الله عز وجل.

قوله: (لكن مراد العبد يبقى) (لكن) هنا للاستدراك، فهذا استدراك على قوله رَحِمَ اللَّهُ: (فلا

يزاحمه) وفيه بيان له.

ولهذا قال:

إِنْ كَانَ رَبُّكَ وَاحِدًا سُبْحَانَهُ فَاخْضُضْهُ بِالتَّوْحِيدِ مَعَ إِحْسَانٍ

أي أن الرب واحد، وهذا ثابت من القرآن، كما في قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾

[الأنبياء: ٢٢]، ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِذَا لَدَّهَبَ كُلُّ آلِهَةٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى

بعض ﴿[المؤمنون: ٩١]، فالله تعالى واحد؛ ولهذا قال ﷻ: (إن كان ربك واحداً)؛ أي: إن كنت تعتقد هذا وأنت صادق (فاخصمه بالتوحيد مع إحسان) أي: اخصمه بالتوحيد وبالإخلاص، مع إحسانٍ بالمتابعة.

أَوْ كَانَ رَبُّكَ وَاحِدًا أَنْشَأَكَ لَمْ يَشْرِكْهُ إِذْ أَنْشَأَكَ رَبُّ ثَانٍ
يعني: الذي أنشأني واحدٌ وهو الله: فلم تخلقني أمي ولا أبي ولا أحدٌ من الناس، بل الذي خلقني هو الله عز وجل وحده فإذا كان واحداً فاخصمه بالعبادة.

فَكَذَلِكَ أَيْضًا وَخَدَهُ فَأَعْبُدْهُ لَا تَعْبُدْ سِوَاهُ يَا أَخَا الْعَرْفَانَ
المؤلف ﷻ شرع يبين وجوب الإخلاص فذكر:
السبب الأول: أنك تعتقد أن الله واحد.

والسبب الثاني: أنك تعتقد أنه وحده هو الذي أنشأك.
فإذا كان الأمر كذلك، فهل يحق لك بعد هذا أن تجعل معه شريكاً في العبادة؟! لا شك أن الجواب عن ذلك بالنفي.

وَالصَّدَقُ تَوْحِيدُ الْإِرَادَةِ وَهُوَ بَدُّ لُ الْجَهْدِ لَا كَسَالًا وَلَا مُتَوَانٍ
أي أن الصدق: هو: توحيد الإرادة، وتوحيد الإرادة: أن تبذل الجهد في الوصول إلى المراد هذا الصدق، وهذا حتى فيما بين الناس إذا قيل: فلان يريد كذا وكذا، وهو كسلان لم يعمل.

لقالوا: لو كان صادقاً لفعل. ومثلاً لو قال لك أحد فلان يجب أن يزورك دائماً، ولكن ما تراه في السنة إلا مرة، ماذا ستقول؟ ستقول بالطبع لو كان صادقاً أنه يجب الزيارة لزارني.
إذن الصدق: بذل الجهود في الوصول إلى المقصود.
والإخلاص: توحيد المراد، كما سبق.

وَالشُّنَّةُ الْمُثَلَّى لِسَالِكِهَا فَتَوُ جَيْدُ الطَّرِيقِ الْأَعْظَمِ السُّلْطَانِي
قوله: (فتوحيد الطريق) توحيد الطريق يستلزم أن يكون الله وحده هو المراد وهو المقصود، أي: الإخلاص والصدق في طلبه، وبهذا يكون سلوك الطريق الموصل إليه.

فإن قال قائل: أنا والله أحب من كل قلبي أن أصل إلى مكة، وهياً الراحلة، وجهز كل شيء، ثم ذهب إلى الشرق، وقلت له: أين تذهب؟ قال: أذهب إلى مكة، قلنا: لا يصح؛ لأنه لم يسلك الطريق الموصل إليها؛ إذن لا بد من سلوك الطريق الذي يوصلك إلى الله لكي تصل إليه بسلام.
وهو طريق الرسول ﷺ أسأل الله أن يوفقني وإياكم إلى سلوكه.

ولا يوجد غيره طريق، ولذا قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: ١٥٣] ولهذا قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ: (والسنة المثلى)؛ يعني: العليا في المثل. والتي هي خير الهدى لسالكها.

فَلَوْاحِدٍ كُنْ وَاحِدًا فِي وَاحِدٍ أَغْنِي سَبِيلَ الْحَقِّ وَالْإِيمَانَ

قوله: (فلواحد كن واحدًا في واحد)

أي: كن واحدًا لله في طريق واحد هو طريق رسول الله.

هَذِي ثَلَاثٌ مُسْعِدَاتٌ لِلَّذِي قَدْ نَالَهَا وَالْفَضْلُ لِلْمَنَّانِ

فَإِذَا هِيَ اجْتَمَعَتْ لِنَفْسٍ حُرَّةٍ بَلَغَتْ مِنَ الْعِلْيَاءِ كُلِّ مَكَانٍ

الرَّأْيِ قَبْلَ شَجَاعَةِ الشُّجْعَانِ هُوَ أَوَّلُ وَهِيَ الْمَحَلُّ الثَّانِي

هذا البيت قد ذكره من قبل المتنبي بقوله:

فَإِذَا هُمَا اجْتَمَعَا لِنَفْسٍ حُرَّةٍ بَلَغَتْ مِنْ مِنَ الْعِلْيَاءِ كُلِّ مَكَانِ

إلا أن المؤلف يقول: (فإذا هي اجتمعت) وبيت المتنبي: فإذا هما اجتماعاً؟ لأن الضمير يعود على

ما قبله في البيتين.

وهذه الثلاث هي سبب سعادة المرء فإذا اجتمعت لنفس حرة بلغت من العلياء كل مكان.

لِللَّهِ قَلْبٌ شَامٌ هَاتِيكَ الْبُرُوقُ قَ مِنْ الْخِيَامِ فَهَمَّ بِالطَّيْرَانِ

قوله: (شام هاتيك البروق)؛ أي: قلبه. والمعنى: أن قلب الإنسان الذي ظل في الخيام مدة

طويلة، ثم رأى البرق بعد مدة طويلة لم يره، فتجد قلبه من شدة شوقه إلى البرق يهيم بالطيران.

لَوْلَا التَّعَلُّلُ بِالرَّجَاءِ تَصَدَّعَتْ أَغْشَارُهُ كَتَصَدَّعَ الْبُنْيَانِ

الظاهر - والله أعلم - أن أغشار البيت أو الخيمة: أنها جوانبها؛ ولهذا قال: لولا التعلل بالرجاء

تصدعت أغشاره كتصدع البنيان.

وَتَرَاهُ يَبْسُطُهُ الرَّجَاءُ فَيَنْثَنِي مُتَمَّايًا كَتَمَّايِلِ النَّشْوَانِ

وَيَعُودُ يَقْبِضُهُ الْإِيَّاسُ لِكُونِهِ مُتَخَلِّفًا عَنْ رُفْقَةِ الْإِحْسَانِ

أي: أن قلبه أحياناً يفتح له الرجاء؛ فيفرح ويطرب ويقول: وصلت إلى الغاية. وأحياناً يقبضه

اليأس؛ لأنه متخلف عن رفقه الإحسان.

فيجد نفسه يقول: أين أنا من قوم لا ينامون الليل، يحبونه ركعًا وسجدًا وقيامًا لله عز وجل،

فمتى أصل إلى منازل هؤلاء؟ وأحياناً يبسطه الرجاء، فيقول: إن عفو الله أوسع من عقوبته، ويحمله الرجاء على أن ينشرح صدره ويفرح ويطرب ولهذا قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

فَتَرَاهُ بَيْنَ الْقَبْضِ وَالْبَسْطِ اللَّذِي - مِنْ هُمَا لِأَفْقِ سَمَائِهِ قُطْبَانِ

أي: أن قلبه بين القبض والبسط، فينبسط عند الرجاء، وينقبض عند اليأس والخوف؛ ولقد اختلف أهل العلم رحمهم الله في السائر إلى الله عز وجل هل يغلب الرجاء أو يغلب الخوف؛ لأنه إن غلب الرجاء وقع في محذور، وهو الأمن من مكر الله وإن غلب الخوف وقع في محذور: وهو اليأس من رحمة الله. فهو بين محذورين، ولذا قال الإمام أحمد: (ينبغي أن يكون خوفه ورجاؤه واحداً؛ فأيهما غلب هلك صاحبه).

وشبهه بعض العلماء بالطائر يطير بجناحين؛ جناح الرجاء، وجناح الخوف، إن مال أحدهما هوى وسقط.

القول الأول: بعض أهل العلم فصل فقال: ينبغي إذا حدثته نفسه بالمعصية أن يغلب جانب الخوف؛ لثلا يقع فيها؛ لأنه قد تحمله نفسه على الرجاء فيقول: أفعَلِ المعصية والله غفور رحيم. وإذا فعل الطاعة فليغلب جانب الرجاء؛ لأنه إذا فعل الطاعة فلا ينبغي أن يقول: لا تقبل مني، بل يرجح جانب القبول، وهو جانب الرجاء حتى يكون محسناً للظن بالله عز وجل.

القول الثاني: يقول: وينبغي أن يكون الرجاء والخوف مبنياً على اختلاف الجهة، فإذا نظرت إلى أفعالك؛ فغلب جانب الخوف سواء كانت طاعة أو معصية، وإذا نظرت إلى فضل الله فغلب جانب الرجاء؛ لأن الله تعالى، كتب كتاباً عنده: أن رحمته غلبت - أو سبقت - غضبه. أما أنت فأنت محل التهمة، متى نظرت إلى نفسك فغلب جانب الخوف، ليحملك هذا الجانب على ترك المحرمات وفعل الطاعات.

القول الثالث: في حال الصحة والنشاط يغلب جانب الخوف، وفي حال المرض - ولا سيما المرض المزمن الذي يظن المرء أنه قريب الأجل - يغلب جانب الرجاء حتى يموت وهو يحسن الظن بالله عز وجل، والله تعالى عند ظن عبده به.

«والحقيقة» أن الإنسان ينبغي له - فيما نرى - أن ينظر حاله: فإذا رأى نفسه تميل إلى الرجاء فتحمله على التهاون بالطاعات، وعلى فعل المحرمات فيجب أن يكبح جماحها فيردها إلى جانب الخوف. وإذا غلب على نفسه الخوف حتى عاد ييأس من أن الله قبل منه طاعة: أو أنه أتى بطاعة ترضي ربه فهنا يغلب جانب الرجاء، والإنسان الذي يوفقه الله عز وجل في ذلك يكون طيب نفسه.

وَيَدَا لَهُ سَعْدُ السُّعُودِ فَضَارَ مَسَّ — رَأَهُ عَلَيْهِ لَا عَلَى الدَّبْرَانِ

قوله: (الدبران) هو نجم أحمر يسير دبر الثريا، من النجوم الفصليّة.

وأما قوله: (سعد السعود): فهو السعد الثالث من السعداء الثلاثة وهو ما يسمى عند العامة في لغتنا: العقرب.

وتعرفون العقارب التي تكون في آخر الشتاء: السعد الذابح، وسعد بلع، وسعد السعود.

وسعد السعود يكون عند ابتداء فصل الربيع ولهذا يكون الطالع، طالعه جيداً، بمعنى أنه إذا دخل هذا النجم عند العامة، قالوا: الآن أقبل خير.

مع أن النجم لا يأتي بالخير أو بالشر لكنه علامة على حلول الفصل، الذي هو الطقس كما يقولون في اللغة الحاضرة. فهذا سعد السعود.

والدبران في الغالب يكون ابتداء الحر.

لِللَّهِ ذِيَاكَ الْفَرِيقُ فَأَيْنَهُمْ خُصُّوا بِخَالِصَةٍ مِنَ الرَّحْمَنِ

وهذا مأخوذ من قول الله تعالى: ﴿ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ﴾ [ص: ٤٦]، وما أسعد الذي يخلصه الله تعالى. فهؤلاء الفريق خصوا بخالصة من الرحمن.

قوله: (لله ذياك الفريق) ذياك تصغير، مع أن ربتهم عالية، لكن التصغير قد يراد به التمليح ومنه قول رسول الله ﷺ لابن عباس: «يا غليم»^(١). تمليحاً له.

وقد ذكر ابن القيم في النونية ذلك لما ذكر السماع في الجنة.

وَأَهْلُ لِيذِيَاكَ السَّمَاعِ وَلَمْ أَقُلْ ذِيَاكَ تَصْغِيرًا لَهُ بِلِسَانِ

فهنا ما قاله تصغيراً لهذا الفريق، وإنما هذا الفريق هم أفضل الفرقاء.

أي: شددت إلى معبودهم بالإخلاص، وإلى رسوله بالمتابعة.

شُدَّتْ رَكَائِبُهُمْ إِلَى مَعْبُودِهِمْ وَرَشُولِهِ يَا خِيَةَ الْكِسْلَانِ

وقوله: (يا خيبة الكسلان) ليس المراد النداء، وإنما أنزلها منزلة العاقل، و(يا) هنا للتنبية، يعني: يا خيبة الكسلان.

وإن الكسلان ليس له إلا الخيبة والندم، نسأل الله أن يجعلنا وإياكم من أهل العمل لا من أهل الكسل.



(١) رواه أحمد في مسنده (٣٠٧/١)، برقم (٢٨٠٤)، وقال الشيخ شعيب: صحيح.



٣٤٩٣- وَالشِّرْكَ فَاحْذَرُهُ فَشِرْكُ ظَاهِرٍ

ذَا الْقِسْمُ لَيْسَ بِقَابِلِ الْعُقْرَانِ

٣٤٩٤- وَهُوَ اتِّخَاذُ النَّدِّ لِلرَّحْمَنِ أَيْ

يَا كَانَ مِنْ حَجَرٍ وَمِنْ إِنْسَانٍ

٣٤٩٥- يَدْعُوهُ أَوْ يَزْجُوهُ ثُمَّ يَخَافُهُ

وَيَجْبُهُ كَمَحَبَّةِ السُّدْيَانِ

٣٤٩٦- وَاللَّهُ مَا سَاوَوْهُمْ بِاللَّهِ فِي

خَلْقِي وَلَا رِزْقِي وَلَا إِحْسَانِ

٣٤٩٧- فَاللَّهُ عِنْدَهُمْ هُوَ الْخَلَّاقُ وَالرِّزْقُ

مَوْلِي الْفَضْلِ وَالْإِحْسَانِ

٣٤٩٨- لَكِنَّهُمْ سَاوَوْهُمْ بِاللَّهِ فِي

حُبِّ وَتَعْظِيمِ وَفِي إِيمَانٍ^(١)

(١) [٣٤٩٦: ٣٤٩٨] قال العلامة محمد خليل هراس:

ولهذا كانت كلمة التوحيد التي يدخل بها في الإسلام هي (لا إله إلا الله) لأنها هي التي تنفي الشرك في الألوهية وتثبت استحقاقه سبحانه للعبادة وحده، وفي الصحيح عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ: أي الذنب أعظم؟ قال: «أن تجعل لله نداً وهو خلقك»، الحديث. وفي الحديث القدسي الصحيح يقول الله تعالى: «إني والإنس والجن في نبأ عظيم، أخلق ويُعبد غيري، وأرزق ويشكر غيري».

٣٤٩٩- جَعَلُوا مَحَبَّتَهُمْ مَعَ الرَّحْمَنِ مَا

جَعَلُوا الْمَحَبَّةَ قَطُّ لِلرَّحْمَنِ

٣٥٠٠- لَوْ كَانَ حُبُّهُمْ لِأَجْلِ اللَّهِ مَا

عَادُوا أَحَبَّتَهُ عَلَى الْإِيمَانِ

٣٥٠١- وَلَمَّا أَحْبَبُوا سُحْطَةً وَتَجَبَّبُوا

مَحْبُوبِيَهُ وَمَوَاقِعَ الرِّضْوَانِ

٣٥٠٢- شَرَطُ الْمَحَبَّةِ أَنْ تُوَافِقَ مَنْ تُحِبُّ

بُ عَلَى مَحَبَّتِهِ بِإِلَّا عِضْيَانِ

٣٥٠٣- فَإِذَا ادَّعَيْتَ لَهُ الْمَحَبَّةَ مَعَ خِلَا

فِكَ مَا يَحِبُّ فَأَنْتَ ذُو بُهْتَانِ

٣٥٠٤- أَتُحِبُّ أَعْدَاءَ الْحَبِيبِ وَتَدَّعِي

حُبَّالَهُ مَا ذَاكَ فِي إِمْكَانِ

٣٥٠٥- وَكَذَا تُعَادِي جَاهِدًا أَحْبَابَهُ

أَيْنَ الْمَحَبَّةُ يَا أَخَا الشَّيْطَانِ

الشرح

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

وَالشَّرْكَ فَاحْذَرُهُ فَشُرْكَ ظَاهِرٌ ذَا الْقِسْمِ لَيْسَ بِقَابِلِ الْغُفْرَانِ

الشرك أي المضاد لأقسام التوحيد والمعنى:

احذره كله: الظاهر والخفي؛ لأن ومن الشرك ما هو ظاهر لا يقبل الغفران؛ لقول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ لِمَنْ يُشْرِكُ بِهِ﴾ [النساء: ٤٨] واختلف العلماء رحمهم الله في الشرك الأصغر كالحلف بغير الله وعمل الرياء وما أشبه ذلك هل يغفره الله أو لا؟ فمنهم من قال إنه لا يغفر لعموم قوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ لِمَنْ يُشْرِكُ بِهِ﴾.

ومنهم من قال: بل يغفر؛ لأن الشرك الذي لا يغفر هو الذي قال الله عنه: ﴿لِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ

فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿ [المائدة: ٧٢] والقول الثاني هو ظاهر كلام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ ولهذا قال: (فشرك ظاهر ذا القسم) أي: أن الشرك الظاهر ليس بقابل الغفران ثم ذكر منه أشياء.

وَهُوَ اتِّخَاذُ التَّدَايِغِ لِلرَّحْمَنِ أَيْ يَا كَأَنَّ مِنْ حَجَرٍ وَمِنْ إِنْسَانٍ

قوله: (اتخاذ الند) يعني: النظير والمثيل والشبيه لله سواء كان من حجر أو إنسان أو ملك مهما كان.

يَدْعُوهُ أَوْ يَرْجُوهُ ثُمَّ يَخَافُهُ وَيَجِبُ لَهُ كَمَحَبَّةِ الدِّيَانِ

قوله: (يدعوه) يعني: يدعوه دعاء مسألة أو دعاء عبادة.

قوله: (أو يرجوه ثم يخافه ويحبه كمحبة الديان) أي: فهو يرجوه كرجاء الله ويخافه كمخافة الله ويحبه كمحبة الله ويعتبر كل هذا شرك.

وَاللَّهُ مَا سَاوَوْهُمْ بِاللَّهِ فِي خَلْقٍ وَلَا رِزْقٍ وَلَا إِحْسَانٍ

يعني بذلك: المشركين فقال: (ما ساووه بالله) أي: ما ساووا أصنامهم بالله في هذه الأمور في الخلق والرزق والإحسان؛ ولهذا لو سألتهم من خلق السماوات والأرض؟ لقالوا: كما قال الله تعالى: ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾ [الزخرف: ٨٧]، ﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَمِيتِ وَيُخْرِجُ الْمَمِيتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدِيرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ ﴾ [يونس: ٣١] فهم مقرون بأن الخلق والرزق كل لله عز وجل ولم يساوا أصنامهم في ذلك.

فَاللَّهُ عِنْدَهُمْ هُوَ الْخَلَّاقُ وَالرِّزْقُ مُوَالِي الْفَضْلِ وَالْإِحْسَانِ

لَكِنَّهُمْ سَاوَوْهُمْ بِاللَّهِ فِي خُبٍّ وَتَعْظِيمٍ وَفِي إِيمَانٍ

أي: في مسألة الربوبية لم يساووههم بالله، أما في مسألة العبادة والتأله فساووههم بالله في الحب والتعظيم والإيمان فجعلوا محبته كمحبة الله. ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ﴾ [البقرة: ١٦٥] كذلك في التعظيم.

جَعَلُوا مَحَبَّتَهُمْ مَعَ الرَّحْمَنِ مَا جَعَلُوا الْمَحَبَّةَ قَطُّ لِلرَّحْمَنِ

وقوله: (جعلوا محبتهم مع الرحمن) وهذه هي المحبة الشركية، أما المحبة في الرحمن فهي محبة إيمانية؛ ولهذا يفرق بين الحب في الله وبين الحب مع الله، فالحب مع الله شرك أما الحب في الله أو الله فهذا من تمام الإيمان، فمن تمام الإيمان أن تحب الشخص لا تحبه إلا الله.

لَوْ كَانَ حُبُّهُمْ لِأَجْلِ اللَّهِ مَا عَادُوا أَجِبَّتَهُ عَلَى الْإِيمَانِ

هذا صحيح فلو كانوا يحبون الله حقًا ما عادوا أحباء الله؛ ما عادوا رسله ولا عادوا أتباع الرسل.

وَلَمَّا أَحْبَبُوا سُخْطَهُ وَتَجَنَّبُوا مَحْبُوبَهُ وَمَوَاقِعَ الرِّضْوَانِ

من لازم محبتهم لله أن يتبعوا ما يرضيه ولا أن يتبعوا ما يسخط الله؛ وإن ادعوا المحبة فهم كاذبون في ذلك لأنهم أحبوا سخطه، ثم اشترط المؤلف للمحبة شروطًا فقال:

شَرَطُ الْمَحَبَّةِ أَنْ تُوَافِقَ مَنْ تُحِبُّ بَعْضُ عَلَى مَحَبَّتِهِ بِإِلَّا عِضْيَانِ

يعني أن: شرط المحبة الدال على صدقها: أن توافق من تحب على محبته، وأنت لو جرّبت هذا فيما بينك وبين الناس وقلت لشخص: والله إني أحبك حبًا شديدًا وفي يوم من الأيام جاء إليك فقال: افعل كذا وكذا اذهب إلى فلان بالليل فقلت: والله ما أقدر، هل هذا يدل على محبتك له؟ لا يدل؛ لأنك لو كنت صادقًا لذهبت، والإنسان الذي يحب شخصًا يتشرف ويفرح إذا أمره ولا يخالفه ولذلك قال:

فَإِذَا ادَّعَيْتَ لَهُ الْمَحَبَّةَ مَعَ خِلَا فِكَ مَا يَحِبُّ فَأَنْتَ ذُو بُهْتَانِ

قوله: (ذو بهتان) أي: ذو كذب.

أَتُحِبُّ أَعْدَاءَ الْحَبِيبِ وَتَدَّعِي حُبَّ لَهُ مَا ذَاكَ فِي إِمْكَانِ

يعني: إذا كان الإنسان يدعي أنه يحب شخصًا وهو يحب أعدائه فهل هذا صادق في محبته؟ لا؛ لأنه لو كان يحبه حقًا ما كان يحب أعدائه وكان عدوًا لأعدائه، حتى الصبيان في الأسواق الآن إذا أحب الواحد منهم صديقًا وكان له عدو من الصبيان الآخرين يأتي إليه ويقول له: هل أنت معي أم معهم؟ هل أنت من أوليائي أم من أوليائه؟

إذا قال: أنا معك ولكنه في آخر النهار وجده مع الثاني فسوف يعتب عليه ويقول له: أنت كذاب كيف تقول أنت معي وتحبني ثم تحب عدوي؟ فهذا شيء في الفِطْر لا يمكن أن تحب أعداء شخص وأنت صادق في محبته أبدًا.

وَكَذَا تُعَادِي جَاهِدًا أَحْبَابَهُ أَيْنَ الْمَحَبَّةِ يَا أَخَا الشَّيْطَانِ

يعني: تحب أعداءه وتعادي جاهدًا بكل ما تستطيع أحبابه، وبهذا تقول أنك تحبه لا، بل أنت أخو الشيطان؛ لأن من علامة محبة الإنسان لله: أن يحب من يعبد الله فإذا رأيت في نفسك كراهة لأحد من عباد الله فإنه يجب عليك أن تصحح إيمانك؛ لأن محبتك لله لا يمكن أن تتحقق وأنت تبغض أحدًا من أولياء الله؛ ولهذا نرى أن أبعد الناس عن محبة الله من يبغضون صحابة رسول الله ﷺ أن الذي

يبغض الصحابة لا شك أنه لا يجب الله؛ لأن الصحابة من أولياء الله وهم خير القرون نصًا من الرسول عليه الصلاة والسلام^(١)، فإذا أبغضهم شخص فكيف يقول أنا أحب الله فهو في الحقيقة قد طعن فيه وطعن برسول الله صلى الله عليه وسلم وطعن بشريعة الله وطعن بالله.

مسألة: كيف طعن في الصحابة والشريعة والرسول والله عز وجل؟

الجواب: طعن في الصحابة بسبهم؛ وطعن في الشريعة؛ لأن الشريعة متلقاة من عندهم فالذين أوصلوا الشريعة إلى الأمة الصحابة فإذا طعن فيهم وجعلوا غير عدول فكيف نؤمن بشريعة أهلها ليسوا بعدول؟!

وطعنوا في الرسول عليه الصلاة والسلام؛ لأنه يُستدل على المرء بقرينه؛ ولهذا قال الحكيم الشاعر:

عَنْ الْمَرْءِ لَا تَسْأَلُ وَلَا تَسْأَلُ عَنْ قَرِينِهِ
فَكُلُّ قَرِينٍ بِالْمَقَارِنِ يَقْتَدِي

وطعنوا في الله؛ لأنهم يقولون: إن الصحابة فسقة - والعياذ بالله - فكيف يكونون صحابة خير الخلق الله فهل الحكمة تأبى ذلك أو تؤيد ذلك؟ إذا قالوا: تأبى ذلك سيكون هذا طعن على حكمة الله في اختيارهم لصحبة رسول الله ﷺ.

فالمهم: أن كل أحد يدعي محبة الله ثم يجب أعداء الله ويبغض أولياء الله فإنه كاذب فيما يقول.

لكن نقول: إن بعض الناس يكره بعض الملتزمين لشخصه وليس من أجل التزامه وهذا يقع كثيرًا؛ فكثيرًا ما ينقم شخص على ملتزم على فعل شيء لو فعله غيره لقبه لكن من هذا الشخص يكرهه، هذا ما يحكم عليه بأنه كره السنة أو قدح فيها وهذه المسألة يجب التنبيه لها، فإذا استهزأ شخص بشخص؛ لأنه أعفى لحيته فلا يعني ذلك أن هذا الرجل يكره إعفاء اللحي مطلقًا ولهذا تجده يقبل الإعفاء لو طال من شخصًا آخر دون الثاني، ولو أن إنسانًا استهزأ بتقصير الثوب إلى نصف الساق من شخص ولكنه لو فعله آخر لقبه منه كما هو موجود فعلاً لا نقول: إن هذا الرجل استهزئ بالسنة لكنه استهزئ بمن تلبس بالسنة، فهذا فرق يجب التنبيه له؛ ولهذا لو كره السنة لذاتها وإن لم يعمل أحد لها لكان على خطرٍ وأيضًا إن استهزئ بالسنة لذاتها.

فلو فرضنا أن كل مَنْ حوله حالقين لحاهم ولكنه يستهزئ بإعفاء اللحية عموماً أي: من تشريعها لكان هذا على خطرٍ بل نقول: إنه قد يخرج من الإسلام.



(١) كما روى البخاري في صحيحه (٢٥٠٩) عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يجيء أقوام تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته).

* قَوْلُهُ رَحِمَهُ اللهُ:

٣٥٠٦- لَيْسَ الْعِبَادَةُ غَيْرَ تَوْحِيدِ الْمَحْبَبِ

بَةِ مَعَ خُضُوعِ الْقَلْبِ وَالْأَرْكَانِ

٣٥٠٧- وَالْحُبُّ نَفْسٌ وَفَاقَهُ فِيمَا يَحِبُّ

بُ وَبُعْضٌ مَا لَا يَزْتَضِي بِجَنَانِ

٣٥٠٨- وَوَفَاقَهُ نَفْسٌ اتِّبَاعِكَ أَمْرَهُ

وَالْقَصْدُ وَجْهُ اللَّهِ ذِي الْإِحْسَانِ

٣٥٠٩- هَذَا هُوَ الْإِحْسَانُ شَرْطٌ فِي قَبُولِ

لِ السَّعْيِ فَافْهَمْنَاهُ مِنْ الْقُرْآنِ

٣٥١٠- وَالْإِتِّبَاعُ بِدُونِ شَرْعِ رَسُولِهِ

عَيْنُ الْمُحَالِ وَأَبْطُلُ الْبُطْلَانِ

٣٥١١- فَإِذَا تَبَدَّتْ كِتَابَهُ وَرَسُولَهُ

وَتَبَعْتَ أَمْرَ النَّفْسِ وَالشَّيْطَانِ

٣٥١٢- وَتَخَذْتَ أُنْدَادًا تُحِبُّهُمْ كَحُبِّ

بِ اللَّهِ كُنْتَ مُجَانِبَ الْإِيمَانِ

٣٥١٣- وَلَقَدْ رَأَيْنَا مِنْ قَرِيبٍ يَدْعِي الْإِسْلَامَ

شِرْكًَا ظَاهِرَ التَّبْيَانِ

٣٥١٤- جَعَلُوا لَهُ شُرَكَاءَ وَالْوَهُمُ وَسَوَّ

وَوَهُمُ بِهِ فِي الْحُبِّ لَا السُّلْطَانَ

٣٥١٥- وَاللَّهُ مَا سَاوَوْهُمْ بِاللَّهِ بَلْ

زَادُوا لَهُمْ حُبًّا بِلَا كِتْمَانِ

٣٥١٦- وَاللَّهِ مَا غَضِبُوا إِذَا أَنْتَهَكْتَ مَحَا

رِمُ رَبِّهِمْ فِي السِّرِّ وَالْإِعْلَانِ

٣٥١٧- حَتَّى إِذَا مَا قِيلَ فِي الْوَثَنِ الَّذِي

يَدْعُونَهُ مَا فِيهِ مِنْ نَقْصَانِ

٣٥١٨- فَأَجَارَكَ الرَّحْمَنُ مِنْ غَضَبٍ وَمِنْ

حَزَبٍ وَمِنْ شَتْمٍ وَمِنْ عُذْوَانِ

٣٥١٩- وَأَجَارَكَ الرَّحْمَنُ مِنْ ضَرْبٍ وَتَعَفٍ

زَيْرٍ وَمِنْ سَبِّ وَمِنْ تَسْجَانِ^(١)

٣٥٢٠- وَاللَّهِ لَوْ عَطَلْتَ كُلَّ صِفَاتِهِ

مَا قَابَلُوكَ بِبَعْضِ ذَا الْعُدْوَانِ

٣٥٢١- وَاللَّهِ لَوْ خَالَفْتَ نَصْرَ رَسُولِهِ

نَصًّا صَرِيحًا وَاضِحَ التَّبْيَانِ

٣٥٢٢- وَتَبِعْتَ قَوْلَ شُيُوخِهِمْ أَوْ غَيْرِهِمْ

كُنْتَ الْمُحَقِّقَ صَاحِبَ الْعِرْفَانِ

٣٥٢٣- حَتَّى إِذَا خَالَفْتَ آرَاءَ الرَّجَا

لِ بِسُنَّةِ الْمَنْبُغُوثِ بِالْقُرْآنِ

٣٥٢٤- نَادَوْا عَلَيْكَ بِبِدْعَةٍ وَضَلَالَةٍ

قَالُوا وَفِي تَكْفِيرِهِ قَوْلَانِ

(١) [٣٥١٨: ٣٥١٩] قال العلامة محمد خليل هراس:

وبعد فما أشبه الليلة بالبارحة، فإن ما يحدثنا عنه هذا الإمام الجليل مما كان يقع به وبأمثاله من العذاب والتنكيل حين يقومون بالدعوة لتجريد التوحيد وإخلاص العبادة للملك الجليل لا يزال يقع مثله وأشد منه بالدعاة إلى الحق في هذا الزمان، ولكن لا نقول إلا كما قال القرآن: ﴿أَتَوَصَّوْا بِهِمْ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ [الذاريات: ٥٣]، فنسأل الله النجاة من كيد اللئام وفتنة الطعام.

٣٥٢٥- قَالُوا تَنْقُضَتِ الْكِبَارَ وَسَائِرَ آلِ

عُظَمَاءٍ بَلْ جَاهَزَتْ بِالْبُهْتَانِ

٣٥٢٦- هَذَا وَلَمْ تَسْلُبْنَهُمْ حَقًّا لَهُمْ

لِتَكُونُوا ذَا كَذِبٍ وَذَا عُذْوَانِ

٣٥٢٧- وَإِذَا سَأَلْتِ عِلْوَهُ وَكَلَامَهُ

وَصَفَاتِهِ الْعُلْيَا بِأَلَا كَثْمَانِ

٣٥٢٨- لَمْ يَغْضَبُوا إِذْ لَمْ يَكُنْ يُرْضِيهِمْ

لَا حَبَّذَا ذَاكَ الْفَرِيْقُ الثَّانِي

٣٥٢٩- وَالْأَمْرُ وَاللَّهُ الْعَظِيمُ يَزِيدُ فَوْ

قِ الْوُضْفِ يَعْرِفُهُ أَوْلُوا الْعِرْقَانِ

٣٥٣٠- وَإِذَا ذَكَرْتَ اللَّهَ تَوْجِيْدًا رَأَيْتَ

سِتَّ وَجُوهَهُمْ مَكْسُوفَةَ الْأَلْوَانِ

٣٥٣١- بَلْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ شَرْزًا مِثْلَ مَا

نَظَرَ الثِّيْوسُ إِلَى عَصَا الْجُوبَانِ

٣٥٣٢- وَإِذَا ذَكَرْتَ بِمِدْحَةٍ شُرَكَاءَهُمْ

يَسْتَبْشِرُونَ تَبَاشُرَ الْفَرْحَانِ

٣٥٣٣- وَاللَّهُ مَا شَأْمُوا رَوَائِحَ دِينِهِ

يَا زَكْمَةَ أَعْيَتْ طَيِّبَ زَمَانٍ^(١)

(١) [٣٥٢٧: ٣٥٣٣] قال العلامة محمد خليل هراس:

فهؤلاء الذين هموا لشييوخهم وصبوا جام غضبهم على من خالفهم في رأيهم، وعدوا ذلك تنقيصاً من أقدارهم لو سلبت صفات الله كلها عندهم، ونفي علوه وكلامه جهاراً بلا كتمان لما غضبوا على من فعل ذلك، بل لأقروه عليه وصبوا كلامه، ومهما قيل في وصفهم فالأمر يزيد على كل وصف، وهو أشهر من أن يخفى حتى على العميان.

الشَّرْحُ

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

لَيْسَ الْعِبَادَةُ غَيْرَ تَوْحِيدِ الْمَحْبُوبِ مَعَ خُضُوعِ الْقَلْبِ وَالْأَرْكَانِ
سبق لنا أنه رَحِمَهُ اللهُ قال: إن العبادة ركنها الأساسيان هما الصدق والإخلاص مع متابعة
الرسول عليه الصلاة والسلام وهذا أيضاً مبني على المحبة والتعظيم ولا يمكن عبادة بدون محبة
أبدًا ولا يمكن استقامة بدون تعظيم.

وَالْحُبُّ نَفْسٌ وَفَاقِهِ فِيمَا يَحِبُّ بٌ وَبُغْضٌ مَا لَا يَرْضَى بِجَنَانٍ
أي: أن الحب الصادق: أن توافق الله عز وجل فيما يحب وتبغض ما لا يرتضي فمن قال: أنا
أحب الله لكن لا أحب الصلاة قلنا له: كذبت ومن قال أنا أحب الله ولكن لا أكره الزنا قلنا
كذبت؛ الذي يحب الله لا بد أن يحب ما يحب الله ولا بد أن يكره ما يكرهه.

وَوَفَاقُهُ نَفْسٌ اتِّبَاعُكَ أَمْرَهُ وَالْقَضْدُ وَجْهُ اللَّهِ ذِي الْإِحْسَانِ
الوفاق هو موافقة الرب عز وجل بأن تتبع أو امره قاصداً وجهه، هذا هو الموافقة لله عز وجل ثم قال:
هَذَا هُوَ الْإِحْسَانُ شَرْطٌ فِي قَبُولِهِ
أي: لا يقبل الله من عبد عملاً بدون إحسان ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءً﴾
[البيئته: ٥] فلا بد من ذلك وقال تعالى ﴿لِيَسْبُلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [هود: ٧] فعمل ليس فيه
إحسان ليس مقبولاً عند الله.

وَالِاتِّبَاعُ بِدُونِ شَرْعِ رَسُولِهِ عَيْنُ الْمَحَالِ وَأَبْطُلُ الْبُطْلَانِ
يعني: لو قال قائل: أنا متبع وابتدع في دين الله ما ليس منه قلنا هذا محال كيف تقول: إنك متبع

وكذلك إذا ذكرت ربك توحيداً فرددت إليه الأمور كلها ونفيت عنه الظهير والمعين والوسيط والشفيع،
وقلت أنه يفعل ما يريد لا مغير لإرادته، ولا مكره له على خلاف مشيئته اشمأزت منهم القلوب، وعلت
وجوههم الكآبة، وكسفت منهم الألوان، ونظروا إليك بأعين ملؤها الحقد والغضب أما إذا ذكرت
أهنتهم بالخير وأطريتها في المديح فرحوا بذلك واستبشروا وهنا بعضهم بعضاً. فهم كمن قال الله فيهم
﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ
يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [١٥] قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَلِيمَ الْعَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ
يَخْتَلِفُونَ﴾ [الرؤم: ٤٥-٤٦].

فهل تحسب أن أمثال هؤلاء قد شموا لدين الله رائحة أو ذاقوا له طعمًا، كلا بل قد زكمت منهم القلوب
زكمة أعيت كل طيب وحر فيها كل مُصلح أريب، فإننا لله وإنا إليه راجعون.

وأنت مبتدع؛ ولهذا نحن نقول: كل من جاء ببدعة في دين الله فقد نقص اتباعه لدين الله بقدر ما ابتدع في دينه سواء في العقيدة أو في القول أو في الفعل فمثلاً من حرّف النصوص في العقائد فهو مبتدع وفاته من الاتباع بقدر ما حرف ومن أتى بأذكار وصلوات على الرسول عليه الصلاة والسلام وأدعية مخالفة لما جاءت به الشريعة فهو مبتدع ولو قال: إنه يجب الله ورسوله، لأنه قد نقص من اتباعه بقدر ما جاء به من البدعة وكذلك لو فعل أفعالاً خلاف ما جاءت به الشريعة فإنه مبتدع ولهذا قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

فَإِذَا نَبَذْتَ كِتَابَهُ وَرَسُولَهُ وَتَبِعْتَ أَمْرَ النَّفْسِ وَالشَّيْطَانِ
وَتَخَذْتَ أُنْدَادًا تُحِبُّهُمْ كَحُبِّ بِِ اللَّهِ كُنْتَ مُجَانِبَ الْإِيمَانِ

يعني: لا يوجد اتباع مع هذه الأحوال التي ذكرها المؤلف.

وَلَقَدْ رَأَيْنَا مِنْ فَرِيقٍ يَدْعِي الْإِسْلَامَ شُرَكَاءَ ظَاهِرِ التَّيْبَانِ

قوله: (شركاء) مفعول (رأينا) والمعنى: أننا رأينا فريقاً يدعون أنهم مسلمون وهم مشركون شركاً ظاهراً، ولكنهم مشركون ليس في العبادة ولا في الاتباع كما سيبين رَحِمَهُ اللهُ.

جَعَلُوا لَهُ شُرَكَاءَ وَالْوَهُمْ وَسَوَّوْهُمُ بِهِ فِي الْحُبِّ لَا السُّلْطَانَ

أي: أحبوهم كما أحبوا الله ولكنهم لم يجعلوا لهم سلطاناً كسلطان الله لقول الله تعالى: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [لقمان: ٢٦] لكن تجد قلوبهم مملوءة بمحبة أوليائهم ومتبوعيهم كمحبة الله أو أشد وسيتبين فيما بعد أنهم يجون متبوعيهم أشد من الله.

وَاللَّهُ مَا سَاوَوْهُمُ بِاللَّهِ بَلْ رَادُوا لَهُمْ حُبًّا بِأَلَا كَيْثَمَانَ

وَاللَّهُ مَا غَضِبُوا إِذَا انْتَهَكْتَ مَحَارِمَهُمْ فِي السِّرِّ وَالْإِعْلَانِ

يعني: ما أحبوهم كما أحبوا الله بل جعلوهم أشد حباً لله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّوهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥] أشد حباً لله من هؤلاء الله أو هؤلاء لأندادهم؟ فيها قولان فمنهم من قال: أشد حباً لله من هؤلاء لأندادهم، ومنهم من قال: أشد حباً لله هؤلاء؛ لأن محبة هؤلاء لله محبة مشروكة، ومحبة المؤمنين محبة خالصة.

حَتَّى إِذَا مَا قِيلَ فِي الْوَثَنِ الَّذِي يَدْعُونَهُ مَا فِيهِ مِنْ نَقْصَانِ

قوله: (يدعون ما فيه من نقصان) (ما) بمعنى الذي وليست النافية يعني: حتى إذا قيل في الوثن الذي يدعونه الذي فيه من النقصان. وقوله (إذا ما قيل) تنطبق عليها قاعدة وهي فائدة أن (ما) بعد إذا زائدة.

فَأَجَارَكَ الرَّحْمَنُ مِنْ غَضَبٍ وَمِنْ
حَزْبٍ وَمِنْ شَتْمٍ وَمِنْ عُدْوَانٍ
وَأَجَارَكَ الرَّحْمَنُ مِنْ ضَرْبٍ وَتَغْرِ
زِيرٍ وَمِنْ سَبٍّ وَمِنْ تَشْجَانٍ

يعني: إذا قلت في الوثن الذي يدعونه ما فيه من النقصان وبينت نقصه وعيبه.

قوله: (فأجارك الرحمن من غضب) يعني: لما سيفعلونه لك (ومن حرب) أي: لما يحاربونك، (ومن شتم) أي: لما يشتمونك، (ومن عدوان) أي: عدوان عليك بالضرب أو بأخذ المال أو ما أشبه ذلك، (وأجارك الرحمن من ضرب ومن تعزير) أي: لما يعزرونك إما بالضرب أو بغيره (ومن سب) أي: لما يسبونك ويطلقون ألسنتهم فيك، (ومن تشجان)؛ يعني السجن يسجونك؛ لأنك عبت ألتهم.

وَاللَّهُ لَوْ عَطَلَتْ كُلَّ صِفَاتِهِ
مَا قَابَلُوكَ بِبَعْضِ ذَا الْعُدْوَانِ

قوله: (لو عطلت كل صفاته) أي: الله عز وجل.

وَاللَّهُ لَوْ خَالَفَتْ نَصَّ رَسُولِهِ
وَتَبِعَتْ قَوْلَ شُيُوخِهِمْ أَوْ غَيْرِهِمْ
نَصًّا صَرِيحًا وَاصِحَ التَّبَيُّانِ
كُنْتَ الْمُحَقِّقَ صَاحِبَ الْعِزْفَانِ

أي: خالفت النص الصريح تبعاً لقول شيوخهم لقالوا لك: أنت العارف وأنت الذي عندك العلم، وأنت المحقق أنت صاحب المعرفة، لكن لو خالفت قول شيوخهم لكتاب الله وسنة رسوله لقالوا عليك: هذا هو الجاهل.

حَتَّى إِذَا خَالَفَتْ آرَاءَ الرَّجَا
نَادَوْا عَلَيْكَ بِبِدْعَةٍ وَضَلَالَةٍ
لِ بِسُئَةِ الْمُبْعُوثِ بِالْقُرْآنِ
قَالُوا وَفِي تَكْفِيرِهِ قَوْلَانِ

يعني: إذا خالفت آراء الرجال وقول شيوخهم لكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم هذا مبتدع ضال ثم (قالوا وفي تكفيره) عندنا قولان: منا من قال: هو كافر، ومنا من قال: إنه مبتدع ضال ونبرأ إلى الله من النطق بالكفر، لأننا ورعون تتورع عن الكفر، أما الآخرون فهم أشجع منّا كفروا هذا الذي خالف آراء الشيوخ لكلام الله وكلام رسوله.

قَالُوا تَنَقَّضَتِ الْكِبَارَ وَسَائِرَ الـ
عُظَمَاءِ بَلْ جَاهَزَتْ بِالْبُهْتَانِ

وهذا لا شك أنه واقع لكن نحن في بلادنا - والحمد لله - لا نحس به؛ لأنه يوجد بقلة غير ملحوظة لكن في بعض البلاد الإسلامية الأخرى - اقرأ ما جرى في التاريخ - تجد هذا حقيقياً أي: إذا خالفت أمر الشيوخ ينادون عليك بالصياح والعويل: أنت مبتدع ضال أنت متقص للعلماء.

هَذَا وَلَمْ تَسْلِبْهُمْ حَقًّا لَهُمْ لِكُونَ ذَا كَذِبٍ وَذَا عُدْوَانٍ

لو أن البيت جاء هكذا: هذا ولم تسلبهم حقًا لهم لتكون ذا كذب وذا عدوان كان أفضل؛ لأنه قال: «بل جاهرت بالبهتان» يعني: هذا حدثا مع أنك لم تسلبهم حقهم ولم تكن كاذبا فيما قلت فيه.

وَإِذَا سَلَبْتَ غُلُوَّهُ وَكَلَامَهُ وَكَلَامَهُ جَهْرًا بِأَلَا كَيْثْمَانَ

لَمْ يَغْضَبُوا إِذْ لَمْ يَكُنْ يُرْضِيهِمْ لَا حَبِّذَا ذَاكَ الْفَرِيقُ الثَّانِي

أي: لم يغضبوا إذا جحدت كتاب الله وكلامه وعلوه، بل كان ذلك عندهم عين الصواب ومقتضى الإيمان؛ لأنهم ينكرون الصفات وينكرون الكلام وينكرون العلوه، فمن أثبتته فهو ضال مبتدع ومن نفاه فهو الذي قال الصواب.

وَالْأَمْرُ وَاللَّهُ الْعَظِيمُ يَزِيدُ فَوْ قِ الْوَصْفِ يَعْرِفُهُ أَوْلُو الْعِرْفَانِ

يعني: أمر هؤلاء يزيد على الوصف حتى على ما قال هو رَجَلَهُ.

وَإِذَا ذَكَرْتَ اللَّهَ تَوْجِيحًا رَأَيْتَ وَجُوهَهُمْ مَكْسُوفَةَ الْأَلْوَانِ

يعني: نعوذ بالله ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [الزمر: ٤٥].

بَلْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ شُرْرًا مِثْلَ مَا نَظَرَ الثِّيُوسُ إِلَى عَصَا الْجُوبَانِ

هذا تشبيه جيد أي: ينظرون إليك إذا ذكرت الله وحده نظر التيس إلى عصا الراعي خشية أن يُضْرَبَ بالعصا فهم ينظرون نظر كراهة؛ لأن التيس يكره العصا مع الجوبان يخشى أن يضربه بها.

وَإِذَا ذَكَرْتَ بِمِدْحَةٍ شُرَكَاءَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ تَبَاشِيرَ الْفُرْحَانِ

وَاللَّهُ مَا شَأْمُوا رَوَائِحَ دِينِهِ يَا زَكْمَةَ أَغَيْثَ طَيْبِ زَمَانِ





مهيد بين يدي الفصل



قال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللهُ:

فصل

في صف العسكرين وتقابل الصفيين واستدارة رحي الحرب العوان، وتساؤل الأقران

وهذا في المقابلة بين الحق وأهله وبين الباطل وأهله على وجه العموم، فأهل الحق هم الرسل الكرام والأنبياء العظام وأئمة الهدى ومصايح الدجى والعلماء الربانيون والفقهاء والصالحون وطبقات أهل العلم والإيمان على توالي الزمان خلاصة الخلق وأكمل الناس إيماناً و يقيناً وأرجحهم عقولاً وأصوبهم آراء، وسلاحهم وبراهينهم جميع الكتاب السماوية، وجميع العلوم الصحيحة الموروثة عن الأنبياء والنقل الصحيح والعقل الصريح. وأما أهل الباطل فهم كل زنديق ومارق وجاحد وملحد منافق ممن مرجت عقولهم وانحرفت أديانهم واختلت عقائدهم وهدمت فيهم الفضيلة واتصفوا بكل خصلة رذيلة. وأما سلاحهم فمناسب لحالهم: زيد عقولهم التي هي شبه لا تسمن ولا تغني من جوع، قدموها على نصوص الوحي والسنة والقرآن فأوهت منهم العقائد وهدموا الإيمان والإيقان، فشرح حال العسكرين يكفي في معرفة المِحَقِّ من المبطل.



فصل

في صف العسكرين وتقابل الصفيين واستدارة
رحى الحرب العوان وتداول الأقران

٣٥٣٤- يَا مَنْ يَشُبُّ الْحَرْبَ جَهْلًا مَا لَكُمْ

بِقِتَالِ حِزْبِ اللَّهِ قَطُّ يَدَانِ

٣٥٣٥- أَلَيْ يَقَاوِمُ جُنْدَكُمْ لِحُجُودِهِمْ

وَهُمْ الْهُدَاةُ وَنَاصِرُوا الرَّحْمَنِ

٣٥٣٦- وَجُنُودُكُمْ مَا بَيْنَ كَذَابٍ وَدَجٍّ

جَالٍ وَمُحْتَالٍ وَذِي بُهْتَانٍ

٣٥٣٧- [مِنْ كُلِّ أَرْعَنٍ يَدْعِي الْمَعْقُولَ وَهوَ

مَوْجَانِبٌ لِلْعَقْلِ وَالْإِيمَانِ

٣٥٣٨- أَوْ كُلِّ مُبْتَدِعٍ وَجَهْمِيٍّ غَدَا

فِي قَلْبِهِ حَرَجٌ مِنَ الْقُرْآنِ

٣٥٣٩- أَوْ كُلِّ مَنْ قَدَّ دَانَ دِينَ شُيُوخِ أَهْلِ

لِالْإِعْتِرَافِ بِالْبَيِّنِ الْبُطْلَانِ

٣٥٤٠- أَوْ قَائِلٍ بِالِاتِّحَادِ وَإِنَّهُ

عَيْنُ الْإِلَهِ وَمَا هُنَا شَيْئَانِ

٣٥٤١- أَوْ مَنْ غَدَا فِي دِينِهِ مُتَّحِيرًا

أَتْبَاعَ كُلِّ مُلْدِدٍ حَيْرَانِ]

- ٣٥٤٢- وَجُودُهُمْ جَبْرِيلُ مَعَ ميكَالَ مَعَ
بَاقِي الْمَلَائِكِ ناصِرِي الْقُرْآنِ
- ٣٥٤٣- وَجَمِيعُ رُسُلِ اللَّهِ مِنْ نُوحٍ إِلَى
خَيْرِ الْوَرَى الْمَبْعُوثِ مِنْ عَدْنَانَ
- ٣٥٤٤- فَالْقَلْبُ حَمْسَتُهُمْ أَوْلُو الْعِزْمِ الْأَوْلَى
فِي سُورَةِ الشُّورَى أَتَوْا بِبَيَانِ
- ٣٥٤٥- فِي أَوَّلِ الْأَحْزَابِ أَيْضًا ذِكْرُهُمْ
هُمُ خَيْرُ خَلْقِ اللَّهِ مِنْ إِنْسَانِ
- ٣٥٤٦- وَلِوَأْوُهُمْ بِيَدِ الرَّسُولِ مُحَمَّدٍ
وَالْكُلُّ تَحْتَ لِوَاءِ ذِي الْفُرْقَانِ
- ٣٥٤٧- وَجَمِيعُ أَصْحَابِ الرَّسُولِ عِصَابَةُ آلِ
إِسْلَامِ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ
- ٣٥٤٨- وَالتَّابِعُونَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ عَلَى
طَبَقَاتِهِمْ فِي سَائِرِ الْأَزْمَانِ
- ٣٥٤٩- أَهْلُ الْحَدِيثِ جَمِيعُهُمْ وَأَيْمَةُ آلِ
فَتْوَى وَأَهْلُ حَقَائِقِ الْعِرْفَانِ
- ٣٥٥٠- الْعَارِفُونَ بِرَبِّهِمْ وَنَبِيِّهِمْ
وَمَرَاتِبِ الْأَعْمَالِ فِي الرُّجْحَانِ
- ٣٥٥١- صُوفِيَّةٌ سُنِّيَّةٌ نَبَوِيَّةٌ
لَيْسُوا أَوْلِيَ شَطْحٍ وَلَا هَدْيَانِ
- ٣٥٥٢- هَذَا كَلَامُهُمْ لَدَيْنَا حَاضِرٌ
مِنْ غَيْرِ مَا كَذِبٍ وَلَا كَيْتْمَانِ

- ٣٥٥٣- فَأَقْبَلْ حِوَالَةَ مَنْ أَحَالَ عَلَيْهِمْ
هُمُ أَمْلِيَاءُ وَصَاحِبُو إِمْكَانِ
- ٣٥٥٤- فَإِذَا بَعَثْنَا غَارَةً مِنْ أُخْرِيَا
بِ الْعَسْكَرِ الْمَنْضُورِ بِالْقُرْآنِ
- ٣٥٥٥- طَحَنَتْكُمْ طَحْنِ الرَّحَى لِلْحَبِّ حَتَّى
تَسِي صِرْتُهُمْ كَالْبُعْرِ فِي الْقِيَعَانِ
- ٣٥٥٦- أَنَّى يَقَاوِمُ ذِي الْعَسَاكِرِ طَمَطَمٌ
أَوْ تَنْكَلُوشَا أَوْ أُخُو الْيُونَانِ
- ٣٥٥٧- أَغْنِي أَرِسْطُوا عَابِدَ الْأَوْثَانِ أَوْ
ذَاكَ الْكُفُورُ مُعَلِّمُ الْأَلْحَانِ
- ٣٥٥٨- ذَاكَ الْمُعَلِّمُ أَوْلَا لِلْحَرْفِ وَالْثَمَّ
ثَانِي لِصَوْتِ بَشْتِ الْعِلْمَانِ
- ٣٥٥٩- هَذَا أَسَاسُ الْفِسْقِ وَالْحَرْفِ الَّذِي
وَضَعُوا أَسَاسَ الْكُفْرِ وَالْهَيْدِيَانِ
- ٣٥٦٠- أَوْ ذَلِكَ الْمَخْدُوعَ حَامِلُ رَايَةِ الْإِلَهِ
إِلْحَادِ ذَاكَ خَلِيفَةُ الشَّيْطَانِ
- ٣٥٦١- أَغْنِي ابْنَ سَيْنَا ذَلِكَ الْمَحْلُولَ مِنْ
أَذْيَانِ أَهْلِ الْأَرْضِ ذَا الْكُفْرَانِ
- ٣٥٦٢- وَكَذَا نَصِيرُ الشُّرْكَ فِي أَتْبَاعِهِ
أَعْدَاءُ رُسُلِ اللَّهِ وَالْإِيْمَانِ
- ٣٥٦٣- نَصِّرُوا الضَّلَالََةَ مِنْ سَفَاهَةِ رَأْيِهِمْ
وَعَزَّوْا جِيُوشَ الدِّينِ وَالْإِيْمَانِ

- ٣٥٦٤- فَجَرَى عَلَى الْإِسْلَامِ مِنْهُمْ مِخْنَةً
لَمْ تَجْرِ قَطُّ بِسَالِفِ الْأَزْمَانِ
- ٣٥٦٥- أَوْ جَعَدَ أَوْ جَهَّمَ وَأَتْبَاعَ لَهُ
هُمُ أُمَّةُ التَّعْطِيلِ وَالْبُهْتَانِ
- ٣٥٦٦- أَوْ حَفِضَ أَوْ بِشَّرَ أَوْ النَّظَامَ ذَا
كَ مُقَدَّمِ الْفَسَّاقِ وَالْمُجَّانِ
- ٣٥٦٧- وَالْجَعْفَرَانَ كَذَاكَ شَيْطَانًا وَيَذ
عَى الطَّاقَ لَا حِيَّتَ مِنْ شَيْطَانِ
- ٣٥٦٨- [وَكَذَلِكَ الشُّحَامُ وَالنَّجَارُ وَالـ
عَالَفُ أَهْلِ الْجَهْلِ بِالْقُرْآنِ
- ٣٥٦٩- وَاللَّهُ مَا فِي الْقَوْمِ شَخْصَ رَافِعَ
بِالْوَحْيِ رَأْسًا بَلْ بِرَأْيِ فُلَانِ]
- ٣٥٧٠- وَخِيَارُ عَسْكَرِكُمْ فَذَاكَ الْأَشْعَرِيُّ
الْقَزْمُ ذَاكَ مُقَدَّمُ الْفُزْسَانِ
- ٣٥٧١- لَكِنَّكُمْ وَاللَّهِ مَا أَنْتُمْ عَلَى
إِثْبَاتِهِ وَالْحَقُّ ذُو بُرْهَانِ
- ٣٥٧٢- هُوَ قَالَ إِنَّ اللَّهَ فَوْقَ الْعَرْشِ وَاسِدٌ
تَوَلَّى مَقَالَةَ كُلِّ ذِي بُهْتَانِ
- ٣٥٧٣- فِي كُتُبِهِ طُرًّا وَقَرَّرَ قَوْلَ ذِي الْـ
إِثْبَاتِ تَقْرِيرًا عَظِيمَ الشَّانِ
- ٣٥٧٤- لَكِنَّكُمْ أَكْفَرْتُمْهُ وَهُوَ فَإِنَّكُمْ
أَكْفَرْتُمْ مِنْ قَالَ ذَا، فَدَعَانِي

٣٥٧٥- مِنْ كَبْرِكُمْ فِي جَهْلِكُمْ ثُمَّ انظُرُوا

ثُمَّ اعْزُرُوا أَوْ كَفِّرُوا بَيَان

٣٥٧٦- [فَخِيَارُ عَشْرِكُمْ فَأَنْتُمْ مِنْهُمْ

بُرَاءٌ إِذْ قُرُبُوا مِنَ الْإِيمَانِ] (١)

٣٥٧٧- هَذِي الْعَسَاكِرُ قَدْ تَلَاقَتْ جَهْرَةً

وَدَنَا الْقِتَالُ وَصِيحَ بِالْأَقْرَانِ

٣٥٧٨- ضَفُّوا الْجِيُوشَ وَعَبَّئُوهَا وَابْرَزُوا

لِلْحَرْبِ وَاقْتَرَبُوا مِنَ الْفُرْسَانِ

٣٥٧٩- فَهُمْ إِلَى لُقْيَاكُمْ بِالشُّوقِ كَي

يُوفُوا بِنَذْرِهِمْ مِنَ الْقُرْبَانِ

(١) [٣٥٦٦:٣٥٧٦] قال العلامة محمد خليل هراس:

ثم ذكر من رءوس أهل الاعتزال الذين شايعوا الجهم في التعطيل، حفصاً، الفرد وبشر بن المعتمر وإبراهيم بن سيار الملقب بالنظام، ووصفه بأنه مقدم القوم في الفسق والمجون، ثم الجعفرين، أعني جعفر بن مبشر وجعفر بن حرب، وكانا على مذهب النظام، ثم شيطان الطاق، ثم أبا يعقوب الشحام صاحب أبي الهذيل، وكان يقول بقوله في الصفات وأنها عين الذات ثم أبا الهذيل العلاف الذي كان يقول بتناهي حركات أهل الجنة وأهل النار، ثم الحسين النجار من متأخري المعتزلة وكان مذهبه يميل إلى الاعتدال.

فهؤلاء جميعاً ليس فيهم من يقف عند حدود الوحي المنزل أو يلتزم الأخذ بالنصوص الصريحة بل يتدعون بأهوائهم ما لا أصل له في كتاب ولا سنة كما هو معروف من مذاهبهم التي نقلها عنهم من ألف في الفرق والمقاتلات، وخير هؤلاء هو أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري إمام الطائفة الأشعرية، فإنه أقربهم إلى الكتاب والسنة وإن كان خالف مذهب السلف في أشياء، كالقول بالكلام النفسي ونفي الحرف والصوت، ونفي الحكمة على أفعاله تعالى، ونفي قيام الأفعال الاختيارية بذاته، ولكنه رغم ذلك يثبت الصفات الخيرية من الاستواء والوجه واليدنين والعينين ونحوها، وقد صرح في جميع كتبه بأن الله مستور على عرشه بمعنى العلو والوقية، وأنكر تأويل الاستواء بالاستيلاء. ومن العجيب أن المتأخرين من أتباعه يكفرون من قال أن الله فوق عرشه بذاته لأنه يثبت الجهة والحيز، وهو عندهم تجسيم فيلزمهم على ذلك تكفير إمامهم لأنه ممن يثبت الجهة، وهكذا يتبرأ أهل التعطيل من خيار عسكرهم إذا قالوا قولاً يوافقون فيه أهل الحق ويقربون به من الإيمان.

٣٥٨٠- وَلَهُمْ إِلَيْكُمْ شَوْقٌ ذِي قَرَمٍ فَمَا

يُشْفِيهِ غَيْرُ مَوَائِدِ اللَّحْمَانِ

٣٥٨١- تَبَّالِكُمْ لَوْ تَعْقِلُونَ لَكُنْتُمْ

خَلْفَ الْخُدُورِ كَأَضْعَفِ النِّسْوَانِ

٣٥٨٢- مِنْ أَيْنَ أَنْتُمْ وَالْحَدِيثُ وَأَهْلُهُ

وَالْوَحْيُ وَالْمَعْقُولُ بِالْبُرْهَانِ

٣٥٨٣- مَا عِنْدَكُمْ إِلَّا الدَّعَاوَى وَالشُّكَا

وَى أَوْ شَهَادَاتٍ عَلَى الْبُهْتَانِ

٣٥٨٤- هَذَا الَّذِي وَاللَّهِ نَلْنَا مِنْكُمْ

فِي الْحَرْبِ إِذْ يَتَقَابَلُ الصَّفَانِ

٣٥٨٥- وَاللَّهِ مَا جِئْتُمْ بِقَالَ اللَّهُ أَوْ

قَالَ الرَّسُولُ وَنَحْنُ فِي الْمِيدَانِ

٣٥٨٦- إِلَّا بِجَجَجَعَةٍ وَفَرْقَعَةٍ وَعَعْمِ

غَمَةٍ وَقَفَقَعَةٍ بِكُلِّ سِنَانِ

٣٥٨٧- وَيَحِقُّ ذَاكَ لَكُمْ وَأَنْتُمْ أَهْلُهُ

أَنْتُمْ بِحَاصِلِكُمْ أَوْلُو عِزْفَانِ

٣٥٨٨- وَبِحَقِّكُمْ تَحْمُوا مَنَاصِبَكُمْ وَأَنْ

تَحْمُوا مَا آجَلِكُمْ بِكُلِّ سِنَانِ

٣٥٨٩- وَبِحَقِّنَا نَحْمِي الْهُدَى وَنَذُبُ عَنْ

سُنَنِ الرَّسُولِ وَمُقْتَضَى الْقُرْآنِ

٣٥٩٠- فَبِحَ الْإِلَهِ مَنَاصِبًا وَمَا كِلَا

قَامَتْ عَلَى الْبُهْتَانِ وَالْعُدْوَانِ

٣٥٩١- وَاللَّهِ لَوْ جِئْتُمْ بِقَالَ اللَّهُ أَوْ

قَالَ الرَّسُولُ كَفَعَلِ ذِي الْإِيمَانِ

٣٥٩٢- كُنَّا لَكُمْ شَاوِيشَ تَعْظِيمٍ وَإِجْ-

لَالٍ كَشَاوِيشَ لِذِي سُلْطَانِ

٣٥٩٣- لَكِنْ هَجَزْتُمْ ذَا وَجِئْتُمْ بِدَعَاةٍ

وَأَرَدْتُمْ التَّعْظِيمَ بِالْبُهْتَانِ^(١)

الشرح

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

إذا رأينا الطائفتين: طائفة القرآن والسنة ناصرهم الله عز وجل والملائكة والأنبياء والذين ضدهم من ناصرهم الشيطان وأهل البدع والخرافات، وما أشبه ذلك، علمنا علم اليقين أنه لا يمكن أن يتقابل الصفان إلا وهزم الصف الثاني.

قوله: «فصل في وصف العسكريين وتقابل الصفيين واستدارة رحى الحرب العوان وتداول الأقران»

عناوين المؤلف رَحِمَهُ اللهُ كلها عناوين شجاعة وتحمس، فالعنوان يجعلك وكأنك بين الصفيين إذا سمعت هذه العناوين.

قوله رَحِمَهُ اللهُ:

يَا مَنْ يَشُبُّ الْحَرْبَ جَهْلًا مَا لَكُمْ بِقَتَالِ حِزْبِ اللَّهِ قَطُّ يَدَانِ

(١) [٣٥٨٧: ٣٥٩٣] قال العلامة محمد خليل هراس:

ومقصودكم من كل هذا أن تحموا مناصبكم التي أسندت إليكم في التدريس والقضاء والفتيا بهذه البضاعة الكاسدة التي راجت عند الجهلة من الأمراء والحكام، وأن تحموا كذلك ما يجري عليكم من رواتب وجرايات، وأما نحن فأحقاء بحماية الهدى من عبث الضلال والدفاع عن السنة المطهرة ممن يتنقصها أو يتهجم عليها، والذب عما تقتضيه آيات الكتاب العزيز من معانٍ تُريدون الإلحاد فيها والزيف عنها، فلا بارك الله لكم في مناصب ومآكل لم تقم على عدل وحق وإنصاف، ولكنها قامت على ظلم وعدوان وإجحاف، ووالله لو التزمت النصفة ووقفتم عند نصوص الكتاب والسنة كما هو شأن أهل العلم والإيمان لوجدتمونا لكم نعم الجند والأعوان ولفعلنا بكم من التوقير والإجلال ما يفعله الشاويش عند السلطان، لكنكم هجرتم الوحيين من السنة والقرآن، وأتيتم ببدع ومفتريات ما أنزل الله بها من سلطان ومع ذلك تريدون من الناس أن يُعظموكم بالزور والبُهتان.

ويعني بذلك: أهل البدع، والضلال، والإشراك ليس لهم بقتال حزب الله وهم أهل السنة والجماعة أهل التوحيد «قط» أي: قوة.

أَنْى يَقَاوْمُ جُنُودَكُمْ لِيَجُودَهُمْ وَهُمْ الْهُدَاةُ وَنَاصِرُو الرِّحْمَنِ

هذا الاستفهام للإنكار يعني: لا يمكن أن تقوم جنودكم لجنودهم في هذه الحال لأنهم هداة وعسكر للقرآن الكريم وناصرو الرحمن.

وَجُنُودُكُمْ مَا بَيْنَ كَذَابٍ وَدَجٍّ جَالٍ وَمُخْتَالٍ وَذِي بُهْتَانٍ

هذه صفات اتصف بها فهو إلى الخذلان أقرب منه إلى النصر.

قوله: (كذاب) صيغة مبالغة من الكذب وهو الإخبار بخلاف الواقع و(دجال) صيغة مبالغة من الدجل وهو من التمويه والخداع و(مختال) أي: صاحب حيلة يمتال ليصطاد الناس بحيلته بعد أن يمؤه عليهم و(ذي بهتان) أي ذي كذب، والظاهر أن هذا من باب عطف المترادفين كقول الشاعر:

فَأَلْفَى قَوْلَهَا كَذِبًا وَمِينًا

والمين هو الكذب.

مِنْ كُلِّ أَرْعَنٍ يَدَّعِي الْمَعْقُولَ وَهُوَ مُوجَانِبٌ لِلْعَقْلِ وَالْإِيمَانِ

الأرعن: هو الجبان الشديد الجبن.

قوله: (يدعي المعقول): أي: يدعي أنه صاحب العقل، ولنضرب لهذا مثلًا بأهل التعطيل فأهل التعطيل يدعون أنهم هم أصحاب العقول وأن العقل دل على أن الله ليس متصفًا بهذه الصفات.

أَوْ كُلِّ مُبْتَدِعٍ وَجَهْمِي غَدَا فِي قَلْبِهِ حَرْجٌ مِنَ الْقُرْآنِ

قوله: (مبتدع): هذا عام أمّا (جهمي) من باب عطف الخاص على العام؛ لأن الجهمي لا شك مبتدع؛ والجهمي مر علينا كثيرًا وأنه المنتسب إلى جهم بن صفوان.

أَوْ كُلِّ مَنْ قَدْ دَانَ دِينَ شَيْوْخِ أَهْلِ الْإِعْتِرَالِ الْبَيْنِ الْبَطْلَانِ

قوله: (دان دين شيوخ الاعتزال): المعتزلة هم أصحاب عمرو بن عبيد، وواصل بن عطاء، وهم يشابهون الجهمية في بعض الأشياء ويخالفونهم في بعض الأشياء ففي الصفات: أقوالهم متقاربة فكلهم بنوا مذهبهم على التعطيل، لكن في باب القدر: المعتزلة ينكرون أن يكون لتقدير الله علاقة في فعل الإنسان، والجهمية بالعكس يرون أن العبد مجبر وأنه يصير جبرًا ليس له إرادة أمّا في باب أسماء الإيوان والدين: فالجهمية يقولون: إن فاعل الكبيرة مؤمن كامل الإيوان،

والمعتزلة يقولون: ليس بؤمن وليس بكافر فأتوا بقسم ثالث ما أنزل الله به من سلطان قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَنُكِّرَكُمْ كَافِرًا وَمُنَكِّرًا مُؤْمِنًا﴾ [التغابن: ٢] ولا يوجد قسم ثالث، وهم يقولون بأن هناك قسم ثالث وهو ليس بمؤمن ولا كافر أمّا في باب الأحكام تقول الجهمية: إن فاعل الكبيرة لا يدخل النار؛ لأنه لم يفعل ما يستحق به دخول النار، والمعتزلة يقولون: إن فاعل الكبيرة مخلد في النار فافترقوا في ثلاثة أبواب، واتفقوا في باب الصفات فليس بينهم خلاف إلا يسير.

أَوْ قَائِلٍ بِالِاتِّحَادِ وَإِنَّهُ عَيْنُ الْإِلَهِ وَمَا هُنَا شَيْئَانِ

نعوذ بالله أهل الاتحاد قد سبق أنهم يقولون إن الكون والمكون شيء واحد فالرب هو العبد والعبد هو الرب وليس هناك شيان أي: أنه عين الإله.

أَوْ مَنْ عَدَا فِي دِينِهِ مُتَّخِيْرًا أَتْبَاعَ كُلِّ مُلْدِدٍ حَيْرَانِ

قوله: (أتباع كل ملدد حيران) يقصد بهم: أصحاب الشك المتحيرين الذين لا يدرون أنهم على حق أم على ضلال - والعياذ بالله - ويرفضون أن يدينون بأي دين؛ لأنهم ليس عندهم عقيدة، وهذا ربما يرد على قلب المؤمن الخالص من الشيطان الرجيم ليجعله في شك وحيرة ولكن دواء ذلك أن تستعيد بالله من الشيطان الرجيم وأن تنتهي عن هذه التقديرات كما أرشد إلى هذا النبي صلى الله عليه وسلم حين شكوا إليه الصحابة ما يجدون في نفوسهم من هذه الأنواع من الوسواس فأمرهم بالانتهاة والاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم.

وَجُنُودُهُمْ جَبْرِيلُ مَعَ مِيكَالَ مَعَ بَاقِي الْمَلَائِكَةِ نَاصِرِي الْقُرْآنِ

لكن هل يمكن أن تقوم جنود الشياطين لجنود الله عز وجل وملائكته؟ أبدًا لأن من معه الملائكة أقوى ممن معه الشياطين لا شك في هذا وهاك مثالاً واقعاً لما قال سليمان ﴿أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بَعْرِيهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ [النمل: ٣٨] أي: يأتي بعرض الملكة بلقيس من اليمن إلى سيدنا سليمان في الشام ﴿قَالَ عِفْرِيْتُ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ﴾ [النمل: ٣٩] هذا جن يريد أن يأتي بالعرش من اليمن إلى الشام قبل أن يقوم سليمان من مقامه وكان سليمان له عادة يقوم من مقامه في وقت معين معروف ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ [النمل: ٤٠] ولهذا قال ﴿فَلَمَّا رَأَاهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي﴾ [النمل: ٤٠] مستقراً عنده، والنحويون قالوا: كيف يقول مستقراً والعادة أو القاعدة تقول: «إن متعلق الجار والمجرور لا يذكر» أليس يقول كائن أو استقر لا يكون كائناً ولا استقر ولا مستقراً فهذا قال ﴿فَلَمَّا رَأَاهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ﴾ أجابوا عن هذا بأن هذا الاستقرار ليس الاستقرار المطلق، وأن المراد به استقرار

خاص. فإذا قلت زيد في البيت فهو مستقر في البيت. لكن ربما يكون في قلق ويصح أن يقول زيد في البيت لكن لو قلت زيد مستقر في البيت هذا معنى جديد خاص لهذا قال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَاهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ﴾ لأنه لو قال: فلما رآه عنده لربما يكون عنده ولكن ليس مستقرًا، لكنه جاء به ووضعه كأنه وضعه قبل عشرين يومًا مستقرًا يعني: منضبط تمامًا فأنت الآن لو أتيت بكرسي ووضعتة ربما يحتاج إلى تعديل تكون بعض الرجلين أكبر من الأخرى فتحتاج إلى تعديل فتعدله لكن يستقر لكني وجده مستقرًا فهذا الاستقرار ذكر لأنه استقرار خاص ليس الاستقرار العام على كل حال.

تبين الآن أن الملائكة أقوى من الجن لأن الجن وعد أن يأتي به قبل أن يقوم من مقامه لكن هذا قبل أن يرتد إليه طرفه وفعلاً حصل فهؤلاء الذين جنودهم جبريل وميكائيل وباقي الملائكة هل يمكن أن يقاومهم عساكر الشياطين أبدًا لكن إنما يُجذَل أهل الحق لتقصيرهم؟ إن في التوكل والاعتماد على الله وإن تخلف في بعض الأسباب فلهذا قد يغلبون ثم قال:

وَجَمِيعُ رُسُلِ اللَّهِ مِنْ نُوحٍ إِلَى خَيْرِ الْوَرَى الْمُبْعُوثِ مِنْ عَدْنَانَ

قوله: (من نوح إلى خير الورى) أي: من رسل الله من نوح إلى محمد عليه الصلاة والسلام إلا أن آدم ليس برسول وأن ما يذكر من أن إدريس جد نوح كذب فإدريس ليس قبله بل بعده والظاهر والله أعلم أنه من بني إسرائيل فمن زعم أن إدريس جد لنوح فقد كذب وخالف القرآن والسنة لأن الله تعالى قال: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ [النساء: ١٦٣] ومع ذلك لشجرة الأنبياء مكتوبة فيها إدريس قبل نوح وهذا كذب ويجب على من شاهدها أن يمزقها لأنه سيحول عقيدة المسلمين إلى خطأ بأن نعتقد أن نوحًا مسبق برسول وهذا كذب ففي القرآن ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ [النساء: ١٦٣] وفي القرآن أيضًا ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النَّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾ [الحديد: ٢٦] قوله تعالى: ﴿ذُرِّيَّتَهُمَا﴾ أي: لا يوجد نبوة أو كتاب قبل نوح وفي السنة الصحيحة^(١) أن الناس يأتون يوم القيامة إلى نوح عليه السلام ويقولون له أنت أول رسول أرسله الله إلى أهل الأرض وهذا صريح فحيثما نقول إنما نشر هذه الشجرة باطل.

فَالْقَلْبُ خَمْسَتُهُمْ أَوْلُو الْعَزْمِ الْأُولَى فِي سُورَةِ الشُّورَى أَتَوْا بَيَانَ

فِي أَوَّلِ الْأَحْزَابِ أَيْضًا ذَكَرَهُمْ هُمْ خَيْرُ خَلْقِ اللَّهِ مِنْ إِنْسَانٍ
 قوله: (فالقلب خستهم أولو العزم) يعني: أولي العزم من الرسل وهم خمسة على الترتيب
 بالأفضيلة محمد عليه الصلاة والسلام، ثم إبراهيم، ثم موسى ثم عيسى ونوح في مرتبة واحدة
 ومن الناس من فضل نوحًا ومنهم من فضل عيسى والأولى التوقف إنما الثلاثة الأولون محمد
 وإبراهيم وموسى هذه رتبته قال:

وَلَوْ أَوْعَاهُمْ يَبِيدُ الرَّسُولِ مُحَمَّدٌ وَالْكَلُّ تَحْتَ لِبَؤَاءِ ذِي الْفِرْقَانِ
 يعني محمدًا صلى الله عليه وسلم، وجميع أصحاب الرسول عصابة الإسلام أهل العلم
 والإسلام.

وَالثَّابِعُونَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ عَلَى طَبَقَاتِهِمْ فِي سَائِرِ الْأَزْمَانِ
 أَهْلُ الْحَدِيثِ جَمِيعُهُمْ وَأَيْمَةُ أَلْفَتْوَى وَأَهْلُ حَقَائِقِ الْعِرْفَانِ
 الْعَارِفُونَ بِرَبِّهِمْ وَنَبِيِّهِمْ وَمَرَاتِبِ الْأَعْمَالِ فِي الرَّجْحَانِ
 كل هؤلاء جنود هل يقابلون جنود هؤلاء الكفرة أو المبتدعة وهل تقاومهم تلك الجنود؟ لا
 بطبيعة الحال فهم الأقوياء بعون الرحمن.

صُوفِيَّةٌ سُؤْيِيَّةٌ نَبَوِيَّةٌ لَيْسُوا أَوْلِيَ شَطْحٍ وَلَا هَذْيَانِ
 قوله: (سنية): لتمسكهم بها.

وقوله: (صوفية): لزهدهم في الدنيا
 وقوله: (نبوية): لأن طريقتهم طريقة النبي ﷺ وليست كصوفية ذي الشطح والهديان؛ لأن
 الصوفية المبتدعة عندهم من الشطح والهديان الكثير ولذلك فهؤلاء بعيدون من السنة.

هَذَا كَلَامُهُمْ لَدَيْنَا حَاضِرٌ مِنْ غَيْرِ مَا كَذِبٍ وَلَا كَيْتْمَانٍ
 هُمْ أَمْلِيَاءُ وَصَاحِبُوا إِمْكَانٍ فَاقْبَلْ جِوَالَةَ مَنْ أَحَالَ عَلَيْهِمْ
 وقد قال النبي عليه الصلاة والسلام: «من أحيل بدينه على ملي فليتبع».

فَإِذَا بَعَثْنَا غَارَةً مِنْ أُخْرِيَا تِ الْعُسْكَرِ الْمُنْصُورِ بِالْقُرْآنِ
 طَحْنَتْكُمْ طَحْنُ الرَّحَى لِلْحَبِّ حَتَّى تَى صِرْتُمْ كَأَبْغَرٍ فِي الْقُبَيْعَانِ
 يعني: إذا بعث العسكر المنصور بالقرآن غارة من أخريات القوم على هؤلاء المبتدعة

والملحدين وما أشبههم - يقول المؤلف رَحِمَهُ اللهُ - «تطحنكم طحن الرحي للحب»، ومعروف ما تصنع الرحي في الحب حتى صرتم كالبعر في القيعان والبعر في القيعان يتفتت ما يقابل ما يفرقه.

أَتَى يَقَاوِمُ ذِي الْعَسَاكِرِ طَمَطَمٌ
أَوْ تَنَكَّلَوْشَا أَوْ أَحْوِ الْيُونَانَ
أَغْنِي أَرِشَطُوا عَابِدَ الْأَوْثَانِ أَوْ
ذَاكَ الْمَعْلَمِ أَوْ لَا لِلْحَرْفِ وَالْث -

يعني: أن أرسطو معلم الحرف، والثاني معلم الصوت التلحين.

هَذَا أَسَاسُ الْفِسْقِ وَالْحَرْفُ الَّذِي
وَضَعُوا أَسَاسَ الْكُفْرِ وَالْهَذْيَانَ
أَوْ ذَلِكَ الْمَخْدُوعَ حَامِلَ رَايَةِ آلِ
إِلْحَادِ ذَلِكَ خَلِيفَةَ الشَّيْطَانِ
أَغْنِي ابْنَ سَيْنَا ذَلِكَ الْمَحْلُولَ مِنْ
أَذْيَانِ أَهْلِ الْأَرْضِ ذَا الْكُفْرَانَ

وهذا صريح بأن ابن سينا عند ابن القيم أنه كافر.

وَكَذَا نَصِيرِ الشُّرْكَ فِي أَتْبَاعِهِ
أَعْدَاءِ رُسُلِ اللَّهِ وَالْإِيمَانَ

وهو نصير الطوسي ومرت علينا هذه الأسماء قبل.

نَصَرُوا الضَّلَالََةَ مِنْ سَفَاهَةِ رَأْيِهِمْ
وَعَزَّوْا جُيُوشَ الدِّينِ وَالْإِيمَانَ

وفي نسخة والقرآن.

فَجَرَى عَلَى الْإِسْلَامِ مِنْهُمْ مِحْنَةٌ
لَمْ تَجْرِ قَطُّ بِسَالِفِ الْأَزْمَانِ

وفي نسخة أعظم محنة وعندي منهم محنة أحسن؛ لأن قوله (لم تجر قط) تدل على أنها أعظم محنة.

أَوْ جَعَدُوا أَوْ جَهَّمُوا وَأَتْبَاعَ لَهُ
هُمُ أُمَّةُ التَّعْطِيلِ وَالْبُهْتَانِ

الجواب أن هؤلاء كلهم لا يقاومون جنود الرحمن .

أَوْ حَفْضُ أَوْ بِشْرٌ أَوْ التَّنْظَامُ ذَا
كَ مُقَدِّمُ الْفُسَّاقِ وَالْمُجَّانِ

وَالْجَعْفَرَانَ كَذَاكَ شَيْطَانٌ وَيَدُ
عَى الطَّاقِ لَا حِيَّتَ مِنْ شَيْطَانِ

قال أحد العلماء: «الجعفران» هما جعفر بن مبشر وجعفر بن حرب، و«حفص» هو حفص

الفرد الذي كان يناظر الشافعي وهو من تلاميذ حسين النجار - معتزلي - و«بشر» هو ابن غياث

المريسي و«النظام»: هو إبراهيم بن سيار النظام و«الشیطان الطاد» هو أبو جعفر محمد بن علي بن

النعمان الكوفي المعتزلي الشيعي الصيرفي المعروف بشيطان الطاد من أجل أنه كان صيرفيًا فاختلف

هو وصيرني في نقد درهم فغلبه فقال متبجحًا: أنا شيطان الطاد فغلب عليه هذا الاسم والرافضة تنتحله وتسميه ميمون الطاد وله قضية مع أبي حنيفة وله شعر جيد قال بشار بن برد شيطان الطاد أشعر مني ومذهبه أن الإمامة لم تنزل إلى موسى بن جعفر الصادق فلما مات موسى قطع الإمامة ووافق هشام بن الحكم في قوله: إن الله سبحانه وتعالى يعلم الأشياء قبل وقوعها ولا يعلم أنها ستقع. وزعم أن الله تعالى على صورة الإنسان مستدلًا بقوله عليه الصلاة والسلام: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَةِ الرَّحْمَنِ»^(١) وله كتب عديدة منها كتاب (افعل لما فعلت) وكتاب (افعل لا تفعل) وعنده أن كبار الفرق أربعة القدرية والخوارج والعامية والشيعة، فالناجي في الآخرة من الفرق الشيعة ومن رأيه ورع الإنسان الإمساك عن الكلام في الله تعالى بقوله: وأنت يا ربي المنتهى. أي: إذا بلغ الكلام من الله فأمسكوا، قال النظريان إذا أمسكنا عن القول في الله والتفكير فيه وقيل له ويحك أما تستحي أما اتقيت الله أن تقول في كتاب الإمامة إن الله لم يقل قط في القرآن ﴿ثَاقِبٌ أَنتَ إِذْ هُمَا فِي الْفَكَارِ﴾ [التوبة: ٤٠] فضحك طويلًا، وكانت وفاته في حدود الثمانين ومائة ومن شعره:

وإذ أنت أبغض البغيض فأجمل
صديقك أو تعدو عدوك فاعقل

ولا تكن في أخا في الله مفرط
فإنك لا تدري إلى متى أنت مبغض

هذه حكمة جيدة.

يقول الناظم رَحِمَهُ اللهُ:

عَلَّافُ أَهْلِ الْجَهْلِ بِالْقُرْآنِ
بِالْوَحْيِ رَأْسًا بَلْ بِرَأْيِ فُلَانٍ
الْقَزْمُ ذَاكَ مَقْدَمُ الْفُرْسَانِ
إِبْتَاتِهِ وَالْحَقُّ ذُو بُرْهَانِ

وَكَذَلِكَ الشَّحَامُ وَالتَّجَارُ وَالـ
وَاللَّهِ مَا فِي الْقَوْمِ شَخْصٌ رَافِعٌ
وَخِيَارُ عَسْكَرِكُمْ فَذَلِكَ الْأَشْعَرِيُّ
لِكَيْتُكُمْ وَاللَّهِ مَا أَنْتُمْ عَلَى

كل هذه الأسماء لشيوخ المعتزلة؛ أمّا الأشعري رَحِمَهُ اللهُ كان في أول مرة معتزلي ومضى على ذلك أربعون سنة وهو معتزلي ثم من الله عليه بالهداية فرجع عن مذهب المعتزلة ثم تبين له بعد هذا أن الحق في مذهب السلف وتبع الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ.

قال:

هُوَ قَالَ إِنَّ اللَّهَ فَوْقَ الْعَرْشِ وَاشْ — تَوَلَّى مَقَالََةَ كُلِّ ذِي بُهْتَانٍ

قوله: (الله فوق العرش): في تفسيره لقوله تعالى ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥] وأما استولى فيقول الأشعري إنها مقالة كل ذي بهتان.

فِي كُتُبِهِ طَرًّا وَقَرَّرَ قَوْلَ ذِي الْ — إِبْتِاتٍ تَقْرِيرًا عَظِيمَ الشَّانِ

لِكُنْتَكُمْ أَكْفَرْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ — أَكْفَرْتُمْ مَنْ قَالَ ذَا، فَدَعَانِي

يعني: الأشاعرة مذهبا ينكرون ما ينسب لأبي الحسن الأشعري من كتاب (الإبانة) و(مقالات الإسلاميين)، وما أشبه ذلك ويقولون هذه منسوبة إليه وهي ليست بصحيحة لأنها تخالف ما كانوا عليهم والسبب أنهم أخذوا بمذهبه الوسط الذي بين الاعتزال وبين مذهب السلف لذلك أخذوه وقرروه وبقوا عليه.

قال:

فَخِيَارُ عَسَاكِرِكُمْ فَأَنْتُمْ مِنْهُمْ — بُرَاءٌ إِذْ قَرُبُوا مِنَ الْإِيمَانِ

يعني أن: المعتزلة بهم بعض الأئمة قد قربوا من الحق ولكن مع ذلك لا يقبلون فيذكرون أقوالا مع أنها مهجورة.

هَذِي الْعَسَاكِرُ قَدْ تَلَاقَتْ جَهْرَةً — وَدَنَا الْقِتَالُ وَصِيحَ بِالْأَقْرَانِ

صَفُّوا الْجِيُوشَ وَعَبَّئُوهَا وَابْرَزُوا — لِلْحَرْبِ وَاقْتَرَبُوا مِنَ الْفُرْسَانِ

يعني يصور المسألة كأنها حصلت الملاقاة.

قوله: (ودنا القتال وصيح بالأقران) والأقران هم الذين يتكافئون بالشجاعة والإقدام.

صَفُّوا الْجِيُوشَ وَعَبَّئُوهَا وَابْرَزُوا — لِلْحَرْبِ وَاقْتَرَبُوا مِنَ الْفُرْسَانِ

فَهُمْ إِلَى لُفْيَاكُمْ بِالشُّوقِ كَي — يَوْفُوا بِنَذْرِهِمْ مِنَ الْفُرْسَانِ

وصف المؤلف رَحِمَهُ اللهُ جنود الرحمن بأنهم مشتاقون إلى لقاء جنود الشيطان من أجل أن يتقربوا الله إلى بقتلهم.

وَلَهُمْ إِلَيْكُمْ شَوْقٌ ذِي قَرَمٍ فَمَا — يَشْفِيهِ غَيْرُ مَوَائِدِ اللَّحْمَانِ

«القرم» يقال قرمت نفسي بأكل لحم أو لكذا وكذا يعني: اشتاقت بشدة.

تَبَا لَكُمْ لَوْ تَعْقَلُونَ لَكُنْتُمْ خَلْفَ الْخُدُورِ كَأَضْعَفِ النِّسْوَانِ

يعني: لو تعقلون ما أنتم عليه وأنه لا يمكن أن تقاوموا كنتم خلف الخدور كأضعف النسوان. قوله: (لكنتم خلف الخدور) مثل النساء بل مثل أضعف النساء.

مِنْ أَيْنَ أَنْتُمْ وَالْحَدِيثُ وَأَهْلُهُ وَالْوَحْيُ وَالْمَعْقُولُ بِالْبُرْهَانِ

يعني: أنتم لستم بشيء مع أهل الحديث وأهل الوحي وأهل المعقول بالبرهان.

مَا عِنْدَكُمْ إِلَّا الدَّعَاوَى وَالشُّكَا وَى أَوْ شَهَادَاتٍ عَلَى الْبُهْتَانِ

هَذَا الَّذِي وَاللَّهِ نَلْنَا مِنْكُمْ فِي الْحَرْبِ إِذْ يَتَقَابَلُ الصَّفَانِ

يعني: أن الدعاوي والشكاوي والشهادات بالكذب لا تحقق حقاً ولا تبطل باطلاً لكن هذا ديدنهم يرفعون الأمر إلى السلطان، ويكذبون على أهل السنة حتى إن السلاطين تجس أهل السنة وتضربهم كما هو معروف كما صنعوا مع الإمام أحمد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وابن القيم وغيرهم وبشيخ الإسلام أيضاً وغيره

قال:

وَاللَّهِ مَا جِئْتُمْ بِقَالَ اللَّهِ أَوْ قَالَ الرَّسُولِ وَنَحْنُ فِي الْمِيدَانِ

يعني: أنك إذا قرأت كتبهم وقلبت صفحاتها العديدة لا تجد فيها قال الله ولا قال رسول الله.

إِلَّا بِجَعَجَعَةٍ وَفَرْقَعَةٍ وَعَمَمٍ عَمَّةٍ وَقَعَقَعَةٍ بِكُلِّ لِسَانٍ

كل هذه معناها لا تعني شيئاً فكل هذه الصيحات لا تفيد الجعجعة والفرقعة مثل التصفيق والغمغمة لا تفيد.

وقوله: (وقعقة بكل شنان) الشنان جمع: شنة والمعنى أنهم يقعقون بالشنان البالية التي لا

تنفع.

وَيَحِقُّ ذَاكَ لَكُمْ وَأَنْتُمْ أَهْلُهُ أَنْتُمْ بِحَاصِلِكُمْ أَوْلُو عِرْفَانٍ

وقوله: (ويحق ذلك لكم) يعني الجعجعة والقعقعة والغمغمة والفرقعة وأنتم أهل له، وقوله: (أنتم بحاصلكم أولوا عرفان) يعني: أنتم بحسب ما تعتقدون وتظنون أنكم أصحاب عرفان ومع ذلك ليس معكم إلا الجعجعة.

وَبِحَقِّكُمْ تَحُمُّوا مَنَاصِبَكُمْ وَأَنْ تَحُمُّوا مَا كَلِمَتُكُمْ بِكُلِّ سِنَانٍ

قوله: (تحموا مناصبكم) هذا الذي يدافعون عنه أي عن هذه الأمور: المناصب والمآكل، يعني:

أنهم لا يريدون إلا أن يكون عند ذوي السلطان وأصحاب الجاه والمآكل أما أهل السنة والجماعة فيقولون **كَلِمَاتِهِ**:

وَبِحَقِّقَاتِنَا نَحْمِي الْهُدَى وَنَذُبُ عَنْ سُنَنِ الرَّسُولِ وَمُقْتَضَى الْقُرْآنِ

وفرق بين هذا وهذا، فرق بين من يصول ويجول من أجل القرآن ونصرة الحق، ومن يصول ويجول من أجل المنصب والأكل.

قَبِحَ الْإِلَهَ مَنَاصِبًا وَمَآكِلًا قَامَتْ عَلَى الْعُدْوَانِ وَالطُّغْيَانِ

وَاللَّهُ لَوُجِّئْتُمْ بِقَالَ اللَّهُ أَوْ قَالَ الرَّسُولُ كَفَعَلِ ذِي الْإِيمَانِ

كُنَّا لَكُمْ شَاوِيشَ تَعْظِيمٍ وَاجْرَ لَلَّالِ كَشَاوِيشَ لِذِي سُلْطَانِ

قوله: (كنا لكم) أي: الرجال والأتباع يعني: لو أنكم قلتم قال الله وقال الرسول لكنا نحن أتباعًا لكم وجنودًا لكم.

لَكِنْ هَجَرْتُمْ ذَا وَجِّئْتُمْ بِدَعَاةٍ وَأَرَذْتُمْ التَّعْظِيمَ بِالْبُهْتَانِ

هجرتم ذا يعني: قال الله وقال الرسول وأتيتم ببدعة وأردتم التعظيم بأن يعظمكم الناس بالبهتان والكذب إذا كانت هذه حال هؤلاء وتلك حال أولئك فمن المعلوم أنه لا يمكن بهؤلاء المبتدعة والملحدون وجنود الشياطين أن يقاوموا أهل السنة وأهل الحق بأي حال من الأحوال . نسأل الله أن يجعلنا وإياكم منهم.





فصل

- ٣٥٩٤- الْعِلْمُ قَالَ اللهُ قَالَ رَسُولُهُ
قَالَ الصَّحَابَةُ هُمْ أَوْلُو الْعِرْفَانِ
- ٣٥٩٥- مَا الْعِلْمُ نَضْبُكَ لِلْخِلَافِ سَفَاهَةٌ
بَيْنَ الرَّسُولِ وَيَيْنَ رَأْيِ فُلَانٍ
- ٣٥٩٦- كَلًّا وَلَا جَحْدَ الصِّفَاتِ لِرَبِّنَا
فِي قَالِبِ التَّنْزِيهِ وَالشُّبْحَانِ
- ٣٥٩٧- كَلًّا وَلَا تَفِي الْعُلُوِّ لِفَاطِرِ الْ-
أَكْوَانِ فَوْقَ جَمِيعِ ذِي الْأَكْوَانِ
- ٣٥٩٨- كَلًّا وَلَا عَزَلَ التُّصُوصِ وَأَنْهَا
لَيْسَتْ تَفِيدُ حَقَائِقَ الْإِيمَانِ
- ٣٥٩٩- إِذْ لَا تَفِيدُكُمْ يَقِينًا وَلَا
عِلْمًا فَقَدْ عَزَلَتْ عَنِ الْإِقْيَانِ
- ٣٦٠٠- وَالْعِلْمُ عِنْدَكُمْ يَنَالُ بَعْضُهَا
بِزِبَالَةِ الْأَفْكَارِ وَالْأَذْهَانِ
- ٣٦٠١- سَمَّيْتُمُوهُ قَوَاطِعًا عَقْلِيَّةً
وَهِيَ الظُّوَاهِرُ حَامِلَاتُ مَعَانِ
- ٣٦٠٢- كَلًّا وَلَا إِخْصَاءَ آرَاءِ الرَّجَا
لِ وَضَبْطَهَا بِالْحَضْرِ وَالْحُسْبَانِ

٣٦٠٣- كَلًّا وَلَا التَّأْوِيلَ وَالتَّبْدِيلَ وَالتَّ-

تَخْرِيفَ لِلْوَحْيِينَ بِالْبُهْتَانِ

٣٦٠٤- كَلًّا وَلَا الإِشْكَالَ وَالتَّشْكِكَ وَال-

وَقْفَ الَّذِي مَا فِيهِ مِنْ عِرْفَانِ

٣٦٠٥- هَذِي عُلُومُكُمْ الَّتِي مِنْ أَجْلِهَا

عَادَيْتُمُونَا يَا أَوْلِيَا الْعِرْفَانِ

الشَّحْ

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

الْعِلْمُ قَالَ اللهُ قَالَ رَسُولُهُ قَالَ الصَّحَابَةُ هُمْ أَوْلُو الْعِرْفَانِ

هذا العلم النافع الشرعي وتدور على هذه الأمور الثلاثة:

(قول الله عز وجل): وهو ما جاء في كتابه، والثاني: (قول النبي ﷺ): وهو ما صح عنه من سنته، والثالث: (قول الصحابة): أي إجماع الصحابة هذه الثلاثة أدلة المسلمين: كلام الله، وكلام رسوله وكلام الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أَعْنَى الإِجْمَاعِ أما إذا جاء عن الواحد منهم فقد اختلف العلماء في حجتيه فقال أكثر أهل العلم إنه ليس حجة، وقال آخرون بل هو حجة لكن بشرط أن لا يخالف نصًّا أي: يخالف صحابياً آخر فإن خالف نصًّا فالمعول على النص وإن خالف صحابياً آخر طلب الترجيح والثاني هو القول الراجح وهو الحق وهذا أقرب إلى الصواب؛ لأن الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أَفْقَهُ النَّاسِ فِي دِينِ اللهِ وَذَلِكَ لِقَرِيبِهِمْ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَبُعْدِهِمْ مِنَ الإِخْتِلَافِ وَسَلَامَةِ عَقِيدَتِهِمْ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْمُرْجِحَاتِ وَلهَذَا قَالَ الْمُؤَلِّفُ: هُمْ «أَوْلُو الْعِرْفَانِ» أَي أَصْحَابِ الْمَعْرِفَةِ.

مَا الْعِلْمُ نَضْبُكُ لِلْإِخْلَافِ سَفَاهَةٌ بَيْنَ الرَّسُولِ وَبَيْنَ رَأْيِ فُلَانٍ

يعني: ليس العلم أن تنصب الخلاف بينك وبين رسول الله ﷺ وتكون جدلياً تجادل بالباطل لإدحاض الحق.

كَلًّا وَلَا جَحْدُ الصِّفَاتِ لِرَبِّنَا فِي قَالِبِ التَّنْزِيهِ وَالسَّبْحَانِ

قوله: (كلا ولا جحد الصفات) معطوف على قوله «ما العلم نصبك» بالفتح بناء على أن ما حجازية ولغة الحجاز اللغة المشهورة المعتمدة.

والمعنى: ليس العلم أن تجهل صفات الله وتدعي أنك تنزه الله. فهؤلاء المعطلة الذين عطلوا النصوص يدعون أنهم منزهون لله عز وجل عن مشابهة الحوادث ولهذا كان من عقائدهم التي يرتكزون عليها أن الله مخالف للحوادث هذه، وهذه لا تعطي أي شيء، ولو أنهم أحلوا محلها قول الله تعالى (ليس كمثله شيء) لأصابوا.

المهم أن هؤلاء الذين يجادلون في صفات الله فيجحدونها بزعمهم تنزيهاً لله عز وجل عن مشابهة الحوادث لا شك أنه لا علم عنده وهم في الحقيقة وقعوا فيما فروا منه؛ لأنهم إذا نفوا الصفات شبهوا الله عز وجل بالخالي منها ومعلوم أن الصفات التي أثبتتها لنفسه صفات كمال فإذا سلبوا صفات الكمال عنه لزم أن يكون متصفاً بالنقص، فمثلاً إذا قالوا إن الله سبحانه وتعالى ليس فوق العرش لزم أن يكون في كل مكان أو ليس في مكان فهؤلاء الذين يجادلون ويدعون أنهم أهل الكلام وأهل المعرفة فنقول لهم ليس عندكم إلا الكلام كما سميتم أنفسكم أهل كلام ولا خير فيه.

كَلَاً وَلَا نَفْسِي الْعُلُوَّ لِفَاطِرِ الْـ أَكْوَانٍ فَوْقَ جَمِيعِ ذِي الْأَكْوَانِ

هذا أيضاً ما ذهب إليه أهل التعطيل الذين ينكرون علو الله بذاته على كل شيء.

كَلَاً وَلَا عَزْلَ النَّصُوصِ وَأَنَّهَا لَيْسَتْ تُفِيدُ حَقَائِقَ الْإِيمَانِ

قوله: (كلا ولا عزل النصوص) هناك جماعة من أهل الكلام يقولون إن النصوص لا تفيد اليقين وأنها لا تفيد الحقيقة بل هي مجاز فيقول عن قوله تعالى: ﴿لَمَّا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ مجاز عن القدرة والنعمة وما أشبه ذلك فلا تفيد الحقيقة.

إِذْ لَا تُفِيدُكُمْ يَقِينًا لَّا وَلَا عِلْمًا فَقَدْ عَزَلْتُمْ عَنِ الْإِيْقَانِ

يعني: أنهم يقولون: هذه الدلالة ظنية ولا تفيد اليقين.

وَالْعِلْمُ عِنْدَكُمْ يَنَالُ بَغَيْرِهَا بِزِبَالَةِ الْأَفْكَارِ وَالْأَذْهَانِ

قوله: (عندكم) أي: أهل التعطيل جميعاً الذين يقولون إن العلم ينال من غير هذه الأشياء الثلاثة: وهي الكتاب والسنة وأقوال الصحابة بل ينال بزبالة أفكارهم وأذهانهم.

قوله: (الزبالة) هي ملقى الأوساخ والأذى والقذر.

سَمِئْتُمْوهُ قَوَاطِعًا عَقْلِيَّةً تَنْفِي الظَّوَاهِرَ حَامِلَاتٍ مَعَانَ

يعني: هذه الزبالة بزبالة الأفكار سموها «قواطع عقلية».

قوله: «تنفي الظواهر» يعني: تنفي الظاهر ولهذا يقولون إن ظاهر النصوص في الصفات غير مراد بل حاملات معان عديدة.

والحقيقة أن هذه الجملة خطأ، على كل حال، ووجه ذلك: أن نقول لهم: ماذا تريدون بالظاهر، هل تريدون بالظاهر ما يظهر من النصوص من المعاني اللائقة بالله؟ إن قالوا: نعم. نقول لهم: أخطأتم في قولكم غير مراد.

لأن قولكم (ظاهر نصوص الصفات غير مراد) هذه الجملة، لها صدر ولها عجز، صدرها ظاهر النصوص، وعجزها: غير مراد.

فنسألکم أولاً: ماذا تريدون بالظاهر الذي هو صدر الجملة؟ إن قالوا: نريد بالظاهر: التمثيل. يعني: نريد أن التمثيل ليس مراداً، نقول: أصبتم في قولكم أنه غير مراد، لكن أخطأتم في قولكم: إن هذا هو ظاهر النصوص.

فإن أرادوا بالظاهر: ما يظهر من النصوص من المعاني اللائقة بالله. إذا قالوا: هذا هو ظاهر النصوص.

ماذا نقول لهم؟ نقول: أصبتم في قولكم: أن هذا هو الظاهر، لكن أخطأتم في قولكم: غير مراد؛ فصارت هذه الجملة خطأ على كل تقدير.

مثال ذلك: إذ قالوا: ظاهر قوله تعالى: ﴿لَمَّا خَلَقْتُ يَدَيْ﴾ [ص: ٧٥] إثبات يدين ثنتين لله. وهذا غير مراد. نقول لهم أخطأتم لقولكم: غير مراد، وإلا فنحن معهم بأن ظاهر الآية إثبات يدين لله عز وجل، وإذا قالوا: ظاهر قوله تعالى: ﴿لَمَّا خَلَقْتُ يَدَيْ﴾ إثبات يدين تماثل أيدي المخلوقين، وهذا غير مراد نقول: قولكم إن هذا ظاهر النصوص خطأ؛ لأن هذا ليس هذا بظاهر النصوص؛ لأن الله أضاف اليد إلى نفسه، وإضافة اليد إلى نفسه عز وجل كسائر صفاته، كإضافة العلم إلى نفسه، فكما أن علمه ليس كعلم المخلوق، فيداه سبحانه ليست كيدي المخلوق أليس كذلك؛ فدعواكم؛ أن ظاهر قوله: ﴿لَمَّا خَلَقْتُ يَدَيْ﴾ إثبات يدين، تماثل أيدي المخلوقين. هذا دعوى كاذبة.

وقولكم: غير مراد؛ يعني: هذا المعنى غير مراد؛ نوافق على هذا ونقول: هذا الذي زعمتم أنه ظاهر النصوص، نحن معكم في أنه غير مراد، لكنكم أخطأتم في أن هذا هو ظاهر النص، فصارت هذه الجملة التي يتناقلها المتكلمون من أن ظاهر النصوص غير مراد خطأ على كل تقدير؛ لأنهم إن فسروا الظاهر بمعنى يليق بالله فقد أخطأوا بقولهم: غير مراد، وإن فسروه بما يقتضي

التمثيل؛ فقد أخطأوا في هذا التفسير؛ لأنه ليس هذا ظاهر النصوص أن نمثل الله عز وجل بالمخلوق.

كَلَّا وَلَا إِحْصَاءَ آرَاءِ الرِّجَالِ لِ وَضَبَطَهَا بِالْحَضَرِ وَالْحُسْبَانِ

قوله: (ولا إحصاء...): يعني: أن العلم ليس تجميع آراء الرجال، كمن يقول: هذه المسألة فيها مائة قول.

وهذه طريقة هم أهل الكلام، حيث يقولون: استوى على العرش؛ اختلف الناس في الاستواء على خمسة أقوال، واختلفوا في العرش على عشرين قولاً، فيوقعونك في الشك والحيرة، وهذا ليس هو العلم. بل العلم أن تحصر الحق في قول واحد فقط أما جمع الآراء، قال فلان: كذا وقال فلان: كذا، بدون أن يكون هناك برهان فهذا ليس بعلم.

كَلَّا وَلَا التَّأْوِيلُ وَالتَّبْدِيلُ وَالتَّحْرِيفُ لِلْمَوْحِينِ بِالْبُهْتَانِ

قوله: (التأويل والتبديل والتحريف) التأويل يكون للمعنى أي تحريف.

والتبديل يكون للكلمة أي بقلبها رأساً.

والتحريف للفظ: أي بتغييره شكلاً.

وإنما فسرنا هذا التفسير؛ لأن المؤلف جمع بين هذه الثلاثة، وإلا فواحد منها يكفي عن الباقي، فالتأويل: إذا كان بدليل فهو حق، أما إذا كان بغير دليل فهو تحريف. التبديل: يعني: إبدال الكلمة مكان كلمة وهذا أيضاً غير صحيح. فمثلاً: هؤلاء قالوا: استوى بمعنى استولى؛ فنجد: بعضهم قد يقرءوها بهذا اللفظ (استولى على العرش).

التحريف: باللفظ، ولا أقول بالمعنى؛ لأن المؤلف قال بالأول: (التأويل).

قوله: (للموحين بالبهتان) يعني أن التأويل والتبديل والتحريف كل هذا الوجين فهو باطل غير صحيح.

كَلَّا وَلَا الْإِشْكَالَ وَالتَّشْكِكَ وَالْ

العلم ليس «إشكالاً»، فالإنسان الذي يقول: أشكلت عليّ هذه المسألة ليس بعالم لأنه يورد الإشكالات دون حلول.

إذاً ليس الإشكال علماً.

كذلك «التشكيك»، فالإنسان الذي يشكك المخاطب، ويقول: يحتمل كذا ويحتمل كذا بدون

ترجيح ليس بعالم أيضًا.

كذلك (والوقف) بأن يقول: أنا متوقف، ومعلوم أن الوقف لا يدل على العلم؛ لأنه متوقف؛ إما أن يكون جاهلاً بالأدلة، وإما أن تكون الأدلة عنده متكافئة فيتوقف في الترجيح.

هَذِي عُلُومُكُمْ الَّتِي مِنْ أَجْلِهَا عَادَيْتُمُونَا يَا أَوْلِي الْعُرْفَانِ

قوله: (علومكم) يعني: التشكيك، والإشكال، والوقف، وحصر آراء الرجال، وهذه المسألة فيها كذا وكذا من الأقوال أهذا علم (يا أولي العرفان).

يعني: هل من كانت هذه طريقته يعتبر عارفاً؟ لا، بل هو من أجهل عباد الله.

مسألة: هل الذين يشيرون الإشكالات يجيبون عنها؟

الجواب: لا، ما يجيبون عنها، وهذا خطأ وحتى إيراد الإشكال في غير محله خطأ أيضاً؛ لأنك إذا أوردت الإشكال وأجبت عنه قد لا يرضى جوابك، فكون بعض الناس -مثلاً- يسلك هذا الطريق: - كثرة الإشكالات - هذا خطأ.

انظر سير الصحابة رضي الله عنهم تجد أنهم يأخذون النصوص على ظواهرها، ولا يتعمقون فيها. وانظر إلى بحث المتأخرين، نجدهم يتعمقون في أشياء فبحثهم فيها لا يكون إلا تنطعاً.





مَلْهَيْدٌ بَيْنَ يَدَيْ الْفَصْلِ



قال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللهُ:

فصل

في عقد الهدنة بين المعطلة والملحدين

لما اتفق أهل التعطيل مع ملاحدة الفلاسفة على عزل الكتاب والسنة عن الاستدلال بها على أعلى المطالب وأشرف الأصول، ووافقوهم على الأصل الذي ردوا به الوحي وما جاء به الرسول، وخضعوا لهم في كثير من أصولهم وبحوثهم، وسلموا لهم كثيرًا من أصولهم الباطلة، وعجزوا عن مقاومتهم عند مناظرتهم بما أعطوهم من سلاحهم، عقدوا بينهم وبينهم الهدنة، وقالوا بلسان الحال، وربما صرحوا به في لسان المقال: هلم نتفق على مقاومة أهل السنة والجماعة - وسموهم بالأسماء الشنيعة - هلمّ نقاتل من قابلونا بالسنة والقرآن، وصالوا علينا بالأدلة العقلية والنقلية، وسفهوا أحلامنا وعابوا عقائدنا وجهروا بالقدح في أصولنا. فلما التقى الجمعان عرف الجهمية وزنادقة الفلاسفة أنه لا سبيل لهم إلى مقاومة الحق، ولا يدان لهم أن يقاموا صحيح المنقول وواضح الدلالة والمدلول وصریح المعقول بآراء المتهوكين وأقيسة الخائرن وإفك المفترين وتزوير المزورين، تالله إن أدنى سرية من سرايا الحق إذا قابلت الباطل بأجمعه سحقته، وإن واحدًا من شواهد الحق إذا وزن بجميع شبه الباطل محقه وأتلفه، وإذا أردت أن تعرف حقيقة ذلك فتأمل هذا الفصل، وهو:



فصل

في عقد الهدنة والأمان الواقع بين المعطلة
وأهل الإلحاد حزب جنكسخان

٣٦٠٦- يَا قَوْمُ صَالِحْتُمْ نَفَاةَ الذَّاتِ وَالْ

أَوْصَافِ صُلْحًا مُوجِبًا لِأَمَانِ

٣٦٠٧- وَأَغْرَزْتُمْ وَهَنَا عَلَيْهِمْ غَارَةً

فَعَقَعْتُمْ فِيهَا لَهُمْ بِشْتَانِ

٣٦٠٨- مَا كَانَ فِيهَا مِنْ قَبِيلٍ مِنْهُمْ

كَأَلَّا وَلَا فِيهَا أَسِيرٌ عَانِ

٣٦٠٩- وَ لَطَفْتُمْ فِي الْقَوْلِ أَوْ صَانَعْتُمْ

وَأَتَيْتُمْ فِي بَخْشِيكُمْ بِدِهَانِ

٣٦١٠- وَجَلَسْتُمْ مَعَهُمْ مَجَالِسَكُمْ مَعَ الْ

أُسْتَاذِ بِالْآدَابِ وَالْمِيزَانِ

٣٦١١- وَضَرَعْتُمْ لِلْقَوْمِ كُلَّ ضَرَاعَةٍ

حَتَّى أَعَارَوْكُمْ سِلَاحَ الْجَانِي

٣٦١٢- فَغَرَزْتُمْ بِسِلَاحِكُمْ لِعَسَاكِرِ الْ

إِثْبَاتِ وَالْأَثَارِ وَالْقُرْآنِ

٣٦١٣- وَلَا أَجَلَ دَا صَانَعْتُمُوهُمْ عِنْدَ حَزْ

بِكُمْ لَهُمْ بِاللُّطْفِ وَالْإِذْهَانِ

- ٣٦١٤- وَلَا أَجَلَ دَا كُنْتُمْ مَخَانِشًا لَهُمْ
لَمْ تَنْفَتِحْ مِنْكُمْ لَهُمْ عَيْنَانِ
- ٣٦١٥- حَذْرًا مِنْ اسْتِزْجَاعِهِمْ لِسِلَاحِهِمْ
فُتْرُونَ بَعْدَ السَّلْبِ كَالنِّسْوَانِ
- ٣٦١٦- وَبَحَثْتُمْ مَعَ صَاحِبِ الْإِثْبَاتِ بِالثَّ
تَكْفِيرِ وَالتَّضْلِيلِ وَالْعُدْوَانِ
- ٣٦١٧- وَقَلَبْتُمْ ظَهَرَ الْمَجَنِّ لَهُ وَأَجَا
لَبْتُمْ عَلَيْهِ بِعَشْكَرِ الشَّيْطَانِ
- ٣٦١٨- وَاللَّهِ هَذِي رِييَّةٌ لَا يَخْتَفِي
مَضْمُونُهَا إِلَّا عَلَى الشَّيْرَانِ
- ٣٦١٩- هَذَا وَبَيْنَهُمَا أَشَدُّ تَفَاوُتٍ
فَتَّانٍ فِي الرَّحْمَنِ تَحْتَصِمَانِ
- ٣٦٢٠- هَذَا نَفَى ذَاتِ الْإِلَهِ وَوَضَفُهُ
نَفْيًا صَرِيحًا لَيْسَ بِالْكَثْمَانِ
- ٣٦٢١- لَكِنْ إِذَا وَصَفَ الْإِلَهِ بِكُلِّ أَوْ
صَافِ الْكَمَالِ الْمُطْلَقِ الرَّبَّانِي
- ٣٦٢٢- وَنَفَى النَّقَائِصَ وَالْغُيُوبَ كَنَفَى الثَّ
تَشْبِيهَ لِلرَّحْمَنِ بِالْإِنْسَانِ
- ٣٦٢٣- فَلَايَ شَيْءٍ كَانَ حَزْبُكُمْ لَهُ
بِالْجِدِّ دُونَ مُعْطَلِ الرَّحْمَنِ
- ٣٦٢٤- قُلْنَا نَعَمْ هَذَا الْمُجَسِّمُ كَافِرٌ
أَفَكَانَ ذَلِكَ كَامِلَ الْإِيْمَانِ

- ٣٦٢٥- لَا تَنْطَفِي نِيرَانُ غَيْظِكُمْ عَلَى
هَذَا الْمُجَسِّمِ يَا أُولِي النَّيْرَانِ
- ٣٦٢٦- فَاللَّهُ يوقِدُهَا وَيضلي حَرَّهَا
يَوْمَ الْحِسَابِ مُحَرِّفَ الْقُرْآنِ^(١)
- ٣٦٢٧- يَا قَوْمَنَا لَقَدْ اذْتَكَبْتُمْ خُطَّةً
لَمْ يَزْتَكِبْهَا قَطُّ ذُو عِزْفَانِ
- ٣٦٢٨- وَأَعَنْتُمْ أَغْدَاءَكُمْ بِوِقَاكِكُمْ
لَهُمْ عَلَى شَيْءٍ مِنَ الْبُطْلَانِ
- ٣٦٢٩- أَخَذُوا نَوَاصِيكُمْ بِهَا وَلِحَاكِمِ
فَعَدَّتْ تُجَرُّ بِذَلَّةٍ وَهَوَانِ
- ٣٦٣٠- قُلْتُمْ بِقَوْلِهِمْ وَرُمْتُمْ كَسْرَهُمْ
أَنْتَى وَقَدْ غَلَقُوا لَكُمْ بِرَهَانِ
- ٣٦٣١- وَكَسَرْتُمْ الْبَابَ الَّذِي مِنْ خَلْفِهِ
أَغْدَاءَ رُشْلِ اللَّهِ وَالْإِيْمَانِ
- ٣٦٣٢- فَآتَى عَدُوَّ مَا لَكُمْ بِقِتَالِهِمْ
وَبَحْرَبِهِمْ أَبَدَ الزَّمَانِ يَدَانِ

(١) [٣٦٢٦:٣٦٢١] قال العلامة محمد خليل هراس:

وأما نحن فنصف الله سبحانه بكل أوصاف الكمال المطلق الذي وصف به نفسه، ووصفه بها رسوله ﷺ، ونفي عنه كل ما لا يليق بجناحه من النقائص والعيوب، كوجود مثل له أو شبيهه، أو شريك أو معين، أو صاحبة أو ولد، أو نحو ذلك، فلاي شيء كنا نحن موضع حربكم وعداوتكم، وكانوا هم موضع لطفكم ومودتكم؟ فلئن قلت عن أننا مجسمة كفار، أفهؤلاء عندكم هم المؤمنون الكاملو الإيآن، وما لكم لا تهذاً مراجل حقدكم ولا تحمد نار غيظكم على هؤلاء الذين سميتوهم مجسمة؟ ليس ذلك إلا لكرهتكم لما هم عليه من اتباع السنة والقرآن، وإذا فالله نسأل أن يوقد النار ويذكي لهيها، ثم يصليكم إياها يوم الحساب جزاء وفاقاً لتحريفكم القرآن واتباعكم غير سبيل أهل الإيآن.

- ٣٦٣٣- فَعَدَوْتُمْ أَسْرَى لَهُمْ بِحَبَالِهِمْ
 أَيْدِيكُمْ شُدَّتْ إِلَى الْأَذْقَانِ
- ٣٦٣٤- حَمَلُوا عَلَيْكُمْ كَالسَّبَاعِ اسْتَقْبَلَتْ
 حُمُرًا مَعْقَرَةً ذَوِي أَرْسَانِ
- ٣٦٣٥- صَالُوا عَلَيْكُمْ بِالَّذِي ضَلُّتُمْ بِهِ
 أَنْتُمْ عَلَيْنَا صَوْلَةَ الْفُرْسَانِ
- ٣٦٣٦- لَوْلَا تَحْيِزُكُمْ إِلَيْنَا كُنْتُمْ
 وَسَطَ الْعَرِينِ مُمَزَّقِي اللَّحْمَانِ
- ٣٦٣٧- لَكِنْ بِنَا اسْتَنْصَرْتُمْ وَبِقَوْلِنَا
 ضَلُّتُمْ عَلَيْهِمْ صَوْلَةَ الشُّجْعَانِ
- ٣٦٣٨- وَلَيْتُمْ الْإِثْبَاتَ إِذْ ضَلُّتُمْ بِهِ
 وَعَزَلْتُمْ التَّغْطِيلَ عَزَلَ مَهَّانِ
- ٣٦٣٩- وَأَتَيْتُمْ تَغْرَوْنَنَا بِسَرِيَّةٍ
 مِنْ عَسْكَرِ التَّغْطِيلِ وَالْكَفْرَانِ
- ٣٦٤٠- مَنْ ذَا بِحَقِّ اللَّهِ أَجْهَلُ مِنْكُمْ
 وَأَحْقُّنَا بِالْجَهْلِ وَالْعُدْوَانِ
- ٣٦٤١- تَاللَّهِ مَا يَذْرِي الْفَتَى بِمُصَابِهِ
 وَالْقَلْبُ تَحْتَ الْخِثْمِ وَالْخِذْلَانِ

الشرح

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

قوله: (فصل في عقد الهدنة والأمان الواقع بين المعطلة وأهل الإلحاد حزب جنكيز خان يعني: أنه صار أهل التعطيل وبين أهل الإثبات حرب، وبينهم وبين أهل الإلحاد سلم. وهدنة.

يَا قَوْمَ صَلَّحْتُمْ نَفَاةَ الذَّاتِ وَالْ

أَوْصَافِ صَلَّحًا مُوجِبًا لِأَمَانِ

قوله: (يا قوم) الخطاب؛ للمعطلة.

وقوله: (صالحوا نفاة الذات والأوصاف) وهم الملحدون الذين ينكرون وجود الله عز وجل،

ووجود صفاته والمعنى أنهم صالحتموهم صلحًا موجبًا لأمان، أي بين المعطلة وأهل الإلحاد.

وَأَعَزَّتُمْ وَهَنًا عَلَیْهِمْ غَارَةٌ

فَعَقَعْتُمْ فِيهَا لَهُمْ بِشَانِ

يعني: أغرتم على أهل الإلحاد، لكنها غارة ضعف لا غارة قوة؛ لأن أهل التعطيل يدعون أنهم

الذين دفعوا المعتزلة، ودفعوا أهل الإلحاد، وهم الذين أقاموا عليهم الحجة، ولكن سيبين المؤلف

رَحْمَتَهُ أَنْ هَذِهِ الدَّعْوَى لَا أَصْلَ لَهَا وَلَا دَلِيلَ عَلَيْهَا.

مَا كَانَ فِيهَا مِنْ قِتِيلٍ مِنْهُمْ

كَلاَّ وَلَا فِيهَا أُسِيرٌ عَانِ

يعني: أن حربكم عليهم لم تفد شيئًا، ولم تقتل أحدًا من أهل الإلحاد.

قوله: (كلا ولا فيها أسير عاني)؛ يعني: ولم تأسر.

إذن ما هي إلا قعقة كالذي يجنط بالشيء البالي من أجل أن يهرب عدوه وليس عنده شيء.

وَلَطَّفْتُمْ فِي الْقَوْلِ أَوْ صَانَعْتُمْ

وَأَتَيْتُمْ فِي بَحْثِكُمْ بِدِهَانِ

يعني: أنكم تلطفون القول معهم وأحيانًا تصنعونهم، والمصانعة: الموافقة والمداهنة.

وقوله: (وَأَتَيْتُمْ فِي بَحْثِكُمْ بِدِهَانِ) أي: مُدَاهِنُونَ لَهُمْ، بينما يعادون أهل السنة ويقولون فيهم:

إنهم حشوية، مجسمة، سُداد، نوابت، ويصفونهم بصفات العيب التي لا نهاية لها.

وَجَلَسْتُمْ مَعَهُمْ مَجَالِسَكُمْ مَعَ الْ

أُسْتَاذِ بِالْآدَابِ وَالْمِيزَانِ

يعني: أنكم جلستم معهم مجلس التلميذ المتعلم من شيخه.

وَصَرَغْتُمْ لِلْقَوْمِ كُلِّ ضَرَاعَةٍ

حَتَّى أَعَازُوكُمْ بِسِلَاحِ الْجَانِي

قوله: (وضرعتمو للقوم كل ضراعة) أي: تقربتم إليهم وتوددتهم إليهم، وصرتم طرحي بين

أيديهم حتى أعاروكم سلاح الجاني. لمن؛ قال:

فَعَزَّوْتُمْ بِسِلَاحِكُمْ لِعَسَاكِرِ الْ

إِنْبَاتِ وَالْأَثَارِ وَالْقُزَانِ

يعني: أعطوكم سلاحًا، صرتم به على أهل السنة والجماعة وأهل الحق. إذا هؤلاء لا يصح أن

نقول: إنهم حاربوا أهل الإلحاد، بل الصحيح أن نقول: إنهم تلاميذ أهل الإلحاد، أخذوا سلاحهم

وغزوا به أهل السنة والجماعة.

وَلَأَجْلِ ذَا صَانَعْتُمُوهُمْ عِنْدَ حَزْرٍ
بِكُمْ لَهُمْ بِاللُّطْفِ وَالْإِدْعَانِ
وَلَأَجْلِ ذَا كُنْتُمْ مَحَانِيثًا لَهُمْ
لَمْ تَنْفَتِحْ مِنْكُمْ لَهُمْ عَيْنَانِ

يعني: أنهم أهل التعطيل إذا بحثوا مع أهل الإلحاد يبحثون بحث المصانعة؛ كأنهم يرون أنفسهم غير قادرين على إقامة الحجة عليهم ويأخذون أيضًا منهم ومن قواعدهم.

ولهذا كان انتشار البدعة - بدعة التعطيل - بسبب تعريب كتب اليونان، كما قال ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية في (الفتوى الحموية): أنها لما عُرِّبَت الكتب اليونانية والرومية في عهد المأمون انتشرت البدعة؛ لأنهم أخذوا من مبادئهم ومن نظرياتهم.

وَلَأَجْلِ ذَا كُنْتُمْ مَحَانِيثًا لَهُمْ
لَمْ تَنْفَتِحْ مِنْكُمْ لَهُمْ عَيْنَانِ

يعني: من شدة الحياء والغالب أن المخنث يستحيي من أن يفتح عينيه على من كان مخنثا له. فلهذا يقول: (لم تفتح منكم لهم عينان)

حَدْرًا مِنْ اسْتَرْجَاعِهِمْ لِسِلَاحِهِمْ
فَتُرُونَ بَعْدَ السَّلْبِ كَالنِّسْوَانِ

يعني: أنكم تصنعونهم بهذا حدراً من استرجاعهم لسلحهم.

وقوله: (فترون بعد السلب كالنساء) يعني: أنهم إذا سلبوا السلاح منكم لم يكن معكم سلاح، فتكونون بعد أخذ السلاح منكم مثل النساء.

وَبِحَحْنَتُمْ مَعَ صَاحِبِ الْإِثْبَاتِ بِالْثَدِّ
تَكْفِيرِ وَالتَّضْلِيلِ وَالْعُدْوَانِ

هم يكفرون أهل الإثبات، فيقولون: إنك إذا أثبتت الله اليد أو العين فقد شبهته بالمخلوقات وهذا كفر، ويصرحون بذلك، بينما هم مع الفلاسفة يداهنون ويأخذون من حثالة أفكارهم.

وَقَلْبَتُمْ ظَهَرَ الْمَجْنُّ لَهُ وَأَجْرٌ
لَبِثْتُمْ عَلَيْهِ بِعَسْكَرِ الشَّيْطَانِ

قوله: (قلبتما ظهر المجن له)؛ يعني: أنكم بعد أن كنتم تسالمون له قلبتموا ظهر المجن فكنتم أعداء له، لصاحب الإثبات، وأجلبتم عليه بعسكر الشيطان.

أجلبتم؛ يعني: ضمتم إليكم في محاربة الشيطان.

وَاللَّهُ هَذَا رِيَّةٌ لَا يَخْتَفِي
مُضْمُونُهَا إِلَّا عَلَى الثَّيْرَانِ

يعني: هذا الذي صنعتم موجب للريية؛ لأنكم على منهاج هؤلاء الفلاسفة وإن أظهرتم أنكم أعداء لهم.

هَذَا وَبَيْنَهُمَا أَشَدُّ تَفَاوُتٍ
فَتَّانِ فِي الرَّحْمَنِ يَخْتَصِمَانِ

قوله: (هذا وبينهما أشد تفاوت) بين أهل الحق وأهل الباطل من أهل التعطيل أشد تفاوت؛ يعني: أعظم تفاوت يكون بين مفترقين وما بين أهل الحق وأهل الباطل.

هَذَا نَفَى ذَاتَ الْإِلَهِ وَوَضَفَهُ نَفِيًا صَرِيحًا لَيْسَ بِالْكَثْمَانِ
لَكِنْ إِذَا وَصَفَ الْإِلَهَ بِكُلِّ أَوْ صَافِ الْكَمَالِ الْمُطْلَقِ الرَّبَّانِيِّ

وهذا تفاوت عظيم، فَرَّقَ بين من يثبت الله -عز وجل- بأوصاف كاملة، وبين من ينكر الرحمن وأوصافه. فبينهما كما بين المشرق والمغرب.

ومع ذلك تدهنون هؤلاء الذين ينكرون ذات الله وصفاته وتعادون بصراحة ووقاحة من يثبتون لله الأوصاف والأسماء.

يشير إلى الفلاسفة وأهل الإلحاد، نقول الإله وقالوا لا وجود له، ومعلوم أن نفي الذات يستلزم نفي الصفات؛ لأنه إذا لم تكن ذات لم تكن صفات.

لَكِنْ إِذَا وَصَفَ الْإِلَهَ بِكُلِّ أَوْ صَافِ الْكَمَالِ الْمُطْلَقِ الرَّبَّانِيِّ
يقصد: أهل السنة.

وَنَفَى النَّقَائِصَ وَالْغُيُوبَ كَنَفِيهِ الثَّ تَشْبِيهِ لِلرَّحْمَنِ بِالْإِنْسَانِ

فلهم نفيان - أي لأهل السنة نفيان - النفي الأول: نفي النقائص والعيوب. والنفي الثاني: نفي التماثل بين الخالق والمخلوق.

فَلَأَيِّ شَيْءٍ كَانَ حَزْبُكُمْ لَهُ بِالْحَدِّ دُونَ مُعْطَلِ الرَّحْمَنِ
أعني: بأي شيء تحاربون يا أهل التعطيل.

يا أهل التعطيل: لأي شيء تحاربون صاحب السنة والآثار دون معطل الرحمن؛ أهل الفلسفة والإلحاد.

قُلْنَا نَعَمْ هَذَا الْمُجَبِّسُ كَافِرٌ أَفَكَانَ ذَلِكَ كَامِلَ الْإِيمَانِ

أي: أننا نجيب عنكم فنقول: كنتم حربا للمثبت؛ لأنه على زعمكم مجسم وكافر؛ فهم يقولون: كل مثبت للصفات مجسم، وكل مجسم كافر، فالمثبت كافر، ولكن هذه المقدمات والنتيجة كلها كذب، فليس كل مثبت للصفات مجسمًا؛ لأن إثبات الصفات لا يستلزم التجسيم عقلا.

فها نحن نقول: يوم شديد، حر شديد، برد شديد، ظلمة شديدة، وكل هذه أجسام، هذه أوقات وأزمان ثم نقول بالنسبة للخالق -عز وجل-: وصفناه بالصفات فإن لزم من هذه

الصفات أن يكون جسماً فاللازم للحق حق، وإن لم يلزم فإنه لا يسوغ لكم أن تلمونا بشيء لم نلتزم به، وليس لازماً لصفاتنا.

ثم نقول ثالثاً: الجسم الذي نقيم عن الله وأجلبتم عليه بالخيال والرجل. ماذا تريدون به؟ تريدون به جسماً مركباً كما تتركب الأجسام المخلوقة؛ فهذا متنف عن الله، أم تريدون به ذاتاً منفصلة عن الخلق، بائنة عن الخلق متصفة بالصفات اللاتئة بها فهذا حق فإن الله سبحانه وتعالى ذات بلا شك قائمة بنفسها بائنة من الخلق، متصفة بالصفات اللاتئة بها، ومع هذا انظر كيف هذا التجديل والتمويل، كل مثبت مجسم وكل مجسم كافر. كيف هذا؟ من قال هذه القاعدة؟

لَا تَنْظِفِي نِيرَانَ غَيْظِكُمْ عَلَى هَذَا الْمُجَسِّمِ يَا أُولِي النِّيَرَانِ

أي: أنتم دائماً في غيظ عظيم وحنق شديد على هذا المجسم، ولهذا إذا أثبت أحد من صفات الله ما أثبته الله لنفسه نشبت نيران الغيظ عنده والبغضاء لهذا المثلث المجسم على زعمهم.

فَاللَّهُ يوقِدُهَا وَيضِلِّي حَرَّهَا يَوْمَ الْحِسَابِ مُحَرِّفَ الْقُرْآنِ

ومن هو محرق القرآن؟ هم أهل التعطيل، اللذين حرفوا القرآن، أثبت الله لنفسه صفة، وقالوا لا، لا نثبتها، حرفوا القرآن عن مواضعه، وقالوا: المراد بكذا: كذا وكذا، مما لا يجبه الله، فمن هو أولى صلوا بالنار؟ هم أهل التحريف.

يَا قَوْمَنَا لَقَدْ ارْتَكَبْتُمْ خُطَّةً لَمْ يَزَكِبْهَا قَطُّ ذُو عِزِّانٍ

وَأَعْنَتْكُمْ أَغْدَاءُكُمْ بِوَفَاقِكُمْ لَهُمْ عَلَى شَيْءٍ مِنَ الْبُطْلَانِ

يريد بذلك وهم قوم وإن كانوا على غير الملة التي تحت عليها، أي: على غير المنهج الذي نحن عليه، وهم على الإسلام لا شك، إلا من خرج ببدعته عن الإسلام، ولكن وصف القومية لا يستلزم الوفاق في الدين فها هم الأنبياء يقولون لأقوامهم: ﴿يَتَقَوَّرُوا﴾ مع أنهم كفار، لكن ينادونهم بالقومية من أجل أنهم متفقون معهم في القبيلة والقرابة.

أَخَذُوا نَوَاصِيكُمْ بِهَا وَلِحَاكُمُ فَعَدَّتْ تَجَرُّ بِذِلَّةٍ وَهَوَانٍ

قوله: (أخذوا نواصيكم بها ولحاكموا)، لحي جمع لحية، يعني أمسكوا الواحد من ناصيته ولحيته. وجروه يقودونه لما يريدون فأوقعوهم في الهلاك و-العياذ بالله-.

قُلْتُمْ بِقَوْلِهِمْ وَرَمْتُمْ كَسْرَهُمْ أَنَّى وَقَدْ عَلَّقُوا لَكُمْ بِرِهَانٍ

المعنى: أنكم قلتهم بقولهم، ثم ادعيتهم أنكم تريدون بهذا كسرهم؛ ولهذا يدعى أهل التعطيل

أنهم حُرِبَ للفلاسفة، وهم في الحقيقة موافقون من بعض الوجوه، أهل التعطيل عطلوا الذات والصفات، وهم أيضًا عطلوا الصفات -إما كليةً وإما جزئية- والسلف الصالح أثبتوا الذات وأثبتوا الصفات.

قوله: (ورمتم كسرهم أنى)؛ أي: أنى تكسروهم وقد غلقوا لكم برهان، والرسول ﷺ يقول: «لا يغلِقُ الرهن من صاحبه»^(١)، لكنهم ارتهنوكم رهنا أغلقوكم به، وصرتم لا تتمكنون من التصرف كما تشاءون.

وَكَسَرْتُمْ الْبَابَ الَّذِي مِنْ خَلْفِهِ أَغْدَاءَ رَسُولِ اللَّهِ وَالْإِيمَانَ
فَأَتَى عَدُوٌّ مَا لَكُمْ بِقَتَالِهِمْ وَبَحْرِيهِمْ أَبْسَدَ الزَّمَانِ يَسْدَانِ

يعني: أنكم فتحتم الباب المحصن - لأهل التعطيل -، فمثلاً أهل التعطيل أنكروا وجود الله - عز وجل - ووجود صفاته، وأعني بذلك الفلاسفة الذين هم أهل التخيُّل، وقالوا: إن الله ليس موجوداً وليس هناك صفات، وليس هناك جنة ولا نار، وكل ما ذكره الرسل من ذلك فهو تخيُّل لا حقيقة له، وأرادوا بذلك إصلاح الخلق؛ لأن الناس إذا قيل لهم: إن لكم رباً عظيماً ينتقم من المجرم ويثيب الطائع، وإن لكم ثواباً جزيلاً إذا أطعتم والجنة لا تفتنى ولا تبيد، وإن لكم عذاباً أليماً إذا عصيتم وهو النار، فإن الناس سوف يستجيبون، فلهذا كان الرسل على زعمهم عباقره، وضعوا خططاً ومنهجاً وأرادوا من الناس أن يسلكوا هذا المنهج وقالوا: إن هناك رباً ويوماً آخر وجزاء إلى آخره.

فقال هؤلاء الذين سلخوا هذا المسلك لأهل التعطيل.

أنتم حرفتم نصوص الصفات، وقلتم: ليس لله وجه ولا يد ولا عين ولا قدم وليس له استواء ولا نزول إلى السماء الدنيا ولا إتيان ولا... إلى آخره.
فأنتم أولتم في هذا ونحن أولنا في هذا.

أي فرق بيننا؟ فقالوا لهم أي أهل التعطيل الذين يقولون باليوم الآخر نحن علمنا بأن الرسل جاءت بإثبات اليوم الآخر. انظر الدليل أو الجواب المفحم علمنا، بأن الرسل جاءوا بإثبات اليوم الآخر. وأن الشبهة المانعة منه فاسدة، أي: شيء يمنع من البعث؟ ﴿مَنْ يُعْطِ الْعِظْمَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ [يس: ٧٨] شُبْهَةٌ فَاسِدَةٌ أَفْسَدَهَا اللَّهُ - عز وجل - فإذا كانت الرسل جاءت به والشبهة المانعة منه فاسدة لزم القول بموجبه. وهذا جواب صحيح؛ ولهذا كان أهل التعطيل في هذا الباب قولهم

(١) ضعيف: انظر ضعيف الجامع (٦٣٥٧).

صحيح، فقال أهل السنة: إن إجابتكم للفلاسفة أهل التخيل إجابة صحيحة ولكننا نحن نلزمكم بها أن تقولوا بالصفات؛ لأننا نعلم أن الرسل جاءت بإثبات الصفات لله - عز وجل - وهذا وزان قولهم: أن الرسل جاءت بإثبات الميعاد، وقد علمنا فساد الشبهة المانعة منه ما هي المشبهة المانعة من الثبات على التعطيل؟ التمثيل والتجسيم وما أشبه ذلك وهذه شبهة فاسدة فوجب القول بموجبه، فصار دليل أهل السنة على أهل التعطيل في إثبات الصفات كدليل أهل التعطيل على أهل الفلاسفة والتخيل في إثبات الميعاد.

هم حين أنكروا الصفات وهي في القرآن، أكثر، ذكروا الصفات في القرآن أكثروا تقريرها أثبت؛ لما أنكروا أهل التعطيل قال الفلاسفة وأهل التخيل: أنتم أيها المعطلة أبحاثم لأنفسكم تأويل آيات الصفات وإنكار مدلولها، فلماذا تنكرون علينا تأويل آيات الصفات أو تأويل نصوص الميعاد وتأويلها نحن وأنتم على حد سواء؟! فانظر كيف فتح أهل التعطيل الباب لأهل الفلاسفة والتعطيل المحض الذين لا يؤمنون برب ولا بجزاء.

إذن من الذي فتح الباب هم أهل التعطيل؛ لأنهم - أعني أهل التخيل - ألزموهم بأن يقولوا بإنكار الميعاد كما قالوا بإنكار الصفات، ولهذا قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

وَكَسَرْتُمْ الْبَابَ الَّذِي مِنْ خَلْفِهِ أَعْدَاءُ رُسُلِ اللَّهِ وَالْإِيمَانِ
فَأَتَى عَدُوَّ مَا لَكُمْ بِقِيَالِهِمْ وَيَحْرَبُهُمْ أَبَدَ الزَّمَانِ يَدَانِ
فَعَدُوَّتُمْ أَسْرَى لَهُمْ بِجِبَالِهِمْ أَيَدِيكُمْ شُدَّتْ إِلَى الْأَذْقَانِ

يعني: أيديهم شددت إلى الأذقان؛ فهي مربوطة لا يقدر الواحد منهم أن يتحرك. فهم الآن لهم أسرى وأيديهم شددت إلى الأذقان.

حَمَلُوا عَلَيْكُمْ كَالسَّبَاعِ اسْتَقْبَلْتُمْ حُمْرًا مُعَقَّرَةً ذَوِي أَرْسَانِ

هذا تشبيه بليغ، والمعنى: أن الفلاسفة والملاحدة حملوا عليكم كحمل السباع على حمر معقرة مرسنة. والحمار المعقر المرسن. إذا حمل عليه السبع لا يستطيع أن يفعل شيء. فأكله السبع أكلة واحدة ولا يستطيع أن يدافع عن نفسه. ولهذا حمل أهل التخيل - الفلاسفة - على أهل التعطيل حملة لا يستطيعون ردها؛ لأنه يقول لهم يلزمكم أن تقولوا بتأويل وتحريف آيات الميعاد كما حرفتم آيات الصفات.

صَالُوا عَلَيْكُمْ بِالَّذِي صَلَّيْتُمْ بِهِ أَنْتُمْ عَلَيْنَا صَوْلَةَ الْفُرْسَانِ

أي: صال الفلاسفة أهل التخيل على أهل التعطيل بمثل الذي صال به علينا أهل التعطيل حيث قالوا: لا يمكن أن نثبت الصفات؛ لأن إثباتها يستلزم التمثيل، وأولئك صالوا عليهم فقالوا: إذا كنتم أبحتم أن تؤولوا أو تحرفوا آيات الصفات فأبيحوا لنا أن نؤول آيات الميعاد ونحرفها وإلا فأنتم متناقضون.

لَوْلَا تَحْيِرُكُمْ إِلَيْنَا كُنْتُمْ

وَسَطَ الْعَرَبِينَ مُمَرِّقِي اللَّحْمَانِ

لَكِنْ بِنَا اسْتَنْصَرْتُمْ وَبِقَوْلِنَا

ضَلُّتُمْ عَلَيْهِمْ صَوْلَةَ الشُّجْعَانِ

صالوا عليهم؟

أي: أن أهل التعطيل ردُّوا على أهل التخيل الفلاسفة. فقالوا: نحن تعلمنا بأن الرسل جاءت بإثبات الميعاد، وأن الشبهة المانعة منه فاسدة فلزم القول بموجبه.

ونحن أيضًا قلنا لأهل التعطيل كما قالوا هم لأهل التخيل، قلنا: قد علمنا بأن الرسل جاءت بإثبات الصفات وقد علمنا بأن الشبهة المانعة منه فاسدة فلزم القول بمقتضاه أو بموجبه.

قوله: (استنصرتهم) بقولنا أي بسلاحنا وردودنا، فلولا أن الله قيضنا لهم ما استطاعوا أن يردوا قول هؤلاء.

وَالَيْتُمْ الْإِثْبَاتَ إِذْ ضَلُّتُمْ بِهِ

وَعَزَلْتُمْ التَّعْطِيلَ عَزْلَ مَهَانَ

أي: خذوا بالإثبات إذا كانت الحجة لهم.

وقوله: (وعزلتم التعطيل) أي: واعزلوا التعطيل عزل مهان، وهذا بالنسبة للميعاد. فإن أهل التعطيل بالنسبة للميعاد أخذوا بالإثبات وعزلوا النفي والتعطيل فقالوا: نحن نؤمن بأن نصوص الميعاد حق على حقيقتها وثبتتها على حقيقتها ونقول في الدار الآخرة جنة ونار، وفي الجنة نخل ورمان وفاكهة وأنهار، وفي النار عذاب وإلى آخر ما جاءت به الرسل.

فهم أولوا الإثبات إذا صالوا به، وعزلوا التعطيل حين صولهم بالإثبات، وهذا بالنسبة لنصوص الميعاد.

وَأَتَيْتُمْ تَغْرُونََنَا بِسَرِيَةٍ

مِنْ عَسْكَرِ التَّعْطِيلِ وَالْكَفْرَانِ

قوله: (وأيتتموا تغروننا بسرية) أي: ما هو بجيش، لأن السرية دون الجيش، قوله: (من عسكر التعطيل والكفران) أعني بذلك: أن قول أهل التعطيل في الصفات جزءٌ من قول أهل الإلحاد؛ لأن أهل الإلحاد أنكروا الله وأنكروا الصفات وأنكروا الميعاد، وأهل التعطيل أثبتوا الميعاد، وأنكروا الصفات.

فأتوا بسرية إذ أنهم أنكروا جزءاً واحداً من ثلاثة أجزاء. ولهذا قال:

وَأَيْتُمْ تَغْرُوتَنَا بِسَرِيَةٍ مِنْ عَسْكَرِ التَّعْطِيلِ وَالْكَفْرَانِ
أي: مأخوذة من عسكر التعطيل والكفران.

مَنْ ذَا بِحَقِّ اللَّهِ أَجْهَلُ مِنْكُمْ وَأَحَقُّنَا بِالْجَهْلِ وَالْعُدْوَانِ
الجواب: هم أجهل؛ لأنهم متناقضون، فإذا نظرت إلى أهل التخييل والفلاسفة الملاحدة وجدت قولهم مضطرب؛ لأنهم أنكروا الحقائق هنا وهناك فأنكروا الحقائق بالنسبة لله وصفاته عز وجل، وبالنسبة للميعاد، وهؤلاء أنكروا الحقائق بالنسبة لصفات الله وأثبتوها بالنسبة للميعاد فكانوا المتناقضين أما السلف الصالح أثبتوا الحقائق لله وصفاته والميعاد. إذن الاضطراب في الإنكار عند الفلاسفة وأهل التخييل، والتناقض عند أهل التعطيل للصفات.

تَاللَّهِ مَا يَدْرِي الْفَتَى بِمُضَاهِيهِ وَالْقَلْبُ تَحْتَ الْحِثْمِ وَالْخِذْلَانِ
صدق ﷻ. الفتى لا يعرف المصيبة إذا كان قلبه مختوماً عليه مخدولاً - والعياذ بالله - فتجده لا يدري أما الذي يدري بالمصيبة من له قلب حي، أما الميت فكما قال المتنبي:

من يهن يسهل الهوان عليه ما لجرح بميت إيلام
ولهذا نجد الإنسان كلما قسا قلبه لا يتأثر بالمعصية، لكن إذا كان قلبه حياً وفعل المعصية تجده يحزن ويندم ويحجل ويحدث توبة، فإذا وجدت من نفسك أن قلبك لا يتأثر بمعصية الله فاعلم أنه مختوم عليه و-العياذ بالله-، وإذا رأيته يتأثر، فمثلاً رجلٌ يقول: كلما أعصى أحس بالذنب وأرجع إلى الله وأنيب إليه واستغفر ربه اعلم أن قلبك حي؛ لأن الميت لو أتيت بشواظ من نار وأصبت به جسده هل يتأثر؟ أبداً لكن لا يحس، والحي يحس، فهكذا القلوب متى أحست بالمعصية وتركت الطاعة فاعلم أن فيها حياة ومتى لم تحس فاعلم أنها ميتة، وأنها حُتْم عليها، وانظر إلى كلام الله - عز وجل - أشرف الكلام وأعظم الكلام وأشد تأثيراً، يقول الله عز وجل: ﴿إِذَا تُلَّتْ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالُوا سَطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [القم: ١٥] ما يتأثر فيها ﴿أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ * والأساطير: هي الكلمات التي تُحكى وليس لها أصل، وتُسمى عندنا (سواليف، وسباحيل)؛ لأنها تبدأ بالتسييح. وعند الأخوان في غير البلاد الإسلامية تسمى (حدوثه) على كل حال هو لكون لا يتأثر بالقرآن - والعياذ بالله - يقول: هذه أساطير الأولين.

ولكن البلبه بها عقاب قال تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤] فلم

يعرفوا الحق ولم يتأثروا به، وهذا ميزان ينبغي لنا أن نتعاهده دائماً، بأن ننظر هل قلوبنا تتأثر عند فعل المعصية وترك المعصية أو لا. إن كانت تتأثر فهي فيها حياة فعليك أن تحافظ على هذه الحياة، وإن لم تتأثر فهي ميتة، قد ران عليها ما كسبت من المعاصي نسأل الله أن يعاملنا وإياكم بعفوه.

مسألة: الفلاسفة يلزمون المعطلة بتأويلهم آيات الصفات فما وجه الإلزام في ذلك؟

الجواب: يقولون لهم أنتم، إذا أولتم آيات الصفات مع أن دلالتها واضحة فأولوا آيات المعاني، وإن كانت دلالتها واضحة؛ لأن الباب واحد، فكلاهما أمرٌ غيبي، فإذا كانت عقولكم لا تتحمل إثبات هذه الصفات لله - عز وجل -، فإن عقولنا لا تتحمل إثبات المعاد، فإما أن توافقونا، وإما أن توافقوا السلف، أما أن تتناقضوا فهذا ليس من شأن العلماء.





مهيد بين يدي الفصل



قال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللهُ:

فصل

في مصارع الثُّفَاةِ الْمُعْظَمِينَ بِأَسِنَّةِ أَهْلِ الْإِثْبَاتِ الْمُوَحَّدِينَ

ذكر المصنف في هذا الفصل أنه لا يتم للإنسان معرفة حقيقة أهل البدع وما آلت إليه بدعهم من البطلان والاضمحلال حتى يقف على تصانيف شيخ الإسلام حقيقة الذي لم يحز هذا اللقب أحد بتامه وكماله غيره، فهو شيخ الإسلام في أصول الدين وفروعه، وفي نصر الحق وجهاد أهل الباطل على اختلاف مللهم ونحلهم، فمن وقف على تصانيفه رآها كافية شافية، ورأى فحول أهل الكلام وأئمتهم وأساطين الفلاسفة وزنادقة أهل الوحدة وغيرهم ممن يشار إليهم بالأصابع ويرمقون بالأصار ويخضع الكثير لأقوالهم وأصولهم قد تبين جهلهم وبان عيهم وتحقق بطلان ما كانوا ينصرونه من الأقوال الباطلة التي طالما أضلت الخليقة، فصارت بهذا البيان والتحقيق من هذا الإمام العظيم في حيز المحال، وأباد خضراءهم، وقتلهم بسلاحهم الذي به صالوا وردّ عليهم بحججهم التي طالما في ميادينها جالوا، فلم يبق من فحولهم وأئمتهم، وأكابرهم أحدًا إلا أرداه ووضح للناس ضلاله وعماه، فرحمة الله عليه من إمام عظيم منّ به الرحمن الرحيم في زمان تكاثرت فيه البدع، وتفاقت فيه الطرائق المنحرفة، ورفع فيه أهل الإلحاد رؤوسهم فمزق جمعهم كل ممزق وذكر من تصانيفه المعروفة ما مخبره كاف عن وصفه، وهي والله الحمد موجود أكثرها، وكل إصلاح في هذه الأوقات الأخيرة لا يخفى على صاحب البصيرة أن لكتبه فيه الأثر الأكبر والحظ الأوفر.



فصل

في مصارع النفاة المعطلين
بأسنة أمراء الإثبات الموحدين

٣٦٤٢- وَإِذَا أَرَدْتَ تَرَى مَصَارِعَ مَنْ خَلَا

مِنْ أُمَّةِ التَّعْطِيلِ وَالْكَفْرَانِ

٣٦٤٣- وَتَرَاهُمْ أَسْرَى حَقِيرًا شَأْنُهُمْ

أَيْدِيَهُمْ غَلَّتْ إِلَى الْأَذْقَانِ

٣٦٤٤- وَتَرَاهُمْ تَحْتَ الرِّمَاحِ دَرِيئَةً

مَا فِيهِمْ مِنْ فَارِسٍ طَعَّانِ

٣٦٤٥- وَتَرَاهُمْ تَحْتَ السُّيُوفِ تَنُوشُهُمْ

مِنْ عَنِّ شَمَائِلِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِ

٣٦٤٦- وَتَرَاهُمْ أَنْسَلَحُوا مِنَ الْوَحْيِينِ وَالْ

عَقْلِ الصَّحِيحِ وَمُقْتَضَى الْقُرْآنِ

٣٦٤٧- وَتَرَاهُمْ وَاللَّهِ ضُحْكَةً سَاجِرِ

وَلَطَّالَمَّا سَجَزُوا مِنَ الْإِيمَانِ

٣٦٤٨- قَدْ أَوْحَشَتْ مِنْهُمْ رُبُوعَ زَادَهَا أَلْ

جَبَّارُ إِيحَاشَا مَدَى الْأَزْمَانِ

٣٦٤٩- وَخَلَّتْ دِيَارُهُمْ وَشَتَّتْ شَمْلُهُمْ

مَا فِيهِمْ رَجُلَانِ مُجْتَمِعَانِ

٣٦٥٠- قَدْ عَطَّلَ الرَّحْمَنُ أَفْيِدَةً لَهُمْ

مِنْ كُلِّ مَعْرِفَةٍ وَمِنْ إِيْمَانِ

- ٣٦٥١- إذ عطّلوا الرّحمن من أوصافه
والعرش أخلّوه من الرّحمن
- ٣٦٥٢- بل عطّلوه عن الكلام وعن صفا
ت كماله بالجهل والبهتان^(١)
- ٣٦٥٣- فأقرأ تصانيف الإمام حقيقة
شيخ الوجود العالم الربّاني
- ٣٦٥٤- أغني أبا العباس أحمد ذلك الـ
بحر المحيط بسائر الخلجان
- ٣٦٥٥- وأقرأ كتاب العقل والثقل الذي
ما في الوجود له نظير ثان
- ٣٦٥٦- وكذلك منهاج له في رده
قول الروافض شيعة الشيطان
- ٣٦٥٧- وكذلك أهل الإغترال فإنه
أزداهم في حفرة الجبان

(١) [٣٦٤٢: ٣٦٥٢] قال العلامة محمد خليل هراس:

ولترجع إلى شرح الأبيات التي يصور لنا فيها المؤلف مدى ما أصاب جيوش الزيغ والتعطيل من هزيمة وانكسار حين حمل عليها شيخه البطل المغوار والفارس الكرار بسيفه البتار ففرقهم شذر مذر. فلم يبق لهم من عين ولا أثر، فيقول: إذا أردت أن تشهد أئمة الكفر والتعطيل وهم يسقطون صرعى في الميدان ويقعون أسرى ترهقهم الذلّة، ويعلوهم الهوان، وتربط أيديهم بالحبال إلى الأذقان، وأن تراهم دريئة للرماح لا قدرة لهم على حرب ولا طعان، وأن تراهم قد تجردوا من الوحين السنة والقرآن، بل وتجردوا من العقل الصحيح وما يقتضيه من البرهان، بل وتراهم مضحكة للناس يتخذون منهم مادة للفكاهة والهديان، ولطالما كانوا يسخرون من أهل الإيوان، وتراهم قد خلت منهم الديار وتبدد جمعهم في الأقطار، كما أخلّى الرحمن أفئدتهم من كل معرفة وإيوان جزاء وفاقًا لما عطّلوا الرحمن من صفات كماله وعطّلوا منه عرشه فأنكروا أن يكون فوق عرشه بذاته، بل وعطّلوه عن كلامه فنفوا أن يكون له كلام هو صفة له بحروف وأصوات يسمعها من يشاء من خلقه، وعطّلوه عن صفات كماله كلها بلا دليل ولا برهان بل بالكذب والبهتان.

٣٦٥٨- وَكَذَلِكَ التَّاسِيسُ أَصْبَحَ نَفْضُهُ

أَعْجُوبَةً لِلْعَالِمِ الرَّبَّانِيِّ

٣٦٥٩- وَكَذَلِكَ أَجُوبَةٌ لَهُ مِضْرِيَّةٌ

فِي سِتِّ أَشْفَارٍ كُتِبْنَ سِمَانِ

٣٦٦٠- وَكَذَا جَوَابٌ لِلنَّصَارَى فِيهِ مَا

يُشْفِي الضُّدُورَ وَإِنَّهُ سِفْرَانِ

٣٦٦١- وَكَذَلِكَ شَرْحُ عَقِيدَةٍ لِلأَصْبَهَا

بِئِي شَارِحِ الْمَخْضُولِ شَرْحَ بَيَانِ

٣٦٦٢- فِيهَا التُّبُوتَاتُ الَّتِي إِثْبَاتُهَا

فِي غَايَةِ التَّقْرِيرِ وَالتَّبْيَانِ

٣٦٦٣- وَاللَّهُ مَا لِأُولِي الْكَلَامِ نَظِيرُهُ

أَبَدًا وَكُتِبَ بِهِمْ بِكُلِّ مَكَانِ

٣٦٦٤- وَكَذَا حُدُوثُ الْعَالَمِ الْعُلُويِّ وَالسُّدِّ

سُفْلِي فِيهِ فِي أْتَمِّ بَيَانِ

٣٦٦٥- وَكَذَا قَوَاعِدُ الإِسْتِقَامَةِ إِنَّهَا

سِفْرَانِ فِيمَا بَيْنَنَا وَصُخْمَانِ

٣٦٦٦- وَقَرَأْتُ أَكْثَرَهَا عَلَيْهِ فَرَادَنِي

وَاللَّهُ فِي عِلْمِ وَفِي إِيمَانِ

٣٦٦٧- هَذَا وَلَوْ حَدَّثْتُ نَفْسِي أَنَّهُ

قَبْلِي يُمُوتُ لَكَانَ غَيْرَ الشَّانِ

٣٦٦٨- وَكَذَلِكَ تَوْحِيدُ الْفَلَاسِفَةِ الأَلَى

تَوْحِيدُهُمْ هُوَ غَايَةُ الْكُفْرَانِ

- ٣٦٦٩- سَفَرٌ لَطِيفٌ فِيهِ نَقْضُ أَضُولِهِمْ
بِحَقِيقَةِ الْمَعْقُولِ وَالْبَرْهَانِ
- ٣٦٧٠- وَكَذَا تِسْعِينَ فِيهَا لَهُ
رَدٌّ عَلَى مَنْ قَالَ بِالنَّفْسَانِي
- ٣٦٧١- تِسْعُونَ وَجْهًا بَيَّنَتْ بُطْلَانَهُ
أَعْنِي كَلَامَ النَّفْسِ ذَا الْوَحْدَانِ
- ٣٦٧٢- وَكَذَا قَوَاعِدُهُ الْكِبَارُ وَإِنَّهَا
أَوْفَى مِنَ الْمَائَتَيْنِ فِي الْحُسْبَانِ
- ٣٦٧٣- لَمْ يَتَّسِعْ نَظْمِي لَهَا فَأَسُوقُهَا
فَأَشْرُتُ بَعْضَ إِشَارَةِ لِيَّيَانِ
- ٣٦٧٤- وَكَذَا رَسَائِلُهُ إِلَى الْبُلْدَانِ وَالْ
أَطْرَافِ وَالْأَصْحَابِ وَالْإِخْوَانِ
- ٣٦٧٥- هِيَ فِي الْوَرَى مَبْنُوتَةٌ مَعْلُومَةٌ
تُبْتَاعُ بِالْعَالِي مِنَ الْأَثْمَانِ
- ٣٦٧٦- وَكَذَا فَتَاوَاهُ فَأَخْبِرْنِي الَّذِي
أَضْحَى عَلَيْهَا دَائِمَ الطُّوقَانِ
- ٣٦٧٧- بَلَغَ الَّذِي أَلْفَاهُ مِنْهَا عِدَّةَ الْ
أَيَّامِ مِنْ شَهْرِ بِلَا نُقْصَانِ
- ٣٦٧٨- سَفَرٌ يَقَابِلُ كُلَّ يَوْمٍ وَالَّذِي
قَدْ فَاتَنِي مِنْهَا بِلَا حُسْبَانِ
- ٣٦٧٩- هَذَا وَلَيْسَ يَقْصِرُ التَّفْسِيرُ عَنْ
عَشْرِ كِبَارٍ لِسَنِّ ذَا نُقْصَانِ

٣٦٨٠- وَكَذَا الْمَفَارِيدُ الَّتِي فِي كُلِّ مَسْ

أَلَةٍ فَيَسْفُرُ وَاضِحُ التَّيْبَانِ

٣٦٨١- مَا بَيْنَ عَشْرٍ أَوْ تَزِيدُ بِضَعْفِهَا

هِيَ كَالنُّجُومِ لِسَالِكِ حَيْرَانَ^(١)

٣٦٨٢- وَلَهُ الْمَقَامَاتُ الشَّهِيرَةُ فِي الْوَرَى

قَدْ قَامَهَا اللَّهُ غَيْرَ جَبَانَ

٣٦٨٣- نَصَرَ الْإِلَهِ وَدِينَهُ وَكِتَابَهُ

وَرَسُولَهُ بِالسَّيْفِ وَالْبُرْهَانَ

٣٦٨٤- أَبْدَى فَضَائِحَهُمْ وَبَيَّنَ جَهْلَهُمْ

وَأَرَى تَنَاقُضَهُمْ بِكُلِّ زَمَانِ

٣٦٨٥- وَأَصَارَهُمْ وَاللَّهِ تَحْتَ نِعَالِ أَهْ

لِ الْحَقِّ بَعْدَ مَلَابِيسِ التَّيْبَانِ

٣٦٨٦- وَأَصَارَهُمْ تَحْتَ الْحَضِيضِ وَطَالَمَا

كَانُوا هُمْ الْأَعْلَامُ لِلْبُلْدَانِ

(١) [٣٦٧٨: ٣٦٨١] قال العلامة محمد خليل هراس:

واعلم أن ناحية التفسير كانت من أبرز ما برع فيه شيخ الإسلام، إلا أن معظمه قد ضاع لأنه لم يكن يكتبه، بل كان يلقيه على أصحابه، فكان من يدونه منهم يضمن أن يُظهره أو يخاف بسبب الفتنة، وقد سأله بعض أصحابه وهو أبو عبد الله بن رشيح أن يكتب على جميع القرآن، لما حبس آخر مرة، فكتب إليه الشيخ يقول: «إن القرآن فيه ما هو بين بنفسه وفيه ما قد بينه المفسرون في غير كتاب ولكن بعض الآيات أشكل تفسيرها على جماعة من العلماء، فربما يُطالع الإنسان عليها عدة كتب ولا يتبين له تفسيرها، وربما كتب المصنف الواحد في آية تفسيرًا ويفسر غيرها بنظيره، فقصدت تفسير تلك الآيات بالدليل، لأنه أهم من غيره، وإذا تبين معنى آية تبين معنى نظائرها». وأما مفرداته التي انفرد بها عن المذاهب الأربعة، فهي ما بين عشرة إلى عشرين، وفي كل مسألة منها سفر واضح، وهي كالنجوم التي يهندي بها في الظلمات فكم هدت من ضال وأرشدت من حيران. واعلم أن ما ذكره المؤلف هنا من كتب شيخه ومؤلفاته إنما هو إشارة إلى بعض أمهاتهم، فمن أراد الوقوف على ما خلف الشيخ من ثروة طائلة في ميدان البحث والتأليف فليرجع إلى كتب التراجم مثل (العقود الدرية) لابن عبد الهادي.

٣٦٨٧- وَمِنَ الْعَجَائِبِ أَنَّهُ بِسِلَاحِهِمْ

أَزْدَاهُمْ تَحْتَ الْحَضِيضِ الدَّانِي

٣٦٨٨- كَانَتْ نَوَاصِينَا بِأَيْدِيهِمْ فَمَا

مِنَّا لَهُمْ إِلَّا أَسِيرٌ عَانٍ

٣٦٨٩- فَعَدَّتْ نَوَاصِيهِمْ بِأَيْدِينَا فَلَا

يَلْقَوْنَنَا إِلَّا بِحَبْلِ أَمَانٍ

٣٦٩٠- وَغَدَّتْ مُلُوكُهُمْ مَمَالِكًا لِأَنَّ

صَارَ الرَّسُولَ بِمَنَّةِ الرَّحْمَنِ

٣٦٩١- وَأَتَتْ جُنُودُهُمُ الَّتِي صَالُوا بِهَا

مُنْقَادَةً لِعَسَاكِرِ الْإِيمَانِ

٣٦٩٢- يَدْرِي بِهَذَا مَنْ لَهُ خَبْرٌ بِمَا

قَدْ قَالَهُ فِي رَبِّهِ الْفِتْنَانِ

٣٦٩٣- وَالْفَدْمُ يُوْحِشُنَا وَلَيْسَ هُنَاكُمْ

فَحْضُورُهُ وَمَغْيِبُهُ سِيَانٍ^(١)

الشرح

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

المؤلف رَحِمَهُ اللهُ يمتن في هذا الفصل على ما كان أهل السنة والإثبات يصنفونه ويؤلفونه من الكتب التي تجمع حجج هؤلاء المعطلة.

قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ: (فصل في مصارع النفاة والمعطلين بأسنة أمراء الإثبات الموحدين). (أسنة) جمع سنان وهو الرمح الذي في طرفه زج، أي: حديدة للمربية أعلاها دقيق ينفر.

(١) [٣٦٨٩: ٣٦٩٣] قال العلامة محمد خليل هراس:

وغدت جنودهم التي كانوا يصولون بها أذلاء متقادين لعساكر المؤمنين والموحدين، ولا يدرك ذلك على حقيقته، ويعرف مقدار ما أبلى شيخ الإسلام رحمه الله في حماية الحق ونصرته إلا من كان له خبرة بما قاله الفريقان من المثبتين والمعطلين في الله رب العالمين.

(مصارع النفاة) جمع نَافٍ، (والمعطلين) جمع معطل.

(بأسنة أمراء الإثبات الموحدين) فجعل أهل الإثبات أمراء؛ لأن المقام مقام حرب والأمير في الحرب غير العالم في السلم، أمراء الحروب هم الذين يأمرون وينفذون.

وَإِذَا أَرَدْتُ تَرَى مَضَارِعَ مَنْ خَلَا مِنْ أُمَّةِ التَّغْطِيلِ وَالْكَفْرَانِ

قوله: (وإذا أردت ترى) والتقدير: إذا أردت أن ترى، وهذا الترتيب جائز في اللغة العربية، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ﴾ [الروم: ٢٤] أي: أن يريكم البرق.

وهنا: (إذا أردت ترى) أي: أن ترى.

وَتَرَاهُمْ أَسْرَى حَقِيرًا شَأْنُهُمْ أَيْدِيهِمْ غُلَّتْ إِلَى الْأَذْقَانِ

وَتَرَاهُمْ تَحْتَ الرِّمَاحِ دَرِيئَةً مَا فِيهِمْ مِنْ فَارِسٍ طَعَّانِ

قوله: (أَسْرَى) جمع أسير. وقوله: (حقيرًا شأنهم)؛ أي: ليسوا مكرمين ولا معطلين.

(وتراهموا تحت الرماح دريئة ما فيهموا من فارس طعان) أي: تراهم تحت رماح جنود الله عز وجل، وقوله: (دريئة) فعيلة بمعنى: مفعولة وهي من الدرء وهو الدفع، أي: مدفوعين لا يستطيعون المقاومة.

وَتَرَاهُمْ تَحْتَ السُّيُوفِ تَنُوشُهُمْ مِنْ عَن شَمَائِلِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِ

أي: تأتيهم السيوف من كل جانب تمزقهم.

وَتَرَاهُمْ أَنْسَلَخُوا مِنَ الْوَحْيِينَ وَالْ

العقل الصريح هذا الصحيح؛ لأن الصحة يوصف بها النقل الصحيح، والصرامة يوصف بها العقل.

قوله: (وتراهموا انسلخوا من الوحيين) الكتاب والسنة.

وقوله: (والعقل الصريح ومقتضى القرآن) أي: ما يقتضيه القرآن.

وَتَرَاهُمْ وَاللَّهُ ضُحْكَةً سَاخِرٍ وَلَطَّالِمًا سَاخِرُوا مَدَى الْإِيْمَانِ

أي: تراهم محلاً للضحك، ضحك من يسخر بهم؛ لأنهم سقطوا تحت جهاد أولياء الله - عز وجل -.

قَدْ أَوْحَشَتْ مِنْهُمْ رُبُوعَ زَادَهَا أَلْ جَبَّارُ إِيْحَاشًا مِنَ الْأَزْمَانِ

يعني (الربوع): جمع رُبْع، وهو ما يكون بمعنى الحي، أو القوم قد أوحشت منهم الديار، زادها الله إيحاشاً؛ لأنهم فقراء من الوحي، والعقل الصريح.

وَحَلَّتْ دِيَارُهُمْ وَشَتَّتْ شَمْلُهُمْ مَا فِيهِمْ رَجُلَانِ مُجْتَمِعَانِ

قوله: (خلت ديارهم) منهم لأنهم خروا. وقوله: (وشتت شملهم) تفرقوا وتمزقوا

قَدْ عَطَّلَ الرَّحْمَنُ أَفْئِدَةً لَهُمْ مِنْ كُلِّ مَعْرِفَةٍ وَمِنْ إِيْمَانِ
 أَي: أن الله عطل قلوبهم من معرفة الله ومن الإيْمَانِ به. فماروا في وحشة عظيمة وتشتت.
 إِذْ عَطَّلُوا الرَّحْمَنَ مِنْ أَوْصَافِهِ وَالْعَرْشَ أَخْلَوَهُ مِنَ الرَّحْمَنِ
 وذلك يانكارهم لاستواء الله على العرش.
 بَلْ عَطَّلُوهُ عَنِ الْكَلَامِ وَعَنْ صِفَا تِ كَمَالِهِ بِالْجَهْلِ وَالْبُهْتَانِ

فعطلوه عن الكلام والكمال، حيث قالوا: لا يتكلم. وقالوا: ليس له صفات كمال.
 قوله: (الجهل) عدم العلم. (والبهتان) عدم الصدق، فكلامهم خال من العلم، وخال من
 الصدق، فكله جهل بهتان - نسأل الله العافية -.

فَأَقْرَأْ تَصَانِيفَ الْإِمَامِ حَقِيقَةً شَيْخِ الْوُجُودِ الْعَالِمِ الرَّبَّانِيِّ
 أَغْنِي أَبَا الْعَبَّاسِ أَحْمَدَ ذَلِكَ أَلْ سَبْحَرِ الْمُحِيطِ بِسَائِرِ الْخُلُجَانِ

قوله: (اقرأ تصانيف الإمام حقيقة) فهو وصف شيخه ابن تيمية بأنه إمام، وأن إمامته حقيقة،
 وصدق رَحِمَهُ اللهُ، فإنه كان إماماً مدافعاً عن عقيدة السلف، بما ألفه من الكتب والرسائل الكبيرة
 والصغيرة إذا قرأت تصانيفه، عرفت الله به؛ وعليه من النعمة العظيمة في الحفظ والوعي والفهم
 وقوة الجدل حتى إنه يأتي للقوم بأدلة عقلية لا يأتون بها هم، ثم يفنّدها ويرد عليها رَحِمَهُ اللهُ.
 وقوله: (أبا العباس) كنية شيخ الإسلام ابن تيمية وليس له ولد؛ لأنه لم يتزوج رَحِمَهُ اللهُ، وعدم
 زواجه ليس عزوفاً عن السنة وليس فيما يظهر لعدم وجود شهوة فيه؛ لأنه أحياناً يتكلم عن الجماع
 كلام الإنسان العارف، لكن قال أهل العلم: إنه لم يتزوج لأنه كان مشغولاً بما يرى أنه أهم من
 الزواج وهو الدفاع عن السنة والانشغال بذلك.

وقوله: (بحر محيط لسائر الخُلُجَانِ) أي: علوم الناس كنسبة الخُلُجَانِ إلى البحار.

وَأَقْرَأْ كِتَابَ الْعَقْلِ وَالنُّقْلِ الَّذِي مَا فِي الْوُجُودِ لَهُ نَظِيرٌ ثَانٍ

قوله: (كتاب العقل والنقل) له اسم مشهور به، وهو العقل والنقل، وله اسمٌ مكتوب على هذا
 المؤلف، واسمه، (مواقفة صريح المعقول لصحيح المنقول) وهو معروف.

يقول ابن القيم أنه (ما في الوجود له نظيرٌ ثاني)؛ يعني: مما كتب وألف، وإلا فمعلوم أن
 كتاب الله - عز وجل - لا نظير له في الوجود، لكن فيما كتب وألف في بابه ليس له نظير.

وَكَذَلِكَ مِنْهَاجٌ لَهُ فِي رَدِّهِ قَوْلَ الرَّوَافِضِ شَيْعَةَ الشَّيْطَانِ

قوله: (المنهاج) أي: منهاج السنة في الرد على الشيعة، وعلى الكتاب المعظم عندهم، وهو
 كتاب (منهاج الكرامة في إثبات الإمامة)، وشيخ الإسلام يقول: يستحق أن يسمى هذا الكتاب

(منهج الندامة) وصدق رَحِمَهُ اللهُ.

وهذا الكتاب لا يوجد له نظير فيما نعلم في الرد على الروافض، وكل ما يستدلون به اليوم موجود في الكتاب مردودٌ عليه.

وفي هذا العام التقى بنا رجلٌ يقول: إنه كان متذبذبًا بين منهج السنة ومنهج الشيعة، وأنه متردد ويريد أن يبحث عن الحق فأتى بأحاديث في فضل آل البيت فوجدنا أن هذه الأحاديث موجودة في (المنهاج)، وقد رد عليها شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ، وكان يُركِّز في أول ما يرد عليهم: أولاً: المطالبة بصحة النقل (والمطالبة بصحة النقل) هذا هو الأصل؛ لأنه إذا لم يصح النقل فقد كفيينا، ما يحتاج أن نتعب في توجيهه أو حمله على كذا وكذا، فيكون أول ما يرد عليهم بهذا: المطالبة بصحة النقل، وهذا هو الحقيقة لأنه إذا سقط سقط الفرع.

ثانياً: في رده قول الروافض والروافض: جمع رافضي، أو رافضية، وسُموا بذلك؛ لأنهم رفضوا زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، حيث جاءوا يسألون عن أبي بكر وعمر يريدون منه أن يسبهما ويذمهما، فقال فيهما خيراً، وقال: هما وزيراً جدي. يقصد الرسول ﷺ، وكان الرسول يقول دائماً: خرجت أنا وأبو بكر وعمر، جئت أنا وأبو بكر وعمر، ولهذا دُفنا إلى جنبه ﷺ يقومون جميعاً يوم القيامة من هذا المكان جميعاً.

فهذه منقبة لا يناها أحد، فلما أثنى عليهما رفضوه، وعادوه، وقلبوا عليه ظهر المجن، ومن ذلك اليوم سُموا رافضة.

وقوله: (شيعة الشيطان) أي: أنهم ليسوا شيعة لآل البيت؛ لأن آل البيت ﷺ لا يمكن أن يقرأوا بما صنعه هؤلاء الشيعة فيهم من الغلو، ودعوى الإلهية وتفضيل بعضهم حتى على رسول الله ﷺ. وهم يقولون: إن لهم أئمة من آل البيت يدعون أنه لا يمكن أن تتحرك ذرة في الكون إلا من تحت إرادتهم، فجعلوهم شركاء مع الله في الربوبية التي نفاها المشركون أي: نفوا الشرك في الربوبية وهؤلاء أثبتوه؛ ولهذا وصفهم رَحِمَهُ اللهُ بأنهم شيعة الشيطان.

وَكَذَلِكَ أَهْلُ الْإِعْتِرَالِ فَإِنَّهُ أُرْدَاهُمْ فِي حُفْرَةِ الْجَبَّانِ

المعتزلة أرداهم شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ في حفرة الجبان، و(حفرة الجبان) أي: القبر والجبان صاحب المقبرة، وحفرته القبور، أي: قبرهم

وَكَذَلِكَ التَّاسِيسُ أَضْبَحَ نَقْضُهُ أَعْجُوبَةٌ لِلْعَالِمِ الرَّبَّانِيِّ

قوله: (التأسيس) كتاب للرازي: وهو كتاب مقدس عندهم أي: عند أهل الكلام، وشيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ نقض هذا التأسيس وصار يأتي به جملة جملة وينقضه نقضاً بالنقل وبالعقل.

وَكَذَلِكَ أَجُوبَةٌ لَهُ مُضَرِيَةٌ فِي سِتِّ أَسْفَارٍ كَتَبْنَ سَمَانَ

قوله: (أجوبة له مصرية) أي: هي بالفتاوى المصرية وهذه أجوبة في العقيدة، والفتاوى المصرية موجودة إلى الآن.

وقوله: (سنان) أي: ضخمة من السمن.

وَكَذَا جَوَابٌ لِلنَّصَارَى فِيهِ مَا يَشْفِي الصُّدُورَ وَإِنَّهُ سِفْرَانِ

يعني: مجلدين، ولعله يشير إلى (الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح).

وَكَذَلِكَ شَرْحُ عَقِيدَةٍ لِلأَصْبَهَانِي نِي شَارِحِ المَحْضُولِ شَرْحِ بَيَانِ

هذه موجودة أيضًا في الفتاوى القديمة، وهي في الحقيقة شرح مختصر لكنه مفيد جدًا، وكل الكلام فيه مبني على العقل، والنقل الصحيح، وهو عقل أهل الكلام، وقد قرأناه على شيخنا عبد الرحمن بن السعدي رَحِمَهُ اللهُ؛ لأنه كتاب مختصر ليس طويلاً.

فِيهَا التَّبَوَاتُ الَّتِي إِثْبَاتُهَا فِي غَايَةِ التَّقْرِيرِ وَالتَّبَيَانِ

قوله: (فيها) أي: في شرح (الأصبهانية) وهي شرح النبوات، قوله: (التي إثباتها) أي: إثباتها في غاية التقرير والتبيان.

وَاللَّهُ مَا لِأُولَى الكَلَامِ نَظِيرُهُ أَبَدًا وَكُتِبَهُمْ بِكُلِّ مَكَانِ

أعني: لم يؤلفوا نظير هذا الكتاب، وكتبهم موجودة في كل مكان، ومن أراد أن يطلع عليها حتى يعرف الفرق بين ما كتبه شيخ الإسلام ابن تيمية وما كتبه أهل الكلام، فلينظر!

وَكَذَا حُدُوثُ العَالَمِ العُلُويِّ وَالسُّفْلِيِّ فِيهِ فِي أتمِّ بَيَانِ

يعني: في شرح عقيدة الأصبهاني؛ إثبات حدوث العالم العلوي والسفلي في أتم البيان.

وَكَذَا قَوَاعِدُ الإِسْتِقَامَةِ إِنَّهَا سِفْرَانِ فِي مَا بَيْنَنَا وَضَحْمَانِ

كتاب (الاستقامة) أظنه مطبوع، معروف، (سفران) كما قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ أي: مجلدان.

وَقَرَأْتُ أَكْثَرَهَا عَلَيْهِ فَرَادَنِي وَاللَّهُ فِي عِلْمِهِ وَفِي إِيمَانِهِ

يقول رَحِمَهُ اللهُ: إنه قرأ أكثر هذه الكتب عليه وأنه زاده رَحِمَهُ اللهُ في علم وفي إيمان، وهكذا فائدة العالم ألا يحقن طلابه علمًا فقط، بل ينبغي أن يضيف إلى ذلك الإيمان، ويأتي بالأشياء التي تقوي إيمانهم ما استطاع.

فشيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ يقول عند ابن القيم: إنه زاده علمًا وزاده إيمانًا، وهذا فضل الله يؤتيه من يشاء.

هَذَا وَلَوْ حَدَّثْتُ نَفْسِي أَنَّهُ قَبْلِي يَمُوتُ لَكَانَ غَيْرَ الشَّانِ

يقول المؤلف: لو حدثت نفسي أنه يموت قبلي لكان غير الشأن، أي: غير عملي معه، أي:

لكنت ألزمه ليلاً ونهاراً وأخذ منه، وأقرأ عليه الكتب أكثر مما كان، وهو إشارة إلى أن رحمة الله كان يرى أن قراءته على شيخه فرصة العمر، لكنه ظن أن الأمد طويل، فأضاع بعض الوقت.

وَكَذَلِكَ تَوْحِيدُ الْفَلَّاسِفَةِ الْأَلْسَى تَوْحِيدُهُمْ هُوَ غَايَةُ الْكُفْرَانِ

هذا أيضاً رد على توحيد الفلاسفة لكنه يقول:

سَفَرٌ لَطِيفٌ فِيهِ نَقْضُ أَصُولِهِمْ بِحَقِيقَةِ الْمَعْقُولِ وَالْبَرْهَانِ

ولعله يشير إلى (نقض المنطق) وهو غير (الرد على المنطقيين). (فد نقض المنطق): سفر لطيف - كما قال ابن القيم - فيه قواعد عظيمة في إبطال كلام أهل المنطق وقواعدهم، وهو أيضاً مطبوع.

وَكَذَلِكَ تَشْعِينِيَّةٌ فِيهَا لَهُ رَدٌّ عَلَى مَنْ قَالَ بِالنَّفْسَانِي

تَشْعُونَ وَجْهًا بَيَّنْتَ بُطْلَانَهُ أَغْنِي كَلَامَ النَّفْسِ ذَا الْوُحْدَانِ

له كتاب اسمه (التشعينية) رد فيه على الأشاعرة الذين يقولون: إن كلام الله هو المعنى القائم بنفسه، فرد هذا القول من تسعين وجهاً رحمه الله.

ونحن لو أردنا أن نتبع الأوجه، ما نحصل ولا تسعة، أي: ولا عشر ما قال، لكن على كل حال، شيخ الإسلام كما قيل عنه، بحر، وعلومه من دونه خلجان.

وَكَذَا قَوَاعِدُهُ الْكِبَارُ وَإِنَّهَا أَوْفَى مِنَ الْمَائِتِينَ فِي الْحُسْبَانِ

قوله: (القواعد الكبار) لا أعرفها، لكن هي قواعد، يقول: إنها زادت على المائتين في الحسبان، وسأها قواعداً كباراً، وهي لا شك في العقيدة؛ لأن كل كلام المؤلف فيها ألفه شيخه في العقائد.

لَمْ يَتَسَّعْ نَظْمِي لَهَا فَأَسْوَقُهَا فَأَشْرُتْ بَعْضَ إِشَارَةِ لَيْبَانِ

وَكَذَا رَسَائِلُهُ إِلَى الْبُلْدَانِ وَالْأَطْرَافِ وَالْأَضْحَابِ وَالْإِخْوَانِ

هِيَ فِي الْوَرَى مَبْتُوثَةٌ مَعْلُومَةٌ تُبْتَاعُ بِالْغَالِي مِنَ الْأَثْمَانِ

لم يقتصر المؤلف رحمه الله ورضي عنه، على التأليف العام بل له رسائل خاصة إلى إخوانه، وإلى الأمراء وإلى الزعماء، وهذا معلوم في بعض المجموعات التي جمعت لشيخ الإسلام ابن تيمية، وكذلك أيضاً في الكتب التي كتبت في حياته، وهذه الرسائل موجودة.

وَكَذَا فَتَاوَاهُ فَأَخْبِرْنِي الَّذِي أَضْحَى عَلَيْهَا دَائِمَ الطُّوفَانِ

بَلَّغَ الَّذِي أَلْفَاهُ مِنْهَا عِدَّةَ أَلْ أَيَّامٍ مِنْ شَهْرٍ بِلَا نَقْضَانِ

سَفَرٌ يَقَابِلُ كُلَّ يَوْمٍ وَالَّذِي قَدْ فَاتَنِي مِنْهَا بِلَا حُسْبَانِ

هَذَا وَلَيْسَ يَقْصِرُ التَّفْسِيرُ عَنْ عَشْرِ كِبَارٍ لَسَنَّ ذَا نَقْصَانِ

أيضاً فتاواه كثيرة، مثل الفتاوى الكبرى: وهي عبارة عن فتوى يكتبها في ورقه، يُملئها على شخص، يقول إنها: (أخبرني الذي أضحى عليها دائم الطوفان) ولا أدري من هذا الذي أخبره؟ وقد بلغ الذي ألفه ثلاثين مجلداً؛ لأنه قال: (عدة الأيام من شهر)

وأيضاً له تفسير يبلغ عشرة مجلدات، ولكن لا أدري هل هذا التفسير شامل لكل القرآن أو لبعض الآيات والسور، وقد طُبِعَ له شيء من هذا حيث طبع ستة مجلدات منه.

وَكَذَا الْمَفَارِيدُ الَّتِي فِي كُلِّ مَسَدٍ أَلَّةٌ فَسَفَرٌ وَأَضْحُ الثِّيَابِ

مَا بَيْنَ عَشْرِ أَوْ تَزِيدُ بَضْعُفِهَا هِيَ كَالنُّجُومِ لِسَالِكِ حَيْرَانِ

كل هذه المؤلفات لشيخه وهي عظيمة مفيدة غاية الفائدة، ثم انتقل على مواقف أخرى للشيخ غير المؤلفات والرسائل.

وَلَهُ الْمَقَامَاتُ الشَّهِيرَةُ فِي الْوَرَى قَدْ قَامَهَا اللَّهُ غَيْرَ جَبَانِ

أي: مقامات يخاطب فيها الملوك والرؤساء والزعماء ويقاقل التتار، وغيرهم، فهي مقامات عظيمة شهيرة.

نَصَرَ الْإِلَآةَ وَدِينَهُ وَكِتَابَهُ وَرَسُولَهُ بِالسَّيْفِ وَالْبُرْهَانِ

قوله: (بالسيف) أي: في قتال الكفار. وقوله: (والبرهان) أي: في مجادلة المنافقين، والمؤلفات التي ألفها.

أَبْدَى فَضَائِحَهُمْ وَبَيَّنَ جَهْلَهُمْ وَأَرَى تَنَاقُضَهُمْ بِكُلِّ زَمَانِ

وَأَصَارُهُمْ وَاللَّهِ تَحْتَ نِعَالِ أَهْلِ الْحَقِّ بَعْدَ مَلَابِسِ التِّيْجَانِ

وهذا الذي حصل، كانوا فيه ملوكاً يلبسون التيجان فلما جاء شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ وَبَيَّنَ مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْبِاطِلِ صَارُوا تَحْتَ نِعَالِ أَهْلِ الْحَقِّ، وهذا من نعمة الله - سبحانه وتعالى - على المسلمين عموماً، وإلا لتطاول هؤلاء الأشرار على دين الله وعلى عباد الله.

وَغَدَّتْ مُلُوكُهُمْ مَمَالِكًا لَأَنَّهُ صَارَ الرَّشُورُ بِمِنَّةِ الرَّحْمَنِ

صار ملوكهم ممالك - والله الحمد - انقلاباً! فالملك صار مملوكاً.

وَأَتَتْ جُنُودُهُمُ الَّتِي صَالُوا بِهَا مُنْقَادَةً لِعَسَاكِرِ الْإِيمَانِ

فبعد أن كانت تُهاجم جاءت منقاداً.

يُدْرِي بِهَذَا مَنْ لَهُ حَبْرٌ بِمَا قَدْ قَالَهُ فِي رَبِّهِ الْفِتْنَانِ

وَالْقَدَمُ يُوْحِشُنَا وَلَيْسَ هُنَاكُمْ فَحُضُورُهُ وَمَغْيِبُهُ سِيَانِ

الله - سبحانه وتعالى - قيض للإسلام شيخ الإسلام ابن تيمية، ومن على شاكلته فنصر الله بهم دينه وأذل أعداءه - والحمد لله رب العالمين -.

قوله: (القدم) أي: مثل ما نقول للإنسان الذي ما عنده اتران رجل يتخبط في الأشياء.

قال في القاموس: (القدم:، والغليظ الأحق الجاف، والجمع: أقدام).

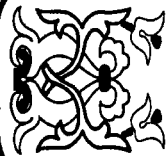
وهذا المعنى هو الذي ذكرناه.

ثم قال في القاموس: (وهي فدنة) أي: فدامة وفدومة. إذن له معنيان؛ فالأول: الذي ما يستطيع أن يُعَمَّرَ، والثاني: الغليظ الجاف.

مسألة: (يوحشنا) ما معنى الوحشة؟

الجواب: الظاهر من معناه: أن هذا القدم من غلظته، ولكن ليس له يد.





تَهْدِيدٌ بَيْنَ يَدَيْ الْفَصْلِ



قال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللهُ:

فصل

في بيان أن المصيبة التي حلت بأهل التعطيل والكفران
من جهة الأسماء التي ما أنزل الله بها من سلطان

اعلم أن العصمة والنجاة بالوقوف مع الألفاظ الشرعية؛ لأن الدين هو ما دلت عليه تلك الألفاظ من المعاني، فهي الكفيلة بكل هدى وبيان، العاصمة من كل خطأ وخطل وفساد، والتمسك بها قد استمسك بالعروة الوثقى، وهي التي دلالاتها الثلاث المطابقة والتضمن والالتزام وكلها حق وصدق، وأما الأسماء والألفاظ البدعية التي لم ترد في الكتاب والسنة فإن تعليق الاعتقادات والأقوال والأحكام عليها يجر إلى أقوال باطلة وضلال مبين، فانظر إلى أهل الكلام الباطل من الجهمية والمعتزلة والقدرية ومن تفرع عنهم لما علقوا اعتقاداتهم على الألفاظ البدعية ضلوا وأضلوا، ولو هدوا لرشدهم وتمسكوا بألفاظ الوحي ومعانيه لهدوا إلى الصراط المستقيم.



فصل

في بيان أن المصيبة التي حلت
بأهل التعطيل والكفران من جهة الأسماء
التي ما أنزل الله بها من سلطان

- ٣٦٩٤- يَا قَوْمِ أَضَلُّ بِلَائِكُمْ أَسْمَاءَ لَمْ
يُنزَلْ بِهَا الرَّحْمَنُ مِنْ سُلْطَانٍ
٣٦٩٥- هِيَ عَكْسَتُكُمْ غَايَةَ التَّعْكِيسِ وَاقِفْ
تَلَعْتُ دِيَارَكُمْ مِنْ الْأَرْكَانِ
٣٦٩٦- فَتَهَدَّمَتْ تِلْكَ الْقُصُورُ وَأَوْحَشَتْ
مِنْكُمْ رُبُوعَ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ
٣٦٩٧- وَالذَّنْبُ ذَنْبُكُمْ قَبْلُكُمْ لَفْظَهَا
مِنْ غَيْرِ تَفْصِيلٍ وَلَا فُزْقَانٍ
٣٦٩٨- وَهِيَ الَّتِي اشْتَمَلَتْ عَلَى أَمْرَيْنِ مِنْ
حَقِّ وَأَمْرِ وَاضِحِ الْبُطْلَانِ
٣٦٩٩- سَمِيئُكُمْ عَرْشُ الْمُهَيْمِينَ حَيْرًا
وَالْأَسْتَوَاءُ تَحْيِرًا بِمَكَانِ
٣٧٠٠- وَجَعَلْتُمْ فَوْقَ السَّمَوَاتِ الْعُلَا
جِهَةً وَسُقْتُمْ نَفِي ذَا بَوْرَانِ
٣٧٠١- وَجَعَلْتُمْ الْإِثْبَاتَ تَشْبِيهًا وَتَجْـ
سِيمًا وَهَذَا غَايَةُ الْبُهْتَانِ

- ٣٧٠٢- وَجَعَلْتُمْ الْمَوْصُوفَ جِسْمًا قَابِلَ الْ
 أَغْرَاضِ وَالْأَكْوَانِ وَالْأَلْوَانِ
 ٣٧٠٣- وَجَعَلْتُمْ أَوْصَافَهُ عَرَضًا وَهـ
 إِذَا كَلَّمَهُ جِسْرٌ إِلَى التُّكْرَانِ
 ٣٧٠٤- وَكَذَلِكَ سَمَّيْتُمْ حُلُولَ حَوَادِثِ
 أَفْعَالِهِ تَلْقِيبَ ذِي عُذْوَانِ
 ٣٧٠٥- إِذْ تَنْفِرُ الْأَسْمَاعُ مِنْ ذَا اللَّفْظِ نَفْ
 رَتَهَا مِنَ التَّشْبِيهِ وَالتَّقْضَانِ
 ٣٧٠٦- فَكَسَوْتُمْ أَفْعَالَهُ لَفْظَ الْحَوَا
 دِثِ ثُمَّ قُلْتُمْ قَوْلَ ذِي بَطْلَانِ
 ٣٧٠٧- لَيْسَتْ تَقُومُ بِهِ الْحَوَادِثُ وَالْمُرَا
 ذُ النَّفْيِ لِلْأَفْعَالِ لِللِّدْيَانِ
 ٣٧٠٨- فَإِذَا انْتَفَتْ أَفْعَالُهُ وَصِفَاتُهُ
 وَكَلَامُهُ وَعُلُوُّ ذِي السُّلْطَانِ
 ٣٧٠٩- فَبِأَيِّ شَيْءٍ كَانَ رَبًّا عِنْدَكُمْ
 يَا فِرْقَةَ التَّحْقِيقِ وَالْعِرْفَانِ
 ٣٧١٠- وَالْقَضْدُ نَفْيِ فِعَالِهِ عَنْهُ بِذَا الثَّ
 تَلْقِيبِ فِعْلِ الشَّاعِرِ الْفَتَّانِ
 ٣٧١١- وَكَذَلِكَ حِكْمَةُ رَبِّبَا سَمَّيْتُمْ
 عَلِيًّا وَأَغْرَاضًا وَدَانَ اسْمَانِ
 ٣٧١٢- لَا يَشْعِرَانِ بِمِدْحَةٍ بَلْ ضِدَّهَا
 فِيهِوْنَ حِينَئِذٍ عَلَى الْأَذْهَانِ

٣٧١٣- نَفِي الصِّفَاتِ وَحِكْمَةِ الْخَلَاقِ وَالْ

أَفْعَالِ أَنْكَارًا لِهَذَا الشَّانِ

٣٧١٤- وَكَذَا اسْتِوَاءِ الرَّبِّ فَوْقَ الْعَرْشِ قُلْدِ

ثُمَّ إِنَّهُ التَّرْكِيبُ ذُو الْبُطْلَانِ

٣٧١٥- وَكَذَاكَ وَجْهَ الرَّبِّ جَلَّ جَلَالُهُ

وَكَذَاكَ لَفْظُ يَدٍ وَلَفْظُ يَدَانِ

٣٧١٦- سَمِيئُكُمْ ذَا كُلِّهِ الْأَعْضَاءِ بَلْ

سَمِيئُكُمْ جَوَارِحِ الْإِنْسَانِ

٣٧١٧- وَسَطُوتُكُمْ بِالنَّفْيِ حَيْثُ ذِي عَلِيٍّ

كُنْفِينَا لِلْعَيْبِ مَعَ نُقْصَانِ

٣٧١٨- قُلْتُمْ تُنَزِّهُهُ عَنِ الْأَعْرَاضِ وَالْ

أَعْرَاضِ وَالْأَبْعَاضِ وَالْجُثْمَانِ

٣٧١٩- وَعَنِ الْحَوَادِثِ أَنْ تَحِلَّ بِذَاتِهِ

سُبْحَانَهُ مِنْ طَارِقِ الْحِدْثَانِ

٣٧٢٠- وَالْقَضُ نَفْيِ صِفَاتِهِ وَفِعَالِهِ

وَالْإِسْتِوَاءِ وَحِكْمَةِ الرَّحْمَنِ

٣٧٢١- وَالنَّاسِ أَكْثَرُهُمْ بِسَجْنِ اللَّفْظِ مَنْسِ

جُوتُونَ خَوْفَ مَعْرِةِ السَّجَّانِ

٣٧٢٢- وَالْكُلِّ إِلَّا الْفَرْدَ يَقْبَلُ مَذْهَبًا

فِي قَالِبٍ وَيَزُدُّهُ فِي ثَانِ

٣٧٢٣- وَالْقَضُ أَنَّ الذَّاتَ وَالْأَوْصَافَ وَالْ

أَفْعَالَ لَا تُنْفَى بِذَا الْهَدْيَانِ

٣٧٢٤- سَمُوهُ مَا شِئْتُمْ فَلَيْسَ الشَّأْنُ فِي أَلْ

أَسْمَاءٍ بَلْ فِي مَقْصِدٍ وَمَعَانٍ^(١)

٣٧٢٥- كَمْ ذَا تَوَسَّلْتُمْ بِنَفْسِي الْجِسْمِ وَالْث-

تَجْسِيمِ لِلتَّعْطِيلِ وَالْكَفْرَانِ

٣٧٢٦- وَجَعَلْتُمُوهُ الثُّرْسَ إِنْ قُلْنَا لَكُمْ

اللَّهُ فَوْقَ الْعَرْشِ وَالْأَكْوَانِ

٣٧٢٧- قُلْتُمْ لَنَا جِسْمٌ عَلَى جِسْمٍ تَعَا

لَى اللَّهُ عَنِ جِسْمٍ وَعَنْ جُثْمَانِ

٣٧٢٨- وَكَذَلِكَ إِنْ قُلْنَا الْقُرْآنَ كَلَامُهُ

مِنْهُ بَدَا لَمْ يَبْدُ مِنْ إِنْسَانِ

٣٧٢٩- كَلًّا وَلَا مَلَكٌ وَلَا لَوْحٌ وَلَا

كَنْ قَالَهُ الرَّحْمَنُ قَوْلَ بَيَانِ

٣٧٣٠- قُلْتُمْ لَنَا إِنَّ الْكَلَامَ قِيَامُهُ

بِالْجِسْمِ أَيْضًا وَهُوَ ذُو حَدَثَانِ

٣٧٣١- عَرَضَ يَقُومُ بِغَيْرِ جِسْمٍ لَمْ يَكُنْ

هَذَا بِمَعْقُولٍ لِذِي الْأَذْهَانِ

(١) [٣٧٢٤: ٣٧٢١] قال العلامة محمد خليل هراس:

ومن العجب أن الناس إلا أقلهم ممن عصم الله يحسون أنفسهم في دائرة الألفاظ ويؤثر فيهم جرسها وطينتها، فتذللهم عما وراءها من معانٍ، فإذا سمعوا لفظها يوهم شيئاً من النقص أو التشبيه فروا منه خشية الوقوع فيها يُناني السبحان، أي التنزيه، ومن العجب أن الناس أيضاً كلهم إلا الفرد بعد الفرد تراه يقبل مذهباً إذا صيغ له في قالب معين من الألفاظ، ثم يرفضه هو نفسه إذا صيغ في قالب آخر.

وجملة قولنا هؤلاء الثفأة أن ذات الله وصفاته وأفعاله لا يصح أن تُنفى بهذا الهراء، فإن العبرة ليست بما يتواضعون عليه من ألفاظ وأساء، بل بما وراء ذلك من معانٍ ومدلولات، فليسموا هذه الأشياء بما أرادوا، فإن ذلك لن يُغير من الحق شيئاً.

٣٧٣٢- وَكَذَٰكَ حِينَ نَقُولُ يَنْزِلُ رَبُّنَا

فِي ثُلُثِ لَيْلٍ آخِرِ أَوْ ثَانِ

٣٧٣٣- قُلْتُمْ لَنَا إِنَّ النُّزُولَ لِيَغِيرَ أَجْرَ

سَامٍ مُحَالًا لَيْسَ ذَا إِفْكَانٍ

٣٧٣٤- وَكَذَٰكَ إِنْ قُلْنَا يَرَى سُبْحَانَهُ

قُلْتُمْ أَجْسَمٌ كَمَا يَرَى بِعِيَانٍ

الشَّحْرُ

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

قوله: (فصل في بيان أن المصيبة التي حلت بأهل التعطيل والكفران من جهة الأسماء التي ما أنزل الله بها من سلطان) أي: أن هذه المصيبة التي حلت بهم: أنهم أحدثوا أسماء ما أنزل الله بها من سلطان؛ فصار هذا الإحداث موجباً للتشكيك والتليس كما سيتبين - إن شاء الله -
قوله رَحِمَهُ اللهُ:

يَا قَوْمِ أَضَلُّ بَلَائِكُمْ أَسْمَاءٌ لَمْ يَنْزِلْ بِهَا الرَّحْمَنُ مِنْ سُلْطَانٍ

(أسماء) بلا تنوين من أجل استقامة الوزن، أما إذا لم يكن هناك ضرورة فإن الواجب التنوين. كما قال الله تعالى: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا﴾ [النجم: ٢٣]؛ لكن تأتي (أسماء) غير منونة إذا كانت الألف فيها للتأنيث، مثل: (أسماء) اسم امرأة ولهذا يخطئ بعض الناس فيقول: إن لهؤلاء أسماءً حسنة، فإذا قال: إن لهؤلاء أسماءً حسنة صار المعنى يختلف اختلافاً عظيماً. وتكون (أسماء) هنا اسم امرأة.

الحاصل: أن (أسماء) جمع اسم منونة مصروفة؛ لكن في كلام المؤلف هنا لا تنون لإقامة الوزن.

يَا قَوْمِ أَضَلُّ بَلَائِكُمْ أَسْمَاءٌ لَمْ يَنْزِلْ بِهَا الرَّحْمَنُ مِنْ سُلْطَانٍ

هِيَ عَكْسَتُكُمْ غَايَةَ التَّعْكِيسِ وَأَقْفٌ

قوله: (عكستكم) أي: جعلت أموركم ترجع إلى الوراثة؛ لأن عكس الشيء ما يكون مقابلاً

على وجه الضد.

فَتَهَدَّمَتْ تِلْكَ الْقُضُورُ وَأَوْحَشَتْ

وَالدَّنْبُ ذَنْبُكُمْ قَبْلَتْكُمْ لَفْظَهَا

أي: سبب انعكاسكم وتهدم بنيانكم أنتم بأنفسكم؛ لأنكم قبلتم لفظها بدون تفضيل.

وَهِيَ الَّتِي اشْتَمَلَتْ عَلَى أَمْرَيْنِ مِنْ حَقِّ وَأَمْرِ وَاضِحِ الْبُطْلَانِ
 المعنى: أن هذه الألفاظ التي أثبتتموها اشتملت على أمرين: حق، وباطل، فأنتم قبلتموها على
 سبيل الإطلاق فدخل عليكم الباطل، أو نفيتموها على سبيل الإطلاق فنفيتم الحق.
 واللفظ إذا كان يحتمل معنى حقاً ومعنى باطلاً فالواجب التفصيل.

سَمَّيْتُمْ عَرْشَ الْمُهَيِّينِ حَيْرًا وَإِلِسْتِوَاءَ تَحْيِيزًا بِمَكَانِ
 وَجَعَلْتُمْ فَوْقَ السَّمَوَاتِ الْعُلَا جِهَةً وَسُقْتُمْ نَفِي ذَا بَوْرَانِ

يعني: أنهم قالوا: لو أننا أثبتنا أن الله - سبحانه وتعالى - على العرش لكان العرش حيزاً يحوز
 الشيء، كما يحوز الإناء الماء، فجعلنا الله - عز وجل - إذا كان مستويً على العرش متحيزاً، والتحيز
 ممنوع؛ لأنه على زعمهم يقتضي التمثيل، والتشبيه، ولهذا نفوا الحيز والتحيز. وهذا نفي للفظ
 يحتمل معنى حقاً ومعنى باطلاً، فإذا أطلقوا نفيه ودخل فيه نفي الحق، ولهذا سنذكر التفصيل في
 هذا - إن شاء الله -.

وَجَعَلْتُمْ فَوْقَ السَّمَوَاتِ الْعُلَا جِهَةً وَسُقْتُمْ نَفِي ذَا بَوْرَانِ

يعني: أنهم قالوا: إذا قلنا: إن الله فوق السموات لزم أن يكون في جهة، وإذا كان في جهة فقد
 أحاطت به الجهة وهذا يستلزم أن يكون الله - عز وجل - محاطاً به، إذن ننفي أن يكون فوق
 السماء؛ لأنها تستلزم الجهة - وسبحان الله - هؤلاء الذين يقولون ذلك.
 يقولوا: إن الله تعالى ليس فوق العالم، ولا تحته، ولا يمين، ولا يسار، ولا متصل، ولا منفصل،
 فنقول لهم: أنتم الآن نفيتم وجود الله.

وإما أن يقولوا إن الله بذاته في كل مكان، وحيث جعلوا الله تعالى محوزاً بالمخلوقات، إذا كان
 في الحجرة صارت جدران الحجرة محيطة به، فهم فرُّ من شيء ووقعوا فيما هو أشد منه.

وَجَعَلْتُمْ الْإِثْبَاتَ تَشْبِيهًا وَتَجَسُّمًا وَسَيِّمًا وَهَذَا غَايَةُ الْبُهْتَانِ

يعني: أنهم قالوا أيضاً: من أثبت فقد شبه؛ لأن الإثبات يستلزم التجسيم، وقالوا: الصفات
 عرض، والعرض لا يقوم إلا بالجسم، والأجسام متماثلة، فإذا أثبتنا صفة لزم إثبات جسم، وإذا
 أثبتنا جسماً لزم التشبيه، فنفوا الصفات من هذه الحيشية.

إذا الذي غرهم هنا إطلاق نفي الجسم، ولو أنهم فصلوا لاستقامت أمورهم، ولكنهم أطلقوا
 النفي فأنكروا من أجل هذا الإطلاق صفات الله - عز وجل -.

وَجَعَلْتُمْ الْمُؤْصُوفَ جِسْمًا قَابِلًا أَلْغَرَّاضِ وَالْأَكْوَانَ وَالْأَلْوَانَ

وَجَعَلْتُمْ أَوْصَافَهُ عَرَضًا وَهَذَا كُلُّهُ جِسْرٌ إِلَى التُّكْرَانِ

يعني أنهم قالوا أيضًا: إن الصفات أعراض، والأعراض حوادث؛ لأن العَرَضُ: هو ما يُعرض ثم يزول، والحوادث: لا تقوم بالأزلي الأبدى؛ لأن الحوادث لا تقوم إلا بحدوث، وقد سبق بيان زيف هذه الحجة وأنها باطلة، لكنهم يقولون هذا، ولهذا عندهم من أذكارهم الشريفة: سبحان من تنزه عن الأعراض والأغراض والأبعاض.

الأعراض: أي الصفات، والأغراض: أي الحكمة.

والأبعاض: أي اليد، والوجه، والعين، وما أشبهها.

كل هذا من أجل أن يتفوا ما وصف الله به نفسه من الصفات الكاملة.

وَجَعَلْتُمْ أَوْصَافَهُ عَرَضًا وَهَـ
ذَا كُلُّهُ جِسْرٌ إِلَى التُّكْرَانِ

وَكَذَلِكَ سَمَّيْتُمْ حُلُولَ حَوَادِثِ
أَفْعَالِهِ تَلْقَيْبَ ذِي عُذْوَانِ

يعني: جعلوا أفعال الله حلول حوادثٍ بالله، وقالوا: لا تحمل الحوادث إلا بحدوث تمنع الأفعال.

إِذْ تَنْفِرُ الْأَسْمَاعُ مِنْ ذَا اللَّفْظِ نَفْ
رَتَهَا مِنَ الشُّبْهِهِ وَالتَّقْصَانِ

فَكَسَوْتُمْ أَفْعَالَهُ لَفْظَ الْحَوَا
دِثِ ثُمَّ قُلْتُمْ قَوْلَ ذِي بَطْلَانِ

لَيْسَتْ تَقُومُ بِهِ الْحَوَادِثُ وَالْمُرَا
دُ التَّقْيِ لِلْأَفْعَالِ لِلدِّيَانِ

يعني: أنهم إذا نفوا أفعال الله بحجة أن الأفعال حادثه، والحادث لا يقوم إلا بحدوث، فالله - عز وجل - أذليُّ أبدي ليس بحدوث، ولا يفنى.

فَإِذَا انْتَفَتْ أَفْعَالُهُ وَصِفَاتُهُ
وَكَلَامُهُ وَعَلُوُّ ذِي السُّلْطَانِ

فَبِأَيِّ شَيْءٍ كَانَ رَبًّا عِنْدَكُمْ
يَا فِرْقَةَ التَّحْقِيقِ وَالْعَرْفَانِ

يعني: أنهم نفوا الأفعال بحجة أنها حوادث، والحوادث لا تقوم إلا بحدوث، ونفوا الصفات بحجة أنها أعراض، والأعراض لا تقوم إلا بالأجسام، والأجسام متائلة.

وأيضًا نفوا الفوقية وقالوا: إنها تستلزم أن يكون الله في جهة، والجهة تحيط بما فيها، فيجب نفي العلو.

كذلك نفوا الاستواء على العرش؛ لأن العرش حيزٌ أي: مكان يجوز من فيه، فإذا أثبتنا الاستواء على العرش لزم أن يكون الله متحيزًا، فيجب نفي استواء الله على العرش، وسبق أنهم نفوا الكلام، فإذا نفوا صفاته، وأفعاله، وكلامه، وعلوه فماذا يبقى؟!

ولهذا قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

فَبِأَيِّ شَيْءٍ كَانَ رَبًّا عِنْدَكُمْ
يَا فِرْقَةَ التَّحْقِيقِ وَالْعَرْفَانِ

قوله (يا فرقة التحقيق والعرفان): على وجه الحقيقة وعلى وجه السخرية والاستهزاء بهم، لأنهم أهل لأن يسخر بهم ويستهزاء بهم.

وَالْقَصْدُ نَفِي فَعَالِهِ عَنْهُ بِذَا الشَّ تَلْقَيْبِ فِعْلِ الشَّاعِرِ الْقَتَّانِ

يعني: القصد أنكم تنفون أفعاله بهذا التلقين، وهو أن الحوادث لا تقوم إلا بحادث، ومعلوم أننا إذا نفينا أن يكون فاعلاً - عز وجل - لزم أن يكون أشل لا يفعل، والشلل نقص، فهم فروا بزعمهم عن إثبات النقص، ووقعوا في نقص أشد، كما أنهم إذا نفوا الكلام؛ لزم أن يكون أخرس، والخرس نقص، والذين أثبتوا الكلام جعلوه كلاماً نفسياً، ليس بكلام حقيقي ولا بحرف ولا بصوت، وقد سبق أن ابن القيم رحمه الله ذكر أن شيخ الإسلام رد عليهم من تسعين وجهاً في كتاب سماه (التسعينية).

يقول:

وَكَذَلِكَ حِكْمَةُ رَبِّنَا سَمَّيْتُمْ
عَلِلاً وَأَعْرَاضاً وَذَانِ اسْمَانِ
لَا يَشْعِرَانِ بِمِدْحَةٍ بَلْ ضِدِّهَا
فِيَهُنَّ حَيْثُ عَلَى الْأَذْهَانِ
نَفَى الصِّفَاتِ وَحِكْمَةُ الْخَلَاقِ وَالْ
أَفْعَالِ إِنَّكَارًا لِهَذَا الشَّانِ

سبحان الله أيضاً نفوا الحكمة، وإذا انتفت حكمة الرب - عز وجل - لزم أن تكون أفعاله كلها لعباً وسدى؛ لأن من لا حكمة له لو أصاب الحكمة فقد أصابها عن غير قصد، وإلا فالأصل أن أفعاله كلها سفه وقالوا: لو أثبتنا الحكمة لزم أن تكون إرادة الله متعلقة بالأغراض، أي: أن له غرضاً. فيقال لهم: أنتم ممن تثبتون الإرادة، والإرادة أيضاً إنما تكون من أجل أن ينال المرید ما يقصده. والحكمة لا تكون فعلً من أفعال الله تعالى إلا مقروناً بها وليست غرضاً يعود نفعه إلى الله، بل هي حكمة يعود نفعها إلى المخلوق. أما الله عز وجل فإنه غني عنها لا يحتاج إليها كما قال تعالى: ﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا وَرِضَةُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [الزمر: ٧]. لكن الحكمة التي تقتضيها أفعال الله عز وجل أو التي تقتضي أفعال الله عز وجل هي: حكمة تتعلق بمصالح المخلوق، ودفع الضرر عنه، وليست غرضاً ينتفع به الفاعل، وهو الله عز وجل.

وهم يسمون الحكمة علة وغرضاً من أجل تغير الناس عن إثبات الحكمة، وسبحان الله يسموا الحكمة الخفيفة الوقعة على السمع، بالسلسلة على اللسان، ويسمونها علة ويسمونها غرضاً من أجل أن يُفروا الناس عن قبولها - نسأل الله العافية - فهم جنوا على أنفسهم وبنوا على غيرهم.

قوله: (لا يشعران) الضمير هنا يعود على العلة والأغراض.

قوله: (لا يشعران بمدحه بل ضدها) أي: بل بضدها فيهن حيث يد على الأذهان نفي الصفات.

- (وحكمة الخلاق والأفعال) يعني: ونفي الأفعال وقوله: (إنكاراً لهذا الشأن) أي: لهذا اللفظ الذي أحدثوه لينفروا الناس عن إثبات هذا المعنى لله عز وجل.

وَكَذًا اسْتَوَاءَ الرَّبِّ فَوْقَ الْعَرْشِ قَدْ ثُمَّ إِنَّهُ التَّرْكِيبُ ذُو بَطْلَانِ

يعني: أنهم قالوا: إن استواء الله على العرش، من التركيب، أي: تركيب جوار على زعمهم - كما سبق في أقسام التركيب - وليس تركيب اختلاط. ونحن نقول: اين التركيب؟

الرب عز وجل مُسْتَعْنٍ عن العرش وعن غيره، والعرش قائم بالله فلولا الله ما قام العرش، فأين التركيب الذي يفتقر فيه الجار إلى جاره؟! إذاً الله عز وجل غني عن العرش وعن غيره؛ لكنهم يقولون - هذا أيضاً من العلل التي نفوا بها الاستواء - إنه يلزم منه التركيب، ولا شك أن هذا معنى باطل؛ لأن التركيب هنا غير وارد إطلاقاً.

وَكَذًاكَ وَجْهَ الرَّبِّ جَلَّ جَلَالُهُ وَكَذًاكَ لَفْظُ يَدٍ وَلَفْظُ يَدَانِ

سَمِيئُ ذَا كُلِّهِ الْأَعْضَاءِ بَلْ سَمِيئُوهُ جَوَارِحِ الْإِنْسَانِ

قالوا: إذا قلنا: إن لله وجهًا، وإن له يداً أو يداً لزم أن ثبت له أبعاضاً وأعضاء، والله منزّه عن ذلك.

قوله: (سميئوه جوارح الإنسان) لأنهم يقولون: لو أثبتنا لله يد (اليَد) جارحة كجارحة الإنسان، وإذا كانت اليد جارحة للإنسان كانت كاسبة، كما قال تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْتُمْ مَنِ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ﴾ [المائدة: ٤] أي: من القواصد.

فسنجعل يد الله عز وجل كيد المخلوق فنقول لهم: لو أنكم سلمتم من التشبيه لعلمتم أن لله يداً ليست كيد المخلوق.

وإذا قالوا أن اليد عضو أو إن اليد بعض وكل، وما أشبه ذلك.

نقول نحن ثبت لله ما أثبتته لنفسه من اليد وجميع الصفات، ولا نقول: إنها بعض الله ولا عضو الله وإن كان نظير مُسَاهَا بالنسبة إلينا بعض وعضو؛ لكن بالنسبة لله لا نقول بعض، ولا نقول عضو، بل نقول: يد الله، حق على حقيقتها، ونحن إذا لزمنا الأدب مع الله ومع رسوله ﷺ وأثبتنا ما أثبتته الله بدون أن نزيد سلمنا من هذه التقديرات.

وَسَطَوْتُمْ بِالنَّفْيِ جِيئَ عَلَيَّ هِ كَتَيْبِنَا لِلْعَيْبِ مَعِ نَقْصَانِ

يعني: أنكم نفيتم نفيًا قاطعًا لهذه الصفات كما نفى العيب والنقصان.

قُلْتُمْ نَزَّهَهُ عَنِ الْأَعْرَاضِ وَالْأَعْرَاضِ وَالْأَبْعَاضِ وَالْجُثْمَانِ

وَعَنِ الْحَوَادِثِ أَنْ تَحِلَّ بِذَاتِهِ سُبْحَانَهُ مِنْ طَارِقِ الْحَدَثَانِ

أى: ننزّهه عن الأعراض، والأغراض، والأبعاض، والجسمان يعني الجسم، (وعن الحوادث أن تحل بذاته) يريد بذلك نفي الأفعال.
قوله (سبحانه): يعني تنزيها له.

وقوله (من طارق الحدثان): يعني: سبحانه أن يطرقه شيء حادث، وكل هذا والعياذ بالله يقصد به نفي ما جاء في الكتاب والسنة من صفات الله، ولهذا قال: والقصد نفي صفاته وفعاله والاستواء وحكمة الرحمن.

وَالنَّاسُ أَكْثَرُهُمْ بِسَجْنِ اللَّفْظِ مَحْدٍ
بوسونَ خَوْفَ مَعْرَةِ السَّجَانِ

يعني: أن أكثر الناس يعتمد على اللفظ فيغتر به إثباتاً أو نفيًا، فتجده محبوساً بسجن اللفظ ما ينظر للمعنى، ولا ينظر للهدف، ولا ينظر للمقصود، وإنما ينظر لظاهر اللفظ فقط.
قوله: (خوف معرفة السجان): أي خوفاً من أن يخالف فيسجن سجنًا جسدياً لكنه في الحقيقة مسجون سجنًا ذهنيًا وعقليًا.

وَالْكُلُّ إِلَّا الْفَرْدَ يَقْبَلُ مَذْهَبًا
فِي قَالِبٍ وَيَرُدُّهُ فِي ثَانٍ

يعني: أن الذين يعتمدون على مجرد اللفظ إذا أتيت بالمعنى في لفظ، ثم أتيت به في لفظ ثانٍ قبله في اللفظ الأول، وردّه في اللفظ الثاني مع أن المعنى واحد، لكن لأنه لفظي لا يعرف المعنى ولا يدركه، ويعتمد على مجرد اللفظ فيقول مثلاً: - إن الله مُنْزَعٌ عن الأبعاض - سبحانه-، ويُسَبِّحُ الله، ويُقدِّسُ الله إذا قلت أن الله مُنْزَعٌ عن الأبعاض، لكن لو قلت أن الله ليس له يد- قال: أَعُوذُ بِاللَّهِ- تنكر يد الله، وقد أثبتها الله لنفسه.

والمعنى واحد، لكن في الغالب الأول قُبِلَ لأنك قلت: إن الله مُنْزَعٌ عن الأبعاض لذلك يقول: سبحان من لا بعض له-، وإن قلت: الله ليس له يد قال- أَعُوذُ بِاللَّهِ- تنكر ما جاء في القرآن، والمعنى واحد، لكن اللفظ مختلف، وهذا يقع كثيرًا، وما أكثره عند أهل الحيل، الحيل وما أدراك ما الحيل، تجد الإنسان يصوغ الشيء في قالب، هو معنى الشيء الممنوع مثل: حيل الناس على الربا، وغيره فإذا نظرت إلى ظاهر الفعل قلت: - صحيح لا شيء فيه، لكن معناه والمراد منه فاسد وكله سواء؛ وهكذا الألفاظ أيضًا يتلاعب بها بعض الناس حتى يغري الآخرين.

وَالْقَضُ أَنْ الدَّاتِ وَالْأَوْصَافِ وَالْأَفْعَالِ لَا تُنْفَى بِدَا الْهُدْيَانِ

صدق بِحَالِهِ يعني: ذات الله، وصفاته وأفعاله لا تنفى بمثل هذا الهديان، ولا يمكن أن ينطلي هذا الهديان إلا على شخص ليس له عقل وتفكير.

سَمُوهُ مَا شِئْتُمْ فَلَيْسَ الشَّأْنُ فِيهِ إِذْ

أَسْمَاءٌ بَلْ فِي مَقْصِدٍ وَمَعَانٍ
كَمْ دَا تَوَسَّلْتُمْ بِنَفْسِي الْجِسْمِ وَالتَّ

تَجْسِيمِ لِلتَّعْطِيلِ وَالْكَفْرَانِ

قوله: (توسلتم): يعني جعلتم لفظ الجسم إثباتاً أو نفيًا ولفظ التجسيم إثباتاً أو نفيًا جعلتموه وسيلة للتعطيل والكفران.

قوله: (الجسم والتجسيم): الفرق بينهما ظاهر، الجسم منفصل عن المتكلم، والتجسيم كقول المتكلم أن يقول بلسانه، ويعتقد بقلبه الجسم، والجسم هو الشيء المنفصل.

وَجَعَلْتُمُوهُ التُّرْسَ إِنْ قُلْنَا لَكُمْ

اللَّهُ فَزُوقُوا الْعَرْشَ وَالْأَكْوَانَ

قوله: (جعلتموه): يعني الجسم والتجسيم.

قوله: (الترس): يعني الوقاية التي يتوقى بها الإنسان عند القتال، وهو شيء من جلد قوي يُصنع على مثل صاج الخبز يمسه الفارس، أو المقاتل في يده اليسرى، ويكون السيف والرمح في يده اليمنى، فإذا رأى أحداً قد كر عليه قال هكذا بيده يتقي به السهام، فهم جعلوا الترس مثل هذه الألفاظ.

قوله: (إذا قلنا أن الله فوق العرش قالوا): هذا ترس لا يجوز (الله فوق العرش) وإن قلنا لكم: الله فوق العرش والأكوان.

قُلْتُمْ لَنَا جِسْمٌ عَلَى جِسْمٍ تَعَا لَى اللَّهُ عَن جِسْمٍ وَعَن جُثْمَانٍ

فإذا قلنا إن الله فوق العرش قالوا جسمٌ على جسم، على جسم صحيح؛ لأن العرش جسم لا شيء، لكن جسم هو الله، نحن لا نقول إن الله جسم، ولا إنه ليس بجسم حتى نستفسر عن المعنى. ماذا تريد بأن الله جسم؟ إذا قال أريد أن الله - سبحانه وتعالى - جسم كالأجسام ماذا نقول؟ نقول: هو بهذا المعنى باطل، لا نقول إن الله جسم، وإذا قال أريد أن الله جسم أي: ذات متميزة عن غيرها بآئنة مُتصِفة بالصفات اللائقة بها قلنا: هذا حق؛ ثم قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ (قلتُم): القائل من؟ المنكر للاستواء؛ المعطل.

قوله: (جسم على جسم تعالى الله عن جسم وعن جسمان):

ما أعظم هذه الكلمة لا سيما إذا صرخ بها عند العامة رجل من أهل السنة جاء يُقرر، ويقول إن الله استوى على العرش استواء يليق بجلاله، وعنده رجل (معطل) قال - أعود بالله - تقول: إن الله مستوٍ على العرش؟! قال نعم قال - أعود بالله - قال: (جسم على جسم تعالى الله) يرفع صوته جداً ماذا يقول العامة؟ فالعامة يصيحون مثلما صاح، ويضربون بأن يحطم على رؤوسهم، وكيف يقول إن الله جسم على جسم؟ مع أن جسم على جسم يقابلها في المعنى الصحيح استوى على العرش؛ لكنه قال جسم على جسم من أجل التنفير، من أجل تنفير العامة، أما لو قال: استوى على العرش؛ فقال العامة كلهم، صدقت.

وَكَذَلِكَ إِنْ قُلْنَا الْقُرْآنَ كَلَامُهُ مِنْهُ بَدَأَ لَمْ يَبْدُ مِنْ إِنْسَانٍ

كَلَاءً وَلَا مَلَكٌ وَلَا لَوْحٌ وَلَا
كِنْ قَالَهُ الرَّحْمَنُ قَوْلَ بَيَانٍ
قُلْتُمْ لَنَا إِنَّ الْكَلَامَ قِيَامُهُ
بِالْجِسْمِ أَيْضًا وَهُوَ ذُو حَدَثَانِ
عَرَضٌ يَقُومُ بِغَيْرِ جِسْمٍ لَمْ يَكُنْ
هَذَا بِمَعْقُولٍ لِذِي الْأَذْهَانِ

إذا قلنا أن القرآن كلام منه بدا لم يبدو من إنسان خلافاً لمن قال: (إن هذا إلاقول البشر)، ولم يبدو من ملك خلافاً لمن قال: إن جبريل هو الذي تكلم به، ولم يتكلم به الله، ولا لوح خلافاً لمن قال: إن الله خلق روح في اللوح المحفوظ، فأخذها جبريل من اللوح.

نحن نقول: القرآن كلام الله يقولون لنا: إن الكلام قيامه بالجسم أيضاً، فإذا أثبت أن الله يتكلم فقد أثبتنا أنه جسم، والجسم عندهم ممنوع، فيمتنع على هذا الكلام، ثم يقولون أيضاً: (والكلام ذو حدثان)، وهذا لا يقول به الأشاعرة؛ لأن الأشاعرة عندهم أن الكلام هو المعنى القائم بالنفس أزليٌ أبدي، لكن يقوله الجهمية والمعتزلة، ومن شابههم، إن القرآن حادث، فيقولون إذن وصفتم الله - تعالى - بأنه تقوم به الحوادث؛ إذا أثبتتم الكلام، ونحن لا نقول به، فانظر كيف كان عاقبة هؤلاء الذين يؤصلون قواعد يرونها عقلية وهي وهمية؟! كيف أدى بهم هذا إلى إنكار ما وصف الله به نفسه؟! نسأل الله لنا ولكم الثبات.

والماتريدية: يوافقون الأشاعرة فيما ذهبوا إليه؛ لكنهم أتباع أبي منصور الماتريدي ويقولون: إن الفرق بينهم وبين الأشاعرة في مسائل بسيطة، ذكر السفاريني صاحب شرح العقيدة السفارينية أنهم يثبتون صفة الخلق، والأشاعرة لا يثبتونها. لكنهم يوافقون الأشاعرة في كل شيء إلا في هذه الصفة، ولكنهم يخالفونهم في بعض الأوصاف ثم لا يثبتونها.

وَكَذَلِكَ حِينَ تَقُولُ يَنْزِلُ رَبُّنَا
فِي ثُلُثِ لَيْلٍ آخِرٍ أَوْ ثَانٍ
قُلْتُمْ لَنَا إِنَّ النُّزُولَ لِغَيْرِ أَجْزٍ
سَامٍ مُحَالٌ لَيْسَ ذَا إِمْكَانٍ

أهل السنة والجماعة يقولون: إن الله ينزل بنفسه إلى السماء الدنيا في ثلث الليل الآخر، أو ثلث الليل الأوسط، ولهذا قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ: (ثلث الليل الآخر أو ثانٍ) يعني: الثلث الأخير أو (ثانٍ) يعني: الثلث الأوسط؛ لأن في بعض الأحاديث إنه ينزل حين يبقى نصف الليل. وقوله: (قلتم لنا إن النزول لغير أجسام محال ليس ذا إمكان) يعني: فإذا أثبتتم النزول أثبتتم أنه جسم، والجسم عندهم ممنوع؛ لأن الأجسام متناهلة.

وَكَذَلِكَ إِنْ قُلْنَا يَرَى سُبْحَانَهُ
قُلْتُمْ أَجْسَمٌ كَيْ يَرَى بَعِيَانٍ

(أجسم): هذا الاستفهام للإنكار يعني: هل هو جسم حتى يرى؟ وإذا كان كذلك نفوا الرؤية.

المهم قد ذكر المؤلف في هذه الآيات عدة صفات لله رب العالمين منها:-

- النزول إلى السماء الدنيا ثبت في الصحيحين، وغيرهما من حديث أبي هريرة وغيره (أنه ينزل إلى السماء الدنيا) ينزل هو نفسه - عز وجل - إلى السماء الدنيا، واعلم أن القاعدة المستقرة أن كل شيء يُضاف إلى الله فهو يعني: نفسه، وهذا على الأصل.

أي: كل ما أُضيف إلى الله فهو إليه نفسه، كما قرر ذلك ابن القيم في (مختصر الصواعق)، وهو ظاهر اللفظ، فما أضافه الله لنفسه فهو لنفسه، هذا هو الأصل إلا أن يمنعه مانع، فإذا جاء في الحديث «يَنْزِلُ رَبَّنَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ فَيَقُولُ مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبُ لَهُ، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيهِ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرُ لَهُ؟».

كان المراد بالنزول نزول الله نفسه، لكن أهل التحريف أبوا إلا أن يقولوا (ينزل ربنا) وقالوا: ينزل أمره، والرد عليهم أن نقول: أمر الله ينزل إلى الأرض، وإلى السموات في كل وقت.

قال الله تعالى: ﴿يُدَبِّرُ الْأُمُورَ إِلَى السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ...﴾ [السجدة: ٥]، قالوا: إن الذي ينزل رحمته قلنا. هذا كالأول الرحمة تنزل كل وقت، ولا تنتهي بالسماء، أو بالأرض، ونزول الرحمة إلى السماء الدنيا لا فائدة لنا منها فقالوا: ينزل ملك من ملائكته قلنا: الملك لا يمكن أن يقول من يدعوني فأستجيب له؛ لأنه لو قال الملك هذا الكلام لكان كُفْرًا، حيث جعل الملك نفسه إلهًا مُجيبًا.

إذن يتعين أن الذي ينزل هو الله، ولكن هل نقول بكيفية معينة لنزوله؟ لا هذا حرام، هل نقول إذا نزل صارت السماء الدنيا فوقه؟ لا؛ لأن الله له العلو المطلق، فهو ينزل، وإن كان في العلو، فإذا قال قائل هذا غير معقول قلنا: هو غير معقول بالنسبة للمخلوق، أما بالنسبة للخالق فإنه لا يحاط بصفاته، والواجب علينا أن نقول: ينزل وهو فوق كل شيء.

فإن قال قائل: هل يخلو منه العرش إذا نزل؟

قلنا: هذا السؤال سؤال بدعة، كما قال مالك فيمن قال كيف استوى؟ قل هذا سؤال بدعة، ولهذا كان القول الراجح في هذه المسألة هو ألا نسأل، هل يخلو من العرش أو لا؟

وَكَذَلِكَ إِنْ قُلْنَا يَرَى سُبْحَانَهُ قُلْتُمْ أَجْسَمٌ كَمَا يَرَى بَعِيَانِ

قوله: (يرى سبحانه) يعني: أن الله عز وجل يرى في الآخرة، أما في الدنيا فلا يرى فلم نعلم أن أحدًا رآه إلا النبي ﷺ في المنام، أما في اليقظة فما رآه أحد، ولهذا لما قال موسى - عليه الصلاة والسلام - في قوله تعالى: ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾ قَالَ لَنْ تَرِنِي وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرِنِي فَلَمَّا بَلَغَ رُؤُوسَ الْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا ﴿[الأعراف: ١٤٣]، فإذا كان الجبل، وهو الأصم الحجري لم يستقم لرؤية الله فما بالك بالبشر؟! ولهذا خر موسى صعقًا من هول ما رأى قال تعالى: ﴿فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

أما في الآخرة فيرى، وقد جاءت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية صريحة في ذلك، ولهذا

حكم بعض السلف بكفر من أنكر رؤية الله في الآخرة، لأنه أنكر شيئاً صريحاً في القرآن كما قال الله عز وجل: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣] ناصرة الأولى بالضاد يعني: حسنة أي: من النظر والنضارة وهي الحسن ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ من النظر، ولهذا تجدون الأولى مكتوبة بالضاد والثانية مكتوبة بالطاء؛ لأنها من النظر.

وقال تعالى في أصحاب الجحيم: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَّحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥]، فلما حجب هؤلاء في حال الغضب دل على أن الآخرين غير محجوبين.

أما السنة فإن الرسول (عليه الصلاة والسلام) قال: «إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ عَيَانًا، كَمَا تَرُونَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ»، وفي حديث آخر: «كَمَا تَرُونَ الشَّمْسَ صَحْوًا لَيْسَ دُونَهَا سِحَابٌ»، وهذا لا يمكن أن يُراد به المجاز؛ لأنه صريح واضح عياناً بالعين؛ كما ترون القمر، كما ترون الشمس. ، والتشبيه هنا ليس تشبيهاً للمرء بما رأى، ولكن للرؤية بالرؤية، كما تقول مثلاً: رأيت الجمل كرؤيتي لهذا الباب مثلاً، أو رأيت سيارة فلان، كما أرى سيارتك، فلا يلزم من هذا التساوي المرئي.



* قوله رَحْمَةً:

٣٧٣٥- أَمْ كَانَ ذَا جِهَةٍ تَعَالَىٰ رَبُّنَا

عَنْ ذَا فَلَيْسَ يَرَاهُ مِنْ إِنْسَانٍ

٣٧٣٦- أَمَا إِذَا قُلْنَا لَهُ وَجْهٌ كَمَا

فِي النَّصِّ أَوْ قُلْنَا كَذَاكَ يَدَانِ

٣٧٣٧- وَكَذَاكَ إِنْ قُلْنَا كَمَا فِي النَّصِّ إِنْ

نَ الْقَلْبَ بَيْنَ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ

٣٧٣٨- وَكَذَاكَ إِنْ قُلْنَا الْأَصَابِعُ فَوْقَهَا

كُلُّ الْعَوَالِمِ وَهِيَ ذُو رَجْفَانٍ

٣٧٣٩- وَكَذَاكَ إِنْ قُلْنَا يَدَاهُ لِأَرْضِهِ

وَسَمَائِهِ فِي الْحَشْرِ قَابِضَتَانِ^(١)

(١) [٣٧٣٦: ٣٧٣٩] قال العلامة محمد خليل هراس:

أو أثبتنا له الأصابع كما ورد في الحديث الصحيح «إن القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف شاء» أو إذا قلنا بما ورد في تفسير البخاري عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن حبراً من الأبحار جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: يا

٣٧٤٠- وَكَذَلِكَ إِنْ قُلْنَا سَيَكْشِفُ سَاقَهُ

فِيخِرُّ ذَاكَ الْجَمْعُ لِلأَذْقَانِ

٣٧٤١- وَكَذَلِكَ إِنْ قُلْنَا يَجِيءُ لِفَضْلِهِ

بَيْنَ الْعَبَادِ بَعْدَ ذِي سُلْطَانِ

٣٧٤٢- قَامَتْ قِيَامَتُكُمْ كَذَلِكَ قِيَامَةُ الْـ

آتِي بِهَذَا الْقَوْلِ فِي الرَّحْمَنِ

٣٧٤٣- وَاللَّهُ لَوْ قُلْنَا الَّذِي قَالَ الصَّاحَا

بَةً وَالْأَلَى مَنْ بَعْدِهِمْ بِلِسَانِ

٣٧٤٤- لَرَجَمْتُمُونَا بِالْحِجَارَةِ إِنْ قَدَر

ثُمَّ بَعْدَ رَجْمِ الشُّثْمِ وَالْعُدْوَانِ

٣٧٤٥- وَاللَّهُ قَدْ كَفَّرْتُمْ مَنْ قَالَ بَعْدَ

ضَ مَقَالِهِمْ يَا أُمَّةَ الْبَهْتَانِ

٣٧٤٦- وَجَعَلْتُمْ الْجِسْمَ الَّذِي قَرَرْتُمْ

بُطْلَانَهُ طَاغُوتَ ذَا الْبُطْلَانِ

٣٧٤٧- وَوَضِعْتُمْ لِلْجِسْمِ مَعْنَى غَيْرِ مَعْدٍ

رُوفٍ بِهِ فِي وَضْعِ كُلِّ لِسَانِ

٣٧٤٨- وَبَنَيْتُمْ نَفِي الصِّفَاتِ عَلَيْهِ فَاجِدْ

تَمَعَّتْ لَكُمْ إِذْ ذَاكَ مَخْدُورَانِ

٣٧٤٩- كَذِبٌ عَلَى لُغَةِ الرَّسُولِ وَنَفْيٌ إِنَّ

محمد إنا نجد أن الله عز وجل يجعل السموات على أصبع والأرضين على أصبع والشجر على أصبع والماء والثرى على أصبع وسائر الخلق على أصبع. فيقول أنا الملك: فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه تصديقاً لقول الحبر، ثم قرأ رسول الله ﷺ ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ [الرؤم: ٦٧] وكذلك رواه مسلم وأحمد والترمذي والنسائي في التفسير من سُنَنِهَا.

بَاتِ الْعُلُوَّ لِفَاطِرِ الْأَكْوَانِ

٣٧٥٠ - وَرَكِبْتُمْ إِذْ ذَاكَ تَحْرِيفِينَ تَحْ—

رِيفَ الْحَدِيثِ وَمُحَكِّمِ الْقُرْآنِ

٣٧٥١ - وَكَسَبْتُمْ وَزْرَيْنِ وَزَرَ النَّفْيِ وَالْث—

تَحْرِيفِ فَاجْتَمَعَتْ لَكُمْ كِفْلَانِ

٣٧٥٢ - وَعَدَاكُمْ أَجْرَانِ أَجْرُ الصِّدْقِ وَالْ—

إِيمَانِ حَتَّى فَاتَكُمْ حَظَّانِ

٣٧٥٣ - وَكَسَبْتُمْ مَقْتَيْنِ مَقَّتَ إِلَهُكُمْ

وَالْمُؤْمِنِينَ فَتَالَكُمْ مَقْتَانِ

٣٧٥٤ - وَلَيْسْتُمْ ثَوْبَيْنِ ثَوْبِ الْجَهْلِ وَالظُّ—

ظْلَمِ الْقَبِيحِ فَبَشَّتِ الثُّؤَانِ

٣٧٥٥ - وَتَخَذْتُمْ طَرْزَيْنِ طَرْزِ الْكِبْرِ وَالْث—

تِيهِ الْعَظِيمِ فَبَشَّتِ الطَّرْزَانِ

٣٧٥٦ - وَمَدَدْتُمْ نَحْوَ الْعُلَا بَاعِينَ لَ—

كِنْ لَمْ تَطُلْ مِنْكُمْ لَهَا الْبَاعَانِ

٣٧٥٧ - وَأَتَيْتُمُوهَا مِنْ سِوَى أَبْوَابِهَا

لَكِنْ تَسَوَّرْتُمْ مِنْ الْحِيطَانِ

٣٧٥٨ - وَغَلَقْتُمْ بَيِّينَ لَوْفَتِحَا لَكُمْ

فُزْتُمْ بِكُلِّ بَشَارَةٍ وَتَهَانِ

٣٧٥٩ - بَابِ الْحَدِيثِ وَبَابِ هَذَا الْوُحْيِ مَنْ

يَفْتَحُهَا فَلْيَهْزِهِ الْبَابَانِ

٣٧٦٠ - وَفَتْحْتُمْ بَيِّينَ مَنْ يَفْتَحُهَا

- تَفْتَحْ عَلَيْهِ مَوَاهِبَ الشَّيْطَانِ
 ٣٧٦١- بَابُ الْكَلَامِ وَقَدْ نُهَيْتُمْ عَنْهُ وَالـ
- بَابُ الْحَرِيْقُ فَمَنْطِقُ الْيُونَانِ
 ٣٧٦٢- فَدَخَلْتُمْ دَارَيْنِ دَارَ الْجَهْلِ فِي الذِّ
- دُنْيَا وَدَارَ الْخِزْيِ فِي النَّيْرَانِ
 ٣٧٦٣- وَطَعِمْتُمْ لَوْنَيْنِ لَوْنِ الشُّكِّ وَالثـ
- تُشْكِيكَ بَعْدُ فَبَشَّتِ اللَّوْنَانِ
 ٣٧٦٤- وَرَكِبْتُمْ أَمْرَيْنِ كَمْ قَدْ أَهْلَكَا
- مِنْ أُمَّةٍ فِي سَائِرِ الْأَزْمَانِ
 ٣٧٦٥- تَقْدِيمِ آرَاءِ الرِّجَالِ عَلَى الَّذِي
- قَالَ الرَّسُولُ وَمُحَكَّمِ الْقُرْآنِ
 ٣٧٦٦- وَالثَّانِ نَسَبْتُهُمْ إِلَى الْإِلْعَازِ وَالثـ
- تَلْبِيسِ وَالتَّذْلِيلِ وَالْكَتْمَانِ
 ٣٧٦٧- وَمَكْرَتِهِمْ مَكْرَيْنِ لَوْ تَمَّا لَكُمْ
- لَتَفَضَّصَمْتَ فِينَا غَرَى الْإِيمَانِ
 ٣٧٦٨- أَطْفَأْتُمْ نُورَ الْكِتَابِ وَسُنَّةَ الْـ
- هَادِي بِذَا التَّحْرِيفِ وَالْهَدْيَانِ
 ٣٧٦٩- لِكَيْتُكُمْ أَوْقَدْتُمُوهُمُ لِلْحَرْبِ نَا
- رًا بَيْنَ طَائِفَتَيْنِ مُخْتَلَفَانِ
 ٣٧٧٠- وَاللَّهُ يُطْفِئُهَا بِالسُّنَّةِ الْأَلَى
- قَدْ خَصَّصَهُمُ بِالْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ
 ٣٧٧١- وَاللَّهُ لَوْ غَرِقَ الْمُجَسِّمُ فِي دَمِ الثـ

تَجَسِّيمٌ مِنْ قَدَمٍ إِلَى الْأَذَانِ
٣٧٧٢- فَالْتَّصُّ أَعْظَمُ عِنْدَهُ وَأَجَلُّ قَدْ

رَأَا أَنْ يِعَارِضَهُ بِقَوْلِ فُلَانٍ
الشرح

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

أَمْ كَانَ ذَا جِهَةٍ تَعَالَى رَيْتُنَا عَنْ ذَا فَلَيْسَ يَرَاهُ مِنْ إِنْسَانٍ

أيضاً هم قالوا: إنكم إذا قلتُم أن الله يُرى لزم أن يكون في جهة ووصف الله بالجهة باطل، نقول: إن هذه الجهة جهة العلو، لكن هذه الجهة لا تحيط به، هو فوق كل شيء، والفوقية المطلقة عدم، يعني: معناها أن ليس هناك شيء مُحال لله، ولا فوق الله - عز وجل -.

أَمَا إِذَا قُلْنَا لَهُ وَجْهٌ كَمَا فِي النَّصِّ أَوْ قُلْنَا كَذَلِكَ يَدَانِ

يعني: أنهم ينكرون أن يكون لله وجهًا ويقولون: المراد بالوجه الثواب، كما في قوله تعالى: ﴿وَبَقِيَ وَجْهٌ رَبِّكَ﴾ [الرحمن: ٢٧] يعني على زعمهم: ثواب الله، وهذا صريح في أن الذي يبقى هو وجه الله - عز وجل -، ولهذا قال: ﴿وَبَقِيَ وَجْهٌ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ وقال تعالى: ﴿بِئْرَكَ أَسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ﴾ [الرحمن: ٢٧٨]، الاسم لا يوصف بالجلال، والذي يوصف بالجلال هو الرب، أي الوجه يوصف بالجلال، وإذا كان اسم الله لا يوصف بالجلال، فما بالك بالثواب، فالثواب لا يمكن أن يوصف بالجلال، والسنة واردة بذلك أيضًا قول الرسول ﷺ: «أَعُوذُ بِنُورِ وَجْهِكَ الَّذِي أَشْرَقَتْ لَهُ الظُّلُمَاتُ وَصَلَحَ عَلَيْهِ أَمْرُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ».

وَكَذَلِكَ إِنْ قُلْنَا كَمَا فِي النَّصِّ إِنْ نَ الْقَلْبَ بَيْنَ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ

أيضاً أنكرتم إذا قلنا أن القلب بين أصابع الرحمن قلتُم كيف هذا؟ الرحمن له أصابع نقول: هكذا قال أعلم الخلق به رسول الله ﷺ، القلب بين أصابع الرحمن يقولون: إذا كان بين أصابع الرحمن، فمقتضى ذلك أن تكون أصابع الله في أجوافنا، فالجواب: أن هذا ليس بلازم؛ لأن البينية لا تقتضي الملامسة بدليل قوله تعالى: ﴿وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِينَ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [البقرة: ١٦٤] ومع ذلك فإن السحاب لا يمس الأرض، ولا يمس السماء، وقال الله عز وجل أنه بينهما.

وتقول مثلاً: تقول بدر بين مكة والمدينة، وهل يعني أنه مماس لمكة أو المدينة؟ لا.

إذن بين أصابع الرحمن لا يلزم لذلك المماس، وإذا كان لا يلزم وجب أن تؤمن به.

وَكَذَلِكَ إِنْ قُلْنَا الْأَصَابِعَ فَوْقَهَا كُلُّ الْعَوَالِمِ وَهِيَ ذُو رَجْفَانِ

وَكَذَٰكَ إِن قُلْنَا يَدَاهُ لَأَرْضُهُ وَسَمَائِهِ فِي الْحَشْرِ قَابِضَتَانِ

قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ [الزمر: ٦٧].

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ﴾ [الأنبياء: ١٠٤].

وَكَذَٰكَ إِن قُلْنَا سَيَكشِفُ سَاقَهُ فَيَخِرُّ ذَاكَ الْجَمْعُ لِلأَذْقَانِ

من الذي يكشف ساقه؟ هو الله - عز وجل -، وهذا له دليل من السنة الصريحة في حديث أبي سعيد الخدري: «يُكشِفُ اللهُ عَنْ سَاقِهِ لِأَنَّ حِجَابَ اللهِ نُورٌ لَا يُرَى عَزَّ وَجَلَّ مِنَ الأَنْوَارِ الَّتِي حَوْلَهُ، وَلَكِنَّهُ إِذَا شَاءَ كَشَفَ هَذَا النُّورَ فَبَانَ مَا يُرِيدُ - عَزَّ وَجَلَّ -».

أما في القرآن فقد قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكشِفُ عَنْ سَاقِي وَيُدْعُونَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتطِيعُونَ﴾ [القلم: ٤٢]، وهذه الآية استدل بها من أثبت لله الساق، ولكن إذا تأملت لم تجد فيها دليلاً على ثبوت الساق لله، لأنه قال: ﴿يَوْمَ يُكشِفُ عَنْ سَاقِي﴾، ولم يضيفه إلى نفسه وإذا لم يضيفه الله لنفسه، فإنه لا يحل لنا أن نضيفه إلى نفسه.

فقوله: (ساق) ساق مَنْ؟ لم يبين، ولهذا فسرها ابن عباس بأنه الشدة، كما يُقال كشفت الحرب عن ساقها، لكن هناك قول آخر يقول: المراد بالساق ساق - الله عز وجل -، ولا يُستدل بذات الآية، بل يقول: إن سياق الآية يُطابق تماماً حديث أبي سعيد، والسنة تفسر القرآن، فإذا تأملت الآية والحديث وجدت سياقها يدل على معنى واحد، وحينئذ ثبت الساق لله - عز وجل - بهذه الآية، لكن بإضافتها إلى الحديث، ويتم الاستدلال حينئذ.

وَكَذَٰكَ إِن قُلْنَا يَجِيءُ لِفَصْلِهِ بَيْنَ الْعِبَادِ بَعْدَ ذِي سُلْطَانٍ

كما قال الله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢]، وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَشَقُّ السَّمَاءَ بِالْعَنَمِ﴾ [الفرقان: ٢٥] لنزول الله - عز وجل - قال تعالى: ﴿وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا﴾ (٢٥) الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا﴾ [الفرقان: ٢٥، ٢٦]. إذا قلنا هذا وما سبق:

قَامَتْ قِيَامَتُكُمْ كَذَٰكَ قِيَامَةُ أَلِّ آتِي بِهَذَا الْقَوْلِ فِي الرَّحْمَنِ

قوله: (إذا قلنا هذا قامت قيامتكم) يعني: أنكرتم غاية الإنكار، (وقيامة الآتي بهذا القول في الرحمن) تقوم أيضاً، فيحصل بذلك من الإساءة، والخصومة ما لا يعلمه إلا الله.

وَاللهُ لَوْ قُلْنَا الَّذِي قَالَ الصَّحَابَةُ وَالْأَلَى مَنْ بَعْدِهِمْ بِلِسَانِ

لَرَجَمْتُمُونَا بِالْحِجَارَةِ إِنْ قَدَرْنَا

سبحان الله، يقول: لو قلنا ما قاله الصحابة في هذا، وغيره لرجعتمونا بالقول، وبالفعل
فبالقول: بالسب والشتم، وبالفعل: بالحجارة.

وَاللّٰهُ قَدْ كَفَرْتُمْ مَنْ قَالَ بَعْدَ
ضَمِّ مَقَالِهِمْ يَا أُمَّةَ الْبَيْتَانِ

ولهذا من شأن أهل البدع أن بعضهم يكفر من سواهم، فيكفر أهل البدع الآخرين، ويكفرون
أهل السنة، ولا يُبالون بهذا التكفير عندهم، كالتغير والتسليم من أسهل ما يكون، بخلاف أهل
السنة لا يكفرون إلا بدليل صريح، ولا يضللون إلا بدليل صريح ولو احتمل الكفر والتضليل
حملوه على التضليل؛ لأنه متيقن والكفر زائد، كما ذكره الطحاوي، شارحوا الطحاوية وغيرهم،
وهذا ما عليه مذهب أهل السنة والجماعة وهو (التأني) والتثبت والتوقف في التكفير.

وَجَعَلْتُمْ الْجِسْمَ الَّذِي قَدَرْتُمْ
بُطْلَانَهُ طَاغُوتَ ذَا الْبُطْلَانِ

يعني: أن الجسم جعلوه المعول الذي يهدمون به جميع نصوص الصفات، فجعلتموه طاغوت
الهدم أي: هدم ما جاء به القرآن والسنة من الصفات.

وَوَضَعْتُمْ لِلْجِسْمِ مَعْنَى غَيْرِ مَعْدٍ
رُؤُوفٍ بِهِ فِي وَضْعِ كُلِّ لِسَانٍ

وَبَيَّيْنْتُمْ نَفْيَ الصِّفَاتِ عَلَيْهِ فَاجِدٌ
تَمَمَعَتْ لَكُمْ إِذْ ذَاكَ مَحْدُورَانِ

كَذِبٌ عَلَى لُغَةِ الرَّسُولِ وَنَفْيٌ إِثْمٌ
بَابِ الْعُلُوِّ لِفَاطِرِ الْأَكْوَانِ

سبحان الله إذن ركبوا مفسدتين:-

المفسدة الأولى: الكذب على اللغة.

والثانية: نفي ما جاء به القرآن والسنة.

وَرَكِبْتُمْ إِذْ ذَاكَ تَحْرِيفَيْنِ تَحْوِ
رَيْفَ الْحَدِيثِ وَمُحَكِّمِ الْقُرْآنِ

إذن حرفوا القرآن، وحرفوا السنة فهذان تحريفان.

وَكَسَبْتُمْ وَرَرَيْنِ وَرَرَ النَّفْيِ وَالْثِ
تَحْرِيفِ فَاجْتَمَعَتْ لَكُمْ كِفْلَانِ

وَعَدَاكُمْ أَجْرَانِ أَجْرُ الصِّدْقِ وَالْ
إِيمَانِ حَتَّى فَاتَكُمْ حَظَّانِ

سبحان الله، نعم كلها اثنين اثنين.

قوله: (وعداكم أجران): أجر الصدق فيما تقولون، والثاني: أجر الإيثار حتى فاتكم حظان.

هُوَ كَسَبْتُمْ مَقْتَيْنِ مَقْتِ الْهِكْمِ
وَالْمُؤْمِنِينَ فَتَالَكُمْ مَقْتَانِ

قوله: (المقت) أشد الغضب، فهم نالوا بتعطيلهم، وتحريفهم مقتان: مقت الله - عز وجل -

والثاني مقت المؤمنين.

وَلَيْسْتُمْ تَوْبِينَ تَوْبِ الْجَهْلِ وَالظَّمِ الْقَبِيحِ فَبَسَّتِ التَّوْبَانِ

الجهل؛ لأنهم جهلوا كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، والثاني جهل الظلم والعدوان؛ لأنهم كانوا يسبون أهل السنة يقولون: هم حشوية مجسمة نوابت غناء عامة، وما أشبه ذلك.

وَتَخَذْتُمْ طُرُزِينَ طُرُزِ الْكِبْرِ وَالشَّيْبِ الْعَظِيمِ فَبَسَّتِ الطَّرِزَانِ

هذا أيضًا ما يفعلوه الكبر، وهو عدم قبول الحق، و(التب): وهو الترفع عن الناس.

وَمَدَدْتُمْ نَحْوَ الْعُلَا بَاعِينَ لَمْ تَطُلْ مِنْكُمْ لَهَا الْبَاعَانِ

يعني: أنهم مدوا باعان، أو باعين لينالوا العلى لكنهم عجزوا عن نبيل العلا؛ لأنهم ما صدقوا ولو صدقوا لنالوا العلا؛ لأن الله يقول: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: ١١]. لكنهم لم يصدقوا في هذا، إنما أرادوا انتصار قولهم فقط، - والله أعلم -.

وَأَتَيْتُمُوهَا مِنْ سِوَى أَبْوَابِهَا لَكُنْ تَسَوَّرْتُمْ مِنَ الْحِطَّانِ

قوله: (أتيتموها): أي: أتيتم المسألة (من سوى أبوابها) وإذا أتى الإنسان الشيء من سوى أبوابه، فلا بد أن يتسور الجدران تسورًا، والداخل على هذه الصفة ليس بالداخل دخولًا مشروعًا مستقرًا.

وَعَلَقْتُمْ بَابِينَ لَوْ فَتِحَا لَكُمْ فُزْتُمْ بِكُلِّ بَشَارَةٍ وَتَهَانِ

بَابِ الْحَدِيثِ وَبَابِ هَذَا الْوَحْيِ مَنْ يَعْنِي: أنكم أغلقتم على أنفسكم بابين: باب السنة وباب القرآن لأنهم رجعوا فيما يشبون، وينفون عن الله؟ إلى العقل، وتركوا الكتاب والسنة، وضربوا عنها صفحًا. - نسأل الله العافية -.

وَفَتَحْتُمْ بَابِينَ مَنْ يَفْتَحُهُمَا تَفْتَحْ عَلَيْهِ مَوَاهِبُ الشَّيْطَانِ

بَسَّتِ الْأَبْوَابُ - فما هما البابان؟

بَابِ الْكَلَامِ وَقَدْ نُهَيْتُمْ عَنْهُ وَالْحَزِيْقُ فَمَنْطَقُ الْيُونَانِ

هذان البابان فتحوا على أنفسهم باب الكلام، والكلام كما سبق هو: إثبات العقائد بالعقول المبنية على المجادلات والمناظرات، ولهذا سمو أهل الكلام لكثرة كلامهم وثرثراتهم وخوضهم في أمور لا تعنيهم، في أمور يصدق عليها قول النبي ﷺ: «هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ» ولو أنهم أخذوا العقيدة من أبوابها بسهولة، ويُسرها وعدم التنطع فيها، لكان أسلم لهم.

الباب الثاني: باب المنطق والفلسفة المتلقاة من اليونان، فهم فتحوا عليهم بابين: باب الكلام وباب المنطق، وأغلَقوا بابين: باب الكتاب وباب السنة.

قوله: «وقد نُهيتم عنه» الذي نهاهم عنهم السلف نهوا عن علم الكلام، وحذروا منه حتى إن الشافعي رَحِمَهُ اللهُ قال: (حكمتي في أهل الكلام أن يُضربوا بالجرید والنعال، ويُطاف بهم في العشائر

والأسواق ويُقال: هذا جزء من ترك الكتاب والسُّنة، وأقبل على علم الكلام، هذا حكم الشافعي رَحِمَهُ اللهُ في أهل الكلام، وهذا حكمٌ صارم يدل على شدة نبيه - رحمه الله ورضي عنه - عن علم الكلام، ثم إنه يدخل في قول النبي ﷺ: «هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ».

فمثلاً: الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ لما قال لهم النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يَنْزِلُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حَتَّى يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ» سَلَّمُوا وَاسْتَسَلَمُوا وَأَمْنُوا، أَمَا أَهْلُ الْكَلَامِ فَمَاذَا قَالُوا؟ قَالُوا: كَيْفَ يَنْزِلُ رَبُّنَا وَهُوَ عَلَى الْعَرْشِ؟ كَيْفَ يَنْزِلُ وَالسَّمَاوَاتُ لَيْسَتْ شَيْءٌ بِالنِّسْبَةِ لَهُ؟ هِيَ كَالْخِرْدَلَةِ فِي يَدِ أَحَدِنَا، كَيْفَ يَكُونُ هَذَا؟ فَأَوْلُوا وَشَكَّوْا وَسَدَوْا عَلَى أَنْفُسِهِمْ بَابَ الْيَقِينِ، وَلَوْ أَنَّهُمْ سَلِمُوا كَمَا سَلَّمَ الصَّحَابَةُ لَسَلِمُوا لَكِنَهُمْ - وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ - تَنْطَعُوا فَهَلِكُوا.

فَدَخَلْتُمْ دَارِينَ دَارَ الْجَهْلِ فِي الدُّنْيَا وَدَارَ الْخِزْيِ فِي التَّيْرَانِ
لَمَا فَتَحُوا بَابِينَ (بَابُ الْكَلَامِ وَالْمَنْطِقِ):

دَخَلُوا دَارَيْنِ الدَّارِ الْأُولَى: دَارَ الْجَهْلِ فِي الدُّنْيَا؛ لِأَنَّ أَهْلَ الْكَلَامِ، وَأَهْلَ الْمَنْطِقِ أَجْهَلَ النَّاسِ بِاللَّهِ، - نَسَأَلُ اللَّهَ الْعَاقِبَةَ -، وَأَعْلَمُ النَّاسِ بِاللَّهِ مَنْ اتَّبَعَ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ.

وَطَعْنْتُمْ لَوْنِ الشُّكِّ وَالْثَّ

طَعَمُوا لَوْنَ الشُّكِّ، وَالتَّشْكِيكَ، أَمَا الشُّكُّ فَفِي أَنْفُسِهِمْ، وَالتَّشْكِيكَ لِغَيْرِهِمْ، وَهَذَا تَجِدُ كِتَابَهُمْ كُلِّهَا مَمْلُوءَةً بِالتَّشْكِيكَ النَّاتِجِ عَنْ شُكِّهِمْ.

أَمَا كَتَبَ أَهْلُ السَّنَةِ كَكَتَبَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ وَابْنُ الْقَيْمِ كُلُّهَا مَمْلُوءَةٌ بِالْيَقِينِ وَالِاسْتِدْلَالَ، - نَسَأَلُ اللَّهَ أَنْ يَشْتِنَا وَإِيَاكُمْ -.

وَرَكِبْتُمْ أَمْرَيْنِ كَمَا قَدْ أَهْلَكَا مِنْ أُمَّةٍ فِي سَالِفِ الْأَزْمَانِ

تَقْدِيمَ آرَاءِ الرِّجَالِ عَلَى الَّذِي فَهُوَ يَخَاطَبُ هَؤُلَاءِ الْمَعْطَلَةَ بِأَنَّهُمْ رَكَبُوا أَمْرَيْنِ أَهْلَكَا الْأُمَّةَ فِي سَالِفِ الْأَزْمَانِ وَهِيَ: الْأَمْرُ الْأَوَّلُ تَقْدِيمَ آرَاءِ الرِّجَالِ عَلَى الْكِتَابِ وَالسَّنَةِ.

تَقْدِيمَ آرَاءِ الرِّجَالِ عَلَى الَّذِي

فَإِذَا أَتَيْنَا بِدَلِيلٍ مِنَ الْكِتَابِ وَالسَّنَةِ قَالُوا: قَالَ فُلَانٌ كَذَا وَكَذَا، فَعَارَضُوا قَوْلَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ بِقَوْلِ فُلَانٍ.

وهذا قول ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا في أمثالهم: «يُوشِكُ أَنْ تَنْزَلَ عَلَيْكُمْ حِجَارَةٌ مِنَ السَّمَاءِ أَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ وَتَقُولُونَ قَالَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ».

فهذا أبو بكر وعمر إذا عارض أحد قول الرسول ﷺ بقولها فإنه يوشك أن تنزل عليه حجارة من السماء فكيف بمن يعارض قول الله ورسوله بقول من هو أدنى منهما بكثير، يقولون هو أقرب

إلى العقوبة ممن عارض قول الله ورسوله بقول أبي بكر وعمر.
والأمر الثاني قال فيه المؤلف:

وَالثَّانِ نَسَبْتُهُمْ إِلَى الْأَعْزَارِ وَالثَّ

تَلْبِيسِ وَالتَّذْلِيلِ وَالْكَثْمَانِ

بأنهم إذا عطلوا النصوص عن المراد بها صارت النصوص في ظواهرها تلبيس وألغاز ليست دالة على الهدى في ظاهرها وإنما تدل على الضلال - على زعمهم - بأنهم إنما أولوها ظناً منهم أنها تستلزم التلبيس فأولوها لهذا السبب.

وَمَكَرْتُمْ مَكْرِينَ لَوْ تَمَّا لَكُمْ

لَتَقَصَّمَتْ فَيْنَا عَرَى الْإِيمَانِ

ما هما؟ قال:-

أَطْفَأْتُمْ نُورَ الْكِتَابِ وَسُنَّةَ أَلْ

سَهَادِي بِذَا التَّخْرِيفِ وَالْهَذْيَانِ

لِكَيْتُمْ أَوْقَدْتُمُوا لِلْحَرْبِ نَابَا

رَا بَيْنَ طَائِفَتَيْنِ مُخْتَلَفَانِ

وهم مكرروا مكرين أطفأوا نور الكتاب والسنة، وأوقدوا نار الحرب بين الطوائف، بين طائفتين مختلفتين هذا غريب من المؤلف رحمه الله يأتي مرة بالكلام على لغة ومرة على لغة أخرى، فهنا مثلاً (بين طائفتين) أعرب المثني الإعراب المشهور وهو وأنه يجز بالياء، ثم قال (مختلفان) صفة لطائفتين، لكنها بالألف بناءً على لغة من يلزم المثني الألف مطلقاً، ومنه قول الشاعر:

يا ليت عيناها لنا وفاها

ولو مشى على المشهور لقال: (عينها)

وَاللَّهُ مُطْفِئُهَا بِاللِّسَنَةِ الْأَلَى

قَدْ خَصَّصَهُمْ بِالْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ

ولا شك أنهم أوقدوا نار الحرب بين الأمة بهذه التحريفات والتعطيل ولكن الله أطفأها باللسنة (الألى) أي: الذين، خصهم الله بالعلم والإيمان.

وَاللَّهُ لَوْ غَرِقَ الْمُجَسِّمُ فِي دَمِ الثَّ

تَجْسِيمِ مِنْ قَدَمٍ إِلَى الْأَذَانِ

فَالنَّصُّ أَكْثَرُ عِنْدَهُ وَأَجَلُّ قَدْ

رَا أَنْ يِعَارِضَهُ بِقَوْلِ فُلَانِ

يعني: المجسم - على زعمهم - يقول: لو غرق في دم التجسيم من قدمه إلى أذنه لن يعارض النص بقول فلان، فقولوا ما شئتم لا يهمننا أن تتهمونا بالتجسيم أو أن تجعلونا من القدم إلى الأذان مجسمة، ولن نقدم قول أحد على قول الله ورسوله.





عهد بين يدي الفصل



قال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللهُ:

فصل

في كسر الطاغوت الذي نُفُوا به صفات ذي الملكوت والجبروت

وهذا الطاغوت هو شبهتهم الباطلة حيث زعموا أن إثبات الصفات للباري تستلزم التجسيم، لأننا لا نشاهد موصوفاً بالصفات إلا هذه الأجسام، والله ليس كمثل شيء، فتعين نقي الصفات وتعطيلها وأن نتأولها ونأتي لها بمعانٍ مناسبة لها.

هذا حاصل هذا الطاغوت الذي من سمع به ممن لا بصيرة له هاله قولهم وخضع له وظن أن هذا الحق وهان عليه ردّ ما جاء في الكتاب والسنة من الصفات، لأنه أعد هذا الطاغوت ترساً له. فيقال في إبطال هذا الطاغوت: قد علم ثبوت الصفات المتنوعة لله تعالى في الكتاب والسنة بألفاظ كثيرة وأساليب متنوعة صريحة يكفي بعضها في إفادة العلم اليقيني، فكل شبهة تناقض هذا المعلوم المفهوم فإنها باطلة كائنة ما كانت، بأي لفظ عبر عنها، وبأي أسلوب حرفت. وكذلك قد علم بالضرورة من الدين ثبوت الصفات وهي أصل الأصول وأُسُ الدين، ودلالة الكتاب والسنة عليها أعظم بكثير من دلالتها على الأحكام التي لا ينازع فيها مسلم كالصلاة والزكاة والصوم والحج وجميع الأحكام الشرعية، فمن حاول إبطال النصوص الكثيرة الدالة على ثبوت الصفات كان محاولته لإبطال بقية شرائع الدين أهون بكثير، ومن نظر الأمر وأمعن التأمل جزم أن محاولة هدم السماوات والأرض والجبال الشوامخ أسهل من محاولة إبطال نص واحد من هذا الأصل الذي قامت عليه العقائد والعلوم والأعمال والخلق والأمر.

ويقال في إبطاله أيضاً: إن تصويره وتصوره لوازمه وما يلزم منه من الزور والافتراء والإلحاد وإبطال أصول الإيمان وتشديد أصول الإلحاد والزندقة يكفي العاقل في رده وإبطاله فضلاً عن الأدلة الأخر الدالة على بطلانه.

ويقال أيضاً: على وجه التنزل والفرض والتقدير في مقام المجادلة، إذ ألح المعطل وأبى إلا أن إثبات الصفات يستلزم التجسيم والركيب ونحوهما مما قالوه من هذا الجنس، فلنا على هذا ثلاثة أجوبة:

الجواب الأول: المنع، فنقول يكفيننا لردّ قولكم أن نقول إنه ممنوع، فكل دعوى مجردة لم تقم على قواعد البراهين اليقينية إذا منعها المجادل كفى في ردها، ودعواهم هذه من هذا القبيل.

الجواب الثاني: إذا قلت إنه لازم على كل حال وأبيتم إلا ذلك فنقول: ما تدعون لزومه من الجسم ونحوه إن كان لازماً لإثبات صفات الباري قلنا به لأننا نقول بالحق ولازم الحق حق، فكل نص من الكتاب والسنة نقول به وبجميع لوازمه كما هو الفرض على كل مسلم، كما أننا نعتقد ما دل عليه مطابقة وتضمناً، والإلزام الذي ذكرتموه في الحقيقة إلزام منكم لله ورسوله، والله ورسوله منها النص على إثبات تلك الصفات، فويح من استدرك على الله وعلى رسوله وخطأهما، فهل أعظم من هذا الإلحاد فنحن معاشر أهل السنة والجماعة لم نأت بكلام من تلقاء أنفسنا وإنما قلنا ما قاله ربنا ونبينا الذي فرض علينا وعليكم أن نأخذ به كله وأن لا نرد منه شيئاً ولا نستدرك عليه.

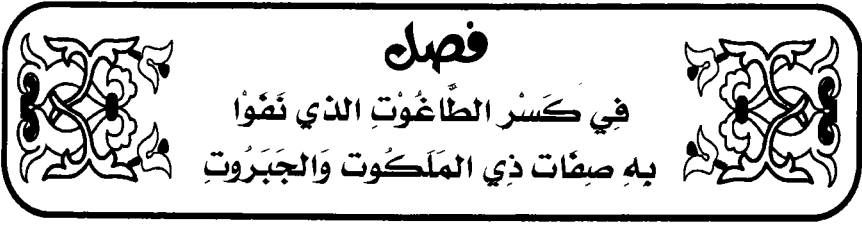
فإن قنعتم بهذا الجواب الذي لا يسع مسلم الخروج عنه وإلا انتقلنا معكم إلى الجواب الثالث: ما تعنون بالجسم الذي نفيتم به الصفات وألزمتم به أهل السنة هذا الإلزام الذي لا يصدر ممن في قلبه إيمان وتعظيم لله ورسوله. هل مرادكم به أن كل من قام بنفسه فهو جسم، أو كل من هو عال على خلقه فهو جسم. فعلى هذه التقادير قد دلت البراهين اليقينية والصریحة التي لا معارض لها أصلاً على ثبوت الصفات وعلو الباري على خلقه واستوائه على عرشه، فتعين على كل مسلم تصديقها والاعتراف بها. فإن كان الجسم لازماً للإثبات فهو الحق والصواب، وإن لم يكن لازماً للإثبات فإن إلزامكم لأهل السنة تشنيع وهوى محض. وإن أردتم بالجسم غير ذلك فعينوا واحداً، فحيثُ تحتاجون إلى أمرين:

أحدهما: أن تبرهنوا على لزوم تلك تلك المعنى الذي عنيتم ونفيتم به الصفات.

الثاني: أن تبرهنوا على نفي هذا اللازم على تقدير لزومه.

ومن المعلوم أن هذه طلبات مفحمة لا جواب عنها لا من مقلديهم ولا من أئمتهم، فتعين بطلان هذا الطاغوت الذي نفوا به صفات الباري. والحمد لله رب العالمين.





فِي كَسْرِ الطَّاغُوتِ الَّذِي نَفَّوْا
بِهِ صِفَاتِ ذِي الْمَلَكُوتِ وَالْجَبْرُوتِ

- ٣٧٧٣- أَهْوَنُ بِذَا الطَّاغُوتِ لَا عَزَّ اسْمُهُ
طَّاغُوتٌ ذِي التَّعْطِيلِ وَالْكَفْرَانِ
٣٧٧٤- كَمِ مِنْ أَسِيرٍ بَلِّ جَرِيحٍ بَلِّ قَتِيٍّ
لِ تَحْتَ ذَا الطَّاغُوتِ فِي الْأَزْمَانِ
٣٧٧٥- وَتَرَى الْجَبَانَ يَكَادُ يَخْلَعُ قَلْبُهُ
مِنْ لَفْظِهِ تَبَّا لِكُلِّ جَبَانِ
٣٧٧٦- وَتَرَى الْمُخَنَّثَ حِينَ يَفْرَعُ سَمْعَهُ
تَبْدُو عَلَيْهِ شَمَائِلِ النِّسْوَانِ
٣٧٧٧- وَيَظَلُّ مَنْكُوحًا لِكُلِّ مُعْطَلٍ
وَلِكُلِّ زَنَدِيقٍ أَحْيَى كُفْرَانِ
٣٧٧٨- وَتَرَى صَبِيَّ الْعَقْلِ يَفْرِعُهُ اسْمُهُ
كَالْعَوْلِ حِينَ يَقَالُ لِلصَّبِيَّانِ
٣٧٧٩- كُفْرَانٌ هَذَا الْأَسْمُ لَا سُبْحَانَهُ
أَبْدًا وَسُبْحَانَ الْعَظِيمِ الشَّانِ^(١)

(١) [٣٧٧٥: ٣٧٧٩] قال العلامة محمد خليل هراس:

وتراه إذا ذكر اسمه تطير شعاعاً منه نفس الجبان، وترى المخنث الضعيف حين يسمع لفظه يولول ويصبح ويأتي بمثل حركات النسوان. ثم يرتقي في أحضان المعطلة والزنادقة أهل الكفران، وترى الأحمق الضعيف العقل يرتاع حين يذكر عنده كما يرتاع الأطفال عندما تحكي لهم قصص الغيلان، ولكننا معشر أهل الحق كفرنا به فلا نسيح بحمده أبداً، بل لا نسيح إلا ربنا العظيم الشأن الذي هو أهل لكل سبحان.

٣٧٨٠- كَمْ ذَا التَّرُّسِ بِالْمَحَالِ أَمَا تَرَى

قَدْ مَزَّقْتَهُ كَثْرَةَ السُّهُمَانِ

٣٧٨١- جِسْمٌ وَفَشَّرَ تَجْسِيمٌ وَتَفْ—

شَيْرٌ أَمَا تَعَيُونَ مِنْ هَذَيَانِ

٣٧٨٢- أَنْتُمْ وَضَعْتُمْ ذَلِكَ الطَّاغُوتَ تُمْ

مَ بِهِ نَفَيْتُمْ مُوجِبُ الْقُرْآنِ

٣٧٨٣- وَجَعَلْتُمُوهُ شَاهِدًا بَلْ حَاكِمًا

هَذَا عَلَيَّ مَنْ يَا أَوْلِي الْعُدْوَانِ

٣٧٨٤- أَعْلَى كِتَابِ اللَّهِ تُمْ رَسُولِهِ

بِاللَّهِ اشْتَحَيُوا مِنَ الرَّحْمَنِ

٣٧٨٥- فَقِيَامُهُ بِالزُّورِ مِثْلُ قَضَائِهِ

بِالْجَوْرِ وَالْعُدْوَانِ وَالْبُهْتَانِ

٣٧٨٦- كَمْ ذِي الْجَعَا جُعَ لَيْسَ شَيْءٌ تَحْتَهَا

إِلَّا الصَّدى كَالْبُومِ فِي الْخِزْبَانِ

٣٧٨٧- وَنَظِيرُهُ هَذَا قَوْلٌ مُلْجِدِكُمْ وَقَدْ

جَحَدَ الصِّفَاتِ لِفَاطِرِ الْأَكْوَانِ

٣٧٨٨- لَوْ كَانَ مَوْصُوفًا لَكَانَ مُرَكَّبًا

فَالْوَضْفُ وَالتَّرْكِيبُ مُتَّحِدَانِ

٣٧٨٩- ذَا الْمُنْجِنِيئِ وَذَلِكَ الطَّاغُوتُ قَدْ

هَدَمَا دِيَارَكُمْ إِلَى الْأَرْكَانِ

٣٧٩٠- وَاللَّهُ رَبِّي قَدْ أَعَانَ بِكُسرٍ ذَا

وَبِقَطْعِ ذَا سُبْحَانَ ذِي الْإِحْسَانِ



- ٣٧٩١- فَلَيْنُ زَعَمْتُمْ أَنَّ هَذَا لَازِمٌ
لِمَقَالِكُمْ حَقًّا لَزُومَ بَيَانِ
- ٣٧٩٢- فَلَنَا جَوَابَاتٌ ثَلَاثٌ كُلُّهَا
مَعْلُومَةٌ الْإِبْضَاحُ وَالتَّبْيَانُ
- ٣٧٩٣- مَنْعُ اللَّزُومِ وَمَا بِأَيْدِيكُمْ سِوَى
دَعْوَى مُجَرَّدَةٍ عَنِ الْبُرْهَانِ
- ٣٧٩٤- لَا يَرْتَضِيهَا عَالِمٌ أَوْ عَاقِلٌ
بَلْ تِلْكَ حِيلَةٌ مُفْلِسٍ فَتَانَ
- ٣٧٩٥- فَلَيْنُ زَعَمْتُمْ أَنَّ مَنْعَ لَزُومِهِ
مِنْكُمْ مُكَابِرَةٌ عَلَى الْبُطْلَانِ
- ٣٧٩٦- فَجَوَابُنَا الثَّانِي امْتِنَاعُ النَّفْيِ فِيهِ
مَا تَدْعُونَ لَزُومَهُ بِبَيَانِ
- ٣٧٩٧- إِذْ كَانَ ذَلِكَ لَازِمًا لِلنَّصِّ وَالْـ
مَلْزُومِ حَقٌّ وَهُوَ ذُو بُرْهَانِ
- ٣٧٩٨- وَالْحَقُّ لَازِمُهُ فَحَقٌّ مِثْلُهُ
أَنْ يَكُونَ الشَّيْءُ ذَا بُطْلَانِ
- ٣٧٩٩- وَتَكُونُ مَلْزُومَاتِهِ حَقًّا فَذَا
عَيْنُ الْمُحَالِ وَلَيْسَ فِي الْإِمْكَانِ
- ٣٨٠٠- فَتَعَيْنَ الْإِلْزَامَ حَيْثُ ذِ عَلَى
قَوْلِ الرَّسُولِ وَمُحَكَّمِ الْقُرْآنِ
- ٣٨٠١- وَجَعَلْتُمْ أَتْبَاعَهُ مَنْ تَسْتَرُوا
خَوْفًا مِنَ التَّضَرِيحِ بِالْكَفْرَانِ

٣٨٠٢- وَاللَّهِ مَا قُلْنَا سِوَى مَا قَالَهُ

هَذَا مَقَالَتَنَا بِإِلَّا كِتْمَانِ

٣٨٠٣- فَجَعَلْتُمُونَا جُزْءًا وَالْقَصْدُ مَفْ-

هُومٌ فَنَحْنُ وَقَايَةُ الْقُرْآنِ

٣٨٠٤- هَذَا وَثَالِثٌ مَا نُجِيبُ بِهِ هُوَ اش-

تَفَسَّرُكُمْ يَا فِرْقَةَ الْعِرْفَانِ

٣٨٠٥- مَاذَا الَّذِي تَعْنُونَ بِالْجِسْمِ الَّذِي

الزَّمْتُمُونَا أَوْضَحُوا بَيِّنَاتِ

٣٨٠٦- تَعْنُونَ مَا هُوَ قَائِمٌ بِالنَّفْسِ أَوْ

عَالٍ عَلَى الْعَرْشِ الْعَظِيمِ الشَّانِ

٣٨٠٧- أَوْ ذَا الَّذِي قَامَتْ بِهِ الْأَوْصَافُ أَوْ

صَافِ الْكَمَالِ عَدِيمَةَ التَّقْصَانِ

٣٨٠٨- أَوْ مَا تَرَكَّبَ مِنْ جَوَاهِرٍ فَزْدَةٍ

أَوْ ضُورَةٍ حَلَّتْ هِيَ وُلَى ثَانِي

٣٨٠٩- أَوْ مَا هُوَ الْجِسْمُ الَّذِي فِي الْعُرْفِ أَوْ

فِي الْوَضْعِ عِنْدَ تَخَاطُبِ بِلِسَانِ

٣٨١٠- أَوْ مَا هُوَ الْجِسْمُ الَّذِي فِي الذِّهْنِ ذَا

كَ يُقَالُ تَعْلِمِي ذِي الْأَذْهَانِ

٣٨١١- مَاذَا الَّذِي مِنْ ذَلِكَ يُلْزَمُ مِنْ ثُبُو

تِ عُلُوِّهِ مِنْ فَوْقِ كُلِّ مَكَانِ

٣٨١٢- فَأَتُوا بِتَعْيِينِ الَّذِي هُوَ لَازِمٌ

فَإِذَا تَعَيَّنَ ظَاهِرَ التَّبَيِّنِ

- ٣٨١٣- فَأَتُوا بِبُرْهَانِنِ بُرْهَانَ اللَّزْوِ
م وَنَفِي لَازِمِهِ فَذَانِ اثْنَانِ
- ٣٨١٤- وَاللَّهِ لَوْ نُشِرَتْ لَكُمْ أَشْيَاخُكُمْ
عَجَزُوا وَلَوْ وَاطَّاهُمُ الثَّقَلَانِ
- ٣٨١٥- إِنْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ فُحُولًا فَابْزُرُوا
وَدَعُوا الشُّكَاوَى حِيلَةَ التَّسْوَانِ
- ٣٨١٦- وَإِذَا اسْتَكَيْتُمْ فَاجْعَلُوا الشُّكْوَى إِلَى الْإِ
بْرَهَانَ لَا الْقَاضِي وَلَا السُّلْطَانَ
- ٣٨١٧- فَتَجِيبُ بِالْتَّرْكِيبِ حَيْثُ ذِجْوًا
بِأَشَافِيًا فِيهِ هُدَى الْخَيْرَانِ
- ٣٨١٨- الْحَقُّ إِثْبَاتُ الصِّفَاتِ وَنَفْيُهَا
عَيْنُ الْمُحَالِ وَلَيْسَ فِي الْإِمْكَانِ
- ٣٨١٩- فَالْجِسْمُ إِمَّا لَازِمٌ لِثُبُوتِهَا
فَهُوَ الصَّوَابُ وَلَيْسَ ذَا بَطْلَانِ
- ٣٨٢٠- أَوْ لَيْسَ يَلْزَمُ مِنْ ثُبُوتِ صِفَاتِهِ
فَشَنْعَةُ الْإِلْزَامِ بِالْبُهْتَانِ
- ٣٨٢١- فَالْمَنْعُ فِي إِحْدَى الْمُقَدِّمَتَيْنِ مَع
لُومِ الْبَيَانِ إِذَا بَلَائِ نَكْرَانِ
- ٣٨٢٢- الْمَنْعُ إِمَّا فِي اللَّزْمِ أَوْ انْتِفَا
ءِ الْإِلْزَامِ الْمَنْسُوبِ لِلْبَطْلَانِ
- ٣٨٢٣- هَذَا هُوَ الطَّاعُوثُ قَدْ أَمْسَى كَمَا
أَبْصُرْتُمُوهُ بِمِنَّةِ الرَّحْمَنِ

الشَّرْحُ

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

الطاغوت: من الطغيان وهو مجاوزة الحد، والطاغوت فيه تاء زائدة؛ لأنه إذا كان من الطغيان فأصول الحروف (الطاء- الغين- الياء)، فالتاء زائدة وتزاد التاء في آخر الكلمة للمبالغة أحياناً كما في قولهم (فلان علامة)، أي: كثير العلم ﴿إِنَّ إِتْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ [النحل: ١٢٠] أي: إماماً، لأنه كان أهلاً للإمامة، والطاغوت فسره المؤلف بقوله:

أَهْوَنُ بِذَا الطَّاعُوتِ لَا عَزَّ اسْمُهُ طَاعُوتِ ذِي التُّعْطِيلِ وَالْكَفْرَانِ

قوله: (أهون به): هذه صيغة تعجب بمعنى، ما أهونه، ومثل هذه الصيغة قوله تعالى ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُوتَنَّا﴾ [مريم: ٣٨] أي: ما أسمعهم وما أبصرهم يوم يأتوننا. وقوله (لا عز اسمه) أي: ارتفع وغلب.

كَمْ مِنْ أُسِيرٍ بَلَّ جَرِيحٍ بَلَّ قَتِيءٍ لِي تَحْتَا ذَا الطَّاعُوتِ فِي الْأَرْمَانِ

أي: أن هذا الطاغوت كان منه أسرى، وكان منه جرحى، وكان منه قتلى، فترقى المؤلف رَحِمَهُ اللهُ من الأهون إلى الأعظم.

وَتَرَى الْجَبَانَ يَكَادُ يَخْلَعُ قَلْبُهُ مِنْ لَفْظِهِ تَبًّا لِكُلِّ جَبَانٍ

ترى الجبان يكاد يخلع قلبه من هذا اللفظ، ثم قال: (تباً) أي: خساراً لكل جبان.

وَتَرَى الْمُخَنَّثَ حِينَ يَفْرَعُ سَمْعَهُ تَبْدُو عَلَيْهِ شِمَائِلَ النِّسْوَانِ

قوله: (المخنث): هو الذي سلب الذكورية عن نفسه، وجعل نفسه بمنزلة النساء، وإذا سمع هذا الطاغوت (تبدو عليه شمائل النساء) أي: صفات النساء.

وَيَظْلُ مَنْكُوحًا لِكُلِّ مُعْطَلٍ وَلِكُلِّ زَنْدِيقٍ أَحْيَى كُفْرَانِ

المعنى: أنهم يجعلونه بمنزلة المرأة، فيهينونه بالنكاح.

وَتَرَى صَبِيَّ الْعَقْلِ يَفْرَعُهُ اسْمُهُ كَالْغُولِ حِينَ يَقَالُ لِلصَّبِيَّانِ

قوله: (صبي العقل) أي: الذي عقله صغير، لم يشتد.

وَتَرَى صَبِيَّ الْعَقْلِ يَفْرَعُهُ اسْمُهُ كَالْغُولِ حِينَ يَقَالُ لِلصَّبِيَّانِ

وقوله: (كالغول حين يقال للصبيان) كان هذا معناه يوحش به وهو ليس له أصل.

كُفْرَانَ هَذَا الْأَسْمِ لَا سُبْحَانَهُ أَبَدًا وَسُبْحَانَ الْعَظِيمِ الشَّانِ

المؤلف في البداية قال: (لا عز اسمه)، وقال (أهون به) وهنا صرح بأنه كافر بهذا الطاغوت،

وأنه لا ينزّهه ولا يعظمه، ولا يراه شيئاً.

كُفْرَانَ هَذَا الْإِسْمِ لَا سُبْحَانَهُ أَبَدًا وَسُبْحَانَ الْعَظِيمِ الشَّانِ
كَمْ ذَا التَّعَرُّسِ بِالْمُحَالِ أَمَا تَرَى قَدْ مَزَقَّتْهُ كَثْرَةُ الشُّهُمَانِ

المعنى: كم تترس بهذا المحال، ولكن سهوانه حق تحرقه وتمزقه، فما هذا الذي يتكلم عنه المؤلف حتى جعلنا نشاق إليه، ما هذا الطاغوت؟ قال:

جِسْمٌ وَفُشِّرُ ثُمَّ تَجْسِيمٌ وَتَفْ شَيْرٌ أَمَا تَعْيُونَ مِنْ هَذَانِ

هذا هو الطاغوت، إذا قلت إن الله استوى على العرش تعجب قائلاً - أعوذ بالله - (جسم على جسم) وإذا قلت (يأتي)، قال: - أعوذ بالله - جسم اتق الله، خاف الله، لا تصف الله بالتجسيم. فصيَّبَ العقل يتوحش من هذا، والجبان يهرب منه، وأعوذ بالله فأنا لا أجسم، فهل إذا قلت (استوى على العرش) أيكون هذا تجسيم؟ إذا قال: نعم، فقل: - أعوذ بالله - من هذا، إذا أبلغني جزاك الله خيرًا ما معنى استوى على العرش؟ إذا قال معناها استوى، لكن لا نجسم، قل: أنت إذا أثبت هذا فصرت مجسم وصرت من أهل التجسيم والتشبيه. فالإنسان الذي ليس عنده إدراك، وهو صغير العقل يظن أن هذا الكلام حقيقه فيتوقف، ويقول - أعوذ بالله - من التجسيم ومن كل شيء يستلزم التجسيم، ثم ينكر الصفات التي أثبتها الله لنفسه بهذه الحجة الباطلة.

إذن ابن القيم بعد أن جعلنا نشاق إلى معرفة هذا الطاغوت، وبين لنا أن الطاغوت هو التجسيم والغارة على أهل السنة بأنهم أهل التجسيم، والله أعلم. وقوله: (الجبروت) أيضًا صيغ مفردة مثل الطاغوت من (الجبر).

أَنْتُمْ وَضَعْتُمْ ذَلِكَ الطَّاعُوتُ ثُمَّ مَ بِهِ نَقَيْتُمْ مُوجِبَ الْقُرْآنِ
وَجَعَلْتُمُوهُ شَاهِدًا بَلْ حَاكِمًا هَذَا عَلَى مَنْ يَا أَوْلِي الْعُدْوَانِ

على من جعلوه حاكمًا وشاهدًا؟ جعلوه حاكمًا على الله فقالوا مثلاً. إن الله قال في كتابه: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: ٤] ولو أثبتنا المعنى على ظاهره لزم أن يكون الله جسمًا وعلى هذا ننفي الاستواء، فجعلوا هذا الطاغوت حاكمًا على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وجعلوه حاكمًا يرجعون إليه في هذا الباب. ولهذا قال:

أَعْلَى كِتَابِ اللَّهِ ثُمَّ رَسُولِهِ بِاللَّهِ اسْتَحْيُوا مِنَ الرَّحْمَنِ

أي: أتمعلوه حكماً على كتاب الله وعلى رسول الله ﷺ، استحيوا من الله - عز وجل -، ولكن من قال قدر الله موزوناً بعقله فإنه لم يستحي من الله؛ لأن قدر الله موزون بالوحي في الكتاب والسنة.

فَقَضَاؤُهُ بِالْجُورِ وَالْعُدْوَانِ مِثْلُ قِيَامِهِ بِالزُّورِ وَالْعُدْوَانِ
قِيَامُهُ بِالزُّورِ مِثْلُ قَضَائِهِ بِالْجُورِ وَالْعُدْوَانِ وَالْبُهْتَانِ

معنى كلام المؤلف: أن هؤلاء قضوا بالجور والعدوان، كما أنهم تكلموا بالزور والبهتان فقضوا بالجور والعدوان حيث جعلوا عقولهم حكماً على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ثم قضوا بالزور والبهتان حيث نفوا ما أثبتته الله لنفسه، وأثبتته رسوله ﷺ.

وقالوا: هذا يقتضي التجسيم، فجمعوا بين الزور والبهتان في القول، وبين الجور والعدوان في الحكم.

كَمْ ذِي الْجَعَّاجِ لَيْسَ شَيْءٌ تَحْتَهَا إِلَّا الصُّدَى كَالْبُومِ فِي الْخُرْبَانِ

قوله: (الجعجاج): تقدم معناها وهي الأصوات التي لا تفيد شيئاً، ومنه المثل المعروف (تسمع جمعجته وليس ترى طحناً) أي: تسمع أصواتاً مزعجة من هذا الشخص ولكن لا ترى طحناً أي لا ترى عملاً.

وهنا يقول: (إلا الصدى كالبوم في الخربان) أي: البوم في المواضع الخربة تصوت وتدوى ولكن لا تفيد شيئاً، فهذه أصواتكم كمثال البوم في المواضع الخربة لا تفيد شيئاً.

وَنَظِيرٌ هَذَا قَوْلُ مُلْحِدِكُمْ وَقَدْ جَحَدَ الصِّفَاتِ لِفَاطِرِ الْأَكْوَانِ
لَوْ كَانَ مَوْصُوفًا لَكَانَ مُرَكَّبًا فَالْوُصْفُ وَالتَّرْكِيبُ مُتَّجِدَانِ

أيضاً هذا طاغوت أحز وهو أنه لو كان متصلًا بالصفات لكان مركباً من الصفة والذات، والتركيب ممتنع على الله، لأن التركيب يستلزم الحدوث وافتقاد المركبين بعضهما لبعض وحيثئذ يجب إنكار الصفات.

ذَا الْمُنْجِنِيقُ وَذَلِكَ الطَّاغُوتُ قَدْ هَدَمَا دِيَارَكُمْ إِلَى الْأَرْكَانِ

المؤلف رحمه الله جعل التجسيم طاغوتاً، وجعل القول بأن الوصف يلزم منه التركيب جعله منجنيقاً.

والمعنى أو المؤدى واحد؛ لأن المقصود بالتجسيم والتركيب: هو رد ما جاء به الكتاب والسنة من صفات الله - عز وجل -.

وَاللَّهُ رَبِّي قَدْ أَعَانَ بِكَسْرِ ذَا وَيَقْطَعُ ذَا سُبْحَانَ ذِي الْإِحْسَانِ

أعان الله - عز وجل - أهل السنة والجماعة على كسر هذا الطاغوت وعلى قطع المنجنيق فهدموا

- والله الحمد- بنائهم وصاروا يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين.
ثم بدأ المؤلف يبين الكسر والقطع.

فَلَيْنَ زَعَمْتُمْ أَنَّ هَذَا لَازِمٌ لِمَقَالِكُمْ حَقًّا لَزُومَ بَيَانِ
فَلَنَّا جَوَابَاتٌ ثَلَاثٌ كُلُّهَا مَعْلُومَةٌ الْإِيضَاحِ وَالْتِيَانِ

الأول: (منع اللزوم) أي: إذا قالوا: إنه يلزم من ثبوت الصفة أن يكون جسمًا، نقول: لا يلزم فقط؛ لأنه ليس عندهم إلا دعوة فقط والدعوة لنا أن نمنعها كما أنه لو ادعى شخص على آخر بمائة ريال فللمدعى عليه أن يمنع، ويقول هات البينة.

مَنْعُ اللَّزُومِ وَمَا بِأَيْدِيكُمْ سِوَى دَعْوَى مُجَرَّدَةٍ عَنِ الْبُرْهَانِ
لَا يَرْتَضِيهَا عَالِمٌ أَوْ عَاقِلٌ بَلْ تِلْكَ حِيلَةٌ مُفْلِسٍ فَتَّانِ

إذن الجواب الأول هو منع اللزوم، ونقول لا تلازم بين ثبوت الصفة والجسم إذ قد ثبت الصفات بغير الأجسام، ألسنا نقول: هذا يوم بارد وهذا يوم حار؟ الجواب: بلا، هل اليوم جسم؟ لا بل زمن ووقت، فإذا قلت يلزم من ثبوت الصفة أن يكون جسمًا، قلنا ليس بلازم وهذه دعوة مجردة منكم لا يقبلها عالم ولا عاقل.

فَلَيْنَ زَعَمْتُمْ أَنَّ مَنْعَ لَزُومِهِ مِنْكُمْ مُكَابِرَةٌ عَلَى الْبُطْلَانِ
فَجَوَابُنَا الثَّانِي امْتِنَاعُ التَّنْفِي فِي مَا تَدْعُونَ لَزُومَهُ بَيَانِ

يعني: لو قلت إن هذه مكابرة، وهي منع اللزوم أي منع التلازم، أي لو قالوا بل هذا لازم بلا شك وكونكم تقولون إنه ليس بلازم مكابره، وعلمتم قولنا بمنع التلازم ليس بمكابره، ووجهه: أن قد يوصف الشيء بالصفة وليس بجسم، فمعنا هذا صحيح وليس مكابرة، لأننا نقول يوم طويل وحر شديد وما أشبه ذلك، وهذه ليست أجسامًا، فمعنا للتلازم ليست مكابرة، لأننا وجدنا أنه يصف فلا يكون مكابرة.

فَجَوَابُنَا الثَّانِي امْتِنَاعُ التَّنْفِي فِي مِمَّا تَدْعُونَ لَزُومَهُ بَيَانِ
إِذْ كَانَ ذَلِكَ لَازِمًا لِلنَّصِّ وَالْحَقُّ لَازِمُهُ فَحَقُّ مِثْلُهُ
وَأَنْتَى يَكُونُ الشَّيْءُ ذَا بُطْلَانِ عَيْنُ الْمُحَالِ وَلَيْسَ فِي الْإِمْكَانِ
تَكُونُ مَلْزُومَاتُهُ حَقًّا فَذَا

الجواب الثاني: أن نقول إذا قلت أننا مكابرون، وأنه لا بد أن يكون الموصوف جسمًا فإننا نقول إذا كان كذلك فإننا لا نمنع الجسم؛ لأنه إذا كان ثبوت الجسم لازمًا لقول الله وقول رسوله فإن

قول الله وقول رسوله حق، ولازم الحق حق، ولا يمكن أن يكون لازم الحق باطلاً أبداً، كما أنه لا يمكن أن يكون لازم الباطل حقاً، فأنتم الآن إذا قلتم أنه يلزم من ثبوت الصفة التي أثبتتها لنفسه أن يكون الله جسماً، قلنا من الذي أثبت؟ الله، وكلام الله حق وحيثئذ يكون الجسم حقاً؛ لأن لازم الحق حق، ولا يمكن أن يكون لازم الحق باطلاً.

إذن بهذا نلقيهم حجراً، فنقول إذا كان إثبات الصفات التي أثبتها الله لنفسه يستلزم التجسيم فالتجسيم حق ونفيكم إياه خطأ؛ لأنه لازم للحق، ولازم الحق حق، لا يمكن أن يكون اللازم باطلاً والملزوم حقاً أبداً، ولا يمكن العكس، وهذا على الحقيقة حجة تلقمهم حجراً، ولهذا قال:

فَجَوَابُنَا الشَّانِي امْتِنَاعُ النَّفْسِي فِي — مَا تَدْعُونَ لُزُومَهُ بَيَانِ

والذي يدعون لزومه هو التجسيم أو الجسمية.

فنقول نحن لا نفيه بل نمنع نفيه، ونقول هو ثابت؛ لأنه لازم الحق على زعمهم، ولازم الحق حق.

ولهذا قال: (إن كان ذلك لازماً للنص فالملزوم حق والحق لازمة حق)، فالملزوم النص، واللازم - على قولهم - الجسم.

إِذْ كَانَ ذَلِكَ لَازِمًا لِلنَّصِّ وَالْ

مَلْزُومُ حَقِّ وَهُوَ ذُو بَطْلَانِ

وَالْحَقُّ لَازِمُهُ فَحَقُّ مِثْلُهُ

وَتَكُونُ مَلْزُومَاتُهُ حَقًّا فَاذَا

عَيْنُ الْمُحَالِ وَلَيْسَ فِي الإِمْكَانِ

قوله: (أنى يكون الشيء ذا بطلان) والشيء الذي يكون ذا بطلان على قولهم هو التجسيم، ويكون ملزوماً به والنص حقاً فإذا عين المحال وليس في الإمكان لازم الحق حق ولا يمكن أن يكون لازم الحق باطلاً، فإذا كان الجسم لازماً مما أثبتته الله لنفسه فهو حق، وإن لم يكن لازماً فإنه يصح أن تُلزَمُ به.

فَتَعَيْنَ الإِلْزَامَ حَيْثُ دَعَى عَلَى

قَوْلِ الرُّسُولِ وَمُحَكِّمِ الْقُرْآنِ

وَجَعَلْتُمْ أَتْبَاعَهُ مِمَّا تَسْتَرُونَ

خَوْفًا مِنَ التَّضَرُّيحِ بِالْكُفْرَانِ

الجواب الثاني: أننا لم نقله على ما دلت عليها النصوص القرآنية والأحاديث النبوية فإن كان لازمه التجسيم كما زعمتم فإذا صح ذلك فالملزوم حق؛ لأننا لم نتبع خلاف ما دل عليه كتاب الله وسنة رسوله؛ لأنه من المحال أن يكون الشيء باطلاً في نفسه، وتكون ملزوماته حقاً فتعين إلزامكم، حيثئذ على قول الرسول ومحكم القرآن، وأنهم لم يدلا لإعلى التجسيم والتشبيه فرميتم أتباع الرسول بالتجسيم والتشبيه والتركيب تستراً وهذا معنى قوله (مما تسترون).

قول آخر يقول: (فجعلتم هذه مقاله جنسه ووقاية من الطعن في النصوص نفسها).
- معنى قوله (منا تسترا): خوفاً من أنكم إذا نسيتم الكتاب والسنة إلى التشبيه نشبتم إلى الكفر والضلال وإلا فالمشركون لم يقولوا إلا ما قاله الله ورسوله؛ لكن جعلتم تشنيعكم على أتباع جنسه، وقصدكم مفهوم.

فعلى كل حال تبين من مفهوم كلام الشيخ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن قوله هذا باطل، وخلاصة الأجوبة:
الجواب الأول: أن نمنع اللزوم ونقول هذا مجرد دعوه.
الثاني: لو سلمنا جدلاً أنه لازم فإن كان لازماً على قول الله ورسوله فهو حق؛ لأن لازم الحق حق وحيثئذ يلزمكم أن تقولوا به ونحن إذا قلنا به فليس علينا حرج.

وَجَعَلْتُمْ أَتْبَاعَهُ مَا نَسْتُرًا خَوْفًا مِنَ التَّضَرِّيحِ بِالْكَفْرِ
الخطاب للمعطلة، هم جعلوا أتباعه - أتباع الرسول - كفره؛ لأنهم يرون أن التجسيم كفر وأن إثبات الصفات كفر يلزم هذا أن من أثبت الصفات فهو كافر.

وَاللَّهُ مَا قُلْنَا سِوَى مَا قَالَهُ هَذَا مَقَالَتَنَا بِأَلَا كَيْتَمَانِ
أي: والله ما قلنا نحن المثبتين للصفات.

فَجَعَلْتُمُونَا جُنَّةً وَالْقَصْدُ مَفْهُومٌ فَنَحْنُ وَقَايَةُ الْقُرْآنِ
أي: حسبتم اللوم علينا وقتلتم أنتم كفره، والحقيقة أنكم تسبون الرسول والقرآن؛ لأننا نحن متبعون الكتاب والسنة فجعلتم اللوم علينا والمقصود الرسول والقرآن.

وَلِهَذَا قَالَ (فجعلتمونا جنة) أي: تتقون بها.
هَذَا وَتَأَلَّثُ مَا نُجِيبُ بِهِ هُوَ اشْتِغَارُكُمْ يَا فِرْقَةَ الْعَرْفَانِ
أي: أنتم أصحاب معرفة وأصحاب علم وإن لم تقتنعوا بالجواب الأول والثاني فإننا نستفسركم أي: نطلب منكم التفسير وأنتم أهل للتفسير لأنكم ذو عرفان.

مَاذَا الَّذِي تَعْنُونَ بِالْجِسْمِ الَّذِي تَعْنُونَ مَا هُوَ قَائِمٌ بِالنَّفْسِ أَوْ
عَالٍ عَلَى الْعَرْشِ الْعَظِيمِ الشَّانِ صَافٍ الْكَمَالَ عَدِيمَةَ التَّقْصَانِ
أَوْ مَا تَرَكَّبَ مِنْ جَوَاهِرٍ فَزْدَةٍ أَوْ مَا هُوَ الْجِسْمُ الَّذِي فِي الْعُرْفِ أَوْ
كَيْفَ يُقَالُ تَعْلِيمِي ذِي الْأَذْهَانِ

أي: نسألهم ماذا تريدون بالجسم؟ هل تريدون ما هو قائم بالنفس أو العالي على العرش؟ إن أرادوا ذلك فالجسم حق؛ لأن الله قائم بنفسه عالٍ على عرشه، وهل يسلم من هذا فساد أو نقص؟ أبدًا. أو تعنون:

أَوْ ذَا الَّذِي قَامَتْ بِهِ الْأَوْصَافُ أَوْ صَافِ الْكَمَالِ عَدِيمَةَ الْتُقْصَانِ

إذا قالوا نعم نريد بالجسم ما قامت به الأوصاف، نقول هو الله، فالله تعالى قامت به الأوصاف وما الذي يضر إذا أثبتنا جسمًا بهذا المعنى، هذا ليس به نقص بوجه من الوجوه. إن أرادوا ذلك فإننا نمنعهم؛ لأن الله - عز وجل - لم يكن جسمًا بهذا المعنى أي: جسمًا مركبًا من جواهر فرده أو صور حلت هيولى ثاني الهيولى مثل الشكل والهيئة.

أَوْ مَا هُوَ الْجِسْمُ الَّذِي فِي الْعُرْفِ أَوْ فِي الْوَضْعِ عِنْدَ تَخَاطُبِ بِلْسَانِ

الجسم عند الناس جسد الإنسان والجسم بالوضع قد يكون أعم أي: كل ما له شيء في قلبه. قوله: (الوضع) أي: اللغة العربية، فإذا أطلق (الوضع) عند العلماء في أصول الفقه أو غيرها فالمراد به: اللغة العربية. أمّا العرف أي: لغة أهل العرف.

أَوْ مَا هُوَ الْجِسْمُ الَّذِي فِي الدِّهْنِ ذَا كَيْقَالَ تَعْلِيمِي ذِي الْأَذْهَانِ

يريدون الجسم بالكلية أو الكليات الذهنية وهذا كما سبق مرارًا ليس له وجود، فالكلية الذهنية ليس لها وجود.

مثالها: الحيوان، والحيوان كلمة تشتمل كل ذي حياة: الإبل، البقر، الغنم، الحمر، غيرها، وقد يتخيل الذهن أن هناك حيوانية عامة تجمع هذه الأجناس وهذا الذي يتصوره الذهن هل له حقيقة في الخارج؟ لا أبدًا ولكنه شيء يفرد الذهن، حيث يتخيل أن حيوانيته شملت هذه الأنواع، البشرية أيضًا معنى كُلي يفرد الذهن وإلا فبشريتي أنا غير بشريتك أنت، لكن الذهن يتخيل أن هناك معنى كليًا يشترك فيه كل بشر، فهل تعنون بالجسم الجسم الذهني الذي يتصوره الذهن ولا حقيقة له في الخارج هذا معنى قوله (يقال لذي الأذهان).

مَاذَا الَّذِي فِي ذَاكَ يَلْزَمُ مِنْ ثَبُو تِ عُلُوِّهِ مِنْ فَوْقِ كُلِّ مَكَانٍ

انعطف الآن المؤلف على المعنى الأول (الجسم) أنه القائم بنفسه العالي على عرشه.

مَاذَا الَّذِي فِي ذَاكَ يَلْزَمُ مِنْ ثَبُو تِ عُلُوِّهِ مِنْ فَوْقِ كُلِّ مَكَانٍ

ما الذي يلزم؟ هل يلزم نقص؟ أبدًا، أو يلزم مماثلة للمخلوقين؟ أبدًا.

فَأَتُوا بِتَغْيِينِ الَّذِي هُوَ لَازِمٌ فَإِذَا تَعَيَّنَ ظَاهِرُ التَّبْيَانِ

فَأَتُوا بِبُرْهَانَيْنِ بُرْهَانَ اللَّزْمِ م وَنَقْيِ لَازِمِهِ فَذَانِ اثْنَانِ

معناه: إذا ادّعيتم أنه يلزم من ثبوت علو الله فوق كل شيء يلزم من ذلك النقص، فبينوه، فإذا تعين وبينتموه؛ فإننا نطلب منكم برهانين، الأول: برهان اللزوم، والثاني: نفي اللازم، فإذا أتيتم برهان اللزوم ونفي اللازم، حينئذ نقبل كلامكم، ومعنى (برهان اللزوم): أي أن تأتوا بأن هذا لازم بهذا، هذا الأول، والثاني نفي هذا اللازم، فمثلاً إذا قالوا: يلزم من هذا النقص، قلنا: اثبتوا هذا اللازم، ثم اثبتوا أن هذا النوع من اللوازم منتفٍ؛ فإن لم تثبتوا هذا ولا هذا، فقد عجزتم عن الجواب؛ إذن الآن الذي يدعي اللازم، مُطالَبٌ بإثبات أن هذا اللازم، فإذا أثبت أن هذا اللازم يُطالب بطلبٍ آخر، وهو أن هذا اللازم يلزم نفيه، وهذا معنى كلام المؤلف.

وَاللَّهُ لَوْ نُشِرَتْ لَكُمْ أَشْيَاخُكُمْ عَجَزُوا وَلَوْ وَاطَّاهُمُ الثَّقَلَانِ

أي: لو أن أشياخكم الذين تقلدوهم الآن وتبعوهم نشروا، وأحباهم الله، عجزوا عن إثبات ذلك.

إِنْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ فُحُولًا فَابْرُزُوا وَدَعُوا الشُّكَاوَى حِيلَةَ التَّسْوَانِ

تحديد، هكذا ينبغي على الإنسان أن يكون قوياً أمام الباطل؛ لأن أعداء أهل السنة والجماعة، أكثر ما يعتمدون على الشكاوى على السلاطين والخلفاء، فيشكون هذا للخليفة، ويقولون هذا أضل الناس، هذا فعل، وهذا فعل، وهذا فعل، ثم الخليفة جاهل يأمر بحبسه، يأمر بجره في الأسواق في ذبول الخيل والأبغال وما أشبه ذلك كما فعلوا بالإمام أحمد.

وَإِذَا اسْتَكَيْتُمْ فَاجْعَلُوا الشُّكْوَى إِلَى الْبُرْهَانِ لَا الْقَاضِي وَلَا السُّلْطَانَ

هل للإنسان المحق أن يذهب إذا عجز عن مقاومتي وعن مناظرتي إلى القاضي أو للحاكم السلطان؟ هذا يدل على ضعفه، إذا كان صادقاً فليتفضل، هذا القرآن وهذه السنة، فالشكوى في القرآن والسنة إلى القاضي لا إلى السلطان.

فَنَجِيبُ بِالْتَّرْكِيْبِ حَيْثُ دَجَوَا بِأَشَافِيَا فِيهِ هُدَى الْخَيْرَانِ

قوله: (نجيب بالتركيب) أي: بجواب مركب، ومركب من إثبات ونفي، فنجيب بالتركيب أي: بجواب مركب هذا معنى قوله (بالتركيب).

الْحَقُّ إِثْبَاتُ الصِّفَاتِ وَنَفْيُهَا عَيْنُ الْمَحَالِ وَلَيْسَ فِي الْإِمْكَانِ

هذه قاعدة، والحق إثبات الصفات لله - عز وجل - ونفي الصفات عنه عين المحال، فمستحيل أن تنتفي صفات الكمال عنه.

فَالْجِسْمُ إِمَّا لَازِمٌ لِثُبُوتِهَا فَهُوَ الصَّوَابُ وَلَيْسَ ذَا بَطْلَانِ

نعم، إذا كان لازماً لثبوت صفات الجسم فتشنيعكم علينا بهتان وكذب.

فَالْمَنْعُ فِي إِحْدَى الْمُقَدِّمَتَيْنِ مَعَهُ لَوْمُ الْبَيَانِ إِذَا بَلََا نَكَرَانَ

صدق رَحِمَهُ اللهُ، (إحدى المقدمتين) نقول: إن كان إثبات الصفات يستلزم التجسيم فهو صواب وحق، وإن كان لا يستلزم، فتشنيعكم علينا كذب وبهتان، لا بد إما هذا، وإما هذا.

الْمَنْعُ إِذَا فِي اللَّزُومِ أَوْ انْتِفَاءً ۚ اللَّازِمُ الْمُنْسُوبُ لِلْبَطْلَانِ

قوله: (المنع إما في اللزوم) أي نقول: هذا ليس بلازم، فلو ألزمتونا به فإنه ليس بلازم، أو إنتفاء اللازم البطلان أي: نقول هو لازم لكن ليس باطل.

هَذَا هُوَ الطَّاعُوتُ قَدْ أَمْسَى كَمَا أَبْضُرْتُمُوهُ بِمِنَّةِ الرَّحْمَنِ

الخلاصة الآن: أن هذا الطاعوت هو الجسم والتجسيم، وتبين الآن في الجواب عنه ثلاثة أوجه، أولاً: منع اللزوم، وهل لنا حق أن نمنعه؟ نعم؛ لأن مدعي اللزوم يحتاج إلى إثبات، والبينة على المدعي، ثانياً: على فرض أنه لازم فإنه حق؛ لأن قول الله ورسوله حق ولازم الحق حق، ولا يمكن أن يكون الملزوم حقاً واللازم باطلاً، أو العكس.

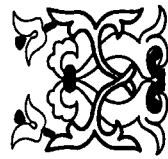
الجواب الثالث: التفصيل، نقول: ماذا تعنون بالجسم إن أردتم بالجسم القائم بنفسه العالي على خلقه الكامل في صفاته، فنحن نقر وليس فيه شيء.

وإن أردتم بالجسم المركب من الهيولى والصورة وما أشبه ذلك، أو من الجواهر الفردة، فإننا نمنع ذلك ونقول هذه حُجَّة لا نلتزم بها.





عهد بين يدي الفصل



قال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللهُ:

فصل

في مبدأ العداوة الواقعة بين المُثَبِّتِينَ المُوَحِّدِينَ وبين النَّافِينَ المُعْطَلِينَ

فالعداوة منشأها من المآخذ والأدلة التي بنى عليها كل فريق منها اعتقاداته وأقواله وأحواله، وأنها في غاية التباين، وقد تقدم مرارًا أن المثبتين الموحدين بنوا عقيدتهم على ما قاله الله في كتابه وقاله رسوله ﷺ وما كان عليه الصحابة والتابعون لهم بإحسان، وأيد ذلك العقل الصحيح والفطرة المستقيمة، والمعطلة عكسوا الأمر فجعلوا عقولهم الفاسدة وآراءهم الضالة أصلًا عليه يعتمدون، فهذا التخالف في الأصل والطريق من لازمه التعارض والتخالف والتعادي، ومن أراد الوفاق بدون اتفاق فقد رام المحال.



فصل

في مبدأ العداوة الواقعة بين

المتبئين الموحدين وبنى النفاة المعطلين

٣٨٢٤- يَا قَوْمُ تَذُرُونَ الْعَدَاوَةَ بَيْنَنَا

مِنْ أَجْلِ مَاذَا مِنْ قَدِيمِ زَمَانٍ

٣٨٢٥- إِنَّا تَخَرْنَا إِلَى الْقُرْآنِ وَالنَّ

نْقَلِ الصَّحِيحِ مُفَسِّرِ الْقُرْآنِ

٣٨٢٦- وَكَذَا إِلَى الْعَقْلِ الصَّرِيحِ وَفِطْرَةِ الزُّ

رَحْمَنِ قَبْلَ تَغْيِيرِ الْإِنْسَانِ

٣٨٢٧- هِيَ أَرْبَعٌ مُتَلَازِمَاتٌ بَعْضُهَا

قَدْ صَدَّقَتْ بَعْضًا عَلَى مِيزَانِ

٣٨٢٨- وَاللَّهِ مَا اجْتَمَعَتْ لَدَيْكُمْ هَذِهِ

أَبَدًا كَمَا أَفْرَزْتُمْ بِلِسَانِ

٣٨٢٩- إِذْ قُلْتُمْ الْعَقْلُ الصَّحِيحُ يِعَارِضُ الـ

مَمْنُوقِ مَنْ أَثَرٍ وَمِنْ قُرْآنِ

٣٨٣٠- فَتَقَدَّمَ الْمَعْقُولُ ثُمَّ نُصِرَفَ الـ

مَمْنُوقِ بِالتَّأْوِيلِ ذِي الْأَلْوَانِ

٣٨٣١- فَإِذَا عَجَزْنَا عَنْهُ أَلْقَيْنَاهُ لَمْ

نَعْبَأُ بِهِ قَضْدًا إِلَى الْإِحْسَانِ

٣٨٣٢- وَلَكُمْ بِذَا سَلَفٍ لَهُمْ تَابِعْتُمْ

لَمَّا دُعُوا لِلأَخْذِ بِالقُرْآنِ

٣٨٣٣- صَدُّوا فَلَمَّا أَنْ أُصِيبُوا أَقْسَمُوا

لَمُرَادِنَا تَوْفِيقُ ذِي الإِحْسَانِ

٣٨٣٤- وَلَقَدْ أُصِيبُوا فِي قُلُوبِهِمْ وَفِي

تِلْكَ العُقُوبِ بِعَايَةِ التَّقْصَانِ

٣٨٣٥- فَاتُّوا بِأَقْوَالٍ إِذَا حَصَّلتَهَا

أُسْمِعَتْ ضَحْكَةً هَازِلٍ مَجَّانٍ

٣٨٣٦- هَذَا جَزَاءُ المُعْرِضِينَ عَنِ الهُدَى

مُتَعَوِّضِينَ رَحَارِفِ الهَذْيَانِ^(١)

٣٨٣٧- وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا بِشَيْخِ القَوْمِ إِذْ

يَأْبَى السُّجُودَ بِكَبِيرِ ذِي طُغْيَانٍ

٣٨٣٨- ثُمَّ ارْتَضَى أَنْ صَارَ قَوَادًا لِأَرْ

بَابِ الفُسُوقِ وَكُلِّ ذِي عِصْيَانٍ

٣٨٣٩- وَكَذَلِكَ أَهْلُ الشِّرْكِ قَالُوا كَيْفَ ذَا

بَشَرٌ أَتَى بِالقُوْحِيِّ وَالْقُرْآنِ

٣٨٤٠- ثُمَّ ارْتَضَوْا أَنْ يَجْعَلُوا مَعْبُودَهُمْ

مِنْ هَذِهِ الأَحْجَارِ وَالْأَوْثَانِ

٣٨٤١- وَكَذَلِكَ عَبَادُ الصَّلِيبِ حَمَّوْا بَنَّا

رِكَهْمُ مِنَ النَّسْوَانِ وَالْوِلْدَانِ

(١) [٣٨٣٤: ٣٨٣٦] قال العلامة محمد خليل هراس:

ولقد أصيب هؤلاء الحمقى المتهوكون بعمى في قلوبهم وفساد في عقولهم جزاء إعراضهم عما جاءهم به نبيهم من الهدى، واستعاضتهم عنه بأقوال مُزخرفة موهمة، كلها سفسطة وهذيان، لا يملك من يطلع عليها إلا أن يضحك ملء شديقه كما يضحك الهازل المجان.

٣٨٤٢- وَأَتُوا إِلَى رَبِّ السَّمَوَاتِ الْعُلَا

جَعَلُوا لَهُ وَلَدًا مِّنَ الذُّكْرَانِ

٣٨٤٣- وَكَذَلِكَ الْجَهْمِيُّ نَزَرَهُ رَبُّهُ

عَنْ عَرْشِهِ مِنْ فَوْقِ ذِي الْأَكْوَانِ

٣٨٤٤- حَذْرًا مِّنَ الْحَضَرِ الَّذِي فِي ظَنِّهِ

أَوْ أَنْ يَرَى مُتَحَيِّرًا بِمَكَانِ

٣٨٤٥- فَأَصَارَهُ عَدَمًا وَلَيْسَ وَجُودُهُ

مُتَحَقِّقًا فِي خَارِجِ الْأَذْهَانِ^(١)

٣٨٤٦- لَكِنَّمَا قَدَمَاؤُهُمْ قَالُوا بِأَنَّ

الذَّاتِ قَدْ وُجِدَتْ بِكُلِّ مَكَانِ

٣٨٤٧- جَعَلُوهُ فِي لَابَارِ وَالْأَنْجَاسِ وَالْ

خَانَاتِ وَالْخَرِبَاتِ وَالْقَبَعَانِ

٣٨٤٨- وَالْقَضْدُ أَنْكُمْ تَحَيَّرْتُمْ إِلَى الْ

آرَاءِ وَهِيَ كَثِيرَةٌ الْهَيْدِيَانِ

٣٨٤٩- فَتَلَوْنَتْ بِكُمْ فَجِئْتُمْ أَنْتُمْ

مُتَلَوْنِينَ عَجَائِبِ الْأَلْوَانِ

٣٨٥٠- وَعَرَضْتُمْ قَوْلَ الرَّسُولِ عَلَى الَّذِي

قَدْ قَالَهُ الْأَشْيَاخُ عَرَضَ وَزَانَ

٣٨٥١- وَجَعَلْتُمْ أَقْوَالَهُمْ مِيزَانَ مَا

(١) [٣٨٤٥: ٣٨٤١] قال العلامة محمد خليل هراس:

فانظر كيف أنهم لم يجعلوا ربهم حتى مساوياً لرؤسائهم من القسيسين والرهبان فيُنزوهه عما نزوههم عنه من النسوان والولدان، ومثل هؤلاء جميعاً ذلك الجهمي الذي ينزهه ربه عن أن يكون فوق عرشه، خوفاً من وصفه بالحد والنهائية في زعمه أو أن يكون في حيز ومكان، ثم رضي أن يصفه بصفات المعدوم الذي لا وجود له إلا في الأذهان.

فَدَقَّالَهُ وَالْعَوَّلُ فِي الْمِيزَانِ

٣٨٥٢- وَوَرَدْتُمْ سُفْلَ الْمِيَاهِ وَلَمْ نَكُنْ

نَرُضَى بِذَلِكَ الْوَرْدِ لِلظَّمَانِ

٣٨٥٣- وَأَخَذْتُمْ أَنْتُمْ بُيُوتَ الطَّرِيبِ

بِقِي وَنَحْنُ سِرْنَا فِي الطَّرِيقِ الْأَعْظَمِ

٣٨٥٤- وَجَعَلْتُمْ تُرْسَ الْكَلَامِ مَجْنَّةً

تَبَّأ لِيذَلِكَ التُّرْسِ عِنْدَ طِعَانِ

٣٨٥٥- وَرَمَيْتُمْ أَهْلَ الْحَدِيثِ بِأَسْهُمِ

عَنْ قَوْسِ مَوْثُورِ الْفُؤَادِ جَبَانِ

٣٨٥٦- فَتَتَرَّسُوا بِالْوَحْيِ وَالشُّنَنِ الَّتِي

تَتَلَوُّهُ نِعَمَ التُّرْسِ لِلشُّجْعَانِ

٣٨٥٧- هُوَ تُرْسُهُمْ وَاللَّهُ مِنْ عُدْوَانِكُمْ

وَالتُّرْسُ يَوْمَ الْبُعْثِ مِنْ نِيرَانِ

٣٨٥٨- أَفْتَارِكُوهُ لِبُهْتِكُمْ وَمَحَالِكُمْ

لَا كَانَ ذَلِكَ بِمِنَّةِ الرَّحْمَنِ

٣٨٥٩- وَدَعَوْتُمُونَا لِلَّذِي قُلْتُمْ بِهِ

قُلْنَا مَعَاذَ اللَّهِ مِنْ خِذْلَانِ

٣٨٦٠- فَاشْتَدَّ ذَلِكَ الْحَرْبُ بَيْنَ فَرِيقِنَا

وَفَرِيقِكُمْ وَتَفَاقَمَ الْأَمْرَانِ

٣٨٦١- وَتَأَصَّلَتْ تِلْكَ الْعَدَاوَةُ بَيْنَنَا

مِنْ يَوْمِ أَمْرِ اللَّهِ لِلشَّيْطَانِ

٣٨٦٢- بِسُجُودِهِ فَعَصَى وَعَارِضَ أَمْرَهُ

بِقِيَاسِهِ وَيَعْقِلُهُ الْخَوَانِ

٣٨٦٣- فَأَتَى التَّلَامِيذُ الْوِقَاحُ وَعَارَضُوا

أَخْبَارَهُ بِالْفُشْرِ وَالْهَيْدِيَانِ

٣٨٦٤- وَمُعَارِضٌ لِلْأَمْرِ مِثْلُ مُعَارِضِ الْ-

أَخْبَارِ هُمْ فِي كُفْرِهِمْ صِنَوَانِ

٣٨٦٥- مَنْ عَارِضَ الْمَنْصُوصَ بِالْمَعْقُولِ قَدْ

مَا؟ أَخْبِرُونَا يَا أَوْلِي الْعِرْفَانِ

٣٨٦٦- أَوْ مَا عَرَفْتُمْ أَنَّهُ الْقَدْرِي وَال-

جَبْرِي أَيْضًا ذَاكَ فِي الْقُرْآنِ

٣٨٦٧- إِذْ قَالَ قَدْ أَغْوَيْتَنِي وَفَتَّنْتَنِي

لَأَزِينَنَّ لَهُمْ مَدَى الْأَزْمَانِ

٣٨٦٨- فَاحْتَجَّ بِالْمَقْدُورِ ثُمَّ أَبَانَ أَن-

نَ الْفِعْلَ مِنْهُ بِعِيَةِ وَزِيَانِ

٣٨٦٩- فَانظُرْ إِلَى مِيرَاثِهِمْ ذَا الشَّيْخِ بِالث-

تَغْصِيْبِ وَالْمِيرَاثِ بِالشُّهُمَانِ

٣٨٧٠- فَسَأَلْتُكُمْ بِاللَّهِ مَنْ وُزَّائُهُ

مِنَّا وَمَنْتُكُمْ بَعْدَ ذَا التَّبْيَانِ

٣٨٧١- هَذَا الَّذِي أَلْقَى الْعَدَاوَةَ بَيْنَنَا

إِذْ ذَاكَ وَاتَّصَلْتَ إِلَيَّ ذَا الْآنِ

٣٨٧٢- أَصَلْتُمْ أَضْلًا وَأَصَلَ خَضْمُكُمْ

أَضْلًا فَحِينَ تَقَابَلَ الْأَضْلَانِ

٣٨٧٣- ظَهَرَ التَّفَاوُتُ فَانْتَشَتْ مَا بَيْنَنَا الْ-

حَزْبُ الْعَوَانِ وَصِيحٌ بِالْأَقْرَانِ

٣٨٧٤- أَصَلْتُمْ رَأْيَ الرَّجَالِ وَخَرَصَهَا

مِنْ غَيْرِ بُزْهَانٍ وَلَا سُلْطَانٍ

٣٨٧٥- هَذَا وَكُنْمَ رَأْيٍ لَهُمْ فَبِرَأْيٍ مَنْ

نَزِنُ النَّصُوصَ فَأَوْضَحُوا بَيَانَ

٣٨٧٦- كُلُّ لَهُ رَأْيٍ وَمَعْقُولٌ لَهُ

يَدْعُو وَيَمْنَعُ أَخَذَ رَأْيَ فُلَانٍ

٣٨٧٧- وَالْحُضْمُ أَصْلٌ مُحْكَمُ الْقُرْآنِ مَعَ

قَوْلِ الرَّشُولِ وَفِطْرَةَ الرَّحْمَنِ

٣٨٧٨- وَيَنْبَى عَلَيْهِ فَاغْتَلَى بُنْيَانُهُ

نَحْوَ السَّمَاءِ أَعْظَمُ بِذَا الْبُنْيَانِ

الشرح

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

قوله: (المثبتين الموحدين) الذين يثبتون الصفات، (والنفاة المعطلين) يعني: الذين يعطلون الصفات.

يَا قَوْمُ تَذَرُونَ الْعَدَاوَةَ بَيْنَنَا

ما سبب العداوة بين المعطلين والمثبتين؟ لأن كل عداوة لا بد أن يكون لها سبب. يقول: الأسباب متعددة بينها رَحِمَهُ اللهُ في قوله:

إِنَّا تَخَيَّرْنَا إِلَى الْقُرْآنِ وَالنَّ

وَكَذَا إِلَى الْعَقْلِ الصَّرِيحِ وَفِطْرَةَ الزَّ

هِيَ أَرْبَعٌ مُتَلَازِمَاتٌ بَعْضُهَا

هذه أربعة أشياء الأول: (تحيزنا إلى القرآن) على أنه كلام الله، والثاني هو: النقل الصحيح عن رسول الله ﷺ الذي يفسر القرآن، والثالث: العقل الصريح ومعناه السالم من الشبهات والشهوات، الشبهات: التباس الحق على الإنسان -والعياذ بالله- بحيث لا يلجأون إلى الحق وهذا

يقع كثيرًا، لا يلجأ الإنسان إلى الحق وسببه الذنوب.

انظر إلى قوله تعالى: ﴿إِذْ أَنْتَلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [المطففين: ١٣]

قال الله تعالى: ليست أساطير الأولين ولكن السبب:

﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤]

فمنعتهم أن يروا الحق حقًا، -والعياذ بالله-

الثاني الشهوات: يعني الميل واللا إرادة، وليست هي شهوة الجنس أو شهوة الجماع أي: أن يكون الإنسان عنده علم لكن عنده سوء قصد ما يريد الحق ويتبع هوى نفسه فما هو العقل الصريح؟ هو السالم من الشبهات والشهوات، والسالم من الشبهات يعني: عنده علم، والسالم من الشهوات يعني: عنده إرادة حسنة، والخلل يأتي إما من الأول وإما من الثاني، ولذلك لا تجد أحدًا خالف الحق إلا بقصور في فهمه أو نقص في علمه أو تقصير في طلبه أو سوء في قصده وهذه هي أسباب قصور الإنسان أو أسباب عدم العلم.

والرابع يقول: (وفطره الرحمن قبل تغيير الإنسان).

فالفطرة السليمة تؤيد العقل الصريح والنقل الصحيح والقرآن.

وقوله: (قبل تغيير الإنسان) أشار رَحِمَهُ اللهُ إِلَى الْحَدِيثِ الثَّابِتِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ «كُلُّ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجَّسِنَانِهِ»^(١).

يقول المؤلف رَحِمَهُ اللهُ (هي أربع متلازمات).

ما هي الأربع؟ هي الكتاب والسنة والعقل الصريح والفطرة، فهذه أربع متلازمات يصدق بعضها بعضًا ويشهد بعضها لبعض؛ ولهذا قال: (بعضها قد صدقت بعضًا على ميزان).

وَاللّٰهُ مَا اجْتَمَعَتْ لَدَيْكُمْ هَذِهِ
إِذْ قَلْتُمْ الْعَقْلُ الصَّحِيحُ يَعَارِضُ الْ
فَقَدِّمِ الْمَعْقُولَ ثُمَّ نَصِّرِ الْ
فَإِذَا عَجَزْنَا عَنْهُ أَلْقَيْنَاهُ لَمْ
أَبَدًا كَمَا أَفْرَزْتُمْ بِلِسَانِ
مَنْقُولٍ مِنْ أَثَرٍ وَمِنْ فُرْزَانِ
مَنْقُولٍ بِالتَّأْوِيلِ ذِي الْأَلْوَانِ
نَعْبَأُ بِهِ قَضْدًا إِلَى الْإِحْسَانِ

يقول: إن هذا الأربع التي اعتمدنا عليها في إثباتها، وقد سبق شرحه.

وَاللّٰهُ مَا اجْتَمَعَتْ لَدَيْكُمْ هَذِهِ
أَبَدًا كَمَا أَفْرَزْتُمْ بِلِسَانِ

حينها أفروا بأنه لا رجوع إلى الكتاب والسنة في إثبات الصفات أو نفيها وإنما الرجوع إلى العقل فإذا تعارض العقل والنقل قُدِّمَ العقل -على كلامهم-؛ ولهذا قال المؤلف:

إِذْ قُلْتُمْ الْعَقْلُ الصَّحِيحُ يَعَارِضُ الْـ مَمْقُولٌ مِنْ أَثَرٍ وَمِنْ قُرْآنٍ

فَقَدِمَ الْمَعْقُولُ ثُمَّ نُصِرَفَ الْـ مَمْقُولٌ بِالتَّأْوِيلِ ذِي الْأَلْوَانِ

أي: نصرف المنقول بالتأويل بألوان شتى، فتارة يقال: إنه مجاز، أو استعارة أو تمثيل أو ما أشبه ذلك مما يقولون.

وقول المؤلف: (بالتأويل) هذا التأويل الذي سلكه المعطلون حقيقته التحريف؛ لأنهم حرفوا الكلم عن مواضعه. وهذا لما حصلت المناظرة بين شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ، وخصومه على العقيدة الواسطية بين أنه عبر بالتحريف من غير تحريف ولا تعطيل قال: لأن التأويل لا يمكن مع تحريف الكلم عما أراد الله، فيسمى هذا تحريفاً، حتى إن ابن القيم لا يدل سياق كلامه على أنه تأويل، لأنه ينفى كلامهم.

وقوله: (نقدم المعقول ثم نصرف المنقول بالتأويل) الذي يقول هذا هم المعطلة.

فَإِذَا عَجَزْنَا عَنْهُ أَلْفِينَاهُ لَمْ نَعْبَأْ بِهِ قَصْدًا إِلَى الْإِحْسَانِ

أي: وجدناه شيئاً لا نعبأ به ونهتّم به، هذه على نسخة (ألفيناه)، وعلى نسخة (ألقيناه) والمعنى: تركناه ورمينا به، مريدين بذلك الإحسان بالتوفيق بين المعقول وبين المنقول، فقالوا: ثبت ما دل عليه المعقول وما خالفه من المنقول نحرفه، أو على عبادتهم نؤوله ليوافق المعقول، (لم نعبأ به) أي: لم نبال به قصداً إلى الإحسان، فنكون بذلك أحسنا ذلك ووقفنا بين الأدلة العقلية والنقلية.

وَلَكُمْ بِذَا سَلَفَ لَهُمْ تَابِعْتُمْ لَمَّا دُعُوا لِلْأَخْذِ بِالْقُرْآنِ

قوله: (لكم) الخطاب للمعطلة، بهذا العقل أو بهذا الصنيع.

صَدُّوا فَلَمَّا أَنْ أَصِيبُوا أَقْسَمُوا لَمُرَادِنَا تَوْفِيقَ ذِي الْإِحْسَانِ

يشير رَحِمَهُ اللهُ إلى قوله تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضَلَّهُمْ ضَلَكًا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتُ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْإِحْسَانَ وَتَوْفِيقًا ﴿﴾ [النساء: ٦٠: ٦٢].

وهؤلاء المعطلة كذلك يقولون: نحن آمنّا بالله وبرسوله قوله تعالى: ﴿رُيُودُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ﴾، وهؤلاء المعطلة تحاكموا إلى الطاغوت وإلى العقل الذي أبطلوا به السمع.

وقوله تعالى: ﴿وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا﴾ أي: أمر هؤلاء أن يكفروا بالطاغوت وأن يتحاكَمُوا إلى الله ورسوله وهؤلاء المعطلة أمروا أن يرجعوا في إثبات الصفات ونفيها إلى الكتاب والسنة ولكنهم أبوا.

وقوله تعالى: ﴿وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ أي: بعيدًا عن الحق بنا ارتكبوا من المخالفات.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَىٰ الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا﴾، تراهم يصدون أي: يبعدون فلو قلت تعالوا أثبتوا ما أثبتته الكتاب والسنة صدوا وأعرضوا.

وقوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا أَصَبْتَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ واطلع عليهم، ﴿ثُمَّ جَاءَوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا﴾ قوله: ﴿إِنْ أَرَدْنَا﴾ أي: ما أردنا إلا إحسانًا وتوفيقًا بين الطاغوت وبين حكم الله، وهؤلاء يوفقون بين الأدلة العقلية والنقلية، حيث يقولون: ما أردنا إلا الإحسان والتوفيق بين الأدلة العقلية والنقلية؛ لأننا إذا أولنا القرآن والسنة ليطابقا المعقول عندنا، توافقت الأدلة العقلية والنقلية، ولهذا قال:

وَلَقَدْ أَصِيبُوا فِي قُلُوبِهِمْ وَفِي تِلْكَ الْعُقُولِ بِغَايَةِ التَّقْصَانِ
فَأَتَوْا بِأَقْوَالٍ إِذَا حَصَّ لَتْهَا أَسْمِعَتْ ضَحْكَةً هَازِلٍ مَجَّانِ

أي: لقد أصيب هؤلاء المعطلة في قلوبهم وفي عقولهم:

ف(في قلوبهم) أي: لأنهم لم يريدوا الرجوع إلى الكتاب والسنة، (وفي عقولهم) أي: لأنهم ظنوا أن ما قالوه عقليات وهي في الحقيقة وهميات ليس لها حقيقة، ولهذا قال:

فَأَتَوْا بِأَقْوَالٍ إِذَا حَصَّ لَتْهَا أَسْمِعَتْ ضَحْكَةً هَازِلٍ مَجَّانِ
هَذَا جَزَاءُ الْمُعْرِضِينَ عَنِ الْهُدَى مُتَعَوِّضِينَ زَخَارِفَ الْهَدْيَانِ

فجزاء من أعرض عن كتاب الله أن تكون أقواله ضحكة وهزوا للناس يسخرون بها ولا يعرفون لها قدرًا.

وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا بِشَيْخِ الْقَوْمِ إِذْ يَأْبَى السُّجُودَ بِكَبِيرِ ذِي طُعْيَانِ
ثُمَّ ارْتَضَى أَنْ صَارَ قَوَادًا لِأَرْبَابِ الْفُسُوقِ وَكُلِّ ذِي عَصِيَانِ
وَكَذَلِكَ أَهْلُ الشِّرْكِ قَالُوا كَيْفَ ذَا بَشَرٌ أَتَىٰ بِاللُّوحِيِّ وَالْقُرْآنِ
ثُمَّ ارْتَضَى أَنْ يَجْعَلُوا مَعْبُودَهُمْ مِنْ هَذِهِ الْأَحْجَارِ وَالْأَوْثَانِ
وَكَذَلِكَ عَبَادُ الصَّلِيبِ حَمَوْا بَنِي رِكَهْتُمْ مِنَ النَّسْوَانِ وَالْوُلْدَانِ
وَأَتَوْا إِلَىٰ رَبِّ السَّمَوَاتِ الْعُلَا جَعَلُوا لَهُ وَلَدًا مِنَ الذُّكْرَانِ

يقول: واضرب لهم مثلاً بشيخ القوم وشيخ القوم هو إبليس، (إذ يأبى السجود بكبر ذي طغيان)؛

لأنه قال في قوله تعالى: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ [الأعراف: ١٢]، وهذا كبير.

ثُمَّ ارْتَضَى أَنْ صَارَ قَوَادًا لِأَرْبَابِ الْفُسُوقِ وَكُلِّ ذِي عِصْيَانٍ
لم يَدَلَّ اللهُ لَكِنَّهُ صَارَ قَوَادًا لِأَهْلِ الْفُسُوقِ وَالْعِصْيَانِ.

وَكَذَلِكَ أَهْلُ الشِّرْكِ قَالُوا كَيْفَ ذَا بَشَرٍ أَتَى بِالْوَحْيِ وَالْقُرْآنِ
أَنكَرُوا رِسَالَاتِ النَّبِيِّ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -

ثُمَّ ارْتَضَوْا أَنْ يَجْعَلُوا مَعْبُودَهُمْ مِنْ هَذِهِ الْأَحْجَارِ وَالْأَوْثَانِ

أي: كل إنسان يخالف الحق لا بد أن يأتي بما يضحك العقلاء، فهو لاء لم ينقاصوا للبشر، بل قالوا: كيف يكون رسول وهو بشر؟! لكنهم لم يقولوا كيف يكون معبودًا وهو حجر؟! فهم رضوا بأن يكون معبودهم حجرًا، ولم يرضوا بأن يكون رسولهم بشرًا.

وَكَذَلِكَ عَبَادُ الصَّلِيبِ حَمَّوْا بَنَاتِهِمْ مِنَ النَّسْوَانِ وَالْوُلْدَانَ

البطريق عندهم أظنه لا يتزوج؛ لأنه منزه عن أن يكون له ولد ولكن رب العالمين لا بأس أن يكون له ولد؟ ولهذا قال:

وَأَتَوْا إِلَى رَبِّ السَّمَوَاتِ الْعُلَا جَعَلُوا لَهُ وَلَدًا مِنَ الذُّكْرَانِ

مع أن البطريق لا يتزوج ولا ولد له منزه عن الزوجة والولد، ورب العالمين ليس منزه، - نسأل الله العافية -

وَكَذَلِكَ الْجَهْمِيُّ نَزَّهَ رَبَّهُ عَنْ عَزْشِهِ مِنْ فَوْقِ ذِي الْأَكْوَانِ

أَوْ أَنْ يَرَى مُتَحَيِّرًا بِمَكَانٍ

فَأَصَارُهُ عَدَمًا وَلَيْسَ وَجُودُهُ مُتَحَقِّقًا فِي خَارِجِ الْأَذْهَانِ

الجهمي قال: إن الله منزه عن أن يكون فوق العرش؛ لأنه إذا كان فوق العرش صار محدودًا على محدود فهو إذن محصور (أو أن يرى متحيرًا بمكان) وهذا أيضًا ممنوع عندهم (فأصاره عدمًا) فقال هؤلاء ليس فوق العالم، ولا تحت، ولا يمين، ولا شمال، ولا متصل، ولا منفصل ولا محايض، ماذا صار؟ صار عدمًا، ولهذا قال:

لَكِنَّمَا قُدِّمُوا لَهُمْ قَالُوا بِأَنَّ الذَّاتِ قَدْ وُجِدَتْ بِكُلِّ مَكَانٍ

الجهمية الأوائل قالوا: إن الله بذاته في كل مكان والأواخر الذين قالوا محققون جعلوه عدمًا محضًا لا وجود له.

جَعَلُوهُ فِي لَابَارِ وَالْأَنْجَاسِ وَالْخَانَاتِ وَالْحَرَبَاتِ وَالْقِيَعَانِ

وَالْقَضُ أَنْكُمْ تَحَيَّرْتُمْ إِلَى الْآرَاءِ وَهِيَ كَثِيرَةٌ هَذَانِ
فَتَلَوْنَتْ بِكُمْ فَجِئْتُمْ أَنْتُمْ مَثَلَوْنِينَ عَجَائِبَ الْأَلْوَانِ

يعني: تميزوا إلى الآراء فتلونوا، قداماؤهم أبتوه في كل مكان، ومتأخروهم نفوه عن كل مكان، وهذا تلون عجيب؛ لأنهم يتبعون ما يدعونه عقليات وهي وهميات.
ولهذا قال:

وَعَرَضْتُمْ قَوْلَ الرَّسُولِ عَلَى الَّذِي قَدْ قَالَهُ الْأَشْيَاخُ عَرَضَ وَزَانَ

أي: عرضتم قول الرسول على أقوال الشيوخ عرض موازنة لا عرض مفاضلة ولو عرضه عرض مفاضلة، وقالوا الفضل لقول الرسول لكان هذا صحيح، ولو عرضوا قول الرسول على أشياخهم عرض مفاضلة على أن الفضل لقول الرسول لكان هذا حقا؛ لكن عرضه عرض موازنة ثم فضلوا قول شيوخهم وهذه مشكلة أيضا.

وَجَعَلْتُمْ أَقْوَالَهُمْ مِيزَانَ مَا قَدْ قَالَهُ وَالْعَوَّلُ فِي الْمِيزَانِ
وَوَرَدْتُمْ سُفْلَ الْمِيَاهِ وَلَمْ تَكُنْ تَرْضَى بِذَلِكَ الْوَرْدَ لِلظَّمَانِ

أي: المعنى أنهم وردوا أسفل المياه لا أعلاها النقي (ولم تكن نرضى بذلك الورد للظمان)، أي: أما نحن فلا نرضى بالورد الذي وردتم بل نشرب من فوق.

وَأَخَذْتُمْ أَنْتُمْ بِنِيَّاتِ الطَّرِيقِ بَقِي وَنَحْنُ سِرْنَا فِي الطَّرِيقِ الْأَعْظَمِ السُّلْطَانِي
(بنيات الطريق) أي: الطرق الصغيرة التي لا تسلك، والطريق الأعظم هو: الطريق الرئيسي الذي يسلكه السلطان، وأنه (الأعظم السلطان)؛ لأنها ترفع من الطرق.

وَجَعَلْتُمْ تُرْسَ الْكَلَامِ مَجْنَةً تَبَا لِذَاكَ التُّرْسِ عِنْدَ طِعَانِ

(جعلتم ترس الكلام) أي: تترستم بعلم الكلام فيما ذهبتم إليه.

وَرَمَيْتُمْ أَهْلَ الْحَدِيثِ بِأَسْهُمِ عَن قَوْسِ مَوْتُورِ الْفُوَادِ جَبَانِ

أي: لأنهم رموهم بأسهم تدل على جنهم؛ لأنها أسهم غير مبنية على دليل وإنما هي شتم وسب، في قولهم أن أهل الحديث مجسمة مشبهة وما أشبه ذلك.

فهم رموا أهل الحديث بأسهم لكنها صادرة عن قوس رجل موتور الفؤاد جبان، وأنهم قالوا: أنهم مجسمة وأنهم نوابت وما أشبه ذلك، لكن هل هذا الوصف بالسوء يقلب الحق باطلا؟ لا ولهذا حاول أعداء الرسل أن يصفوا دعوتهم بكل سوء بالشعر والكهانة وما أشبه ذلك، ولكن هذا لم يمثل شيئا، فكونهم يقولون نحن مجسمة، نقول: إذا كان إثبات صفات ربنا -عز وجل- تجسيم فنحن مجسمة وأهل تجسيم.

يقول:

فَتَرَسُوا بِالْوَحْيِ وَالسُّنَنِ الَّتِي
فَأهل السنة وأهل الحديث تَرَسُوا بالوحي، وكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، يقول المؤلف:
(نعم الترس للشفيعان) فالترس قوي، والحامل شجاع.

هُوَ تَرَسُهُمْ وَاللهُ مِنْ عُدْوَانِكُمْ
وَالترسُ يَوْمَ البعثِ مِنْ نيرانِ

أي: أن الوحي ترس لأهل الوحي في الدنيا وفي الآخرة، ففي الدنيا من عدوان هؤلاء؛ لأنهم إذا احتجوا علينا بما يروه معقولاً احتجنا عليهم بما هو منقول، وهذه العلوم لا تُدرك إلا بالنقل، أما اليوم الثاني فهو يوم البعث. (والترس يوم البعث من نيران)؛ لأن من أثبت لله ما وصف به نفسه فقد أنجى نفسه من التعطيل.

أَفْتَارِكُوهُ لِبُهْتِكُمْ وَمَحَالِكُمْ
لَا كَانَ ذَلِكَ بِمِنَّةِ الرَّحْمَنِ

(أفتاركوه) أي: الوحي، أي: أفتركه من أجل إدعائكم وهو الكلام الذي لا فائدة فيه ومحالكم الذي تأتون به، لا كان ذلك بمنة الرحمن، أسأل الله تعالى ألا يكون ذلك.

وَدَعَوْتُمُونَا لِلَّذِي قُلْتُمْ بِهِ
قُلْنَا مَعَادَ اللهِ مِنْ خِذْلَانِ

أي: أنكم تدعوننا أن نقول ما قلتم به من التعطيل، ونحن نعوذ بالله من الخذلان، لأن نزول الإنسان إلى ما كان عليه هؤلاء المعطلة لا شك أنه من أكبر الخذلان.

فَأَشْتَدَّ ذَلِكَ الْحَزْبُ بَيْنَ فَرِيقِنَا
وَفَرِيقِكُمْ وَتَفَاقَمَ الْأَمْرَانِ

وَتَأَصَّلَتْ تِلْكَ الْعَدَاوَةُ بَيْنَنَا
مِنْ يَوْمِ أَمْرِ اللهِ لِلشَّيْطَانِ

بِسُجُودِهِ فَعَصَى وَعَارَضَ أَمْرَهُ
بِقِيَاسِهِ وَبِعَقْلِهِ الْخَبْرَانِ

هذا تشبيه جيد، أي: أن العداوة بيننا وبينكم من ذلك الوقت من حيث عصي الشيطان لربه حين أمره بالسجود، والأمر بالسجود اعتماد على وحي ونقل، عورض هذا الأمر بقياس باطل ومعقول موهوم، قال الشيطان على آدم ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾، وقال هؤلاء لما قال الله ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدِي﴾، قالوا: ليس لله يد، هذا محال، والمراد باليد: القدرة، و﴿أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ قالوا: محال ما استوى على العرش؛ ولكن المراد باستوى، استولى، فعارضوا المنقول بالمعقول، كما عارض إبليس المنقول بما يراه عقلاً، بالمعقول عنده، وليس بعقل.

فَأَتَى التَّلَامِيذُ الْوَفَاحُ وَعَارَضُوا
أَخْبَارَهُ بِالْفُشْرِ وَالْهَذْيَانِ

يقصد بالتلاميذ تلاميذ الشيطان (إبليس)، فهم عارضوا أخبار الله التي أخبر بها عن نفسه وأخبر بها عنه رسوله بالفشر والهذيان.

وَمُعَارِضٌ لِلْأَمْرِ مِثْلُ مُعَارِضِ الْ

أَخْبَارِ هُمْ فِي كُفْرِهِمْ صِنُونِ

فمعارض للأمر وهو (إبليس)؛ لأن الله أمره فعارض الأمر كمعارض الأخبار فهو لاء عارضوا الأخبار وهم في الأوامر لم يعارضوا، يصومون، ويزكون، ويصلون، ويحجون، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر؛ لكن في الأخبار عارضوا الأخبار المنقولة بالأوهام المعقولة.

مَنْ عَارِضُ الْمَنْضُوضِ بِالْمَعْقُولِ

مَا؟ أَخْبَرُونَا يَا أُولِي الْعُرْفَانِ

مَنْ عَارِضٌ مِنْ سَلْفِ هَذِهِ الْأُمَّةِ؟ هَلْ عَارِضٌ أَحَدٌ مِنْ سَلْفِ هَذِهِ الْأُمَّةِ الْمَنْقُولِ بِالْمَعْقُولِ؟ وَقَالُوا عَقُولْنَا لَا تَصَدِّقْ بِهَذَا، أَبَدًا، هَاتُوا عَنْ أَبِي بَكْرٍ، عَنْ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ عِثَانَ بْنِ أَبِي عَدِيٍّ، عَنْ بَنِي مَسْعُودٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَوْ عَنْ غَيْرِهِمْ، مَا مِنْهُمْ أَحَدٌ عَارِضٌ الْمَنْقُولِ بِالْمَعْقُولِ أَبَدًا.

أَوْ مَا عَرَفْتُمْ أَنَّهُ الْقَدْرِيُّ وَالْ

جَبْرِيُّ أَيْضًا ذَاكَ فِي الْقُرْآنِ

إِذْ قَالَ قَدْ أَغْوَيْتَنِي وَفَتَنَّتَنِي لِأَزِينَنَّ لَهُمْ مَدَى الْأَرْمَانِ نَ الْفِعْلَ مِنْهُ بِغِيَةِ وَزِيَانِ

يقول: (أو ما عرفتم أنه القدري والجبري أيضًا) مَنْ؟ إبليس قدري وجبري، وكان جبريًا حين احتج على الله بأن الله أغواه، وكان قدريًا حين قال. (لأغوينهم)، وكأن الله - سبحانه وتعالى - ليس قادرًا على منعه، فصار الشيطان إبليس جامع بين كونه قدري وجبري.

(إذ قال قد أغويتني): هذا جبر، (وفتنتني لأزينن لهم مدى الأرمغان): هذا قدري؛ لأن القدري معناه: هو الذي يجعل فعله لا علاقة لله به.

والجبري: هو الذي يجعل فعله لا علاقة له بنفسه وإنما هو مجبور عليها.

قوله: (فمن عارض المنصوص بالمنقول.... (إلى آخره)

فَانظُرْ إِلَى مِيرَاثِهِمْ ذَا الشَّيْخِ بِالْ

تَعْصِيبِ وَالْمِيرَاثِ بِالشُّهُمَانِ

أي: أن إبليس حين احتجج بالقدر وهو قوله: ﴿مَا أَغْوَيْتَنِي لِأَزِينَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَاغْوَيْتَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر: ٣٩] فاحتج أولاً: بالقدري والجبر ﴿مَا أَغْوَيْتَنِي﴾، ثم قال: ﴿لَأَزِينَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَاغْوَيْتَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ فتبعته.

القدرية المجبرة في الاحتجاج بالقدر وأنهم مجبورون على أفعالهم. وتبعته القدرية النفاة وهم الذين زعموا أن أفعال العباد غير مخلوقة. في قوله تعالى: ﴿لَأَزِينَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَاغْوَيْتَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾، فالقدرية المجبرة تبعوه في الجبر، والقدرية النفاة تبعوه في نفي خلق أفعال العباد.

فالتائفتان قد عارضتا المنصوص بالمنقول، وهذا معنى قول الناظم:

(فانظر إلى ميراثهم ذا الشيخ بالتعصيب والميراث بالسهمان) أي: أنهم ورثوه فرضًا وتعصيبًا.



فَسَأَلْتُكُمْ بِاللهِ مَنْ وُزَّئُهُ مِنَّا وَمَنْكُم بَعْدَ ذَا التَّبَيَّانِ

بأنا نحن نقدم المنقول، ونقول: إن الوحي حاكم على عقولنا، وليست عقولنا حاكم، على الوحي، ونقول فيما أخبر الله به عن نفسه آمنا وصدقنا، ولن نعارض هذا بعقولنا.

هَذَا الَّذِي أَلْقَى الْعِدَاوَةَ بَيْنَنَا إِذْ ذَاكَ وَاتَّصَلْتَ إِلَى ذَا الْآنِ

أَصَلْتُمْ أَضَلًّا وَأَصَلَ خَضْمُكُمْ أَضَلًّا فَحِينَ تَقَابَلَ الْأَضْلَانِ

ظَهَرَ التَّفَاوُتَ فَانْتَشَتْ مَا بَيْنَنَا أَلْ حَزْبُ الْعَوَانِ وَصِيحَ بِالْأَقْرَانِ

هذا معلوم؛ لأنه إذا اختلفا الأضلان فإنه لا يمكن أن يتفق هؤلاء وهؤلاء بل لا بد أن تكون الحرب بينهم جافره إلى أن يصطلحوا بالرجوع إلى الكتاب والسنة.

أَصَلْتُمْ أَرَا الرَّجَالَ وَخَرَّصَهَا مِنْ غَيْرِ بُرْهَانٍ وَلَا سُلْطَانِ

أي: أنكم جعلتم والأصل آراء الرجال التي يدعون أنها عقل، وهذه الآراء كلها خرص وتحمين وليس لها حقيقة، ولهذا قال (من غير برهان ولا سلطان).

هَذَا وَكُم رَأْيِي لَهُمْ فَبِرَأْيِي مَنْ نَزِنُ التُّصُوصَ فَأَوْضَحُوا بَيَّانِ

أي: أن أصحاب العقول لهم آراء كثيرة فبأي رأي نزن القرآن والسنة؟ بالرأي الأول أو الثاني أو الثالث أو الرابع أو الخامس برأي من؟! وهذا معنى قول بعضهم: (يا ليت شعري، بأي شيء يوزن الكتاب والسنة برأي فلان أو فلان أو خلان) ما دمتم أتممتن متنازعين في آرائكم فإلى من ترجع؟ فيقول رَحِمَهُ اللهُ:-

كُلُّ لُهُ رَأْيٍ وَمَعْقُولٌ لَهُ يَدْعُو وَيَمْنَعُ أَخَذَ رَأْيِي فُلَانِ

- سبحان الله - صارت العقول كثيرة، كلُّ له رأي، ومعقول، وكلُّ يدعو إلى رأيه، ويقول رأي فلان، بل إن بعضهم يتناقض في نفسه، فنجده يؤلف كتابًا اليوم ثم يؤلف كتابًا يتقص ما كتبه بالأمس، وهذا مشهور وذلك؛ لأنهم لم يبنوا على أصل إنما بنوا على جرف هار فانهار بهم.

وَالْخَضْمُ أَصَلَ مُحَكَّمِ الْقُرْآنِ مَعَ قَوْلِ الرَّسُولِ وَفِطْرَةِ الرَّحْمَنِ

وَبَنَى عَلَيْهِ فَاعْتَلَى بُنْيَانَهُ نَحْوَ السَّمَاءِ عَظِيمِ بِذَا الْبُنْيَانِ

(الخصم) أي: خصم أهل التعطيل الذي حكم الوحي، يقول أصل محكم القرآن، مع قول الرسول وطره الرحمن، ثلاثة أشياء بل والعقل أيضًا؛ لأن العقل يدل على وجوب الرجوع إلى الوحي في هذا الباب، إذ إن هذا الباب يعتمد على الخبر المحض؛ لأنه خبر عن أمر الغيب لا نظير له حتى يقاس عليه، فكان مقتضى العقل أن يرجع في هذا الباب إلى الكتاب والسنة فصار أصل هؤلاء أعني المثبتة، الكتاب، والسنة والفترة، والعقل، وأولئك ليس عندهم إلا أوهام يظنونها

عقليات، وهي وهميات .



* قوله رَحِمَهُ اللهُ:

٣٨٧٩- وَعَلَى شَفَا جُرْفٍ بَنَيْتُمْ أَنْتُمْ

فَأَتَتْ سُيُولُ الْوَحْيِ وَالْإِيمَانِ

٣٨٨٠- قَلَعْتَ أَسَاسَ بِنَائِكُمْ فَتَهَدَّمَتْ

تِلْكَ السُّقُوفُ وَخَرَّ لِلْأَرْكَانِ

٣٨٨١- اللهُ أَكْبَرُ لَوْ رَأَيْتُمْ ذَلِكَ أَلْ

بُنْيَانَ حِينَ عَلا كَمَثَلِ دُخَانِ

٣٨٨٢- تَسْمُو إِلَيْهِ نَوَاطِرٌ مِنْ تَحْتِهِ

وَهُوَ الْوَضِيعُ وَلَوْ يَرَى بَعِيَانِ^(١)

٣٨٨٣- فَاصْبِرْ لَهُ وَهَنَا وَرَدَّ الطَّرْفِ تَدُّ

قَاهُ قَرِيبًا فِي الْحَضِيضِ الدَّنَائِي

الشَّحْ

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

فَاصْبِرْ لَهُ وَهَنَا وَرَدَّ الطَّرْفِ تَدُّ قَاهُ قَرِيبًا فِي الْحَضِيضِ الدَّنَائِي

(١) [٣٨٧٦: ٣٨٨٣] قال العلامة محمد خليل هراس:

ويكفيك دليلاً على فساد قول هؤلاء أنه ليس لواحد منهم قاعدة مستمرة فيما يحمله العقل، بل منهم من يزعم أن العقل جَوْرٌ أو أوجب ما يدعي الآخر أن العقل أحاله، يا ليت شعري بأي عقل يوزن الكتاب والسنة؟.

وأما خصومكم من أهل الحق فقد اتخذوا أصلاً لهم مُحْكَمُ الْقُرْآنِ وَسُنَّةُ الرَّسُولِ وَفِطْرَةُ الرَّحْمَنِ وَهِيَ أَقْوَى الْأَصُولِ وَأَثْبَتُهَا، ولهذا حين بنوا عليها شمع بناؤها وبلغ أجواز السماء، فما أعظمه من بناء، وأما أنتم فحين بنيتم على أصلكم الواهي المنهار بنيتم على شفا جُرْفٍ هَارٍ، فما لبثت سيول الحق أن جرفته أمامها واقلعته من أساسه فخر سقفه وتداعت أركانه. وهكذا الباطل دائماً مهماً علا وارتفع لا ثبات له ولا قرار فهو أشبه شيء بالدخان يراه الناظر مُتَّصِعِداً فِي السَّمَاءِ حَتَّى يَغِيبَ فِي ارْتِفَاعِهِ عَنِ الْعْيُونِ مَعَ أَنَّهُ أَوْضَعُ شَيْءٍ وَأَسْفَلُهُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ، وإن شئت أن تعرف ذلك فاصبر له قليلاً من الزمان، ثم رد البصر إليه تلقه قد نزل إلى أسفل مكان، وما أحسن قول الله عز وجل في وصف الحق والباطل ﴿ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُ بَثَلٍ كَذَلِكَ يُضْرَبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَبْتَغِ النَّاسُ فَيَمْكُكُ فِي الْأَرْضِ ﴾ [الرعد: ١٧].



المهم: أن هؤلاء على شفا جرف هار مثل الدخان تلقاه عاليًا، ثم يتضاءل، وتذروه الرياح
اليسيرة في كل مكان أما بناء أهل السنة، فهو كالجبال لا تمزه العواصف، وهو ثابت باقٍ؛ لأنه
مبني على أصل، وهو الكتاب والسنة.





مَهْد بين يدي الفصل



قال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللهُ:

فصل

في بيان أن التعطيل أساسُ الرُّندقةِ والكُفْرانِ، والإثباتُ أساسُ العِلْمِ والإيمانِ

ووجه ذلك ظاهر، فإن أصولهم التي ذكرناها وشرحناها مرارًا تقتضي ما ذكره المصنف. فإثبات صفات الله على الوجه الوارد في الكتاب والسنة هو أصل العلوم وأسس الإيمان، فأصول الإيمان وفروعه لا تبنى ولا تثبت ولا تقوى ولا تتم إلا بإثبات الصفات، وأما تعطيل الصفات ونفيها لا فرق بين الصفات الذاتية وبين صفات الأفعال فهذا بعينه هو الكفر والإلحاد، فمن لا وصف له ولا فعل هل يتصور وجوده فيكون وجود كل الموجودات أكمل من وجود من قالوا فيه ذلك. وأيضًا من كان من قوله إن أدلة الوحيين أدلة لفظية ظنية وأدلة عقول زنادقة الملحدين براهين يقينية فهذا إبطال للوحي وكفر بالرسالة وترجيح لأقوال أعداء الرسل على ما جاءت به الرسل، فالمثبتون لصفات الله قلوبهم ملآنة من تعظيم الله والخضوع له وألستهم على الدوام تلهج بذكره، وهم في كل وقت في مزيد من إيمانهم وأحوالهم بخلاف المعطلين.



فصل

في بيان أن التعطيل أساس الزندقة،
والإثبات أساس العلم والإيمان

- ٣٨٨٤- مَنْ قَالَ إِنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِفَاعِلٍ
فَعَلًا يُقَوْمُ بِهِ قِيَامَ مَعَانٍ
- ٣٨٨٥- كَلَّا وَلَيْسَ الْأَمْرُ أَيْضًا قَائِمًا
بِالرَّبِّ بَلْ مِنْ جُمْلَةِ الْأَكْوَانِ
- ٣٨٨٦- كَلَّا وَلَيْسَ اللَّهُ فَوْقَ عِبَادِهِ
بَلْ عَزَّشُهُ خَلْقٌ مِنَ الرَّحْمَنِ
- ٣٨٨٧- فَثَلَاثَةٌ وَاللَّهُ لَا تُبْقِي مِنَ الْـ
إِيمَانِ حَبَّةَ خَرْدَلٍ بِوِزَانِ
- ٣٨٨٨- وَقَدْ اسْتَرَاحَ مُعْطَلٌ هَذَا الثَّلَا
ثَ مِنَ الْإِلَهِ وَجُمْلَةِ الْقُرْآنِ
- ٣٨٨٩- وَمَنْ الرُّسُولِ وَدِينِهِ وَشَرِيعَةِ الْـ
إِسْلَامِ بَلْ مِنْ جُمْلَةِ الْأَدْيَانِ
- ٣٨٩٠- وَتَمَامُ ذَلِكَ جُحُودُهُ لِصِفَاتِهِ
وَالذَّاتُ دُونَ الوُصْفِ دُونَ بَطْلَانِ
- ٣٨٩١- وَتَمَامُ ذَا الْإِيمَانِ إِفْرَارُ الْفَتَى
بِاللَّهِ فَاطِرِ هَذِهِ الْأَكْوَانِ
- ٣٨٩٢- فَإِذَا أَقْرَبَهُ وَعْطَلُ كُلِّ مَفْـ
رُوضٍ وَلَمْ يَتَوَقَّ مِنْ عِضْيَانِ

٣٨٩٣- لَمْ يَنْقُصِ الْإِيْمَانَ حَبَّةَ خَرْدَلٍ

أَنْتَى وَلَيْسَ بِقَابِلِ التَّقْصَانِ

٣٨٩٤- وَتَمَامَ هَذَا قَوْلُهُ أَنَّ التُّبُو

وَةَ لَيْسَ وَضَفًا قَامَ بِالْإِنْسَانِ

٣٨٩٥- لَكِنْ تَعَلَّقُ ذَلِكَ الْمَعْنَى الْقَدِيدِ

بِـ بِوَأَحِدٍ مِنْ جُمْلَةِ الْإِنْسَانِ

٣٨٩٦- هَذَا وَمَا ذَاكَ التَّعَلُّقُ ثَابِتًا

فِي خَارِجِ بَلِّ ذَاكَ فِي الْأَذْهَانِ

٣٨٩٧- فَتَعَلَّقُ الْأَقْوَالِ لَا يَعْطِي الَّذِي

وَقَفَّتْ عَلَيْهِ الْكُونُ فِي الْأَعْيَانِ

٣٨٩٨- هَذَا إِذَا مَا حَصَلَ الْمَعْنَى الَّذِي

قُلْتُمْ هُوَ التَّقْسِي فِي الْبُرْهَانِ

٣٨٩٩- لَكِنَّ جُمْهُورَ الطَّوَائِفِ لَمْ يَرَوْا

ذَا مُمَكِّنَا بَلِّ ذَاكَ ذُو بُطْلَانِ

٣٩٠٠- مَا قَالَ هَذَا غَيْرُكُمْ مِنْ سَائِرِ النَّ

نُظَّارِ فِي الْأَفَاقِ وَالْأَزْمَانِ

الشَّرْحُ

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

هذه ثلاثة أشياء، أولاً: مَنْ نفى أن تقوم الأفعال لله، وقال: إن الله لا يفعل، ولا يستوي على العرش، ولا ينزل إلى السماء الدنيا، ولا يأتي للفصل بين عباده، ولا يضحك إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر، كلاهما يدخل الجنة، ولا يفرح بتوبة عبده المؤمن.

إذن بقى الله معطلاً بمنزلة الصخرة - والعياذ بالله -، كذلك أيضاً من قال إن الله ليس له أمر، وأن أمره - وهو وحيه - خلق من الأكوان، القرآن مشتمل على الأمر والنهي، يقول أن النهي مخلوق كما أن الأرض مخلوقة، والسماء مخلوقة؛ إذن بطل الوحي؛ لأن الوحي صار من جملة



المخلوقات، إذا قالوا أيضًا ليس الله فوق عباده أو فوق عرشه بل العرش خال منه فأين يكون؟ ليس فوق العالم، ولا تحت، ولا يمين، ولا يسار، ولا متصل، ولا منفصل، فيكون عمدًا إذن، أو بذاته في كل مكان أيضًا.

فَقَالَتْهُ وَاللَّهِ لَا تَبْقَى مِنْ أَلِ
وَقَدْ اسْتَرَاحَ مُعْطَلٌ هَذِي الثَّلَا
إِيْمَانِ حَبَّةٌ خَرَدَلٍ بِوِرَانِ
ثَ مِنْ الْإِلَهِ وَجُمْلَةَ الْقُرْآنِ

استراح منه؛ لأنه نفى وجوده بالكلية.

وَمِنْ الرَّسُولِ وَدِينِهِ وَشَرِيْعَةِ أَلِ
إِسْلَامٍ بَلْ مِنْ جُمْلَةِ الْأَدْيَانِ

أي أن التعطيل يؤدي إلى هذا الأمر لكنه يحتاج إلى نظرة فاحصة متأملة، أعني قد يقول قائل: هذا ابن القيم خصم والخصم لا يُقبل كلامه على خصمه، فكيف ذلك؟ إذا قالوا: إن الله لا يستطيع أن يفعل أبدًا، وهذا تعطيل معناه إن الله صار إما تمثال -والعياذ بالله- وإما حجر كالتماثيل التي تعبد من دون الله. إذا قال: إن الله ليس له أمر، وأن الأمر هو الخلف، فهذا أيضًا معناه أن الله لا يأمر ولا ينهى، يخلق كلمات ولا تنسب إليه قولًا، ولا كلامًا، مع أن الله يقول في كتابه: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤] ففرق بين الخلق والأمر.

كذلك أيضًا في كل مكان، إن الله ليس فوق عباده، نقول: أين هو؟ إن قال: هو بذاته في كل مكان، نقول: لم تنزه الله عن أحط الأماكن. وإن قال ليس في شيء، قلنا: هذا هو العدم المحض. فكلام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ يقول: إنه إذا وصف الله بهذه الصفات إستراح من الله، واستراح من الرسول، واستراح من القرآن، واستراح من الشريعة كلها، واستراح من الأديان كلها، صار ذنديقًا منحدرًا.

وَتَمَامُ ذَلِكَ جُحُودُهُ لِصِفَاتِهِ
وَالذَّاتُ دُونَ الْوَضْفِ دُو بَطْلَانِ

يقول: (هذه) يتكلم عن المعتزلة، فالمعتزلة يثبتون الذات، وينكرون الصفات، فبالله عليكم هل يمكن أن توجد ذات بلا صفات؟ لا يوجد لا بُد لكل ذات من صفة على أدنى تقدير أن نقول صفة الوجود مثلًا، لا بد أن تكون ما دام ذات ثابتة، ففيها صفة ولو صفة الوجود، مع أنها لا بد أن تكون ذات طول، وعرض، وثقل، وحجم، وما أشبه ذلك، لا بد لكل ذات من صفة. إذن القول بوجود ذات دون وصف باطل.

وَتَمَامُ ذَا الْإِيْمَانِ إِفْرَارُ الْفَتَى
فَإِذَا أَفْرَبَهُ وَعَطَّلَ كُلَّ مَفْ
بِاللَّهِ فَاطِرِ هَذِهِ الْأَكْوَانِ
رَوْضِ وَلَمْ يَتَوَقَّ مِنْ عِضْيَانِ
لَمْ يَنْقُصِ الْإِيْمَانُ حَبَّةً خَرَدَلٍ
أَنْسَى وَلَيْسَ بِقَابِلِ الثَّقَصَانِ

هذا أيضًا من التمام، (وتمام ذا الإيـان): لا نفرأها بالكسرة، (وتمام ذا الإيـان إقرار الفتى بالله) أي: أن الإيـان إقرار الفتى بالله فاطر هذه الأكوـان.

فَإِذَا أَقْرَبَهُ وَعَطَّلَ كُلَّ مَفْـ
رَوْضٍ وَلَمْ يَتَوَقَّ مِنْ عِضْيَانِ
لَمْ يَنْقُصِ الْإِيْمَانُ حَبَّةَ خَرْدَلٍ
أَتَى وَلَيْسَ بِقَابِلِ التَّقْضَانِ

هذا هو مذهب مرجئة الجهمية، و المرجئة الجهمية يقولون: الإيـان هو الإقرار بالله، إذا أقررت بالله فأترك جميع الواجبات، وافعل شنيع المحرمات، من كبائر، وصغائر، وأنت مؤمن كامل الإيـان، كإيـان جبريل ومحمد -والعياذ بالله-.

هل هذا لائق؟ هل يمكن أن يقول هذا عاقل؟ هل يمكن أن يكون شخص مؤمنًا بالله -عز وجل- ثم هو يفعل كل ما نهى عنه، ويترك ما أمره به؟ لا يمكن فأين الإيـان؟!

وَتَمَامُ هَذَا قَوْلُهُ أَنَّ النَّبُوْ
وَهُ لَيْسَ وَصْفًا قَامَ بِالْإِنْسَانِ
لَكِنْ تَعَلَّقُ ذَلِكَ الْمَعْنَى الْقَدِيمِ
بِمِ بَوَاحِدٍ مِنْ جُمْلَةِ الْإِنْسَانِ

هذا يقول إن النبوة، ما هي بوصف لكن تعلقت به القدرة، وهذا القول لا أعرف من القائل به. قول آخر: (وتمام هذا قوله إن النبوة ليس وصفًا قام) أي: بالنبي ﷺ، وإن المعنى القديم، وهو المعنى النفسي تعلق به، ومع ذلك فالتعلق به ليس ثابتًا في الخارج، ولكن هو في الذهن، وذلك هو المعنى النفسي الذي أثبتته الأشاعرة.

فالكلام يبيّن ما عليه أهل التعطيل من الأقوال المخالفة لقول السلف وذكر ما سبق من نفهم الله - عز وجل- وكلامه، وبين أن هذا يستلزم الإستراحة، وهي إستراحة المعطل من الله -عز وجل- ومن الرسول ومن الدين، ومن الشريعة، بل من جملة الأديان، وذكر أيضًا أنه مضاد لهذه الأقوال الباطلة، القول بأن الإيـان: هو الإقرار بالله مجرد الإقرار، وهذا مذهب الإيـان، وأن الإيـان لا يمكن أن ينقص؛ لأن الإيـان، والاعتراف لا يختلف.

لَمْ يَنْقُصِ الْإِيْمَانُ حَبَّةَ خَرْدَلٍ
أَتَى وَلَيْسَ بِقَابِلِ التَّقْضَانِ

يقولون: إن أقوم الناس بدين الله، وأقواهم طاعة له مثل من لم يقم بالطاعة: رجل يقوم آناء الليل والنهار بطاعة الله، ويتجنب المعاصي، وآخر بالعكس يقوم بالمعاصي آناء الليل، والنهار، ويتجنب الطاعات لكنهما مقرران بأن الله -سبحانه وتعالى- موجود، يقولون إنها سواء، فإيـان أفسق الناس، كإيـان أعدل الناس.

وأيضًا من أقواهم السيئة الباطلة، قولهم: إن النبوة ليست وصفًا قائمًا بالإنسان، وإنما هي تعلق المعنى القديم بواحد من الناس، والمعنى القديم هو الكلام، كلام الله، أي: أن الذي تعلق به كلام الله هو المعنى القديم، وهم لا يثبتون أن كلام الله بحروف ينزل بها جبريل على هذا النبي، ولا

يكون نبيا يقولون: أن الرسول هو الذي تعلق به المعنى النفسي، ومع ذلك يقول: هذا التعلق ليس ثابتاً في الخارج بل هو في الذهن فقط، وليس موجوداً حقيقةً في الخارج إنما هو شيء يفرده الذهن. فَتَعَلَّقُوا الْأَقْوَالَ لَا يَغْطِي الَّذِي وَقَفَتْ عَلَيْهِ الْكُونُ فِي الْأَعْيَانِ

المعنى القائم بالذهن وهو كلام الله - على زعمهم - لا يكون متعلقاً خارجياً، أي: بمن صار نبياً بل هو تعلق ذهني فقط، وأنا أتصور هذا القول في الحقيقة؛ لأنه لا يمكن أن يكون نبياً إلا بوحى ينزل عليه، ولهذا رده المؤلف.

هَذَا إِذَا مَا حَصَلَ الْمَعْنَى الَّذِي قُلْتُمْ هُوَ النَّفْسِي فِي الْبُرْهَانِ

يقولون: إن الكلام هو المعنى القائم بالذهن وليس الشيء الذي يُسَمَعُ، وهو ليس بصوت ويعارضه المؤلف بقوله:

لَكِنَّ جُمُوهُورَ الطَّوَائِفِ لَمْ يَرَوْا دَا مُمَكِّنًا بَلْ دَاكُ ذُو بُطْلَانِ

إذن كيف يقال إنه كلام وهو معنى قائم بالذهن؟ وكيف يقال إنه وحي إلى رسول وهو معنى قائم بالذهن؟ هذا شيء لا يمكن. لكنهم يقولون هذا يفرحنه الذهن، وليس موجوداً في الأعيان إذاً ما الفائدة، إذا كان مفروضاً فرضاً ذهنياً لا وجود له في الخارج، فأين الفائدة؟

مَا قَالَ هَذَا غَيْرُكُمْ مِنْ سَائِرِ النَّاسِ نَظَارِ فِي الْأَفَاقِ وَالْأَرْمَانِ

يخاطب بهذا الكلام الأشاعرة؛ لأن الأشاعرة يقولون: إن الكلام هو المعنى القائم بالذهن. (تسعون وجهاً بينت بطلانه) وقد أشار إلى هذا فيما سبق، وقال: إن شيخ الإسلام ابن تيمية ألف كتابه (التسعينية) في بيان بطلان الكلام النفسي، (لولا الفريضة لسقتها بوزان).



* قَوْلُهُ رَحِمَهُ اللهُ:

٣٩٠١- تَسْعُونَ وَجْهًا بَيَّنْتَ بُطْلَانَهُ

لَوْلَا الْقَرِيضُ لِسُقُوتِهَا بِوِزَانِ

٣٩٠٢- يَا قَوْمُ أَيْنَ الرَّبِّ أَيْنَ كَلَامُهُ

أَيْنَ الرَّسُولُ فَأَوْضَحُوا بَيَانَ

٣٩٠٣- مَا فَوْقَ رَبِّ الْعَرْشِ مَنْ هُوَ قَائِلٌ

- طَةَ وَلَا حَرْفًا مِنَ الْقُرْآنِ
 ٣٩٠٤- وَلَقَدْ شَهِدْتُمْ أَنَّ هَذَا قَوْلُكُمْ
- وَاللَّهُ يَشْهَدُ مَعِ أَوْلِي الْإِيمَانِ
 ٣٩٠٥- وَارْحَمَتَاهُ لَكُمْ غَبْنُكُمْ حَظُّكُمْ
- مِنْ كُلِّ مَعْرِفَةٍ وَمِنْ إِيْمَانِ
 ٣٩٠٦- وَنَسَبْتُمْ لِلْكَفْرِ أَوْلَى مِنْكُمْ
- بِاللَّهِ وَالْإِيْمَانِ وَالنُّزُورِ
 ٣٩٠٧- هَذِي بِضَاعَتُكُمْ فَمَنْ يَسْتَأْمُرُهَا
- فَقَدْ ارْتَضَى بِالْجَهْلِ وَالْخُسْرَانَ
 ٣٩٠٨- وَتَمَامَ هَذَا قَوْلُكُمْ فِي مَبْدَأِ
- وَمَعَادِنَا أَعْنِي الْمَعَادَ الثَّانِي
 ٣٩٠٩- وَتَمَامَ هَذَا قَوْلُكُمْ بِفَنَاءِ دَا
- رِ الْخُلْدِ فَالِدَّارَانَ فَايْتِيَانِ
 ٣٩١٠- يَا قَوْمَنَا بَلَّغِ الْوُجُودُ بِأَشْرِهِ الدُّ
- وَالدِّينِ وَالدُّنْيَا مَعَ الْإِيْمَانِ
 ٣٩١١- وَالْخَلْقَ وَالْأَمْرَ الْمُنَزَّلَ وَالْجَزَا
- وَمَنْ أَزَلَّ الْجَنَّاتِ وَالْيَتِيمَانَ
 ٣٩١٢- وَالنَّاسَ قَدْ وَرِثُوهُ بَعْدُ فَمَنْهُمْ
- دُو السَّهْمِ وَالسَّهْمِينَ وَالسَّهْمَانَ
 ٣٩١٣- بِشَسِ الْمُوَرِّثُ وَالْمُوَرِّثُ وَالشَّرَا
- ثُ ثَلَاثَةٌ أَهْلٌ لِكُلِّ هَوَانِ

الشَّرْحُ

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

المؤلف رَحِمَهُ اللهُ يقول: إذا قلتُم بهذا- أي: بالمعنى النفسي- فأين الله؟ أين كلامه؟ أين الرسول؟ لأن هذا الوحي معنى قائم بالنفس. فكيف يُنقل إلى الرسول؟ إذن لا رسول في الحقيقة، كذلك أيضًا يقول رَحِمَهُ اللهُ أين الرب؟ لأنهم ينكرون العلو-علو الذات- فيقول: أين يكون الله إذا أنكرتم علوه فأين يكون؟ أين كلامه؟ لأنهم يقولون: أن الكلام هو المعنى القائم بالنفس لا يُسمع ولا يُكتب، وإنما المكتوب والمسموع عبارته عنه.

مَا فَوْقَ رَبِّ الْعَرْشِ مَنْ هُوَ قَائِلٌ طَةَ وَلَا حَرْفًا مِنَ الْقُرْآنِ

لماذا ينكرون العلو؟ ينكرون أن يكون الله تكلم بالقرآن الذي نقرأه، ويكون هذا عبارة عن كلام الله.

وَلَقَدْ شَهِدْتُمْ أَنَّ هَذَا قَوْلُكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ مَعَ أَوْلِي الْإِيمَانِ

قوله: (شهدتم) أي: إعتزفتُم، بأن هذا قولكم، والإعتراف: إعتراف الإنسان على نفسه، ويسمى شهادة، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ﴾ [النساء: ١٣٥].

وَارْحَمْتَاهُ لَكُمْ غَيْبْتُمْ حَظُّكُمْ مِنْ كُلِّ مَعْرِفَةٍ وَمِنْ إِيْمَانِ

صدق رَحِمَهُ اللهُ، فإن هذا القول الذي قالوه جهل وبعيد عن الإيمان، لأن الإيمان أن نؤمن بأن الله فوق العرش، وأنه يتكلم بكلام مسموع بحرف، وصوت، وأن هذا الكلام المسموع نزل به جبريل على قلب النبي ﷺ هذا هو إيماننا، كل هذا قد غبنوه، ولم يقولوا به.

وَنَسَبْتُمْ لِلْكَفْرِ أَوْلَىٰ مِنْكُمْ بِاللَّهِ وَالْإِيْمَانِ وَالْقُرْآنِ

أي: نسبتُم الكفر إلى من هو أولى منكم بالله وبالإيمان وبالقرآن؛ لأنهم يُكفرون من يقول: الله يتكلم بحرف وبصوت.

هَٰذِي بِضَاعَتِكُمْ فَمَنْ يَسْتَأْمُرُهَا فَقَدْ ارْتَضَىٰ بِالْجَهْلِ وَالْخُسْرَانِ

يعني: الذي يصون هذه البضاعة فإنه جاهل خاسر، والله أعلم أي: أنكم إذا قلتُم بأن الكلام هو المعنى النفسي، فهذا لا يعطي الذي وقفت عليه أي: نزلت عليه؛ لأن المعنى النفسي قائم بنفس المتكلم، فكيف يصل إلى النبي؟ حتى إذا قلتُم أنه قول، كيف يصل إلى النبي؟

وَتَمَامٌ هَٰذَا قَوْلُكُمْ فِي مَبْدَأٍ وَمَعَادِنَا أَعْنِي الْمَعَادَ الثَّانِي

المعنى: أنهم قالوا قولاً منكراً في المبدأ والمعاد، هذا القول المنكر أنهم قالوا: (بفناء دار الخلد فالداران فانيتان) يعني بذلك: فناء الجنة، وفناء النار، فإن المعتزلة يقولون: بفنائهما، وأن النار والجنة

تفنيان، وأهل السنة والجماعة يقولون: إن الجنة والنار تفنيان، وكم من آية صرح الله فيها بالخلود الأبدى في الجنة وفي النار، ففي النار صرح الله تعالى في ثلاثة مواضع من كتابه بأن أهلها خالدون فيها أبداً، وفي سورة النساء في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَعْفِرْ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٣٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ في قوله تعالى: [النساء: ١٦٩]، وفي سورة الأحزاب: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خٰلِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ [الأحزاب: ٦٥]، وفي سورة الجن: ﴿وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خٰلِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ [الجن: ٢٣]. وهذه الآيات الكريمة الثلاث، تفيد تأييد بقاء أقوام في النار وهذا يدل على جلودها؛ لأنه إذا تأبد خلود الخالد لزم المكان الذي هو خالد فيه، أما الجنة فأيات التأييد فيها كثيرة.

يَا قَوْمَنَا بَلَّغِ الْوُجُودَ بِأَسْرِهِ الدُّ وَالِدَيْنِ وَالدُّنْيَا مَعَ الْإِيمَانِ

معناه: أن صنيعهم بلغ الدنيا والآخرة، ففي قولهم فساد الدنيا والآخرة.

وَالْخَلْقِ وَالْأَمْرِ الْمُنَزَّلِ وَالْجَزَا وَمَنَازِلِ الْجَنَّاتِ وَالْتِيَارِ

كل هذا يعرف من مذاهب هؤلاء المعطلة، حتى إنهم قالوا: إن الموازين يوم القيامة ليست حسية، والصراط ليس حسيًا، والحوض ليس حسيًا، أما الفلاسفة الأولون فمعلوم قولهم في الجزاء، وأنه ليست هناك جنة، ولا نار، وإنما هي أمور.

وَالنَّاسِ قَدْ وَرَثُوهُ بَعْدَ فَمُنْهُمُ ذُو السَّهْمِ وَالسَّهْمِينَ وَالسُّهْمَانِ

والناس قد ورثوه بعد أي: قد ورثوا هذا التعطيل وهذا الضلال والمعنى: واحد أخذ سهم، والثاني أخذ سهمين، والثالث سهامًا.

بِئْسَ الْمُورَثُ وَالْمُورَثُ وَالْتِارِ ثُ ثَلَاثَةٌ أَهْلٌ لِكُلِّ هَوَانِ

وصدق رحمته، فإن هؤلاء الذين ورثوا فلاسفة، ومناطقه من أهل الكلام، وغيرهم يقال في إرثهم وفي موارثهم ما قاله ابن القيم رحمته (بئس المورث والمورث والترات)، الشيء الموروث، كل هذه الثلاثة، وهي أهل لكل هوان.

المبدأ يقولون: إن الله - سبحانه وتعالى - يمنع تسلسل الحوادث في الماضي، يقولون التسلسل في الماضي ممنوع التسلسل فيها، فالله - تعالى - كان فاعلاً بعد أن كان غير فاعل.



* قَوْلُهُ رحمته:

٣٩١٤- يَا وَاٰرِثِيْنَ نَبِيّهِمْ بُشْرَاكُمْ

مَا اِزْتٰكُمْ مَعَ اِزْتِهِمْ سَيَانِ

- ٣٩١٥- شَتَّانَ بَيْنَ الْوَارِثِينَ وَبَيْنَ مَوْرُ
رُوَيْهِمَا وَسِهَامِ ذِي الشُّهُمَانِ
- ٣٩١٦- يَا قَوْمَ مَا صَاحَ الْأَيْمَةُ جَهْدَهُمْ
بِالْجَهْمِ مَنْ أَقْطَرَهَا بِأَذَانِ
- ٣٩١٧- إِلَّا لَمَّا عَرَفُوهُ مِنْ أَقْوَالِكُمْ
وَمَالَهَا بِحَقِيقَةِ الْعِرْفَانِ
- ٣٩١٨- قَوْلَ الرَّسُولِ وَقَوْلَ جَهْمٍ عِنْدَنَا
فِي قَلْبِ عَبْدٍ لَيْسَ يَجْتَمِعَانِ
- ٣٩١٩- نَصْحُوكُمْ وَاللَّهِ جَهْدَ نَصِيحَةٍ
مَا فِيهِمْ وَاللَّهُ مِنْ خَوَّانِ
- ٣٩٢٠- فَخُذُوا بِهَيْدِيهِمْ فَرَبِّي ضَامِنٌ
وَرَسُولُهُ أَنْ تَفْعَلُوا بِجَنَانِ
- ٣٩٢١- وَإِذَا أَيْبَيْتُمْ فَالسَّلَامُ عَلَيَّ مَنْ
اتَّبَعَ الْهُدَى وَانْقَادَ لِلْقُرْآنِ
- ٣٩٢٢- سِيرُوا عَلَيَّ نُجْبِ الْعَزَائِمِ وَاجْعَلُوا
بِظُهُورِهَا الْمَسْرَى إِلَى الرَّحْمَنِ
- ٣٩٢٣- سَبَقَ الْمُفْرَدُ وَهُوَ ذَا كِرْرٍ بِهِ
فِي كُلِّ حَالٍ لَيْسَ ذَا نَشِيَانِ
- ٣٩٢٤- لَكِنْ أَخُو الْعَقَلَاتِ مُنْقَطِعٌ بِهِ
بَيْنَ الْمَفَاوِزِ تَحْتَ ذِي الْغِيْلَانِ
- ٣٩٢٥- صَيْدُ السَّبَاعِ وَكُلِّ وَخَشِ كَاسِرٍ
بِئْسَ الْمُضَيِّفُ لِأَعْجَزِ الضَّيْفَانِ

٣٩٢٦- وَكَذَلِكَ الشَّيْطَانُ يَضْطَاذُ الَّذِي

لَا يَذْكُرُ الرَّحْمَنَ كُلَّ أَوْانٍ

٣٩٢٧- وَالذِّكْرُ أَنْوَاعٌ فَأَعْلَى نَوْعِهِ

ذِكْرُ الصِّفَاتِ لِرَبِّتَا الْمَنَانِ

٣٩٢٨- وَثُبُوتُهَا أَصْلٌ لِهَذَا الذِّكْرِ وَالنُّ

نَافِي لَهَا ذَاعَ إِلَى التَّسْيَانِ

٣٩٢٩- لِذَلِكَ كَانَ خَلِيفَةَ الشَّيْطَانِ ذَا

لَا مَرْحَبًا بِخَلِيفَةِ الشَّيْطَانِ

٣٩٣٠- وَالذَّاكِرُونَ عَلَى مَرَاتِبِهِمْ فَأَعَدَّ

لَهُمْ أَوْلُوا الْإِيمَانَ وَالْعِزْفَانَ

٣٩٣١- بِصِفَاتِهِ الْعُلْيَا إِذَا قَامُوا بِحَمْدِ

سِدِّ اللَّهِ فِي سِرِّ وَفِي إِعْلَانِ

٣٩٣٢- وَأَخْصَّ أَهْلَ الذِّكْرِ بِالرَّحْمَنِ أَعَدَّ

لَهُمْ بِهِمْ صَفْوَةَ الرَّحْمَنِ^(١)

٣٩٣٣- وَلِذَلِكَ كَانَ مُحَمَّدٌ وَأَبُوهُ إِبْنُ

رَاهِمٍ وَالْمَوْلُودُ مِنْ عِمْرَانَ

(١) [٣٩٢٦: ٣٩٣١] قال العلامة محمد خليل هراس:

وفي الحديث الصحيح «إن العبد أحسن ما يكون من الشيطان إذا ذكر الله تعالى» وذكر الله عز وجل أنواع، فأعلاها ذكره سبحانه بها له من الأسماء والصفات، وهذا الذكر لا يتأتى إلا مع الإثبات لها، وأما من ينفيها ويحدها فهو ذاع إلى نسيانها، ولهذا كان النافي لها خليفة الشيطان، لأنه يدعو إلى مثل ما يدعو إليه من الغفلة والنسيان، قال تعالى ﴿أَسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْفَاقِقُونَ﴾ [المجادلة: ١٩]. وكذلك الذاكرون لله على مراتب ودرجات، فأعلاهم منزلة هم أولو الإيثار والمعرفة بمعاني أسائه الحسنی وصفاته العليا سبحانه، وذلك حين يقومون لله بها في السر والإعلان، فكلما كان العبد أتم إيماناً ومعرفة بصفات الله عز وجل كان أشد خشية له وأقرب إليه زلفى وأعظم عنده جاهاً ومنزلةً.

- ٣٩٣٤- وَكَذَلِكَ نُوحٌ وَابْنُ مَرْيَمَ عِنْدَنَا
 هُمْ خَيْرُ خَلْقِ اللَّهِ فِي الْأَكْوَانِ
 ٣٩٣٥- لِمَعَارِفِ حَصَلَتْ لَهُمْ بِصِفَاتِهِ
 لَمْ يُوْتَّهَا أَحَدٌ مِنَ الْإِنْسَانِ
 ٣٩٣٦- وَهُمْ أَوْلُو الْعِزْمِ الَّذِينَ بِسُورَةِ الْ
 أَحْزَابِ وَالشُّورَى أَتَوْا بِبَيَانِ
 ٣٩٣٧- وَلِذَلِكَ الْقُرْآنُ مَمْلُوءٌ مِنَ الْ
 أَوْصَافِ وَهِيَ الْقَضْدُ بِالْقُرْآنِ
 ٣٩٣٨- لِيَصِيرَ مَعْرُوفًا لَنَا بِصِفَاتِهِ
 وَيَصِيرَ مَذْكُورًا لَنَا بِجَنَانِ
 ٣٩٣٩- وَلِسَانٍ أَيْضًا مَحَبَّتِنَا لَهُ
 فَلَأَجَلِ ذَا الْإِثْبَاتِ فِي الْإِيمَانِ
 ٣٩٤٠- مِثْلُ الْأَسَاسِ مِنَ الْبِنَاءِ فَمَنْ يُرِدْ
 هَذَا الْأَسَاسَ فَكَيْفَ بِالْبُنْيَانِ
 ٣٩٤١- وَاللَّهُ مَا قَامَ الْبِنَاءُ لِذَيْنِ رُسْ
 لِ اللَّهِ بِالتَّعْطِيلِ لِلدِّيَانِ^(١)
 ٣٩٤٢- مَا قَامَ إِلَّا بِالصِّفَاتِ مُفَصَّلًا
 إِثْبَاتَهَا تَفْصِيلَ ذِي عِرْفَانِ
 ٣٩٤٣- فَهِيَ الْأَسَاسُ لِذَيْنَا وَلِكُلِّ دِينِ

(١) [٣٩٤١] قال العلامة محمد خليل هراس:

فوالله ما قام الله في أرضه دين بعث به رسول على أساس من الجحد والتعطيل بل ما قامت الأديان والرسالات كلها إلا على إثبات الصفات بالتفصيل فهي الأساس لديننا، ولكل دين قبله من لدن أول الرسل نوح عليه السلام.

- مِنْ قَبْلَهُ مِنْ سَائِرِ الْأَدْيَانِ
 ٣٩٤٤— وَكَذَلِكَ زَنْدَقَةُ الْعِبَادِ أَسَاسُهَا التَّ
 تَعْطِيلُ يَشْهَدُ ذَا ذُو الْعِرْفَانِ
 ٣٩٤٥— وَاللَّهُ مَا فِي الْأَرْضِ زَنْدَقَةٌ بَدَتْ
 إِلَّا مِنَ التَّعْطِيلِ وَالتُّكْرَانِ
 ٣٩٤٦— وَاللَّهُ مَا فِي الْأَرْضِ زَنْدَقَةٌ أَتَتْ
 مِنْ جَانِبِ الْإِثْبَاتِ وَالْقُرْآنِ
 ٣٩٤٧— هَذِي زَنْدَقَةُ الْعِبَادِ جَمِيعُهُمْ
 وَمُصَنَّفَاتُهُمْ بِكُلِّ مَكَانِ
 ٣٩٤٨— هَلْ فِيهِمْ أَحَدٌ يَقُولُ اللَّهُ فَوْ
 قَ الْعَرْشِ مُسْتَوٍ عَلَى الْأَكْوَانِ
 ٣٩٤٩— وَيَقُولُ إِنَّ اللَّهَ جَلَّ جَلَالُهُ
 مُتَكَلِّمٌ بِالْوَحْيِ وَالْقُرْآنِ
 ٣٩٥٠— وَيَقُولُ إِنَّ اللَّهَ كَلَّمَ عَبْدَهُ
 مُوسَى فَأَسْمَعَهُ بِذِي الْأَذَانِ
 ٣٩٥١— وَيَقُولُ إِنَّ التَّقْلَ غَيْرُ مُعَارِضِ
 لِلْعَقْلِ بَلْ أَمْرَانِ مُتَّفِقَانِ
 ٣٩٥٢— وَالتَّقْلُ جَاءَ بِمَا يَحَارُ الْعَقْلُ فِيهِ
 هِ لَا الْمَحَالِ الْبَيِّنِ الْبُطْلَانِ
 ٣٩٥٣— فَانظُرْ إِلَى الْجَهْمِيِّ كَيْفَ أَتَى إِلَى
 أَسِ الْهُدَى وَمَعَاوِلِ الْإِيْمَانِ
 ٣٩٥٤— بِمَعَاوِلِ التَّعْطِيلِ يَقْطَعُهَا فَمَا

يبقى على التَّغْطِيلِ مِنْ إِيْمَانٍ
٣٩٥٥- يَدْرِي بِهَذَا عَارِفٌ بِمَاخِذِ الْ

أَقْوَالِ مُضْطَلَعٌ بِهَذَا الشَّانِ
٣٩٥٦- وَاللَّهُ لَوْ حَادَفْتُمْ لَرَأَيْتُمْ

هَذَا وَأَعْظَمَ مِنْهُ رَأْيَ عِيَانِ
٣٩٥٧- لَكِنْ عَلَى تِلْكَ الْعِيُونِ غِشَاوَةٌ

مَا حِيلَةُ الْكَحَّالِ فِي الْعَمِيَانِ
الشَّرح

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

يقول المؤلف رَحِمَهُ اللهُ لما ذكر هؤلاء المعطلة من المتكلمين، وغيرهم، وأنهم ورثوا من الفلاسفة،
والمناطقة.

يَا وَارِثِينَ نَبِيَهُمْ بُشْرَاكُمْ مَا إِرْثُكُمْ مَعَ إِرْثِهِمْ سِيَانِ
(بشراكم) أي: بشرى لكم، والوارثون للرسول ﷺ هم الذين ورثوه علماً وعملاً ودعوة،
هؤلاء هم الوارثون للرسول ﷺ.

ليس الوارث للرسول ﷺ هم الذين ورثوا العلم فقط؛ لأن العلم إن لم يكن معه عمل ودعوة،
فإنه قد يكون وبال على صاحبه.

شَتَانٌ بَيْنَ الْوَارِثِينَ وَبَيْنَ مَوْرُوثِيهِمَا وَسِهَامِ ذِي الشُّهُمَانِ

(شتان) بمعنى: شتان بين الوارثين لهؤلاء وهؤلاء، وبين المورثين أيضاً.

يَا قَوْمُ مَا صَاحَ الْأَيْمَةُ جَهْدَهُمْ بِالْجَهْمِ مَنْ أَقْطَارِهَا بِأَذَانِ

إِلَّا لَمَّا عَرَفُوهُ مِنْ أَقْوَالِكُمْ وَمَالِهَا بِحَقِيقَةِ الْعِرْفَانِ

فالعلماء في أقطار الدنيا كلها صرحت بالجهل، وشنعت عليه، وبينت بطلان مذهبه؛ لأنهم
يعرفون ما لهذا المذهب من الآثار السيئة على الأمة الإسلامية.

قَوْلُ الرُّسُولِ وَقَوْلُ جَهْمٍ عِنْدَنَا فِي قَلْبِ عَبْدٍ لَيْسَ يَجْتَمِعَانِ

لماذا؟ لأن قول الرسول ﷺ قول حق، وقولهم: قول باطل، فلا يجتمع حق مع باطل بحيث يكون
كل منهما صحيحاً معتقداً، بل قال الله تعالى ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾ [يونس: ٣٢].

نَصَحُوكُمْ وَاللَّهُ جَهْدَ نَصِيحَةٍ مَا فِيهِمْ وَاللَّهُ مِنْ خَوَانٍ
نصحوكم أي: أهل السنة، نصيحة بالغة (ما فيهم والله من خوان).

فَخَذُوا بِهِ هَدْيَهُمْ فَرَبِّي ضَامِنٌ وَرَسُولُهُ أَنْ تَفْعَلُوا بِجَنَانٍ

معناه: إذا أخذتم بهدى أهل السنة والجماعة المبني على قول الرسول عليه الصلاة والسلام، بل على قول الله وقول رسوله: فإن الله ورسوله قد ضمنا لكم إن فعلتم ذلك بالجنان؛ لأنكم على صراط مستقيم.

وَإِذَا أَبِيْتُمْ فَالْسَّلَامُ عَلَى مَنْ آثَ تَبَعَ الْهُدَى وَانْقَادَ لِلْقُرْآنِ

المعنى: أنكم على ضلال، والسلام على من اتبع الهدى، وإنقاد للقرآن.

سِيرُوا عَلَى نُجُبِ الْعَزَائِمِ يَظْهُرُهَا الْمَسْرَى إِلَى الرَّحْمَنِ

الخطاب لأهل السنة، أي: لا يهكم هؤلاء بل سيروا على نجب العزائم، و(نجب): جمع نجبيه، وهي الناقة المختارة التي تفوق غيرها.

سَبَقَ الْمُفْرَدُ وَهُوَ ذَاكِرُ رَبِّهِ فِي كُلِّ حَالٍ لَيْسَ ذَا نِسْيَانٍ

كما قال الرسول -عليه الصلاة والسلام- «سبق المفردون» قالوا: من هم يا رسول الله؟ قال: «الذاكرون الله كثيرا والذاكرات»^(١).

وقول المؤلف رَحِمَهُ: (في كل حال) أخذه من قول عائشة «كان النبي ﷺ يذكر الله على كل أحيانه»^(٢)، وفي القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ [ال عمران: ١٩١].

يقول المؤلف -رحمه الله تعالى- في بيان أهل الذكر وأهل الغفلة.

لَكِنْ أَخُو الْعُقَلَاتِ مُنْقَطِعٌ بِهِ بَيْنَ الْمَقَاوِزِ تَحْتَ ذِي الْغِيْلَانِ

الغفلان أي: عن ذكر الله -عز وجل- وكلما غفل الإنسان عن ذكر ربه إنقطعت به السبيل، وكلما عمّر القلب بذكر ربه وصل إلى الغاية، فالذكر بمنزلة النور يهتدى به الإنسان في ظلمات الطرق حتى يصل إلى غايته.

(صيد السباع) أي: هم صيد السباع، و(كل وحش كاسر) أي: شديد الوحشية، والمقصود: كل وحش شديد الوحشية بنس المضيق لأعجز الضيقان، وهذا في قوله تعالى: ﴿صَعْفَكَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾ [الحج: ٧٣].

(١) رواه مسلم (٢٦٧٦).

(٢) رواه البخاري (١١٦)، ومسلم (٣٧٣).

وَكَذَلِكَ الشَّيْطَانُ يَضْطَّادُ الَّذِي لَا يَذْكُرُ الرَّحْمَنَ كُلَّ أَوَانٍ

فالشيطان يصطاد الغافلين عن ذكر الله، ولهذا سمي: الخناس ﴿ مِنَ سَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَاسِ ﴾ [الناس: ٤]، قال العلماء: هو الذي يخنس إذا ذكر الله -عز وجل-.

وَالذِّكْرُ أَنْوَاعٌ فَأَعْلَى نَوْعِهِ ذِكْرُ الصِّفَاتِ لِرَبِّنَا الْمَنَّانِ

(الذكر أنواع): يكون بالقلب، ويكون باللسان، ويكون بالجوارح، أما بالقلب فإن يكون الإنسان دائماً متعلقاً قلبه بربه يذكر الله -عز وجل- كلما شاهد آية من آيات الله (وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد)، فهو كلما نظر في الكون ذكر الله -عز وجل-، والذكر باللسان هو قول: لا إله إلا الله، وسبحان الله، والحمد لله، وما أشبه ذلك، ونصفه بصفة العموم فنقول: كل قول يقرب إلى الله فهو من ذكر الله فيشمل قراءة القرآن، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، ودراسة العلم، وغير ذلك، وأما الذكر بالجوارح: وهو التعبد لله تعالى بالجوارح فالصلاة مثلاً: الصلاة تجمع أنواع الذكر؛ لأنها ذكر بالقلب؛ لأن الإنسان حين صلواته متعلق قلبه بربه -عز وجل-، وهي ذكر باللسان؛ لأنها تشتمل على تكبير، وقرآن، وتسييح، ودعاء، وهي ذكر أيضاً بالجوارح؛ لأن فيها قياماً وعوداً وركوعاً وسجوداً، فهي في الحقيقة روضة من رياض الذكر لا نظير لها في العبادات، ولهذا كانت أفضل العبادات بعد الشهادتين.

يقول: وثبوتها يعني: ثبوت صفات الله -عز وجل- أصل لهذا الذكر؛ لأنه لا يمكن أن يذكر الإنسان ربه بصفاته إلا بعد إثباتها، إذ كيف يذكر بصفات لا يثبتها، ولهذا نجد المعطلة محرومين غاية الحرمان من لذة الذكر؛ لأنهم لا يعتقدون لله وجه، ولا يد، ولا رحمة، ولا فرجاً، ولا ضحكاً، ولا عجباً، فهم -والعياذ بالله- محرومون من لذة الذكر، إذ أنهم في الحقيقة كما قال ابن القيم في مقدمة النونية: المعطل يعبد عدماً، والممثل يعبد صنماً وصدق رَحْمَتَهُ.

وَتُبُوثُهَا أَضَلُّ لِهَذَا الذِّكْرِ وَالنَّاسِ نَفِي لَهَا دَاعٍ إِلَى النَّسِيَانِ

أي: الذي ينفيها يدعو الناس إلى نسيان ما ذكر الله؛ لأنهم إذا لم يثبتوا الصفات لم يذكروا الله، فلذلك كان خليفة الشيطان.

أي: هذا الذي ينفي الصفات كان خليفة الشيطان؛ لأن الشيطان يصد الناس عن ذكر الله، وهذا يصد الناس عن إثبات الصفات، وبالتالي عن ذكر الله -عز وجل-.

فلا مرحباً بخليفة الشيطان ولا بالشيطان.

وَالذَّاكِرُونَ عَلَى مَرَاتِبِهِمْ فَأَعْلَى

سَلَاهُمْ أَوْلَاوُ الْإِيمَانِ وَالْعِرْفَانِ

العرفان بالصفات العليا، والذاكرون على مراتب بحسب ما قاموا بقلوبهم من تعظيم الله -عز وجل-، والتعلق به، فأعلاها أولوا الإيثار، والعرفان بصفات العليا، ويعين أعلاهم من آمن

بصفات الله، وعرفوا صفات الله، هؤلاء أعلى أهل الذكر منزلة.

بِصِفَاتِهِ الْعُلْيَا إِذَا قَامُوا بِحَمْدِ
وَأَخْصُ أَهْلِ الذِّكْرِ بِالرَّحْمَنِ أَعْدُ
فَأَخْصُ أَهْلَ الذِّكْرِ بِاللَّهِ أَعْلَمُهُمْ بِصِفَاتِ اللَّهِ.

وَلِذَلِكَ كَانَ مُحَمَّدٌ وَأَبُوهُ إِبْرَاهِيمَ
وَكَذَلِكَ نُوحٌ وَإِبْنُ مَرْيَمَ عِنْدَنَا
هُم خَيْرُ خَلْقِ اللَّهِ مِنْ إِنْسَانٍ

هؤلاء هم أولو العزم الخمسة: محمد ﷺ، وأبوه إبراهيم، قال الله تعالى: ﴿مَلَأْنَا آيَاتِكُمْ لِإِبْرَاهِيمَ﴾ [الحج: ٧٨]، وقال له إبراهيم لما عرج به مرحباً بالنبي ابن الصالح والابن الصالح، والمولود من عمران: هو موسى، وكذلك نوح وابن مريم، رتبهم المؤلف رَحْمَةً عَلَى الْأَفْضَلِيَّةِ فَأَفْضَلُهُمْ مُحَمَّدٌ، ثم إبراهيم، ثم موسى، ثم نوح، ثم ابن مريم.

(هم خير خلق الله من إنسان): لأنهم أفضل الرسل، والرسل أفضل الخلق.

يقول ابن القيم رَحْمَةً: إن أولى العزم: هم خمسة من الرسل (محمد - إبراهيم - موسى - نوح - عيسى).

لِمَعَارِفِ حَضَلَتْ لَهُمْ بِصِفَاتِهِ لَمْ يُؤْتَهَا أَحَدٌ مِنَ الْإِنْسَانِ

ولا شك أن هؤلاء الرسل الخمسة أتاهم العلم بالله، وأسمائه، وصفاته ما لم يحصل لغيرهم، ثم النبيون والرسل على طبقات قال تعالى: ﴿تِلْكَ أَرْسُلٌ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ﴾ [البقرة: ٢٥٣]. وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [الإسراء: ٥٥]، فالرسل قد فضل بعضهم على بعض، والنبيون أيضاً فضل بعضهم على بعض، وفضل الله يؤتیه من يشاء.

وَهُمْ أَوْلُو الْعِزْمِ الَّذِينَ بِسُورَةِ الْأَحْزَابِ وَالشُّورَى أَتَوْا بَيِّنَاتٍ

قال الله -تبارك وتعالى-: ﴿وَلِذَا أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ﴾ [الأحزاب: ٧] هذا في الأحزاب وقال الله تعالى في سورة الشورى: ﴿شَرَعْنَا لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّيْنَا بِهِ نُوْحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ﴾ [الشورى: ١٣]

قوله: (وكذلك القرآن مملوء من الأوصاف) أي: فأوصاف الله -عز وجل- لا تكاد تجد آية إلا وفيها وصف لله، بل إننا نقول كل آية فهي وصف لله؛ لأنها كلام الله فهي وصف.

وقوله: (وهي القصد بالقرآن) أي: أوصاف الله -عز وجل- والإخبار بها هي القصد من القرآن؛ لأن القرآن كله إخبار عن الله وعن أحكام الله وعن عباد الله.

لِيَصِيرَ مَعْرُوفًا لَنَا بِصِفَاتِهِ وَيَصِيرَ مَذْكُورًا لَنَا بِجَنَانِ

ليصير الرب - عز وجل -، ويصير مذكوراً باللسان أيضاً، ولأجل محبته، هذه فوائد ذكر صفات الله - عز وجل -؛ ليصير معروفاً على التفضيل، أما على الإجمال فإن معرفة الخالق فطرية، قد أخذ الله علينا ميثاقاً حين ركز في فطرتنا من معرفته - عز وجل -، لكنك لا تعرف الله على سبيل التفصيل إلا عن طريق الوحي.

أيضاً (يصير مذكوراً لنا بجنان): الجنان معناها القلب، وسمي جناناً؛ لأنه مستتر، وأصل المادة: هي (الجيم، النون) تدل على الإستيثاق، وكذلك يصير مذكوراً لنا باللسان نذكره - عز وجل - بأسائه وصفاته بألستنا.

الرابع: أن، نجهه - سبحانه وتعالى -؛ لأننا كل ما ذكرنا هذه الأوصاف، أحببناه لتمام فضله وكمال عدله، وكل هذا يعلم من صفاته - سبحانه وتعالى -.

وَلِسَانٍ أَيْضًا مَع مَحَبَّتِنَا لَهُ فَلَأَجَلٍ ذَا الْإِثْبَاتِ فِي الْإِيمَانِ

مِثْلُ الْأَسَاسِ مِنَ الْبِنَاءِ فَمَنْ يَرِذْ هَذَا الْأَسَاسَ فَكَيْفَ بِالْبُنْيَانِ

مَا قَامَ إِلَّا بِالصِّفَاتِ مُفَصَّلًا إِبْتِثَاتُهَا تَفْصِيلَ ذِي عَرْفَانِ

فَهِيَ الْأَسَاسُ لِدِينِنَا وَلِكُلِّ دِينٍ مِنْ قَبْلَهُ مِنْ سَائِرِ الْأَدْيَانِ

أما كونها أساس لديننا فهذا أمرٌ معروفٌ مشروح، وأما كونها أساساً للأديان السابقة، فلما ينقل الله - سبحانه وتعالى - عن الكتب السابقة من أسائه وصفاته؟

وَكَذَلِكَ زَنْدَقَةُ الْعِبَادِ أَسَاسُهَا التَّعْطِيلُ يَشْهَدُ ذَا أَوْلُوا الْعَرْفَانِ

الزندقة: المروق من الإسلام، هذه الزندقة، أساسها التعطيل، تعطيل الله - عز وجل - من أوصافه، وأفعاله فهذا هو أساس الزندقة.

وَاللَّهُ مَا فِي الْأَرْضِ زَنْدَقَةٌ بَدَتْ إِلَّا مِنَ التَّعْطِيلِ وَالتُّكْرَانِ

وَاللَّهُ مَا فِي الْأَرْضِ زَنْدَقَةٌ أَتَتْ مِنْ جَانِبِ الْإِثْبَاتِ وَالْقُرْآنِ

هذا قسم يتضمن إثباتاً، ونفيًا، إثبات أن الزندقة بدت من التعطيل، ونفي أن الزندقة بدت من الإثبات.

هَذِي زَنْدَقَةُ الْعِبَادِ جَمِيعُهُمْ وَمُصَنَّفَاتُهُمْ بِكُلِّ مَكَانٍ

فارجع إلى أقوال هؤلاء الزنادقة، وإلى مصنفاتهم تجد أنهم بنوا زنادقتهم على التعطيل.

هَلْ فِيهِمْ أَحَدٌ يَقُولُ اللَّهُ فَوْقَ الْعَرْشِ مُسْتَوٍ عَلَى الْأَكْوَانِ

(ما فيهم أحد يقول إن الله فوق العرش ومستولٍ على الأكوان) يقولون: الله مستولٍ على

العرش، كما هو مستولٍ على السماء، وعلى الأرض وعلى البشر، وعلى البهائم.

وَيَقُولُ إِنَّ اللَّهَ جَلَّ جَلَالُهُ مُتَكَلِّمٌ بِالْوَحْيِ وَالْقُرْآنِ

ما فيهم أحد يقول إنه متكلم بالوحي والقرآن، فمنهم من يقول: إن القرآن مخلوق بائن من الله، ومنهم من يقول: إن القرآن كلام الله لكنه الكلام النفسي، وهذه الحروف خلقت تعبيراً عنه.

وَيَقُولُ إِنَّ اللَّهَ كَلَّمَ عَبْدَهُ مُوسَى فَأَسْمَعُهُ بِذِي الْأَذَانِ

أي: ما فيهم أحد يقول: إن الله كلم موسى فأسمعه كلامه بأذنيه.

وَيَقُولُ إِنَّ النُّقْلَ غَيْرُ مُعَارِضٍ لِلْعَقْلِ بَلْ أَمْرَانِ مُتَّفَقَانِ

المقصود: ما فيهم أحد يقول: إن النقل غير معارض للعقل، بل فيهم من يقول إن النقل معارض للعقل، وأنه إذا تعارض العقل والنقل وجب تقديم العقل.

والمعنى: بل هما أمران متفقان، والذين يقولون: إن النقل غير معارض للعقل، وأنها أمران متقان هم أهل الإثبات، ولا يوجد في أهل التعطيل من يقول: بهذا القول.

وَالنُّقْلُ جَاءَ بِمَا يَحَارُّ الْعَقْلُ فِيهِ لَآ الْمُحَالَ الْبَيْنِ الْبُطْلَانِ

أي: أن النقل جاء بما تحاربه العقول، لا بما تجعله محالاً، النقل لم يأت بشيء محال، لكن جاء بما يحير العقول، وهذا هو الواضح، لكن تحيير العقول بما جاء به النقل، لا يدل على فساد النقل، بل يدل على قصور العقول حيث حارت بهذا، فمثلاً: النقل جاء بأن الله - عز وجل - على عرشه، وأنه ينزل إلى السماء الدنيا، فيحار العقل يقول: كيف ينزل وهو على عرشه؟ كيف ثبت أنه نزل وله العلو المطلق؟ نقول: هذا يحير العقل، لكن العقل لا يرى هذا المحال بالنسبة إلى الله - عز وجل -.

فهو محال بالنسبة لنا؛ لكن بالنسبة لله ليس محال في يوم القيامة الناس في مكان واحد، في صعيد واحد يسمعون النداء وينقضهم البصر، منهم من يعرق حتى يبلغ العرق كعبيه، ومنهم من يصل إلى ركبتيه ومنهم من يصل إلى حقوته ومنهم من يلجم، وهم في صعيد واحد ومكان واحد، فالعقل هذا يحار، كيف يكون هذا وهم في صعيد واحد، فنقول هذا غير محال؛ لأن اليوم الآخر لا يقاس بالدنيا، هذا محال في الدنيا لكن، في الآخرة غير محال، على أنه في الدنيا يمكن؛ لأنه لو وجد ماء في أرض غير مستوية صار الماء في أعلاها مثلاً إلى الكعب، وفي عمقها يلجم، على كل حال الأساس أننا لا نقيس أمور الآخرة بأمور الدنيا، والقاعدة هنا النقل أتى بما تحاربه العقول، لا بما تحيله العقول.

فَانظُرْ إِلَى الْجَهْمِيِّ كَيْفَ أَتَى إِلَى أَسِّ الْهُدَى وَمَعَاقِلِ الْإِيمَانِ

أتى إليه بماذا؟

بِمَعَاوِلِ التَّعْطِيلِ يَقْطَعُهَا فَمَا
أَوْ فَمَا يَبْقَى عَلَى التَّعْطِيلِ مِنْ إِيْمَانٍ.

الجهمي: نسبة إلى الجهم بن صفوان، الذي كان تلميذاً للجعد بن درهم، وبن درهم أول من قال بالتعطيل؛ لأنه قال كلمتين، قال إن الله لم يتخذ إبراهيم، ولم يكلم موسى تكليماً، فأخذها عن الجهمي ابن صفوان ونشرها فنُسبت إليه، والجعد هذا يقال إن خالد بن عبد الله القسري أحد أمراء بني أمية خرج به موثقاً -بوثاق- إلى مصلى العيد، وقال: أيها الناس ضحوا تقبل الله ضحاياكم، فإني مضحي بالجعد بن درهم، إنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً، ولم يكلم موسى تكليماً، ثم نزل فذبحه.

وكانوا فيما سبق من عهد الرسول - عليه الصلاة والسلام - يخرجون بضحاياهم إلى مصلى العيد، يذبحونه هناك، ومنهم من يذبح في بيته من أجل إشهار شعيرة الذبح لله - عز وجل -، ومن أجل أن يطعم منها الفقراء.

وَأَجْلِلْ ذَا ضَحَى بِجَعْدِ خَالِدِ الْ
إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمَ لَيْسَ خَلِيلَهُ
شَكَرَ الضَّحِيَّةَ كُلُّ صَاحِبِ سُنَّةِ
الجهمي: تلميذ الجعد بن درهم.

يَدْرِي بِهِذَا عَارِفٌ بِمَا حَذِ الْ
أي: يدري العارف بما أخذ الأقوال، أن التعطيل سبب لهدم الإيْمَانِ، وإن كان الرجل السطحي لا يعرف هذا الشيء؛ لكن الرجل المتعمق أدري، فالرجل المتعمق يعرف أن التعطيل هدم للإيْمَانِ.

وَاللَّهُ لَوْ حَادَقْتُمْ لَرَأَيْتُمْ
لَكِنَّ عَلَى تِلْكَ الْعُيُونِ غِشَاوَةٌ
الجواب: لا حيلة لها، والله أعلم.



(١) [٣٩٥٣: ٣٩٥٧] قال العلامة محمد خليل هراس:

فانظر يا أخا العقل إلى ما جناه هذا الجهمي المعطل، وكيف أتى إلى أصول الهدى وحصون الإيْمَانِ فأعمل فيها معاول جرده وتعطيله حتى تداعت منها الأركان ولا يعرف هذا إلا خبير بأقوال العباد ومآخذها عن هو كلف بهذا الشأن. وأنتم أيها الضالون المفتونون لو أمعنتم النظر وصحت منكم العيون لرأيتم أكثر مما ذكرته لكم من أنواع الضلال والفتن، ولكنكم عمي لا تبصرون.



تمهيد بين يدي الفصل



قال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللهُ:

فصل

في بهت أهل الشرك والتعطيل

في دَمَهُمُ أَهْلُ التَّوْحِيدِ بِتَنْقِيسِ الرَّسُولِ

وهذا يعدُّ من العجائب، فإن أهل التعطيل كما تقدم عزلوا كلام الله وكلام رسوله عن الاحتجاج بهما في هذا الباب، وزعموا أن أدلة الوحيين لفظية ظنية، وأنها تدل على التجسيم، وأن من قال بما دلت عليه من المعاني المفهومة بلا ريب فهو كافر، وقدموا عليها أصول أهل الإلحاد، ثم مع هذا زعموا أن أهل السنة والجماعة الذين لم يقدموا على الوحيين رأي أحد وقالوا بما دلت عليه بأنواعها الثلاثة وجعلوا الوحيين هما الأصل الذي ترجع إليه الأقوال والمذاهب كلها فما وافقهما فهو مقبول وما خالف الوحيين فهو مردود وما لم يعلم موافقته أو مخالفته فهو موقوف، ولم يتقدموا بين يدي رسوله بمقالة لا أصولية ولا فروعية، زعم أهل التعطيل مع هذا أنهم متفقون للرسول، وهذا من أعظم قلب الحقائق وجعل الحق باطلاً والباطل حقاً والمحسن مسيئاً والمسيء محسناً، فمن عرف ما قاله أهل السنة وما قاله الجهمية في هذا الباب عرف أن الإيمان بالله ورسوله وتعظيم الله ورسوله دائر مع ما قاله أهل السنة إثباتاً ونفيًا وظاهرًا وباطنًا، فإنهم كما عظموا ربهم بالإيمان بكل ما دل عليه الكتاب والسنة من صفات عظمتهم وكبريائهم وانقادت قلوبهم وجوارحهم لذلك وشهدت به ألسنتهم فهم القائمون بتعظيم الرسول حقًا والإيمان به إذ قالوا نشهد أن ما جاء به الرسول حق يجب الإيمان به كله في جميع أبواب العلم في أصول الدين وفروعه، ويجب الانقياد له واتباعه وتقديمه على غيره، وميزوا بين الحق المختص بالله وهو عبادته وحده لا شريك له فلا يستحق هذا الحق ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا غيرهما. والحق المختص بالرسول وهو تعزيره وتوقيره وتبجيله، والحق المشترك هو الإيمان بالله ورسوله ومحبة الله ورسوله وطاعة الله ورسوله.

وأما غيرهم من أهل التعطيل والشرك فإنهم عزلوا الوحيين عن الاحتجاج بهما وقدموا عليها أقوال المكذبين بالرسول وأعطوا الرسول من الحق المختص بالله من التأله والغلو ما لا يليق إلا بالله وشابهوا النصراني في غلوهم بعباسي ابن مريم، إلى غير ذلك من أوصافهم المناقضة للدين، فأبي الفريقين أحق بتعظيم الرسول، وأهم أولى به في الدنيا والآخرة. لا يسترتيب العاقل المنصف أن أهل الشرك والتعطيل هم المتفقون للرسول، المتفقون حفظهم من الإيمان بالله ورسوله.

ونظير رمي المعطلين للمثبتين في طريقتهم رمي المشركين للموحدين أنهم يتنقصون الرسول إذ لم يجعلوا للرسول من حق الله الخاص شيئاً، فلم يدعوه ولا تضرعوا إليه، ولا غلوا فيه غلو النصارى كما فعله المشركون، ولا فعلوا في زيارته كفعل المشركين الذين استغاثوا به في كشف شدائدكم وتمسحوا بقبوره ورفعوا أصواتهم بالضجيج الجافي عنده وزعموا أنهم هم الموحدون وأن الموحدين متنقصون، فهل تنقص الرسول من قدم طاعة الرسول على كل طاعة، واتبعه في أصول الدين وفروعه، وقام بتوقيفه وتبجيله اللائق بجنابه الشريف، وعلم أنه ﷺ أكمل الخلق في جميع الصفات الحميدة، وأنه أعلاهم مقاماً وأوجههم عند الله وأقربهم منه، وقدم محبته على محبة نفسه ووالديه وأولاده والناس أجمعين، وعلم أن عنوان محبته الاهتداء بهديه والاعتداء بأقوال وأفعاله والتأدب التام بين يدي سسته وأن لا يرفع عليها مذهب ولا عقيدة ولا قول أحد من الناس كائناً من كان، والتأدب عند زيارته ﷺ، واعتقاد أن زيارة مسجده مع زيارته من أفضل القربات وسلوك طريق الأدب في ذلك، وأن أحدهم إذا وصل إلى تلك الربوع الشريفة والأمكنة المنيفة ابتدأ في مسجده ﷺ فصلي تحية المسجد ركعتين بطمأنينة وسكون وخضوع لله تعالى وحمد وثناء لله الذي منَّ عليه بوصوله. ثم يقوم إلى ما بين يدي الرسول ﷺ مستقبلاً وجهه الكريم غاض الطرف خافضاً صوته يخاطبه في هذه الحال كما يخاطبه في حياته فيقول:

«السلام عليك يا رسول الله وخيرته من خلقه وصفوته من عباده، أشهد أنك قد أبلغت الرسالة وأديت الأمانة، ونصحت الأمة، وبينت الهدى من الضلال والرشاد من الغي والحق والباطل، وجاهدت في الله حق جهاده وهديت الخلق ببيانك وإرشادك وقولك وفعلك وهديك إلى صراط مستقيم، فلم يبق خير إلا دلت الأمة عليه وبينته وأرشدت إلى طريقه، ولا شر إلا حذرتها عنه وعن مسالكه وسبله. وأشهد أن الله قد جمع لك من الفضائل والخصائص والمزايا والكمالات ما لم يجمعه لأحد من الأنبياء والمرسلين، فجزاك الله عن أمتك خير الجزاء، وصلى الله عليك وملائكته وجميع خلقه صلاة كاملة تامة، وآتاك الوسيلة والفضيلة والمقامات المحمودة».

ويشني عليه بكل ما يقدر عليه من الثناء الذي يليق بجنابه وهو أهله، بأبي هو وأمي، ويصلي عليه، ثم ينحرف يمناً فيسلم على أبي بكر الصديق، ثم على عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وذلك كله بأدب وطمأنينة وغض صوت وخضوع واستحضر لشخصه الكريم كأنه في حياته. فهذه الزيارة للموحدين تملأ القلب إيماناً وتصديقاً ومحبة للرسول وشوقاً إليه وتعظيماً وتبجيلاً، ثم ينصرف فيجعل الحجره عن يساره ويستقبل القبلة ويدعو الله بما أحبه من خير دينه ودينه وآخرته. أفمن كانت هذه حالهم مع الرسول مع سسته لا يميلون عما قاله وفعله قيد شعرة يكونون متنقصين له، أم المتنقصون له في الحقيقة من خالفوا هذه الطريقة المستقيمة من كل وجه؟ فأهل السنة يقولون للمعطلين والمشركين ما قاله متبعوهم صلوات الله وسلامه عليه لأعدائه حين بين السبيل وأوضح المسالك ﴿وَإِنَّا أَوْ يَتَاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [سبأ: ٢٤].



فصل

في بهت أهل الشرك والتعطيل
في رميهم أهل التوحيد والإثبات
بتنقيص الرسول

٣٩٥٨- قَالُوا تَنْقُضُكُمْ رَسُولَ اللَّهِ وَآ

عَجَبًا لِهَذَا الْبَغْيِ وَالْبُهْتَانِ

٣٩٥٩- عَزَلُوهُ أَنْ يَخْتَجَّ قَطُّ بِقَوْلِهِ

فِي الْعِلْمِ بِاللهِ الْعَظِيمِ الشَّانِ

٣٩٦٠- عَزَلُوا كَلَامَ اللهِ ثُمَّ رَسُولَهُ

عَنْ ذَلِكَ عَزْلًا لَيْسَ ذَا كِتْمَانِ

٣٩٦١- جَعَلُوا حَقِيقَتَهُ وَظَاهِرَهُ هُوَ الْآ

كُفْرُ الصَّرِيحِ الْبَيْنِ الْبُطْلَانِ

٣٩٦٢- قَالُوا وَظَاهِرُهُ هُوَ التَّشْبِيهِ وَآ

تَجْسِيمِ وَالتَّمثِيلِ حَاشَا ظَاهِرِ الْقُرْآنِ

الشرح

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

يقول المؤلف - رحمه الله تعالى -: (إن أهل الشرك، والتعطيل رموا أهل التوحيد والإثبات بتنقص الرسول ﷺ) أي: قالوا: إنكم تنقصتم الرسول ﷺ بإثباتكم ما يقتضي التجسيم، وهذا لا شك قول كل ذي بدعة، وكل ذي باطل، فمثلاً اليوم الثاني عشر من شهر ربيع الأول، تجد عامة المسلمين يقيمون ليلة في هذا اليوم احتفالاً بمولد النبي ﷺ ويقولون: إن هذا عنوان محبته، ومن لم يفعل ذلك فإنه لا يجب الرسول ﷺ، وفي الحقيقة أن هذا ينطبق عليه قول القائل:

تَغْصِي الإِلَهَ وَأَنْتَ تَزْعُمُ حُبَّهُ هَذَا لِعَمْرِي فِي الْقِيَاسِ شَنِيعٌ

فأيها أشد حُبًّا وتعظيمًا للرسول - عليه الصلاة والسلام - رجل يقول: أنا أحبه وأنتع أثره ولا أخرج عن سنته، ولا أبتدع في شرعه ما ليس منه، ورجل آخر يقول لا بد أن أفرد إرادتي وأحدث في دينه ما ليس منه، وأيها أشد حُبًّا؟ الأول بطبيعة الحال.

فهذا رسول الله ﷺ، وهذا أبو بكر، وهذا عمر، وثمان، وعلي رضي الله عنه، وسائر الصحابة والتابعين، والأئمة الأربعة، ومن على شاكلتهم، كلهم لم يقيموا احتفالاً بمولد الرسول ﷺ مع أن الأمر متيسر وسهل والنفوس تدعو إليه، والسبب موجود، فما المانع، ما الذي يمنعهم ما دام كل شيء متيسر والنفوس تدعو إلى تعظيم الرسول - عليه الصلاة والسلام -، ولا مانع من ذلك، والسبب موجود، وهو مرور هذه الليلة عليهم، فما الذي يمنعهم؟ فلو كان ذاك من مقتديات حب لكانوا هم أولى الناس بذلك، وأشد الناس تطبيقاً له، لكنهم لم يفعلوا، فدل هذا على أنه ليس من الشرع ثم لو كان من شريعة الله لكان يجب على الرسول - عليه الصلاة والسلام - أن يبلغ الناس ذلك، إما بفعله وإما بقوله، والمتنقص على الرسول - عليه الصلاة والسلام - هو الذي يقول قولاً أو يفعل فعلاً مضمونه عدم تبليغ الرسول ﷺ شريعة الله، لأننا إذا جعلنا هذا من الشريعة والرسول لم يفعله ولم يأمر به فمضمون ذلك أنه كنتم شريعة الله، أو أنه لم يُعلم بها، وصار هؤلاء أعلم بها منه، أو صاروا أنصح للحق منه. وهذا منكر نقوله، ليست في أهل البدع فقط، بل في كل بدعة، ولهذا نقول أنتم إذا رميتم من لم يتم الاحتفال بمولد الرسول - عليه الصلاة والسلام - بأنه يبغضه، أو يتنقصه فقد رميتموه بدائكم؛ لأن حقيقة الأمر أنكم أنتم الذين تنقصتموه، ولم تحبوه، ولم تعظموه، لأن عنوان محبة الرسول - عليه الصلاة والسلام - اتباع أثره، وعدم الاحتجاج بشيء في شرعه، وهو يعلن - عليه الصلاة والسلام - في كل خطبه جمعه، أو أكثر خطب الجمعة «خَيْرُ الْحَدِيثِ كَلَامُ اللَّهِ أَوْ خَيْرُ الْكَلَامِ اللَّهُ وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ»^(١).

فأنتم الآن، إما أن تفعلوها عادة أو عبادة، ولكن الذي يظهر أنها عبادة، وهي عبادة تشاءوا أم أبو؛ لأن مضمونها تعظيم الرسول - عليه الصلاة والسلام -، وتعظيم الرسول ﷺ من العبادة، فهل جاء هذا النوع من التعظيم في شريعة الرسول؟ لا. إذن هو بدعة، ثم إنه يتبعه من الأشياء التي تنافي العقل، تغلو عن الدين فبعضهم يجلس ويذكر الرسول - عليه الصلاة والسلام - بقصائد تبلغ في الغلو بأن يكون الرسول شريكاً لله، أو أعظم من الله فتجدهم يرددون قول البوصيري:

يَا أَكْرَمَ الْخَلْقِ مَا لِي مَنِ الْوُدِّ بِهِ سِوَاكَ عِنْدَ حُلُولِ الْحَادِثِ الْعِيمِ
وَلَنْ يَضِيقَ رَسُولَ اللَّهِ جَاهُكَ بَنِي إِذَا الْكَرِيمِ تَحَلَّى بِاسْمِ مُنْتَقِمِ

فَإِنَّ مِنْ جُودِكَ الدُّنْيَا وَضُرَّتْهَا وَمِنْ عُلُومِكَ عِلْمُ اللُّوحِ وَالْقَلَمِ

يقول بعض العلماء: إنه بهذا المدح لم يبق لله شيئاً في الدنيا والآخرة من جوده - جود الرسول، ومن علومه علم اللوح والقلم، وهم يرددون هذا عن عقيدة، - نسأل الله العافية -، وهذه بدعة قد تصل إلى الكفر، وليتهم يقتصرون على هذا مع إن هذا من أعظم شيء، إن لم يكن أعظم شيء، بينما هم في هذا الرقص والحركات، تسلب العقول في هذه المناسبات، تسلب عقولهم. - نسأل الله العافية -.

لكن لو أنهم كُلفوا بهذا من قبل الشرع، هل يقومون به على هذا الوجه، - الله أعلم -، لكن الظاهر أنهم لا يقومون، لكن كيف يكلفون أنفسهم بأشياء لا تزيدهم من الله إلا بعداً، ولكن الجهل والشيطان هو الذي يحدث مثل هذه الأمور، لأنهم إذا عظموا الرسول كما يقولون في هذه الليلة، نسوه في بقية الأيام، فستكون مرة في السنة وتنتهي، مع أن الرسول - عليه الصلاة والسلام - رفع الله ذكره بغير هذا، في الأذان يعلن: أشهد أن محمداً رسول الله خمس مرات في اليوم واللييلة، وفي الصلاة فرض على الإنسان أن يقول: (السلام عليك أيها النبي وأن يقول أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله) فهل يجدون أعظم من هذا ذكراً؟ لا أعظم من هذا ذكراً في اليوم واللييلة فرض على الإنسان أن يعلن هذا خمس مرات على أعلى إمكان، فرض على المسلمين كفاية وفرض على كل مصل أن يقول: السلام عليك أيها النبي وأن يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله والمشكل أن مثل هؤلاء، - نسأل الله لنا ولهم الهداية - يدعون أن من لم يفعل ذلك فهو يُبغض الرسول، - سبحان الله -، (فما أشبه الليلة بالبارحة) ما أشبه كلام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ بكلام هؤلاء.

قَالُوا تَنْقُضْتُمْ رَسُولَ اللَّهِ وَاعْتَجَبْنَا لِهَذَا الْبُغْيِ وَالْبُهْتَانِ

المعني: أن أهل السنة والجماعة المتبعين للوحيين (الكتاب والسنة) هم الذين يقال عنهم: إنهم تنقضوا الرسول.

عَزَلُوهُ أَنْ يَحْتَجَّ قَطُّ بِقَوْلِهِ فِي الْعِلْمِ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ الشَّانِ

يعني: أن أهل التعطيل، عزلوا الرسول أن يحتج بقوله: (في العلم بالله العظيم الشأن)؛ لأنهم لا يحتجون بأحاديث الصفات إن جاءت عن طريق التواتر، ولم يكن لهم بد من دفعها، فحرفوها، وإن كانت عن طريق الأحاد قالوا هذه عقيدة، ولا تثبت بخبر الواحد، فمزقوا السنة بهذه الطريقة.

عَزَلُوا كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ رَسُولَهُ عَنْ ذَلِكَ عَزْلاً لَيْسَ ذَا كَيْفَانِ

قوله: (عن ذلك) أي: عن الاحتجاج بالكتاب والسنة.

جَعَلُوا حَقِيقَتَهُ وَظَاهِرَهُ هُوَ الْكَفْرُ الصَّرِيحُ الْبَيْنُ الْبُطْلَانِ

قَالُوا وَظَاهِرُهُ هُوَ التَّشْبِيهِ وَالْتَجْسِيمِ وَالتَّمثِيلِ حَاشَا ظَاهِرَ الْقُرْآنِ

يعني أنهم يقولون: إن ظاهر آيات الصفات التمثيل، والمقر من ذلك أن تعطلها فقوله تعالى: ﴿وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ﴾ [الرحمن: ٢٧] المعنى أنه له وجهًا ماثلاً لوجه المخلوق فلكي تفر من ضلك عطل، فقل: ما له وجه، نقول لهم: فالذي يجعل ظاهر كلام الله ورسوله هو التمثيل معناها، أنه جعل القرآن والسنة ظاهرهما الكفر؛ لأن من مثل الله بخلقه فقد كفر.

كما قال: الخداعي شيخ البخاري رَحِمَهُ اللهُ قَالَ: من أنكر ما وصف الله به نفسه فقد كفر، ومن شبه الله بخلقه فقد كفر، وليس فيما وصف الله به نفسه تشبيها.



* قوله رَحِمَهُ اللهُ:

- ٣٩٦٣- مَنْ قَالَ فِي الرَّحْمَنِ مَا دَلَّتْ عَلَيْهِ
 هِ حَقِيقَةُ الْأَخْبَارِ وَالْفُرْقَانِ
- ٣٩٦٤- فَهُوَ الْمَشْبِيهِ وَالْمُمَثِّلُ وَالْمَجَسِدُ
 سِمْ عَابِدُ الْأَوْثَانِ لَا الرَّحْمَنِ
- ٣٩٦٥- تَاللهِ قَدْ مُسِخَتْ عَقُولُكُمْ فَلَئِنْ
 سَسَ وَرَاءَ هَذَا قَطُّ مِنْ نُقْضَانِ
- ٣٩٦٦- وَرَمَيْتُمْ حِزْبَ الرَّسُولِ وَجُنْدَهُ
 بِمُضْضَابِكُمْ يَا فِرْقَةَ الْبُهْتَانِ
- ٣٩٦٧- وَجَعَلْتُمْ التَّتَقِيصَ عَيْنَ وَفَاقِهِ
 إِذْ لَمْ يُوَافِقْ ذَاكَ رَأْيَ فُلَانِ
- ٣٩٦٨- أَنْتُمْ تَنْقُضْتُمْ إِلَهَ الْعَرْشِ وَالْأَنْبِيَاءِ
 قُرْآنَ وَالْمَبْعُوثِ بِالْقُرْآنِ
- ٣٩٦٩- نَزَّهُتُمْوهُ عَنْ صِفَاتِ كَمَالِهِ
 وَعَنِ الْكَلَامِ وَفَوْقَ كُلِّ مَكَانِ
- ٣٩٧٠- وَجَعَلْتُمْ ذَا كُلُّهُ التَّشْبِيهَ وَالنَّظْرَ
 تَمَثِيلًا وَالتَّجْسِيمَ ذَا الْبُطْلَانِ

٣٩٧١- وَكَلَامَكُمْ فِيهِ الشِّفَاءُ وَغَايَةُ الثَّ

تَحْقِيقِ يَا عَجَبًا لِيذَا الْخِذْلَانَ

٣٩٧٢- جَعَلُوا عُقُولَهُمْ أَحَقَّ بِأَخْذِ مَا

فِيهَا مِنْ الْأَخْبَارِ وَالْقُرْآنِ

٣٩٧٣- وَكَلَامَهُ لَا يُسْتَفَادُ بِهِ الْيَقِينُ

مَنْ لِأَجْلِ ذَا لَا يَفْصِلُ الْخِضْمَانَ

٣٩٧٤- تَحْكِيمَهُ عِنْدَ اخْتِلَافِهِمَا بَلِ الْ

مَعْقُولِ ثُمَّ الْمُنْطِقِ الْيُونَانِي

٣٩٧٥- أَيِ التَّنْقِصِ بَعْدَ ذَا لَوْلَا الْوَقَا

حَةَ وَالْجَرَاءَةَ يَا أَوْلِي الْعُدْوَانِ

الشَّرْحُ

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

بَيَّنَّ الْمُؤَلِّفَ رَحِمَهُ اللهُ فِي بَهْتِ أَهْلِ الشَّرْكِ وَالتَّعْطِيلِ، حَيْثُ رَمَوْا أَهْلَ الْإِتْبَاتِ وَالتَّوْحِيدِ بِتَنْقِصِ الرَّسُولِ، وَقَلْنَا إِنْ هَذَا شَيْءٌ مُضْطَرِبٌ فِي أَهْلِ الْبَاطِلِ، يَرْمُونَ أَهْلَ الْحَقِّ بِمَا هُمْ مُتَصِفُونَ بِهِ، وَهَمُّ بِهِ أَوْلَى، أَرَأَيْتُمْ قَوْلَ الْمُنَافِقِينَ فِي الرَّسُولِ ﷺ وَأَصْحَابِهِ (مَا رَأَيْنَا مِثْلَ قِرَاءِنَا هَؤُلَاءِ أَرْغَبَ بَطُونًا وَلَا أَكْذَبَ أَلْسِنًا وَلَا أَجْبَنَ عِنْدَ الْلِقَاءِ مِنْ هَؤُلَاءِ) يَعْنُونَ الرَّسُولَ ﷺ وَأَصْحَابَهُ، فَبِاللَّهِ عَلَيْكُمْ مَنْ أَحَقُّ بِهَذِهِ الْأَوْصَافِ؟ هُمُ الْمُنَافِقُونَ، هُمُ أَكْذَبُ النَّاسِ أَلْسِنًا، وَهَمُّ أَرْغَبُ النَّاسِ بَطُونًا وَهَمُّ أَجْبَنُ النَّاسِ عِنْدَ الْلِقَاءِ، وَهَؤُلَاءِ أَهْلُ التَّعْطِيلِ أَيْضًا قَالُوا: أَنْتُمْ تَنْقِصْتُمْ اللَّهَ، جَعَلْتُمُوهُ جَسْمًا، وَشَبَّهْتُمُوهُ بِالْخَلْقِ وَفَعَلْتُمْ وَفَعَلْتُمْ فَنَقُولُ: أَيْنَا أَحَقُّ نَحْنُ أَمْ أَنْتُمْ؟ لَا شَكَّ أَنَّ مِنْ تَدْبِيرِ طَرِيقِهِمْ عِلْمَ عِلْمِ الْيَقِينِ أَنَّهُمْ هُمُ الَّذِينَ تَنْقِصُوا اللَّهَ، وَكُتَابَهُ، وَرَسُولَهُ.

مَنْ قَالَ فِي الرَّحْمَنِ مَا دَلَّتْ بِهِ حَقِيقَةُ الْأَخْبَارِ وَالْفُرْقَانِ

يعني: أن أهل التعطيل يقولون: الذي يقول في الرحمن (ما دلت عليه حقيقة الأخبار والفرقان).

فَهُوَ الْمُشَبَّهُ وَالْمُمَثَّلُ وَالْمَجَسَّدُ سِمَ عَابِدُ الْأَوْثَانِ لَا الرَّحْمَنَ

فهم يقولون: أنت مجسمًا، أنت تعبد جسمًا بان مشبهه، لا تعبدون الله؛ لأن الله لا يوصف بعلو،

ولا يوصف بصفة، فأى إنسان يثبت له علوًّا أو صفة فهو عابد وثن - نسأل الله العافية -.

تَاللّٰهِ قَدْ مُسِخَتْ عُقُولُكُمْ فَلَیْسَ وَرَاءَ هَذَا قَطُّ مِنْ نَقْصَانِ

صدق رحمته الذي يقول هذا القول لا شك أن عقله ممسوخ، ولا أردئ من هذا النقص الذي اتصف به.

وَرَمَيْتُمْ حِزْبَ الرَّسُولِ وَجُنْدَهُ بِمُصَابِكُمْ يَا فِرْقَةَ الْبُهْتَانِ

ما هو مصابهم؟ التنقيص، فرميتهم به حزب الرسول وجنده، وكنتم أنتم الذين تنقصتم الله - عز وجل -، قوله: (البهتان) أي: الكذب.

وَجَعَلْتُمْ التَّنْقِیْصَ عَيْنَ وَفَاقِهِ إِذْ لَمْ يُوَافِقْ ذَاكَ رَأْيَ فُلَانٍ

يعني: جعلتم التنقيص هو النقص حقيقة إذا لم يوافق رأي فلان، فإن وافقه فليس بنقص على زعمهم، ولهذا يرجعون إلى رأي فلان وفلان دون الكتاب والسنة.

أَنْتُمْ تَنْقُصْتُمْ إِلَهَ الْعَرْشِ وَالْقُرْآنَ وَالْمَبْعُوثَ بِالْقُرْآنِ

نَزَهْتُمُوهُ عَنِ صِفَاتِ كَمَالِهِ وَعَنِ الْكَلَامِ وَفَوْقَ كُلِّ مَكَانٍ

قوله: (إله العرش) يعني: الله - عز وجل -، و(المبعوث بالقرآن) هو: الرسول رحمته. قوله: (نزهتموه) أي: نزهتم الله عن صفات كماله، وعن الكلام، وعن فوق كل مكان فنزهموه عن صفات الكمال، ولهذا كان المعطلة ينكرون الصفات، والأشاعرة يثبتون منها سبعة فقط، ونزهتموه على زعمكم عن الكلام فقلتم إنه لا يتكلم، ونزهتموه عن الفوقية.

قوله: (عن فوق كل مكان)؛ لأنهم ينكرون علو الله عز وجل، وينقسمون كما تعرفون إلى جهمية الآن وكانوا أول أمرهم حلولية يقولون: إن الله بذاته في كل مكان، وآخرهم المعطلة الذين يقولون: ليس فوق ولا تحت ولا يمين ولا يسار ولا متصل ولا منفصل؛ ولا مباين، ولا محايير كما مضى.

وَجَعَلْتُمْ ذَا كُلِّهِ التَّشْبِيهَ وَالتَّمثِيلَ وَالتَّجْسِيمَ ذَا الْبُطْلَانِ

جعلتم هذا كله تجسيمًا، وتشبيهاً، وتمثيلاً، وقلتم هذا شيء باطل، فيلزم عليه بطلان هذه الصفات، وقد سبق الجواب عليهم في ثلاثة أوجه في كلام المؤلف رحمته.

قوله: (وكلامكم) يعني: وجعلتم كلامكم.

وَكَوَلَامِكُمْ فِيهِ الشِّفَاءُ وَغَايَةُ التَّحْقِيقِ يَا عَجَبًا لِيَذَا الْخِذْلَانِ

والله هذا هو الخذلان أن يرى الإنسان كلامه الباطل حقًا هذا هو المخذول حقيقة؛ لأن من رأى البطلان في كلامه أو شك أن يهتدي، لكن من رأى أنه على حق فهذا هو الخذلان إذا كان على باطل، يقول الله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾ (١٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيْدُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ

يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿الكهف: ١٠٤﴾.

جَعَلُوا عُقُولَهُمْ أَحَقَّ بِأَخْذِ مَا فِيهَا مِنَ الْأَخْبَارِ وَالْقُرْآنِ
قوله: (من الأخبار) هذه متعلقة بـ (أحق) أي: جعلوا عقولهم أحق بأخذ ما فيها، فهي أحق
من الأخبار والقرآن.

وَكَلَامُهُ لَا يَسْتَفَادُ بِهِ الْيَقِينُ

تَحْكِيمُهُ عِنْدَ اخْتِلَافِهَا بَلِ الْإِلْهَامِ

يعني: لا يقبل تحكيمه عند اختلافها، حيث جعلوا كلام الله لا يثبت اليقين، لماذا؟ قال لأن
دلالة الألفاظ ظنية، حتى لو قلت: قام زيد فدلالته على قيامه ظنية، فمن المحتمل أن يكون قام
بمعنى استقام؛ وأن يكون زيد الشخص المشبه بزيد، فاستعير له اسم زيد وبهذا قالوه على جميع
الصفات فهم عندهم قاعدة يقولون فيها: كل الدلالات اللفظية ظنية، - وسبحان الله - الدلالات
العقلية التي هي أوهام، تكون عندهم قطعية.

(وكلامه لا يستفاد به اليقين لأجل ذا) أي: لأجل كونه لا يستفاد به اليقين لا يقبل الخصمان
تحكيمه عند اختلافها، إذا دعوا للقرآن، قالوا القرآن دلالات لفظية، والدلالة اللفظية لا تفيد
اليقين، أما إذا جاءوا في الحديث فيمزقونه أولاً قبل أن يتكلمون فيه، فيقولون هو خبر آحاد
وأخبار الآحاد لا تفيد إلا الظن، فاهدموها من الأول، ولا تتبعوا في تأويلها.

أَيُّ التَّنْقِصِ بَعْدَ ذَا لَوْلَا الْوَقَا حَةَ وَالْجَرَاءَةَ يَا أُولِي الْعُدْوَانِ

يعني: إذا نحن حكمنا كتاب الله، وأنتم لا تحكّموه فأين التنقص؟! فينا أم فيكم؟! نقول الواقعة
التي تأتي منكم، والعدوان هو الذي جعلكم تقولون هذا القول، مع أن الله يعلم بأنكم أهل التنقص.



* قوله رَحِمَهُ اللَّهُ:

٣٩٧٦- يَا مَنْ لَهُ عَقْلٌ وَنُورٌ قَدْ عَدَا

يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كُلِّ زَمَانٍ

٣٩٧٧- لَكِنَّا قُلْنَا مَقَالَةً صَارِحٍ

فِي كُلِّ وَقْتٍ بَيْنَكُمْ بِأَذَانٍ

٣٩٧٨- الرَّبُّ رَبُّ وَالرُّسُولُ فَعَبْدُهُ

حَقًّا وَلَيْسَ لَنَا إِلَهٌ ثَانٍ

٣٩٧٩- فَلِذَلِكَ لَمْ نَعْبُدْهُ مِثْلَ عِبَادَةِ الرَّز

رَحْمَنِ فِعْلُ الْمُشْرِكِ النَّضْرَانِي

٣٩٨٠- كَلَّا وَلَمْ نَعْلُ الْعُلُوَّ كَمَا نَهَى

عَنْهُ الرَّسُولُ مَخَافَةَ الْكُفْرَانِ

٣٩٨١- اللَّهُ حَقٌّ لَا يَكُونُ لِغَيْرِهِ

وَلِعْبُدِهِ حَقٌّ هُمَا حَقَّانِ

٣٩٨٢- لَا تَجْعَلُوا الْحَقِّينَ حَقًّا وَاحِدًا

مِنْ غَيْرِ تَمْيِيزٍ وَلَا فُرْقَانِ

٣٩٨٣- فَالْحَجُّ لِلرَّحْمَنِ دُونَ رَسُولِهِ

وَكَذَا الصَّلَاةُ وَذَبْحُ ذِي الْقُرْبَانِ

٣٩٨٤- وَكَذَا السُّجُودُ وَنَذْرُنَا وَيَمِينُنَا

وَكَذَا مَتَابُ الْعَبْدِ مِنْ عِضْيَانِ

٣٩٨٥- وَكَذَا التَّوَكُّلُ وَالْإِنَابَةُ وَالتُّقَى

وَكَذَا الرَّجَاءُ وَخَشْيَةُ الرَّحْمَنِ

٣٩٨٦- وَكَذَا الْعِبَادَةُ وَاسْتِعَانَتُنَا بِهِ

إِيَّاكَ نَعْبُدُ ذَاكَ تَوْجِيحِدَانِ

٣٩٨٧- وَعَلَيْهِمَا قَامَ الْوُجُودُ بِأَسْرِهِ

ذُنْيَا وَأُخْرَى حَبِّذَا الرُّكْنَانِ

٣٩٨٨- وَكَذَلِكَ التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ وَالتَّ

تَهْلِيلُ حَقُّ إِلَهِنَا الدِّيَانِ^(١)

(١) [٣٩٨٨: ٣٩٨١] قال العلامة محمد خليل هراس:

وحاصل هذا الباب أن الله عز وجل حقاً ورسوله ﷺ حقاً، فأما حق الله فهو مختص به لا يجوز أن يُشركه غيره فيه، وأما

٣٩٨٩- لِكِنَّمَا التَّغْزِيرُ وَالتَّوْقِيرُ حَقٌّ

قُ لِلرُّسُولِ بِمَقْتَضَى الْقُرْآنِ

حق الرسول فهو ثابت له أيضاً، فلا يصح أن نخلط بين الحقين فنجعل ما هو مختص بأحدهما للآخر دون تفرقة أو تمييز، فإن تلك هي الندية التي نهانا عنها الله ورسوله.

فأما حقوق الله التي لا تنبغي إلا له فمنها الحج، وهو القصد إلى زيارة بيته الحرام لأداء المناسك المعروفة، ومنها الصلاة، فرضاً كانت أو نفلًا، ومنها الذبيح لقوله تعالى ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣١﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ ﴿١﴾﴾ [الأنعام: ١٦٢ - ١٦٣] والنسك هو الذبيح، ولقوله: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَحْسِرْ﴾ [الكوثر: ٢] فكما أمره بالصلاة لربه أمره بالنحر له، ومنها السجود وهو وضع الجبهة على الأرض على جهة الذل والخضوع لقوله عليه السلام لمعاذ حين سجد له «لو كنت أمرًا أحدًا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها، ولكن لا ينبغي السجود إلا لله».

ومنها النذر، فإن النذر عباده لا تنبغي إلا لله، قال تعالى ﴿وَلْيُؤْمَرُوا تَتَذَكَّرُ بِهِمْ﴾ [الحج: ٢٩] ومدح الأبرار من عبادة بأنهم ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ [الإنسان: ٧] وقال ﴿وَمَا أَنْتُمْ مِّنْ نَّفَقَةٍ أَوْ نَذْرَةٍ مِّنْ كَذْرٍ فَاتَّكَّفُ اللَّهُ يَسْمَعُ﴾ [البقرة: ٢٧٠]. ومنها الحلف فإنه تعظيم للمحلول به، وذلك لا يكونه إلا لله، قال عليه الصلاة والسلام «من حلف بغير الله فقد أشرك» وقال «من كان حالفًا فليحلف بالله أو ليدر».

ومنها التوبة من المعاصي، وهي الرجوع إلى الله عز وجل بالندم والاستغفار والعزم على عدم العود إلى المعصية، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ [التحریم: ٨] وقال: «عليه توكلت وإليه متاب» وفي الحديث أن النبي ﷺ قال لرجل: ألا تتوب؟ فقال الرجل: اللهم إني أتوب إليك ولا أتوب إلى محمد، فضحك النبي ﷺ وقال: «عرف الحق لأهله».

ومنها التوكل، قال تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣] وقال: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [إبراهيم: ١٢] وفي الحديث «لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خصاصًا وتروح بطانًا». ومنها الإنابة لقوله تعالى: ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ﴾ [الروم: ٣١] وقوله: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُمْ وَأَسْلَمَ لَدُنَّ﴾ [الزمر: ٥٤] وقوله: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبَشِيرُ﴾ [الزمر: ١٧].

ومنها التقى لقوله تعالى: ﴿أَغْفِرَ اللَّهُ نَفَقَاتِهِمْ﴾ [النحل: ٥٢] وقوله: ﴿وَإِنِّي فَأَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٤١] وقوله: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَخَشِيَ اللَّهَ وَيَتَّقِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [النور: ٥٢] فجعل سبحانه الطاعة له ولرسوله، وجعل الخشية والتقوى له وحده.

ومنها الرجاء والخشية لقوله تعالى: ﴿وَيَذَعُونَ نَارًا حَرِيًّا وَرَهَبًا﴾ [الأنبياء: ٩٠] وقوله: ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ [الإسراء: ٥٧] وقوله: ﴿نَتَجَافَى جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [السجدة: ١٦]. ومنها العبادة والاستعانة، قال تعالى: ﴿إِنَّكَ تَعْبُدُ رَبَّكَ تَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] أي لا نعبد إلا أنت ولا نستعين إلا بك، فهذا توحيدان، توحيد في العبادة والإلهية، وتوحيد في الاستعانة، أي في طلب العون والتوكل عليه في كل أمر، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [هود: ١٢٣].

وعلى هذين التوحيدين قام الوجود كله، دنياه وآخرته، فإن الأمر بين الرب وعبده دائر بين العبادة التي هي حقه وبين طلب العبد منه ما لا سبيل إلى تحصيله إلا بعونه، فيها ينتظم شئون المعاد والمعاش.

ومنها التسييح والتهليل والتكبير، أي قولنا باللسان مع مواطاة القلب: سبحان الله ولا إله إلا الله والله أكبر. ومثلها أيضًا جميع العبادات القولية من السؤال والدعاء والذكر والاستخارة والتسمية وغيرها والله سبحانه أعلم.

٣٩٩٠- وَالْحَبُّ وَالْإِيمَانُ وَالتَّضَدِيقُ لَا

يُخْتَصُّ بَلَّ حَقَّانٍ مُشْتَرَكَانِ

٣٩٩١- هَذِي تَفَاصِيلُ الْحُقُوقِ ثَلَاثَةٌ

لَا تَجْهَلُوهَا يَا أَوْلِي الْعُدْوَانِ

الشَّرْحُ

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

يقول المؤلف رَحِمَهُ اللهُ في هذه الآيات، (يا من له عقل) يخاطب من له عقل، ويقول هل نحن الذين تنقصنا كلام الله - عز وجل - ورسوله أم هم.

يَا مَنْ لَهُ عَقْلٌ وَنُورٌ قَدْ عَدَا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كُلِّ زَمَانٍ

كأنه يقول أحكم بيننا، هل نحن أهل التنقص أو هم؟.

لَكِنَّا فُلْنَا مَقَالَةَ صَارِخٍ فِي كُلِّ وَقْتٍ بَيْنَكُمْ بَأْذَانٍ

يعني: أننا لا نبالي، نقول الحق ونصرخ به بينكم، كما قال الله تعالى لنيبيه: ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْبَدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي﴾ (١٤، ١٥) فالؤمن من يصرخ بالحق ولا يبالي ويتحدى أهل الباطل.

الرَّبُّ رَبُّ وَالرَّسُولُ فَعْبُدْهُ حَقًّا وَلَيْسَ لَنَا إِلَهٌ تَانٍ

بل الله واحد.

فَلِذَلِكَ لَمْ نَعْبُدْهُ مِثْلَ عِبَادَةِ الرِّ

أي: لم نعبد الرسول ﷺ، كالنصراني الذي عبد رسوله، حيث أرسل الله عيسى عليه السلام إلى النصراني فَعَلَّلَ بهم الأمر حتى غالوا فيه فجعلوه إلهًا ثانيًا.

كَلَّا وَلَمْ نَعْلُ الْعُلُوَّ كَمَا نَهَى عَنْهُ الرَّسُولُ مَخَافَةَ الْكُفْرَانِ

يعني: أن الرسول ﷺ حذر من أن نغلو فيه، لماذا؟

لأن ذلك يؤدي إلى الشرك والكفر ولهذا قال رَحِمَهُ اللهُ: (مخافة الكفران)؛ لأن الغلو في الشخص يلحقه بالإباحة، ويلحق المغالي بالشرك إذا نحن نُنزل الرسول ﷺ منزلته، ونجعل حق الله له وحده لا نشركه فيه غيره.

لِللَّهِ حَقٌّ لَا يَكُونُ لِغَيْرِهِ وَلِعَبْدِهِ حَقٌّ هُمَا حَقَّانٍ

فهما حقان، وهناك حق ثالث مشترك سيذكره المؤلف، فالحقوق ثلاثة، حق خاص بالله، وحق

خاص بالرسول وحق مشترك.

لَا تَجْعَلُوا الْحَقَّيْنِ حَقًّا وَاحِدًا مِنْ غَيْرِ تَمْيِيزٍ وَلَا فُرْقَانٍ

يعني اعرفوا الله حقه وصفوه بصفاته، وفرقوا بين صفاته وصفات رسوله.

فَالْحَجُّ لِلرَّحْمَنِ دُونَ رَسُولِهِ وَكَذَا الصَّلَاةُ وَذَبْحُ ذَا الْقُرْبَانِ

الحج لله، فلا نحج إلا لبيت الله، أما المشركون يحجون للقبور، ويشدون الرحال إليها، ويطوفون على القبور أشد من طوفهم على الكعبة، فارتباطه بصاحب القبر عند طوافه به أشد من ارتباطه بالله عند طوافه ببيته فهل هؤلاء الذين يحجون إلى القبور حالهم مخلصون عابدون لله؟ لا بالعكس فالحج دون رسوله وغير الرسول من باب أولى.

فَالْحَجُّ لِلرَّحْمَنِ دُونَ رَسُولِهِ وَكَذَا الصَّلَاةُ وَذَبْحُ ذَا الْقُرْبَانِ

الصلاة لله، فلو سجد أحد لغير الله سجدة واحدة، كان كافرًا مشركًا، كذلك الذبح: ذبح القربان تقريبًا وتعظيمًا لا يكون إلا لله، وأما الذبح للضيف إكرامًا فهذا ليس من الشرك؛ لأن الذابح للضيف، يذبح له على أنه مفتقد إلى هذه الذبيحة ليأكل منها لا مجرد التعظيم، أما الذي يذبح لله فهو يذبح ذلك تعظيمًا له معتقدًا أن الله غني عنه، ولهذا لو جاء ضيف كبير فذبحنا له الغنم إكرامًا وقدمناها ليأكلها فهذا ليس بشرك، أليس كذلك؟

لكن فالصعب بن جثامة ذهب وساق للرسول ﷺ حمارًا وحشيًا وجاء به إليه ليكرمه به ولم يقل الرسول هذا شرك، بل رده؛ لأنه كان محرماً.

أما لو أن هذا الرجل - الضيف الكبير - لما جاء ذبحنا بين يديه الغنم تعظيمًا له وتقربًا إليه صار شركًا. - سبحان الله - العمل واحد لكن اختلف بالنية، فإذا ذبحناها لا على أنه محتاج لها ليأكلها، لكن تعظيمًا له لا يجوز ولهذا قال المؤلف (ذبح ذا القربان) يعني: الذي يقصد به التقرب للمذبح له دون الإكرام، و(ذبح ذا) يعني: هذا القربان لا ذبح صاحب القربان.

وَكَذَا السُّجُودُ وَنَذْرُنَا وَيَمِينُنَا وَكَذَا مَتَابُ الْعَبْدِ مِنْ عِصْيَانِ

قوله: (وكذا السجود) لمن؟ لله، والنذر لله، فلا يجوز للإنسان أن يقول للنبي عليّ نذر أن أصوم أو أن أصلي، أو للولي عليّ نذر أن أذبح له أو ما أشبه ذلك.

قوله: (وكذا متاب العبد من عصيان) إلى من؟ إلى الله، لا إله غيره، فإن قال قائل: ماذا تجيبون عن حديث عائشة حين جاء الرسول - عليه الصلاة والسلام - فوجد في البيت نمرقة فيها صور فوقف وعُرفت الكراهية في وجهه فقيل إن عائشة رضي الله عنها حاشها أن تشرك بالله معه غيره لكنها تقول: أتوب إلى الله عباداً وإلى رسوله اتباعاً؛ لأن الرسول ﷺ هو المُشْرَعُ المبلغ عن الله، فهي تتوب إلى الرسول اتباعاً له لا تقريباً إليه كما تتقرب إلى الله عز وجل، كأنها تقول: أنا لا أقصد أن

أخالف الرسول عليه الصلاة والسلام إنها أقصد شيئاً لا يكرهه الرسول عليه الصلاة والسلام.

وَكَذَا التَّوَكُّلُ وَالْإِنَابَةُ وَالتَّقَى وَكَذَا الرَّجَاءُ وَخَشْيَةُ الرَّحْمَنِ

التوكل على الله - عز وجل - أن تتوكل عليه وحده، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣] وهذا بخلاف الاعتماد على العبد فيما يقدر عليه، كتوكل العبد في بيع أو شراء، فإن الإنسان يعتمد عليه، لكنه ليس كتوكله على الله، فالإنسان يتوكل على وكيله، وهو يرى أنه فوقه، وأن وكيله يأتمر بأمره، لكن يتوكل على الله وهو يعلم أنه حسبه وأنه مفتقر إلى ربه وأن الله تعالى فوقه.

ففرق بين التوكلين، توكل الموكل على وكيله، ليس كتوكل الإنسان على ربه؛ لأن توكله على وكيله توكل استغناء وتوكله على ربه توكل افتقار، يعلم أنه محتاج إليه ومضطر إليه لكن يعتمد عليه عز وجل، ولهذا يعتمد على ربه ويفعل الأسباب التي يتحقق بها مطلوبه.

قوله: (وكذا الإجابة) الإجابة إلى الله، والرجوع إلى الله وحده، لا تنب لغير الله أبداً، فالإجابة إلى الله سبحانه وتعالى.

و(التقى) لله، لكن الله - عز وجل - جازت له التقوى مضافة إليه أحياناً، ومضافة إلى العذاب أحياناً، ومضافة إلى دار العذاب أحياناً، ومضافة إلى زمن العذاب أحياناً.

قال تعالى: ﴿وَأَنْقُتُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٣١] هذا مكان العذاب، ﴿وَأَنْقُتُوا يَوْمًا تَرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٨١] هذا زمن العذاب، ﴿وَأَنْقُتُونَ يَتَأُولَى الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة: ١٩٧] فإذا كانت التقوى، لله فكيف يصح أن تضاف التقوى إلى هذه؟ يقول؛ لأن هذه من فعل الله وخلق الله وهي محل عذابه، أو زمانه فتقاته تُعتبر تقوى لله - عز وجل - .

وكذلك أيضاً يقول:

وَكَذَا التَّوَكُّلُ وَالْإِنَابَةُ وَالتَّقَى وَكَذَا الرَّجَاءُ وَخَشْيَةُ الرَّحْمَنِ

قوله: (وكذا الرجاء وخشية الرحمن) الرجاء أيضاً لله - عز وجل -، والإنسان قد يرجو غير الله؛ لكن رجاءه لغير الله ليس كرجائه لله، لأن رجاءه لله رجاء عبادة وثقة بخلاف رجاءه لغيره، فإنه دون ذلك بكثير - وكذلك أيضاً (الخشية). فقد يخشى الإنسان غير الله؛ لكن خشية العبادة لا تكون إلا لله قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْقُتُوا رَبِّكُمْ وَأَحْشَوْا يَوْمًا﴾ [لقمان: ٣٣]، فليس المعنى أن تخشى اليوم؛ ولكن المعنى أن تخشى الله وقال الله تعالى لنبيه: ﴿وَتَخَشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخَشَهُ﴾ [الأحزاب: ٣٧]، وقال: ﴿إِنَّمَا ذَلِكَ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا اللَّهَ﴾ [آل عمران: ١٧٥]، وقال: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَأَخْشَوْنِي﴾ [البقرة: ١٥٠]، لكن الإنسان يجب أن يفرق فرقا عظيماً بين خشيته لله وخشيته لعباد الله. فخشيته لله خشية إجمال وتعظيم وتقرب، وخشيته لغير الله خشية خوف ورهبة، وإلا ليس قلبه محبة، ولا تعظيم للمخلوق، بل ذعر ورهبة - والله أعلم - .

وَكَذَا الْعِبَادَةُ وَاسْتَعَانَتُنَا بِهِ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ذَانَ تَوْحِيدَانَ

قوله: (وكذا العبادة واستعانتنا به شابه) أي: بالله عز وجل فالعبادة خاصة بالله لا تعبد غيره. والاستعانة بالله لا نستعين غيره، لكن المراد الاستعانة المطلقة المبنية على الاعتماد المطلق هذه لا تكون إلا بالله أما الاستعانة بما يستطيعه المستعان في الدنيا فهذه جائزة فإن النبي ﷺ قال: «تُعِينُ الرَّجُلَ فِي دَابَّتِهِ فَحَمَلُهُ عَلَيْهَا أَوْ تَرْفَعُ مَتَاعَهُ عَلَيْهَا صِدْقَةً وَالنَّاسُ يَسْتَعِينُ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ» قال الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٢] لكن هناك فرق بين الاستعانة بالله التي تكون عبادة واعتماداً كلياً على الله، وبين استعانة المخلوق التي ترى أنه بإعانتته مشاركاً لك كمشارك لك فقط في هذا العمل.

* وقوله: (واستعانتنا به) أضاف إلى استعانتنا (به) أي: بالله وهي استعانة خاصة غير استعانتنا بالمخلوق.

وقوله: (إياك نعبد ذان توحيدان) إياك نعبد وإياك نستعين موجودة في القرآن وهي توحيد الله بالعبادة وتوحده بالاستعانة أما العبادة فمطلقاً، وأما الاستعانة فإننا نستعين بالمخلوق فيما يقدر عليه لكن استعانتنا بالمخلوق ليست كاستعانتنا بالخالق.

وَعَلَيْهِمَا قَامَ الوجودُ بِأَسْرِهِ دُنْيَا وَآخِرَىٰ حَبْذَا الرُّكْنَانِ

قوله: (عليهما) على العبادة والاستعانة، (قام الوجود بأسره)؛ لأن الوجود قام بالحق ولا أحق من عبادتنا لله واستعانتنا به؛ ولهذا قال الله عز وجل: ﴿وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ^٤ بَلْ أَتَيْنَهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ﴾ [المؤمنون: ٧١] قال: فبالحق صلحت السموات والأرض، وبالباطل تفسد السموات والأرض، ولهذا قال: (عليهما قام الوجود بأسره دنيا وأخرى حبذا الركنان).

وَكَذَلِكَ التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ وَالتَّهْلِيلُ حَقٌّ إِلَهِنَا الدِّيَانِ

لا نسبح إلا الله فنقول سبحان الله، فلا نقول سبحان الرسول ونقول الله أكبر، ولا نقول الرسول أكبر، وأيضاً نقول: لا إله إلا الله ولا نقول لا إله إلا رسول الله، هذا حق الديان.

لَكِنَّمَا التَّعْزِيرُ وَالتَّوْقِيرُ حَقٌّ قُلِّ لِلرُّسُولِ بِمَقْتَضَى الْقُرْآنِ

قال الله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً﴾ (أ) لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾ [الفتح: ٨: ٩] لتؤمنوا بالله ورسوله، لتعزروه اهلاء تعود على الرسول، وتوقروه على الرسول، وتسبحوه على الله عز وجل؛ لأن الحقين الأولين من حقوق الرسول، والثالث من حق الله عز وجل، قال: لكنهما التعزير والتوقير حق للرسول بمقتضى القرآن.

وَالْحَبُّ وَالْإِيمَانُ وَالتَّصَدِيقُ لَا يَخْتَصُّ بَلْ حَقَّانِ مُشْتَرِكَانِ

الحب والإيمان والتصديق لله والرسول لكل منهما فرض علينا ولكن محبتنا للرسول ﷺ فرع عن محبتنا لله ولولا أنه رسول الله لم يجب علينا محبته ولا الإيمان به ولا التصديق فمحبتنا له وإيماننا به وتصديقنا إياه فرع عن محبة الله خلافاً للغلاة بالرسول الذين يرون أن محبة الله والإيمان به والتصديق كذلك فرع عن محبة الرسول حتى إننا سمعنا من بعضهم أن زيارة المدينة أفضل من حج مكة؛ لأنهم يرون أن الرسول أعظم حقاً من الله - والعياذ بالله - .

هَذِي تَفَاصِيلُ الْحُقُوقِ ثَلَاثَةٌ لَا تَجْهَلُوهَا يَا أَوْلِيَا الْعُدْوَانِ

فالحقوق إذن ثلاثة: خاص بالله، خاص بالرسول، ومشترك.



* قوله رَحِمَهُ اللهُ:

٣٩٩٢- حَقُّ الْإِلَهِ عِبَادَةٌ بِالْأَمْرِ لَا

بِهَوَى النَّفْسِ فَذَاكَ لِلشَّيْطَانِ

٣٩٩٣- مِنْ غَيْرِ إِشْرَاكِ بِهِ شَيْئًا هُمَا

سَبَبَا النَّجَاةِ فَحَبَّبَ ذَا السَّبَبَانِ

٣٩٩٤- وَرَسُولُهُ فَهُوَ الْمُطَاعُ وَقَوْلُهُ أَلِ

مَقْبُولُ إِذْ هُوَ صَاحِبُ الْبُرْهَانِ

٣٩٩٥- وَالْأَمْرُ مِنْهُ الْحَثْمُ لَا تَخْيِيرَ فِيهِ

هُ عِنْدَ ذِي عَقْلِ وَذِي إِيْمَانِ

٣٩٩٦- مَنْ قَالَ قَوْلًا غَيْرَهُ قُتِمْنَا عَلَى

أَقْوَالِهِ بِالسُّبْرِ وَالْمِيْزَانِ

٣٩٩٧- إِنْ وَافَقَتْ قَوْلَ الرَّسُولِ وَحُكْمَهُ

فَعَلَى الرَّءُوسِ تُشَالُ كَالْتِيْجَانِ

٣٩٩٨- أَوْ خَالَفَتْ هَذَا رَدَدْنَاهَا عَلَى

مَنْ قَالَهَا مَنْ كَانَ مِنْ إِنْسَانِ

٣٩٩٩- أَوْ أَشْكَتْ عَنَّا تَوَقَّفْنَا وَلَمْ

نَجْزِمَ بِإِلَّا عِلْمٍ وَلَا بُزْهَانَ

٤٠٠٠- هَذَا الَّذِي أَدَّى إِلَيْهِ عِلْمُنَا

وَبِهِ نَدِينُ اللَّهَ كُلُّ أَوَانَ

الشَّحْ

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

حَقُّ الْإِلَهِ عِبَادَةٌ بِالْأَمْرِ لَا بِهَوَى الثُّمُوسِ فَذَلِكَ لِلشَّيْطَانِ

لأننا نعبد الله، والعبادة حق لكن نعبده بأمره لا بهوانا. ولو كانت العبادة بالهوى لأصبح الناس في فوضى؛ لأن كل واحد يهوى عبادة دون الآخر، والآن عبادة الله تعالى يختلف الناس فيها فتجد الإمام يصلي بالجماعة، فواحد يقول طَوَّلْتُ، والثاني يقول: خففت والثالث يقول: تقدمت في الإقامة والرابع يقول: تأخرت، والخامس يقول: تعجلت في الركوع والسجود، والسادس يقول: أبطأت، وهي عبادة محددة من قِبَلِ الشَّرْعِ. فكيف لو كانت العبادات متروكة إلى أهواء الناس؟ لا يمكن أن يتبع الناس؛ إذن نعبد الله بأمر الله، قال الرسول ﷺ «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»، ولهذا قال:

حَقُّ الْإِلَهِ عِبَادَةٌ بِالْأَمْرِ لَا بِهَوَى الثُّمُوسِ فَذَلِكَ لِلشَّيْطَانِ

مِنْ غَيْرِ إِشْرَاكِ بِهِ شَيْئًا هُمَا سَبَبَا النَّجَاةِ فَحَبَّبْنَا السَّبَبَانَ

لأننا نعبده إخلاصاً له وامتثالاً لأمره دون إشراك ولا بدعة هذان هما السببان المنجيان.

وَرَسُولُهُ فَهُوَ الْمُطَاعُ وَقَوْلُهُ أَلْ مَقْبُولُ إِذْ هُوَ صَاحِبُ الْبُزْهَانِ

قوله: (وقوله المقبول إذا هو صاحب البرهان) أي: صاحب الدليل، لأن فقول الرسول ﷺ مُطَاعٌ وأمره مُطَاعٌ.

وَالْأَمْرُ مِنْهُ الْحَثْمُ لَا تَخْيِيرَ فِيهِ هِ عِنْدَ ذِي عَقْلِ وَذِي إِيْمَانِ

يعني أن الأمر من الرسول حتم يلزمنا قبوله، أي يلزمنا العمل به إن كان واجباً أو مُسْتَحَبّاً وإن كان العمل به تطوعاً، لكن قبوله واجب.

وقوله رَحِمَهُ اللهُ (لا تخيير فيه) لقول الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦] أي: لا خيار للمؤمن ولا للمؤمنة في أمر الله ورسوله.

مَنْ قَالَ قَوْلًا غَيْرَهُ قُتْنَا عَلَى أَقْوَالِهِ بِالسَّبْرِ وَالْمِيزَانِ

يعني أن: من قال قولاً غير قول الرسول فإننا نقوم على أقواله بالسبر والميزان
 إِنَّ وَافَقْتُ قَوْلَ الرَّسُولِ وَحُكْمَهُ فَعَلَى الرَّءُوسِ تُشَالُ كَالْتِيْجَانِ
 أَوْ خَالَفْتُ هَذَا رَدَدْنَاهَا عَلَى مَنْ قَالَهَا مَنْ كَانَ مِنْ إِنْسَانٍ

يعني إن وافقت: أقوال غير الرسول أقوال الرسول وحكم الرسول (فعلى الرؤوس تُشال يعني تحمل وترفع كالتيجان).

إذن رفعنا قول هذا العالم، لأنه وافق قول الرسول ولذلك وضعناه على رؤوسنا كالتيجان. لكن إن خالفت هذا - أي قول الرسول وحكمه - رددناها على من قالها أيًا كان من إنسان حتى لو كان أبا بكر أو عمر فكيف بمن دونها.

أَوْ أَشْكَلَتْ عَنَّا تَوَقَّفْنَا وَلَمْ نَجْزِمْ بِبَلَا عِلْمٍ وَلَا بُرْهَانٍ

يعني ما علينا إلا أن نعرض أقوال الرسول على أقوال غير الرسول فسوف نجدها لا تخرج عن ثلاث حالات: إما أن توافق قول الرسول فنحملها على الرؤوس وإما إن خالفت فعلينا ردها على قائلها وإما أن تشكل علينا فحينئذ نتوقف ولم نجزم بلا علم ولا برهان.

قوله: (تشال كالتيجان) التيجان هو ما يضعه الملوك على رؤوسهم ويسمى تاج الملك.

هَذَا الَّذِي أَدَّى إِلَيْهِ عِلْمُنَا وَبِهِ نَدِينُ اللَّهَ كُلَّ أَوَانٍ

نعنى ما سلك رَحْمَتُهُ وهذا هو العدل والإنصاف. يعني: لو أن قول إمامنا الذي ننتمي إليه خالف قول الرسول، وقول غير الإمام الذي ننتمي إليه وافق الرسول ماذا نفعل؟ نأخذ بالثاني.



* قوله رَحْمَتُهُ:

٤٠٠١ - فَهُوَ الْمُطَاعُ وَأَمْرُهُ الْعَالِي عَلَى

أَمْرِ الْوَرَى وَأَوَامِرِ السُّلْطَانِ

٤٠٠٢ - وَهُوَ الْمُقَدَّمُ فِي مَحَبَّتِنَا عَلَى أَلِ

أَهْلِ السُّلْطَانِ وَالْأَزْوَاجِ وَالْوَالِدَانِ

٤٠٠٣ - وَعَلَى الْعِبَادِ جَمِيعِهِمْ حَتَّى عَلَى الذِّ

نَفْسِ النَّبِيِّ قَدْ ضَمَّهَا الْجَنَّبَانِ

٤٠٠٤- وَنَظِيرُ هَذَا قَوْلُ أَغْدَاءِ الْمَسِيءِ

سِحِّ مِنَ النَّصَارَى عَابِدِي الضُّلْبَانِ

٤٠٠٥- إِنَّا تَنَقَّضْنَا الْمَسِيحَ بِقَوْلِنَا

عَبْدٌ وَذَلِكَ غَايَةُ التَّقْضَانِ

٤٠٠٦- لَوْ قُلْتُمْ وَلَدٌ إِلَهٌ خَالِقٌ

وَفَيْتُهُمْ حَقُّهُ بِوِزَانِ

٤٠٠٧- وَكَذَلِكَ أَشْبَاهُ النَّصَارَى مُذْغَلُوا

فِي دِينِهِمْ بِالْجَهْلِ وَالطَّغْيَانِ

٤٠٠٨- صَارُوا مُعَادِينَ الرَّسُولِ وَدِينِهِ

فِي صُورَةِ الْأَخْبَابِ وَالْإِخْوَانِ

٤٠٠٩- فَانظُرْ إِلَى تَبْدِيلِهِمْ تَوْجِيدهُ

بِالشِّرْكِ وَالْإِيمَانِ بِالْكَفْرَانِ

٤٠١٠- وَانظُرْ إِلَى تَجْرِيدِهِ التَّوْحِيدَ مِنْ

أَسْبَابِ كُلِّ الشِّرْكِ بِالرَّحْمَنِ

٤٠١١- وَاجْمَعْ مَقَالَتَهُمْ وَمَا قَدْ قَالَهُ

وَاسْتَدْعِ بِالتَّقْضَادِ وَالْوِزَانِ

٤٠١٢- عَقْلٍ وَفِطْرَتِكَ السَّلِيمَةِ ثُمَّ زِنْ

هَذَا وَذَا لَا تَطَّعَ فِي الْمِيزَانِ

٤٠١٣- فَهَنَّاكَ تَعْلَمُ أَيُّ حَزِينِنَا هُوَ الْ

مُتَنَقِّضِ الْمَنْقُوصِ ذُو الْعُدْوَانِ

٤٠١٤- رَامِي الْبَرِيءِ بِدَائِهِ وَمُضَابِهِ

فِعْلِ الْمُبَاهِتِ أَوْقَحِ الْحَيَوَانَ

٤٠١٥- كَمُعْتَبِرٍ لِلنَّاسِ بِالزُّعْلِ الَّذِي

هُوَ ضَرْبُهُ فَأَعْجَبَ لِيَذَا الْبُهْتَانِ

٤٠١٦- يَا فِرْقَةَ التَّنْقِيسِ بَلْ يَا أُمَّةَ الذِّ

دَعْوَى بِلَا عِلْمٍ وَلَا عِرْفَانِ

٤٠١٧- وَاللَّهِ مَا قَدَّمْتُمْ يَوْمَ مَا

لَتَهُ عَلَى التَّقْلِيدِ لِلإِنْسَانِ

٤٠١٨- وَاللَّهِ مَا قَالَ الشُّيُوخُ وَقَالَ إِ

لَا كُنْتُمْ مَعَهُمْ بِلَا كِتْمَانِ

٤٠١٩- وَاللَّهِ أَغْلَاطُ الشُّيُوخِ لَدَيْكُمْ

أَوْلَى مِنَ الْمَعْضُومِ بِالْبُزْهَانِ

الشَّرْحُ

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

فَهُوَ الْمُطَاعُ وَأَمْرُهُ الْعَالِي عَلَى أَمْرِ الْوَرَى وَأَوَامِرِ السُّلْطَانِ

قوله: (فهو المطاع) يعني: النبي ﷺ وأمره العالي على أمر الوري، (وأوامر السلطان) يعني: أن من الواجب علينا أن نجعل أمره عاليًا على أمر كل الوري بل، وعلى أوامر السلطان التي أوامره مطاعة بنص القرآن كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: ٥٩]، لكن أمر النبي ﷺ مقدم على أمر السلطان فإذا تعارض أمر الرسول ﷺ على أوامر السلطان قدم أمر الرسول.

وَهُوَ الْمُقَدَّمُ فِي مَحَبَّتِنَا عَلَى الْاَهْلِيْنَ وَالْاَزْوَاجِ وَالْوَالِدَانِ

يعني: يجب أن نقدم محبة الرسول ﷺ على محبة أهلينا وأزواجنا وأولادنا.

وَعَلَى الْعِبَادِ جَمِيعِهِمْ حَتَّى عَلَى النَّفْسِ الَّتِي قَدْ ضَمَّهَا الْجَبْنَانِ

أي علينا أن نقدم محبته على أنفسنا، وعلامة ذلك أنه لو تعارض قوله ﷺ مع قول زوجتك تقدم قوله، وبالمثل لو تعارض مع قول أبيك تقدم قول الرسول ﷺ؛ إذن تقديم قوله ﷺ من علامة محبته.

وَنظِيرُ هَذَا قَوْلُ أَعْدَاءِ الْمَسِيحِ ح مِنَ النَّصَارَى عَابِدِي الصُّلْبَانِ

قوله: (ونظير هذا) يعني: نظير قول أهل التعطيل بأنهم متنقصون لله نظير قول أعداء المسيح. قوله: (قول أعداء المسيح من النصارى عابدي الصلبان)، كيف يقول المؤلف رَحِمَهُ اللهُ (أعداء المسيح) وهم يقدسونه ويقولون: إنه الإله وآخرون قالوا: إنه ابن الله و من هم أولياء المسيح؟ أولياؤه المسلمون الذين أنزلوه منزلته التي يرضاها فهو عبد الله ورسوله عليه الصلاة والسلام. أما النصارى فهم أعداء المسيح عليه السلام ولذلك عندما ينزل في آخر الزمان ماذا يفعل؟ يكسر الصليب ويقتل الخنزير ولا يقبل إلا الإسلام.

إِنَّا تَقَفُّصْنَا الْمَسِيحَ بِقَوْلِنَا عَبْدٌ وَذَلِكَ غَايَةُ التَّقْصَانِ

يعني: أن النصارى يقولون: المسلمون تنقصوا من المسيح بقولهم إنه عبد ورسول؛ لأنه في الحقيقة إله ورب وبذلك أنتم تنقصتموه.

وقوله: (وذلك غاية التقصان) إظهار أنه من تمة كلام النصارى - يعني: لقولنا أنه عبد الله ورسوله.

لَوْ قُلْتُمْ وَلَدَ إِلَهٍ خَالِقٍ وَفَيْتُمْوَهُ حَقَّهُ بِوِزَانٍ

كذبوا والله ما صدقوا فلو قلنا: إنه عبد ورسول حيث ذُكره، أما لو قلنا إله وولد وخالق فإننا لم نوفه الحق بل أعطيناه ما لا يستحق.

وَكَذَلِكَ أَشْبَاهُ النَّصَارَى مُذْغَلُوا فِي دِينِهِمْ بِالْجَهْلِ وَالطَّغْيَانِ

صَارُوا مُعَادِينَ الرَّسُولِ وَدِينِهِ فِي صُورَةِ الْأَحْبَابِ وَالْإِخْوَانِ

فهم يُعادون الرسول على أنهم أحبابه وإخوانه مثل الذين غلوا بالرسول عليه الصلاة والسلام وقالوا: إنه يعلم الغيب ويوجب الدعوة وما أشبه ذلك مما قالوه في الرسول ومع ذلك تجدهم يعرضون أنفسهم معرض الأحباب ويقولون: نحن الذين نحب الرسول أنتم لا تحبونه لأنكم لا تقولون فيه ما نقول.

فَانظُرْ إِلَى تَبْدِيلِهِمْ تَوْحِيدَهُ بِالشِّرْكِ وَالْإِيمَانِ بِالْكَفْرَانِ

يعني: انظر أيها العاقل تبديلهم أي: هؤلاء المشبهين للنصارى توحيد الله بالشرك وتبديلهم الإيمان بالكفران.

وَانظُرْ إِلَى تَجْرِيدِهِ التَّوْحِيدَ مِنْ أَسْبَابِ كُلِّ الشِّرْكِ بِالرَّحْمَنِ

قوله: (وانظر إلى تجريده التوحيد) أي: تجريد الرسول التوحيد حتى إن رجلاً قال له ما شاء الله وشئت، فقال رَحِمَهُ اللهُ: «أَجَعَلْتَنِي اللهُ نِدَاً». ويروى أن رجلاً جاء وقال يا رسول الله إننا نستشفع بالله

عليك وبك على الله فقال النبي ﷺ: «سُبْحَانَ اللَّهِ. سُبْحَانَ اللَّهِ. سُبْحَانَ اللَّهِ». وجعل يُسبح حتى عرف ذلك في وجوه أصحابه؛ لأنه قال: نستشفع بالله عليك وبك على الله فجعل الله شفيعاً إلى رسول الله ﷺ وشأن الله أعظم من ذلك فلا يستشفع بالله على أحد من خلقه أبداً لكنه يستشفع بالخلق على الله في يوم القيامة فقط.

وَاجْمَعْ مَقَالَتَهُمْ وَمَا قَدْ قَالَهُ وَاسْتَدْعِ بِالنَّقَادِ وَالْوَزَانِ

قوله: (واجمع مقالاتهم وما قد قاله) يعني: ما قاله أشباه النصارى وما قد قاله الرسول. وقوله: (واستدع بالنقاد والوزان) جمع ناقد ووازن وهما صيغة مبالغة للمفرد الواحد.

عَقْلٍ وَفِطْرَتِكَ السَّلِيمَةِ ثُمَّ زَنْ هَذَا وَذَا لَا تَطْعُ فِي الْمِيزَانِ

قوله: (عقل وفطرتك السليمة) يعني: أعرض قول هؤلاء وقول الرسول على العقل والفترة السليمة. وانظر ماذا يحكم به العقل والفترة (ثم زن هذا وذا لا تطع في الميزان) يعني: زن زنة عدل.

فَهَذَاكَ تَعْلَمُ أَيُّ حِزْبَيْنَا هُوَ الْ مُتَنَقِّصِ الْمُنْقُوصِ ذُو الْعُدُونِ

يعني: أنهم هم أصحاب التنقص وهم المنقوصون، أما نحن الذين عرفنا ربنا حقاً ونبينا حقاً فنحن الذين أعطيناه ما يستحق وأعطينا الرب عز وجل ما يستحق سبحانه وتعالى. ولسنا بنعمة الله منقوصين بل نحن على أكمل الطرق.

رَامِي الْبُرِيِّ بِدَائِهِ وَمُضَابِهِ فِعْلَ الْمُبَاهِتِ أَوْقَحِ الْحَيَوَانَ

يعني أن: هؤلاء رموا البراء في دَائِهِم ومصابهم، فرمونا بأننا نتنقص الرسول عليه الصلاة والسلام و نتنقص الله والحقيقة أنهم هم الذين سلفوا هذه المسألة. فرمونا بالداء والمصاب على حد قول الشاعر: «رمتني بدائها ونسلته».

كَمُعِيرٍ لِلنَّاسِ بِالزَّغْلِ الَّذِي هُوَ ضَرْبُهُ فَأَعْجَبَ لِيَذَا الْبُهْتَانِ

قوله: (يعير الناس بالزغل): الزغل الغش في الذهب أو الفضة فهو يعير الناس بالفعل ما يخاف الله والذي يتعامل بالزغل هو إلى غار السكة أي: يضرب السك ويجعل فيها الغش ثم يعيب الذين يتعاملون به كمعير للناس بالزغل الذي هو ضربه وقوله: (فأعجب لذي البهتان). يعني: أن هذا من أعجب ما يكون.

يَا فِرْقَةَ التَّنْقِيسِ بَلْ يَا أُمَّةَ الدُّ دَعَاؤِي بِلَا عِلْمٍ وَلَا عِرْفَانِ

يعني: الذين رموا أهل الحق بالتنقص والتنقيص. قوله: (يا أمة التنقيص) هذا حسب مسلكتهم ومنهجهم فهم ينادون أمة الدعوة ويرمونها بأنهم

متنقصون لله ولرسوله.

وَاللَّهِ مَا قَدَّمْتُمْ يَوْمًا مَقَا لَتَهُ عَلَى التَّقْلِيدِ لِلْإِنْسَانِ

وَاللَّهِ مَا قَالَ الشُّيُوخُ وَقَالَ إِلْ لَا كُنْتُمْ مَعَهُمْ بِلَا كِتْمَانِ

قوله: (مقالته) أي: ما قاله الله ورسوله، والمعنى: أنه إذا قال الشيوخ قولاً، وقال الرسول قولاً قدموا قول الشيوخ.

وقوله: (إلا كنتم معهم بلا كتمان) مع الشيوخ فيقدمون قولهم على قول الرسول ﷺ.

وَاللَّهُ أَغْلَاطُ الشُّيُوخِ لَدَيْكُمْ أَوْلَى مِنَ الْمَعْصُومِ بِالْبُرْهَانِ

يعني: أن أغلاط الشيوخ عندهم وإن كانت فرطاً أولى من قول المعصوم بالبرهان فتقدموها وتجعلوها ولو كانت غلطاً أولى من قول المعصوم بالبرهان، وتقولون: إن أغلاط الشيوخ ليست أغلاط بل هي عين الصواب ومقتضى البرهان أي: مقتضى الدليل، فصار أشدهما أن يجعلوا أغلاط الشيوخ أولى من قول المعصوم.



* قوله رَحِمَهُ اللهُ:

٤٠٢٠ - وَلِذَا قَضَيْتُمْ بِالَّذِي حَكَمَتْ بِهِ

جَهْلًا عَلَى الْأَخْبَارِ وَالْقُرْآنِ

٤٠٢١ - وَاللَّهِ إِنَّهُمْ لَدَيْكُمْ مِثْلُ مَعْدِ

صُومٍ وَهَذَا غَايَةُ الطُّغْيَانِ

٤٠٢٢ - تَبَا لَكُمْ مَاذَا التَّنَقُّصُ بَعْدَ ذَا

لَوْ تَعْرِفُونَ الْعَدْلَ مِنْ نَقْصَانِ

٤٠٢٣ - وَاللَّهِ مَا يُرْضِيهِ جَعَلَكُمْ لَهُ

تَرْسًا لِيَشْرِكْكُمْ وَلِلْعُدْوَانِ

٤٠٢٤ - وَكَذَلِكَ جَعَلَكُمْ الْمَشَايخَ جُنَّةً

بِخِلَافِهِ وَالْقَضْدُ ذُو تَبْيَانِ

٤٠٢٥ - وَاللَّهُ يَشْهَدُ ذَا بِجْدِرٍ قُلُوبِكُمْ

وَكَذَلِكَ يَشْهَدُهُ أَوْلُو الْإِيمَانِ

٤٠٢٦ - وَاللَّهُ مَا عَظَّمْتُمُوهُ طَاعَةً

وَمَحَبَّةً يَا أُمَّةَ الْعِضْيَانِ

٤٠٢٧ - أَنَّى وَجَهَلَكُمُ بِهِ وَبِدِينِهِ

وَخِلَافِكُمْ لِلْوَحْيِ مَعْلُومَانِ

٤٠٢٨ - أَوْصَاكُمُ أَشْيَاخُكُمْ بِخِلَافِهِمْ

لِوَفَاقِهِ فِي سَالِفِ الْأَزْمَانِ

٤٠٢٩ - خَالَفْتُمْ قَوْلَ الشُّيُوخِ وَقَوْلَهُ

فَعَدَا لَكُمْ خُلْفَانِ مُتَّفَعَانِ

٤٠٣٠ - وَاللَّهُ أَمْرُكُمْ عَجِيبٌ مُعْجِبٌ

ضِدَّانِ فِيكُمْ لَيْسَ يَتَّفَعَانِ

٤٠٣١ - تَقْدِيمِ آرَاءِ الرِّجَالِ عَلَيْهِ مَع

هَذَا الْعُلُوفِ فَكَيْفَ يَجْتَمِعَانِ

٤٠٣٢ - كَفَرْتُمْ مَنْ جَرَّدَ التَّوْحِيدَ جَهْ

لَا مِنْكُمْ بِحَقَائِقِ الْإِيمَانِ

الشَّرح

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

وَكَذَا قَضَيْتُمْ بِالَّذِي حَكَمْتُمْ بِهِ جَهْلًا عَلَى الْأَخْبَارِ وَالْقُرْآنِ

قوله: «قضيتم بالذي حكمت به». أي: قضيتم بالذي حكمت به الأشياخ على الأخبار والقرآن فما حكمت به الأشياخ على الأخبار والقرآن قضيتم به.

قوله: «جهلاً على الأخبار والقرآن» يعني: أن كل إنسان يحكم على القرآن بما يخالف القرآن فهو جاهل.

وَاللَّهُ إِنَّهُمْ لَدَيْكُمْ مِثْلُ مَعْدٍ ضُومٍ وَهَذَا غَايَةُ الطَّغْيَانِ

يعني: أنكم ترون أن أغلاط الشيوخ صواباً، وهذا في الحقيقة من عمى البصيرة - والعياذ بالله - فالذي يظن الغلط صواباً كما قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: ١٠٣، ١٠٤] وهذا والعياذ بالله من تلبيس الحق. وكل إنسان لا يريد الحق فالغالب أن يُعمى عنه وأن لا يُوفَّق له. لقول الله تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف: ٥] فعليك يا عبد الله بقصد الحق حتى تُوفَّق له ولا يكون همك أن تنصر ما قلت، بل اجعل همك أن تنصر الحق فإن كنت قلته وظننت أنه الحق وتبين لك أنه غير الحق فارجع إلي الحق عنه وإن كنت قلته تظن أنه الحق وما زال عندك أنه الحق بالأدلة فاستمسك به فلا تخالفه لقول أحد، واعلم أنك إذا أصبت الحق فقد هُديت لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ [القمر: ١٧].

قوله: (والله إنهم لديكم) الضمير يعود على الأشياخ، قوله «مثل معصوم» أي: الرسول عليه الصلاة والسلام بل هم على اعتقادهم أعلى من المعصوم ويقدمون أقوالهم على قوله.

تَبَا لَكُمْ مَاذَا التَّنْقِصُ بَعْدَ ذَا لَوْ تَعْرِفُونَ الْعَدْلَ مِنْ نَقْصَانِ

قوله: (تبا لكم ماذا التنقص بعد ذا) أي: خساراً لكم، فماذا التنقص بعد هذا يعني: هل يمكن بأن تقدموا أشياخكم على أقوال الرسول؟ لا؛ لأن هذا غاية التنقيص بالرسول ﷺ.

وَاللَّهِ مَا يَرْضِيهِ جَعَلَكُمْ لَهُ تَرَسًا لِشِرْكِكُمْ وَلِلْعُدْوَانِ

قوله (ما يرضيه جعلكم له ترساً) أي: لا يرضي الرسول أن تجعله ترساً لكم، فتقولون: نحن أحبابه وهو حبيينا وهو قدوتنا وهو إمامنا وأنتم تشركون به بالعلو ودعائه والاستغاثة به، لأنكم جمعتم بين شرك الرسول، وبين تنقص أقواله.

وَكَذَلِكَ جَعَلَكُمْ الْمَشَايخَ جُنَّةً بِخِلَافِهِ وَالْقَصْدُ ذُو تَبْيَانِ

قوله (وكذلك جعلكم المشايخ جنةً بخلاف) أي: هم يجعلون المشايخ وقاية أمام الناس، فإذا قيل لهم: القرآن والسنة، يقولون: قال الشيخ الفلاني، فيجعلونه جنة بخلاف مخالفة الرسول.

قوله: (والقصد ذو تبيان) والقصد تقديم آراء الشيوخ على قول الرسول.

وَاللَّهُ يَشْهَدُ ذَا بِحَدْرٍ قُلُوبِكُمْ وَكَذَلِكَ يَشْهَدُهُ أَوْلُو الْإِيمَانِ

يعني: أن الله يشهد بقصدكم وعلمه يشهد ما في قلوبكم وما في أصلها، (والجذر) بمعنى الأصل.

وَاللَّهُ مَا عَظَّمْتُمُوهُ طَاعَةً وَمَحَبَّةً يَا فِرْقَةَ الْعِضْيَانِ

يعني: إننا عظمتموه مُدَاهِمَةً وتترساً أمام العامة، فهم يعظمونه من وجهه؛ لكنه تعظيماً لا يرضاه لأنه بالعلو، والتنقص؛ لأنهم يقدمون كلام الشيوخ على كلامه.

أَنْى وَجْهَلُكُمْ بِهِ وَبِدِينِهِ وَخِلَافُكُمْ لِلْوَحْيِ مَعْلُومَانِ

يعني: كيف تكونون معظمين له وجهلكم به وبدينه معلوم وخلافكم بوحيه معلوم.

أَوْصَاكُمْ أَشْيَاخَكُمْ بِخِلَافِهِمْ لِيُوفَاqِهِ فِي سَالِفِ الْأَزْمَانِ

المراد بأشياخهم هنا: الأئمة حيث أوصوهم (بخلافهم لوفاقهم) يعني إذا خالفوا الرسول لقول شيوخكم ولا يقتدوا بمن يوافق الرسول، وهو يعني: بذلك أئمة الهدى.

فالشافعي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: إِذَا رَأَيْتُمْ قَوْلًا يَخَالِفُ قَوْلَ الرَّسُولِ فَخُذْ بِقَوْلِ الرَّسُولِ، وَاضْرِبُوا بِقَوْلِهِ عُرْضَ الْحَائِطِ.

ومالك يقول: كل يؤخذ من قوله ويترك إلا صاحب هذا القبر يعني الرسول ﷺ.

والإمام أحمد له في هذا كلام كثير حتى إنه ينحدر عن تقليد الرجال. وأبو حنيفة كذلك.

قوله «أوصاكم أشياخكم بخلافهم» أي: بمخالفتهم «لوفاقه» أي: وفاق الرسول ﷺ في

سالف الأزمان.

خَالَفْتُمْ قَوْلَ الشُّيُوخِ وَقَوْلَهُ فَعَدَا لَكُمْ خُلَفَاءَ مُتَّفِقِينَ

قوله «خالفتم قول الشيوخ وقوله» أي: لم تأخذوا بقوله فقدمتم قول الشيوخ على قوله وخالفتم قوله (فعدا لكم خلفان متفقان) أي: مخالفة الأشياخ الذين عصوا اتباع الرسول وطرحوا أقوالهم، ومخالفة الرسول حيث خالفوا قوله بقول أشياخهم.

وَاللَّهُ أَمْرُكُمْ عَجِيبٌ مُعْجَبٌ ضِدَانٍ فِيكُمْ لَيْسَ يَتَّفِقَانِ

قوله «أمركم عجيب» لأنهم يقدمون قول الشيوخ وهم ينهون عن تقديم قوله هذا «عجيب معجب» يعني: أنه يُعجب الإنسان فهو بنفسه عجيب، وهو أيضًا معجب فكل من علم به يتعجب منه.

تَقْدِيمُ آرَاءِ الرِّجَالِ عَلَيْهِ مَعْدٌ هَذَا الْغُلُوفُ فَكَيْفَ يَجْتَمِعَانِ

كَفَرْتُمْ مَنْ جَرَّدَ التَّوْحِيدَ جَهْلاً لَأَنَّكُمْ بِحَقَائِقِ الْإِيمَانِ

يعني: أنهم يقدمون آراء الرجال على قوله ﷺ ويغلون فيه غلواً خارجاً عن العدل «فكيف يجتمعان» أي: كيف تجعلونه إلهًا تعبدونه ورباً تدعون، وتقدسون قول غيره على قول رسوله ﷺ هذا عجيب العجاب؛ لأنه لو كانت محبتهم صادقة، وغلوهم صحيحاً لم يقدموا على قوله قول أحد من الناس. قوله: (كفرتم من جرد التوحيد جهلاً) يعني: أنهم كفروا من جرد التوحيد لله وقالوا: إن لم تفعلوا مثل فعلنا في الرسول. فأنتم كفار تبغضون الرسول ﷺ.



* قوله رَحِمَهُ اللهُ:

- ٤٠٣٣ - لَكِنْ تَجَرَّدْتُمْ لِنُضْرِ الشِّرْكِ وَالْ
بِدْعِ الْمُضِلَّةِ فِي رِضَا الشَّيْطَانِ
- ٤٠٣٤ - وَاللهِ لَمْ نَقْصِدْ سِوَى التَّجْرِيدِ لِلشِّ
تَوْجِيهِ ذَاكَ وَصِيَّةِ الرَّحْمَنِ
- ٤٠٣٥ - وَرِضَا رَسُولِ اللهِ مِنَّا لَا غُلُو
وَ الشِّرْكِ أَضْلُ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ
- ٤٠٣٦ - وَاللهِ لَوْ يَرْضَى الرَّسُولُ دُعَاءَنَا
إِيَّاهُ بَادَرْنَا إِلَى الْإِذْعَانِ
- ٤٠٣٧ - وَاللهِ لَوْ يَرْضَى الرَّسُولُ سُجُودَنَا
كُنَّا نَخِرُّ لَهُ عَلَى الْأَذْقَانِ
- ٤٠٣٨ - وَاللهِ مَا يَرْضِيهِ مِنَّا غَيْرَ إِخْ
سَلَاخٍ وَتَخَكِيمٍ لِدَا الْقُرْآنِ
- ٤٠٣٩ - وَلَقَدْ نَهَى ذَا الْخَلْقِ عَنِ إِطْرَائِهِ
فِعْلَ النَّصَارَى عَابِدِي الصُّلْبَانِ
- ٤٠٤٠ - وَلَقَدْ نَهَانَا أَنْ نُضَيِّرَ قَبْرَهُ
عِيدًا حَذَارِ الشِّرْكِ بِالرَّحْمَنِ
- ٤٠٤١ - وَدَعَا بِأَلَّا يَجْعَلَ الْقَبْرُ الَّذِي
قَدْ ضَمَّهُ وَثْنَا مِنَ الْأَوْثَانِ
- ٤٠٤٢ - فَأَجَابَ رَبُّ الْعَالَمِينَ دُعَاءَهُ
وَأَحَاطَهُ بِثَلَاثَةِ الْجُذْرَانِ

٤٠٤٣- حَتَّى اعْتَدَتْ أَرْجَاؤُهُ بِدُعَائِهِ

فِي عِزَّةٍ وَحِمَايَةٍ وَصِيَانِ

٤٠٤٤- وَلَقَدْ عَدَا عِنْدَ الْوَفَاةِ مُضْرِحًا

بِاللَّغَنِ يَضْرُخُ فِيهِمْ بِأَذَانِ

٤٠٤٥- وَعَنَى الْأَلَى جَعَلُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدًا

وَهُمُ الْيَهُودُ وَعَابَدُوا الصُّلْبَانَ

٤٠٤٦- وَاللَّهِ لَوْلَا ذَاكَ أُبْرِزَ قَبْرُهُ

لَكِنَّهُمْ حَجَبُوهُ بِالْحِطَّانِ

٤٠٤٧- قَصَدُوا إِلَى تَسْنِيمِ حُجْرَتِهِ لِيَمَّ

سَبَّحَ الشُّجُودُ لَهُ عَلَى الْأَذْقَانِ

٤٠٤٨- قَصَدُوا مُوَافَقَةَ الرَّسُولِ وَقَصَدَهُ الثَّ

تَجْرِيدَ لِلتَّوْحِيدِ لِلرَّحْمَنِ

٤٠٤٩- يَا فِرْقَةَ جَهَلْتِ نُضُوصِ نَبِيِّهِمْ

وَقُضُودَهُ وَحَقِيقَةَ الْإِيمَانِ

٤٠٥٠- فَسَطُونَا عَلَى أَتْبَاعِهِ وَجُنُودِهِ

بِالْبَغْيِ وَالْبُهْتَانِ وَالْعُدْوَانِ

٤٠٥١- لَا تَعْجَلُوا وَتَبَيَّنُوا وَتَتَّبِعُوا

فَمُضَابِكُمْ مَا فِيهِ مِنْ جُبْرَانِ

الشَّرْحُ

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

يقول المؤلف رَحِمَهُ اللهُ في هؤلاء الرجال الذين قدموا آرائهم على آراء الرسول ﷺ.

لَكِنْ تَجَرَّدْتُمْ لِنَصْرِ الشِّرْكِ وَالْـ بَدَعَ الْمُضِلَّةَ فِي رِضَا الشَّيْطَانِ

يعني: أنهم كفروا من جرد التوحيد وتجردوا لنصر الشرك وصاروا دُعاة له يدعون العامة إلى

دعاء الرسول عليه الصلاة والسلام والاستغاثه به والبدع المضلة زعم أن كل بدعة ضلالة في رضا الشيطان.

وَاللَّهُ لَمْ نَقْصِدْ سِوَى التَّجْرِيدِ لِلذِّكْرِ تَوْجِيْدَ ذَاكَ وَصِيَّةَ الرَّحْمَنِ

قوله «وصية الرحمن» كما قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣] فإن معنى قضي وصى كما قال به كثير من المفسرين.

وَرِضًا رَسُولِ اللَّهِ مِنْ أَلَّا يَغْلُو الشِّرْكَ أَضْلَ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ

قوله «لا غلو الشرك أصل عبادة الأوثان» هذا كما قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ بِأَبٍ «ما جاء أن الغلو في قبور الصالحين يصورها أوثاناً تعبد من دون الله» فالغلو هو أصل الشرك ولهذا قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ «لا غلو الشرك أصل عبادة الأوثان» ولهذا نهى الرسول عليه الصلاة والسلام عن الغلو.

وَاللَّهُ لَوْ يُرْضَى الرَّسُولُ دُعَاءَنَا إِيَّاهُ بَادِرْنَا إِلَى الْإِدْعَانِ

يعني: لو قال لنا الرسول ادعوني - وحاشاه أن يقول ذلك - لدعوناه.

وَاللَّهُ لَوْ يُرْضَى الرَّسُولُ سُجُودَنَا كُنَّا نَخْرُ لَهٗ عَلَى الْأَذْقَانِ

يعني: لو قال الرسول ﷺ اسجدوا لي لسجدنا على الأذقان لكنه ﷺ هو الذي نهى عن أن يُدعى ويسجد له.

وَاللَّهُ مَا يُرْضِيهِ مِنَّا غَيْرَ إِخْوَانٍ وَلَا صِدْقٍ وَتَحْكِيمٍ لِيَا الْقُرْآنِ

هذا معلوم من هدي وسنته ﷺ أنه لا يرضى منا إلا الإخلاص لله وتحكيم شريعته.

وَلَقَدْ نَهَىٰ ذَا الْحَلْقِ عَنْ إِطْرَائِهِ فِعْلَ النَّصَارَىٰ عَابِدِي الصُّلْبَانِ

يعني أن: نهى الرسول ﷺ أن نظريه: فقال: «لَا تُظْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ» يعني: لا تغلوفي كما غلت النصارى في عيسى ابن مريم.

وقوله: (عابدي الصلبان) يعني: أن النصارى يعبدون الصليب وهذا من سفههم وجهلهم يعبدون الصليب المصلوب عليه نبيهم. وكان مقتضى العقل أنهم إذا رأوا الصليب كسروه؛ لأنه صُلب عليه نبيهم فكان عليهم أن يسخطوا من الذي صُلب عليه نبيهم وأن يكسروه لكن بجهلهم وضلالهم وسفههم صاروا يُقدسونه ويعبدونه والعياذ بالله، وصدق الله العظيم إذ قال عليهم إنهم ضالون كما في قوله تعالى: ﴿غَيْرَ الْمَعْصُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الْفَاعِمِينَ﴾ [الفاحة ٧].

وَلَقَدْ نَهَانَا أَنْ نُصَيِّرَ قَبْرَهُ عِيدًا حَذَارِ الشِّرْكَ بِالرَّحْمَنِ

كما قال الرسول ﷺ «لَا تَتَّخِذُوا قَبْرِي عِيدًا» لماذا؟ لأننا إذا اتخذناه عيداً وسار ذلك سبباً للشرك

به - فلهذا قال ﷺ: «لا تتخذوا قبري عيداً».

وَدَعَا بِأَلَّا يَجْعَلَ الْقَبْرُ الَّذِي

فَأَجَابَ رَبُّ الْعَالَمِينَ دُعَاءَهُ

كما قال ﷺ: «اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلَ قَبْرِي وَثَنًا يُعْبَدُ».

فقال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ إِنَّ اللَّهَ أَجَابَ دُعَاءَهُ ﷺ وَأَحَاطَ قَبْرَهُ بِثَلَاثَةِ جُدْرَانٍ فَلَا أَحَدٌ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَصِلَ إِلَيْهِ حَتَّى يَجْعَلَهُ وَثَنًا، وَحَتَّى لَوْ عَبَدَ الْقَبْرَ فَإِنَّهُ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ وَثَنًا لِمَاذَا؟ لِأَنَّهُ مُحَاطٌ بِثَلَاثَةِ جُدْرَانٍ لِلْحَجَرَةِ النَّبَوِيَّةِ حَجَرَةِ الرَّسُولِ ﷺ وَهِيَ أَصْلًا بَيْتُ بَنِي ثَلَاثَةِ جُدْرَانٍ وَجَعَلَتْ مُثَلَّثَةً الزَّوَايَةَ الْقَائِمَةَ مِنْ خَلْفِ الْقَبْلَةِ مِنْ أَجْلِ أَلَّا يَتَّجِهَ إِلَيْهِ أَحَدٌ اتِّجَاهًا مُسْتَقِيمًا. فَهِيَ مِثْلَةُ الزَّوَايَةِ يَعْنِي: الَّذِي يَسْتَقْبِلُهَا يَسْتَقْبِلُ الْقَبْلَةَ لَكِنِ الَّذِي يَسْتَقْبِلُ الْقَبْرَ يَسْتَقْبِلُ زَاوِيَةَ رَأْسِهَا وَلَا يَسْتَقْبِلُ جِدَارًا مَرَبَعًا وَلَا مُسْتَقِيمًا بَلْ يَسْتَقْبِلُ رَأْسَ الزَّوَايَةِ، وَهَذِهِ مِنْ حِمَايَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِقَبْرِ الرَّسُولِ ﷺ كَمَا أَنَّكَ أَيْضًا لَا يُمْكِنُكَ الْوَصُولُ إِلَيْهِ وَيُرْوَى أَنَّ رَجُلَيْنِ جَاءَا مِنَ الْمَشْرِقِ بِصِفَةِ غَرِيبَيْنِ إِلَى الْمَدِينَةِ يَرِيدَانِ أَنْ يَنْبِشَا قَبْرَ النَّبِيِّ ﷺ فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى مَلِكِ هَذَا الزَّمَانِ - نَوْرِ الدِّينِ مُحَمَّدٍ - فِي الْمَنَامِ أَنَّ رَجُلَيْنِ جَاءَا إِلَى الْمَدِينَةِ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَنْبِشَا قَبْرَهُ ﷺ وَيَأْخُذَا جَسَدَهُ الشَّرِيفَ؛ لِأَنَّ جَسَدَهُ الشَّرِيفَ لَا تَأْكُلُهُ الْأَرْضُ. فَفَزِعَ الْمَلِكُ فَجَاءَ بِسُرْعَةٍ وَكَانَ فِي هَذَا الْوَقْتِ لَا يَوْجَدُ مَوَاصِلَاتٍ بَلْ هِيَ عَلَى ظَهْرِ الْإِبِلِ وَظَهَرَ السَّفْنُ الْمَهْمُ أَنَّهُ جَاءَ بِمَا مَعَهُ مِنَ الْجُنُودِ وَنَزَلَ الْمَدِينَةَ وَصَنَعَ طَعَامَ مَوَائِدٍ كَثِيرَةً وَقَالَ لِأَمْرَائِهِ: أَجْمَعُوا لِي أَهْلَ الْمَدِينَةِ كُلَّهُمْ فَبَدَأُوا يَجْمَعُونَهُمْ بِحُجَّةِ إِعْطَائِهِمْ عَطَايَا وَوَقَفَ الْمَلِكُ يَنْظُرُ بِأَنَّهُ قَدْ يَرَى فِي الْمَنَامِ وَجْهَ الرَّجُلَيْنِ الَّذِي رَأَاهُ فِي الْمَنَامِ، فَكَلَّ مَا جَاءَتْ طَائِفَةٌ نَظَرَ فِيهَا وَلَكِنَّهُ لَمْ يَرِ الرَّجُلَيْنِ حَتَّى قَالُوا لَهُ: إِنَّ أَهْلَ الْمَدِينَةِ انْتَهَوْا وَكُلَّ الْمَوْجُودِينَ هُمْ أَهْلُ الْمَدِينَةِ إِلَّا رَجُلَيْنِ غَرِيبَيْنِ يَسْكُنَانِ فِي بَيْتٍ حَوْلَ الْمَسْجِدِ فَقَالَ فِي نَفْسِهِ: وَاللَّهِ هَذَا مَا كُنَّا نَبْغِي فَذَهَبَ إِلَيْهِمَا إِذَا هُمَا عَلَى الْوَصْفِ الَّذِي رَأَاهُمَا فِي الْمَنَامِ فَسَأَلَهُمَا وَحَقَّقَ مَعَهُمَا إِذَا هُمَا قَدْ حَفَرَا حَنْدَقًا فِي الْأَرْضِ مِنَ الْبَيْتِ الَّذِي هُمَا فِيهِ إِلَى قَبْرِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لَكِنَّهُمَا لَمْ يَصِلَا إِلَيْهِ بَعْدَ.

و تم في الحال القبض عليها ثم أمر بأن يُذاب رصاص عظيم في هذا الخندق وأحاطه بقبر النبي ﷺ حماية لهذا الجسد الشريف ثم بنى عليه الجدران الثلاثة ولهذا قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ:

حَتَّى اغْتَدَّتْ أَرْجَاؤُهُ بِدُعَائِهِ فِي عِزَّةٍ وَحِمَايَةٍ وَصِيَانٍ

وَلَقَدْ غَدَا عِنْدَ الْوَفَاةِ مُضَرِّحًا بِاللَّغْنِ يَضْرُخُ فِيهِمْ بِأَدَانٍ

وَعَنَى الْأَلَى جَعَلُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدًا وَهُمْ الْيَهُودُ وَعَابِدُوا الضُّلْبَانَ

فكان ﷺ في مرض موته يقول «لَعَنَهُ اللهُ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ»

قال ذلك ﷺ تحذيرًا لما صنعوا وتحذيرًا لما قد نصنع فيه ﷺ.

وَاللَّهُ لَوْلَا ذَاكَ أُبْرِرَ قَبْرُهُ
لَكِنَّهُمْ حَجَبُوا بِهِ بِالْحِطْيَانِ
قَصَدُوا إِلَى تَسْنِيمِ حُجْرَتِهِ لِيَمَّ
تَتَعَ السُّجُودَ لَهُ عَلَى الْأَذْقَانِ

قوله «ليمتنع السجود على الأذقان» يعني: أنه صلى الله عليه وسلم حذر أمته أن يصنعوا ما صنع اليهود والنصارى من الغلو في أنبيائهم، وقالت عائشة رضي الله عنها ولولا ذلك لأبرز قبره وأُخذ مسجداً. وقوله: (قَصَدُوا إِلَى تَسْنِيمِ حُجْرَتِهِ) (قصدوا) أي: الصحابة والمعنى أنهم دفنوه في نفس البيت على ما قد ورد من آثار أن النبي يُدفن حيث يقبض. «تسليم حجرته» الحجرة مسنمه يعني: مثلثة كما قلنا لأجل أن يمنع السجود له على الأذقان.

قَصَدُوا مُوَافَقَةَ الرَّسُولِ وَقَصَدَهُ الثُّ
ذَتَجْرِيَدٍ لِلتَّوْحِيدِ لِلرَّحْمَنِ
يعني: أنهم قصدوا موافقة الرسول في أن يجعل قبره وثناً يُعبد.

يَا فِرْقَةً جَهَلَتْ نُضُوصَ نَبِيِّهِمْ
وَقُضُودَهُ وَحَقِيقَةَ الْإِيْمَانِ
فَسَطُّوا عَلَى أَتْبَاعِهِ وَجُنُودِهِ
بِالْبَغْيِ وَالْبُهْتَانِ وَالْعُدْوَانِ
لَا تَعَجَّلُوا وَتَيَبَّنُوا وَتَتَبَّنُوا
فَمُضَابِكُمْ مَا فِيهِ مِنْ حَيْرَانِ

يعني: بذلك الذين يسعون إلى أن يجردوا التوحيد، ويقولون: أنتم تنقصتم الرسول فأنتم لا تعبدونه ولا تدعونه ولا تحبونه وأمثال ذلك كثير: فهم كما قال المؤلف رحمته الله سطوا على أتباع الرسول وجنده بالبغي والعدوان والعياذ بالله. ولكن موقف أتباع الرسول وجنده من هذا الصبر والثبات كما قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيَتْهُمْ فَتَكَةً فَاتَّبَتُوا﴾ [الأنفال: ٤٥] أي: اثبت ولا تتغير بكثرة الهجوم عليك أو التشنيع على قولك ما دمت على الحق فاثبت هذا إذا كنت في مقام الضعف فلا أدنى بأن ندافع أما إذا كنت في مقام القوة فعليك بالهجوم كما قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الَّذِينَ كَفَرُوا كَلَّةٌ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩] ولا شك أن الله يداول الأيام بين الناس فتارة يكونون في مقام القوة، وتارة يكونون في مقام الضعف ولكل مقام ما يُناسبه.

المهم: أنه يجب عليك أن تثبت ولا تتزحزح عن الحق ولا تقول: إن الناس كلهم على خلاف ذلك؛ لأن الله ناصر دينه وكتابه ورسوله في سائر الأزمان.

مسألة: إن قال قائل: إن قبر الرسول ﷺ في المسجد فهل يجوز لنا من ذلك أن نصلي في المساجد المقبورة؟

الجواب عن ذلك من عدة وجوه:



الوجه الأول: أن المسجد لم يبن على القبر بل بني في حياة النبي ﷺ.
الوجه الثاني: أن النبي ﷺ لم يدفن في المسجد حتى يقال إن هذا من دفن الصالحين؛ بل دفن في بيته وهو مستقل عن المسجد .

الوجه الثالث: أن إدخال بيت النبي ﷺ مع المسجد ليس باتفاق الصحابة، بل بعد أن انقضى أكثرهم، وذلك في عام أربعة وتسعين هجريًا تقريبًا بل إن بعضهم خالف مثل سعيد بن المسيب وهو من التابعين .

الوجه الرابع: أن القبر ليس في المسجد حتى بعد إدخاله؛ لأنه في حجرة مستقلة عن المسجد وهو محفوظ ومحوط بثلاثة جدران وجعل الجدار في زاوية منحرفة عن القبلة؛ لأنها مثلثة ومنها أن الإنسان إذا صلى لا يستقبلها؛ لأنها منحرفة فهي حجرة في مسجد وليست قبرًا في مسجد، وبهذا يبطل احتجاج أهل القبور بهذه الشبهة. ومن ثم لا يستدل بهذا على جواز الصلاة في المساجد المقبورة.



* قوله رَحِمَهُ اللهُ:

٤٠٥٢- قُلْنَا الَّذِي قَالَ الْأَيُّمَةُ قَبَلْنَا

وَبِهِ التُّصَوُّصُ أَتَتْ عَلَى التِّيَّانِ

٤٠٥٣- الْقَضْدُ حَجُّ الْبَيْتِ وَهُوَ فَرِيضَةُ الزُّ

رَحْمَنِ وَاجِبَةٌ عَلَى الْأَغْيَانِ

٤٠٥٤- وَرِحَالُنَا شُدَّتْ إِلَيْهِ مِنْ بَقَا

عِ الْأَرْضِ قَاصِيهَا كَذَاكَ الدَّانِي

٤٠٥٥- مَنْ لَمْ يَزُرْ بَيْتَ الْإِلَهِ فَمَا لَهُ

مِنْ حَجِّهِ سَهْمٌ وَلَا سَهْمَانِ

٤٠٥٦- وَكَذَا نَشُدُّ رِحَالَنَا لِلْمَسْجِدِ النَّدِ

نَبْوِي خَيْرِ مَسَاجِدِ الْبُلْدَانِ

٤٠٥٧- مِنْ بَعْدِ مَكَّةَ أَوْ عَلَى الْإِطْلَاقِ فِيهِ

عِ الْخُلْفُ بَيْنَ الْقَوْمِ مُنْذُ زَمَانِ

٤٠٥٨ - وَنَرَاهُ عِنْدَ النَّذْرِ فَرَضًا لَكِنِ النَّذْرُ

نُعْمَانُ يَا أَبَى ذَا وَلِلنُّعْمَانِ

٤٠٥٩ - أَضَلُّ هُوَ النَّافِي الْوُجُوبِ فَإِنَّهُ

مَا جِنْسُهُ فَرَضًا عَلَى الْإِنْسَانِ

٤٠٦٠ - وَلَنَا بَرَاهِينٌ تَدُلُّ بِأَنَّهُ

بِالنَّذْرِ مُفْتَرَضٌ عَلَى الْإِنْسَانِ

٤٠٦١ - أَمْرُ الرَّسُولِ لِكُلِّ نَاذِرٍ طَاعَةٌ

بِوَفَائِهِ بِالنَّذْرِ بِالْإِحْسَانِ

٤٠٦٢ - وَصَلَاتُنَا فِيهِ بِأَلْفٍ مِنْ سِوَا

هُ مَا خَلَا ذَا الْحِجْرِ وَالْأَرْكَانِ

٤٠٦٣ - وَكَذَا صَلَاةٌ فِي قِبَا فَكُعْمَرَةَ

فِي أَجْرِهَا وَالْفَضْلُ لِلْمَنَانِ

٤٠٦٤ - فَإِذَا أَتَيْنَا الْمَسْجِدَ النَّبَوِيَّ صَلَّ

لَيْنَا التَّحِيَّةَ أَوْلَا نِتْنَانِ

٤٠٦٥ - بِتَمَامِ أَرْكَانِ لَهَا وَخُشُوعِهَا

وَخُضُوعِ قَلْبٍ فِعْلٍ ذِي الْإِحْسَانِ

٤٠٦٦ - ثُمَّ انْتَبَيْنَا لِلزِّيَارَةِ نَقْصِدُ أَلْ

قَبْرَ الشَّرِيفِ وَلَوْ عَلَى الْأَجْفَانِ

٤٠٦٧ - فَتَقُومُ دُونَ الْقَبْرِ وَقَفَّةً خَاضِعِ

مُتَذَلِّلِ فِي السِّرِّ وَالْإِعْلَانِ

٤٠٦٨ - فَكَأَنَّهُ فِي الْقَبْرِ حَيٌّ نَاطِقٌ

فَالْوَاقِفُونَ نَوَاصِئَ الْأَذْقَانِ

- ٤٠٦٩ - مَلَكْتُهُمْ تِلْكَ الْمَهَابَةُ فَاعْتَرَتْ
تِلْكَ الْقَوَائِمَ كَثْرَةَ الرَّجْفَانِ
- ٤٠٧٠ - وَتَفَجَّرَتْ تِلْكَ الْعُيُونُ بِمَائِهَا
وَلَطَّالَمَا غَاضَتْ عَلَى الْأَزْمَانِ
- ٤٠٧١ - وَأَتَى الْمُسْلِمَ بِالسَّلَامِ بِهَيْبَةٍ
وَوَقَّارٍ ذِي عِلْمٍ وَذِي إِيْمَانِ
- ٤٠٧٢ - لَمْ يَزِفِعِ الْأَصْوَاتَ حَوْلَ ضَرْبِيهِ
كَأَنَّهَا وَكَلَّمَ يَسْجُدُ عَلَى الْأَذْقَانِ
- ٤٠٧٣ - كَلَّا وَلَمْ يَرَ طَائِفًا بِالقَبْرِ أَسْدًا
بُوعًا كَأَنَّ القَبْرَ بَيْتٌ ثَانِ
- ٤٠٧٤ - ثُمَّ انْتَهَى بِدُعَائِهِ مُتَوَجِّهًا
لِللَّهِ نَحْوَ البَيْتِ ذِي الْأَزْكَانِ
- ٤٠٧٥ - هَذِي زِيَارَةٌ مِنْ عَدَا مُتَمَسِّكًا
بِشَرِيعَةِ الْإِسْلَامِ وَالْإِيْمَانِ
- ٤٠٧٦ - مِنْ أَفْضَلِ الْأَعْمَالِ هَاتِيكَ الزِّيَارَةَ
وَهِيَ يَوْمَ الْحَشْرِ فِي الْمِيزَانِ
- ٤٠٧٧ - لَا تَلْبَسُوا الْحَقَّ الَّذِي جَاءَتْ بِهِ
سُنَنُ الرَّسُولِ بِأَعْظَمِ الْبُطْلَانِ
- ٤٠٧٨ - هَذِي زِيَارَتُنَا وَلَمْ تُنْكَرِ سَوَى الْبِدْعِ
المُضِلَّةِ يَا أَوْلِي الْعُدْوَانِ
- ٤٠٧٩ - وَحَدِيثُ شَدِّ الرَّحْلِ نَصٌّ ثَابِتٌ
يَجِبُ الْمَصِيرُ إِلَيْهِ بِالْبُرْهَانِ

الشَّرْحُ

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

في هذه الأبيات بين المؤلف رَحِمَهُ اللهُ أن غلو هؤلاء في الرسول عليه الصلاة والسلام مع مخالفتهم قوله فيها وصف به ربه - منكر من وجهين: الوجه الأول: لغلوهم فيه ﷺ، والوجه الثاني: لتحريفهم لكلامه عليه الصلاة والسلام.

قُلْنَا الَّذِي قَالَ الْأَيْمَةُ قَبَلْنَا وَبِهِ النَّصُوصُ أَتَتْ عَلَى الثِّبْيَانِ

الْقَضْدُ حَجُّ الْبَيْتِ وَهُوَ فَرِيضَةُ الرِّزِّ رَحْمَنٍ وَاجِبَةٌ عَلَى الْأَغْيَانِ

يعني: نحن نقول ما قاله الأئمة قبلنا وجاءت به النصوص «القصص حج البيت» يعني: أننا نساغر إلى البيت للحج بخلاف هؤلاء الذين يحجون إلى من يزعمون أنهم أولياء ويرون أن الحج إلى قبورهم أفضل من الحج إلى بيت الله عز وجل، فجعلوا قصد قبور الأموات أفضل من قصد بيت رب السموات والعياذ بالله.

وَرِحَالْنَا شُدَّتْ إِلَيْهِ مِنْ بَقَا عِ الْأَرْضِ قَاصِيهَا كَذَلِكَ الدَّانِي

كما قال الله تعالى: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَكُم مِّنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ [الحج: ٢٧] فالناس يأتون إلى هذا البيت من أقاصي الأرض ودانيتها للحج ولأداء فريضة الله.

مَنْ لَمْ يَزُرْ بَيْتَ الْإِلَهِ فَمَأَلَهُ مِنْ حَجِّهِ سَهْمٌ وَلَا سَهْمَانِ

يعني: من لم يطف بالبيت فليس له حج؛ لأن الطواف بالبيت ركن من أركان الحج وهو طواف الزيارة كما قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ [الحج: ٢٩] فمن حج ولم يطف بالبيت فلا حج له حتى لو وقف بعرفة والمزدلفة ورمى الجمار فلا حج له ولهذا قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

مَنْ لَمْ يَزُرْ بَيْتَ الْإِلَهِ فَمَأَلَهُ مِنْ حَجِّهِ سَهْمٌ وَلَا سَهْمَانِ

وَكَذَا نَشُدُّ رِحَالَنَا لِلْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ خَيْرِ مَسَاجِدِ الْبُلْدَانِ

يعني: أننا نشد رحلنا إلى مسجد الرسول ﷺ؛ لأن النبي ﷺ إذن فيه بل رغب فيه فقال: «لَا تُشَدُّ الرَّحَالُ إِلَّا لِثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَسْجِدِي هَذَا وَالْمَسْجِدِ الْأَقْصَى».

مِنْ بَعْدِ مَكَّةَ أَوْ عَلَى الْإِطْلَاقِ فِيهِ هِ الْخُلْفُ بَيْنَ الْقَوْمِ مُنْذُ زَمَانِ

يعني: أن الصلاة في مسجده ﷺ أفضل من الصلاة في أي مسجد إلا الصلاة في البيت الحرام وهذا بنص قوله ﷺ حيث قال: «صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيهَا سِوَاهُ إِلَّا الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ» هكذا في صحيح مسلم. وكذلك جاء في الصحيحين عن أبي هريرة أن النبي ﷺ

قال: «صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيهَا عَدَاهُ إِلَّا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ» لكن هل مكة أفضل أم المدينة؟ هذا محل الخلاف والصواب بلا شك أن مكة أفضل من المدينة.

وَنَرَاهُ عِنْدَ النَّذْرِ فَرَضًا لَكِنْ النَّدْرُ نَعْمَانُ يَا بِي ذَا وَلِلنَّعْمَانِ

قوله: «ونراه عند النذر فرضًا» نراه يعني: شد الرحل إلى مسجد المدينة أي: المسجد النبوي فرضًا عند النذر «لكن النعمان يأبي ذَا وللنعمان أصل»، النعمان؛ هو أبو حنيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يرى أن الإنسان إذا نذر شد الرحل إلى مسجد المدينة فإنه لا يلزم الوفاء به لماذا؟ بناءً على أصل وهو كما قال المؤلف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

أَصْلُ هُوَ النَّافِي الْوُجُوبِ فَإِنَّهُ مَا جَنَسَهُ فَرَضًا عَلَى الْإِنْسَانِ

يعني: أن أبو حنيفة النعمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: لا يجب الوفاء بنذر الطاعة إلا إذا كان جنسه فرضًا فنذر الصلاة يجب الوفاء به؛ لأن جنسه فرض نذر و كذلك الصدقة جنسه من فرض الزكاة وهو فرض نذر، ونذر الحج يجب الوفاء به؛ لأن جنسه فرض نذر، والصوم يجب الوفاء به؛ لأن جنسه فرض نذر، لكن شد الرحل إلى مسجد المدينة النبوية ليس بفرض عند أبي حنيفة؛ لأنه ليس له جنس مفروض حيث لا يوجد فرض في شد الرحل للمسجد النبوي.

وَلَنَا بَرَاهِينٌ تَدُلُّ بِأَنَّهُ بِالنَّذْرِ مُفْتَرَضٌ عَلَى الْإِنْسَانِ

قوله «لنا براهين» يعني: أدلة تدل على أن شد الرحل لزيارة المسجد النبوي يكون فرضًا على الإنسان إذا نذر ومنها:

أَمْرُ الرَّسُولِ لِكُلِّ نَاذِرٍ طَاعَةٌ بِوَفَائِهِ بِالنَّذْرِ بِالْإِحْسَانِ

كما قال النبي ﷺ: «مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اللَّهَ فَلْيُطِعهُ» وهذا أمر ولا شك، فإذا نذر الرجل نذرًا إلى المسجد النبوي فهو نذر طاعة وإذا كان نذر طاعة دخل في عموم قوله ﷺ: «مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اللَّهَ فَلْيُطِعهُ».

وَصَلَاتُنَا فِيهِ بِأَلْفٍ مِنْ سِوَا هُوَ مَا خَلَا ذَا الْحَجَرِ وَالْأَرْكَانِ

يعني: صلاتنا فيه بألف صلاة، ولكن الأولى أن نقول خير من ألف صلاة كما قال النبي ﷺ وهناك فرق بأن نقول صلاة بألف صلاة، وصلاة خير من ألف صلاة والحديث الثابت في ذلك قوله ﷺ: «صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ». وفي رواية لفظ مسلم أفضل من ألف صلاة وبينهما فرق - لكن ما ذكره المؤلف هو رواية الإمام أحمد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال المؤلف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «بألف من سوا ما خلا ذا الحجر والأركان». يعني: مسجد الكعبة والحجر، والحجر معروف وهو القطعة المحجر عليها من الكعبة لأنه ليس كل الحجر من الكعبة؛ لأنه من الكعبة بمقدار ستة أذرع وشيء يعني: ثلاثة أمتار وربع تقريبًا، وحده بعضهم فقال: من عند منعطف الحجر وهو مقوي الحجر

ومن عطفه فهذا من الكعبة وما بعده ليس من الكعبة وسُمي حجراً؛ لأن قريش لما بنوا الكعبة نقصت عنه وكانوا قد عزموا على ألا يكون إلا بهال حلال فنقصت النفقة فقالوا: بنينا بعضاً فبنوا معهم وهو قائم الآن وجعلوا هذا محوطاً عليه بالجدار خارج المشق فسمي حجراً؛ لأنه محجر وسُمي حطياً؛ لأنه حُطم بمعنى محطوم من الكعبة وأخذ منه وأما ما اشتهر عند العامة الجهال من أن فيه قبر إسماعيل فإن هذا كذب لا أصل له، ويسميه بعض العامة حجر إسماعيل، ولكن هذا هو أصل كما قلت لكم لم يكن معروفاً في عهد إسماعيل ولم يكن مدفوناً فيه وكان في الكعبة قبل ذلك أوسع من هذا فقال النبي عليه الصلاة والسلام وهو يحدث عائشة: «لولا أن قومك حديث عهد بكفر لبنت الكعبة على قواعد إبراهيم ولجعلت لها بابين باباً يدخل منه الناس وباباً يخرجون منه» فتوفي الرسول ﷺ وهي على ما كانت عليه في الجاهلية ولما تولى الزبير رضي الله عنه على الحجاز هدمها وبنائها على قواعد إبراهيم على حسب ما أراه النبي ﷺ ولما قتل رضي الله عنه واستولى الحجاج على مكة وهو أمير من أمراء بني أمية أرسل إلى عبد الملك بن مروان ثم أمره بأن يُعيد الكعبة على ما كانت عليه في زمن الجاهلية وفي عهد الرسول ﷺ، ولما تولى هارون الرشيد أراد أن يُغير الكعبة من بناء الحج إلى بناء عبد الله بن الزبير فاستشار مالك في ذلك فقال لا تجعل بيت الله ملعبة للملوك كلما جاء ملك هدمه وغيره فأبقي على ما كان عليه وهذا في الحقيقة من رحمة الله عز وجل وحكمته؛ لأنه كان على ما أراه النبي ﷺ لكن إذا غُيّر في هذه الأوقات كان سبب للهلاك والموت؛ لأن الناس إذا كانوا يقتتلون على رمي الجمرات ويقتل بعضهم بعضاً على ذلك فما بالك إذا كان الدخول في الكعبة من باب ضيق والكعبة مسقفة وضيقة، ولكن الحمد لله ما أراه النبي عليه الصلاة والسلام قضاه الله عز وجل و صار الحجر الآن مفتوح وله بابان باب يدخل منه الناس وباب يخرجون منه .

فحصل والله الحمد ما أراه النبي عليه الصلاة والسلام مع انتفاء الضرر وهذا يدل على حكمة الله عز وجل كما قال تعالى: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦] فصارت بحمد الله الخيرة فما وقع لهذا الحجر، وأما القول عن الأركان الأربعة فإن الكعبة لها أركان أربعة منها ركنان على بناء إبراهيم وهما اللذان فيها استلام الركن اليماني والحجر الأسود وركنان على غير قواعد إبراهيم ولهذا لا يُستلمان. ولما طاف معاذ رضي الله عنه في ذات سنة من السنوات التي حج بها جعل يستلم الأركان الأربعة، فقال لهم العباس إن النبي ﷺ حج ولم يستلم إلا الركنين اليماني فقال معاوية: «ليس شيئاً من البيت مهجوراً»، فقال له ابن عباس: قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١] فرجع معاوية وأراد أن يُعارض النص بالقياس ولكن بين له ابن عباس أن معارضة النص بالقياس باطلٌ فاسدٌ، فإذا كان النبي عليه الصلاة والسلام لم يستلم إلا الركنين اليمينين فإنه لا

يجوز أن تستلم بقية الأركان.

وَكَذَا صَلَاةٍ فِي قِبَا فَكَعْمُرَةٍ فِي أَجْرَهَا وَالْفُضْلُ لِلْمَنَانِ

يعني: أن الصلاة التي في مسجد قباء إذا خرج الإنسان من بيته مُتَطَهَّرًا وصلّى فيه ركعتين فإنه يكون كمن أتى بعمرة.

فإن قال قائل: مسجد قباء الموجود الآن أكبر من مسجد قباء في عهد الرسول ﷺ؟

قلنا: ما زيد في المسجد فله حكمه انظر إلى المسجد الحرام هل هو ما كان عليه في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام؟ أبدأ، فما كان عليه على عهد الرسول ﷺ قديمًا جدًا من حوالي بئر زمزم كذلك أيضًا المسجد النبوي هل هو على الحال الذي عليه في عهد الرسول ﷺ؟ لا زاد فيه عمره أولًا ثم زاد فيه عثمان، والصحابة أجمعوا على أن الزيادة في حكم المداين والدليل على إجماعهم أن عثمان رضي الله عنه لما زاد المسجد النبوي من جهة القبلة كان يُصلي في المحراض أي محراض الزيادة التي زادها وكان المسلمون يتسابقون إليها ويصلون في الصف الأول، ولو كان ليس لها في المسجد لكانوا يتأخرون إلى المسجد الأول الذي كان عليه على عهد النبي ﷺ المهم ما زيد فيه في المسجد فله نفس الحكم.

فَإِذَا أَتَيْنَا الْمَسْجِدَ النَّبَوِيَّ صَلُّ لَيْنَا التَّحِيَّةَ أَوْلاً ثِنْتَانِ

قوله: «صَلِّينَا التَّحِيَّةَ أَوْلاً ثِنْتَانِ» لله عز وجل.

و المعنى: أنك إذا دخلت المسجد النبوي فأول ما تفعله تصلي ركعتين لقول النبي ﷺ: «إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمْ الْمَسْجِدَ فَلَا يَجْلِسُ حَتَّى يُصَلِّيَ رُكْعَتَيْنِ».

بِتَمَامِ أَرْكَانِ لَهَا وَخُشُوعِهَا وَخُضُورِ قَلْبٍ فِعْلٍ ذِي الْإِحْسَانِ

يعني: عليك أن تصلي صلاة بأركانها وواجباتها وشروطها مع خشوع القلب وأراد بذلك الإشارة إلى ما يفعله بعض الجهلة الذين يجنون أن يبدأ أولاً بزيارة القبر فإذا قيل له صلّ ركعتين يصلّيها بسرعة نقرًا وقلبٍ متعلقٍ بالقبر وليس خاشعًا قلبه فأراد المؤلف رحمته الله بهذا أن يلفت النظر إلى أنه لا يجوز أن تتسرع بهاتين الركعتين بل صلّها بطمأنينة وخشوع.

ثُمَّ اثْنَيْنَا لِلزِّيَارَةِ نَقْصِدُ الْـ قَبْرَ الشَّرِيفِ وَلَوْ عَلَى الْأَجْفَانِ

يعني: لو طلب منا أن نمشي على أجفان لا على أقدام سوف نمشي تعظيمًا للرسول ﷺ ولو على الأذقان.

فَنَقُومُ دُونَ الْقَبْرِ وَقَفَّةً خَاضِعٍ مَثَدَلٌ فِي السِّرِّ وَالْإِعْلَانِ

فَكَأَنَّهُ فِي الْقَبْرِ حَيٌّ نَاطِقٌ فَالْوَاقِفُونَ نَوَاقِشُ الْأَذْقَانِ

هذا من قول المؤلف رَحِمَهُ اللهُ ولا شك فيه الكثير من المبالغة فما كان الصحابة يقفون على قبر الرسول كهذا الوقوف الذي ذكره المؤلف؛ لأن هذا الخشوع خشوع لا ينبغي إلا لرب العالمين عز وجل وعندما كان الرسول بين أيديهم حي ما كانوا يأتون إليه على هذا الوجه من التعظيم. وهذا في الحقيقي من الدلة التي نرجوا الله عز وجل أن يعفو على المؤلف رَحِمَهُ اللهُ منه؛ لأنها ليست هيئة فنحن نقول للمؤلف هل كان ابن عمر وهو يُسلم على رسول الله ﷺ وعلى أبي بكر وعلى أبيه هل كان يقف هذا الوقوف؟ وهل كان يقف خاضعاً كأنها هو بين يدي الله عز وجل؟ الجواب: لا، ونحن نعلم أن المؤلف رَحِمَهُ اللهُ وغيره مما دون الصحابة لا يمكن أن يوقروا الرسول عليه الصلاة والسلام من مثل توقير الصحابة للرسول عليه الصلاة والسلام، فنسأل الله أن يعفوا عنه.

مَلَكَتْهُمْ تِلْكَ الْمَهَابَةُ فَاعْتَرَتْ تِلْكَ الْقَوَائِمُ كَثْرَةَ الرَّجْفَانِ

يعني: يقول من مهابة الرسول ﷺ صارت قوائمه ترجف من شدة المهاب وهذا لا ينبغي، يعني: لا ينبغي أن يكون الإثبات أن يقف أمام قبر الرسول إلى هذا الحد صحيح أن الإنسان إذا وقف يشعر أن الرسول عليه الصلاة والسلام أرسل إلى الناس كافة وأنه بلغ الرسالة وأدى الأمانة وأنه نصح الأمة وجاهد في الله أما أن يقف هذا الوقوف الذي وصفه المؤلف.

وَتَفَجَّرَتْ تِلْكَ الْعُيُونُ بِمَائِهَا وَوَلَطَّالَمَا غَاصَتْ عَلَى الْأَرْمَانِ

لا بأس أن الإنسان يذكر حال النبي -عليه الصلاة والسلام- ثم يبكي، وهذا الإنسان لو ذكر أباه، أو ابنه، أو أخاه الذي مات، فقد تفر عيناه بالدمع، فكيف عند تذكر الرسول ﷺ، فيكون من باب أولى.

وَأَتَى الْمُسْلِمُ بِالسَّلَامِ بِهِيبَةً وَوَقَّارٍ ذِي عِلْمٍ وَذِي إِيْمَانٍ

هذا أهون؛ لأن الإنسان يسلم بوقار مبني على علم، وإيمان.

لَمْ يَرْفَعِ الْأَصْوَاتَ حَوْلَ ضَرْيَجِهِ كَلًّا وَلَمْ يَسْجُدْ عَلَى الْأَذْقَانِ

(لم يرفع الأصوات حول ضريح النبي) - عليه الصلاة والسلام - أي: حول قبره، بل يتكلم بهدوء، وقد ثبت في البخاري^(١) أن عمر سمع صوت رجلا يرفع أصواتها عند قبر النبي - عليه الصلاة والسلام - فنادهما، وقالا إنهما من أهل الطائف، فقال لو أعلم أنكما من أهل هذه البلدان لأوجعتكما ضرباً، هذا الأثر، أو معناه لا شك أنه من الأدب بالألّا نرفع الصوت عند قبر النبي - عليه الصلاة والسلام -، بل، ولا في المسجد النبوي، ولا في المساجد الأخرى أيضاً، من

الأدب ألا نرفعها، حتى إن الرسول جعل رفع الأصوات في المساجد من علامات الساعة.
كَلَّا وَلَمْ يَرِ طَائِفًا بِالقَبْرِ أَسَدٌ جُوعًا كَأَنَّ القَبْرَ بَيْتٌ ثَانٍ

ومن الناس العامة الجهال لا سيما الذين عندهم قبور في بلادهم، يطوفون عليها، نجدهم يطوفون على قبر النبي ﷺ، ولكن بفضل الله أنهم في هذه السنوات الأخيرة جعلوا حاجزاً يمنع من تمام الطواف، فالعامة عندهم إعتقادات زائفة يرخصوا عندهم كل غالٍ.

ثُمَّ انْتَهَى بِدَعَائِهِ مُتَوَجِّهًا اللَّهُ نَحْوَ البَيْتِ ذِي الأَرْكَانِ

يعني: بعد أن يسلم على الرسول ﷺ.

قوله: (ينثنى) يعني: يتقدم، ويتجه إلى الكعبة فيدعوا الله - عز وجل -، فأفادنا المؤلف رَحِمَهُ اللهُ أن الزيارة النبوية على الوصف الذي يسلم على النبي ﷺ، ولم يذكر رَحِمَهُ اللهُ السلام على أبي بكر، وعمر، لكنه يسدد الرد على هؤلاء العُلَّات الذين يرون أن النبي ﷺ لم يتكلم عن السلام على أبي بكر، وعمر، وإلا فإن من المشروع أن تسلم على أبي بكر وعمر، كما كان ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا يفعل، ولهما - أي: أبي بكر وعمر - من التوقير ما يليق بحالهما فهما خليفتي رسول الله ﷺ، وهما وزيراه، وهما اللذان يكونان معه دائماً إذا ذهب، وإذا رجع، ودائماً يقول هو نفسه - عليه الصلاة والسلام - خرجت أنا، وأبو بكر، وعمر، ورجعت أنا وأبو بكر وعمر. وهكذا يطريهما دائماً معه، ولهذا اختار الله تبارك، وتعالى بعلمه، وقدرته أن يكونا إلى جنبه في قبره، حتى إذا كان يوم القيامة خرج الثلاثة جميعاً من مكان واحد، كما كانوا في الدنيا جميعاً يذهبون، ويحيئون، فإنهم في الآخرة كذلك، - اللهم أحشرنا معهم يا رب العالمين -.

يقول: (بعد هذا) أي: بعد الزيارة تتجه إلى القبلة، وتدعو الله - عز وجل - تدعو الله بما شئت ليس هناك دعاء معين، هكذا قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ، ولكن بعض أهل العلم عارض في هذا، وقال إنه لم يثبت أن هذا المكان مكان دعاء، وأن الإنسان، وإذا سلم ينصرف كما كان عبد الله بن عمر يفعل، ولا يقوم يدعو الله، إذا أراد أن يدعو الله يدعو وهو يصلي في صلاته أو بعدها أو بين الأذان والإقامة على حسب ما جاءت به السنة، أما أن يُجعل ما حول قبر الرسول مكان للدعاء فهذا فيه نظر، وأنا إلى هذا القول أميل من قول ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ، وغيره من أهل العلم بأن الإنسان يسلم، ثم ينصرف، وللدعاء مكان آخر.

هَذِي زِيَارَةٌ مَنْ غَدًا مُتَمَسِّكًا بِشَرِيعةِ الإِسْلَامِ وَالإِيْمَانِ

قوله: (هذه زيارة) الإشارة إلى كل الصفات السابقة، أنها زيارة من غدا متمسكاً، ولكن نقول لابن القيم رحمك الله، وجزاك عن أمة الإسلام خيراً - هذه الزيارة في نظرك، أما ما ذكرت من بعد ما يكون غلوّاً، فلا شك أنها ليست زيارة شرعية، ولكن يُشكر له رَحِمَهُ اللهُ أنه كان مجتهداً، والمجتهد

قد يصيب، وقد يُحْطَى.

مِنْ أَفْضَلِ الْأَعْمَالِ هَاتِيكَ الرَّيَا رَةٌ وَهِيَ يَوْمَ الْحَشْرِ فِي الْمِيزَانِ

الزيارة الشرعية لا شك أنها في ميزان الحسنات، أما الزيارة البدعية فهي في ميزان السيئات، وهنا أنه على مسألة دائماً يطلقها بعض الناس أخيراً، وهي أن نقول: جعل الله ذلك في ميزان أعمالك، والأحسن أن نقول: جعل الله ذلك في ميزان حسناتك، يعني: لأن ميزان الأعمال يشمل السيئات، والحسنات، فإذا قال في ميزان أعمالك ما أدري الحسنات، أم السيئات، وعلى كل حال يقصد ميزان الحسنات لا شك، لكن لفظ في ميزان أعمالك خطأ، فالأحسن أن نعدل عن هذا اللفظ إلى لفظ لا يحتمل معه الخطأ (في ميزان حسناتك).

لَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ الَّذِي جَاءَتْ بِهِ سُنَنُ الرَّسُولِ بِأَعْظَمِ الْبُطْلَانِ

يعني: لا تلبسوه بالباطل، وتخلطوه به، وتقولوا هذه زيارة شرعية، وهي زيارة مبنية على الخطأ الذي ينهى عنه الرسول ﷺ.

في نسخه (بأعظم البرهان) بأعظم متعلقة بـ (جاءت) إذا جاءت بأعظم البرهان يعني: جاءت به بأعظم دليل، أما (بأعظم البطلان) فهي متعلقة بـ (تلبس) يعني: لا تلبس الحق بأعظم البطلان، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾ [البقرة: ٤٢].

هَذِي زِيَارَتُنَا وَلَمْ تُنْكِرِ سِوَى الْبِدْعِ الْمُضِلَّةِ يَا أَوْلِي الْعُدْوَانِ

صحيح، ابن القيم رحمه الله لما أنكر على هؤلاء ما أنكروا، لم ينكر عليهم إلا البدع المضلة.

وَحَدِيثُ شَدِّ الرَّحْلِ نَصٌّ ثَابِتٌ يَجِبُ الْمَصِيرُ إِلَيْهِ بِالْبُرْهَانِ

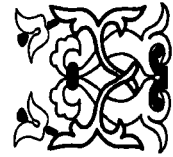
ما هو حديث شد الرحل؛ «لَا تُشَدُّ الرَّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ: الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَمَسْجِدِي هَذَا، وَالْمَسْجِدِ الْأَقْصَى»^(١) فلا تشد الرحال إلا إلى هذه المساجد، هذا الحديث «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد» باستثناء من أعم الأحوال، والأزمان، والأماكن، فإذا قلنا بهذا أورد علينا الذين يشدون الرحال إلى القبور، وقالوا ألستم تميزون شد الرحال إلى المدينة - يعني: على أي بلد - لطلب التجارة، ألستم تميزون شد الرحال لطلب العلم؟! بل يقولون إن تقدير الحديث لا تشد الرحال إلى مسجد إلا إلى ثلاثة مساجد؛ لأن المستثنى يكون من جنس المستثنى منه، وما دام المستثنى منه ليس عاماً، كما تُقَرَّرُ به فليكن مناسباً للمستثنى، أي لا تشدوها إلا إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى، لكن هذا القول ذهب إليه بعض الفقهاء، وقالوا إن شد الرحل إلى القبور لا يستفاد تحريمه من هذا الحديث، بل من أدلة أخرى؛ لأن هذا

الحديث لا يمكن أن يراد به العموم، وإذا لم يمكن فليكن المقدر من جنس المذكور، يعني: المستثنى منه من جنس المستثنى، فأبي إنسان يشد الرحل إلى مسجد من أي مساجد الدنيا نقول له حرام إلا المساجد الثلاثة، أما زيارة القبور، فإن التحريم لا يأتي من أجل أنها داخلة في الحديث، لكن من أجل الغلو فيها؛ لأن من شد الرحل إلى القبر إنما يريد الغلو، كما هو الواقع، يرون أن دعاء الله عند هذا القبر أقرب إلى الإجابة من غيره، وربما يرون أن شد الرحل إلى قبر الولي، أو ما أشبه ذلك، لأجل دعاء هذا الولي، فيكون شد إلى الشرك، أو إلى وسائل الشرك، فلذلك حرمانه من أجل هذا، من أجل أنه شد للشرك بهذا الولي المقبور، أو وسيلة إلى الشرك، كما هو الواقع الآن، بعض الناس رأى شخصاً يسافر من بلد إلى آخر يوم الجمعة ليستمع إلى خطب إمام المسجد، فصاح عليه، نعوذ بالله منك ونبرأ إلى الله من فعلك، أي شيء فعلت؛ شددت الرحل إلى غير المساجد الثلاث، فماذا تقول؟ ما شد الرحل للمسجد، إنما شد الرحل للعلم، ليستفيد من خطب هذا الرجل، ولهذا لو كان الرجل عنده في بلده ما شد الرحل، ففرق بين من يشد الرحل ليستمع إلى خطبة الإمام، أو ليصلي خلف الإمام، كما يفعل بعض الناس في أيام رمضان، يكون في البلد ناس قراء يتلذذون في قراءتهم فيشدون الرحل إليهم، هذا نقول لا بأس به؛ لأنه لم يشد الرحل إلى مكان، ولكن يشد الرحل إلى العلم إذا كانت خطبة، أو إلى التلذذ في قراءته، واستماع قراءته، وهذا لا بأس به، -والله أعلم-.





عهد بين يدي الفصل



قال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللهُ:

فصل

في تعيين أن أتباع السنن والقرآن طريق النجاة من النيران

وذلك أن الطرق كلها مسدودة لا يوصل منها إلى الله وإلى ثوابه ولا ينجو بها العبد من عقابه إلا بطريق واحد وهو طريق السعادة والنجاة من العذاب، وهو اتباع كتاب الله الذي هو حبله المتين، وصراطه المستقيم، واتباع رسوله محمد ﷺ بالأقوال والأفعال وسائر الأحوال. وتفصيل هذه الجملة أن تأخذ كتاب الله وما صحت به السنة عن رسول الله، خصوصًا كتب الصحاح كالبخاري ومسلم، فتقرأها وتفهم معانيها وتقدر أن الخطاب من الله ورسوله كأنك مشافه للرسول جالس بين يديه مع أصحابه، وتعلم أنه لا يصح إيمانك حتى تعتقد وجوب عرض أقوال الخلق كلهم على قول الرسول، فما وافق ذلك فهو مقبول، وما خلفه فهو مردود، وما لم يعلم موافقته أو مخالفته فهو موقوف. وتوضح ذلك أن تقدر جميع مقالات الخلق معدومة لا وجود لها، لأن الله لم يوجب طاعة أحد من الخلق غير رسوله، فتتلقى العقائد والأحكام: الأصول والفروع عن رسول الله ﷺ، ولولا التعصب والهوى لكانت هذه الطريقة لا يشك مسلم أنها فرض عام على الناس كلهم.

وإذا عرفت أنه ﷺ قد جمع الله له كمال العلم وكمال النصيح وقوة البيان الذي لا يشاركه في شيء من ذلك مشارك عرفت أن كلامه هو الغاية في الإرشاد والهداية واستفادة أصناف العلوم والحقائق من كلامه، مع وجوب طاعته وتحقيق عصمته، فهذا برهان قاطع على استيلاء كلامه على غاية البيان وتمام الإرشاد، فالنقلة عنه أصدق الناس وأعظمهم تحريًا للصدق وأعرفهم بكلامه، وكلامه معصوم وصدق، فكيف يعدل مع هذا عن كلامه إلى قول غيره المنافي له في هذه الأمور. فقد وضح السبيل للسائرين فسر عليه مجدًا، واهجر كل قاطع يقطعك عنه، فكل منقطع عن نيل المقاصد العالية فقد برهن على عداوته وكل من أعانك من سيرك فهو الصديق ولو كان من أبعد الناس.





فصل

في تعيين اتباع السُنَّةِ
والقرآن طريقًا للنَّجاة مِنَ النَّيرانِ



- ٤٠٨٠ - يَا مَنْ يَرِيدُ نَجَاتَهُ يَوْمَ الْحِسابِ
بِ مِنَ الْجَحِيمِ وَمَوْقِدِ النَّيرانِ
- ٤٠٨١ - اتَّبِعْ رَسُولَ اللَّهِ فِي الْأَقْوالِ وَالْأَعْمَالِ لَا تَخْرُجْ عَنِ الْقُرْآنِ
- ٤٠٨٢ - وَخُذِ الصَّحِيحِينَ الَّذِينَ هُمَا لِعَقْدِ
سِدِّ الدِّينِ وَالْإيمانِ وَإِسْطِطانِ
- ٤٠٨٣ - وَاقْرَأْهُمَا بَعْدَ التَّجَرُّدِ مِنْ هَوَى
وَتَعْصَبٍ وَحَمِيَّةِ الشَّيْطانِ
- ٤٠٨٤ - وَاجْعَلْهُمَا حَكْمًا وَلَا تَحْكُمْ عَلَى
مَا فِيهِمَا أَضَلًّا بِقَوْلِ فُلانٍ
- ٤٠٨٥ - وَاجْعَلْ مَقالَتَهُ كَبَعْضِ مَقالَةِ الْ
أَشْياخِ تَنْضُرْها بِكُلِّ أوانٍ
- ٤٠٨٦ - وَأَنْضُرْ مَقالَتَهُ كَنْضُرِكَ لِلَّذِي
قَلَّدْتَهُ مِنْ غَيْرِ ما بُزْهانٍ
- ٤٠٨٧ - قَلِّدْ رَسُولَ اللَّهِ عِنْدَكَ وَخُدْهُ
وَالْقَوْلُ مِنْهُ إِلَيْكَ ذُو تَبَيانٍ
- ٤٠٨٨ - ما ذَا تَرى فَرَضًا عَلَيْكَ مُعَيَّنًا
إِنْ كُنْتَ ذَا عَقْلِ وَذَا إيمانٍ

٤٠٨٩- عَرَضَ الَّذِي قَالُوا عَلَى أَقْوَالِهِ

أَوْ عَكْسُ ذَلِكَ فَذَانِكَ الْأَمْرَانِ

٤٠٩٠- هِيَ مَفْرُقُ الطَّرُقَاتِ بَيْنَ طَرِيقِنَا

وَطَرِيقِ أَهْلِ الزَّيْبِ وَالْعُدْوَانِ

٤٠٩١- قَدَّرَ مَقَالَاتِ الْعِبَادِ جَمِيعِهِمْ

عَدَمًا وَرَاجِعَ مَطْلِعِ الْإِيمَانِ

٤٠٩٢- وَاجْعَلْ جُلُوسَكَ بَيْنَ صَحْبِ مُحَمَّدٍ

وَتَلَقَّ مَعَهُمْ عَنْهُ بِالْإِحْسَانِ

٤٠٩٣- وَتَلَقَّ عَنْهُمْ مَا تَلَقَّوهُ هُمْ

عَنْهُ مِنَ الْإِيمَانِ وَالْعِزْفَانِ

٤٠٩٤- أَفَلَيْسَ فِي هَذَا بَلَاغٌ مُسَافِرٍ

يُبَغِّي الْإِلَهَ وَجَنَّةَ الْحَيَوَانِ

٤٠٩٥- لَوْلَا التَّنَافُسُ بَيْنَ هَذَا الْخَلْقِ مَا

كَانَ التَّفَرُّقُ قَطُّ فِي الْحُسْبَانِ

الشرح

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

يقول المؤلف رَحِمَهُ اللهُ (فصل في تعيين أن اتباع السنة والقرآن طريقة النجاة من النيران).

كل منا -نحن المؤمنون- يريد النجاة من النار، ويريد دخول الجنة، فما هو الطريق؟ بين المؤلف

رَحِمَهُ اللهُ في هذا الفصل هذا الطريق، فقال:-

يَا مَنْ يَرِيدُ نَجَاتَهُ يَوْمَ الْحِسَابِ مِنْ الْجَحِيمِ وَتُوقِدِ النَّيْرَانَ

النداء هذا موجه لكل من يريد هذا -النجاة من النار-

(اتبع رسول الله) حتى تنجو (في الأقوال والأعمال لا تخرج عن القرآن) والإعتقاد يدخل؛ لأن

الأقوال (قول اللسان والقلب)، والأعمال (عمل الجوارح والقلب) فقول القلب هو إقرار القلب

بالشيء؛ لأن إقرار القلب بالشيء، وقبوله له هذا قول القلب، وقول اللسان واضح، أما عمل

القلب هو ميله للشيء خوفاً ورجاءاً وتوكلاً، ومما أشبه ذلك، وعمل الجوارح واضح، يقول: (وخذ الصحيحين) يعني: بعد القرآن خذ الصحيحين يعني: بهما صحيح البخاري، ومسلم.

وَاقْرَأُوهُمَا بَعْدَ التَّجَرُّدِ مِنْ هَوَىٰ وَتَعْصِبٍ وَحَمِيَّةِ الشَّيْطَانِ

اقرأ الصحيحين متجرداً عن الهوى والحمية والتعصب، وهذا واجب على كل من قرأ دليلاً أن يتجرد من الهوى والتعصب، ليحكم بما دل عليه الدليل، ولهذا يقال: (استدل ثم اعتقد ثم عمل)، ولا تعتقد، ثم تستدل؛ لأنك إن اعتقدت، ثم استدللت ربما تميل إلى اعتقادك، وتصرف نصوص الكتاب والسنة إليه، لكن إذا استدللت أولاً قرأت الدليل، ثم بنيت العقيدة والعمل عليه حينئذ يكون طريقك ثواباً.

وَاجْعَلْهُمَا حَكْمًا وَلَا تَحْكَمْ عَلَىٰ مَا فِيهِمَا أَضْلًا بِقَوْلِ فُلَانٍ

صدق، اجعل ما في الصحيحين هو الأصل، ولا تحكم عليهما بقول فلان وفلان، فتجعلها تابعين لا متبوعين.

قوله: (واجعل مقالته) مقالة الرسول ﷺ (كبعض مقالة الأشياخ تنصرها بكل أوان) هذا تنزل أي: اجعل مقالة الرسول كبعض مقالة الأشياخ، والواجب أن اجعلها فوق مقالة كل الأشياخ، لكن هذا من باب التنزل يقول على الأقل أعطوا ولو بعض الشيء، وهو يخاطب من يقدمون مقالة الأشياخ على مقالة الرسول ﷺ.

وَأَنْصُرْ مَقَالَتَهُ كَنْصَرِكَ لِلَّذِي قَلَّدْتَهُ مِنْ غَيْرِ مَا بُرْهَانٍ

يعني: انصر مقالة الرسول كنصر الذي قلدته وأنت تقلده بلا برهان، لكن لو اتبعت الرسول اتبعته ببرهان.

فَدَرَ رَسُولَ اللَّهِ عِنْدَكَ وَحْدَهُ وَالْقَوْلُ مِنْهُ إِلَيْكَ ذُو تَبَيَانٍ

يعني: اجعل قدر الرسول وحده عندك، واجعل كلامه، (ذا تبيان) أي: كلاماً فصيحاً واضحاً حتى تأخذ من مدلوله.

مَاذَا تَرَىٰ فَرَضًا عَلَيْكَ مُعِينًا إِنْ كُنْتَ ذَا عَقْلٍ وَذَا إِيْمَانٍ

عَرَضَ الَّذِي قَالُوا عَلَىٰ أَقْوَالِهِ أَوْ عَكْسُ ذَلِكَ فَذَانِكَ الْأَمْرَانِ

يعني: هل ترى من الفرض عليك أن تعرض الذي قالوا على أقوال الرسول، أو أن تعرض أقوال الرسول على الذي قالوه؟ ما هو الفرض؟ هو أن تعرض أقوالهم على أقوال الرسول، فإن وافقت قبلت، وإن لا رددت.

هِيَ مَفْرُقُ الطَّرِيقَاتِ بَيْنَ طَرِيقَتِنَا وَطَرِيقِ أَهْلِ الزَّيْغِ وَالْعُدْوَانِ

نحن نعرض مقالة غير الرسول على مقالة الرسول، وهنا نجد أهل الزيغ يعرضون مقالة الرسول على مقالة غير الرسول هذا هو مفرق الطرق، والحق مع من عرض مقالة الناس على مقالة الرسول.

قوله: (قدر مقالات العباد جميعهم عدماً) كأنهم لم يقولوا شيئاً، إذن إلى أي شيء رجع قال: (وراجع مطلع الإيـان) يعني: منبع الإيـان، وهو كلام الرسول ﷺ.

وَاجْعَلْ جُلُوسَكَ بَيْنَ صَحْبِ مُحَمَّدٍ وَتَلَقَّ مَعَهُمُ عَنهُ بِالْإِحْسَانِ

يعني: اجعل كأنك مع الصحابة تسمع كلام النبي ﷺ وترى أفعاله، لتكون مثلهم في الاتباع.

وَتَلَقَّ عَنْهُمْ مَا تَلَقَّوهُ هُمْ عَنْهُ مِنَ الْإِيْمَانِ وَالْعِزْفَانِ

إذا قال قائل كيف أتلقى عنهم؟ نقول -الحمد لله- هذه الأمة حفظ الله دينها بالسند، اقرأ، حدثنا فلان عن فلان عن فلان، حتى تصل إلى الرسول ﷺ.

أَفَلَيْسَ فِي هَذَا بَلَاغٌ مُسَافِرٍ يَبْغِي الْإِلَهَ وَجَنَّةَ الْحَيَوَانِ؟

الجواب: بلى، (بلاغ المسافر) الزاد الذي يبلغه مقصده يعني: فأنت الآن إذا أخذت بما قلته لك فقد أخذت بلاغ المسافر الذي يوصله إلى منتهى سفره.

لَوْلَا التَّنَافُسُ بَيْنَ هَذَا الْخَلْقِ مَا كَانَ التَّفَرُّقُ قَطُّ فِي الْحُسْبَانِ

يعني: لولا التنافس بين الخلق في الحق، لولا هذا ما كان التفرق قط في الحسبان، ولكان الناس أمة واحدة، ولكنهم تنافسوا فتفرقوا، أو تنافسوا فاختلفوا.



* قوله رَحِمَهُ اللهُ:

٤٠٩٦- فَالرَّبُّ رَبٌّ وَاحِدٌ وَكِتَابُهُ

حَقٌّ وَفَهُمُ الْحَقِّ مِنْهُ دَانٍ

٤٠٩٧- وَرَسُولُهُ قَدْ أَوْضَحَ الْحَقَّ الْمُبِينِ

— نَ بَغَايَةِ الْإِيضَاحِ وَالتَّبَيَّانِ

٤٠٩٨- مَا نَمَّ أَوْضَحُ مِنْ عِبَارَتِهِ فَلَا

يَحْتَاجُ سَامِعَهَا إِلَى تَبَيَّانِ

٤٠٩٩- وَالتُّضْحُ مِنْهُ فَوْقَ كُلِّ نَصِيحَةٍ

- وَالْعِلْمُ مَاخُودٌ عَنِ الرَّحْمَنِ
 ٤١٠٠- فَلَايَ شَيْءٍ يَغْدِلُ الْبَاغِي الْهُدَى
 عَنِ قَوْلِهِ لَوْلَا عَمَى الْخِذْلَانِ
 ٤١٠١- فَالْتَّقُلْ عَنْهُ مُصَدِّقٌ وَالْقَوْلُ مِنْ
 ذِي عِضْمَةٍ مَا عِنْدَنَا قَوْلَانِ
 ٤١٠٢- وَالْعَكْسُ عِنْدَ سِوَاهُ فِي الْأَمْرَيْنِ يَا
 مَنْ يَهْتَدِي هَلْ يَسْتَوِي الْقَوْلَانِ
 ٤١٠٣- تَاللَّهِ قَدْ لَاحَ الصَّبَاحُ لِمَنْ لَهُ
 عَيْنَانِ نَحْوِ الْفَجْرِ نَاطِرَتَانِ
 ٤١٠٤- وَأَخُو الْعَمَايَةِ فِي عَمَائِهِ يَقُو
 لُ اللَّيْلِ بَعْدُ أَيْسَتَوِي الرَّجُلَانِ
 ٤١٠٥- تَاللَّهِ قَدْ رُفِعَتْ لَكَ الْأَعْلَامُ إِنْ
 كُنْتَ الْمُشَمَّرِ نِلْتَ دَارَ أَمَانِ
 ٤١٠٦- وَإِذَا جُبِثْتَ وَكُنْتَ كَسَلَانًا فَمَا
 حُرِّمَ الْوُضُوءَ إِلَيْهِ غَيْرُ جَبَانِ
 ٤١٠٧- أَفَدِمَ وَعَدَّ بِالْوَضْلِ نَفْسَكَ وَاهْجُرِ الْ
 مَقْطُوعَ عَنْهُ قَاطِعَ الْإِنْسَانِ
 ٤١٠٨- عَنِ نَيْلِ مَقْصِدِهِ فَذَاكَ عَدُوُّهُ
 وَلَوْ أَنَّ مِنْهُ الْقَرِيبُ الدَّانِي

(١) [٤١٠٨: ٤١٠١] قال العلامة محمد خليل هراس:

والتقل عنه صلى الله عليه وسلم ثابت بواسطة العدول الثقات الضابطين الأمناء الأثبات، وهو صلى الله عليه وسلم والصادق المصدوق المعصوم من الغواية والضلال، فلا يجهل الحق، ولا يقول خلاف ما يعلم أنه الحق، وأما غيره ممن يأخذ عنهم الناس ويقلدونهم في دين الله فهو بعكس ذلك في الأمرين جميعاً، فالتقل عنه ليس موثوقاً به لأنه نقل غير

الشَّرْحُ

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

ذكر رَحِمَهُ اللهُ في هذه القطعة أن الرب واحد - عز وجل - وكتابه حق ورسوله حق، الكتاب فهمه دان فقوله (الرب واحد) يريد بذلك أن يمنع التناقض في كلام الله؛ لأنه واحد وكتابه حق، ولو لم يكن حق لكان متناقضاً، الفهم من القرآن داني، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ [القم: ١٧]، أما الرسول فيقول أورد الحق المبين بغاية الإيضاح والتبيان.

مَآثِمٌ أَوْضَحَ عِبَارَتِهِ فَلَا يَخْتَاجُ سَامِعُهَا إِلَى تَبْيَانِ
وَالنُّصْحُ مِنْهُ فَوْقَ كُلِّ نَصِيحَةٍ وَالْعِلْمُ مَأْخُودٌ عَنِ الرَّحْمَنِ

فاجتمع في كلام الرسول - عليه الصلاة والسلام - ثلاثة أمور، أولاً: الفصاحة، فلا شيء أوضح من عبارته ولا أفصح ولا أدنى، والثاني: النصح، فهو ﷺ فوق كل ناصح، والثالث: العلم، فإذا اجتمع في الكلام تمام العلم، وتمام النصح، وتمام الفصاحة فإنه يكون كلاماً كاملاً، لا يحتاج إلى ما يكمله؛ لأن أكثر ما يعيب الكلام أن يكون الكلام رقيقاً لا يفهم المراد منه، أو أن يكون القائل به جاهلاً لا يوثق به، أو أن يكون القائل به غير ناصح لا يوثق به، هناك وصف رابع لم يذكره المؤلف وهو: الصدق، أن يكون صادقاً، فكلام الرسول اجتمع فيه الأربعة أو صاف كلها، العلم أخذه من الرحمن - من الله عز وجل -، كمال النصح، كمال الفصاحة، كمال الصدق، أفبعد هذه الأوصاف الأربعة نحتاج أن نطلب الحق من غير كلامه؟! أبداً.

يقول المؤلف - رحمه الله تعالى - إذا اتضحت هذه الأمور الثلاثة في كلام الرسول ﷺ، ونحن زدنا أمراً رابعاً وهو: الصدق، (فلأي شيء يعدل الباغي الهدى عن قوله).

قوله: (الباغي عن الهدى) يعني: الطالب الهدى، لأي شيء يعدل عن قوله، وقد اجتمع في قوله الكمالات الأربع.

عدول ولا أمناء، وهو كذلك غير معصوم من الخطأ، فقد يجهل الحق، ولا يأمن الكذب فقد يقول بغير ما يعلم أنه الحق. فو الله ليس بعد هذا البيان بيان، وقد أسفر الصبح لكل من له عينان فسيبيل الله واضحة لكل من صح نظره واستقام فكره، وأما أخو العمى فلا يزال متخبطاً في عيائه، يظن أن الليل لا يزال باقياً، فهل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون؟ تالله، قد نشرت لك أعلام الحق ونصبت لك مناراته، ولم يبق إلا أن تشمر عن ساعدك وتمضي قدماً في غير وني ولا فتور حتى تبلغ ما تشتهي في دار الأمان والحبور، أما إذا ارتديت ثياب الجبن ورضيت لنفسك أن تعيش إمعة لا تقول إلا بما يقول لك الشيوخ والرؤساء، وأثرت الكسل والقعود، فقد قضيت على نفسك بالحرمان، فإن الحرمان نصيب الكسول الجبان، فتقدم غير هياب ولا كسلان، ومن النفس بالوصال، واهجر جميع العوائق التي تقطعك وتعوقك عن بلوغ الآمال ونيل المنى والأمان، فتلك هي عدوك اللدود وإن كانت من أقرب المقربين. وأما حبيبك فهو الذي يعينك على بلوغ غرضك ويساعدك على قطع الطريق إلى ما تشتهي وتريد.

قوله: (لولا عمى الخذلان) يعني: لولا أن هذا مصاب بالعمى الذي خذله لكان لا يعدل عن قوله أبدًا.

فَالْتَقُلْ عَنْهُ مُصَدِّقٌ وَالْقَوْلُ مِنْ ذِي عِضْمَةٍ مَا عِنْدَنَا قَوْلَانِ

النقل عن الرسول -عليه الصلاة والسلام- مصدق وقوله معصوم ما عندنا في هذا قولان، أما غير الرسول، فالعكس.

وَالْعَكْسُ عِنْدَ سِوَاهُ فِي الْأَمْرَيْنِ يَا مَنْ يَهْتَدِي هَلْ يَسْتَوِي الْقَوْلَانِ

قوله: (والعكس عند سواه في الأمرين) فالنقل ليس بمصدق والخطأ ليس معصومًا منه. قوله: (يا من يهتدي هل يستوي النقلان؟) الجواب: لا يستويان.

تَاللَّهِ قَدْ لَاحَ الصَّبَاحُ لِمَنْ لَهُ عَيْنَانِ نَحْوَ الْفَجْرِ نَاطِرَتَانِ

قوله: (تالله) قسم بأنه لاح الصباح -انشقاق النور- لمن ينظر إلى الفجر، أما من نگس رأسه في الأفق فإنه لا يرى الصباح.

وَأَخُو الْعَمَايَةِ فِي عَمَاتِهِ يَقُو لُ اللَّيْلِ بَعْدُ أَيَسْتَوِي الرَّجُلَانِ

تَاللَّهِ قَدْ رُفِعَتْ لَكَ الْأَعْلَامُ إِنْ كُنْتَ الْمُشِيرَ نِلْتَ ذَارَ أَمَانِ

قوله: (الأعلام) جمع علم وهي: ما يرفع للقتال، وغير القتال ليكون دليلًا على المقصود.

وَإِذَا جُبُنْتَ وَكُنْتَ كَسَلَانًا فَمَا حُرِمَ الْوُضُوءَ إِلَيْهِ غَيْرُ جَبَانِ

يعني: أنك إذا جبت.

فَأَقْدِمْ وَعِدْ بِالْوُضُلِ نَفْسَكَ وَاهْجُرِ الْـ مَمْقُطُوعَ مِنْهُ قَاطِعَ الْإِنْسَانِ

قوله: (فأقدم) يعني تقدم، وقوله: (وعد بالوصل نفسك واهجر المقطوع منه قاطع الإنسان) يعني: أقدم ولا تتأخر وكل شيء يقطعك عن الإقدام فاهجره.

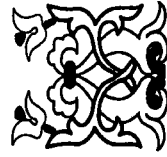
عَنْ نَيْلٍ مَقْصِدِهِ فَذَاكَ عَدُوُّهُ وَلَوْ أَنَّهُ مِنْهُ الْقَرِيبُ الدَّانِي

أي: أن كل إنسان يعوقك عن مقصده وعن اتباع الرسول -عليه الصلاة والسلام- فإنه عدو ولو كان من أقرب الناس.





عهد بين يدي الفصل



قال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللهُ:

فصل

في تيسير السير على المُنْتَبِهين

المُوحِّدين وامتناعه على المُعْطَلين والمُشْرِكين

العبد منذ عقل أمره وعرف النجدين فهو يسير إلى الدار الآخرة في ليله ونهاره وحركته وسكونه، ولكن الخلق يتفاوتون في سيرهم المستقيم وسيرهم المنحرف تفاوتًا عظيمًا، فأعظم الطريق الموصلة إلى الله وإلى كرامته وأيسرها وأسهلها وأصحها وأحسنها هي طريق المُنْتَبِهين لصفات ربهم المخلصين له في أعمالهم، فالسير إلى الله هو سير القلوب بالعقائد الصحيحة النافعة التي تملأ القلب معرفة ويقينًا وإيمانًا وإخلاصًا وقوة وطيبًا وسرورًا. ومدارها على إثبات صفات الكمال ونعوت الجلال، وتسهل على العبد الطاعات وأصناف القربات، وتورث محبة الله واللهج بذكره.

وهذه الأخلاق التي هي أعلى الأخلاق وأكملها تمنع صاحبها من وقوع المخالفات، فإن وقعت منه بادر إلى الإقلاع والتوبة والنصح، وكلما كان العبد أعرف بالله كان له أحب وله أخشى وأرجى وأطمع في فضله، وأما المعطلون فقطعوا هذا الطريق على أنفسهم وعلى السائرين، لأن المحبة تتعذر إذا لم يعرف العبد ربه، ولا يمكن أن يعرفه إلا بصفاته ونعوته فكان المعطلون محجوبين عن هذا المطلب الأعلى.

واعلم أنه لا بد للخلق أن يسألوا عن أمرين: ماذا كنتم تعبدون، وماذا أجبتم المرسلين، والجواب الصحيح عن السؤال الأول هو تجريد التوحيد عن شوائب الشرك كبيره وصغيره، وعن السؤال الثاني تجريد متابعة النبي ﷺ، وتقديم قوله وحكمه على قول غيره وحكم غيره. فنسأل المولى الذي ابتدأ بالإحسان وختم الإحسان وعلم حالة الإنسان وما هو عليه من النقصان أن يتولانا بلطفه، ويمن علينا بتوحيده الكامل، وإخلاص العمل لأجله، وتجريد متابعة نبيه، وأن لا يزيغ قلوبنا إنه هو الوهاب.



فصل

في تيسير السير إلى الله
على المثبتين الموحدين
وامتناعه على المعطلين والمشركين

٤١٠٩ - يَا قَاعِدًا سَارَتْ بِهِ أَنْفَاسُهُ

سَيْرَ الْبَرِيدِ وَلَيْسَ بِالذَّمْلَانِ

٤١١٠ - حَتَّى مَتَى هَذَا الرُّقَادُ وَقَدْ سَرَى

وَفَدُ الْمَحَبَّةِ مَعَ أَوْلِي الإِحْسَانِ

٤١١١ - وَحَدَّثَ بِهِمْ عَزَمَاتُهُمْ نَحْوَ الْعَلَا

لَا حَادِي الرُّكْبَانِ وَالْأَطْعَانِ

٤١١٢ - رَكَبُوا الْعَزَائِمَ وَاعْتَلَوْا بِظُهُورِهَا

وَسَرَوْا فَمَا حَلُّوا إِلَى نُعْمَانِ

٤١١٣ - سَارُوا زُوَيْدًا ثُمَّ جَاءُوا أَوْلَا

سَيْرَ الدَّلِيلِ يَوْمُمُ بِالرُّكْبَانِ

٤١١٤ - سَارُوا بِإِثْبَاتِ الصِّفَاتِ إِلَيْهِ لَا التَّ

تَغْيِيلِ وَالتَّخْرِيفِ وَالتَّنْكَرَانِ

٤١١٥ - عَرَفُوهُ بِالْأَوْصَافِ فَامْتَلَأَتْ قُلُوبُ

بُهُمْ لَهُ بِالْحُبِّ وَالْإِيمَانِ

٤١١٦ - فَتَطَايَرَتْ تِلْكَ الْقُلُوبُ إِلَيْهِ بِأَلْ

أَشْوَاقٍ إِذْ مُلِئَتْ مِنَ الْعِرْفَانِ

- ٤١١٧- وَأَشَدُّهُمْ حَبَالَهُ أَذْرَاهُمْ
بِصِـفَاتِهِ وَحَقَائِقِ الثَّقَرَانِ
- ٤١١٨- فَالْحُبُّ يَتَّبِعُ لِلشُّعُورِ بِقَدْرِهِ
يَقْوَى وَيَضْعُفُ ذَاكَ ذُو تَيَّيَانِ
- ٤١١٩- وَلِذَلِكَ كَانَ الْعَارِفُونَ صِفَاتِهِ
أَخْبَابَهُ هُمْ أَهْلُ هَذَا الشَّانِ
- ٤١٢٠- وَلِذَلِكَ كَانَ الْعَالِمُونَ بِرَبِّهِمْ
أَخْبَابَهُ وَبِشِرْعَةِ الْإِيْمَانِ
- ٤١٢١- وَلِذَلِكَ كَانَ الْمُتَكَبِّرُونَ لَهَا هُمْ الـ
أَعْدَاءُ حَقًّا هُمْ أَوْلُو الشَّانِ
- ٤١٢٢- وَلِذَلِكَ كَانَ الْجَاهِلُونَ بِذَا وَذَا
بُعْضَاءَهُ حَقًّا ذَوِي شَّانِ
- ٤١٢٣- وَحَيَاةُ قَلْبِ الْعَبْدِ فِي شَيْئِينَ مَنْ
يَزْرُقُهُمَا يَحْيَا مَدَى الْأَزْمَانِ
- ٤١٢٤- فِي هَذِهِ الدُّنْيَا وَفِي الْأُخْرَى يَكُو
نُ الْحَيِّ ذَا الرِّضْوَانِ وَالْإِحْسَانِ
- ٤١٢٥- ذِكْرُ الْإِلَهِ وَحُبُّهُ مِنْ غَيْرِ إِشـ
رَاكِ بِهِ وَهُمَا فَمُمْتَنِعَانِ
- ٤١٢٦- مِنْ صَاحِبِ التَّعْطِيلِ حَقًّا كَأَمْتِنَا
عِ الطَّائِرِ الْمَقْضُوصِ مِنْ طَيْرَانِ
- ٤١٢٧- أَيَجِبُهُ مَنْ كَانَ يَنْكُرُ وَضَفَّهُ
وَعُلُوَّهُ وَكَلَامَهُ بِقُرَّانِ

٤١٢٨- لَا وَالَّذِي حَقًّا عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى

مُتَكَلِّمًا بِالْوَحْيِ وَالْفَرْقَانِ

٤١٢٩- اللَّهُ أَكْبَرُ ذَاكَ فَضَّلَ اللَّهُ يَوْ

تِيهِ لِمَنْ يَرْضَى بِلَا حُسْبَانِ

٤١٣٠- وَتَرَى الْمُخَلَّفَ فِي الدِّيارِ تَقُولُ ذَا

إِخْدَى الْأَثافي خُصَّ بِالْحِزْمَانِ

٤١٣١- اللَّهُ أَكْبَرُ ذَاكَ عَذْلُ اللَّهِ يَفُ

ضِيهِ عَلَى مَنْ شَاءَ مِنْ إِنْسَانِ

٤١٣٢- وَلَهُ عَلَى هَذَا وَهَذَا الْحَمْدُ فِي أَل

أُولَى وَفِي الْأُخْرَى هُمَا حَمْدَانِ

٤١٣٣- حَمْدٌ لِذَاتِ الرَّبِّ جَلَّ جَلَالُهُ

وَكَذَاكَ حَمْدُ الْعَذْلِ وَالْإِحْسَانِ

الشَّرْحُ

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

يَا قَاعِدًا سَارَتْ بِهِ أَنْفَاسُهُ سَيْرَ الْبَرِيدِ وَلَيْسَ بِالذَّمْلَانِ

قوله: (يا قاعدا) نصبها؛ لأنها نكرة غير مقصودة والنداء إذا وُجِّهَ لنكرة غير مقصودة صار المنادى منصوبًا، فيقول: (يا قاعدا) يعني: (ياقاعدا صارت به أنفاسه سير البريد) البريد؛ كانوا فيما سبق يقيمون شخصًا يسير على الخيل إلى مسافة بريد، ثم هناك محطة فيها خيَّال آخر ينتظره يأخذ ما معه من الرسائل، ثم يعدو بها إلى بريد آخر، والبريد كان أربعة فراسخ، والفرسخ ثلاثة أميال، والميل اثني عشر ذراعًا، هذا يسمى بريدًا؛ لأنه أسرع مما لو كان السير من خيَّال واحد، وقوله (سير البريد)؛ لأنه يسرع وليس بالذهلان.

حَتَّى مَتَى هَذَا الرَّقَادُ وَقَدْ سَرَى وَفَدُ الْمَحَبَّةِ مَعِ أُولَى الْإِحْسَانِ

(حتى متى) يعني: إلى أين يبقى راقداً؟! وقد سرى وفد المحبة مع أولي الإحسان، (سروا) أي:

مشوا ليلا، ويقول الشاعر:

عند الصباح يحمد القوم السرى

قوله:

وَحَدَّثَ بِهِمْ عَزَمَاتُهُمْ نَحْوَ الْعُلَى
لَا حَادِي الرُّكْبَانِ وَالْأَطْعَانَ

يعني: أن عزماتهم حَدَّتْ بهم نحو العلى أي: الأخلاق العالية، (لا حادي الركبان والأطعان)،
الأطعان: جمع ظعن وهن النساء، وقد جرت العادة - فيما سبق - أن أهل الأسفار يَحْدُون بالإبل
التي عليها النساء؛ لأن الإبل إذا حدى الحادي صارت تمشي بسهولة وسرعة، فهي تسرع مع
سهولة المشي، وهذا معروف الحدي؛ أعني حدى الإبل.

رَكِبُوا الْعِزَائِمَ وَاعْتَلَوْا بَظُهُورَهَا
وَسَرَوْا فَمَا حَلُّوا إِلَى نَعْمَانَ

يعني: أنهم لم يهتموا بها ورائهم، وإنما ينظرون إلى ما أمامهم فهم ركبو العزائم وهي جمع
عزيمة، واعتلوا بظهورها أي: على ظهورها (وسروا فما حنوا إلى نعمان) أي: إلى بلدهم.

سَارُوا زَوِيدًا ثُمَّ جَاءُوا أَوْلَى
سِيرَ الدَّلِيلِ يَوْمَ بِالرُّكْبَانِ

قوله: (ساروا زويدا) لكنهم باستمرار في السير (جاء وأولا) كما يجيء الدليل الذي يؤم
بالركبان ويقوده.

سَارُوا بِإِثْبَاتِ الصِّفَاتِ إِلَيْهِ لَا الثَّ
تَعْطِيلِ وَالتَّحْرِيفِ وَالتَّنْكَرَانِ

من هنا عرفنا أنه يريد بها سبق، أهل السنة والجماعة الذين يشبثون الله - تعالى - الصفات لا أهل
التعطيل والتحريف والتنكران، فأهل التعطيل الذين يعطلون الله عما له من الصفات، ويعطلون
النصوص على معناها، وأهل التحريف الذين يحرفونها إلى معنى آخر، وأهل التنكران الذين
يكذبونها وهذا وصف أهل التعطيل، فهم يعطلون الله عما يجب له من الصفات ويعدون على
النصوص فيحرفونها، ويعدون على بعض النصوص فينكرونها، فما هي النصوص التي ينكرونها؟
هي أخبار الأحاد مثلاً في السنة، وأما ما لا يمكن إنكاره فيستوطن عليه بالتحريف.

عَرَفُوهُ بِالْأَوْصَافِ فَاِمْتَلَأَتْ قُلُوبُهُمْ
لَهُ بِالْحُسْبِ وَالْإِيمَانِ

(عرفوه): الضمير يعود على الله - جل وعلا - بأوصافه فامتلات قلوبهم له محبة وإيماناً به.

فَتَطَايَرَتْ تِلْكَ الْقُلُوبُ إِلَيْهِ بِالْ
أَشْوَاقِ إِذْ مَلِئَتْ مِنَ الْعِرْفَانِ

لأنه من المعلوم أنك كلما عرفت صفات الشخص وكانت هذه الصفات حميدة فإنك سوف
تسعى إلى الوصول إليه بكل ما تستطيع، هم عرفوا الله - عز وجل - بأوصاف فطارت قلوبهم
شوقاً إليه.

وَأَشَدُّهُمْ حَبًّا لَهُ أَذْرَاهُمْ بِصِفَاتِهِ وَحَقَائِقِ الْقُرْآنِ
هؤلاء هم أشدُّ الناس حبًّا لله - عز وجل - العالمون بصفاته؛ لأنه كلما علم الإنسان بصفة
ازدادت محبته للموصوف بها.

فَالْحُبُّ يَتَّبِعُ لِلشُّعُورِ بِقَدْرِهِ يَقْوَى وَيَضْعُفُ ذَاكَ دُو تَبْيَانِ
الحب مداره على شعور الإنسان لمن يحب، فإذا شعر الإنسان بصفات كاملة في المحبوب فإنه لا
بد أن يميل إليه حبًّا، حتى الأمور العادية كالطعام والشراب واللباس والمساكن، كلما شعر
الإنسان بكمال هذا الشيء إزداد حبًّا له .

وَلِذَلِكَ كَانَ الْعَارِفُونَ صِفَاتِهِ فَالضَّمِيرُ يَعُودُ عَلَى اللَّهِ.
أَحْبَابُهُ هُمْ أَهْلُ هَذَا الشَّانِ

وَلِذَلِكَ كَانَ الْعَالِمُونَ بِرَبِّهِمْ أَحْبَابَهُ وَبِشُرْعَةِ الْإِيمَانِ
وَلِذَلِكَ كَانَ الْمُتَكَبِّرُونَ لَهَا هُمْ أَلْ أَعْدَاءُ حَقًّا هُمْ أَوْلُو الشَّانِ
المتكبرون بل الجاهلون بهذه الأوصاف، هم أبعد الناس عن محبة الله؛ لأن من كان بالله أجهل،
كان منه أبعد إذ كيف يجب من لا يعرف، هذا شيء مستحيل.

وَقَوْلُهُ: (الشَّانِ)، يَعْنِي: الْبَغْضَ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ
عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا﴾ [المائدة: ٢].

وَلِذَلِكَ كَانَ الْجَاهِلُونَ بِذَا وَذَا بُغْضَاءُ حَقًّا ذَوِي شَنَاٰنِ
قوله (الجاهلون بذا وذا) يعني: الجاهلون بصفاته والجاهلون به - عز وجل - وبأحكامه هم
البغضاء حقا ذوى الشنان.

وَحَيَاةُ قَلْبِ الْعَبْدِ فِي شَيْئَيْنِ مَنْ يَزُرُّهُمَا يَحْيَا مَدَى الْأَرْزَامِ
فِي هَذِهِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَى يَكُونُ نُ الْحَيِّ ذَا الرِّضْوَانِ وَالْإِحْسَانِ
فما هما؟ يقول:

ذَكَرُ الْإِلَهِ وَحُبُّهُ مِنْ غَيْرِ إِشْرَ رَاكِ بِهِ وَهُمَا فَمُمْتَنِعَانِ

يقول إذا رزق الإنسان هذين الأمرين صار حيًّا في الدنيا والآخرة، أما في الدنيا فحياته طيبة،
وأما في الآخرة فأطيب، لقوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ
حَيٰوةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: ٩٧] يعني: في الدنيا ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾
[النحل: ٩٧] يعني: في الآخرة.

الأول: ذكر الإله، والثاني: حبه، فكلما أدام الإنسان ذكر ربه ازداد قلبه حياة، وكلما أحب الله ازداد قلبه حياة، (من غير إشراك به وهما) أي: الذكر والمحبة (فممتنعان).

مَنْ صَاحِبِ التَّعْطِيلِ حَقًّا كَأَمْتِنَا

عِ الطَّائِرِ الْمُقْضُوصِ مِنْ طَيْرَانِ

لو أنك قصصت جناحي طائر، هل يطير؟ لا يمكن إذن أهل التعطيل لا يمكن أن تمتلئ قلوبهم حباً لله، ولا يمكن أن تلهج ألسنتهم ذكراً به ما داموا معطلين، من يقرأ النصوص التي فيها الإثبات وهو لا يشبتها، إذن تكون حروفاً على ورق.

أَيُّجِبُهُ مَنْ كَانَ يُنْكِرُ وَصَفَهُ

وَعُلُوُّهُ وَكَلَامُهُ بِقُرْآنِ

لَا وَالَّذِي حَقًّا عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى

مُتَكَلِّمًا بِالْوَحْيِ وَالْفُرْقَانِ

هل يجب الله من ينكر أن الله موصوفاً بالكمال؟ أبداً، وكيف يكون يجب من لا يتصف بالكمال؟ يقول: (لا والذي حقاً على العرش استوى)، يريد أن يکید هؤلاء الذين ينكرون العلو (متكلماً بالوحي)، ويريد أن يکید هؤلاء الذين ينكرون كلامه.

اللَّهُ أَكْبَرُ ذَاكَ فَضْلُ اللَّهِ يُوْ

تِيهِ لِمَنْ يَرْضَى بِأَلَا حُسْبَانِ

ذاك المشار إليه - الذكر والمحبة - أو الإقرار بالصفات.

وَتَرَى الْمُخَلَّفَ فِي الدِّيَارِ تَقُولُ ذَا

إِخْدَى الْأَثَافِي خُصَّ بِالْحِرْمَانِ

قوله: (المخلوق في الديار) يريد بذلك الذي لم يسافر إلى الله، وقوله: (نقول ذا إحدى الأثافي) التي ينصب عليها القدر، والتي ينصب عليها القدر لا يمكن أن تزول عن مكانها؛ لأن مكان الطبخ واحد، فهم مثل أثافي حض بالحرم.

اللَّهُ أَكْبَرُ ذَاكَ عَدْلُ اللَّهِ يَقُو

ضِيهِ عَلَى مَنْ شَاءَ مِنْ إِنْسَانِ

قوله: (ذاك) المشار إليه: ما حرم من الوصول إلى الحق؛ لأنهم عدلوا عن الحق فقابلهم الله - عز وجل - بالعدل.

وَلُهُ عَلَى هَذَا وَهَذَا الْحَمْدُ فِي أَلْ

أُولَى وَفِي الْأُخْرَى هُمَا حَمْدَانِ

قوله: (وله على هذا وهذا الحمد) فعلى هذا يعني: على الفضل، وهذا يعني: العدل، الحمد في الأولى وفي الأخرى هما حمدان:

حَمْدٌ لِذَاتِ الرَّبِّ جَلَّ جَلَالُهُ

وَكَذَلِكَ حَمْدُ الْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ

إذن الله يُحمد على كماله الداني، وكماله المتعدى، كماله الذاتي هو: كمال صفاته، المتعدى هو العدل والإحسان.



* قوله رَحِمَهُ اللهُ:

- ٤١٣٤- يَا مَنْ تَعَزَّ عَلَيْهِمْ أَزْوَاحُهُمْ
وَيَرُونَ غَبْنًا بَيْعَهَا بِهَوَانٍ
- ٤١٣٥- وَيَرُونَ خُسْرَانًا مُبِينًا بَيْعَهَا
فِي إِثْرِ كُلِّ قَبِيحَةٍ وَمَهَانٍ
- ٤١٣٦- وَيَرُونَ مِيدَانَ التَّسَائِبِ بَارِزًا
أَفْيَثْرُكُونَ تَقْحُومَ الْمِيدَانِ
- ٤١٣٧- وَيَرُونَ أَنْفَاسَ الْعِبَادِ عَلَيْهِمْ
قَدْ أُخْصِيَتْ بِالْعَدِّ وَالْحُسْبَانِ
- ٤١٣٨- وَيَرُونَ أَنَّ أَمَامَهُمْ يَوْمَ اللَّقَا
لِلَّهِ مَسْأَلَتَانِ شَامِلَتَانِ
- ٤١٣٩- مَاذَا عَبَدْتُمْ ثُمَّ مَاذَا قَدْ أَجَبْتُمْ
مَنْ أَتَى بِالْحَقِّ وَالْبُرْهَانِ
- ٤١٤٠- هَيَّؤُوا جَوَابًا لِلسُّؤَالِ وَهَيَّؤُوا
أَيْضًا صَوَابًا لِلْجَوَابِ يَدَانِ
- ٤١٤١- وَتَيَقَّنُوا أَنَّ لَيْسَ يَنْجِيكُمْ سِوَى
تَجْرِيدِكُمْ لِحَقَائِقِ الْإِيمَانِ
- ٤١٤٢- تَجْرِيدِكُمْ تَوْحِيدَهُ سُبْحَانَهُ
عَنْ شِرْكَةِ الشَّيْطَانِ وَالْأَوْثَانِ
- ٤١٤٣- وَكَذَلِكَ تَجْرِيدُ اتِّبَاعِ رَسُولِهِ
عَنْ هَذِهِ الْأَرَءِ وَالْهَيْدِيَانِ

٤١٤٤ - وَاللَّهِ مَا يَنْجِي الْفَتَى مِنْ رَبِّهِ

شَيْءٌ سِوَى هَذَا بِإِلَّا زَوْغَانِ
الشَّحْ

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

في هذه القطعة وجه المؤلف رَحِمَهُ اللهُ هذا الخطاب إلى من أنفسهم عزيزة عليهم فقال:

يَا مَنْ تَعَزَّرُ عَلَيْهِمْ أَرْوَاحُهُمْ وَيَرُونَ عُنْبًا يَبْعَهَا بِهَوَانٍ

وهؤلاء هم: أحياء القلوب الذي يعز عليهم أن تهون أرواحهم، ويرون من العبن أن يبيعوها بالهوان.

وَيَرُونَ خُسْرَانًا مُبِينًا يَبْعَهَا فِي إِثْرِ كُلِّ قَبِيحَةٍ وَمُهَانٍ

يرون أيضًا من الخسران المبين أن يبيعوها في إثر كل قولة قبيحة صادرة من مهان.

وَيَرُونَ مَيْدَانَ التَّسَابِقِ بَارِزًا أَفَيْتُرْكَوْنَ تَفْحَمَ الْمَيْدَانِ

يعني: يرون أن ميدان التسابق بارزًا فيتركون تفحمن الميدان، ولكنهم يدخلونه من غير تفحمن ويدخلونه بهون حتى يصلوا إلى مرادهم.

وَيَرُونَ أَنْفَاسَ الْعِبَادِ عَلَيْهِمْ قَدْ أَحْصَيْتِ بِالْعَدِّ وَالْحُسْبَانِ

الإنسان في الحقيقة تعد عليه أنفاسه، ومن محصي نفسه؟ بل يعد عليه ما دون النفس، كل لحظة تمر به فإنها إما له وإما عليه.

وَيَرُونَ أَنَّ أَمَامَهُمْ يَوْمَ اللَّقَا لَللَّهِ مَسْأَلَتَانِ شَأْمِلَتَانِ

في هذا أخذ المؤلف بلغة من يلزم المثني الألف مطلقًا؛ لأن قوله (أن أمامهم) أمام: مصدر وهي خبر مقدم، و(مسألتان): اسم أن مؤخر، و(شاملتان) صفة لها. ويصح أن نجعل أمام: هو الاسم على إنه ليس بجر، ولكنه اسم لما كان قُدَامَ الإنسان؛ لأن هذا الأمام قد يراد به نفس المعنى؛ لأنها ظرف لشيء آخر، فيقول المؤلف جار على اللغة الفصحى.

مَاذَا عَبَدْتُمْ ثُمَّ مَاذَا قَدْ أَجَبْتُمْ مَنْ أَتَى بِالْحَقِّ وَالْبُرْهَانِ

المسألة الأولى: ماذا عبدتم؟ يعني يُسأل الإنسان يوم القيامة من عبدت؟ ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَاءِي الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ [القصص: ٦٢].

والمسألة الثانية: قوله: (ثُمَّ مَاذَا قَدْ أَجَبْتُمْ مَنْ أَتَى بِالْحَقِّ وَالْبُرْهَانِ)، وهم الرسل، يقول الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص: ٦٥] فأنت مسئول يوم القيامة عن

هاذين السؤالين، كل إنسان يسأل عن هذا، ماذا عبت؟ هل عبد الله أم هو أشرك؟ ماذا أحببت المرسلين؟ هل اتبع أم هو ابتدع؟

هَيُّوا جَوَابًا لِلسُّؤَالِ وَهَيُّوا أَيضًا صَوَابًا لِلجَوَابِ يَدَانِ

يعني: يطلب منهم شيئين: الشيء الأول الجواب، والشيء الثاني أن يكون صوابًا، أنت الآن إذا سألت التلميذ عن مسألة تطلب منه شيئين، وهما: الإجابة وأن تكون الإجابة صوابًا، ولهذا إذا سكت تقول له: أحب، وإذا أجاب السؤال خطأ قلت له أخطأت، هاتِ الصواب.

وَتَيَقَّنُوا أَنْ لَيْسَ يَنْجِيكُمْ سِوَى تَجْرِيدِكُمْ لِحَقَائِقِ الإِيمَانِ

تَجْرِيدِكُمْ تَوْجِيدهُ سُبْحَانَهُ عَنِ شِرْكَةِ الشَّيْطَانِ وَالْأَوْثَانِ

وَكَذَلِكَ تَجْرِيدُ اتِّبَاعِ رَسُولِهِ عَنِ هَذِهِ الآرَاءِ وَالْهَنْدِيَانِ

يعني: لا ينجي الإنسان إلا هذان التجريدان: التجريد الأول: تجريد العبادة، بألا يعبد إلا الله - عز وجل -، والتجريد الثاني تجريد المتابعة، بألا يتابع إلا الرسول ﷺ، ولا يجعل قوله بقول فلان وفلان، بل لا يتبع إلا رسول الله ﷺ.

وَالله مَا يَنْجِي الْفَتَى مِنْ رَبِّهِ شَيْءٌ سِوَى هَذَا بِلَا رَوْعَانِ

صدق رَحْمَتُهُ، لا ينجي الإنسان إلا الإخلاص والمتابعة.



* قوله رَحْمَتُهُ:

٤١٤٥ - يَا رَبِّ جَرِّدْ عَبْدَكَ الْمِسْكِينَ رَا

جِي الْفَضْلِ مِنْكَ وَأَضْيَعْفِ الْعُبْدَانَ

٤١٤٦ - لَمْ تَنْسَهُ وَذَكَرْتَهُ فَاجْعَلْهُ لَا

يَنْسَاكَ أَنْتَ بَدَأْتَ بِالْإِحْسَانِ

٤١٤٧ - وَبِهِ خَتَمْتَ فَكُنْتَ أَوْلَى بِالْجَمِيمِ

لِ وَبِالْتَّنَاءِ مِنَ الْجَهْلُولِ الْجَانِي

٤١٤٨ - فَالْعَبْدُ لَيْسَ يَضِيغُ بَيْنَ فَوَاحِيحِ

وَخَوَاتِيمِ مِنْ فَضْلِ ذِي الْعُفْرَانِ

٤١٤٩- أَنْتَ الْعَلِيمُ بِهِ وَقَدْ أَنْشَأْتَهُ

مِنْ تُرْبَةٍ هِيَ أضعْفُ الْأَرْكَانِ

٤١٥٠- كُلُّ عَلَيْهَا قَدْ عَلَا وَهَوَتْ إِلَى

تَحْتِ الْجَمِيعِ بِذُلَّةٍ وَهَوَانٍ

٤١٥١- وَعَلَتْ عَلَيْهَا النَّارُ حَتَّى ظَنَّ أَنْ

يَغْلُو عَلَيْهَا الْخَلْقُ مِنْ نِيرَانٍ

٤١٥٢- وَأَتَى إِلَى الْأَبْوِينَ ظَنًّا أَنَّهُ

سَيُصَيِّرُ الْأَبْوِينَ تَحْتَ دُخَانٍ

٤١٥٣- فَسَعَتْ إِلَى الْأَبْوِينَ رَحْمَتُكَ الَّتِي

وَسَعَتْهُمَا فَعَلَا بِكَ الْأَبْوَانِ^(١)

٤١٥٤- هَذَا وَنَحْنُ بَنُوهُمَا وَخُلُومُنَا

فِي جَنْبِ حِلْمِهِمَا لَدَى الْمِيزَانِ

٤١٥٥- جُزْءٌ يَسِيرٌ وَالْعَدُوُّ فَوَاحِدٌ

لَهُمَا وَأَعْدَانَا بِأَلَا حُسْبَانِ

٤١٥٦- وَالضَّعْفُ مَسْتَوٍ عَلَيْنَا مِنْ جَمِيعِ

جِهَاتِنَا سَيِّمًا مِنَ الْإِيمَانِ

٤١٥٧- يَا رَبِّ مَعْذِرَةٌ إِلَيْكَ فَلَمْ يَكُنْ

قَضْدُ الْعِبَادِ رُكُوبٌ ذَا الْعِضْيَانِ

(١) [٤١٥٣] قال العلامة محمد خليل هراس:

ثم سعى إلى الأبوين بالفتنة وحملهما على ارتكاب الزلة حين أغراهما بالأكل من الشجرة، وخيل إليه أنه أهلكهما هلاكاً لا قيامة لهما بعده، وأنه صيرهما بالغواية والمعصية تحته، ولكن أدركتها رحمة الله فجبرت كسرهما وداوت جرحهما وعلت بهما إلى مكان العزة والكرامة، فعاد اللعين مغيباً مُحَقَّقاً يُعْنِي نفسه أن يدرك من الأبناء ما فاته الآباء ﴿وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْرَاهِيمُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٢١﴾ وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ بَيْنَ سُلْطَانٍ إِلَّا لِيَعْلَمَ مَنْ يُوَفِّيهِ بِالْآخِرَةِ وَمَنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبِّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿سبأ: ٢٠، ٢١﴾.

٤١٥٨- لَكِنْ نُفُوسٌ سَوَّلَتْهُ وَغَرَّهَا

هَذَا الْعَدُوُّ لَهَا غُرُورَ أَمَانِي

٤١٥٩- فَتَيَقَّنْتَ يَا رَبِّ أَنَّكَ وَاسِعُ الْ

عُفْرَانِ ذُو فَضْلٍ وَذُو إِحْسَانِ

٤١٦٠- وَمَقَالْنَا مَا قَالَهُ الْأَبْوَانِ قَبْ

لِ مَقَالَةِ الْعَبْدِ الظَّلْمِ الْجَانِي^(١)

٤١٦١- نَحْنُ الْأَكْلَى ظَلَمُوا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرِ الذُّ

ذَنْبَ الْعَظِيمِ فَنَحْنُ ذُو خُسْرَانِ

٤١٦٢- يَا رَبِّ فَأَنْضِرْنَا عَلَى الشَّيْطَانِ لِي

سَسَ لَنَا بِهِ لَوْلَا جِمَاكَ يَدَانِ

الشَّرْحُ

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

خال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ مبتهلاً إلى الله - عز وجل -.

يَا رَبِّ جَرِّدْ عَبْدَكَ الْمُسْكِينَ رَا جِي الْفُضْلِ مِنْكَ وَأَضِيعَفِ الْعُبْدَانَ

يعني: نفسه يسأل الله - تبارك وتعالى - أن ينجيه و يصف نفسه بأنه عبد الله، والعبودية أشرف وصف يتصف به الإنسان، ولهذا يذكره الله - عز وجل - في مقام التأييد والتحمدي وبيان الفضل على الرسول - عليه الصلاة والسلام - فيقول متحدياً في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ [البقرة: ٢٣] ويقول مؤيداً في قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ﴾ [الفرقان: ١] ويقول مبيناً فضله: ﴿سُبْحٰنَ الَّذِي أَسْرٰى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا﴾ [الإسراء: ١].

كذلك أيضاً وصف نفسه بأنه مسكين بالنسبة لله، إمتثالاً لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥]، ويصف نفسه بأنه من أضعف العبدان وهذا من باب التنزل والتواضع، وإلا فإنه ليس أضعف العبدان، إذ أنه لم يتجول في عباد الله حتى

(١) [٤١٦٠] قال العلامة محمد خليل هراس:

فإنه لولا فضلك و حمايتك ما نجا من كيدِه إنسان ولا كان لأحد على التخلص من إغوائه يدان.

يعرف أنه أضعفهم.

لَمْ تَنْسَهُ وَذَكَرْتَهُ فَاجْعَلْهُ لَا يَنْسَاكَ أَنْتَ بَدَأْتَ بِالْإِحْسَانِ

هذا كلام عجيب (لم تنسه وذكرته)، فالله - عز وجل - لم ينس الإنسان، لم ينس العبد المؤمن، وذكره، بإذنا؟ أمدته بالنعم وهداه للإسلام، هذا من أعظم الذكر، كذا يقول: (فاجعله لا ينساك) يعني: كما أنك لم تنسه فاجعله لا ينساك، وهذا من باب التوسل إلى الله - تعالى - بأفعاله، والتوسل إلى الله - تعالى - بأفعاله جائز، فنحن نقول:

اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم؛ فتوسلنا بصلاته على إبراهيم أن يصلي على نبيه محمد ﷺ، والتوسل إلى الله بأفعاله من التوسل الجائز. وقوله: (وبه ختمت) يعني: وبالإحسان ختمت.

وَبِهِ خَتَمْتَ فَكُنْتُ أَوْلَى بِالْجَمِيعِ لِوَالثَّنَاءِ مِنَ الْجُهُولِ الْجَانِبِيِّ

بدأ الله للإنسان بالإحسان وختمه بالإحسان، وقال في جزاءه: ﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴾ [الرحمن: ٦٠] كأننا نحن المحسنون لأنفسنا، مع أن الله هو الذي ابتدأ بالإحسان وختم به فالعبد ليس يضيع بين فَوَاتِحِ وَخَوَاتِمِ مِنْ فَضْلِ ذِي الْعُفْرَانِ الإنسان لا يضيع بين الفضل الأول والفضل اللاحق؛ الإحسان الأول والإحسان اللاحق.

أَنْتَ الْعَلِيمُ بِهِ وَقَدْ أَنْشَأْتَهُ مِنْ تُرْبَةٍ هِيَ أَوْعَفُ الْأَرْكَانِ

يقول الله تعالى: ﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاهُ مِن تُّرَابٍ ﴾ [الحج: ٥]، فأصلنا من تراب ومرجعنا إلى التراب لقوله تعالى: ﴿ مِنهَا خَلَقْنَاهُ وَفِيهَا نُعِيدُهُمْ وَمِنهَا نُخْرِجُهُمْ تَارَةً أُخْرَى ﴾ [طه: ٥٥] المرجع النهائي - إن شاء الله تعالى - إلى السموات العلى في جنات النعيم.

كُلُّ عَلَيْهَا قَدْ عَلَا وَهَوَتْ إِلَى تَحْتَ الْجَمِيعِ بِذَلَّةٍ وَهَوَانٍ

(كل عليها قد علا) أي: علا على الأرض التي منها التراب، وهوت إلى تحت الجميع بذله وهوان.

وَعَلَتْ عَلَيْهَا النَّارُ حَتَّى ظَنَّ أَنْ يَغْلُو عَلَيْهَا الْخَلْقُ مِنْ نِيرَانٍ

النار، كما هو معروف جوهر يطير ويرتفع - كما تشهدون - والدخان يرتفع، الخلق بمعنى: المخلوق، يعني: ظن أن يعلو المخلوق من النار على المخلوق من تراب؛ لأن التراب موضوع مهان مداس بالأقدام، والنار بالعكس مرتفعة تطلب العلو، فظن أن يعلو عليها الخلق من نيران، الخلق بمعنى: المخلوق من نيران من هو؟ ابليس؛ ولهذا ارتفع واعتز بأصله، فقال: ﴿ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴾ [الأعراف: ١٢].

وَأَتَى إِلَى الْأَبْوِينَ ظَنًّا أَنَّهُ سَيَصِيرُ الْأَبْوِينَ تَحْتَ دُخَانٍ

أتى إلى الأبوين: آدم وحواء وقصته معها مشهورة ظناً منه أنه سيصيرهما تحت دخان.

فَسَعَتْ إِلَى الْأَبْوَيْنِ رَحْمَتَكَ الَّتِي وَسِعَتْهُمَا فَعَلَا بِكَ الْأَبْوَانِ

حمداً لله، رحمة الله أدركت الأبوين فعلاً برحمته، وصار ما يريده إبليس منها ممتنعاً برحمة الله.

هَذَا وَنَحْنُ بَنُوهُمَا وَحُلُومُنَا فِي جَنْبِ حِلْمِهِمَا لَدَى الْمِيزَانِ

جُزْءٌ يَسِيرٌ وَالْعَدُوُّ فَوَاحِدٌ لَهُمَا وَأَعْدَانَا بِلَا حُسْبَانِ

يعني نحن أبناءهم، وحلومنا يعني: عقولنا بالنسبة إلى عقل الأبوين جزء يسير.

جُزْءٌ يَسِيرٌ وَالْعَدُوُّ فَوَاحِدٌ لَهُمَا وَأَعْدَانَا بِلَا حُسْبَانِ

المؤلف رَحِمَهُ اللهُ يقول: حلوم آدم وحواء أقوى منا والعدو واحد، فنحن حلومنا ضعيفة وأعداؤنا كثيرة.

وَالضُّعْفُ مَسْتُوْلٌ عَلَيْنَا مِنْ جَمِيْعِ سِعِ جِهَاتِنَا سِيْمَا مِنَ الْإِيْمَانِ

الضعف مستول علينا من كل جهة لا سيما ضعف الإيمان، وإبليس متوعد لنا من كل جهة، قال الله - عز وجل -: ﴿ قَالَ فِيمَا أَعْوَبْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ [الأعراف: ١٦] يجلس على الصراط إذا أردنا أن ندخل صرفنا، وإن دخلنا حاول إخراجنا، ولهذا لم يقل ﴿ لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ قال ﴿ صِرَاطَكَ ﴾ ليشمل القعود على باب الصراط، والقعود من داخل الصراط قال تعالى: ﴿ ثُمَّ لَا يَنْبَهُهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ ﴾ [الأعراف: ١٧] ولكن لا يأتينا من فوق؛ لأن فوق رب، العالمين - عز وجل - يأتي من هذه الجهات الأربع، فإذا كان إبليس يأتينا من جميع الجهات.

يَا رَبِّ مَغْذِرَةٌ إِلَيْكَ فَلَمْ يَكُنْ قَضْدُ الْعِبَادِ رُكُوبٍ ذَا الْعِضْيَانِ

يعني: يعتذر الله - عز وجل - مما جرى منا من المعاصي التي قد لا تكون مقصودة.

لَكِنْ نَفُوسٌ سَأَلَتْهُ وَغَرَّهَا هَذَا الْعَدُوُّ لَهَا غُرُورٌ أَمَانِ

يعني: أن نفوسنا سولت لنا وزينت لنا معاصي الله، وزادها ذلك هذا العدو، الذي يسمى إبليس، فإبليس قاسم للأبوين، قاسمهما أي: بالغ في القسم لهما ﴿ إِنِّي لَكُمَا لِمِنَ النَّاصِحِينَ ﴾ [الأعراف: ٢١] فدلاهما بغرور، دلاهما أي: نزلهما من مرتبتهما العليا إلى المرتبة الدنيا بغرور بالغ، فهذا عدو قوي يقسم بأنه ناصح فدلاهما بغرور.

فَتَيَقَّنْتُ يَا رَبِّ أَنَّكَ وَاسِعُ الْغُفْرَانِ ذُو فَضْلٍ وَذُو إِحْسَانِ

يعني: بعد أن حصل ما حصل من معصية يرجع الإنسان إلى نفسه، وإلى ربه فيتيقن أن الله - تعالى - واسع الغفران، وهو ذو فضل وذو إحسان.

وَمَقَالُنَا مَا قَالَهُ الْأَبْوَانِ قَبْلَ
 لِمَقَالَةِ الْعَبْدِ الظُّلُومِ الْجَانِي

ما هي؟ قال:

نَحْنُ الْأُلَى ظَلَمُوا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرِ الذُّنُوبَ
 الْعَظِيمَةَ فَنَحْنُ ذُو خُسْرَانٍ

أتى المؤلف بالآية في المعنى الذي عبر عنه قول الله - تعالى - عن آدم وحواء: ﴿قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا
 أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣].

يَا رَبُّ فَانصُرْنَا عَلَى الشَّيْطَانِ لَيْسَ لَنَا بِهِ لَوْلَا حِمَاكَ يَدَانِ





مكلمة بين يدي الفصل



قال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللهُ:

فصل

في ظهور الفرق بين الطائفتين،
وعدم التباسه إلا على من ليس بذئ عيين

وهذا الفرق بين أهل السنة وغيرهم هو الفرق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، فأهل السنة يدعون إلى كتاب ربهم وسنة نبيهم ويتلقون أصول الدين وفروعه عنها ولا يعطلون الصفات بل يثبتونها، ومن سواهم بالعكس من ذلك يكذبون ويحرفون ويفوضون. وقد تقدم من تفاصيل فروقهم ما يكفي. ونظيره الفصل الذي بعده:



فصل

في ظهور الفرق بين الطائفتين،

وعدم التباسه إلا على مَنْ ليسَ بذِي عَيْنين

٤١٦٣- وَالْفَرْقُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ خُصُومِكُمْ

مِنْ كُلِّ وَجْهِ ثَابِتٌ بَيِّنٌ

٤١٦٤- مَا أَنْتُمْ مِنْهُمْ وَلَا هُمْ مِنْكُمْ

شَتَاتَانِ بَيْنَ السَّعْدِ وَالذَّبْرَانِ

٤١٦٥- فَإِذَا دَعَوْنَا لِلْقُرَانِ دَعَوْتُمْ

لِلرَّأْيِ أَيْنَ الرَّأْيِ مِنْ قُرْآنٍ؟

٤١٦٦- وَإِذَا دَعَوْنَا لِلْحَدِيثِ دَعَوْتُمْ

أَنْتُمْ إِلَيَّ تَقْلِيدِ قَوْلِ فُلَانٍ

٤١٦٧- وَكَذَا تَلَقَّيْنَا نُضُوصَ نَبِيِّنَا

بِقُبُولِهَا بِالْحَقِّ وَالْإِدْعَانِ

٤١٦٨- مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلَا جَحْدٍ وَلَا

تَفْوِيضِ ذِي جَهْلِ بِإِلَّا عِزْفَانِ

٤١٦٩- لَكِنْ بِإِعْرَاضٍ وَتَجْهِيلٍ وَتَأْ

وَيْلٍ تَلَقَّيْتُمْ مَعَ التُّكْرَانِ

٤١٧٠- أَنْكُرْتُمُوهَا جَهْدَكُمْ فَإِذَا أَتَى

مَا لَا سَبِيلَ لَهُ إِلَى نُكْرَانِ

٤١٧١- أَعْرَضْتُمْ عَنْهُ وَلَمْ تَسْتَنْبِطُوا

مِنْهُ هُدَى لِحَقَائِقِ الْإِيمَانِ

٤١٧٢- فَإِذَا ابْتَلَيْتُمْ مُكْرَهِينَ بِسَمْعِهَا

فَوَضُّوْهُمَا لَا عَلَى الْعِرْقَانِ

٤١٧٣- لَكِنْ بِجَهْلِ لِلَّذِي سَيَقَتْ لَهُ

تَفْوِيضِ إِعْرَاضٍ وَجَهْلِ مَعَانِ

٤١٧٤- فَإِذَا ابْتَلَيْتُمْ بِاخْتِجَاجِ خُصُومِكُمْ

أَوْ لَيْتُمْوهَا دَفَعَ ذِي صَوْلَانِ

٤١٧٥- فَالْجَحْدُ وَالْإِعْرَاضُ وَالتَّفْوِيضُ وَالتَّ

تَأْوِيلُ حَظُّ النَّصِّ عِنْدَ الْجَانِي

٤١٧٦- لَكِنْ لَدَيْنَا حَظُّهُ التَّسْلِيمُ مَعَ

حُسْنِ الْقَبُولِ وَفَهْمِ ذِي الْإِحْسَانِ^(١)

الشَّحْ

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

هذا الفصل بيّن به المؤلف طريقة المنحرفين عن طريق السلف، وأن ما بينه وبين السلف فرقاً عظيماً شاسعاً فقال:

وَالْفَرْقُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ خُصُومِكُمْ مِنْ كُلِّ وَجْهِ ثَابِتٌ بَيِّنٌ

قوله: (ثابت) خبر المبتدأ والمعنى الفرق ثابت من كل وجه.

مَا أَنْتُمْ مِنْهُمْ وَلَا هُمْ مِنْكُمْ شَتَانٌ بَيْنَ السَّعْدِ وَالذَّبْرَانِ

قوله: (شتان) أي: بعدد، (السعد) واحده السعود، وهي ثلاث: السعد الذابح، وسعد بلع، وسعد السعود، هذه ثلاثة وجوه تكون في آخر فصل الشتاء وقيل فصل الربيع، وتسمى عند عامتنا في البلد العقارب، السعد الذابح يسمونه العقرب الأولى، وسعد العقرب الثاني، وسعد السعود العقرب الثالث، ومن أمثال العرب (إذا طلع سعد السعود كره في الشمس القعود)؛ لأن الحر بدأ يأتي، أما

(١) [٤١٧٥: ٤١٧٦] قال العلامة محمد خليل هراس:

وهكذا يتم الخلاف ويستحكم بيننا وبينكم، فالجحد والإعراض والتأويل والتجهيل هو نصيب النص عندكم، أما عندنا فحظه التسليم والرضى وحسن القبول وفهم ذي الإحسان.

(الدبران) فالدبران: نجم أحمر يكون خلف الثريا، والثريا أنجم مجتمعة معروضة يخلفها ويتلوها نجم أحمر، ليس بالكبير، ولكن لونه أحمر يسمى الدبران، يسير على آثار دبرانها فلا هو مسبق ولا هو لاحق، يخاطب الثريا، إذن السعد والدبران بينهما فرق؛ لأن الدبران من نجوم الصيف، والسعد من نجوم الشتاء فيبينها فرق عظيم، فهذا هو الفرق بيننا وبينكم، ثم ذكر وجه الفرق.

فَإِذَا دَعَوْنَا لِلْقُرْآنِ دَعَوْتُمْ لِلرَّأْيِ أَيْنَ الرَّأْيِ مِنْ قُرْآنٍ

هذا فرق أم لا؟ فرق، ولهذا قال: (أين الرأي من قرآن) بينها فرق عظيم.

وَإِذَا دَعَوْنَا لِلْحَدِيثِ دَعَوْتُمْ أَنْتُمْ إِلَى تَقْلِيدِ قَوْلِ فُلَانٍ

نحن نقول تعالوا إلى قول الرسول ﷺ نقلده، وهو يقول: لا، تعالوا إلى قول الشيخ الفلاني نقلده، فهذا فرق عظيم.

وَكَذَا تَلَقَيْنَا نُصُوصَ نَبِينَا بِقُبُولِهَا بِالْحَقِّ وَالْإِذْعَانَ

يعني: تلقينا النصوص بالقبول بدون رفض، وبالإذعان، أي: بالإتيان التام لها، تصديقا لأخبارها وعملا بأحكامها.

مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلَا جَحْدٍ وَلَا تَفْوِيضٍ ذِي جَهْلِ بِلَا عِزْفَانَ

هذه ثلاث طرق يسلكها أهل البدع، التحريف حيث يحرفون الكلم عن مواضعه، مثاله: يقولون: معنى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤] ثم استولى على العرش، هذا تحريف، ويقولون: معنى قوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤] أي: بل نعمته مبسوطتان، فهذا تحريف، يقول: (ولا جحد) يعني: إنكار، والمحرف منكر للمعنى المراد مدح لغيره، فقد جمع بين أمرين، بين جحد المراد ودعواه غير المراد، فمثلا يقول: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ ليس المراد بهما اليدين الحقيقيتين بل نعمتان، جحد المعنى الأول وإذا عنى معنى آخر فجمع بين أمرين كلاهما غير مقبول (ولا تفويض) وما أدراك ما التفويض! التفويض الذي زعم الجهال أنه مذهب السلف، قالوا: إن مذهب السلف، بل قالوا أولا، قالوا: أهل السنة انقسموا إلى قسمين. مؤولة ومفوضة، المؤولة يعني: المحرفة، ومفوضة يعني: الذين إذا قيل لهم: ما معنى قول الله (استوى على العرش) قالوا: الله أعلم.

ما معنى (ما خلقت بيدي)؟ قالوا: الله أعلم.

ما معنى (ويبقى وجه ربك)؟ الله أعلم.

ما معنى (وينزل إلى السماء الدنيا)؟ الله أعلم.

وعند أهل التفويض الأنبياء يتكلمون بالكلام من صفات الله، ولا يعلمون معناها، -سبحان الله-، فهل أحد عاقل يتكلم بكلام لا يعرف معناه؟ أبداً، هم يرون الأنبياء فيما يتعلق بالصفات يتكلمون بكلام لا يدرون ما معناه، فهؤلاء هم المفوضة، ادعى الجهال بمذهب السلف أن هذا

هو مذهب السلف، ولكن شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ قَالَ فِي كِتَابِ (تَعَارُضِ الْعَقْلِ وَالنَّقْلِ):
إِنْ قَوْلُ أَهْلِ التَّفْوِيضِ مِنْ شَرِّ أَقْوَالِ أَهْلِ الْبَدْعِ وَالْإِلْحَادِ.

كَيْفَ يَدَّعِي الْمُدَّعِي أَنَّهُ وَاجِبُ الْعِلَّةِ، وَقَالَ: إِنْ هَذَا الْمَذْهَبُ هُوَ الَّذِي فَتَحَ الْأَبْوَابَ لِلْفَلَسَفَةِ
وَالْمَلْحَدَةِ؛ لِأَنَّ الْفَلَسَفَةَ وَالْمَلْحَدَةَ يَثْبُتُونَ النُّصُوصَ مَعَانِي لَكِنْ عَلَى أَهْوَائِهِمْ؛ وَمَنْ يَثْبُتَ الْمَعْنَى
خَيْرٌ مِنَ الْأَمِيِّ الَّذِي لَا يَدْرِي عَنِ الْمَعْنَى، يَكُونُ هَذَا عِنْدَهُ عِلْمٌ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ وَإِنْ كَانَ عِلْمُهُ مَبْنِي
عَلَى بَاطِلٍ، لَكِنَّ الْكَلَامَ الَّذِي يَجْعَلُ لِلْأَلْفَاظِ رُوحًا خَيْرٌ مِمَّنْ لَا يَدْرِي.

المهم أن هؤلاء المعطلة، المخالفين لمذهب السلف، يتأولون النصوص على هذا الوجه تحريف،
جحده، وتفويض ولهذا قال (ولا تفويض ذي جهل بلا عرفان)، قال تعالى: ﴿وَمَنْهُمْ أُمَّيُونَ لَا
يَعْلَمُونَ أَلْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي﴾ [البقرة: 78].

لَكِنْ بِإِعْرَاضٍ وَتَجْهِيلٍ وَتَأْ
وَبَلِّ تَلْقَيْتُمْ مَعَ التُّكْرَانِ

يعني: نحن نتلقى النصوص بالقبول والإذعان، وأنتم تلقيتموها بالإعراض والتجهيل والتأويل.
قوله: (تلقيتم مع التكران) يشير هنا إلى المفوضة، يعني يقولون: الناس يجهلون، حتى الرسول ﷺ.

أَنْكُرْتُمُوهَا جَهْدَكُمْ فَإِذَا أَتَى
مَا لَا سَبِيلَ لَهُ إِلَى نُكْرَانِ

أَعْرَضْتُمْ عَنْهُ وَلَمْ تَسْتَنْبِطُوا
مِنْهُ هُدًى لِحَقَائِقِ الْإِيمَانِ

يعني: إذا أتيتم ما لا طاقة لهم به برده أعرضوا عنه، وقالوا لنا لا تتكلم بهذا دعنا من هذا الكلام.

فَإِذَا ابْتُلِيْتُمْ مُكْرَهِينَ بِسَمْعِهَا
فَوَضُّتُمُوهَا لَا عَلَى الْعُرْفَانِ

يقولون: الله أعلم.

لَكِنْ بِجَهْلٍ لِلَّذِي سَيِّقَتْ لَهُ
تَفْوِيضَ إِعْرَاضٍ وَجَهْلٍ مَعَانِ

يعني: هم لو تأملوها لوجدوا لها معنى، لكنهم يعرضون ويقولون: الله أعلم، كما لو سألك سائل
وأنت تكره الإيمان تقول: الله أعلم، هم هكذا يقولون: إذا أحد أكرههم على الإجابة لجأوا إلى هذا.

فَإِذَا ابْتُلِيْتُمْ بِأَحْتِجَاجِ خُصُومِكُمْ
أَوْلَيْتُمُوهَا دَفْعَ ذِي صَوْلَانِ

بماذا؟ بالصرخ والشكاية إلى ولي الأمر.

فَالْجَحْدُ وَالْإِعْرَاضُ وَالتَّأْوِيلُ وَالتَّ
تَجْهِيلُ حَظُّ النَّصِّ عِنْدَ الْجَانِي

لَكِنْ لَسَدِينَا حَظُّهُ التَّسْلِيمِ مَعَ
حُسْنِ الْقَبُولِ وَفَهْمِ ذِي الْإِحْسَانِ

إِذْ ظَهَرَ الْفَرْقُ بَيْنَ الطَّرْفَيْنِ أَمْ لَا؟ ظَهَرَ الْفَرْقُ وَأَنَّ بَيْنَهُمَا كَمَا بَيْنَ السَّعْدِ وَالدَّبْرَانِ.



مَهْدٌ بَيْنَ يَدَيْهِ الْفَصْلُ

قال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللهُ:

فصل

في ظهور التفاوت بين حظ المثبتين والمعطلين من وحي رب العالمين

وذلك أنه يظهر التفاوت بين الخلق مدحاً وذنماً وحقاً وباطلاً بصفاتهم وما أخذهم وأصولهم وأخلاقهم وثمرات أعمالهم وقوة أدلتهم وضعفها. فلاهل السنة والجماعة من كلام الله الحقيقية، لا يعدلون إلى المجاز الذي وضع أخيراً. كما اتفق أهل الأصول والعلوم على ذلك في كل كلام، وغيرهم يتبعون المجازات والاحتمالات البعيدة الشاذة المخالفة للظاهر وللمعلوم من الدين بالضرورة تحقيقاً لقوله تعالى: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَأَمَّنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: 17].

وكليات أدلة أهل السنة قواطع الأدلة من الكتاب والسنة، وقواطع العقل التي اتفق العلاء على صحتها، واتباع إجماع الصحابة رضي الله عنهم والتابعين لهم بإحسان وأئمة الهدى ومصاييح الدجى، وليس للنافين منها دليل واحد، وإنما أدلتهم شبه تدل على سفاهة مبديها وضلاله، وينقض بعضها بعضاً، وإذا استدلوا فبكلام أرسطوا وابن سينا والفارابي وابن الخطيب ممن عرف انحرافهم عن الحقائق الدينية، وخير ما يستدلون به كلام أبي الحسن الأشعري مع أنهم خالفوه فيما أثبتته من العلو والاستواء على عرشه ونحو ذلك من الإثباتات التي صرح بها في كتبه (الإبلة) وغيره كما هو معروف، فخير أئمتهم خالفوه حين قال الحق وقرر الصواب ووافق أهل السنة فيه، وهذا غاية الخذلان.

وطريق أهل السنة إذا فرض التعارض بين النقل عن المعصوم وبين ما خالفه من الآراء قدموا النقل، والآخرون بالعكس. وطريق أهل السنة النفي المجمل والإثبات المفصل: ينفون عن الله أنواع النقائص والعيوب ومماثلة أحد من خلقه، ويشتون على وجه التفصيل كل ما جاء به الكتاب والسنة من صفات الله ونعوته. والمعطلون يشتون مجملاً وينفون مفصلاً: يشتون ألفاظاً مجملة لا تسمن ولا تغني من جوع، وينفون نفيًا مفصلاً لجميع الصفات والأفعال لله. فأبي الفريقين أحق باتباع الكتاب والسنة؟



فصل

في التفاوت بين حظ المثبتين
والمعطلين من وحي رب العالمين

- ٤١٧٧- وَلَنَا الْحَقِيقَةُ مِنْ كَلَامِ إِلَهِنَا
وَنَصِيحَتُكُمْ مِنْهُ الْمَجَازُ الثَّانِي
- ٤١٧٨- وَقَوَاطِعُ الْوَحْيِينَ شَاهِدَةٌ لَنَا
وَعَلَيْكُمْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَمْرَانِ؟
- ٤١٧٩- وَأَدِلَّةُ الْمَعْقُولِ شَاهِدَةٌ لَنَا
أَيْضًا فَقَاضُونَا إِلَى الْبُرْهَانِ
- ٤١٨٠- وَكَذَلِكَ فِطْرَةُ رَبِّنَا الرَّحْمَنِ شَا
هِدَةٌ لَنَا أَيْضًا شُهُودٌ بَيِّنَاتٌ
- ٤١٨١- وَكَذَلِكَ إِجْمَاعُ الصَّحَابَةِ وَالْأُلَى
تَبِعُوهُمْ بِالْعِلْمِ وَالْإِحْسَانِ
- ٤١٨٢- وَكَذَلِكَ إِجْمَاعُ الْأَئِمَّةِ بَعْدَهُمْ
هَذَا كَلَامُهُمْ بِكُلِّ مَكَانٍ
- ٤١٨٣- هَذِي الشُّهُودُ فَهَلْ لَدَيْكُمْ أَنْتُمْ
مِنْ شَاهِدٍ بِالتَّقْيِ وَالتَّكْرَانِ؟
- ٤١٨٤- وَجُنُودُنَا مَنْ قَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُمْ
وَجُنُودُكُمْ فَعَسَاكِرُ الشَّيْطَانِ
- ٤١٨٥- وَخِيَامُنَا مَضْرُوبَةٌ بِمَشَاعِرِ الْ
وَحْيِينَ مِنْ خَيْرٍ وَمِنْ قُرْآنٍ

٤١٨٦- وَخِيَامُكُمْ مَضْرُوبَةٌ فِي النَّيِّهِ فَالَسْ

سُكَّانُ كُلِّ مَلَدٍ حَيْرَانِ

٤١٨٧- هَذِي شَهَادَتُهُمْ عَلَى مَحْضُولِهِمْ

عِنْدَ الْمَمَاتِ وَقَوْلُهُمْ بِلِسَانِ

٤١٨٨- وَاللَّهِ يَشْهَدُ أَنَّهُمْ أَيْضًا كَذَّابًا

تَكْفِي شَهَادَةُ رَبِّنَا الرَّحْمَنِ

الشَّحْ

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

يقول المؤلف: (فصل في تفاوت بين حظ المثبتين والمعتلين من وحي رب العالمين) يعني: أينا أحظ هم أو نحن؟ ننظر قال:

وَلَنَا الْحَقِيقَةُ مِنْ كَلَامِ إِلَهِنَا وَنَصِييُكُمْ مِنْهُ الْمَجَازُ الثَّانِي

مثال ذلك نحن نقول: إن قول الله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤] حقيقة له يد حقيقة وهم يقولون: لا ليس له يد حقيقة، ولكن مجاز عن النعمة إذن لنا حظنا من القرآن وحظهم المجاز.

وَقَوَاطِعُ الْوَحِيِّينَ شَاهِدَةٌ لَنَا وَعَلَيْكُمْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَمْرَانِ؟

قوله: (وقواطع الوحيين شاهدة لنا وعليكم) وهذا فرق (قواطع الوحيين) الكتاب والسنة أدلتها قاطعة شاهدة لنا، أما بالنسبة لكم فهي شاهدة عليكم هل يستوي الأمران؟ لا.

وَأَدِلَّةُ الْمُعْتَقُولِ شَاهِدَةٌ لَنَا أَيْضًا فَقَاضُونَا إِلَى الْبُرْهَانِ

أَيْضًا الأدلة العقلية تحكم لنا وتشهد لنا، وإذا كنتم صادقين فقاضونا أي: نتقاضى، نحن وإياكم إلى الأدلة العقلية.

وَكَذَلِكَ فِطْرَةُ رَبِّنَا الرَّحْمَنِ شَاهِدَةٌ لَنَا أَيْضًا شُهُودَ بَيَانِ

الفطرة تشهد بما نقول ولا تشهد لكم ونضرب لهذا أوضح مثل على علو الله - عز وجل - هم ينكرون علو الله.

فالجهمية يقولون: إن الله في كل مكان في المسجد، في السوق، في المطعم ولو كانوا يشربون الدخان، وفي كل شيء فالله في مكان أقدر من ذلك - والعياذ بالله -، والمتأخرون منهم قالوا: هذا غير معقول هذا منكر ولكن الصواب: أن الله ليس فوق العالم ولا تحته ولا يمين ولا شمال ولا

متصل ولا منفصل ولا داخل العالم ولا خارج العالم؛ إذن هو عدم محض، كما قيل لبعضهم: صف لنا ربك؟ قال: هو لا داخل العالم ولا خارجه وأكثر من هذا النفي قال له السائل: ما تصف العدم بأحسن من هذا، والوصف هذا، هو العدم، لكن نحن نقول: الله - عز وجل - فوق كل شيء. والفترة السليمة تهدي إلى هذا فلو أن الإنسان لم يقرأ أي كتاب في العلو أين يطلب ربه؟ يطلبه في العلو هذا مقتضى الفترة السليمة يطلبه في العلو يقول: يا رب لا يمكن إلا إلى السماء، وإذا جودلوا وقيل لهم: أنتم تدعون الله وترفعون أيديكم قالوا: نرفع أيدينا؛ لأن السماء قبله الداعي وليس لأن الله في السماء - أعوذ بالله - قبله الداعي والمدعو تحت كيف هذا؟! - لكن نسأل الله العافية من الجهل -.

فصار الكتاب والسنة والعقل والفترة.

وَكَذَلِكَ إِجْمَاعُ الصَّحَابَةِ وَالْأَكْبَرِ
تَبِعُوهُمْ بِالْعِلْمِ وَالْإِحْسَانِ
وبذلك يصبحوا خمسة.

وَكَذَلِكَ إِجْمَاعُ الْأُئِمَّةِ بَعْدَهُمْ
هَذَا كَلَامُهُمْ بِكُلِّ مَكَانٍ
(وكذلك إجماع الأئمة بعدهم) أي: بعد التابعين (هذا كلامهم بكل مكان) يقصد: الأدلة ستة.

هَذِي الشُّهُودُ فَهَلْ لَدَيْكُمْ أَنْتُمْ
مِنْ شَاهِدٍ بِالنَّفْيِ وَالنُّكْرَانِ؟
هل أحد يشهد لكم بالطريقة التي أنتم عليها من النفي والنكران؟ الجواب، لا.

وَجُنُودُنَا مَنْ قَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُمْ
وَجُنُودُكُمْ فَعَسَاكِرُ الشَّيْطَانِ
هذا فرق فجنودنا الأنبياء، والصحابة، والتابعون، وتابعوهم بإحسان، والأئمة، أما جنودكم فعساكر الشيطان من فلاسفة اليونان والمناطق وغيرهم.

وَخِيَامُنَا مَضْرُوبَةٌ بِمَشَاعِرِ الْإِنْسَانِ
وَوَحْيِينَ مِنْ خَبَرٍ وَمِنْ قُرْآنٍ
الخيام المضروبة بالمشاعر المقدسة هي: مشاعر الوحيين من خبر ومن قرآن (الخبر) عن الرسول و(القرآن) كلام الله، وقدم الخبر على القرآن في الذكر من أجل القافية.

وَخِيَامُكُمْ مَضْرُوبَةٌ فِي التِّيهِ فَالْإِنْسَانِ
سُكَّانُ كُلِّ مُلَدِّدٍ حَيْرَانِ
(التيه): مكان غير معلوم على غير شيء، مضروبة بمكان لا يدري عنه، وتذكر ولا ينطق بها (فالسكان كل ملدد حيران).

هَذِي شَهَادَتُهُمْ عَلَى مَخْضُولِهِمْ
عِنْدَ الْمَمَاتِ وَقَوْلُهُمْ بِلِسَانِ
علماء الكلام يقولون فيهم: هم أشد الناس شكاً عند الممات؛ لأنهم ما بنوا على عقيدة وعند الممات من يفق منهم يرجع ويقول: أموت على عقيدة أُمِّي، ويقول بعضهم: أموت على عقائد

عجائز نيسابور؛ لأن كل حياته التي أمضاها لم تُفد منها شيئاً إلا كما قال كبرائهم: لم نستفد من طول عمرنا سوى أن جمعنا فيه قيل وقال.

هَذِي شَهَادَتُهُمْ عَلَى مَحْضُولِهِمْ عِنْدَ الْمَمَاتِ وَقَوْلُهُمْ بِلِسَانِ

وَاللَّهُ يَشْهَدُ أَنَّهُمْ أَيْضًا كَذًا تَكْفِي شَهَادَةُ رَبِّنَا الرَّحْمَنِ

فإن الله تعالى يقول: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴾ [١١٤] قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴿١١٥﴾ قَالَ كَذَلِكَ أَنْتَ أَيْدُنَا فَنَسِينَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ نُنْسِي ﴿ طه: ١٢٤-١٢٦] وأظن أن الفرق بينهم وبين السلف واضح جداً، فأدلة هؤلاء من كتاب الله وسنة رسوله وإجماع أهل الخير، وأما هؤلاء فبالعكس.



* قوله رَحِمَ اللَّهُ:

٤١٨٩ - وَلَنَا الْمَسَانِدُ وَالصِّحَاحُ وَهَذِهِ السُّ

سُنُنُ النَّبِيِّ نَابَتْ عَنِ الْقُرْآنِ

٤١٩٠ - وَلَكُمْ تَصَانِيفُ الْكَلَامِ وَهَذِهِ أَلْ

آرَاءُ وَهِيَ كَثِيرَةٌ الْهَدْيَانِ

٤١٩١ - شُبَّةٌ يَكْسِرُ بَعْضُهَا بَعْضًا كَيْبِ

سِتٍ مِنْ رُجَاجٍ خَرٌّ لِلْأَرْكَانِ

٤١٩٢ - هَلْ نَمَّ شَيْءٌ غَيْرَ رَأْيٍ أَوْ كَلَا

مٍ بَاطِلٍ أَوْ مَنْطِقٍ الْيُونَانِ؟

٤١٩٣ - وَتَقُولُ قَالَ اللَّهُ قَالَ رَسُولُهُ

فِي كُلِّ تَضَنُّيفٍ وَكُلِّ مَكَانِ

٤١٩٤ - لَكِنْ تَقُولُوا قَالَ أَرِشَطُوا وَقَا

لَ ابْنُ الْخَطِيبِ وَقَالَ ذُو الْعِرْقَانِ

٤١٩٥ - شَيْخٌ لَكُمْ يَدْعَى ابْنَ سَيْنَا لَمْ يَكُنْ

مُتَّقِيًّا دَا بِالْبَدِينِ وَالْإِيمَانِ

٤١٩٦- وَخِيَارُ مَا تَأْتُونَ قَالَ الْأَشْعَرِيُّ

يُ وَتَشْهُدُونَ عَلَيْهِ بِالْبُهْتَانِ

٤١٩٧- فَلِأَشْعَرِيِّ مُقَرَّرٌ لِعُلُورِ رَبِّ

بِ الْعَرْشِ فَوْقَ جَمِيعِ ذِي الْأَكْوَانِ

٤١٩٨- فِي غَايَةِ التَّقْرِيرِ بِالْمَعْقُولِ وَالْ

مَنْقُولِ ثُمَّ بِفِطْرَةِ الرَّحْمَنِ

٤١٩٩- هَذَا وَنَحْنُ فَتَارِكُو الْأَرَاءِ لِلذَّ

نْقَلِ الصَّحِيحِ وَمُخَكَّمِ الْفُرْقَانِ

٤٢٠٠- لِكِنِّكُمْ بِالْعَكْسِ قَدْ صَرَّحْتُمْ

وَوَضَعْتُمْ الْقَانُونَ ذَا الْبُهْتَانِ

٤٢٠١- وَالنَّفْيِ عِنْدَكُمْ عَلَى التَّفْصِيلِ وَالْ

إِبْتِاطِ إِجْمَالٍ بِلَا نُكْرَانِ

٤٢٠٣- وَالْمُثْبِتُونَ طَرِيقُهُمْ نَفْيِ عَلَى الْ

إِجْمَالِ وَالتَّفْصِيلِ بِالْبَيِّنَانِ

الشَّرْحُ

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

وَلَنَا الْمَسَانِدُ وَالصَّحَاحُ وَهَذِهِ السَّنَنُ الَّتِي نَابَتْ عَنِ الْقُرْآنِ

يعني: لنا أدلة وهي: (المساند) جمع مسند مثل مسند الإمام أحمد (والصحاح) جمع صحيح كالبخاري، و(السنن) جمع سنة والمراد بها: سنن النسائي وأبي داود وما أشبه ذلك فأدلتنا من سنة الرسول - عليه الصلاة والسلام - الموجودة في المسانيد والصحاح والسنن يقول: (التي نابت عن القرآن) نابت عن القرآن يعني: أنها تأتي بالتفصيل فيما يجيء به القرآن إجمالاً، وربما تأتي بحكم مستقل لا يوجد في القرآن لكن هذا الحكم المستقل الذي لم يوجد في القرآن قد أرشد القرآن إلى قبوله لقوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ [النساء: ٥٩] وقوله: ﴿وَمَا ءَأْتَكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧] وهذه الآية وإن كانت واردة في الفيه فإنه إذا كان

يجب قبول ما آتاهم من الفيء وما نهى عنهم من الفيء يجب الانتهاء عنه، فما جاء منه تشريعاً فهو من باب أولى. على كل حال السنة تنوب عن القرآن فيما يحتاج إلى تفصيل، وما أشبه ذلك. وَلَكُمْ تَصَانِيفُ الْكَلَامِ وَهَذِهِ أَلْ آراءٌ وَهِيَ كَثِيرَةٌ الْهَـذِيَانِ ففرق بين هذا وهذا.

شُبَّةٌ يَكْتَسِرُ بَعْضُهَا بَعْضًا كَبَيِّ سِ مِنْ زُجَاجٍ خَرٌّ لِلأَزْكَانِ

يعني: الذي عندكم شبه يكسر بعضها بعضاً، ولهذا تجدهم متناقضين بل تجد الواحد منهم يعلق كتباً يتناقض فيها، وهذا البيت أخذه المؤلف من بيت سابق ذكره الخطابي يقول:

حَجَجٌ تَهَافَتْ كَالزُّجَاجِ تَخَالَهَا حَقًّا وَكُلُّ كَاسِرٍ مَكْسُورٌ

يعني: حجج أهل الكلام كهذا البيت، تهافت كالزجاج وكل يكسر الآخر.

هَلْ تَمَّ شَيْءٌ غَيْرُ رَأْيٍ أَوْ كَلَا مِ بَاطِلٍ أَوْ مَنْطِقِ الْيُونَانِ؟

الجواب: لا. أما نحن فنقول: (قال الله وقال رسوله في كل تصنيف وكل مكان) نبي أقوالنا على قول الله ورسوله.

لَكِنْ تَقُولُوا قَالِ آرِشْطُوا وَقَا لَ ابْنُ الْحَطِيبِ وَقَالَ ذُو

شَيْخٍ لَكُمْ يَدْعَى ابْنَ سَيْنَا لَمْ مُتَّقِيَدًا بِالِإِيمَانِ

يعني: هؤلاء أشياخهم فلاسفة ملاحدة لا يتقيدون بإيمان ولا يتقيدون بدين وهذا بيت من عدة أبيات يصرح به ابن القيم، وكذلك شيخه بأن ابن سينا كافر خارج من الدين وإن كان عند بعض المثقفين يرى أنه مؤمن ولكن نحن نقول: إنه طبيب جيد لكنه فيما يتعلق بالأديان نرى أن الناقلين عنه الكفر كشيخ الإسلام وتلميذه وغيرهم نرى أنهم ثقات وأن شهادتهم عليه مقبولة.

وَخِيَارٌ مَا تَأْتُونَ قَالِ الأشْعَرِي ي وَتَشْهَدُونَ عَلَيْهِ بِالْبُهْتَانِ

خيار ما تأتون به أن تضيفوا أقوالكم إلى الأشعري ومع ذلك تقولون عليه بالبهتان وتكذبون عليه؛ لأن الأشعري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أبا الحسن كان في أول عمره معتزلياً وبقي على هذا أربعين سنة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مع مذهب المعتزلة معطل للصفات وله أيضاً آراء في الإيهان والقدر وما أشبه، ثم اتصل بعبد الله بن سعيد بن كلاب فعرف منه بعض الشيء المخالف للمذهب المعتزلة، فاعتنقه وخالفه في بعض الأمور وخرج ذات يوم - يوم الجمعة - وكان له منبر يعني: كرسي يتكلم فيه بعد صلاة الجمعة فوضع عمامته وقال من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا أبو الحسن الأشعري - انظر رحمة الله عليهم العلماء الأولين - يصدعون بالحق، ثم قال إنه كان على مذهب المعتزلة، والآن يقرُّ ببطولانهم وأنه مذهب باطل وجعل يفند رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ثم بعد مدة طالع كتب السلف وكتب أهل السنة

وأعجبه مذهب الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ إمام أهل السنة وصنف كتابه (الإبانة عن أصول الديانة) وصرح بأنه تابع للإمام أحمد بن حنبل وساق الأدلة على إثبات الصفات، ورد على المعتزلة ردًا بليغًا وكتابه الآن مشهور مطبوع وهم الآن الذين يتتمون إليه تعلقوا بالزمن الأوسط من حاله، فصاروا بين مذهب المعتزلة وبين أهل السنة؛ لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء.

فَالْأَشْعَرِيُّ مُقَرَّرٌ لِعُلُوِّ رَبِّ بِ الْعَرْشِ فَوْقَ جَمِيعِ ذِي الْأَكْوَانِ

وأنتم أيها المنتسبون إليه تقولون: ليس الله عالٍ فوق كل شيء، بل علوه علو معنًى وصفة لا علو ذات.

فِي غَايَةِ التَّفْرِيرِ بِالْمَعْقُولِ وَالْمَثْقُولِ ثُمَّ بِفِطْرَةِ الرَّحْمَنِ

هذه أدلة العلماء، فالمنقول هو: كتاب الله وسنة رسوله والمعقول والفظرة بقي الخامس وهو الإجماع، فالقرآن مملوء بذكر علو الله - عز وجل - فكثير من آيات القرآن فيها ذكر العلو، والسنة كذلك، فقد قرر النبي - عليه الصلاة والسلام - علو الله قولاً وفعلاً وإقراراً؛ فأقوال الرسول كثيرة جداً في إثبات علو الله في كل صلاة يقول: (سبحان ربي الأعلى) وتقريره لعلو الله بالفعل: لما خطب الأمة يوم عرفة في حجة الوداع، وقرره بتبليغه وقالوا: نشهد بأنك قد بلغت وأديت ونصحت قال: «اللهم اشهد»^(١) يرفع أصبعه إلى السماء وينكثها إلى الناس ويقول: «اللهم اشهد» هذا التقرير للعلو بالفعل، وكان ﷺ ينتظر الوحي دائماً ويرفع وجهه إلى السماء في قوله تعالى: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ﴾ [البقرة: ١٤٤] ينتظر الوحي نازلاً من رب السماء - عز وجل -.

أما إقراره غيره فجارية معاوية بن الحكم دعاها النبي - عليه الصلاة والسلام - وقال لها: «أين الله؟» قالت: في السماء^(٢) فهذه جارية ما درست ولا تعلمت، لكن اهتدت لذلك بالفترة قالت: في السماء، قال: «أعتقها فإنها مؤمنة» هؤلاء يقولون: الذي يقول الله في السماء كافر؛ لأن الله في كل مكان أو لأن الله لا في السماء ولا في الأرض ولا يمين ولا يسار، الرسول قال: «أعتقها فإنها مؤمنة»، ويذكر أنه قال لأبي عمران بن حصين: «كم إلهًا تعبد؟» قال: أعبد سبعة، ستة في الأرض وواحدًا في السماء، قال: «من تعد لرغبتك ورهبتك؟»^(٣) قال: الذي في السماء وهو كافر مشرك يعبد سبعة آلهة ستة مع الله والله واحد، أما الفترة فلا تسأل كل إنسان مفطور على علو الله حتى إن أبا المعالي الجويني رَحِمَهُ اللهُ كان يقرر ذات يوم والمشائخ الكبار في عهدهم يجعل لهم مجالس يُدرِّسون فيها للناس عموماً كان يقرر ويقول: إن الله - سبحانه وتعالى - كان ولم يكن شيء معه، وهو الآن على ما

(١) رواه البخاري (١٦٥٤)، ومسلم (١٢١٨).

(٢) رواه مسلم (٥٣٧).

(٣) رواه الترمذي (٣٤٨٣)، وضعفه الألباني رحمه الله في تعليقه على السنن.

كان عليه هذه كلمة طيبة (كان ولم يكن شيءٌ معه وهو الآن على ما كان عليه) فهو يريد أن ينكر استواء الله على العرش، يقول: كان ولا عرش وهو الآن على ما كان عليه؛ إذن لا استواء، على العرش فقال له أبو العلاء الهمداني رَحِمَهُ اللهُ: فأخبرنا عن هذه الضرورة ما قال عارفاً قط يا الله! إلا وجد من قلبه ضرورة بطلب العلو، كل واحد يقول: يا الله يجد من قلبه ارتفاع للسماء، فضرب على رأسه يصرخ ويقول: حيرني الهمداني؛ لأن الفطرة لا يمكن إنكارها أبداً ويذكر أن سليمان - عليه الصلاة والسلام - خرج ذات يوم يستسقي بالناس منع المطر عنهم فخرج يستسقي بهم، فمر بالطريق على نملة مستلقية على ظهرها رافعة قوائمها إلى السماء تقول: اللهم إنا خلق من خلقك فلا تمنع عنا رزقك - وهي نملة - فقال: ارجعوا فقد سقيتم بدعوة غيركم - الله أكبر - حشرة تدري أين ربها، ولهذا رفعت قوائمها إلى السماء.

فالمهم: أن هذه الفطرة حتى الحيوان مفطور عليها أن الله في السماء، أما الإجماع: فيقول شيخ الإسلام: إن الصحابة والسلف مجمعون على أن الله في العلو. يقول: والله يعلم أي بعد البحث التام ومطالعة ما أمكن من كلام السلف ما وجدت أحداً منهم قال: إن الله ليس في السماء ولا أن الله ليس على العرش، ولا أنه داخل العالم ولا خارجه وشيخ الإسلام تعرفون من هو في سعة العلم والاطلاع والأمانة يقول: ما وجد أحداً صرح بها في ذلك كصرف الأدلة على علو الله، فاستمعوا له في الكتاب والسنة والإجماع والعقل والفطرة، لكن العقل كيف دل على علو الله؟ نقول: من المعلوم أن العلو صفة كمال أليس كذلك؟ بلى فكلنا يعرف ذلك، وإذا كان العلو صفة كمال لزم أن يكون الله متصفاً به هذه واحدة.

ثانياً: ولأن السلطة التامة لا تكون إلا بالعلو ولهذا إذا كان عدوك يأتيك من فوق ما تستطيع أن تقابله، فهو إذن من تمام سلطان الله - عز وجل - ومن كمال صفات الله.

هَذَا وَنَحْنُ فَتَارِكُو الْأَرَاءِ لِلنَّـ ۖ نَقْلِ الصَّحِيحِ وَمُحْكَمِ الْقُرْآنِ

إذن مذهبنا تقديم النقل على العقل ونرى أن النقل هو مصدر التلقي لا سيما فيما يتعلق بأسماء الله وصفاته، ولكنكم قدمتم العقل على النقل ولا حظوا أن العقل الذي قدموه ليس عقلاً صريحاً؛ لأنه عقل مبني على الشبهات، أما العقل الصريح لا يمكن أن يخالف النقل الصحيح ولا يمكن أن يعارضه.

لِكَيْتَكُمْ بِالْعَكْسِ قَدْ صَرَّخْتُمْ ۖ وَوَضَعْتُمْ الْقَانُونَ ذَا الْبُهْتَانِ

وَالنَّفْيِ عِنْدَكُمْ عَلَى التَّفْصِيلِ وَالْإِبْتِاحِ إِجْمَالاً بِلَا نُكْرَانِ

طريقة أهل التعطيل في الصفات النفي، لئلا يشبهوا الله بالموجودات فإن أثبتوا يقولون: إن الله تعالى لا داخل العالم ولا خارجه ولا سميع ولا بصير ولا أعمى ... إلى آخره.

إذن النفي دائماً لا يثبتونه لماذا؟ قالوا: لأننا إذا أثبتنا شبهناه بالموجودات فقلنا: إذا نفيتم شبهتموه بالمعدومات فوقعتم في شرٍّ مما فررتم منه، فجاءت طائفة ثالثة قالت: إذن نسلم من الاعتراض، فلا نصفه بإثبات ولا نفي، ما نقول سميع ولا نقول غير سميع، قلنا لهم إذا قلتهم هكذا شبهتموه بالمتنعات؛ لأنه لا يوجد شيء موجود ولا معدوم ولا سميع ولا أصم ولا بصير ولا أعمى كيف هذا؟! فأهل التعطيل - والعياذ بالله - كلما فروا من شيء وقعوا في شرٍّ منه.

وَالنَّفْيُ عِنْدَكُمْ عَلَى التَّفْصِيلِ وَالْإِثْبَاتُ إِجْمَالًا بِلَا نَكْرَانَ

وَالْمُثَبِّتُونَ طَرِيقَهُمْ نَفْيَ عَلَى الْإِجْمَالِ وَالتَّفْصِيلَ بِالتَّيْيَانِ

والمتبتون وهم السلف وأتباعهم على العكس، من أهل التعطيل، يُجْمَلُونَ فِي النَفْيِ وَيُفَصِّلُونَ فِي الْإِثْبَاتِ لِمَاذَا؟ أولاً؛ لأن هذه طريقة القرآن، فكم آية ذُكِرَ بها في صفات الكمال على وجه التفصيل؟ كثير وتكاد تكون كل الآيات أو أكثرها، فكلها تفصيل لصفات الله - عز وجل - وكم آية ذكر فيها النفي إجمالاً؟ قليل تعدّها بالأصابع لا تتجاوز عشر آيات إلا فيما يتعلق بالألوهية والعبادة فهي كثيرة، نفي التفصيل قليل جداً كله إجمال، وفي النفي التفصيل قليل والإثبات تفصيله كثير؛ إذن المثبتون فصلوا في الإثبات، وأجملوا في النفي لماذا؟ أولاً؛ لأن ذلك طريقة القرآن.

ثانياً: أن التفصيل في الإثبات ثناء وتعظيم على الموصوف، والتفصيل في النفي قذح وعيب واستهزاء في الموصوف.

معقول، نضرب مثلاً: هذا إنسان قام يمدح ملكاً أمامه قال: أنت الملك الشجاع المقدم الكريم الحليم وصار يذكر من صفات الكمال ما يملأ العظام، الملك كلما ذكر صفة كمال انتفخ وزاد حتى صار كالجبل العظيم من كثرة صفات الإثبات في المدح، فجاء مسكين يقلد صاحب الإثبات ووقف أمام الملك، وقال له أيها الملك لست بكساح ولا زبال ولا دمام ولا وحش ولا حمار ولا كلب ماذا يقول هذا؟! يقول الملك اسجنوه، فهذا يمدح الملك أم لا؟ لا يمدحه أبداً هذا يذمه ويستهزي به.

إذن التفصيل في النفي حكمه دم في الحقيقة - دم للموصوف -؛ ولهذا لم يذكر الله التفصيل في النفي إلا في مسائل قليلة، إما لإبطال قول من وصفه بهذا المنفي مثل قوله تعالى: ﴿لَمْ يَكِدْ وَكَمْ يُولَدُ﴾ [الإخلاص: ٣]، وإما لتوهم نقص في كماله مثل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ [ق: ٣٨]؛ لأن الإنسان قد يتصور أن الذي خلق السموات والأرض هذه السموات العظيمة والأرض العظيمة خلقها في ستة أيام لا بد أن يتعب فقال: ﴿وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾، ربما يتجرأ العاصي على المعصية ويقول: أعصى الله في غفلة الله، فقال الله تعالى: ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٧٤] وربما يقول قائل: السموات

والأرض كلها لعب وحياة وموت فقال: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَعِينًا﴾ [الأنبياء: ١٦] فالحاصل ما تجدد النفي في صفات الله إلا على سبيل التفصيل إلا لسبب؛ إذن طريق أهل السنة والجماعة التفصيل في الإثبات والإجمال في النفي لسببين: السبب الأول: أن هذه طريقة القرآن.

السبب الثاني: أن التفصيل في الإثبات زيادة مدح وكمال، والتفصيل في النفي زيادة ذم وتنقيص وضرنا لكم مثلاً واضحاً وإياكم أن تقفوا من تحبونهم فتصفونهم بصفات نفي، فإنكم إن فعلتم ذلك فسوف يعاقبكم ويقول: ليس هذا من علامات المحبة.



* قوله رَحِمَهُ اللهُ:

٤٢٠٣ - فَتَدَبَّرُوا الْقُرْآنَ مَعَ مَنْ مِنْكُمْ

وَسَهَادَةَ الْمَبْنُوثِ بِالْقُرْآنِ

٤٢٠٤ - وَعَرَضْتُمْ قَوْلَ الرَّسُولِ عَلَى الَّذِي

قَالَ الشُّيُوخُ وَمُحَكِّمِ الْقُرْآنِ

٤٢٠٥ - فَالْمُحَكِّمِ النَّصِّ الْمُوَافِقِ قَوْلَهُمْ

لَا يَقْبَلُ التَّأْوِيلَ فِي الْأَذْهَانِ

٤٢٠٦ - لَكِنَّمَا النَّصِّ الْمُخَالِفِ قَوْلَهُمْ

مُتَشَابِهٍ مَتَّأُولٍ بِمَعَانِ

٤٢٠٧ - وَإِذَا تَأَدَّبْتُمْ تَقُولُوا مُشْكِلاً

أَفَوَاضِحٍ يَا قَوْمُ رَأَيْ فُلَانٍ

٤٢٠٨ - وَاللَّهِ لَوْ كَانَ الْمُوَافِقُ لَمْ يَكُنْ

مُتَشَابِهًا مَتَّأُولًا بِلِسَانِ

٤٢٠٩ - لَكِنِ عَرَضْنَا نَحْنُ أَقْوَالَ الشُّيُوخِ

عَلَى الَّذِي جَاءَتْ بِهِ الْوَحْيَانِ

٤٢١٠- مَا خَالَفَ النَّصِّينَ لَمْ نَعْبَأْ بِهِ

شَيْئًا وَقُلْنَا حَسْبُنَا النَّصَّانِ

٤٢١١- وَالْمُشْكِلُ الْقَوْلُ الْمُخَالِفُ عِنْدَنَا

فِي غَايَةِ الْإِشْكَالِ لَا التَّبَيُّانِ

الشَّرْحُ

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

فَتَدَبَّرُوا الْقُرْآنَ مَعَ مَنْ مِنْكُمْ مَا وَشَهَادَةَ الْمَبْعُوثِ بِالْقُرْآنِ

يعني: تدبروا كتاب الله وسنة رسوله ﷺ مع من يقصد هل هي معكم أيها النفاة أو مع المثبتين؟ ليتدبروا ذلك، فوجد أنها مع المثبتين وأن القرآن والسنة يفصلان في الإثبات ويجملان في النفي وطريقة أهل التعطيل التفصيل في النفي والإجمال في الإثبات.

وَعَرَضْتُمْ قَوْلَ الرَّسُولِ عَلَى الَّذِي قَالَ الشُّيُوخُ وَمُحَكَّمِ الْقُرْآنِ

وعرضتم أيضًا قول الله ورسوله على قول الشيوخ، فإن وافق قول الشيوخ قبلتموه وإن خالف قول الشيوخ قذفتموه؛ ولهذا قال:

فَالْمُحَكَّمُ النَّصُّ الْمُوَافِقُ قَوْلَهُمْ لَا يَقْبَلُ التَّأْوِيلَ فِي الْأَذْهَانِ

يعني: تجعلون النص الموافق لقولهم هو المحكم الذي لا يقبل التأويل وهو الواضح الذي لا يقبل الاشتباه.

لَكِنَّمَا النَّصَّ الْمُخَالَفَ قَوْلَهُمْ مُتَشَابِهَةً مُتَأَوَّلًا بِمَعَانٍ

فطريقة هؤلاء يعرضون القرآن والسنة على ما قاله الشيوخ فإن وافقا ما قال الشيوخ فهو محكم واضح لا يجتمل التأويل، وإن خالفا فهو المتشابه القابل للتأويل، وتأويل هؤلاء المعطلة عندهم يُسمى تأويلاً، وعندنا نسميه تحريفاً؛ لأنه لا دليل عليه.

وَإِذَا تَأَدَّبْتُمْ تَقُولُوا مُشْكِلٌ أَفَوَاضِحٌ يَا قَوْمُ رَأَى فُلَانٍ

(وإذا تأدبتم) يعني: إذا تأدبتم وعرفتم أن تتكلموا بلباقة لا تقولوا هذا متشابه قولوا هذا مُشْكِلٌ، (أفواضح يا قوم رأي فلان) إذا تأدبوا قالوا: مُشْكِلٌ أما إذا لم يتأدبوا قالوا: هذا متشابه.

وَاللَّهُ لَوْ كَانَ الْمُوَافِقَ لَمْ يَكُنْ مُتَشَابِهًا مُتَأَوَّلًا بِلِسَانٍ

يعني: والله لو كان النص هو الموافق لقول الشيوخ لم يكن متشابهًا، بل كان محكمًا واضحًا.

لَكِنْ عَرَضْنَا نَحْنُ أَقْوَالَ الشُّيُوخِ عَلَى الَّذِي جَاءَتْ بِهِ الْوَحْيَانِ

هذه طريقة أهل السنة المثبتين يعرضون أقوال الشيوخ على ما جاء به الوحيان.

مَا خَالَفَ النَّصِيحِينَ لَمْ نَعْبَأْ بِهِ شَيْئًا وَقُلْنَا حَسْبُنَا النَّصَانِ

قوله: (ما خالف النصين) هما الكتاب والسنة (لم نعبأ به شيئاً) يعني: لم نبال به شيئاً (وقلنا حسبنا النصان)، ونعم الحسيب (حسبنا) أي: يكفينا النصان عن آراء الرجال وهذا إذا خالف آراء الرجال النصين.

وَالْمُشْكَلُ الْقَوْلُ الْمُخَالَفُ عِنْدَنَا فِي غَايَةِ الْإِشْكَالِ لَا التَّيْيَانِ

المشكل ما هو؟ أقوال الشيوخ المخالفة للكتاب والسنة، أما الواضح عندنا فهو دلالة الكتاب والسنة.



* قوله رَحِمَهُ اللهُ:

٤٢١٢- وَالْعَزْلُ وَالْإِنْبَاءُ مَرْجِعُهُ إِلَى الْ

آرَاءِ عِنْدَكُمْ بِإِلَّا كِتْمَانِ

٤٢١٣- لَكِنْ لَدَيْنَا ذَاكَ مَرْجِعُهُ إِلَى

قَوْلِ الرَّسُولِ وَمُحْكَمِ الْقُرْآنِ

٤٢١٤- وَالْكَفْرُ وَالْإِسْلَامُ عَيْنُ خِلَافِهِ

وَوَافِقِهِ لَا غَيْرُ بِالْبُرْهَانِ

٤٢١٥- وَالْكَفْرُ عِنْدَكُمْ خِلَافُ شُيُوخِكُمْ

وَوَافِقُهُمْ فَحَقِيقَةُ الْإِيْمَانِ

٤٢١٦- هَذِي سَبِيلُكُمْ وَتِلْكَ سَبِيلُنَا

وَالْمَوْعِدُ الرَّحْمَنُ بَعْدَ زَمَانِ

٤٢١٧- وَهَنَّاكَ يَغْلَمُ أَيُّ حِزْبَيْنَا عَلَى الْ

حَقِّ الصَّرِيحِ وَفِطْرَةِ الْإِيْدِيَانِ

٤٢١٨- فَاضْبِرْ قَلِيلًا إِنَّمَا هِيَ سَاعَةٌ

وَإِذَا أَصْبَبَتْ فَفِي رِضَا الرَّحْمَنِ

٤٢١٩ - فَالْقَوْمُ مِثْلَكَ يَا لِمُونَ وَيَضْبِرُوا

نَ وَصَبْرُهُمْ فِي طَاعَةِ الشَّيْطَانِ

الشَّرْحُ

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

وَالْعَزْلُ وَالْإِبْقَاءُ مَرْجِعُهُ إِلَى الْآرَاءِ عِنْدَكُمْ بِأَلَّا كَيْتَمَانِ

يعني: القبول وهو الإبقاء والرد وهو العزل في كلام المؤلف يعني: الرد والقبول مرجعه عندكم إلى الآراء، فما وافق آراء الشيوخ فهو مقبول وما خالفها فهو مردود، فهو يبين أن المرجع عندهم آراء الرجال.

لَكِنْ لَدَيْنَا ذَلِكَ مَرْجِعُهُ إِلَى قَوْلِ الرُّسُولِ وَمُحْكَمِ الْقُرْآنِ

وفرق بين هذا وهذا بين من يرجع في أموره إلى الكتاب والسنة ومن يرجع إلى آراء الرجال.

وَالْكَفْرُ وَالْإِسْلَامُ عَيْنُ خِلَافِهِ وَوِفَاقِهِ لَا غَيْرُ بِالْبُرْهَانِ

يعني: الكفر عندنا والإسلام (عين خلافه) هذا لف ونشر مرتب: الكفر عين خلافه والإسلام عين وفاقه ففي البيت لف ونشر مرتب، فالشيخ يقول: (الكفر والإسلام عين خلافه ووفاقه) عين خلاف الكفر، ووفاقه إلى الإسلام يعني: أن الكفر عندنا مخالفة النصين قول الرسول والقرآن والإسلام موافقته لا غير، فمن وافق الكتاب والسنة، فهو مسلم ومن خالفها فهو كافر والكفر أنواع.

وَالْكَفْرُ عِنْدَكُمْ خِلَافُ شَيْوَحِكُمْ وَوِفَاقُهُمْ فَحَقِيقَةُ الْإِيْمَانِ

(والكفر عندكم خلاف شيوخكم) هذا الكفر عندكم من خالف الشيخ فهو كافر (ووفاقهم فحقيقة الإيـان) ومن وافقهم فهو مؤمن؛ إذن فرق بيننا وبينهم نحن نقول: الإيـان موافقة الكتاب والسنة، والكفر مخالفة الكتاب والسنة، وهؤلاء يقولون: الإيـان موافقة الشيوخ، والكفر مخالفة الشيوخ.

هَذِي سَبِيلُكُمْ وَتِلْكَ سَبِيلُنَا وَالْمَوْعِدُ الرَّحْمَنُ بَعْدَ زَمَانٍ

يعني يقول: هذي طريقنا وهذي طريقكم فمن يحكم بيننا؟ الله (بعد زمان) وهو يوم القيامة يحكم الله بين العباد فيما كانوا فيه يختلفون، فكما يحكم بينهم في الحقوق الخاصة كإرث المال وقتل النفس والعرض، فهو يحكم بينهم أيضًا فيما اختلفوا فيه من الحق بإذنه يقول عز وجل في سورة النساء: ﴿فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ [النساء: ١٤١]، بشرى سارة نخبرنا بأننا سنتحاكم والحق لنا يقول تعالى: ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ فبالله عليكم لو أن خصمين ذهبا إلى القاضي، وقد قال القاضي لأحدهما لن يكون لفلان عليك سبيلٌ سيذهب مستبشراً منتصراً، فالله بين أنه سيحكم بين الكافرين والمسلمين، ولن يجعل

الله للكاشرين على المؤمنين سبيلا.

وَهُنَاكَ يُعَلِّمُ أَيُّ حَزِينِنَا عَلَى الْـ حَقِّ الصَّرِيحِ وَفِطْرَةَ الدِّيَانِ

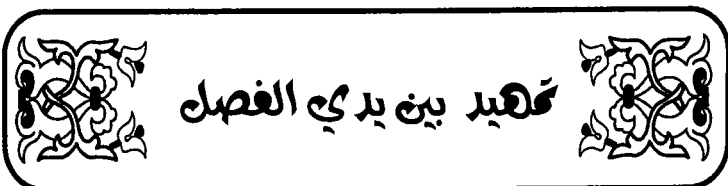
فَاصْبِرْ قَلِيلًا إِنَّمَا هِيَ سَاعَةٌ وَإِذَا أَصَبْتَ فِي رِضَا الرَّحْمَنِ

(فاصبر قليلاً) لو خالفك الناس أي: رأيت الناس على الباطل اصبر، فإنما هي ساعة من زمان مهمل طال بك الوقت ولو مئات السنين، لكننا بقيت ساعة من زمان، فإذا أصبت ففي رضا الرحمن يعني: لو اعتدوا عليك فهذا العدوان في رضا الله - عز وجل - تثاب عليه وتؤجر عليه.

فَأَلْقَوْهُ مِثْلَكَ يَا لِمُؤْمِنٍ وَيَضْرِبُوهُ نَ وَصَبْرُهُمْ فِي طَاعَةِ الشَّيْطَانِ

وأما أنت فتألم وتصبر وصبرك في طاعة الله، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ﴾ [النساء: ١٠٤] (تهنوا) يعني تضعفوا (في ابتغاء القوم) أي: في طلب الكفار، ﴿إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ﴾ [النساء: ١٠٤]، أليس كذلك؟ بلى هم بشر وأنتم بشر، ﴿وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾ [النساء: ١٠٤]، أنتم تقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت وفرق بين الأمرين وفي هذا تسلية للمؤمن إذا أصابه من الكافر ما يصيبه أن يتسلى بكلام الله عز وجل: ﴿إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾.





قال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللهُ:

فصل

في بيان الاستغناء بالوحي المنزل من السماء عن تقليد الرجال والآراء

وذلك أن الله جعل كتابه تبياناً لكل شيء، وأمر برد ما تنازع فيه الخلق من المسائل الأصولية والفروعية لله ولرسوله، وأخبر أنه أكمل لعباده الدين، فالوحي الذي هو الكتاب والسنة كفيلاً بجميع ما يحتاجه العباد في أمورهم دينهم من أصول وفروع، بل وفي أمور دنياهم، فيه بيان الأصول العظيمة بياناً منوعاً مصرفاً بأساليب متعددة، وطرق متنوعة، وفيه بيان جميع الأحكام، وفيه الإرشاد جملة وتفصيلاً إلى المنافع والمصالح الدينية والدنيوية، فيه علوم التوحيد والرسالة وتفصيلاتها بأكملها وفيه علم الأحكام في العبادات والمعاملات والأنكحة والجنائيات وغيرها، وفيه علم الجزاء وتفصيل الجزاء الدنيوي والجزاء الأخروي، وفيه بيان الأسباب ومسبباتها تفصيلاً وإجمالاً.

فالكتاب والسنة إذا تم علم العبد بهما حصل له الكفاية والشفاء والهداية في كل أبواب العلم، ولم يحتاج معها إلى رأي أو قياس إلا في بيان حكمهما واستنباط أسرارهما. وقد يخفى على العالم بعض نصوص الكتاب والسنة أو يفوته بعض معانيها فيضطر إلى القياس على قواعد الشرع وأصوله، فالقياس يضر إليه عند الاضطرار كما قاله الأئمة الشافعي وأحمد وغيرهما.

والقياس الصحيح من العدل والميزان الذي أمر الله به وهو داخل في الشريعة، وإنما ينكر منه القياس الفاسد المخالف للنص أو لأصول الشريعة، أو القياس الضعيف الذي لم يستوف شروطه. والقياس الصحيح مبني على الجمع بين التماثلين والتفريق بين المختلفين، وهذا الاستغناء المذكور بالوحي لا يتم إلا بالإقبال التام على الكتاب والسنة، وأن يكون ذلك أكبر همة طالب العلم وغاية بغيته، وأن يلغي جميع الموانع والمعارضات التي تحول بينه وبين هذا المطلوب من التعصب والتقليد الأعمى ونصرة غير الحق.

وذكر المؤلف رَحِمَهُ اللهُ حاله في طلب العلم وأنه في ابتداء أمره ما زال متقيداً بقيود التقليد، غير منطلق الفكر في العلم الصحيح، ثم إن الله يسر له بحسن قصده وشدة طلبه أن خلع القيود وأقبل على الكتاب والسنة، وحصل منها خيراً كثيراً وشرح الله صدره للهدى، واتسعت دائرة معارفه، واتضح له الفرق العظيم بين حالته الأولى والثانية، وغرض المؤلف أنه أخبر عن تجربة ومشاهدة، وليرغب في هذه الطريقة التي لا يسلكها إلا الكمل من العباد. ولكن هذه الطريقة لها شروط بينها في هذا الفصل وهو قوله:



فصل

في بيان الاستغناء بالوحي المنزل
من السماء عن تقليد الرجال والآراء

٤٢٢٠- يَا طَالِبَ الْحَقِّ الْمُبِينِ وَمُؤْتِرَا

عِلْمِ الْيَقِينِ وَصِحَّةِ الْإِيمَانِ

٤٢٢١- اَسْمَعْ مَقَالََةَ نَاصِحِ خَبِرِ الَّذِي

عِنْدَ الْوَرَى مُذْ شَبَّ حَتَّى الْآنِ

٤٢٢٢- مَا زَالَ مُذْ عَقَدْتَ يَدَاهُ إِزَارَهُ

قَدْ شَدَّ مِئْرَزَهُ إِلَى الرَّحْمَنِ

٤٢٢٣- وَتَخَلَّلُ الْفَتْرَاتِ لِلْعَزَمَاتِ أَمْ

رَ لَازِمَ لِطَبِيعَةِ الْإِنْسَانِ

٤٢٢٤- وَتَوَلَّدُ التَّقْصَانِ مِنْ فِتْرَاتِهِ

أَوْ لَيْسَ سَائِرُنَا بَنِي التَّقْصَانِ؟

٤٢٢٥- طَافَ الْمَذَاهِبَ يَبْتَغِي نُورًا لِيَهْ-

لِيَدِيهِ وَيُنْجِيهِ مِنْ التِّيْرَانِ

٤٢٢٦- وَكَأَنَّهُ قَدْ طَافَ يَبْتَغِي ظُلْمَةَ الْ-

لَيْلِ الْبُهَيْمِ وَمَذْهَبَ الْحَيْرَانِ

٤٢٢٧- وَاللَّيْلُ لَا يَزْدَادُ إِلَّا قُوَّةً

وَالصُّبْحُ مَقْهُورٌ بِذِي السُّلْطَانِ

٤٢٢٨- حَتَّى بَدَتْ فِي سَيْرِهِ نَارٌ عَلَى

طُورِ الْمَدِينَةِ مَطْلَعِ الْإِيمَانِ

- ٤٢٢٩- فَأَتَى لِيَقْبِسَهَا فَلَمْ يَمْكِنَهُ مَع
تِلْكَ الْقِيُودِ مَنَالَهَا بِأَمَانٍ
- ٤٢٣٠- لَوْلَا تَدَارَكَهُ الْإِلَهِ بِلُطْفِهِ
وَلَّى عَلَى الْعَقَبِينَ ذَا نُكْضَانٍ
- ٤٢٣١- لَكِنْ تَوَقَّفَ خَاضِعًا مُتَذَلِّلًا
مُسْتَشْعِرًا الْإِفْلَاسِ مِنْ أَمْنَانٍ
- ٤٢٣٢- فَأَتَاهُ جُنْدٌ حَلَّ عَنْهُ قِيُودَهُ
فَامْتَدَّ حَيْثُ ذَلَّ لَهُ الْبَاعَانِ
- ٤٢٣٣- وَاللَّهِ لَوْلَا أَنْ تُحَلَّ قِيُودُهُ
وَتَزُولَ عَنْهُ رِبْقَةُ الشَّيْطَانِ
- ٤٢٣٤- كَانَ الرُّقَى إِلَى الثَّرِيَا مُضْعِدًا
مِنْ دُونَ تِلْكَ النَّارِ فِي الْإِمْكَانِ
- ٤٢٣٥- فَرَأَى بِتِلْكَ النَّارِ آطَامَ الْمَدِيدِ
نَتَّةَ كَالْخِيَامِ تَشُوفُهَا الْعَيْنَانِ
- ٤٢٣٦- وَرَأَى عَلَى طُرْقَاتِهَا الْأَعْلَامِ قَدْ
نُصِبَتْ لِأَجْلِ السَّالِكِ الْحَيْرَانِ
- ٤٢٣٧- وَرَأَى هُنَالِكَ كُلَّ هَادٍ مُهْتَدٍ
يَدْعُو إِلَى الْإِيمَانِ وَالْإِيقَانِ
- ٤٢٣٨- فَهَنَّاكَ هَنَّا نَفْسَهُ مُتَذَكِّرًا
مَا قَالَهُ الْمُشْتَاقُ مُنْذُ زَمَانٍ
- ٤٢٣٩- [وَالْمُسْتَهَامُ عَلَى الْمَحَبَّةِ لَمْ يَزَلْ
حَاشَا لِذِكْرَاكُمْ مِنَ النَّسِيَانِ

٤٢٤٠- لَوْ قِيلَ مَا تَهَوَى لَقَالَ مُبَادِرًا

أَهْوَى زِيَارَتِكُمْ عَلَيَّ الْأَجْفَانِ

٤٢٤١- تَاللهِ إِنْ سَمَحَ الزَّمَانُ بِقُرْبِكُمْ

وَحَلَلْتُمْ مِنكُمْ بِالْمَحَلِّ الدَّانِي

٤٢٤٢- لِأَعْفَرَنَّ الْخَدَّ شُكْرًا فِي الشَّرَى

وَلَا كَلَنْ بَثْرِكُمْ أَجْفَانِي

الشَّرح

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

يقول المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

يَا طَالِبَ الْحَقِّ الْمُبِينِ وَمُؤَثِّرًا عِلْمَ الْيَقِينِ وَصِحَّةَ الْإِيمَانِ

يعني: يا من يطلب الحق المبين، ويؤثر علم اليقين على الشكوك والظنون التي يقولها هؤلاء الشيوخ، وصحة الإيذان على سقم الإيذان.

اسْمَعْ مَقَالََةَ نَاصِحِ خَيْرِ الَّذِي عِنْدَ الْوَرَى مُذْ شَبَّ حَتَّى الْآنِ

هو يعني بذلك: نفسه فإنه خَبَرَ الْوَرَى، أي أنه عرفهم عن خبرة.

وقوله: (مُذْ شَبَّ). يعني: منذ كان صغيرًا حتى الآن حين قال النونية هذه، قال:

مَا زَالَ مُذْ عَقَدْتُ يَدَاهُ إِزَارَهُ قَدْ شَدَّ مِئْزَرَهُ إِلَى الرَّحْمَنِ

قوله: (ما زال مذ عقدت يده إزاره). يكون ذلك حين بلغ ست سنين أو سبع سنين وما أشبه ذلك؛ لأن الصغير لا يستطيع أن يربط إزاره بل يربطه، له أمه مثلاً، لكن إذا كبر صار يشد إزاره بيده، وهو يقول هذا؛ متحدثاً بنعمة الله لا فخرًا بذلك على عباد الله.

وَتَحَلَّلُ الْفَتَرَاتِ لِلْعَزَمَاتِ أَمْ — رَّ لَازِمٌ لِطَبِيعَةِ الْإِنْسَانِ

لما أخبر أنه منذ كان صغيرًا إلى الآن وهو لا يزال يشد مئزره إلى الرحمن، واستأنف فقال: هناك فترات تعرقل الإنسان وتصدده عن عزمه، وهذا لازم لطبيعة الإنسان إذ يكون الإنسان نشيطًا في وقت ويكون كسلان في وقت آخر، وهذا شيء كل إنسان مبتلى به.

وَتَوَلَّدُ التَّقْصَانَ مِنْ فِتْرَاتِهِ أَوْ لَيْسَ سَائِرُنَا بَنِي التَّقْصَانِ

يعني: أن الإنسان إذا فتر لا بد أن ينقص علمه، ولا بد أن ينقص فهمه، ولا بد أن ينقص دينه،

إذا فتر عن طاعة الله، وهذا لا شك أنه نقص، ولكن كلنا بنو النقص.

طَافَ الْمَذَاهِبَ يَبْتَغِي نُورًا لِيَهْـ

سِدِيهِ وَيُنْجِيهِ مِنَ النَّيْرَانِ

يعني: نفسه، فإنه رَحِمَهُ اللهُ له اطلاع واسع على مذاهب العلماء، وكان أول أمره صوفيًا لولا أن منَّ الله عليه بشيخ الإسلام ابن تيمية ولازمه وانتفع بعلمه وهداه الله على يديه لضلَّ الطريق، قال:

وَكَأَنَّهُ قَدْ طَافَ يَبْتَغِي ظِلْمَةَ الْـ

لَيْلِ الْبَهِيمِ وَمَذْهَبَ الْخَيْرَانِ

يعني: مع هذا الطوفان يريد أن يهتدي للحق كأنه طاف الليل، وحتى الآن لم يهتد للنور.

وَاللَّيْلُ لَا يَزْدَادُ إِلَّا قُوَّةً

وَالصُّبْحُ مَقْهُورٌ بِذِي السُّلْطَانِ

حَتَّى بَدَتْ فِي سِيرِهِ نَارٌ عَلَى

طُورِ الْمَدِينَةِ مَطْلَعِ الْإِيمَانِ

قوله: (طور المدينة) أي: جبل، وهو السور.

قوله: (حتى بدت في سيره نار على طور المدينة مطلع الإيمان). ومعلوم أن النار إذا بدت بعد

التعب الشديد في طلبها يكون الإنسان بها أشدَّ فرحًا وأشدَّ شوقًا إليها.

فَأَتَى لِيَقْبِسَهَا فَلَمْ يُمْكِنَهُ مَعَ

تِلْكَ الْقَيْودِ مَنَالُهَا بِأَمَانِ

جاء يقبس من هذه النار لكن عليه ذنوب قيدته، فلم يستطع أن يقبس منها.

لَوْلَا تَدَارَكَهُ الْإِلَهُ بِلُطْفِهِ

وَأَلَى عَلَى الْعَقَبِينَ ذَا نُكْصَانِ

يعني: لولا أن الله تداركه بلطفه لكان حين عجز عن الاقتباس يرجع ويترك، كما يوجد بعض الناس إذا عجزوا عن تلقي الشيء لأول مرة نکص على عقبيه وتركه.

لَكِنْ تَوَقَّفَ خَاضِعًا مُتَذَلِّلًا

مُسْتَشْعِرَ الْإِفْلَاسِ مِنْ أَمْنَانِ

يعني: أنه لم ينكث، ولكن وقف لعل الله يفتح عليه.

فَأَتَاهُ جُنْدٌ حَلَّ عَنْهُ قَيْودَهُ

فَأَمْتَدَّ حَيْثُ ذَلَّ لَهُ الْبَاعَانِ

معلوم أنه إذا حلت القيود يستطيع أن يخطو خطوة الواثب ويمتد باعه.

وَاللَّهُ لَوْلَا أَنْ تُحَلَّ قَيْودُهُ

وَتَزُولَ عَنْهُ رِبْقَةُ الشَّيْطَانِ

كَانَ الرُّقَى إِلَى الثَّرِيَا مُضْعِدًا

مِنْ دُونَ تِلْكَ النَّارِ فِي الْإِمْكَانِ

يقول: لولا أن الله يسر له وحل له القيود حتى مشى لكان الرقي إلى الثريا -وهي في السماء-

أيسر من الوصول إلى هذه النار التي يريد أن يقبس منها.

فَرَأَى بِتِلْكَ النَّارِ أَطَامَ الْمَدِيدِ

سَدَنَةَ كَالْخِيَامِ تَشَوْفُهَا الْعَيْنَانِ

قوله: (أطام) جمع أطم، وهي الأماكن المرتفعة.

وَرَأَى عَلَى طُرْقَاتِهَا الْأَعْلَامَ قَدْ نُصِبَتْ لِأَجْلِ السَّالِكِ الْحَيْرَانَ

وَرَأَى هُنَالِكَ كُلَّ هَادٍ مُهْتَدٍ يَدْعُو إِلَى الْإِيمَانِ وَالْإِيْقَانِ

هذه إرشادات، طريق فيه أعلام مرشدة ترشد الإنسان المتحير، فهنا (آطام) أي: أعلام. إذن هناك علامات أرضية وعلامات بشرية؛ العلامات البشرية: هم هؤلاء الهداة المهتدون الذين يدعون إلى الله عز وجل.

فَهُنَاكَ هُنَّ أَنْفُسُهُ مُتَذَكِّرًا مَا قَالَهُ الْمُشْتَقُّ مُنْذُ زَمَانٍ

قوله: (هناك) يقصد الأعلام والآطام، وأعلام الهدى من الهداة المهتدين، (هنا نفسه متذكرا ما قاله المشتاق منذ زمان) ما الذي قاله؟ قال:

وَالْمُسْتَهَامَ عَلَى الْمَحَبَّةِ لَمْ يَزَلْ حَاشَا لِدِكْرَاكُمْ مِنَ النَّسِيَانِ

المستهام: الذي أصابه الهيام من شدة الشوق.

قوله: (لم يزل) أي: على المحبة وقوله: (حاشا) يعني: تنزيها أن أنسى ذكركم فأنا لن أنسى ذكركم.

لَوْ قِيلَ مَا تَهْوَى لَقَالَ مُبَادِرًا أَهْوَى زِيَارَتِكُمْ عَلَى الْأَجْفَانِ

إذن نيته أن يزورهم ولو على الأجفان بدلا من الأقدام، وهذا من المبالغة في محبته لزيارتهم.

تَاللَّهِ إِنْ سَمَحَ الزَّمَانُ بِقُرْبِكُمْ وَحَلَلَتْ مِنْكُمْ بِالْمَحَلِّ الدَّانِي

لَأَعْفِرَنَّ الْخَدَّ شُكْرًا فِي الثَّرَى وَلَا كَحْلَنَّ بِشُرْبِكُمْ أَجْفَانِي

هذه مبالغة جداً ولعله ينقل قول غيره، يقول: (تالله إن سمح الزمان بقربتكم). يعني: إن تيسر لي أن أقرب منكم، (وحللت منكم بالمحل الداني) وهو ديارهم، (لأعفرن الخد شكرا في الثرى) في الثرى متعلق بـ(أعفر) يعني: أعفر خدي بالتراب شكرا للوصول إلى محلاتكم، (ولأكحلن بتربتكم أجفاني) فبدلاً من أن يكحل بالكحل الذي هو الإثمد يكحل بالتراب، وهذه مبالغة للأسف.

وهو ما أراد وصف الشرك، لكن هذا يقوله العشاق في الزمن الأول، فالعشق يقتل الإنسان. فالإنسان العاشق يموت من العشق فيعشق محبوبه - مثلاً - ثم لو قالت له: اسجد لي لسجد لها، ويبالغون في بيان ما في نفوسهم من محبة اللقاء والشوق إليها لكن يقول شيخنا عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ اللهُ: إن عشق الصور ولئى، لكن جاء عشق الدنيا - عشق المال - فما ظنكم لو أنه بقي إلى وقتنا هذا لكان أجل عشقا، فالناس الآن - نسأل الله العافية - آثروا الدنيا على الآخرة؛ ولهذا لا يبالون بالحلال والحرام والربا والغش والكذب - نسأل الله السلامة.

الظاهر - والله أعلم - : أن هذه الآيات قيلت من قبله، فإن كان هو الذي قالها فنسأل الله له

العفو، ولا شك أن هذه مبالغة، لكنه يومئ إلى مسألة القبورين الذين يأتون إلى القبور ويعفرون الحدود؛ لأنه قال: (لأعفرن الحد شكرًا). والقبوريون يعفرونها؛ تعظيمًا وعبادة.



* قوله رَحِمَهُ اللهُ:

٤٢٤٣- إِنْ رُمْتَ تُبْصِرُ مَا ذَكَرْتَ فَعُضُّ طَرِّ

فَاعَنْ سِوَى الْأَنَارِ وَالْقُرْآنِ

٤٢٤٤- وَاتْرُكْ رُسُومَ الْخَلْقِ لَا تَعْبَأْ بِهَا

فِي السَّعْدِ مَا يُغْنِيكَ عَنْ دَبْرَانِ

٤٢٤٥- حَدِّقْ لِقَلْبِكَ فِي التُّصُوصِ كَمِثْلِ مَا

قَدْ حَدَّقُوا فِي الرَّأْيِ طُولَ زَمَانِ

٤٢٤٦- وَاکْحَلْ جُفُونَ الْقَلْبِ بِالْوُحْيِ وَآخِ

نَذْرَ كُخْلِهِمْ يَا كَثْرَةَ الْعُمِيَانِ

٤٢٤٧- فَاللهُ بَيْنَ فِيهِمَا طَرِيقَ الْهُدَى

لِعِبَادِهِ فِي أَحْسَنِ التَّبْيَانِ

٤٢٤٨- لَمْ يُخَوِّجِ اللهُ الْخَلَائِقَ مَعَهُمَا

لِخِيَالِ فَلَتَانِ وَرَأْيِ فُلَانِ

٤٢٤٩- فَالْوَحْيِ كَافٍ لِلَّذِي يُعْنَى بِهِ

شَافٍ لِدَاءِ جَهَالَةِ الْإِنْسَانِ

٤٢٥٠- وَتَفَاوُثُ الْعُلَمَاءِ فِي أَفْهَامِهِمْ

لِلْوَحْيِ فَوْقَ تَفَاوُثِ الْأُبْدَانِ

٤٢٥١- وَالْجَهْلُ ذَائِقَاتِلْ وَشِفَاؤُهُ

أَمْرَانِ فِي التَّرْكِيبِ مُتَّفَقَانِ

- ٤٢٥٢- نَصُّ مِنَ الْقُرْآنِ أَوْ مِنْ سُنَّةٍ
وَطَيْبُ ذَلِكَ الْعَالَمِ الرَّبَّانِي
- ٤٢٥٣- وَالْعِلْمُ أَقْسَامٌ ثَلَاثٌ مَالَهَا
مِنْ رَابِعٍ وَالْحَقُّ ذُو تَبْيَانٍ
- ٤٢٥٤- عِلْمٌ بِأَوْصَافِ الْإِلَهِ وَفِعْلِهِ
وَكَذَلِكَ الْأَسْمَاءُ لِلرَّحْمَنِ
- ٤٢٥٥- وَالْأَمْرُ وَالنَّهْيُ الَّذِي هُوَ دِينُهُ
وَجَزَاؤُهُ يَوْمَ الْمَعَادِ الثَّانِي
- ٤٢٥٦- وَالْكُلُّ فِي الْقُرْآنِ وَالشُّنَنِ الَّتِي
جَاءَتْ عَنْ الْمُبْعُوثِ بِالْقِرَانِ
- ٤٢٥٧- وَاللَّهُ مَا قَالَ أَمْرٌ وَتَحَذَلُ
بِسِوَاهُمَا إِلَّا مِنَ الْهَيْدِيَانِ
- ٤٢٥٨- إِنْ قُلْتُمْ تَقْرِيرُهُ فَمَقْرَرٌ
بِأَتَمِّ تَقْرِيرٍ مِنَ الرَّحْمَنِ
- ٤٢٥٩- أَوْ قُلْتُمْ إِيْضًا حُهُ فَمُبَيِّنٌ
بِأَتَمِّ إِيْضَاحٍ وَخَيْرِ بَيَانٍ
- ٤٢٦٠- أَوْ قُلْتُمْ إِيجَازُهُ فَهُوَ الَّذِي
فِي غَايَةِ الْإِيجَازِ وَالتَّبْيَانِ
- ٤٢٦١- أَوْ قُلْتُمْ مَعْنَاهُ هَذَا فَاقْصِدُوا
مَعْنَى الْخَطَابِ بِعَيْنِهِ وَعِيَانِ
- ٤٢٦٢- أَوْ قُلْتُمْ نَحْنُ السَّرَاجِمُ فَاقْصِدُوا الـ
مَعْنَى بِلا شَطَطٍ وَلَا نَقْصَانِ

٤٢٦٣- أَوْ قُلْتُمْ بِخِلَافِهِ فَكَلَامُكُمْ

فِي غَايَةِ الْإِنْكَارِ وَالْبُطْلَانِ
الشَّحْ

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

يقوله المؤلف:

إِنْ رُمْتَ تُبْصِرُ مَا ذَكَرْتَ فَعُضُّ طَرْ

فَأَعَنْ سَوَى الْآثَارِ وَالْقُرْآنِ

قوله: (تبصر) يعني: بعين قلبك، ما ذكرت لك من أن الوحي بقسميه: الكتاب والسنة كافيان، فغض الطرف عن سوى الآثار والقرآن أي: اترك هذه الكتب التي ليس فيها إلا الهديان والكلام الباطل.

وَأَتْرُكُ رُسُومَ الْخَلْقِ لَا تَعْبَأُ بِهَا

فِي السَّعْدِ مَا يَغْنِيكَ عَنْ دَبْرَانِ

يعني: اترك ما رسموه من كل كلام مخالف لما في الكتاب والسنة، وأما الكلام الموافق لما في الكتاب والسنة فهو من الكتاب والسنة. وقوله: (في السعد ما يغنيك عن دبران).

ذكرت سابقاً أن السعد ثلاثة: سعد الذابح، وسعد بلع، وسعد السعد، و(الدبران) ذكرت أنه نجم صغير أحمر يكون خلف الثريا، ويكون (في السعد ما يغنيك عن دبران)، وكأن ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ -أظن من كلامه- يرى أن العرب كانوا يتشاءمون بالدبران، والسعد يتفاءلون به؛ لأن السعد من السعادة، والدبران من الدبور، ففي السعد ما يغنيك عن دبران.

حَذِقْ لِقَلْبِكَ فِي النُّصُوصِ كَمِثْلِ مَا

قَدْ حَذَقُوا فِي الرَّأْيِ طُولَ زَمَانِ

قوله: (حذق لقلبك) يعني: اجعله حاذقاً في النصوص كما حذقوا هم للأراء طول زمان، والقلب إذا كان مهتماً بالوحيين -الكتاب والسنة- نال بهما مسارح الدنيا والآخرة.

وَأَكْحَلْ جُفُونَ الْقَلْبِ بِالْوَحِيِّينِ وَاحٍ

ذَرَّ كُحْلَهُمْ يَا كَثْرَةَ الْعَمِيَانِ

أي شيء يكتحلون به؟ بالأراء والهديان؛ ولهذا كثر فيهم العمى، قال: (يا كثرة العميان) أي: في الذين اكتحلوا بالأراء والهديان، أما من اكتحل بالوحي فسيكون بصيراً قوي البصر.

فَاللَّهُ بَيْنَ فِيهِمَا طُرُقَ الْهُدَى

لِعِبَادِهِ فِي أَحْسَنِ التَّبْيَانِ

الحمد لله، فقد بين الله عز وجل في القرآن والسنة عن طريق النبي ﷺ بآتم التبيان.

لَمْ يَحْجُجِ اللهُ الْخَلَائِقَ مَعَهُمَا

لِخِيَالِ فَلْتَانِ وَرَأْيِ فُلَانِ

عندنا مثل يقول: (الفليتان والبيعان)، (فلتان) مُكَبَّرٌ فُليتان؛ لأن فُليتان مصغر (الفلتان)، ومعناه: الذي لا يُعْبَأُ بكلامه، فكل كلامه مفلج لا يبني على شيء.
وقوله: (ورأي فلان) فلان يكنى به عن الرجل، فيقال: فلان وللمرأة فيقال: فلانة. يقول (لخيال فلان ورأي فلان).

فَالْوَحْيِ كَافٍ لِلَّذِي يَغْنَى بِهِ شَافٍ لِدَاءِ جَهَالَةِ الْإِنْسَانِ

يعني: إن الوحي كافٍ لمن اعتنى به، شافٍ من كل داء قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء: ٨٢].

وَتَفَاوُتُ الْعُلَمَاءِ فِي أَفْهَامِهِمُ لِلْوَحْيِ فَوْقَ تَفَاوُتِ الْأَبْدَانِ

نحن نرى أنهم يتفاوتون في الأبدان بين قصير وطويل وعريض ودقيق وغلظ ونحيف وهكذا، وهذا شيء مشاهد، وتفاوت العلماء في الأفهام أشد من تفاوتهم في الأبدان؛ ولهذا تجد بعضهم كلاً لا يعرف شيئاً وبعضهم لا يفهم ولا يحفظ وبعضهم يحفظ ويفهم، فهم أربعة أقسام: حافظ فاهم، وحافظ غير فاهم، وفاهم غير حافظ، ورابع الأقسام: لا حافظ ولا فاهم. وشر الأقسام هذا الأخير، وخير الأقسام الأول: الحافظ الفاهم، والناس يختلفون في الأفهام لا شك، فتجد آية في كتاب الله يستنبط منها بعض الناس مسائل عديدة وبعض الناس لا يعرف شيئاً، ولقد حدثناكم عن حمار الفروع؛ من هو حمار الفروع؟

حمار الفروع: رجل قد حفظ كتاب «الفروع» وهو كتاب فقه، ألفه محمد بن مفلح أحد تلاميذ شيخ الإسلام ابن تيمية الذي قال له ابن تيمية: ما أنت ابن مفلح بل أنت مفلح، وهذا الكتاب حوى جُلَّ ما قاله الفقهاء، ليس بقول الحنابلة فقط بل غير الحنابلة أيضاً مذكور فيه، فتجده مثلاً يذكر المثل ثم يقول وفاقاً للشافعي، وفاقاً لمالك، وفاقاً لأبي حنيفة، خلافاً لمالك، خلافاً للشافعي، خلافاً لأبي حنيفة، وهو كتاب يعتبر جامعاً؛ حتى إن بعضهم يسميه (مَكْنَسَةُ المذهب) يعني: كنس هذا الكتاب كل شيء، ورجل حافظ للكتاب عن ظهر قلب، وهو ثلاثة مجلدات مع التصحيح - تصحيح الفروع - وجعله القطريون ستة مجلدات.

المهم: أن هذا الرجل حافظ للكتاب عن ظهر قلب لكنه لا يفهم إطلاقاً، فكان أصحابه يخرجون به معهم كأنه كتاب، فإذا أشكل عليهم شيء قالوا: اقرأ علينا الفصل الفلاني في الباب الفلاني ثم يقرأ عليهم لا يقول ماذا قد فهمته فيه ما له به، فكان يلقب بحمار الفروع، وهذا الأمر لا شك أنه طيب لكن يقولون: إن الله عز وجل ضرب مثلاً للذين حُمِّلُوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا، فالحمار إذا حملته كتباً، هل يستفيد منها؟ لا يستفيد، فالحمار نفسه بليد، فكيف بالإنسان الذي أعطاه الله ذاكرة حافظة كهذا الرجل؟!

وَتَفَاوُتُ الْعُلَمَاءِ فِي أَفْهَامِهِمْ
إِذْ تَفَاوُتُ بَيْنَهُمْ عَظِيمٌ جَدًّا، يَقُولُ:

وَالْجَهْلُ دَاءٌ قَاتِلٌ وَشِفَاؤُهُ
وَهَذَا لَا يَنْكُرُهُ أَحَدٌ وَهُوَ أَنَّ الْجَهْلَ دَاءٌ قَاتِلٌ؛ لِأَنَّهُ لَا يَبْلُغُ الْأَعْدَاءَ مِنْ جَاهِلٍ مِثْلَمَا يَبْلُغُ الْجَاهِلُ
مِنْ نَفْسِهِ، الْجَهْلُ دَاءٌ وَمَرَضٌ قَتَالٌ وَلَكِنْ مَا شَفَاءُهُ؟ يَقُولُ: (أَمْرَانِ فِي التَّرْكِيبِ مُتَّفَقَانِ).

نَصٌّ مِنَ الْقُرْآنِ أَوْ مِنْ سُنَّةِ
هَذَا هُوَ الشِّفَاءُ: نَصٌّ مِنَ الْقُرْآنِ أَوْ مِنَ السُّنَّةِ هَذَا الدُّوَاءُ، وَالدُّوَاءُ يَحْتَاجُ إِلَى طَيِّبٍ يَصْفَهُ لِلْمَرِيضِ،
فَمِنْ هَذَا الطَّيِّبِ؟ قَالَ (وَطَيِّبُ ذَلِكَ الْعَالَمِ الرَّبَّانِيِّ). فَالْعُلَمَاءُ أَطْبَاءُ وَالدُّوَاءُ: الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ.

وَالْعِلْمُ أَقْسَامٌ ثَلَاثٌ مَالَهَا
لَمَّا ذَكَرَ الْمُؤَلِّفُ بِحَوْلِهِ أَنَّ الْجَهْلَ هُمُّ قَاتِلٌ وَأَنَّ شِفَاءَهُ فِي أَمْرَيْنِ، وَأَنَّ الْعَالِمَ طَيِّبٌ هَذَيْنِ الْأَمْرَيْنِ،
ذَكَرَ أَنَّ الْعِلْمَ ثَلَاثَةٌ أَقْسَامٌ:

عِلْمٌ بِأَوْصَافِ الْإِلَهِ وَفِعْلِهِ
قَوْلُهُ: (عِلْمٌ بِأَوْصَافِ الْإِلَهِ وَفِعْلِهِ). هَذِهِ وَاحِدَةٌ: أَنْ يَكُونَ عَالِمًا بِأَوْصَافِ اللَّهِ وَعَالِمًا بِأَفْعَالِ اللَّهِ،
وَأَفْعَالِ اللَّهِ مِنْ صِفَاتِهِ لَكِنْهَا مِنَ الصِّفَاتِ الْفِعْلِيَّةِ؛ فَالْحَيَاةُ مِثْلًا صِفَةٌ، وَالْخَالِقُ صِفَةٌ وَفِعْلٌ فَالْعِلْمُ
بِالْأَوْصَافِ الَّتِي لِلْمَوْصُوفِ أَوْ بِالْأَفْعَالِ الَّتِي هِيَ صِفَاتٌ مُتَعَدِّيَّةٌ لِغَيْرِ الْمَوْصُوفِ.
وَقَوْلُهُ: (وَكَذَلِكَ الْأَسْمَاءُ لِلرَّحْمَنِ)، كَذَلِكَ الْأَسْمَاءُ لِلرَّحْمَنِ أَوْصَافُهُ وَأَفْعَالُهُ وَأَسْمَاؤُهُ.

وَالْأَمْرُ وَالنَّهْيُ الَّذِي هُوَ دِينُهُ
وَجَزَاؤُهُ يَوْمَ الْمَعَادِ الثَّانِي

قَوْلُهُ: (وَالْأَمْرُ وَالنَّهْيُ الَّذِي هُوَ دِينُهُ) هَذَا الثَّانِي، (وَجَزَاؤُهُ يَوْمَ الْمَعَادِ الثَّانِي) هَذِهِ أَقْسَامُ
الْعُلُومِ: عِلْمٌ يَتَعَلَّقُ بِاللَّهِ عِزِّ وَجَلِّ وَأَسْمَاءُهُ وَصِفَاتُهُ وَأَفْعَالُهُ، الثَّانِي: عِلْمٌ يَتَعَلَّقُ بِبَشَرَاتِهِ، وَالثَّلَاثُ:
عِلْمٌ بِجَزَائِهِ، وَهُوَ الْعِلْمُ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا يَكُونُ فِيهِ؛ وَهَذَا قَالَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «قُلْ
هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ تُعَدَّلُ ثُلُثُ الْقُرْآنِ»^(١)؛ لِأَنَّهَا أَخْبَرَتْ عَنِ اللَّهِ وَعَنْ أَسْمَاءِهِ وَصِفَاتِهِ، وَيَبْقَى أَحْكَامُهُ
وَجَزَائِهِ وَهَذِهِ أَقْسَامُ الْعِلْمِ وَلَيْسَ لَهَا رَابِعٌ، وَالدَّلِيلُ عَلَى انْحِسَارِهَا فِي هَذِهِ الْأَقْسَامِ الثَّلَاثَةِ هُوَ
التَّبَعِيعُ، فَتَتَّبَعُ وَانظُرْ هَلْ هُنَاكَ عِلْمٌ يَخْرُجُ عَنْ هَذِهِ الثَّلَاثَةِ؟ لَا تَجِدُ؛ وَهَذَا جِزْمُ الْمُؤَلِّفِ بِأَنَّهُ لَيْسَ لَهَا
عِلْمٌ رَابِعٌ، وَهِيَ عَلَى هَذَا التَّرْتِيبِ:

الأول: العلم بأسماء الله، وصفاته وأفعاله.

الثاني: العلم بأحكامه الشرعية التي تعبدنا الله بها.

الثالث: العلم بالجزاء الذي يكون يوم القيامة.

وَالْكُلُّ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَنِ النَّبِيِّ
يعني: كل هذه الأقسام موجودة في القرآن والسنة.

وَاللَّهُ مَا قَالَ امْرُؤٌ مَّتَحَذِّقٌ بِسِوَاهُمَا إِلَّا مِنْ هُذْيَانٍ
(المتحذلق): يعني الطالب للحدق وهو الإجابة: يعني: أن الإنسان المتحذلق الذي ينسب
نفسه للحدق وليس كذلك لا يقول بسوى الكتاب والسنة إلا قول هذيان لا خير فيه ولا فائدة.

إِنْ قُلْتُمْ تَقْرِيْرُهُ فَمَقْرَرٌ بِأَتَمِّ تَقْرِيْرٍ مِنَ الرَّحْمَنِ
تقرير من؟ تقرير النبي عليه الصلاة والسلام؛ لأنه مقرر لما يقول بأتم تقرير.

أَوْ قُلْتُمْ إِضْطَاحُهُ فَمُبَيِّنٌ بِأَتَمِّ إِضْطَاحٍ وَخَيْرِ بَيَانٍ
ولا شك أن النبي عليه الصلاة والسلام هو أفصح الخلق، وأن كلامه أوضح الكلام.

أَوْ قُلْتُمْ إِجْزَاؤُهُ فَهُوَ الَّذِي فِي غَايَةِ الْإِجْزَاؤِ وَالْبَيَانِ
يعني: ليس عنده هذيان وتطويل ولف ودوران، وكلامه موجز فصيح واضح لأنه أُعْطِيَ
عليه الصلاة والسلام مفاتيح الكلم واختصر له الكلام.

أَوْ قُلْتُمْ مَعْنَاهُ هَذَا فَاقْصِدُوا مَعْنَى الْخِطَابِ بَعِيْنِهِ وَعِيَانِ
يعني: أردتم أن تعيوا في المعنى أو تطلبوا المعنى فأتم تقصدوا معنى الخطاب، فلا تقولوا:
هذا مجاز عن كذا وهذا مجاز عن كذا فتضلوا بل اقصدا المعنى بعينه.

أَوْ قُلْتُمْ نَحْنُ التَّرَاجِمُ فَاقْصِدُوا الْمَعْنَى بِلَا شَطَطٍ وَلَا نُقْصَانِ
الظاهر يعني: أن معناه (قلتم نحن التراجم) أي نص كلام الله ورسوله فإذا كنتم تدعون هذا
فاقصدا المعنى بلا شطط (أي زيادة ولا نقصان).



* قوله رَحِمَهُ:

٤٢٦٣- أَوْ قُلْتُمْ بِخِلَافِهِ فَكَلَامُكُمْ

فِي غَايَةِ الْإِنْكَارِ وَالْبُطْلَانِ

٤٢٦٤- أَوْ قُلْتُمْ قَسْنَا عَلَيْهِ نَظِيْرَهُ

فَقِيَّاسُكُمْ نَوْعَانِ مُخْتَلِفَانِ

٤٢٦٥- نَوْعٌ يَخَالِفُ نَصَّهُ فَهُوَ الْمُحَا

لُ وَذَاكَ عِنْدَ اللَّهِ ذُو بَطْلَانٍ

٤٢٦٦- وَكَلَامُنَا فِيهِ وَلَيْسَ كَلَامُنَا

فِي غَيْرِهِ أَغْنِي الْقِيَّاسَ الثَّانِي

٤٢٦٧- مَا لَا يَخَالِفُ نَصَّهُ فَالْنَّاسُ قَدْ

عَمِلُوا بِهِ فِي سَائِرِ الْأَزْمَانِ

٤٢٦٨- لَكِنَّهُ عِنْدَ الضَّرُورَةِ لَا يُصَا

رُ إِلَيْهِ إِلَّا بَعْدَ ذَا الْفُقْدَانِ

٤٢٦٩- هَذَا جَوَابُ الشَّافِعِيِّ لِأَحْمَدِ

اللَّهُ دَرَكٌ مِمَّنْ إِمَامَ زَمَانٍ

٤٢٧٠- وَاللَّهُ مَا اضْطَرَّ الْعِبَادُ إِلَيْهِ فِيهِ

مَا بَيَّنَّهُمْ مِنْ حَادِثٍ بِزَمَانٍ

٤٢٧١- فَإِذَا رَأَيْتَ النَّصَّ عَنْهُ سَاكِتًا

فُسُكُوتُهُ عَفْوٌ مِنَ الرَّحْمَنِ

٤٢٧٢- وَهُوَ الْمُبَاحُ إِبَاحَةَ الْعَفْوِ الَّذِي

مَا فِيهِ مِنْ حَرَجٍ وَلَا نُكْرَانٍ

٤٢٧٣- فَأَضِيفْ إِلَى هَذَا عُمُومَ اللَّفْظِ وَالْ

مَعْنَى وَحُسْنَ الْفَهْمِ فِي الْقُرْآنِ

٤٢٧٤- فَهَنَّاكَ تُضْبِحُ فِي غِنَى وَكِفَايَةٍ

عَنْ كُلِّ ذِي رَأْيٍ وَذِي حُسْبَانٍ

٤٢٧٥- وَمُقَدَّرَاتُ الدِّهْنِ لَمْ يَضْمَنْ لَنَا

تَبْيَانَهُمَا بِالنَّصِّ وَالْقُرْآنِ

٤٢٧٦- وَهِيَ الَّتِي فِيهَا اعْتَرَاكَ الرَّأْيُ مِنْ

تَحْتِ الْعَجَاجِ وَجَوْلَةِ الْأَذْهَانِ

الشَّرْحُ

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

يقول المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

أَوْ قُلْتُمْ بِخِلَافِهِ فَكَلَامُكُمْ فِي غَايَةِ الْإِنْكَارِ وَالْبُطْلَانِ
قوله: (أو قلتُم بخلافه). أي: بخلاف قول الرسول ﷺ (فكلامكم في غاية الإنكار
والبطلان)، يعني: كلامكم باطل منكر؛ لأن كل من خالف قول الله ورسوله فكلامه مرفوض
مردود وهو باطل منكر.

أَوْ قُلْتُمْ قَسْنَا عَلَيْهِ نَظِيرَهُ فَمِثْلُكُمْ نَوْعَانِ مُخْتَلِفَانِ
قوله: (أو قلتُم قسنا عليه نظيره فميتكم نوعان). يعني: قلتُم إننا نقيس هذا على هذا يعني:
يثبت الحكم بالقياس فنقول القياس نوعان:

نَوْعٌ يَخَالَفُ نَصَّهُ فَهُوَ الْمُخَالَفَةُ وَذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ ذُو بُطْلَانٍ
نوع يخالف النص فهذا محال أن يكون صحيحًا بل هو باطل، ويُسمى عند الأصوليين فاسد
الاعتبار، فكل قياس يخالف النص فإنه قياس باطل مردود فاسد الاعتبار.

وَكَالْمُنَافِيهِ وَلَيْسَ كَلَامُنَا فِي غَيْرِهِ أَغْنِي الْقِيَاسَ الثَّانِي
(وكلامنا فيه) أي: في القياس المخالف للنص، (وليس كلامنا في غيره أعني القياس الثاني)،
وهو ما لا يخالف نصه يعني: نحن نبطل القياس المخالف للنص، أما القياس الثاني الذي لا يخالف
النص فإننا لا ننكره.

مَا لَا يَخَالَفُ نَصَّهُ فَالْأَناسُ قَدْ عَمِلُوا بِهِ فِي سَائِرِ الْأَزْمَانِ
لِكِنَّهُ عِنْدَ الضَّرُورَةِ لَا يَصِحُّ رُؤْيَاهُ إِلَّا بَعْدَ ذَا الْفُقَدَانِ

يعني: أننا لا نصير إلى القياس إلا إذا عدنا النص أما إذا وجدنا النص فإننا في غنى عنه، لكن
إذا عدنا فإننا نقيس على غيره، فيكون القياس بالنسبة للنصوص كالميتة بالنسبة للمذكاة، متى
نأكل الميتة؟ عند الضرورة، ويكون القياس كذلك بالنسبة للنصوص بمنزلة التراب للماء، لا
نستعمله إلا إذا تعدر استعمال الماء؛ فالقياس لا يصار إليه إلا عند الضرورة، فإذا اضطررنا إليه ولم
نجد نصًا ولا إجماعًا نعتمد عليه فحينئذٍ نلجأ إلى القياس.

هَذَا جَوَابُ الشَّافِعِيِّ لِأَحْمَدٍ اللَّهُ ذُرْكَ مِنْ إِمَامِ زَمَانٍ
فالشافعي أجاب الإمام أحمد بهذا الجواب: بأن القياس لا يصار إليه إلا عند الضرورة.
ثم قال المؤلف:

وَاللَّهُ مَا اضْطَرَّ الْعِبَادُ إِلَيْهِ فِي مَا بَيْنَهُمْ مِنْ حَادِثٍ بَرَمَانَ

أي: أن النصوص كافية، ولكن لاشك أن هذا ليس على إطلاقه؛ فإن الحوادث لا تنتهي لها،
فالحوادث أحياناً تكون داخلة في العموم، ولكنه لا يسهل على بعض الناس دخولها فيذهب إلى
القياس، ودعوى أن كل مسألة بعينها يوجد حكمها في الكتاب والسنة ففي النفس منه شيء، لكن
نعم يوجد الإحالة على القياس في الكتاب والسنة، وحيث يكون لها أصل في الكتاب والسنة من
حيث إن الكتاب والسنة يرشدان على القياس الصحيح.

فَإِذَا رَأَيْتَ النَّصَّ عَنْهُ سَاكِئًا فَسُكُوتُهُ عَفْوٌ مِنَ الرَّحْمَنِ

يريد بهذا بِسْمِ اللَّهِ ما يفعله العباد من الانتفاعات والمعاملات، أما العبادات فالأصل فيها الحظر.
لكن المعاملات الأصل فيها الإباحة، والانتفاعات الأصل فيها أيضًا الإباحة، فكل شيء في
الأصل لنا الانتفاع به - قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البقرة: ٢٩] - إلا
بنص فإذا سكت الله عنه فهو مما أباحه ما سكت الله عنه فهو عفو مما أباحه.

وَهُوَ الْمُبَاحُ إِبَاحَةَ الْعَفْوِ الَّذِي مَا فِيهِ مِنْ حَرَجٍ وَلَا نُكْرَانٍ

فَأَضْفُ إِلَى هَذَا عُمُومَ اللَّفْظِ وَالْ مَعْنَى وَحُسْنَ الْفَهْمِ فِي الْقُرْآنِ

يعني: أضف إلى هذا الأصل وهو ما سكت عنه فهو عفو أضف إليه عموم اللفظ والمعنى،
فإنك ربما تجد حكم هذه الحادثة داخلاً في عموم لفظ أو في عموم معنى، والفرق بينهما؛ عموم
اللفظ: ما دل عليه اللفظ بهادته، وعموم المعنى: ما دل عليه بمعناه وهو القياس الجلي. فإن القياس
الجلي يكون فيه المقيس موافقاً للمقيس عليه في العلة، والعلة: هي المعنى الموجب للحكم؛ ولهذا
نقول: العمومات إما لفظية وهي: ما دل عليه اللفظ بهادته، وإما معنوية وهي: ما دل عليه اللفظ
بمعناه، وهذا هو القياس الجلي؛ وذلك لأن القياس الجلي يتساوى فيه الفرع والأصل؛ الفرع هو
المقيس والأصل هو المقيس عليه يتساوى يعني: في العلة، وهي: المعنى العام الموجب للحكم.
وقوله: (حسن الفهم). هذا مهم، كم من إنسان يفهم الشيء على خلاف ما أراد الله ورسوله،
فإذا وفق الإنسان لحسن الفهم مع قوة الملاحظة والذكاء فلا تسأل عن حاله.

فَهَنَّاكَ تُصْبِحُ فِي غِنَى وَكِفَايَةٍ عَنْ كُلِّ ذِي رَأْيٍ وَذِي حُسْبَانٍ

(هناك) يعني: إذا أخذت بالأصل أن الأصل الإباحة، وكذلك أيضًا أضفت إلى هذا عموم

اللفظ والمعنى تستغني بهذا عن كل ذي رأي وذي حساب.

وَمُقَدَّرَاتِ الدِّهْنِ لَمْ يَضْمَنْ لَنَا تَبَيُّنَهَا بِالنَّصِّ وَالْقُرْآنِ

(مقدرات الدهن) يعني: ما تقدرها الأذهان، والأذهان تقدرها طويلة عريضة عريضة: هل تبيان هذا القرآن مضمون لنا؟ لأن من الأمور المقدرات في العقل ما يكون الشرع ساتراً عنه فتدخل في العمومات؛ ولهذا قال ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ وغيره من العلماء: إنه لا ينبغي أن نورد الاحتمالات العقلية في الدلالات اللفظية؛ لأنك لو أوردت الاحتمالات العقلية ما استقام لك دليل قط، فكل دليل يمكن أن تورده عليه احتمالاً عقلياً، وحينئذ تضع فوائد الأدلة اللفظية، ولا شك أننا لو ذهبنا نقدر كما يوجد بعض الناس الآن - نسأل الله لنا ولهم الهداية - إذا جئت بالدليل قال: يحتمل كذا. ويقول الثاني: ويحتمل كذا. وإذا قلنا يحتمل كذا ويحتمل كذا كيف تكون الدلالة؟ تبطل لاي ولا له؛ لأنك إذا قلت يحتمل كذا وأنا أقول يحتمل كذا، وثالث يقول يحتمل كذا فبأي شيء نستدل؟

فلا بد كما قال رَحِمَهُ اللهُ من أخذ اللفظ على ظاهره كما أخذه الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، واستغنوا عن التكلف والتنطع؛ ولهذا قال النبي عليه الصلاة والسلام كلمة حقيقة أنها تشهد بصدق الرسول عليه الصلاة والسلام كما أن له من الآيات الكثيرة الدالة على صدقه قال: «هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ»^(١).
المتنطع هذا لم يصل حياته والأخذ للأمور على ظاهرها ويتقبلها كما تقبلها الصحابة هذا هو الذي على الحق؛ ولهذا أقول: إن أهل التنطع لا تجد نور الإيمان في قلوبهم إلا أن يشاء الله؛ لأن قلوبهم تكون دائماً قلقة تورده الإيرادات والشبهات ولا تفهم من قابل؛ لو أنك أمعنت النظر لكنت تحكم على أن قلوب العامة أفتقه من قلوب كثير من طلبة العلم؛ لأنهم يُعْطُونَ الأمور على ظاهرها قبولاً وتسليماً تاماً بدون إيراد احتمالات؛ ولهذا أُحذِرُ نفسي وإياكم من هذا الطريق - طريق الاحتمالات - ولكن خذ الأمور على ظاهرها، والحمد لله أن العباد لم يُحَاطَبُوا إلا بالظواهر والاحتمالات التي توجب التشكك والتشكيك، لكن هذه لا بد أن يبعدها عن أنفسهم حتى يسلموا.



* قوله رَحِمَهُ اللهُ:

٤٢٧٦ - وَهِيَ الَّتِي فِيهَا اغْتِرَاكَ الرَّأْيُ مِنْ

تَحْتَ الْعَجَاجِ وَجَوْلَةِ الْأَذْهَانِ

٤٢٧٧ - لَكِنْ هُنَا أَمْرَانِ لَوْ تَمَّا لَمَّا اخذ

سَجْنَا إِلَيْهِ فَحَبَّذَا الْأَمْرَانِ

٤٢٧٨ - جَمْعُ النَّصُوصِ وَفَهْمُ مَعْنَاهَا الْمُرَا

دِ بِلَفْظِهَا وَالْفَهْمُ مَرْتَبَتَانِ

٤٢٧٩ - إِخْدَاهُمَا مَذْلُولُ ذَاكَ اللَّفْظِ وَض-

عًا أَوْ لُزُومًا ثُمَّ هَذَا الثَّانِي

٤٢٨٠ - فِيهِ تَفَاوُتُ الْفُهُومِ تَفَاوُتًا

لَمْ يَنْضَبِطْ أَبَدًا لَهُ طَرْفَانِ

٤٢٨١ - فَالشَّيْءُ يَلْزُمُهُ لَوَازِمُ جَمَّةٌ

عِنْدَ الْخَيْرِ بِهِ وَذِي الْعِرْفَانِ

٤٢٨٢ - فَيَقْدِرُ ذَاكَ الْخَيْرِ يَخْصِي مِنْ لَوَا

زِمِهِ وَهَذَا وَاضِحُ التَّيْبَانِ

٤٢٨٣ - وَلِذَلِكَ مَنْ عَرَفَ الْكِتَابَ حَقِيقَةً

عَرَفَ الْوُجُودَ جَمِيعَهُ بَيَانِ

٤٢٨٤ - وَكَذَلِكَ يَعْرِفُ جُمْلَةَ الشَّرْعِ الَّذِي

يَحْتَاجُهُ الْإِنْسَانُ كُلَّ زَمَانِ

٤٢٨٥ - عِلْمًا بِتَفْصِيلٍ وَعِلْمًا مُجْمَلًا

تَفْصِيلُهُ أَيْضًا بِوَحْيِ نَّانِ

الشَّرح

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

يقول المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

لَكِنْ هُنَا أَمْرَانِ لَوْ تَمَّا لَمَّا أَح-

سَجْنَا إِلَيْهِ فَحَبَّذَا الْأَمْرَانِ

قوله: (احتجنا إليه) أي: إلى القياس (فحبذا الأمران) الأول: جمع النصوص، والثاني: فهم

معناها والمراد بلفظه من هذان الأمران لا بد منها ولا يمكن الاستدلال إلا بهما.



الأمر الأول: جمع النصوص؛ وذلك لأنك قد تسمع نصاً عاماً له مخصصات فتحكم بالعموم وحينئذ تكون مخطئاً، مثال ذلك قال النبي ﷺ: «فِيمَا سَقَتِ السَّمَاءُ الْعُشْرُ»^(١) هذا الحديث عمومه يقتضي وجوب الزكاة في القليل والكثير من أين نأخذ العموم؟ من قوله: «فِيمَا سَقَتِ». ولم يقل: (فِيمَا سَقَتِ إِذَا بَلَغَ كَذَا) قال: «فِيمَا سَقَتِ السَّمَاءُ الْعُشْرُ».

فإذا لم تجمع النصوص حكمت على شخص يملك نصف نصاب بوجوب الزكاة عليه وهي العشر؛ لأنك أخذت بالعموم فأخطأت، الآن لما حكمت بوجوب الزكاة في زرعه دون النصاب، ما الذي فاتك؟ جمع النصوص يعني: ما جمعت فلو جمعت هذا العموم إلى قول النبي عليه الصلاة والسلام: «لَيْسَ فِيهَا دُونَ حَمْسَةٍ أَوْ سِتِّ صَدَقَةٍ»^(٢)، تبين لك أن ما دون النصاب ليس فيه زكاة.

الأمر الثاني: فهم المراد به، وهذا هو الذي صارت فيه المعارك بين الناس؛ لأن كل واحد يفهم فهمًا غير فهم الثاني، وصحة الفهم لها أسباب - إن شاء الله - نذكرها، لكن هذا الذي يختلف فيه الناس كثيراً أي: فهم المراد، هل أراد الله كذا أو أراد كذا مثال ذلك قوله تعالى: ﴿وَالْمَطْلَقَتُ يَرَبِّصَنَّ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ [البقرة: ٢٢٨] يعني: إذا طلقت المرأة فلا بد أن تعتد بثلاثة قروء ما هي القروء؟ قال بعض العلماء: القروء هي الحيض وقال آخرون: القروء هي الأطهار. فاختلفوا فمن قال: إن القروء هو الحيض قال: تعتد بثلاث حيضات، ومن قال: أطهار قال: تعتد بثلاث أطهار كاملة.

وقال النبي عليه الصلاة والسلام: «ذُكَاةُ الْجَنِينِ ذُكَاةُ أُمِّهِ»^(٣). ما هو الجنين؟ الحمل في البطن وسمي جنيناً؛ لأنه مستتر «ذكاة الجنين ذكاة أمه» ما معناها؟ قال بعض العلماء: يعني إذا ذكيت الشاة الحامل فذكاتها ذكاة لجنينها، فإذا سلخناها وشققنا بطنها وأخذنا الولد فهو مذكى حلال، وقال بعض العلماء: «ذكاة الجنين كذكاة أمه» يعني: أنك إذا أردت أن تذكيه فاقطع رأسه. وبناءً على هذا القول لو ذكيت الشاة وأخذت الجنين لم يحل؛ لأنك لم تذكيه، وهذا يرجع لاختلاف الفهم.

والصحيح: أن معنى الحديث: أن الأم إذا ذكيت فذكاتها ذكاة للجنين ولا يحتاج أن يذكى؛ لأن روح الجنين تخرج مع روح الأم أو تبقى قليلاً.

فالمهم: أنه لا بد من جمع النصوص وفهم المراد، ثم عاد الفهم يختلف فيه الناس اختلافاً عظيماً. يذكر أن الشافعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نزل ضيفاً على الإمام أحمد، وكان الإمام أحمد يثني عليه في أهله - وهو أهل للثناء - فنزل عليه ضيفاً فقدم إليه العشاء فأكل العشاء كله - وهو كثير - فملاً بطنه، ثم تفرق كل منهم إلى منامه، ولم يقم الشافعي لصلاة الليل، ولما أذن الفجر خرج إلى الصلاة بدون وضوء ولم يطلب ماءً يتوضأ به، فقال أهل الإمام أحمد للإمام أحمد: كيف هذا الشافعي الذي تثني عليه

(١) رواه البخاري (١٤١٢).

(٢) رواه البخاري (١٣٧٨)، ومسلم (٩٧٩).

(٣) صحيح: انظر صحيح الجامع (٣٤٣١).

دائماً وهذا الرجل أكل العشاء كله؛ وقد قال النبي عليه الصلاة والسلام: «إِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ فَتَلْتُ لِبَطْعَامِكَ وَتَلْتُ لِسَرَابِكَ وَتَلْتُ لِنَفْسِكَ»، ثم الرجل لم يقيم الليل ما سمعنا أنه قام الليل بل بقي على فراشه ولم يقيم الليل كيف هذا؟! ثم الرجل قام إلى صلاة الفجر ولم يتوضأ، وهذه أدهى في رأيهم يصلي بلا وضوء! فقال الإمام أحمد: ننظر في الأمر، فسأل الشافعي رَحِمَهُ اللهُ عَنْهُ عن هذا فقال: أما كوني أكل العشاء كله فلا أظنني لا أعلم في هذا البلد طعاماً أحلَّ من طعام الإمام أحمد فأردت أن أملاً بطني منه. وكأنه يقول: ولا ملامة علي في ذلك فأبو هريرة ملاً بطنه من اللبن حتى إن الرسول قال له: «أَشْرَبْتُ» قال: لا أجد له مساراً. فامتلات البطن.

وأما كوني لم أقم الليل فلا أظنني أتأمل العلم، والعلم أفضل من قيام الليل، فكنت أتأمل في قول الرسول عليه الصلاة والسلام: «يَا أَبَا عُمَيْرٍ مَا فَعَلَ النُّعَيْرُ؟»^(١). هذا حديث يقوله الرسول ﷺ لصبي صغير كان معه نُعَيْرٌ، والنعير: طير يلعب به، فلما مات الطير حزن الصبي عليه كالعادة فالصبي إن كان له هرة يلعب بها ثم تموت كأنها ماتت أمه أو أخته وكان هذا الصبي له طير يلعب به كذلك حزن فكان الرسول عليه الصلاة والسلام - لحسن خلقه - إذا مر به بعد أن مات الطير يقول: «يَا أَبَا عُمَيْرٍ مَا فَعَلَ النُّعَيْرُ». يعني ما فعل؟ ما سوى؟ يمزح معه عليه الصلاة والسلام. يقول الشافعي: إنه اختلفت الروايات فاستنبطت من هذا الحديث ألف فائدة أو مائتي فائدة، مَنْ يستنبط منا مائتين فائدة من هذا الحديث أو خمسة فوائد؟! لكن هو رَحِمَهُ اللهُ إِذَا استنبط فائدة يطلب لها دليلاً آخر ثم يتولد من هذا الدليل فوائد أخرى، فيكون هذا الحديث سبباً لموسوعة علمية في الحديث كل هذا في الحديث - والعلم عند الله - ما كل هذا؟ لكن كلما استدلل به على مسألة تفرع عليه طول الليل وهو يستنبط هذه الفوائد وهذا لا شك أنه أفضل من قيام الليل أي: العلم أفضل من قيام الليل.

قال الإمام أحمد: العلم لا يعدله شيء، الثالثة أنه خرج إلى المسجد ولم يتوضأ؛ لأنه لم ينم فلم يحتج إلى وضوء فرجع إلى أهله الإمام أحمد وأخبرهم ذلك يقول:

لَكِنْ هُنَا أَمْرَانِ لَوْ تَمَّا لَمَّا أَحَدٌ سَجَّجْنَا إِلَيْهِ فَحَبَّذَا الْأَمْرَانِ

جَمْعُ التُّصُوصِ وَفَهْمُ مَعْنَاهَا الْمُرَا دِ بِلَفْظِهَا وَالْفَهْمُ مَرْتَبَتَانِ

يعني: أن بعض الناس إذا أخذ نصّاً ترك النصوص الأخرى، أليس كذلك؟

إِحْدَاهُمَا مَدْلُولُ ذَاكَ اللَّفْظِ وَضُ عَا أَوْ لُزُومًا ثُمَّ هَذَا الثَّانِي

فِيهِ تَفَاوُتِ الْفُهْمِ تَفَاوُتًا لَمْ يَنْضَبِطْ أَبَدًا لَهُ طَرْفَانِ

يعني: أن الفهم مرتبتان؛ المرتبة الأولى فهم مدلول اللفظ وضعًا، معنى (وضعًا): بحسب الوضع أي بحسب وضع اللغة العربية، وهذا ربما يكون سهلاً على كثير من الناس أن يفهم معنى اللفظ حسب اللغة العربية، لكن الأمر الثاني فهم لوازم الخطاب، يعني دلالة اللزوم هذه متفاوت فيها الناس تفاوتًا عظيمًا، ربما يفهم هذا الرجل من دليل واحد لوازم كثيرة لا يفهمها الآخرون فيستفيد فوائد كثيرة لا يستفيدها الآخرون، فتجد مثلاً رجل يقول: يدل هذا الحديث بمنطوقه على كذا وبمفهومه على كذا وبفحواه على كذا وبإشارته على كذا، وبلازمه على كذا ثم يستخرج فوائد كثيرة لا يقدر عليها إلا إنسان عاقل؛ فلذلك يقول **رَحِمَهُ اللهُ**: (ثم هذا الثاني). ما هذا الثاني؟ مدلول اللفظ لزومًا يقول هذا الثاني:

فِيهِ تَفَاوُتِ الْفُهُومِ تَفَاوُتًا لَمْ يَنْضَبِطْ أَبَدًا لَهُ طَرْفَانِ

يعني: تتفاوت الفهوم تفاوتًا عظيمًا، ومن أدق ما رأيت في فهم النصوص البخاري **رَحِمَهُ اللهُ**؛ فإن تراجمه على الأحاديث قد يعجز الإنسان عن معرفة وجه استشهاده بالحديث إذا لم يكن في الباب حديث على غير شرطه؛ لأنه أحيانًا يذكر الترجمة إشارة إلى حديث ليس على شرطه ثم يأتي بحديث مقابل فالناس يتفاوتون تفاوتًا عظيمًا.

فَالشَّيْءُ يَلْزُمُهُ لَوَازِمُ جَمَّةٌ عِنْدَ الْحَيْبِرِ بِهِ وَذِي الْعَرْفَانِ

فَبِقَدْرِ ذَلِكَ الْخَبْرِ يَخْصِي مِنْ لَوَا زِمِهِ وَهَذَا وَاضِحُ التَّبَيَّانِ

قوله: (فبقدر ذلك الخبر) يعني: المعرفة.

الشيء والمراد به اللفظ يلزمه لوازم كثيرة، لكن من يعرف هذه اللوازم؟ يعرفها الخبر بدلالات اللزوم، فمثلاً: قال الله عز وجل: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾، [الرَّم: ٦٢]

ماذا نفهم من هذا؟ أن الله خالق نفهم صفة الخلق، هل نفهم غيرها؟ نعم نفهم غيرها باللزوم الخلق لا بد له من قدرة إذن فالآية دالة على قدرة الله ونفهم أيضًا شيئاً آخر وهو العلم؛ لأنه لا يمكن أن يخلق بلا علم، قال تعالي: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾، [المَلِك: ١٤] نفهم ثالثاً الإرادة، فلا يمكن أن يخلق بلا إرادة، ونفهم رابعاً الحياة؛ لأن الميت لا يخلق، ونفهم منها افتقار الخلق إلى الله وغنى الله عنهم، وربما إذا تأملت أيضًا تجد فوائد كثيرة، هذه المدلولات هل أخذناها من دلالات اللفظ وضعًا أو لزومًا؟ لزومًا لم نأخذ من دلالة اللفظ وضعًا إلا صفة واحدة وهي الخلق، والباقي كله من اللزوم وهذا اللزوم يتفاوت الناس فيه تفاوتًا عظيمًا.

وَلِذَاكَ مَنْ عَرَفَ الْكِتَابَ حَقِيقَةً عَرَفَ الْوُجُودَ جَمِيعَةً بَيَّانًا

عرفه معرفة كونية قدرية ثم عرف أيضًا جملة الشرط، فيعرف في هذا القرآن الكريم الوجود جميعه منه حيث التقدير والتكوين ومن خلقه، ولأي شيء خلقه؟ وعلى أي شيء خلقه؟ ويفتح له

من المعارف ما لا يفتح لغيره، كذلك يعرف جملة الشرع، لكن المؤلف في الشرع يقول:

وَكَذَلِكَ يَعْرِفُ جُمْلَةَ الشَّرْعِ الَّذِي يَخْتَاجُهُ الْإِنْسَانُ كُلَّ زَمَانٍ

من عهد الرسول صلى الله عليه وسلم إلى يوم القيامة (والإنسان) هنا للجنس.

عِلْمًا بِتَفْصِيلٍ وَعِلْمًا مُجْمَلًا تَفْصِيلُهُ أَيْضًا بِوَحْيِ ثَانٍ

يعني: أحياناً يكون القرآن مفصلاً وأحياناً يكون مجملاً وتفصله السنة فمثلاً قوله تعالى:

﴿وَأَتُوا الزَّكَاةَ﴾ [البقرة: ٤٣] هذا مجمل لم يبين الله عز وجل ما الذي يؤتى؟ هل هو قليل أو كثير؟

لكن بينت السنة ولم يبين الله عز وجل، وما هو الذي تجب الزكاة فيه من الأنصبة؟ ولكن بينته

السنة فالحاصل أن الوحي وهو القرآن والسنة ولا يحتاج إلى غيرهما.



* قوله رَحِمَهُ اللهُ:

٤٢٨٦- وَكِلَاهُمَا وَخِيَانٍ قَدْ ضَمِنَا لَنَا

أَعْلَى الْعُلُومِ بَغَايَةِ التَّبَيُّانِ

٤٢٨٧- وَلِذَلِكَ يَعْرِفُ مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ وَالْ

أَفْعَالِ وَالْأَسْمَاءِ ذِي الْإِحْسَانِ

٤٢٨٨- مَا لَيْسَ يَعْرِفُ مِنْ كِتَابٍ غَيْرِهِ

أَبَدًا وَلَا مَا قَالَتِ الثَّقَلَانِ

٤٢٨٩- وَكَذَلِكَ يَعْرِفُ مِنْ صِفَاتِ الْبُعْثِ بِالْث

تَفْصِيلِ وَالْإِجْمَالِ فِي الْقُرْآنِ

٤٢٩٠- مَا يَجْعَلُ الْيَوْمَ الْعَظِيمَ مُشَاهِدًا

بِالْقَلْبِ كَالْمَشْهُودِ رَأْيِ عِيَانِ

٤٢٩١- وَكَذَلِكَ يَعْرِفُ مِنْ حَقِيقَةِ نَفْسِهِ

وَصِفَاتِهَا بِحَقِيقَةِ الْعِرْفَانِ

٤٢٩٢- يَعْرِفُ لَوَازِمَهَا وَيَعْرِفُ كَوْنَهَا

مَخْلُوقَةً مَرْبُوبَةً بَيِّنَانِ

٤٢٩٣ - وَكَذَلِكَ يَعْرِفُ مَا الَّذِي فِيهَا مِنْ أَلْ

حَاجَاتٍ وَالْإِعْدَامَ وَالنَّقْصَانَ

٤٢٩٤ - وَكَذَلِكَ يَعْرِفُ رَبَّهُ وَصِفَاتِهِ

أَيْضًا بِأَمثَلٍ وَلَا نَقْصَانَ

٤٢٩٥ - وَهُنَا ثَلَاثَةٌ أَوْجِهٍ فَأَفْطِنُ لَهَا

إِنْ كُنْتَ ذَا عِلْمٍ وَذَا عِرْفَانٍ

٤٢٩٦ - بِالضِّدِّ وَالْأُولَى كَذَا بِالْإِمْتِنَانِ

عِ لِعِلْمِنَا بِالنَّفْسِ وَالرَّحْمَنِ

٤٢٩٧ - فَالضِّدُّ مَعْرِفَةُ الْإِلَهِ بِضِدِّ مَا

فِي النَّفْسِ مِنْ عَيْبٍ وَمِنْ نَقْصَانٍ

٤٢٩٨ - وَحَقِيقَةُ الْأُولَى تُبَوِّتُ كَمَالِهِ

إِذْ كَانَ مُعْطِيهِ عَلَى الْإِحْسَانِ^(١)

(١) [٤٢٩٥: ٤٢٩٨] قال العلامة محمد خليل هراس:

يعني: أن من عرف ما جاء في الكتاب والسنة من حقيقة النفس وأحوالها وصفاتها وما يلازمها من العيب والنقص يستطيع أن يعبر من تلك المعرفة بنفسه إلى معرفة ربه من ثلاثة أوجه يجب أن يفطن لها كل ذي قدم راسخة في العلم والمعرفة.

الوجه الأول: أن يعرف ربه عز وجل بضد ما في نفسه من عيب ونقص، فإذا كانت نفسه مخلوقة محدثة مربية مملوكة عاجزة فقيرة جاهلة، فيجب أن يعرف ربه بأنه الرب الخالق المالك القادر الغني الحميد إلخ.

الوجه الثاني: أن يستدل على ثبوت الكمال له سبحانه بطريق الأولى، فإنه إذا كانت نفسه وهي مخلوقة محدثة ناقصة تتصف بأنها حية عالمة قادرة مريدة سمعية بصيرة إلخ، فالرب أولى أن يتصف بذلك، فإن كل كلمة ثبت للمخلوق وأمكن أن يتصف به الخالق كان الخالق أولى به من المخلوق؛ لأن المخلوق إنما استفاد هذا الكمال من خالقه، فهو الذي أفاده هذا الكمال إحساناً منه وفضلاً، وفاقد لا يمكن أن يُعطيه، ولأنه سبحانه لو خلا من هذا الكمال الممكن له مع وجوده في المخلوق لكان في المخلوقات من هو أكمل منه، وكل هذا باطل محال.

الوجه الثالث: الاستدلال على تنزهه سبحانه عن النقص بطريق الامتناع، وذلك أن يُقال كل نقص تنزه عنه المخلوق، فإنه يتمتع أن يتصف به الخالق، إذ الخالق أولى بتنزهه عن النقص من المخلوق.

الشَّرْحُ

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

وَكِلَاهُمَا وَخِيَانٍ قَدْ ضَمِنَا لَنَا أَعْلَى الْعُلُومِ بَعَايَةِ التَّيَّيَانِ

قوله: (وكلاهما) الضمير يعود على الكتاب والسنة، فإذا قال قائل: إن كون القرآن وحياً فلا شك فيه، ولكن كون السنة وحياً نجد بعض الأحاديث تدل على أن السنة ليست بالوحي مثل قوله ﷺ: «لَوْلَا أَنْ أَشَقَّ عَلَى أُمَّتِي لِأَمْرِهِمْ بِالسُّوَاكِ عِنْدَ كُلِّ وُضُوءٍ أَوْ عِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ»^(١) فهذا يدل على أنه ليس وحياً، لأنه لو كان وحياً لكان الأمر إلى الله، وقال ﷺ في صلاة العشاء: «إِنَّهُ لَوْ قُتِلَتْهَا لَوْلَا أَنْ أَشَقَّ عَلَى أُمَّتِي»^(٢) وسأله رجل عن الشهادة هل تكفر الذنوب؟ فقال: «إِنَّهَا تُغْفِرُ كُلَّ شَيْءٍ»، فلما انصرف الرجل دعاه ثم قال: «أَتَانِي جِرِيْلٌ أَيْفَا فَقَالَ: إِلَّا الدَّيْنَ»^(٣).

وهذا أيضاً يدل على أن السنة ليست بالوحي؛ لأن الوحي يكون متكاملًا، المهم أن هناك أحاديث تدل على أن السنة ليست بالوحي من الله، فما هو الجواب؟

نقول: إن العلماء قالوا: إقرار الله نبيه على الشيء كالوحي؛ لأن الله يقر النبي صلى الله عليه وسلم على أنه شرع، فإذا وقع من النبي عليه الصلاة والسلام شيء فلم يقره الله أنزل الله عز وجل الحكم له كما في قوله تعالى: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَّبِعَنَّ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعَلَّمَ الْكُذِبِينَ﴾ [البقرة: ٤٣] ، ولقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التحریم: ١]، المهم أن الجواب على هذا الإشكال أن نقول: ما وقع من الأحاديث ما ظاهره أنه ليس بالوحي فإنه وحي باعتبار آخر هو إقرار الله له كما قال العلماء: إن إقرار النبي عليه الصلاة والسلام على الشيء يعتبر من سنة النبي ﷺ.

وَكَذَلِكَ يَعْرِفُ مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ وَالْأَفْعَالِ وَالْأَسْمَاءِ ذِي الْإِحْسَانِ

قوله: (ذي الإحسان) صفة لله، وقوله: (وكذلك يعرف من صفات الله والأفعال والأسماء). أي أسماء؟ أي أفعال؟ أي أفعال الله.

مَا لَيْسَ يُعْرِفُ مِنْ كِتَابٍ غَيْرِهِ أَبَدًا وَلَا مَا قَالَتِ الثَّقَلَانِ

قوله: (يعرف) هذه هي التي تصلح بفتح الباء وبضمها: (ما ليس يعرف) أو (يعرف) من صفات الله ما لا يعرف من كتاب غيره أبداً، (ولا ما قالت الثقلان) أي: تعرف من كتاب الله ما لا تعرفه من كتاب غيره بل تعرف منه ما لا تعرفه مما قال الثقلان كلهم.

(١) رواه البخاري (٨٤٧)، ومسلم (٢٥٢).
 (٢) رواه مسلم (٦٣٨).
 (٣) انظر صحيح مسلم (١٨٨٦).

وَكَذَلِكَ يَعْرِفُ مِنْ صِفَاتِ الْبُعْثِ بِالْث

تَفْصِيلِ وَالْإِجْمَالِ فِي الْقُرْآنِ

صفات البعث بينها الله عز وجل: بيانا إجمالياً أحياناً وبيانا تفصيلياً أحياناً.

مَا يَجْعَلُ الْيَوْمَ الْعَظِيمَ مُشَاهِداً

بِالْقَلْبِ كَالْمَشْهُودِ رَأَى عِيَانِ

قال الله عز وجل ﴿حُشَعًا أَبْصَرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنتَشِرٌ﴾، أهل القبور تشاهد هذا كأنك تشاهد أرض منسطة يمشي عليها جراد منتشر، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾ ① وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ ﴿[القارعة: ٤، ٥]، كأنك تشاهده، وقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ آتِفُوا رَبِّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ ② يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا ﴿[الحج: ١، ٢]، إلى آخره وقال تعالى: ﴿وَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِداً وَهِيَ تَمْرُزُ مِنَ السَّحَابِ﴾ [النمل: ٨٨]، والآيات في هذا كثيرة كلها تصور القيامة كأنها رأيت عين.

وهذه هي المهمة أن الإنسان يعرف نفسه ويعرف حقيقتها، ويعرف أنها غادرة خائنة إلا من عصم الله ولهذا يقول:

وَكَذَلِكَ يَعْرِفُ مِنْ حَقِيقَةِ نَفْسِهِ

وَصِفَاتِهَا بِحَقِيقَةِ الْعِرْفَانِ

يعرف لَوَازِمَهَا وَيَعْرِفُ كَوْنَهَا

مَخْلُوقَةً مَرْبُوبَةً بَيِّنَانِ

يعرف بالسكون لأجل الوزن.

وَكَذَلِكَ يَعْرِفُ مَا الَّذِي فِيهَا مِنْ أَلْ

حَاجَاتِ وَالْإِعْدَامِ وَالنُّقْصَانِ

يعني: يعرف ما فيها من الحاجات، وأنه بحاجة إلى الله، وأنه لا غنى له عن الله طرفة عين، ويعرف كذلك، ما فيها من الإعدام أنها معدمة لولا إيجاد الله، يقول الله عز وجل: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥]، ويعرف ما فيها من النقص فالإنسان ناقص إذا لم يمن الله عليه بالكمال قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئاً﴾ [النحل: ٧٨].

وَكَذَلِكَ يَعْرِفُ رَبَّهُ وَصِفَاتِهِ

أَيْضاً بِأَمثَلٍ وَلَا نُقْصَانِ

هذا ليس تكررًا مع البيت السابق، ولكنه قيد هنا يعرفه بصفاته بلا مثل ولا نقصان، وقوله: (بلامثل) يعني لا يماثله مخلوق وهو لا يماثل المخلوق، وقوله: (ولا نقصان) بينا النقصان لازم للإنسان أما الله عز وجل فإنه منزه عنه.

وَهُنَا ثَلَاثَةٌ أَوْجِهٍ فَافْطِنْ لَهَا

إِنْ كُنْتَ ذَا عِلْمٍ وَذَا عِرْفَانِ

بِالضِّدِّ وَالْأَوْلى كَذَا بِالْأَمْتِنَا

ع لِعِلْمِنَا بِالنَّفْسِ وَالرَّحْمَنِ

يعني: هناك ثلاثة أوجه بين الخالق والمخلوق وأنت تعلمها إن كنتم ذا علم وذا عرفان.

وقوله: (بالضد والأولى كذا بالامتناع لعلمنا بالنفس والرحمن) فسرهما فقال:

فَالضُّدُّ مَعْرِفَةُ الْإِلَهِ بِضِدِّ مَا فِي النَّفْسِ مِنْ غَيْبٍ وَمِنْ نُقْصَانٍ

هذا الضد يعني: أنك إذا عرفت نفسك بأنك مخلوق من عدم وآيل إلى العدم وأنك محتاج وناقص، فاعرف أن ضد ذلك ثابت للخالق، ووجهه أن الخالق مُوجِدُ المخلوق مُوجِدٌ، ولا يمكن أن يتساوى المُوجِدُ والمُوجَدُ، بل لا بد أن يكون بينهما ما يكون بين الإيجاد والوجود فالإنسان مُوجِدٌ إذن لا بد أن يكون على ضد صفات المُوجِدِ وهو الله عز وجل، فإذا كنا ذو نقص فالرب ذو كمال وعلى هذا فقس كذلك إذا كنا ذا عيب فالرب منزّه عن العيب.

فهل وجودنا من الممكن أم من الواجب أم من المستحيل؟

نقول: لا يمكن أن نقول من المستحيل؛ لأننا موجودون ولا يمكن أن نقول من الواجب؛ لأننا من عدم قال تعالى: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾ [الإنسان: ١] إذن وجودنا من الممكن.

وَحَقِيقَةُ الْأَوْلَى ثُبُوتُ كَمَالِهِ إِذْ كَانَ مُعْطِيَهُ عَلَى الْإِحْسَانِ

قوله: (الأولى) معناه كل صفة كمال في المخلوق فالله أولى بها؛ ولهذا قال تَعَالَى: (إذ كان معطيه على الإحسان) حقيقة الأولى ثبوت كماله، فما ثبت في المخلوق من الكمال فإن الخالق أولى به، لماذا؟ لأنه هو معطي الكمال ومعطي الكمال أولى بالكمال. أصبحنا في الامتناع الثالث و(الامتناع) هو امتناع العيب والنقصان، فإن الله تعالى ممتنع عليه العيب والنقصان.

فلو قال قائل: النوم في الإنسان لكن هذا النقص إنما كان لضعف البدن عن مكابدة الحياة ومقاومتها؛ فمن أجل ذلك من الله علينا بالنوم لنستريح من تعب الماضي ونستجد نشاطنا للمستقبل، لكنه باعتبار البشرية المبنية على النقص يعتبر كمالاً؛ لأن من ينام ويستيقظ أكمل ممن لا ينام، ولهذا إذا كان الإنسان لا ينام تنهدم صحته، والأكل والشرب هو نقص في الأصل؛ لأن البدن يحتاج إليه للبقاء لكنه كمال من جهة أخرى لأن به قيام البدن ونماء البدن؛ ولهذا من لا يأكل لا بد من المرض.

فإن قال قائل: هل أهل الجنة حياتهم ناقصة؛ لأنهم يأكلون ويشربون؟

نقول: يأكلون ويشربون لكمال نعيمهم تليدًا؛ لأنهم لو لم يأكلوا ما ماتوا لأنه ليس فيها موت، ولكن للتليد ولهذا عندهم نساء يتلذذون بها وهم ليسوا بحاجة إلى الأولاد ولا يأتيهم أولاد أيضًا، فالحاصل أننا نقول: الرب عز وجل كامل، لأنه قال: ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقال: ﴿وَهُوَ يَطْعَمُ وَلَا يَطْعَمُ﴾ [الأنعام: ١٤]، لا يحتاج إلى أكل ولا شرب ولا غير ذلك، فهو كامل الغنى سبحانه وتعالى وكل ما سواه مفتقر إليه؛ ولهذا يلجأ الخلق إلى ربه عز وجل يسألونه حاجاتهم تفريغ من الكربات وتحصيل الخيرات.





مهيد بين يدي الفصل



قال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللهُ:

فصل

في بيان شروط كفاية النَّصِّين والاستغناء بالوحيين

وجملة شروط ذلك وحاصلها يرجع إلى أمرين: وجود المقتضى، وهو الإقبال التام على الكتاب والسنة، وبذل الجهد في يعمرة معانيها والاهتداء بها. ولا بد أيضًا من دفع المانع وهو التصميم الجازم على دفع كل ما عارض النصين من المذاهب والمقالات والقواعد والعوائد التي جرت عليها أكثر الخليفة وأوجبت من مخالفة الوحيين أمورًا كثيرة متى دفعها العبد وأعرض عنها اتسعت دائرة علمه ومعرفته، فبالجرد عنها والإقبال التام على الوحيين وسلوك كل طريق يعين على معرفتها والاستنارة بنور العلماء والاهتداء بهداهم تحصل الكفاية التامة.

والناس في حالهم مع الأئمة والعلماء ثلاثة أقسام:

أحدها: من غلا فيهم وجعل أقوالهم معصومة بمنزلة أقوال الرسول وقدمها على الكتاب والسنة، مع أن كل له قبول في الأمة قد حث على اتباع الكتاب والسنة، وأمر أن لا يتبع من أقواله ومذهبه ما خالف الكتاب والسنة.

القسم الثاني: من ألغى أقوال العلماء وأهدر مقالات أئمة الهدى ومصايح الدجى ولم يستغن بنور فهمهم، ولا استعان بعلومهم، أو بعدما استفاد منها لم يشكرهم على ذلك، فهذا قد حرم خيرًا كثيرًا، والذي حمل هؤلاء على ذلك ظنهم أو وجوب اتباع الرسول وتقديم قوله على قول كل أحد يوجب الزهد في أقوال الصحابة والتابعين لهم بإحسان وأئمة الهدى، وهذا من الغلط الفاحش، فإن الصحابة وأهل العلم هم الوسائط بين الرسول وبين أمته في تبليغ سنته ألفاظها ومعانيها، فالمتبع لهم في ذلك مهتد بأفهامهم، مقتبس من أنوارهم، مستفيد من استنباطاتهم للمعاني النافعة، والدقائق التي لا تكاد تخطر على أذهان كثير من أهل العلم ولا تكاد الأفهام تدركها، فمن فضل الله على الأمة أن منَّ عليهم بهؤلاء العلماء الربانيين المرين لهم بنوعين من أنواع التربية العالية:

أحدهما: التربية العلمية، يربونهم بصغار العلم قبل كبارها، ويأصال معاني الكتاب والسنة في

أدهانهم وعقولهم بالتعليم الشفاهي أوتصنيف كتب العلم النافع المتنوعة التي لا يقدر العباد أن يصفوا ما اشتملت عليه من العلوم والفوائد التي لهم اليد البيضاء في استنباطها من الكتاب والسنة، وفي ترتيبها وتفصيلها وتقسيمها، وجميع النظائر والمثالثات والشروط والأركان والموانع، وتفريق المعاني المتباينة وأصناف الفوائد المتنوعة النوع الثاني: تربية عملية، يربون أخلاقهم ويحثونهم على كل خلق حميد، ببيان حكمه ومرتبته وما يترتب عليه من الفوائد، ويبينون لهم الأسباب والطرق التي يكتسبونها به، والموانع التي تعوقهم عن الاتصاف به. فهم في الحقيقة غذاء القلوب والأرواح، وهم أطباء أدواء القلوب وعللها، يعلمونهم بأقوالهم وأفعالهم وهديمهم، فهؤلاء لهم الحق الأكبر على الأمة، ولهم من المحبة والتعظيم والتوقير والشكر على محاسنهم وإحسانهم المتنوع فوق كل حقد بعد حق الله وحق رسوله.

ولهذا كان القسم الثالث الذين وفقوا لمعرفة أقدارهم، وقاموا بحقوقهم، وشكروهم على فواضلهم وفضائلهم، واكتسبوا من علومهم وقدروها حق قدرها، وعرفوا أنهم غير معصومين، وأن أقوالهم تابعة لأقوال الرسول، وأن كل واحد منهم يؤخذ من قوله ما احتوى عليه من الهدى والعلم والرشاد والإصابة، ويترك منه ما أخطأ فيه، ولا يذم على خطئه إذ هو مجتهد في إصابة الحق وخطأهم مغفور، وسعيهم مشكور. وإذا ردوا ما قاله أحد هؤلاء السادة لما يرونه من الضعف ومخالفة الدليل الشرعي بينوا ضعف القول ومرتبته، ولم يقدحوا في قصد أهل العلم والدين ولم يذمومهم على هذا، ويقولون كما هو الواجب أن يقولوا: ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].
فهؤلاء أدوا الواجبين: جمعوا بين تقديم الكتاب والسنة على كل شيء، وبين معرفة أقدار العلماء وأئمة الهدى والقيام ولو ببعض حقهم، فנסأله أن يمن علينا ويجعلنا من أهل هذا القسم الثالث، ويجعلنا ممن يحبه ويحب من يحبه ويحب العمل الذي يقرب إلى حبه.



فصل

في بيان شروط كفاية
النصين والاستغناء بالوحيين

٤٢٩٩ - وَكِفَايَةُ النَّصِّينِ مَشْرُوطٌ بِتَجْ

— رِيدِ التَّلْقِي عَنْهُمَا لِمَعَانِ

٤٣٠٠ - وَكَذَلِكَ مَشْرُوطٌ بِخَلْعِ قَيْودِهِمْ

فَقِيُودُهُمْ غُلٌّ إِلَى الْأَذْقَانِ

٤٣٠١ - وَكَذَلِكَ مَشْرُوطٌ بِهِذِمِ قَوَاعِدِ

مَا أَنْزَلَتْ بِبَيَانِهَا الْوُحْيَانَ

٤٣٠٢ - وَكَذَلِكَ مَشْرُوطٌ بِإِقْدَامِ عَلَى الْ

آرَاءِ إِنْ عَرِيَتْ عَنِ الْبُرْهَانَ

٤٣٠٣ - بِالرَّدِّ وَالْإِبْطَالِ لَا تَعْبَأُ بِهَا

شَيْئًا إِذَا مَا فَاتَهَا النَّصَّانِ

٤٣٠٤ - لَوْلَا الْقَوَاعِدُ وَالْقَيْودُ وَهَذِهِ الْ

آرَاءُ لَا تَسْعَتْ عُرَى الْإِيْمَانَ

٤٣٠٥ - لَكِنَّهَا وَاللَّهِ ضَمِيَتْ الْعُرَى

فَاحْتَاجَتْ الْأَيْدِي لِذَلِكَ تَوَانِ

٤٣٠٦ - وَتَعَطَّلَتْ مِنْ أَجْلِهَا وَاللَّهِ أَع

— دَادٌ مِنْ النَّصِّينِ ذَاتُ بَيَانِ

٤٣٠٧ - وَتَضَمَّنَتْ تَقْيِيدَ مُطْلَقِهَا وَإِط

— سَاقِ الْمُقْيِيدِ وَهُوَ ذُو مِيزَانِ

٤٣٠٨ - وَتَضَمَّنَتْ تَخْصِيصَ مَا عَمَّتْهُ وَالذَّ

تَعْمِيمَ لِلْمَخْضُوصِ بِالْأَعْيَانِ

٤٣٠٩ - وَتَضَمَّنَتْ تَفْرِيقَ مَا جَمَعَتْ وَجَمَ

عًا لِلَّذِي وَسَمَّتْهُ بِالْفَرْقَانِ

٤٣١٠ - وَتَضَمَّنَتْ تَضْيِيقَ مَا قَدْ وَسَّعَتْ

عَهُ وَعَكْسَهُ فَلَئِنْظَرَ النَّوْعَانِ

٤٣١١ - وَتَضَمَّنَتْ تَحْلِيلَ مَا قَدْ حَرَمَتْ

عَهُ وَعَكْسَهُ فَلَئِنْظَرَ النَّوْعَانِ

٤٣١٢ - سَكَتَتْ وَكَانَ سَكُوتُهَا عَفْوًا فَلَمْ

تَعْفُ الْقَوَاعِدُ بِاتِّسَاعِ بَطَانِ

٤٣١٣ - وَتَضَمَّنَتْ إِهْدَارَ مَا اعْتَبَرَتْ كَذَا

بِالْعَكْسِ وَالْأَمْرَانِ مَحْدُورَانِ

٤٣١٤ - وَتَضَمَّنَتْ أَيْضًا شُرُوطًا لَمْ تَكُنْ

مَشْرُوطَةً شَرْعًا بِإِلَّا بُزْهَانِ

٤٣١٥ - وَتَضَمَّنَتْ أَيْضًا تَوَابِعَ لَمْ تَكُنْ

مَمْنُوعَةً شَرْعًا بِإِلَّا تَيْبَانِ

الشَّرْحُ

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

يقول المؤلف رَحِمَهُ اللهُ: (فصل في بيان شروط كفاية النصين والاستغناء بالوحين).

قوله: (النصين)؛ هما نص الكتاب والسنة فالوحيان هما الكتاب والسنة.

وَكَفَايَةُ النَّصِّينِ مَشْرُوطٌ بِتَجْـ رِيدِ التَّلَقِّي عَنْهُمَا لِمَعَانِ

يعني: يشترط لكفاية النصين لمن استدل بها أن يكون مجردًا للتلقي عنهما لمعانيه، ومعنى مجردًا

أنه لا ينظر لغيرهم، فيجعل استدلاله وأخذه للمعاني من النصين لا غير هذا هو المراد بالتجريد.

الشرط الثاني:

وَكَذَلِكَ مَشْرُوطٌ بِخَلْعِ قِيُودِهِمْ فَقِيُودُهُمْ غُلٌّ إِلَى الْأَذْقَانِ

يعني: يشترط أيضًا أن القيود التي اشترطوها تحذف وتخلع، مثل قولهم: يشترط لقبول أخبار الصفات أن تكون متواترة، من أين هذا؟ ويشترط للعمل بظواهر النصوص ألا تكون مخالفة للعقل، من أين هذا؟ هل العقل يحكم على النصوص أو بالعكس؟ ثم ما هو العقل الذي يحكم على النصوص؟ عقل مَنْ؟ هذه لا بد أن نخلع جميع القيود التي قيدوها.

وَكَذَلِكَ مَشْرُوطٌ بِهِدْمِ قَوَاعِدِ مَا أَنْزَلَتْ بَيَانَهَا الْوُحْيَانِ

ومن القواعد ما أشرت إليه آنفًا بباب الصفات بأنه إذا تعارض العقل والنقل قُدِّمَ العقل عندهم، هذه قاعدة المتكلمين من الأشاعرة وغيرهم، يقولون: إذا تعارض العقل والنقل فقدم العقل. ولا شك أن هذه قاعدة باطلة؛ لأن تقديم العقل عند تعارض النقل أو عند معارضة النقل إبطال للعقل مخالف للعقل، فباب الصفات من باب الخبر الذي لا مدخل للعقل فيه، فإذا قدمنا فيه العقل على النقل فقد خالفنا العقل نفسه؛ إذ إن العقل يقول: الأمور الغيبية يستند فيها إلى النقل المحض، هذا مقتضى العقل أنت الآن لو أردت أن تتحدث عن شخص ما؛ عن حياته، هل يمكن أن تحكم عقلك؟ لا تتلقى الخبر أو العلم عن حياته عن طريق العقل بل تتلقاه من طريق من الخبر وهو النقل، فهم قعدوا هذه القاعدة الباطلة: إذا تعارض العقل والنقل فإنه يقدم العقل. فالذي يقول هذا لا يمكن أن يكتفي بالوحيين عما سواهما، إذن الشروط ثلاثة: تجريد التلقي، خلع القيود، والثالث: هدم القواعد التي ما أنزل الله بها من سلطان.

وَكَذَلِكَ مَشْرُوطٌ بِإِقْدَامِ عَلَى آرَاءِ إِنْ عَرِيَتْ عَنِ الْبُرْهَانِ

يشترط أيضًا للاكتفاء بالوحيين أن تقدم على الآراء المخالفة بالرد والإبطال؛ يعني لا يكفي أن تتلقى عن الوحيين فقط، بل ما خالف الوحيين لا بد أن تقابله بالرد والإبطال؛ حتى تحقق الاستدلال بالوحيين.

بِالرَّدِ وَالْإِبْطَالِ لَا تَغْبَأُ بِهَا شَيْئًا إِذَا مَا فَاتَهَا النَّصَانِ

يعني: كل رأي يفوته النص فلا تعبا به ولا تلتفت إليه ولا تهيب منه، فإنه زيد يذهب جفاء.

لَوْلَا الْقَوَاعِدُ وَالْقِيُودُ وَهَذِهِ آرَاءُ لَا تَسْعَتْ عُرَى الْإِيمَانِ

هذه القواعد التي أصلوها والقيود صيرت الإيمان لا يتسع، وأضرب لكم مثلًا من الذي يثبت الأشاعرة، كم صفات الله؟ سبعة صفات فقط، مع أن صفات الله عز وجل لا تحصى، إذن ضيقوا على أنفسهم بحذف صفات لا تُحصى من صفات الله بناءً على قواعدهم الباطلة، وأنهم يرجعون إلى العقل فيما يحكمون به على ربنا من الصفات.



لكنها والله ضيقة العرى فاحتاجت الأيدي لذاك تَوَانٍ

يعني: العرى إذا ضاقت تحتاج الأيدي في حلها إلى تَوَانٍ؛ لأنه مايسهل حلها إذا ضاقت، هذا ما يظهر من البيت.

على كل، معلوم أن العرى إذا ضاقت فإنها تحتاج إلى تَوَانٍ في حلها، بخلاف إذا كانت متسعة؛ أنت الآن اعقد أي عقدة إذا كانت متسعة يسهل عليك الحل لكن إذا ضيقتها صعب الحل. يقول:

وَتَعَطَّلْتُ مِنْ أَجْلِهَا وَاللَّهُ أَعْوَدُ مِنَ النَّصِّينِ ذَاتُ بَيَانَ

لأنهم يقولون: هذه النصوص المثبتة للصفات كلها مجاز، فعطلوها مع أنها بيينة واضحة وأهدروها.

وَتَضَمَّنْتُ تَقْيِيدَ مُطْلَقِهَا وَإِطْلَاقَ الْمُقَيَّدِ وَهُوَ ذُو مِيزَانَ

وَتَضَمَّنْتُ تَخْصِيصَ مَا عَمَّتْهُ وَالثَّ

تَعْمِيمٍ لِلْمَخْصُوصِ بِالْأَعْيَانِ

تضمنت تقييد المطلق وإطلاق المقيد، يعني: عكس ما جاء في القرآن والسنة، وتضمنت أيضًا تخصيص ما عمته والتعميم للمخصوص بالأعيان، إذن هناك فرق بين المطلق والعام وبين المَخْصُوصِ وَالْمُقَيَّدِ، فالتقييد يرد على المطلق ولا يرد على العام، والتخصيص يرد على العام ولا يرد على المطلق، فإذا قلت: أعتق رقبة مؤمنة. فهنا تقييد ورد على مطلق والقيد مؤمنة، وإذا قلت: أكرم الطلبة المجتهدين منهم على التخصيص، ورد على العموم، فالمؤلف رَحِمَ اللَّهُ يقول: هذه القواعد أوجبت أن يعمم الخاص وأن يخصص العام على عكس ما أراد الله به ورسوله.

وَتَضَمَّنْتُ تَفْرِيقَ مَا جَمَعَتْ وَجَمْعَ لِلَّذِي وَسَمَتْهُ بِالْفُرْقَانِ

قوله: (للذي وسمته بالفرقان). يعني: تضمنت أيضًا تفريق ما جمعته النصوص وجمع الذي فرقته.

وَتَضَمَّنْتُ تَضْيِيقَ مَا قَدَّ وَسَّعَتْهُ وَعَكْسَهُ فَلْتَنْطُرِ النَّوْعَانَ

قوله: (وعكسه) ما هو عكسه؟ توسيع ما ضيقته.

إذن صارت هذه الآراء والقواعد مرادة لما أراد الله ورسوله بالوحيين.

سَكَتَتْ وَكَانَ سُكُوتُهَا عَفْوًا فَلَمْ تَعْفُ الْقَوَاعِدُ بِاتِّسَاعِ بَطَانِ

يعني: أن النصوص سكنت عما سكت عنه، وكان ما سكتت عنه عفواً أما قواعدهم فإنها لم تكن متسعة ولم يكن سكوتها عفواً.

وَتَضَمَّنْتُ إِهْدَارَ مَا اعْتَبَرْتُ كَذَا بِالْعَكْسِ وَالْأَمْرَانَ مَحْدُورَانَ

قوله: (وتضمنت إهدار ما اعتبرت). يعني: اعتبار ما أهدرته، وتضمنت أيضًا شروطاً لم تكن

مشروطة شرعاً بلا برهان إذن وضعت شروطاً لم تكن شرطاً وهذه زيادة على النصوص.
وَتَضَمَّنَتْ أَيْضًا شُرُوطًا لَمْ تَكُنْ مَشْرُوطَةً شَرْعًا بِأَبْلًا بُرْهَانٍ
كَأَنَّ الْمُؤَلِّفَ يَقُولُ: إِنَّ هَذِهِ الْقَوَاعِدَ خَالَفتِ النُّصُوصَ مِنْ كُلِّ وَجْهِ هَذَا كَلَامَ الْمُؤَلِّفِ.



* قوله رَحِمَهُ اللهُ:

٤٣١٦- إِلَّا بِأَقْيَسَةٍ وَأَرَءِ وَتَقْ

لِيَلِدِ بِأَبْلًا عَلِيمٍ أَوْ اسْتِخْسَانِ

٤٣١٧- عَمَّنْ أَتَتْ هَذِي الْقَوَاعِدُ مِنْ جَمِيعِ

عِ الصَّحْبِ وَالْأَتْبَاعِ بِالْإِخْسَانِ

٤٣١٨- مَا أَسْسُوا إِلَّا اتِّبَاعَ نَبِيِّهِمْ

لَا عَقْلَ فَلْتَانِ وَرَأْيِ فُلَانِ

٤٣١٩- بَلْ أَنْكَرُوا الْأَرَءَ نُضْحًا مِنْهُمْ

لِلَّهِ وَاللَّعِي وَالدَّاعِي

٤٣٢٠- أَوْ لَيْسَ فِي خُلْفِ بِهَا وَتَنَاقُضِ

مَا دَلَّ ذَا لُبِّ وَذَا عِزْقَانِ

٤٣٢١- وَاللَّهِ لَوْ كَانَتْ مِنَ الرَّحْمَنِ مَا اخْرَجَتْ

تَلَفَّتْ وَلَا انْتَقَصَتْ مَدَى الْأَزْمَانِ

٤٣٢٢- شُبَّةً تَهَافَتْ كَالرُّجَاجِ تَخَالَهَا

حَقًّا وَقَدْ سَقَطَتْ عَلَى صَفْوَانِ

٤٣٢٣- وَاللَّهِ لَا يَرْضَى بِهَا دُوْهُمَةَ

عَلِيَاءَ طَالِيَةِ لِهَذَا الشَّانِ

٤٣٢٤- فَمِثَالُهَا وَاللَّهِ فِي قَلْبِ الْفَتَى

وَنَبَاتُهَا فِي مَنبَتِ الْإِيْمَانِ

٤٣٢٥- كَالزَّرْعِ يَبُثُّ حَوْلَهُ دَعْلٌ فِيمَ

نَعْنُهُ النَّمَاءُ فَتَرَاهُ ذَا نَقْصَانِ

٤٣٢٦- وَكَذَلِكَ الْإِيمَانُ فِي قَلْبِ الْفَتَى

عَزَسَ مِنَ الرَّحْمَنِ فِي الْإِنْسَانِ

٤٣٢٧- وَالنَّفْسُ تُنْبِتُ حَوْلَهُ الشَّهَوَاتِ وَالشُّدَّ

شُبُهَاتٍ وَهِيَ كَثِيرَةٌ الْأَفْتَانِ

٤٣٢٨- فَيُعْوَدُ ذَاكَ الْغَرْسُ يَنْسَا ذَاوِيَا

أَوْ نَاقِصِ الثَّمَرَاتِ كُلِّ أَوَانِ

٤٣٢٩- فَتَرَاهُ يَحْرُثُ ذَاتِيَا وَمَعْلُهُ

نَزْرٌ وَذَا مِنْ أَعْظَمِ الْخُسْرَانِ

٤٣٣٠- وَاللَّهُ لَوْ نَقَى الثَّبَاتَ وَكَانَ ذَا

بَصْرٍ لِدَاكَ الشُّوْكَ وَالسَّغْدَانِ

٤٣٣١- لَأَتَى كَأَمْثَالِ الْجِبَالِ مَعْلُهُ

وَلَكَّانَ أَضْعَافًا بِلَا حُسْبَانِ

الشَّرْحُ

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

يقول رَحِمَهُ اللهُ:

إِلَّا بِأَفْيَسَةٍ وَأَرَاءٍ وَتَقْطَعُ لِيَدِ بِلَا عِلْمٍ أَوْ اسْتِحْسَانِ

يعني: أن هذه الأشياء التي تضمنتها مخالفة للكتاب والسنة ليست مبنية على شيء إلا على أقيسة وآراء باطلة وتقليد لعامتهم بلا علم أو استحسان.

عَمَّنْ أَتَتْ هَذِي الْقَوَاعِدُ مِنْ جَمِيْعِ عِصَابِ الصَّحْبِ وَالْأَتْبَاعِ بِالْإِحْسَانِ

يعني: هذه القواعد التي أسسوها، عمن أتت؟ هل جاءت عن الصحابة؟ هل جاءت عن التابعين لهم بإحسان؟ الجواب: لا، وقوله: (عمن أتت) من هنا استفهامية، يعني عن أي أحد أتت هذه؟ هل جاءت عن الصحابة أو الأتباع بإحسان؟

مَا أَسُسُوا إِلَّا اتِّبَاعَ نَبِيِّهِمْ لَا عَقْلَ فَلَتَّانٍ وَرَأْيَ فُلَانٍ
يعني: أن التابعين بإحسان وكذلك الصحابة ما أسسوا إلا اتباع النبي ﷺ.

بَلْ أَنْكَرُوا الْآرَاءَ نُضْحًا مِنْهُمْ اللَّهُ وَاللِّدَّاعِي وَاللُّقْزَانَ
قوله: (أنكروا) الضمير يعود على الصحابة والتابعين لهم بإحسان.

قوله: (أنكروا الآراء). أنكروا معارضة النص للآراء، لما حدث عبد الله بن عمر عن النبي عليه الصلاة والسلام: «لَا تَمْتَعُوا إِمَاءَ اللَّهِ مَسَاجِدَ اللَّهِ»^(١). قال ابن عبد الله بن عمر والله لنمنعنهم. والرسول يقول: «لَا تَمْتَعُوا»، ولكن عبد الله بن عمر رأى ما عليه الناس من فساد فقال: والله لنمنعنهم، فأقبل عليه أبوه عبد الله يسبه سباً شديداً ما سبه مثله قط، وقال: أقول لك: قال رسول صلى الله عليه وسلم: «لَا تَمْتَعُوا إِمَاءَ اللَّهِ مَسَاجِدَ اللَّهِ». وتقول: والله نمعنهم. ثم هجره حتى مات، مع أنه عارض النص اجتهاداً، لكن لا يجوز أن يعارض نص الله ورسوله ولكن اتبع النص وفيه الخير، وإذا حدث شيء معين فعالج، أما أن تعارض النص وتقول: والله نمعنهم. والرسول يقول: «لَا تَمْتَعُوا». هذا خطأ، لكن لو حدثت فتنة من امرأة معينة امنعها، فمقابلة النص بالمعارضة هذه خطيرة؛ ولهذا قال:

بَلْ أَنْكَرُوا الْآرَاءَ نُضْحًا مِنْهُمْ
أَوْ لَيْسَ فِي خُلْفِ بِهَا وَتَنَاقُضٍ
لِللِّدَّاعِي وَاللُّقْزَانَ
مَا دَلَّ ذَا لُبٍّ وَذَا عِرْفَانٍ؟

الجواب: بلى هذا الاختلاف بين أهل الآراء وهذا التناقض يدل على فسادها؛ لأنها لو كانت سليمة ما اختلف أهلها ولا تناقضوا.

وَاللَّهُ لَوْ كَانَتْ مِنَ الرَّحْمَنِ مَا اخْتَلَفَتْ وَلَا انْتَقَصَتْ مَدَى الْأَرْزَامِ
قال الله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْقَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

شُبَّةٌ تَهَافَتْ كَالرُّجَاجِ تَخَالَهَا
حَقًّا وَقَدْ سَقَطَتْ عَلَى صَفْوَانٍ
هذا بيت مشهور، لكن آخره: وكل كاسر مكسور.

حُجَجٌ تَهَافَتْ كَالرُّجَاجِ تَخَالَهَا
حَقًّا وَكُلُّ كَاسِرٍ مَكْشُورٌ
أما ابن القيم فآتمه بهذا من أجل النظم، فقال:

شُبَّةٌ تَهَافَتْ كَالرُّجَاجِ تَخَالَهَا
إِذَا سَقَطَتْ عَلَى صَفْوَانٍ، يعني: على صفا تردت أكثر فلا يبقى لها باقية.

وَاللهَ لَا يَرْضَى بِهَا ذُو هِمَّةٍ عُلْيَاءَ طَالِيَةٍ لِهَذَا الشَّانِ
يعني: لا يرضى بهذه الآراء ذو همة عالية تطلب الشأن، وهو الحق في باب أسماء الله
وصفاته وغيرها.

فَمِثْلَهَا وَاللهَ فِي قَلْبِ الْفَتَى وَنَبَاتُهَا فِي مَنبَتِ الْإِيمَانِ
كَالزَّرْعِ يَنْبُتُ حَوْلَهُ دَعْلٌ فِيمَا نَعَهُ النَّمَاءُ فَتَرَاهُ ذَا نُقْصَانٍ

هذا مثال عجيب، هذا إنسان عنده زرع نبت حوله دغل، هذه الزروع التي تفسد الزرع
وتقضي عليه من فوق ومن تحت، يعني هذه الزروع تفسد الزرع من تحت من العروق، فتحول بين
العروق وبين أخذ الطعم الذي في الأرض، وتفسدها أيضًا من فوق تحجبه عن الشمس والهواء،
فماذا يكون حال الزرع؟ يفسد ويذبل ثم يموت أو يكون ناقصًا، ولهذا يقول رَحِمَهُ اللهُ:

وَكَذَلِكَ الْإِيمَانُ فِي قَلْبِ الْفَتَى غَرْسٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فِي الْإِنْسَانِ
نسأل الله أن يغرس في قلوبنا وقلوبكم الإيمان وينميه.

وَالنَّفْسُ تُنْبِتُ حَوْلَهُ الشَّهَوَاتِ وَالشُّهُبَاتِ وَهِيَ كَثِيرَةُ الْأَفْنَانِ

تنبت حول القلب الشهوات والشبهات، (وهي كثيرة الأفنان) يعني: كثيرة الأغصان كثيرة
الفروع، فالإيمان يغرسه الله في قلب الإنسان، ثم تأتي النفس الأمارة بالسوء وتنبت حوله
الشبهات والشهوات وتؤثر عليه، يقول (وهي كثيرة الأفنان). فيعود ذاك الغرس يبسًا زاويًا أو
ناقص الثمرات كل أوان، صحيح إذا نبتت حوله - أي حول الإيمان - الشبهات والشهوات -
والعباد بالله - فإنه يزوي الإيمان وربما يزول بالكلية، ولهذا قال العلماء: إن المعاصي يريد الكفر.

فَتَرَاهُ يَحْرُثُ دَائِبًا وَمَعْلُهُ نَزْرٌ وَذَا مِنْ أَعْظَمِ الْخُسْرَانِ

ترى الزارع يحرث دائبًا، لكن المغل قليل بما ينبت حوله من هذه النوبات التي تؤثر عليه في
الأرض وفي الجو.

وَاللهَ لَوْ نَقَى التَّنْبَاتَ وَكَانَ ذَا بَصَرٍ لِدَاكُ الشُّوكِ وَالسَّعْدَانِ

قوله: (لو نقى النبات). يعني: أزاله ونبشه حتى زال هذا النبات المضر.

لَأَتَى كَأَمْثَالِ الْجِبَالِ مَعْلُهُ وَلَكَانَ أَضْعَافًا بِلَا حُسْبَانٍ

المؤلف رَحِمَهُ اللهُ يريد بهذا المثال أن الإنسان يحرث فينظر ماذا نبت حول قلبه؟ بل حول غرس
الرحمن الإيمان في قلبه حتى يزيله ويطهره منه، والله المستعان.





فصل



- ٤٣٣٢ - هَذَا وَلَيْسَ الطَّغْنُ بِالِاطْلَاقِ فِيهِ
هَهَا كُلَّهَا فِعْلَ الْجَهُولِ الْجَانِي
- ٤٣٣٣ - بَلْ فِي الَّتِي قَدْ خَالَفتْ قَوْلَ الرَّسُو
لِ وَمُخَكَّمِ الْإِيْمَانِ وَالْفُرْقَانِ
- ٤٣٣٤ - أَوْ فِي الَّتِي مَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ فِيهِ
تَفْرِيرَهَا يَا قَوْمٍ مِنْ سُلْطَانِ
- ٤٣٣٥ - فَهِيَ الَّتِي كَمْ عَطَلْتِ مِنْ سُنَّةِ
بَلْ عَطَلْتِ مِنْ مُخَكَّمِ الْقُرْآنِ
- ٤٣٣٦ - هَذَا وَنَزَجُوا أَنْ وَاضِعَهَا فَلَا
يَعْدُوهُ أَجْرٌ أَوْ لَهُ أَجْرَانِ
- ٤٣٣٧ - إِذْ قَالَ مَبْلَغُ عِلْمِهِ مِنْ غَيْرِ إِي
جَابِ الْقَبُولِ لَهُ عَلَى إِنْسَانِ
- ٤٣٣٨ - بَلْ قَدْ نَهَانَا عَنْ قَبُولِ كَلَامِهِ
نَصًّا بِتَقْلِيدِ بِلَا بُزْهَانِ
- ٤٣٣٩ - وَكَذَلِكَ أَوْصَانَا بِتَقْدِيمِ الثُّصُو
صِ عَلَيْهِ مِنْ خَبِيرٍ وَمِنْ قُرْآنِ
- ٤٣٤٠ - نَضَحَ الْعِبَادَ بِذَا وَخَلَّصَ نَفْسَهُ
عِنْدَ السُّؤَالِ لَهَا مِنَ الدِّيَانِ

٤٣٤١- وَالْخَوْفُ كُلُّ الْخَوْفِ فَهَوَ عَلَى الَّذِي

تَرَكَ التُّضْوِصَ لِأَجْلِ قَوْلِ فُلَانٍ

٤٣٤٢- فَإِذَا بَغَى الْإِحْسَانَ أَوْلَهَا بِمَا

لَوْ قَالَ لَهُ خَضَمَ لَهُ ذُو شَانٍ

٤٣٤٣- لَرَمَاهُ بِالذَّاءِ الْعُضَالِ مُنَادِيًا

بِفَسَادٍ مَا قَدْ قَالَهُ بِأَذَانٍ

الشرح

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

هذا الفصل لما ذكر رَحِمَهُ اللهُ الطعن في أقوال من خالف الكتاب والسنة، قال:

هَذَا وَلَيْسَ الطُّعْنُ بِالِإِطْلَاقِ فِيهَا كُلُّهَا فِعْلُ الْجَهُولِ الْجَانِي

يعني: نحن إذا طعننا في أقوال هؤلاء لا نطعن فيها على الإطلاق كما يفعل الجهول الجاني الذي يطعن في أقوالنا على الإطلاق.

بَلْ فِي الَّتِي قَدْ خَالَفتُ قَوْلَ الرَّسُولِ لِمُؤَخَّكَمِ الْإِيمَانِ وَالْفُرْقَانِ

وهذا من العدل ألا نطعن فيها خالف القرآن والسنة، وهذا هو الواجب على الإنسان أن يكون عدلاً يقبل الحق ممن جاء به، ويرد الباطل ممن جاء به فيكون مراده الحق.

أَوْ فِي الَّتِي مَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ فِي تَقْرِيرِهَا يَا قَوْمِ مِنْ سُلْطَانٍ

يعني: نطعن فيها خالف أو في شيء لم ينزل به سلطان من الله يقرره، فأقوال الناس ثلاثة أقسام: * قول وافق الدليل فهو مقبول من أي شخص.

* وقول خالف الدليل فهو مردود.

* وقول لم ينزل الله به من سلطان ويطلب فيه الدليل، ولكن لا دليل فهذا أيضًا مردود.

ولهذا يقال شيئين ما خالف قول الرسول، والتي لم ينزل الله في تقريرها من سلطان، هذا هو الذي نرده، أما ما وافق قول الرسول فإننا نقبله وإن كان من أقوال هؤلاء الفلاسفة أو المنافقين.

فَهِيَ الَّتِي كَمْ عَطَلْتُمْ مِنْ سُنَّةٍ بَلْ عَطَلْتُمْ مِنْ مُؤَخَّكَمِ الْقُرْآنِ

قوله: (فهي التي) يعني: هذان النوعان من الأقوال.

هَذَا وَتَرْجُو أَنْ وَاضِعَهَا فَلَا يَغْدُوهُ أَجْرٌ أَوْ لَهُ أَجْرَانِ

يعني: نرى أن من قالها عن اجتهاد فلا يخلو من أجر أو أجرين: يكون أجران إذا أصاب وواحد إذا أخطأ.

إِذْ قَالَ مَبْلَغُ عِلْمِهِ مِنْ غَيْرِ إِيَّابِ الْقَبُولِ لَهُ عَلَى إِنْسَانٍ

يعني قال: مبلغ علمه، ولا قال يجب على الناس أن يتبعوه (من غير إيجاب القبول على إنسان)، وهذا هو العالم الرباني الذي يبين الحق في نظره، ولا يقول للناس: يلزمكم أن تتبعوا قولي. استمع إلى كلام ابن القيم رحمته الله يقول:

بَلْ قَدْ نَهَانَا عَنْ قَبُولِ كَلَامِهِ نَصًّا بِتَقْلِيدِ بِلَا بُرْهَانٍ

انظر كلام الأئمة ولا سيما الأئمة المتبعون الأربعة، تجد كل كلامهم ينهون عن تقليد آراء الرجال، ويقولون بلسان المقال أو لسان الحال: إذا خالفت أقوالنا قول الرسول فاضربوا بها عرض الحائط. وهذا هو الحق، فليس الحق أن يقول الإنسان بلسان حاله أو مقاله: لا تخرجوا عن قولي. ثم يغضب إذا رأى الناس خرجوا عن قوله، أقول: إن كل شخص يريد من الناس أن يتبعوا قوله ويرى أن ذلك واجب، فإنه قد جعل نفسه شريكاً للرسول ﷺ؛ لأنه لا أحد يجب اتباع قوله إلا الرسول ﷺ.

وَكَذَلِكَ أَوْصَانَا بِتَقْدِيمِ النَّصِّ صِغَرِ مِنْ خَبَرٍ وَمِنْ قُرْآنٍ

يعني: المجتهد منا معشر أهل السنة.

قوله: (أوصانا بتقديم النصوص عليه). يعني: على قوله: (من خبر ومن قرآن)، ولهذا يقول المؤلف:

نَصَحَ الْعِبَادَ بِذَا وَخَلَصَ نَفْسَهُ عِنْدَ السُّؤَالِ لَهَا مِنَ الدِّيَانِ

قوله: (نصح العباد بذا) بماذا نصحهم؟ بالألا يتبعوا قوله بلا حجة ونصحهم حيث اجتهد وبالغ في الاجتهاد، وقال مبلغ علمه: (ثم خلص نفسه عند السؤال لها من الديان). خلص نفسه لما قال: لست نبياً لست واجب الاتباع، أنا أقول لكم هذا مبلغ علمي هذا محط اجتهادي، ولست نبياً ألزمكم بقولي. خلص نفسه أم لا؟ خلصها فيوم القيامة إذا سأله الله قال: يا رب ما ألزمت عبادك بما أقول لكنني اجتهدت لهم، وقلت هذا مبلغ علمي وهذا غاية جهدي.

وَالْخَوْفُ كُلُّ الْخَوْفِ فَهَوَّ عَلَى الَّذِي تَرَكْتُ النَّصُوصَ لِأَجْلِ قَوْلِ فُلَانٍ

يعني: هذا هو الخوف أن يترك الإنسان النص ويقول: قال فلان تقول: قال رسول الله، فيقول: قال فلان، لو قلت قال رسول الله، فقال: قال أبو بكر يخاف عليه أم لا؟ نعم، سبحان الله ألم يقل الرسول: «عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ»^(١). بدأ بسنته مقدمة على كل سنة؛ ولهذا يروى عن ابن عباس أنه قال: يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء كما نزلت على قوم لوط؛ أقول قال رسول

الله وتقولون قال أبو بكر وعمر هذا وهما - أبو بكر وعمر - اللذان قال فيها رسول الله ﷺ: «اقتدوا باللذنين من بعدي أبي بكر وعمر»^(١) وقال: «إِنْ يُطِيعُوا أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ يَرْتُدُّوا»^(٢). ومع ذلك لو عارضت قول الرسول بقوليها واتبعناهما لأوشك أن تنزل عليك حجارة من السماء.

وَإِذَا بَغَى الْإِحْسَانَ أَوْلَهَا بِمَا لَوْ قَالَهُ خُصِمَ لَهُ ذُو شَانٍ

قوله (وإذا بغى الإحسان) يعني: أن يوفق بين قول فلان والنصوص، ماذا يفعل؟ يؤولها تأويل تحريف لا تأويل تفسير؟ المراد أولها تأويل تحريف؛ لأجل أن توافق قول فلان؛ مثل: ما أوله دعاء الاشتراكية؛ حيث قالوا: الاشتراكية من الإسلام والاشتراكيون أنت إمامهم، واستمع إلى قول الله تعالى: ﴿ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِّنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ شُرَكَاءَ فِي مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ﴾ [الروم: ٢٨]، هذه الاشتراكية غير كلام الله شيء؟ لا.

إذن هذا من التأويل تبعوا إمام الاشتراكية وهذا القرآن يدل عليه فأولوا تأويل تحريف؛ لأن المعنى أن الله ينكر على هؤلاء، هل عبيدكم يشاركونكم في الرزق ويكونون معكم سواء؟ هذا إنكار نفي، إذن عبيدكم ما يشاركونكم، فكيف تجعلون عبيدي يشاركوني في العبادة؟ هذا عدل أم غير عدل؟ هذا خلاف العدل بالقياس.

لَرَمَاهُ بِالذَّاءِ الْغُضَالِ مُنَادِيًا بِفَسَادٍ مَا قَدْ قَالَهُ بِأَذَانٍ

يعني: لو أن بغى الإحسان أولها بهذا التأويل لرماه بالذاء الغضال وقال: أنت محرّف، أنت مرتد، أنت فاسق، أنت ضال وما أشبه ذلك خلاصة هذا الفصل؛ أن الواجب على الإنسان بأن يقول العدل؛ إذا جاء الحق من عدوك فاقبله وإذا جاء الباطل من صديقك فارفضه.

القول المقرون بالدليل ما يقولوا قولي هذا كلام الرسول هذا كلام الله، فالاستدلال إذا كان صحيحًا والدليل غير صحيح لزمه؛ لا لأنه قول فلان ولكنه يقتضي الدليل. هذا متفق عليه بين العلماء، فليس للإنسان أن يجبر الناس على الأخذ بقوله، لكن عليه أن يجبرهم على الأخذ بالدليل، مثلاً لو قال: الميسر حرام هو يلزمه أن يأخذ بأن الميسر حرام؛ لأن فلاناً قال: بأن الله قال. لكن هناك مسائل اجتهادية قابلة للأخذ والرد فلا تلزم الناس بما تراه.

مسألة: التعصب للأئمة وتقديم أقوالهم مقدمة على قول الرسول، هل يصل إلى الكفر؟

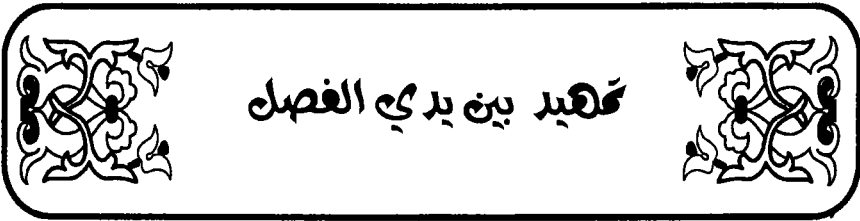
(١) صحيح: انظر صحيح الجامع (١١٤٢).

(٢) رواه مسلم (٦٨١).

الجواب: لا؛ لأن غالب الذين يتعصبون للأئمة جهال عامة فلا يصل للكفر؛ لأنك تجده يتعصب لهذا الإمام، لا لأنه يقدمه على الرسول، ولكن يقول: لأن الإمام أعلم منك أنت يمكن أن يكون قد خفي عليك أحاديث لم تحفَ على الإمام، فأكثر ما يجاجون به هذا يقول: أنت أعلم من أحمد بن حنبل، ماذا تقول؟ إن قلت: نعم، فأنت لست أعلم منه وإن قلت: لا، قال: إذن أقررت على نفسك بأنك أقصر منه فهو أعلم منك.

والتعصبون لا شك أنهم في ضلال، لكن القول بخروجهم من الملة خطأ.





قال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللهُ:

فصل

في لازم المذهب: هل هو مذهباً أم لا

أما كلام الله وكلام رسوله فإنه كله حق، ودلالاته الثلاث حق: دلالة المطابقة والتضمن ودلالة الالتزام، لأنه تنزيل من حكيم عليم حميد، محكم قد علم الله ما يلزم وحيه وما تتوقف عليه كلماته وكلمات رسوله من الشروط والتمتات التي يتوقف كثير من المعاني عليها.

فهذا النوع من الكلام لا يدخل في الخلاف الذي أشار إليه المؤلف، وأما كلام أهل العلم وأرباب المذاهب في الأصول والفروع فدلالة المطابقة والتضمن معلوم أنها داخلة في كلامهم لأنها هي معنى الكلام، وأما إذا قالوا مقالة ولزم منها أقوال آخر متوقفة عليها صحيحة أو فاسدة فالصواب والتحقيق الذي يدل عليه الدليل أن لازم المذهب الذي لم يصرح به صاحبه ولم يشر إليه ولم يلتزمه ليس مذهباً، لأن القائل غير معصوم، وعلم المخلوق مهما بلغ فإنه قاصر، فبأي برهان نلزم القائل بما لم يلتزمه، ونقول ما لم يقله، ولكننا نستدل بفساد اللازم على فساد الملزوم، فإن لوازم الأقوال من جملة الأدلة على صحتها وضعفها وعلى فساده، فإن الحق لازمه حق، والباطل يكون له لوازم تناسبه فيستدل بفساد اللازم خصوصاً الذي يعترف القائل بفساده على فساد الملزوم، كما تقدم في إلزام الجهمية على أقوالهم الفاسدة لوازم يعترفون بفسادها ويكفرون من قال بتلك اللوازم، كالإيمان في قولهم في الإيثار إنه مجرد إقرار العبد بأن الله ربه أنه يلزم من هذا القول الحكم بإيثار إبليس وفرعون وقوم عاد وثمود وقوم نوح وكل مكذب للرسول إذا كان يعترف بالله.

وكذلك نفهم لصفات الله وأفعاله وعلوه على خلقه من لوازم التعطيل المحض ونفي وجود الله بالكلية. وكذلك تقدم لوازم قولهم في تفسيرهم لكلام الله أنه يلزم منه أن كلام الخلق كلهم كلام الله كما قاله الاتحادية. والقول بنفي الرسالة ونحوها مما مر ومر توجيهه. فهذه الإلزامات الصحيحة. وأما إلزام أهل الكلام لأهل السنة القول بالجسمية أو التشبيه إذا أثبتوا الصفات فهو إلزام منهم باطل في نفسه، باطل في نفس إلزامهم، وتقدم وجه فساده واستفسارهم الذي يبطل به

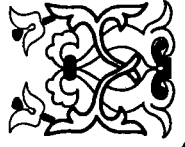
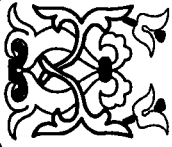
قولهم، فالزامهم لأهل السنة ما لم يلتزموه افتراء منهم وتقول عليهم، واللازم الذي قالوه باطل بالنص والإجماع لأن الله ليس كمثله شيء في جميع صفاته، فكما أثبت لنفسه عظيم الصفات فقد نفى عنه مماثلة أحد من المخلوقين وأن يكون له كفو أو نِدَّ.

وقد تبادت هذه الطائفة أرباب الكلام الباطل حتى إن بعض من يشار إليه منهم بالفضل والعلم حكى الإجماع أن خلق العرش بعد خلق السماوات والأرض. وما حمله على هذا القول الذي فاه به وخالف نص الكتاب والسنة وإجماع الأمة إلا تفسير الاستواء بالاستيلاء والخلق، وأن قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤].

يعني على زعم هذا المفتري: ثم خلق العرش. والقول إذا وصل إلى هذه الحالة السمجة فهو نهاية الافتراء والتحريف والتعصب.



فصل



في لازم المذهب هل هو مذهب أم لا؟

- ٤٣٤٤- وَلَوْ أَرِيتُ الْمَعْنَى تُرَادُ بِذِكْرِهِ
مِنْ عَارِفٍ بِلُزُومِهَا الْحَقَّائِي
٤٣٤٥- وَسِوَاهُ لَيْسَ بِلَازِمٍ فِي حَقِّهِ
قَضْدُ اللَّوْازِمِ وَهِيَ ذَاتُ بَيَانٍ
٤٣٤٦- إِذْ قَدْ يَكُونُ لُزُومُهَا الْمَجْهُولَ أَوْ
قَدْ كَانَ يَعْلَمُهُ بِلَا نُكْرَانَ
٤٣٤٧- لَكِنْ عَرِثُهُ غَفْلَةٌ بِلُزُومِهَا
إِذْ كَانَ ذَا سَهْوٍ وَذَا نِسْيَانٍ
٤٣٤٨- وَلِذَلِكَ لَمْ يَكْ لَازِمٌ لِمَذَاهِبِ الْ
عُلَمَاءِ مَذَاهِبُهُمْ بِلَا بُرْهَانَ
٤٣٤٩- فَالْمُقَدِّمُونَ عَلَى حِكَايَةِ ذَاكَ مَذْ
هَبُهُمْ أَوْلُو جَهْلِ مَعَ الْعُدْوَانِ
٤٣٥٠- لَا فَرْقَ بَيْنَ ظُهُورِهِ وَخَفَائِهِ
قَدْ يَذْهَبُونَ عَنِ اللُّزُومِ الدَّائِي
٤٣٥١- سَيِّمًا إِذَا مَا كَانَ لَيْسَ بِلَازِمٍ
لَكِنْ يَظُنُّ لُزُومَهُ بِجَنَانٍ
٤٣٥٢- لَا تَشْهَدُوا بِالزُّورِ وَيُلَكُّمُ عَلَى
مَا تُلْزِمُونَ شَهَادَةَ الْبُهْتَانِ

٤٣٥٣- بِخِلَافٍ لَأَزِمٍ مَا يَقُولُ إِلَهَنَا

وَتَبَيَّنَا الْمَعْصُومُ بِالْبُرْهَانِ

٤٣٥٤- فَلِذَا دَلَالَاتُ النُّصُوصِ جَلِيَّةٌ

وَحَفِيَّةٌ تَخْفَى عَلَى الْأَذْهَانِ

٤٣٥٥- وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ الْفَهْمَ فِي

آيَاتِهِ رِزْقًا بِإِلَّا حُسْبَانِ

٤٣٥٦- وَاخْتِزْ حِكَايَاتٍ لِأَزْبَابِ الْكَلَا

مِ عَنِ الْخُصُومِ كَثِيرَةَ الْهَدْيَانِ

٤٣٥٧- فَحَكُوا بِمَا ظَنُّوهُ يَلْزِمُهُمْ فَقَا

لُوا ذَلِكَ مَذْهَبُهُمْ بِإِلَّا بُرْهَانِ

٤٣٥٨- كَذَبُوا عَلَيْهِمْ بِأَهْتِنَ لَهُمْ بِمَا

ظَنُّوهُ يَلْزِمُهُمْ مِنَ الْبُهْتَانِ

٤٣٥٩- فَحَكَى الْمُعْطَلُ عَنْ دَوَى الْإِنْبَاتِ قَو

لَهُمْ بِأَنَّ اللَّهَ ذُو جُنْسَمَانِ

٤٣٦٠- وَحَكَى الْمُعْطَلُ أَنَّهُمْ قَالُوا بِأَنَّ

نَ اللَّهَ لَيْسَ يَرَى لَنَا بِعِيَانِ

٤٣٦١- وَحَكَى الْمُعْطَلُ أَنَّهُمْ قَالُوا يَجُ

زُ كَلَامُهُ مِنْ غَيْرِ قَضْدٍ مَعَانِ

٤٣٦٢- وَحَكَى الْمُعْطَلُ أَنَّهُمْ قَالُوا بِتَخ

بِيِزِ الْإِلَهِ وَخَضْرِهِ بِمَكَانِ

٤٣٦٣- وَحَكَى الْمُعْطَلُ أَنَّهُمْ قَالُوا لَهُ أَل

أَعْضَاءُ جَلَّ اللَّهُ عَنْ بُهْتَانِ

٤٣٦٤- وَحَكَى الْمُعْطِلُ أَنْ مَذَهَبَهُمْ هُوَ الثَّ

تَشْبِيهِهُ لِلْخَلَاقِ بِالْإِنْسَانِ

٤٣٦٥- وَحَكَى الْمُعْطِلُ عَنْهُمْ مَا لَا يَقُو

لُوه وَلَا أَشْيَاخُهُمْ بِلِسَانِ

٤٣٦٦- ظَنَّ الْمُعْطِلُ أَنَّ هَذَا لِأَزِمٍ

فَلِذَا أَتَى بِالزُّورِ وَالْعُدْوَانِ

٤٣٦٧- وَعَلِيهِ فِي هَذَا مَعَاذِيرٌ ثَلَا

ثُ كُلُّهَا مُتَحَقِّقُ الْبُطْلَانِ

٤٣٦٨- ظَنَّ اللَّزُومَ وَقَذَفُهُمْ بِلُزُومِهِ

وَتَمَامِ ذَلِكَ شَهَادَةُ الْكُفْرَانِ

٤٣٦٩- يَا شَاهِدًا بِالزُّورِ وَيَحْكُ لَمْ تَخْفَ

يَوْمَ الشَّهَادَةِ سَطْوَةَ الدِّيَانِ

٤٣٧٠- يَا قَائِلَ الْبُهْتَانِ غَطَّ لَوَازِمًا

قَدْ قُلْتَ مَلْزُومَاتِهَا بَيِّنًا

٤٣٧١- وَاللَّهِ لِأَزِمِهَا انْتِفَاءُ الدَّاتِ وَالْ

أَوْصَافِ وَالْأَفْعَالِ لِلرَّحْمَنِ

٤٣٧٢- وَاللَّهِ لِأَزِمِهَا انْتِفَاءُ الدِّينِ وَالْ

قُرْآنِ وَالْإِسْلَامِ وَالْإِيمَانِ

٤٣٧٣- وَلُزُومٌ ذَلِكَ بَيْنَ جِدًّا لِمَنْ

كَانَتْ لَهُ أَدْنَانِ وَعَاعِيَانِ

٤٣٧٤- وَاللَّهِ لَوْلَا ضَيْقُ هَذَا النَّظْمِ يَبِ

يَنْتُ اللَّزُومَ بِأَوْضَحِ التَّبْيَانِ

الشَّرْحُ

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

يقول المؤلف رحمه الله تعالى: في لازم المذهب هل هو مذهب أم لا؟

وَلَوَازِمُ الْمَعْنَى تُرَادُ بِذِكْرِهِ مِنْ عَارِفٍ بِلِزُومِهَا الْحَقَّانِي

أول هذه اللازمة يعني: لازم الكلام ملزم للقائل أو لا؟ يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: إنه لا يلزم القائل بلازم كلامه إلا إذا كان عارفاً باللازم، فيحتاج الآن مسألتين: أن يقر أنه من اللازم، وأن يعرف أنه من اللازم، فإذا أقر به وقد عرف صار هذا اللازم قولاً له بشرط أن يعترف بأنه لازم أما إذا منع فسيأتي إن شاء الله الكلام عليه؛ ولهذا قال:

وَسِوَاهُ لَيْسَ بِلَازِمٍ فِي حَقِّهِ قَضَدَ اللَّوَازِمِ وَهِيَ ذَاتُ بَيَانٍ

(وسواه) أي: سوى العارف يعني: سوى من لا يعرف لازم كلامه لا يكون لازماً له لماذا؟ قال:

إِذْ قَدْ يَكُونُ لِرُؤُومِهَا الْمَجْهُولُ أَوْ قَدْ كَانَ يَغْلُمُهُ بِأَلَا تُكْرَانِ

لَكِنْ عَرَّضَهُ غَفْلَةً بِلِزُومِهَا إِذْ كَانَ ذَا سَهْوٍ وَذَا نِسْيَانٍ

يقول ذلك لازم قصد اللوازم، وبين السبب قال: (إذ قد يكون لزومها المجهول) يعني: مجهولاً له. إذن قد يكون اللازم مجهول للمتكلم يعني: لم يظن أنه يلزم من كلامه هذا المعنى ولو ظن لرجع عن قوله، يعني فمثلاً لو قال: إن الله سبحانه وتعالى بذاته في كل مكان. يلزم على هذا القول أن يكون الله في المواضع القدرية، وأن يكون متجزئاً وأن يكون متعددًا، ولاشك أن هذا اللازم باطل، فهل هذا يعتبر قولاً لمن قال: إن الله بذاته في كل مكان؟ إذا كان قد عرف أن هذا لازم من قوله والتزمه صار قولاً له وإن لم ينطق به، وإن كان لا يعلم أنه لازم قوله يعني: غفل أو جهل أو نسي أو امتنع من أن يكون لازماً قال: بل إن هذا لازم أن يكون في أماكن القاذورات وغيرها فإنه لا يكون قولاً له؛ ولهذا إذا تكلم العلماء على أحد قال قولاً خاطئاً يلزم على قوله شيء باطل لم يجعلوا هذا اللازم قولاً له، ولهذا يقول: يلزم من هذا القول ولا يكون هذا اللازم قول للقائل؛ لأنه قد يكون جاهلاً بهذا اللازم وإذا كان جاهلاً كيف يقال إنه من أقواله؟ فقد يكون اعترضته غفلة ونسيان يعني: يعلم أنه يلزم لكنه نسي فكيف نقول: إن الرجل الناسي لهذا اللازم يجعل اللازم قولاً له؟!

الوجه الثالث: قد يمنع هذا اللازم ويقول: لا يلزم على قولي كذا وكذا وحيث لا يكون قولاً له كما بينت.

وَلِذَاكَ لَمْ يَكْ لَازِمٌ لِمَذَاهِبِ الْغُلَمَاءِ مَذَاهِبُهُمْ بِأَلَا بُرْهَانٍ

يعني: ما كان لازماً من أقوال العلماء ليس من مذاهبهم، يعني إذا كان يلزم على قول هذا العالم كذا فليس قولاً له، وإذا كان يلزم على هذا المذهب كذا فليس مذهباً حتى يُورد هذا اللازم على

القائل، ثم يقول: نعم هذا يلزم على قولي وأنا ملتزم به فحينئذ يكون اللازم قوله، فصار لازم القول ليس بقول إلا إذا عرفه القائل والترمز به، فإن لم يعرف فليس بقوله، وإن عرفه وردّه وقال: لا يلزم من قولي كذا وكذا فليس بقول له.

فإذا قال قائل: إذا كنا نجهل هل الرجل الذي قال هذا القول يعلم أن قوله يستلزم هذا القول أو لا يعلم؟ الأصل أنه لا يعلم، فالأصل عدم العلم والأصل عدم التزامه، قال:

فَالْمُقَدِّمُونَ عَلَى حِكَايَةِ ذَلِكَ مَدُّ هَبُّهُمْ أَوْ لَوْ جَهْلٌ مَعَ الْعُدْوَانِ

يعني: المقدمون على أن يحكوا لازم القول قولاً هؤلاء جهال وذوو عدوان؛ لأن القائل إذا ورد عليه اللازم؛ فإن قبله والتزمه فهو قول له، وإن رده وأنكره وقال: هذا لا يلزم فليس قول له أقوال منكورة في باب الصفات وغيرها؛ لكن إذا كان يلزم عليها لوازم باطلة، فلماذا لم يرجع عنها أصحابها؟ نقول: هل عندك علم أنها بلغتهم؟ لا ندري ربما كانوا لا يلزمون بها وهم كانوا قد جهلوا هذا الباب أو نسوه، وكثيراً ما يقال للقائل: إنه يلزم من كلامك كذا وكذا ثم يرجع إذا علم أن اللازم من الباطل فإن الملزوم باطل عند العقلاء كلهم.

لَا فَرْقَ بَيْنَ ظُهُورِهِ وَخَفَائِهِ قَدْ يَذْهَلُونَ عَنِ اللُّزُومِ الدَّنَائِي

سَيِّمًا إِذَا مَا كَانَ لَيْسَ بِإِلَازِمٍ لَكِنْ يَظُنُّ لُزُومَهُ بِجَنَانٍ

يعني: أن الذين يقدمون على شكاية الله بأنه مذهب للقائل لا يفرقون بين اللازم الظاهر واللازم الخفي؛ لأن اللوازم - كما تعلمون - قد تكون ظاهره، لو قلت: صنع فلان باباً، ماذا يكون لازم للصنعة؟ أن يكون قادراً وأن يكون عالماً وأن يكون عنده مواد، أليس كذلك؟ بلى إذن نقول: هذا الذي صنع الباب عنده قدرة بدنية وقدرة فكرية وقدرة مالية، من أين عرفنا ذلك؟ من أنه لا يمكن صنع الباب إلا بهذا وهذا ظاهر، وقد يكون اللزوم خفياً لا يدركه كل أحد فكونه لا يفرق بين الخفي والظاهر لا شك أنه لزوم؛ ولهذا قال:

لَا فَرْقَ بَيْنَ ظُهُورِهِ وَخَفَائِهِ قَدْ يَذْهَلُونَ عَنِ اللُّزُومِ الدَّنَائِي

قوله: (لا فرق بين ظهوره وخفائه) حيث يجعلون لازم المذهب مذهباً، وقوله: (قد يذهلون عن اللزوم الداني) الداني: القريب.

سَيِّمًا إِذَا مَا كَانَ لَيْسَ بِإِلَازِمٍ لَكِنْ يَظُنُّ لُزُومَهُ بِجَنَانٍ

(سيما) بمعنى: لاسيما (إذا ما كان ليس بلازم) ما هذه زائدة، يقول القائل:

يَا طَالِيًّا خُذْ فَأَيْدِهِ مَا بَعْدَ ذَا زَائِدِهِ

يعني: إذا جاءت (ما) بعد إذا فهي زائدة، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا مَا عَصَبُوا أُمَّهَاتِهِمْ يَقْفِرُونَ﴾ [الشورى: ٣٧]

أي: إذا غضبوا ﴿حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ﴾ [فصلت: ٢٠]، يعني: حتى إذا جاءوها.

هنا يقول المؤلف رَحِمَهُ اللهُ: (سبياً إذا ما كان ليس بلازم) يعني: فيما إذا كان (ليس بلازم لكن يظن لزومه بجنان).

لَا تَشْهَدُوا بِالزُّورِ وَيَلْكُمْ عَلَىٰ مَا تَلْزُمُونَ شَهَادَةَ الْبُهْتَانِ

الخطاب لأهل السنة، فالزوم على أهل السنة والجماعة لوازم غير لازمة لهم، مثاله قاهم: إنكم لو أثبتتم أن الله مستوٍ على العرش لزم أن يكون محسوساً؛ لأن المستوي على المحسوس محسوس فيكون ذلك معنى لازماً، وهذا إذا قالوا: إنكم إذا أثبتتم الوجه واليدين لزمكم أن تثبتوا بأن الله جسم مركب من أعضاء، وإذا كان يقال وجه الثوب لمستقبله ونعلم أنه ليس كقولنا وجه الإنسان، أليس كذلك؟ بلى وإذا كان الله يقول عن بني إسرائيل: ﴿أَمْ نُؤَايَا الَّذِي أُنزِلَ عَلَىٰ الَّذِينَ آمَنُوا وَجَهَ النَّهَارِ﴾ [آل عمران: ٧٢]، قال الله: وجه النهار فجعل للنهار وجهًا، ومعلوم: أن وجه النهار مستقبله، يقول:

بِخِلَافٍ لَازِمٍ مَا يَقُولُ إِلَهَنَا
عِنْدَ مَا نَقُولُ بِالْبُهْتَانِ
يعني: فإنه معتبر ولازم.

فَلِذَا دَلَالَاتُ النُّصُوصِ جَلِيَّةٌ
وَخَفِيَّةٌ تَخْفَى عَلَى الْأَذْهَانِ

يعني: دلالات النصوص على اللازم تجعل اللازم حكمًا ثابتًا إذا كان يلزم من هذا النص كذا وكذا فهو لاحق ولا يمكن إنكاره، لكن الذي يجب هنا التوقف، هل هذا لازم أو ليس بلازم؟ كيف ذلك؟ لأن الناس يختلفون في فهم اللازم اختلافًا كثيرًا، فقد يقول قائل: هذا لازم لهذا أو ليس بلازم، وقد يكون هذا لازمًا للكلام ولكن لم يدركه أحد إلا واحد من اثنين مثلاً؛ ولهذا يقول المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

فَلِذَا دَلَالَاتُ النُّصُوصِ جَلِيَّةٌ
وَخَفِيَّةٌ تَخْفَى عَلَى الْأَذْهَانِ

دلالات النصوص جلية واضحة، وهنا الدلالات خفية تخفى على بعض الناس، ونحن نضرب مثلاً لدلالة اللزوم قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ﴾ [الطلاق: ١٢] ماذا يلزم من الخلق؟ القدرة؛ لأن غير القادر لا يَخْلُقُ، والعلم؛ لأن غير العالم لا يَخْلُقُ، والحياة؛ لأن غير الحي لا يَخْلُقُ، والإرادة؛ لأنه لا فعل إلا بإرادة، وعلى كل حال: اللوازم الآن يختلف فيها الناس اختلافًا كثيرًا وبعضها قريب وبعضها بعيد، يقول رَحِمَهُ اللهُ:

وَاللَّهُ يَزْرُقُ مَنْ يَشَاءُ فَهَمَّ فِي
آيَاتِهِ رِزْقًا بِإِلَّا حُسْبَانِ

أي: قد يرزق الله عبدًا فهما في كلامه لا نظير له، وقد يكون الأمر بالعكس.

وَاحْدَزَ حِكَايَاتٍ لِأَرْبَابِ الْكَلَامِ م عَنِ الْخُصُومِ كَثِيرَةٍ الْهَدْيَانِ
قوله: (احذر حكايات لأرباب الكلام) يعني: المتكلمين، قوله: (عن الخصوم) يعني به: أهل
السنة (كثيرة الهديان).

فَحَكَّوْا بِمَا ظَنُّوهُ يَلْزِمُهُمْ فَقَا لَوْا ذَاكَ مَذْهَبُهُمْ بِلَا بُرْهَانَ
حكوا عن أهل السنة ما يظنون أنه لازمٌ لمذهبهم، فقالوا: هذا مذهبهم قالوا: يقول أهل السنة:
إن الله له أعضاء، وله أجزاء، وأنه يتحرك، وأنه يذكر شيئاً ولا يذكر آخر وهكذا. ويوهمون على
العامّة ويظنون أن هذا هو المذهب الصحيح .

كَذَبُوا عَلَيْهِمْ بِأَهْتِيْنِ لَهُمْ بِمَا ظَنُّوهُ يَلْزِمُهُمْ مِنَ الْبُهْتَانِ
فهل يلزمننا نحن إذا أثبتنا لله وجهًا وعينًا ويدًا وقدمًا أن نكون قد مثلنا؟ أبدًا ما يجب، هم
يقولون: أنتم ممثلة هل يلزمننا أن نقوم بالتمثيل؟ لا يلزمننا لكن هم يقولون: أنتم مجسمة. هل
يلزمننا أن نقول إن الله له أعضاء؟ لا يلزمننا، هم يقولون: إنكم ممثلة تقولون بهذا.

فَحَكَّى الْمُعْطَلُ عَنْ ذَوِي الْإِبْتِاطِ قَوْلَهُمْ بِأَنَّ اللَّهَ ذُو جُثْمَانٍ
هذا من الكذب (الجثمان) من الجسم، يقول: إنكم تقولون - أنتم أيها المثبتة: إن الله تعالى له
سمع وبصر ويد ووجه وهذا يلزم أن يكون الله جسمًا؛ فأنتم ومجسمة، من الجثمان.

فَحَكَّى الْمُعْطَلُ أَنَّهُمْ قَالُوا بِأَنَّ اللَّهَ لَا يَرَى بَعِيَانٍ
يقول المعطلة: إن أهل السنة يقولون: إن الله لا يرى بعيان، وهذا كذبٌ عليهم، هم يقولون: إن الله
يرى بالعيان ومن أنكر الرؤية فهو على خطر وربما عطل وقضاؤهم أي: أهل السنة عليه كفرًا.

وَحَكَّى الْمُعْطَلُ أَنَّهُمْ قَالُوا يَجُوزُ كَلَامُهُ مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ مَعَانٍ
معناه يجوز أن يتكلم الله عز وجل من غير أن يقصد المعنى؛ ولهذا فَصَلُّوا اللفظ عن المعنى،
فمنهم من قال: إن الكلام هو المعاني فقط، ومنهم من قال: إن الكلام هو اللفظ فقط؛ ولكن
الصواب أن الكلام عند أهل السنة هو اللفظ والمعنى جميعًا.

وَحَكَّى الْمُعْطَلُ أَنَّهُمْ قَالُوا يَتَّخِذُ الْإِلَهَ وَحَضْرَهُ بِمَكَانٍ
هل قلنا بذلك؟ لا، لكن هو يزعم أنك إذا قلت: إن الله استوى على العرش. لزم أن يكون
محدودًا محصورًا.

وَحَكَّى الْمُعْطَلُ أَنَّ مَذْهَبَهُمْ هُوَ التَّشْبِيهُ لِلْخَلَاقِ بِالْإِنْسَانِ
إثبات اليد والوجه والعين والساق قالوا: إذن أنتم مثلتم الله عز وجل فأنتم ممثلة.
وعلى زعمهم من أثبت لله صفة فهو مشبه.

وَحَكَى الْمُعْطِلُ عَنْهُمْ مَا لَمْ يَقُو لُوهُ وَلَا أَشْيَاخُهُمْ بِلِسَانِ

ولكنه كذب يحكي عنهم أسوأ ما قالوه وليس لها أصل عندهم، ومع ذلك يقول: إنهم يقولون بهذا اللازم - وهو باطل - على زعمه أنه لازم.

ظَنَّ الْمُعْطِلُ أَنَّ هَذَا لَازِمٌ فَلِذَا أَتَى بِالزُّورِ وَالْعُدْوَانِ

يعني: أن المعطل قد يكون لزمه لأهل السنة بأنهم مشبهة حقيقة وقد يكون على سبيل العدوان؛ فلهذا يقول رَحِمَهُ اللهُ:

فَعَلَيْهِ فِي هَذَا مَعَاذِيرٌ ثَلَا ثُ كُلُّهَا مُتَحَقِّقُ الْبُطْلَانِ

الأول: ظن اللزوم، والثاني: قذف بلزومه، والثالث: تمام ذاك شهادة الكفران.

ظَنَّ اللَّزُومَ وَقَذَفُهُمْ بِلَزُومِهِ وَتَمَّامُ ذَاكَ شَهَادَةُ الْكُفْرَانِ

يَا شَاهِدًا بِالزُّورِ وَيَحْكُ لَمْ تَخْفُ يَوْمَ الشَّهَادَةِ سَطْوَةَ الدِّيَانِ

يعني بذلك: فطرة الله عز وجل.

يَا قَائِلَ الْبُهْتَانِ غَطِّ لَوَازِمًا قَدْ قُلْتَ مَلْزُومَاتِهَا بَيِّنًا

يعني: أنك يا صاحب البهتان تقول بملزومات هذه الأشياء ومع ذلك تعير بها أهل السنة والجماعة. يقول المؤلف رحمه الله تعالى:

وَاللهَ لَا زِمَها انْتِفَاءُ الذَّاتِ وَالْأَوْصَافِ وَالْأَفْعَالِ لِلرَّحْمَنِ

(والله) أقسم رَحِمَهُ اللهُ على هذه اللوازم (لازمها انتفاء الذات والأوصاف والأفعال للرحمن)،

يعني: ما قلته من النفي والتعطيل من لازم انتفاء ذات الله، انتفاء أوصافه، وانتفاء أفعاله.

وَاللهَ لَا زِمَها انْتِفَاءُ الدِّينِ وَالْقُرْآنِ وَالْإِسْلَامِ وَالْإِيمَانِ

إذن قول هؤلاء يلزم منه هذه اللوازم الباطلة التي فيها انتفاء صفات الله وأفعاله وكلامه والإسلام والإيمان وكل شيء؛ لأن تعطيلهم يؤدي إلى أنه ليس في الوجود إله يُعبد ولا يُرْكَع له ويسجد له وهذا أعظم ما يكون التعطيل نسأل الله العافية.

وَلُزُومٌ ذَلِكَ بَيْنَ جِدًّا لِمَنْ كَانَتْ لَهُ أَدْنَانِ وَعَائِيَانِ

وَاللهَ لَوْلَا ضَيْقُ هَذَا النِّظْمِ بَيِّنُ اللَّزُومِ بِأَوْضَحِ التَّبْيَانِ

ولكن أحالنا رَحِمَهُ اللهُ على أن ننظر نحن بأنفسنا وننظر هذه اللوازم، فإذا قال قائل مثلاً: إن الله سبحانه وتعالى لا يُوصف بوجود ولا عدم ولا سمع ولا بصر ولا عمل ولا أنه فوق العالم ولا تحتها، ماذا يكون؟ هذا هو العدم المحض بل المستحيل؛ لأنه لا يمكن أن يوجد شيء لا يوصف

بوجود ولا عدم وكل شيء فإما موجود وإما معدوم، ربما يقول قائل: الحياة والموت لا يُوصف بهما إلا الحيوان بخلاف غيره كالجماد والحجر والشجر الحجر، فلا يوصف بحياة ولا موت، نقول: بل لا بد من وجود وعدم لا مفر منهما، ولا يمكن أن يُوصف شيء بأنه لا موجود ولا معدوم إذا نفيت وجوده لزم أن يكون معدوماً، وإذا نفيت عدمه لزم أن يكون موجوداً.



* قوله رَحَّمَ اللهُ:

٤٣٧٥ - وَلَقَدْ تَقَدَّمَ مِنْهُ مَا يَكْفِي لِمَنْ

كَانَتْ لَهُ عَيْنَانِ نَاطِرَتَانِ

٤٣٧٦ - إِنَّ الذِّكْرِي بِبَعْضِ ذَلِكَ يَكْتَفِي

وَأَخُو الْبِلَادَةِ سَاكِنُ الْجَبَّانِ

٤٣٧٧ - يَا قَوْمَنَا اغْتَبِرُوا بِجَهْلِ شِيُوخِكُمْ

بِحَقَائِقِ الْإِيمَانِ وَالْقُرْآنِ

٤٣٧٨ - أَوْ مَا سَمِعْتُمْ قَوْلَ أَفْضَلٍ وَقْتِهِ

فِيكُمْ مَقَالَةَ جَاهِلٍ قَتَّانِ

٤٣٧٩ - إِنَّ السَّمَوَاتِ الْعُلَا وَالْأَرْضِ قَبْ

لِ الْعَرْشِ بِالْإِجْمَاعِ مَخْلُوقَانِ

٤٣٨٠ - وَاللهِ مَا هَذَا مَقَالَةُ عَالِمٍ

فَضْلاً عَنِ الْإِجْمَاعِ كُلِّ زَمَانِ

٤٣٨١ - مَنْ قَالَ ذَا قَدْ خَالَفَ الْإِجْمَاعَ وَالْ

خَبَرَ الصَّحِيحَ وَظَاهَرَ الْقُرْآنِ

٤٣٨٢ - فَانظُرْ إِلَى مَا جَرَّهُ تَأْوِيلُ لَفْ

ظِ الْإِسْتِثْوَاءِ بِظَاهِرِ الْبُطْلَانِ

٤٣٨٣- زَعَمَ الْمُعْطَلُ أَنَّ تَأْوِيلَ اسْتَوَى

بِالْخَلْقِ وَالْإِقْبَالِ وَضَعَ لِسَانَ

٤٣٨٤- كَذَبَ الْمُعْطَلُ لَيْسَ ذَا لُغَةِ الْأَلَى

قَدْ خُوِطِبُوا بِالْوَحْيِ وَالْقُرْآنِ

٤٣٨٥- فَأَحَارَهُ هَذَا إِلَى أَنْ قَالَ خَلَدَ

عُ الْعَرْشِ بَعْدَ جَمِيعِ ذِي الْأَكْوَانِ

٤٣٨٦- يَهْنِيهِ تَكْذِيبُ الرَّسُولِ لَهُ وَاجِدَ

سَمَاعِ الْهُدَاةِ وَمُحْكَمِ الْقُرْآنِ^(١)

الشَّرح

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

وَلَقَدْ تَقَدَّمَ مِنْهُ مَا يَكْفِي لِمَنْ كَانَتْ لَهُ عَيْنَانِ نَاطِرَتَانِ

(تقدم) يعني: في كلام المؤلف في هذه القصيدة، (ما يكفي) أي: ما يكفي في الرد على هؤلاء وبيان لوازمهم الباطلة.

إِنَّ الذِّكْيَ بِنَبْضِ ذَلِكَ يَكْتَفِي وَأَخُو الْبِلَادَةِ سَاكِنُ الْجَبَّانِ

(الذكي): هو الذي يفهم بسرعة ويعرف، والبليد هو الذي لا يفهم كالحجار، وقوله: (ساكن الجبان) يعني: ساكن المقابر فهو ميت، و(أخو البلادة) ميت لا ينفعه شيء، ثم ذكر قولاً غريباً من أغرب ما يكون فقال:

يَا قَوْمَنَا اغْتَبِرُوا بِجَهْلِ شَيْوِخِكُمْ بِحَقَائِقِ الْإِيمَانِ وَالْقُرْآنِ

أَوْ مَا سَمِعْتُمْ قَوْلَ أَفْضَلِ وَقْتِهِ فَيَكُفُّمْ مَقَالَةَ جَاهِلٍ فَتَّانِ

إِنَّ السَّمَوَاتِ الْعُلَا وَالْأَرْضِ قَبْلَ الْعَرْشِ بِالْإِجْمَاعِ مَخْلُوقَانِ

(١) [٤٣٨٦] قال العلامة محمد خليل هراس:

وقد أجمع الأئمة الهداة على ذلك لم يختلف فيه منهم اثنان، وفي هذا الإجماع تكذيب له أي تكذيب، وليهنة كذلك تكذيب مُحْكَمِ الْقُرْآنِ لَهُ، فقد قال تعالى من سورة هود: ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوكُمْ بِآيَاتِكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ [هود: ٧] والآية موافقة للحديث في وجود العرش على الماء عند خلق السموات والأرض.

(يا قومنا) يخاطب المعطلة، ولا بأس أن يخاطب الإنسان بالقوم؛ لأن القوم لفظ عام يشمل المؤمن والكافر.

ما هذه المقالة؟ إن السموات العلى والأرض قبل الإجماع مخلوقان يقول السموات والأرض مخلوقان قبل العرش بالإجماع، أي شيء يكون هذا الكلام؟! قائل هذا المقال جاهل أم عالم؟ جاهل فمن قال إن السموات والأرض مخلوقان قبل العرش، لماذا قال هذا الكلام؟ لأنه قيل له: إذا قلت إن استوى بمعنى ملك واستولى لزم أن يكون العرش قبل خلق السموات والأرض مملوكاً لمن؟ لغير الله، قال: إذن ما دام هذا اللازم أقول: إن العرش خلق بعد خلق السموات والأرض. فعلى رأيه خلق السموات والأرض ثم خلق العرش فاستولى عليه، ومع هذا يقول بالإجماع وهو أفضل أهل وقته في زمانه.

وَاللَّهُ مَا هَذِي مَقَالَةٌ عَالِمٍ فَضْلاً عَنِ الْإِجْمَاعِ كُلِّ زَمَانٍ

والله ما يقول هذا إنسان عالم فضلاً أن يقول هذا أجمع الناس عليه من عهد الرسول إلى يومنا، ويدعي أن الناس مجمعون عليه منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم إلى يومهم، مجمعون على أي شيء؟ على أن خلق السموات والأرض قبل خلق العرش!

مَنْ قَالَ ذَا قَدْ خَالَفَ الْإِجْمَاعَ وَالْخَبَرَ الصَّحِيحَ وَظَاهِرَ الْقُرْآنِ

ما ظاهر القرآن؟ أن الله قال: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ [هود: ٧]، (وكان عرشه على الماء) ^(١) عند خلق السموات والأرض، إذن فالعرش ثابت؛ ولهذا قال: (في ظاهر القرآن) ولم يقل صريح، أما السنة فصريحة في هذا أن العرش مخلوق قبل السموات.

فَانظُرْ إِلَى مَا جَرَّهُ تَأْوِيلُ لَفْظِ الْإِسْتِوَاءِ بِظَاهِرِ الْبُطْلَانِ

حيث: قال الاستواء بمعنى الاستيلاء.

زَعَمَ الْمُعْطَلُ أَنَّ تَأْوِيلَ اسْتَوَى بِالْخَلْقِ وَالْإِقْبَالِ وَضَعَ لِسَانٍ

زعم أن تأويل استوى بالخلق والإقبال وضع لسان، يعني: أنه وضع لغوي فاللغة يأتي فيها الاستواء بمعنى الخلق، وأقبل يقول: هذا اللغة تعني يأتي الاستواء فيها بمعنى خلق ويأتي بمعنى أقبل.

كَذَّبَ الْمُعْطَلُ لَيْسَ ذَا لُغَةَ الْأَلِيِّ قَدْ خُوِطِبُوا بِالْوَحْيِ وَالْقُرْآنِ

(الأي) يعني: الذين (قد خوطبوا بالوحي والقرآن)، وهم الصحابة رضي الله عنهم.

فَأَحَارَهُ هَذَا إِلَى أَنْ قَالَ خَلْدٌ شِئْ الْعَرْشِ بَعْدَ جَمِيعِ ذِي الْأَكْوَانِ

(فأحاره) بمعنى: صيره أي أثاره، هذا المشار إليه تأويل استوى باستولى أثاره إلى أن يجعل

خلق العرش بعد خلق السموات والأرض، لماذا؟ للعلة التي أشرنا إليها أولاً وهو أنه قيل له: إذا قلت استوى بمعنى استولى، فأين يكون الاستيلاء قبل خلق السموات والأرض على العرش، ولمن يكون الاستيلاء؟ قال: إذن أُعرض عن هذا وأقول: إن العرش خُلِقَ بعد السموات والأرض ولم أسمع بهذه المقالة إلا الليلة أن أحدًا من العلماء الذين يقال إنهم علماء يقولون: إن خلق العرش كان متأخرًا عن خلق السموات والأرض، ما علمنا بهذا، ولكن - والعياذ بالله - القول الباطل يجر إلى باطل، قال:

يَهْنِيهِ تَكْذِيبُ الرُّسُولِ لَهُ وَاجِدْ سَمَاعَ الْهُدَاةِ وَمُخَكَّمِ الْقُرْآنِ

يعني: أن قوله: إن العرش مخلوق بعد السموات والأرض قد كذبه الرسول، وكذبه إجماع الهداة، وكذبه محكم القرآن.

بقي أن يقال: إنه تأويل استوى بالخلق والإقبال وضع لسان، وقد كذبه ابن القيم فليس في اللغة استوى بمعنى: أقبل، ولكن ورد عن بعض العلماء من علماء السنة في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ﴾ [البقرة: ٢٩] قالوا: الاستواء هنا بمعنى: القصد والإقبال، فإن صحَّ هذا المعنى فإن هناك فرقًا بين أن يتعدى استوى بـ (على) أو يتعدى بـ (إلى)، والمقصود: استوى على العرش لا يمكن أن يأخذ في اللغة العربية استوى المعدى بـ (إلى) بمعنى قصد أو أقبل، لا يمكن هذا.





عهد بين يدي الفصل



قال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللهُ:

فصل

في الردّ عليهم في تكفيرهم

أهل العلم والإيمان وذكر انقسامهم

إلى أهل الجهل والتفريط والبدعة والكفران

وبهذا التفصيل في هذا الفصل يتضح إنصاف أهل السنة في معاملتهم لأعدائهم من أهل البدع والمعطلين، كما يتضح جراءة أعداءهم وافترائهم حيث جعلوا ميزان الكفر والإيمان مخالفتهم وموافقهم، فمن وافقهم على بدعتهم ونفيهم فهو المؤمن عندهم، ومن خالفهم فهو كافر. فانظر إلى هذه الجراءة العظيمة، وحكمهم على أهل السنة والشريعة بالكفر والخروج من الدين بغير بينة ولا برهان، بل بالتعصّب والأقوال التي لم ينزل الله بها من سلطان. فلو أنهم حين ابتلوا بهذه البدعة الباطلة قالوا: هذا رأينا الذي رأيناه ولم يتعدوا هذا العدوان لكان أهون شرًا وأقل مصيبة عليهم، ولكنهم جمعوا بين الشرين وجمعوا بين الضلالتين، وهذا من عقوبات الله القدرية لقلوب أعرضت عن وحيه وتعرضت عن آراء كل أفاك أثيم، فنسألك الله عافيتك ولطفك.

أما أهل السنة والجماعة فيسلكون معهم ومع جميل أهل البدع المسلك المستقيم المبني على الأصول الشرعية والقواعد المرضية، ينصفونهم ولا يكفرون منهم إلا من كفره الله ورسوله، ويعتقدون أن الحكم بالكفر والإيمان من أكبر حقوق الله وحقوق رسوله، فمن جحد ما جاء به الرسول أو جحد بعضه غير متأول من أهل البدع فهو كافر، لأنه كذب الله ورسوله، واستكبر على الحق وعانده، فكل مبتدع من جهمي وقدري وخارجي ورافضي ونحوهم عرف أن بدعته مناقضة لما جاء به الكتاب والسنة، ثم أصر عليها ونصرها فهو كسافر بالله العظيم مشاق لله ورسوله من بعد ما تبين له الهدى ومن كان من أهل البدع مؤمنًا بالله ورسوله ظاهرًا وباطنًا، معظمًا لله ورسوله ملتزمًا ما جاء به الرسول ﷺ، ولكنه خالف الحق وأخطأ في بعض المقالات وأخطأ في تأويله من غير كفر وجحد للهدى الذي تبين له لم يكن كافرًا، ولكنه قد يكون فاسقًا مبتدعًا، أو مبتدعًا ضالًا، أو معفواً عنه لخفاء المقالة وقوة اجتهاده في طلب الحق الذي لم يظفر به.

ولهذا كان الخوارج والمعتزلة والقدرية ونحوهم من أهل البدع أقسامًا متنوعة: منهم من هو كافر بلا ريب كغلاة الجهمية الذي نفوا الأسماء والصفات وقد عرفوا أن بدعتهم مخالفة لما جاء به الرسول، فهؤلاء مكذبون للرسول عالمون بذلك. ومنهم من هو مبتدع ضال فاسق كالخوارج المتأولين والمعتزلة المتأولين الذين ليس عندهم تكذيب للرسول ولكنهم ضلوا ببدعتهم وظنوا أن ما هم عليه هو الحق، ولهذا اتفق الصحابة رضي الله عنهم في الحكم على بدعة الخوارج ومروقهم كما وردت بذلك الأحاديث الصحيحة فيهم، واتفقوا أيضًا على عدم خروجهم من الإسلام مع أنهم استحلوا دماء المسلمين وأموالهم وأنكروا الشفاعة في أهل الكبائر وكثيرًا من الأصول الدينية، ولكن تأويلهم منع من تكفيرهم.

ومن أهل البدع من هو دون هؤلاء ككثير من القدرية وكالكلاية والأشعرية فهؤلاء مبتدعة ضالون في الأصول التي خالفوا فيها الكتاب والسنة وهي معروفة مشهورة، وهم في بدعتهم مراتب بحسب بعدهم عن الحق وقربهم، وبحسب بغيتهم على أهل الحق بالتكفير والتفسيق والتبديع، وبحسب قدرتهم على الوصول إلى الحق واجتهادهم فيه وضد ذلك، وتفصيل القول فيه يطول جدًا.

فأهل السنة والجماعة عندهم من الأصول الصحيحة، وملازمة ما دل عليه الكتاب والسنة، والتصديق بذلك كله والخوف من الله ما يمنعهم من التعدي على الخلق وعلى أعدائهم من أهل البدع والكلام الباطل، ولا يحملهم بغضهم وعداوتهم على مجاوزة الحد فيهم، بل ينزلون كلًا من أقسامهم منزلته، متبعين في ذلك ما جاء به الوحي وما لت عليه أصوله، عاملين بالحق، راحمين للخلق، يدينون باتباع الكتاب والسنة ويتبرأون ممن خالف ذلك، ويسألون الله أن يعافهم من أهل البلاء، ومن أعظم البلاد البدع في الدين. والله أعلم.



فصل

في الرد عليهم في تكفيرهم
أهل العلم والإيمان وذكر انقسامهم
إلى أهل الجهل والتفريط والبدع والكفران

- ٤٣٨٧- وَمِنَ الْعَجَائِبِ أَنْكُمْ كَفَرْتُمْ
أَهْلَ الْحَدِيثِ وَشَيْعَةَ الْقُرْآنِ
- ٤٣٨٨- إِذْ خَالَفُوا رَأْيَا لَهُ رَأْيَا نَبَا
قُضِيَ لِأَجْلِ النَّصِّ وَالْبُرْهَانِ
- ٤٣٨٩- وَجَعَلْتُمْ التَّكْفِيرَ عَيْنَ خِلَافِكُمْ
وَوَفَّاقِكُمْ فَحَقِيقَةَ الْإِيمَانِ
- ٤٣٩٠- فَوَفَّاقِكُمْ وَخِلَافِكُمْ مِيزَانُ دِينِ
مَنْ لَمْ يَلِدْ لَمْ يَمُرْ بِالْقُرْآنِ
- ٤٣٩١- مِيزَانُكُمْ مِيزَانُ بَاغِ جَاهِلٍ
وَالْعَوْلُ كُلُّ الْعَوْلِ فِي الْمِيزَانِ
- ٤٣٩٢- أَهْوُونَ بِهِ مِيزَانَ جَوْرِ عَائِلٍ
بِيَدِ الْمُطَقِّفِ وَيَلْ ذَا الْوِزَانِ
- ٤٣٩٣- لَوْ كَانَ تَمَّ حَيَا وَأَذْنَى مِسْكَةً
مَنْ دِينَ أَوْ عِلْمٍ وَمِنْ إِيْمَانِ
- ٤٣٩٤- لَمْ تَجْعَلُوا آرَاءَكُمْ مِيزَانَ كُفْرٍ
مَنْ النَّاسِ بِالْبُهْتَانِ وَالْعُدْوَانِ

٤٣٩٥ - هَبِكُمْ تَأْوَلْتُمْ وَسَاغَ لَكُمْ أَيْكَ

فُرُّ مَنْ يَخَالِفُكُمْ بِأَلَا بُرْهَانَ؟

٤٣٩٦ - هَذِي الْوَقَاحَةُ وَالْجِرَاءَةُ وَالْجَهَا

لَهُ وَيَحْكُمُ يَا فِرْقَةَ الطُّغْيَانِ

٤٣٩٧ - اللَّهُ أَكْبَرُ ذَا عُقُوبَةٍ تَارِكِ الْ

وَحِيِّنِ لِـلْأَرَاءِ وَالْهَـذْيَانِ

٤٣٩٨ - لَكِنَّا نَأْتِي بِحُكْمٍ عَادِلٍ

فِيكُمْ لِأَجْلِ مَخَافَةِ الرَّحْمَنِ

الشَّرْحُ

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

هذا الفصل في الرد عليهم في تكفيرهم أهل العلم؛ لأن أهل البدع والضلال ليس لهم فيء ولا سلاح إلا التكفير والتشهير؛ كما حصل من الخوارج وغيرهم حينما خرجوا على الأمة الإسلامية بدعوى أنهم كفار، وأن أقسام هؤلاء؛ إما أهل جهل وتقريظ، وإما أهل بدع وكفران، يقول:

وَمِنَ الْعَجَائِبِ أَنْكُمْ كَفَرْتُمْ أَهْلَ الْحَدِيثِ وَشِيعَةَ الْقُرْآنِ

قوله: (العجائب) جمع أُعْجُوبَةٌ يعني: من الأمور التي تدعو إلى العجب أنكم كفرتم أهل الحديث وشيعة القرآن!

إِذْ خَالَفُوا رَأْيَ لَهْ رَأْيِ نَا قِضَهُ لِأَجْلِ النَّصِّ وَالْبُرْهَانِ

قوله: (إذ خالفوا رأياً) وهو رأي المعطلة - أهل الكلام -، (له رأي يناقضه) يعني: أنتم تتناقضون فيما بينكم، لماذا خالفوه؟ لأجل النص والبرهان، يعني: خالفوا هذا الرأي المتناقض لأجل النص والبرهان.

وَجَعَلْتُمْ التَّكْفِيرَ عَيْنَ خِلَافِكُمْ وَوَفَّاقَكُمْ فَحَقِيقَةَ الْإِيْمَانِ

(وجعلتم التكفير عين خلافكم) يعني: جعلتم التكفير أن يخالفكم الناس، (ووفاقكم) يعني: جعلتم وفاقكم، (فحقيقة الإيمان) يعني: جعلتم وفاقكم هو الإيمان وخلافكم هو الكفر، وعلى هذا فمن خالفكم فهو كافر وما وافقكم فهو مؤمن.

فَوَفَّاقُكُمْ وَخِلَافُكُمْ مِيزَانُ دِينِ اللَّهِ لَا مَنْ جَاءَ بِالْقُرْآنِ

يعني: أن ميزان الدين عندكم هو الموافقة والمخالفة؛ فمن وافقكم فهو مؤمن ومن خالفكم فهو كافر، ولم تجعلوا الميزان من جاء بالبرهان والفرقان وهو الرسول عليه الصلاة والسلام؛ أي: لم تردوا الأمر إلى الله ورسوله ولكن جعلتم الموافقة والمخالفة لكم.

مِيزَانُكُمْ مِيزَانُ بَاغٍ جَاهِلٍ وَالْعَوْلُ كُلُّ الْعَوْلِ فِي الْمِيزَانِ

قوله: (ميزانكم ميزان باغ) أي: معتد (جاهل) غير عالم، ومع ذلك فهو ميزان عائل أي: مائل عن الاستقامة (والعول كل العول في الميزان).

أَهْوَنُ بِهِ مِيزَانُ جَوْرِ عَائِلٍ يَسِدُ الْمُطَفِّفِ وَيَلْ ذَا الْوِزَانِ

يعني: إذا كان الميزان ميزان جور وعائل والوازن مطفف، فهذا معناه ليس فيه عدالة إطلاقاً والميزان ميزان جور وعول، والوازن مطفف لا يمكن أن يكون هناك عدل.

لَوْ كَانَ تَمَّ حَيَاً وَأَدْنَى مِسْكَةً مِنْ دِينٍ أَوْ عِلْمٍ وَمِنْ إِيْمَانٍ

يعني: لو كان عندهم حياء أو أدنى مسكة من دين أو علم أو إيمان لم يجعلوا الآراء ميزان كفر الناس، فيقولون: من وافق آراءنا فهو مؤمن ومن خالفها فهو كافر.

هَبْكُم تَأَوَّلْتُمْ وَسَاغَ لَكُمْ أَيُّكُمْ فُرُّ مَنْ يَخَالِفُكُمْ بِلَا بُرْهَانٍ؟

يعني: قدروا أنكم تأولتم وساغ لكم ما تأولتموه وصار هو الحق، هل يكفر من يخالفكم به بلا برهان؟ الجواب: لا؛ لأننا لو كفرنا من خالفنا في الاجتهاد لزم أن يكفر هو أيضاً باجتهادنا؛ لأن اجتهاده؛ ليس أولى بالصواب من اجتهادنا.

هَذِي الْوَقَاحَةُ وَالْجَرَاءَةُ وَالْجَهَا لَةَ وَيَحْكُمُ يَا فِرْقَةَ الطُّغْيَانِ

الوقاحة ضد حسن الخلق، والجرأة ضد التأنى، والطمأنينة والجهالة ضدها العلم (ويحكم) أي: الويح لكم يا فرقة الطغيان.

اللَّهُ أَكْبَرُ ذَا عُقُوبَةٍ تَارِكِ الْوَحْيِينَ لِلآرَاءِ وَالْهَذْيَانِ

يعني: أن هذا الذي جرى منهم وهو تكفيرهم المؤمنين إذا خالفوهم، سبب المخالفة ترك الوحيين الكتاب والسنة (للآراء) أي: من أجل الآراء والهديان، فإذا ترك الإنسان الكتاب والسنة فإنه يبتلى بمثل هذه البلية العظيمة وهي تكفير أهل الحق والإيمان.

لَكِنَّا نَأْتِي بِحُكْمٍ عَادِلٍ فِيكُمْ لِأَجْلِ مَخَافَةِ الرَّحْمَنِ

لكننا نأتي بحكم عادل فيكم لا خوفاً منكم ولكن (لأجل مخافة الرحمن)، وهذا هو العدل: أن يحكم الإنسان بالعدل له ولغيره خوفاً من الله عز وجل والله المستعان.



* قوله رَحِمَهُ اللهُ:

٤٣٩٩ - فَاسْمَعْ إِذَا يَا مُنْصِيفًا حُكْمِيهِمَا

وَانظُرْ إِذَا هَلْ يَسْتَوِي الْحُكْمَانِ

٤٤٠٠ - هُمْ عِنْدَنَا قِسْمَانِ أَهْلُ جَهَالَةٍ

وَذُوو الْعِنَادِ ذَانِكَ الْقِسْمَانِ

٤٤٠١ - جَمْعٌ وَفَرْقٌ بَيْنَ نَوْعِيهِمْ هُمَا

فِي بَدْعَةٍ لَا شَكَّ يَجْتَمِعَانِ

٤٤٠٢ - وَذُوو الْعِنَادِ فَأَهْلُ كُفْرٍ ظَاهِرٍ

وَالْجَاهِلُونَ فَإِنَّهُمْ نَوْعَانِ

٤٤٠٣ - مُتَمَكِّنُونَ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ بِأَلِ

أَسْبَابِ ذَاتِ الْيُسْرِ وَالْإِمْكَانِ

٤٤٠٤ - لَكِنْ إِلَى أَرْضِ الْجَهَالَةِ أَخْلَدُوا

وَاسْتَسْهَلُوا التَّقْلِيدَ كَالْعِمِيَانِ

٤٤٠٥ - لَمْ يَبْذُلُوا الْمَقْدُورَ فِي إِذْرَاكِهِمْ

لِلْحَقِّ تَهْوِينًا بِهِذَا الشَّانِ

٤٤٠٦ - فَهُمْ الْأَلَى لَا شَكَّ فِي تَفْسِيحِهِمْ

وَالْكَفْرُ فِيهِ عِنْدَنَا قَوْلَانِ

٤٤٠٧ - وَالْوَقْفُ عِنْدِي فِيهِمْ لَسْتُ الَّذِي

بِالْكَفْرِ أَنْعَمْتُهُمْ وَلَا الْإِيْمَانِ

٤٤٠٨ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالْبِطَانَةِ مِنْهُمْ

وَلَنَا ظَهْرُهُ حُلَّةُ الْإِعْلَانِ

٤٤٠٩ - لَكِنَّهُمْ مُسْتَوْجِبُونَ عِقَابَهُ

قَطُّعًا لِأَجْلِ الْبَغْيِ وَالْعُدْوَانِ

٤٤١٠ - هَبَّكُمْ غَدِرْتُمْ بِالْجَهَالَةِ إِنَّكُمْ

لَنْ تُعَذَّبُوا بِالظُّلْمِ وَالطُّغْيَانِ

٤٤١١ - وَالطُّغْنِ فِي قَوْلِ الرَّسُولِ وَدِينِهِ

وَشَهَادَةِ بِالزُّورِ وَالْبُهْتَانِ

الشرح

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

يقول المؤلف رَحِمَهُ اللهُ ونحن في فصل الرد على هؤلاء في تكفيرهم أهل العلم والإيمان - يقول:

فَأَسْمَعْ إِذَا يَا مُنْصِفًا حُكْمَيْهِمَا وَأَنْظُرْ إِذَا هَلْ يَسْتَوِي الْحُكْمَانِ

حكومي مَنْ؟ حكم الكتاب والسنة، انظر هل يستوي حكم الكتاب والسنة وحكم هؤلاء؟

هُم عِنْدَنَا قِسْمَانِ أَهْلُ جَهَالَةٍ وَذَوُو الْعِنَادِ ذَانِكَ الْقِسْمَانِ

قوله: (هم عندنا قسمان) أي: الذين كفروا أهل السنة والجماعة (أهل جهالة وذوو العناد)،

يعني هم قسمان الأول: أناس جهلة يكفرون تقليدًا لمتبعيهم، والثاني: أهل عناد واسكتبار

يكفرون وهم يعلمون أنهم ليسوا على حق، قال: (وذلك القسمان):

جَمْعٌ وَفَرْقٌ بَيْنَ نَوْعَيْهِمَا فِي بَدْعَةٍ لَا شَكَّ يَجْتَمِعَانِ

القسمان يجتمعان ويفترقان، فيجتمعان؛ لأنها ذَوِي بَدْعَةٍ سواء الجاهل أو المعاند كل منهم

مبتدع، فإن تكفير أهل الحق بدون أصل يرجع إليه؛ هذا فعل أهل البدع كالخوارج مثلاً، ولكن

هناك فرق في تكفير هؤلاء المكفّرين لأهل الحق؛ إذن هم في جمع وفرق؛ الجمع أنهم في بدعة -

كلهم أهل بدعة - أما الفرق فيقول:

وَذَوُو الْعِنَادِ فَأَهْلُ كُفْرٍ ظَاهِرٍ وَالْجَاهِلُونَ فَإِنَّهُمْ نَوْعَانِ

المعاندون لاشك أنهم كفار؛ لأنهم تبين لهم الحق ولكن خالفوه وكفروا من قال به فهم كفار

من وجهين:

الوجه الأول: مخالفة الحق.

الوجه الثاني: تكفير من قال بالحق وهذا عدوان وظلم بلا شك، (والجاهلون فإنهم نوعان) الجاهلون العامة نوعان:

مُتَمَكِّنُونَ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ بِأَلْ
لَكِنَّ إِلَى أَرْضِ الْجَهَالَةِ أَخْلَدُوا
لَمْ يَبْذُلُوا الْمَقْدُورَ فِي إِذْرَاكِهِمْ
فَهُمُ الْأَلَى لَا شَكَّ فِي تَفْسِيحِهِمْ
أَسْبَابِ ذَاتِ الْيُسْرِ وَالْإِمْكَانِ
وَاسْتَسْهَلُوا التَّقْلِيدَ كَالْعِمِيَانِ
لِلْحَقِّ تَهْوِينًا بِهَذَا الشَّانِ
وَالْكُفْرُ فِيهِ عِنْدَنَا قَوْلَانِ

(فهم الألي) أي: الذين، فاستمع إليه يقول: الجاهلون نوعان: النوع الأول: مَنْ تَمَكَّنُوا مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ، يعني: أناس يمكنهم أن يطلبوا العلم وأن يبحثوا ويسألوا ولكنهم تهاونوا. وقوله: (بالأسباب ذات اليسر والإمكان) يعني: أن أسباب الوصول إلى العلم ميسرة، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾، [القمر: ١٧] فلا توجد صعوبة، لو أرادوا الحق، ولكنهم لم يريدوه واستسهلوا.

وقوله: (لكن إلى أرض الجهالة أخلدوا) يعني: مالوا إلى أرض الجهالة، واستسهلوا التقليد كالعميان قالوا: وما لنا وللناس فنحن نقلد مشايخنا ولا نسأل ولا نبحث؛ إذن عندهم تفریق؛ لأنهم مُمَكِّنُونَ مِنْ طَلَبِ الْعِلْمِ وَالْأَسْبَابِ مَتَيْسِرَةٌ وَلَكِنْ أَخْلَدُوا إِلَى الْجَهْلِ وَاسْتَسْهَلُوا التَّقْلِيدَ قَالُوا: نَقْلِدُ فَلَانًا وَنَحْنُ فِي ذِمَّتِهِمْ، يقول:

لَمْ يَبْذُلُوا الْمَقْدُورَ فِي إِذْرَاكِهِمْ
لِلْحَقِّ تَهْوِينًا بِهَذَا الشَّانِ

يعني: ما بذلوا الذي يقدرون عليه ليدركوا الحق، (تهوينًا بهذا الشأن)، فهؤلاء يقول المؤلف رَحِمَهُ اللهُ: (فهم الألي لا شك في تفسيقهم) يعني: لا شك أن هؤلاء فسقة؛ إذن العوام الذين في بلد البدع الآن أو في بلد فيه شرك وهم مسلمون العوام هؤلاء على كلام ابن القيم فسقة؛ لأنهم يمكنهم طلب العلم ولكنهم أخلدوا إلى الجهل واستسهلوا التقليد، وقالوا: ما لنا وللبحث فالشيخ الفلاني يقول هذا جائز، والشيخ الفلاني على هذا الطريق والشيخ الفلاني يرانا ولم ينهنا، لسنا بملزومين. اترك هؤلاء فهؤلاء متشددون وهؤلاء مترمتون وهؤلاء فيهم كذا وهؤلاء فيهم كذا فلنسنا ملزومين به؛ هؤلاء يقول ابن القيم: لا شك في تفسيقهم فهم فسقة، قال: (والكفر فيه عندنا قولان) يعني: فيه قولان هل يكفرون أو لا؟ فمن قال: إن هؤلاء كالذين قال الله فيهم: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّتٍ﴾ [الزحرف: ٢٢]، يرى أنهم كفار، والذين يقولون: هؤلاء جهال يظنون أن علماءهم أعلم من الآخرين، يقول هؤلاء عندهم عذر فهم فسقة، وعلى هذا نأخذ الاتفاق على أن هؤلاء لا يُوصفون بالعدالة؛ لأن حالهم دائرة بين الفسق والكفر أما أن يكونوا عدوًّا فلا، ثم قال:

وَالْوَقْفُ عِنْدِي فِيهِمْ لَسْتُ الَّذِي بِالْكَفْرِ أَنْعَثُهُمْ وَلَا الْإِيمَانَ
 قوله: (والوقف عندي فيهم) يعني: يرى رَحِمَهُ اللهُ الْوَقْفُ هل هم فساق أو هم كفار؟ إن قلنا
 إنهم فساق كانوا من المؤمنين الفسقة، وإن قلنا كفار خرجوا من دائرة الإسلام، وهو يرى الوقف.
 وقوله: (لست الذي بالكفر أنعتهم ولا الإيمان) أي: لا أقول كفارًا ولا أقول مؤمنين.
 وهل الوقف قول أو يعتبر جهلاً؟ يوجد خلاف؛ بعض العلماء يقولون: إن التوقف ليس بقول
 ولكنه جهل وبعض العلماء يقولون: هو قول، يعني أنه قال بما تعارضت فيه الأدلة وفرق بين
 الذي يقول: لا أدري وهو عامي وبين الذي بحث، ولكن لم يتبين له أحد الأمرين من الأدلة
 فيقول: أنا متوقف؛ ولهذا ينقل أصحاب الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ عَنْهُ عن الإمام أحمد في هذه المسألة قولاً في
 الوقف فيقول: وعنه يعني الإمام أحمد التوقف وهذا يدل على أنه قول وهو عند التأمل كذلك؛
 لأن المجتهد إذا توقف فمعنى ذلك أنه قد تعارضت عنده الأدلة فعنده علم، بخلاف العامي
 الذي تسأله هل هذا حرام؟ فيقول: والله ما أدري. فهذا متوقف للجهل، والعالم المجتهد متوقف
 للعلم، فابن القيم رَحِمَهُ اللهُ يُكُونُ متوقفاً عن علم؛ لأن فيهم من الأوصاف ما يقتضي كفرهم وفيهم
 من الأوصاف ما يقتضي أنهم فسقة وليسوا بكفار.

وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالْبِطَانَةِ مِنْهُمْ وَلَنَا ظَهْرَةٌ حُلَّةُ الْإِعْلَانِ
 يقول: الله أعلم بالبطانة منهم أم لا؟ أما نحن فليس لنا إلا الله، وظاهر حالهم
 الكفر من وجه والعدر من وجه آخر ومن ثم حصل التوقف، قال:
 لَكِنَّهُمْ مُسْتَوْجِبُونَ عِقَابَهُ قَطْعًا لِأَجْلِ الْبُغْيِ وَالْعُدْوَانِ
 يعني: أن هؤلاء مستحقون للعقوبة لبغيهم وعدوانهم على أهل السنة حيث نعتوهم بالكفر
 تقليدًا لعلمائهم وذوي الأمر منهم.

هَبْكُمْ عُذْرْتُمْ بِالْجَهَالَةِ إِنَّكُمْ لَنْ تُعْذَرُوا بِالظُّلْمِ وَالطُّغْيَانِ
 هب: بمعنى قدر أن الأمر كذا، (هبكم) يعني: قدرتم أنكم عذرتهم بالجهالة (إنكم لم تعذروا
 بالظلم والطغيان).

وَالطُّغْنُ فِي قَوْلِ الرَّسُولِ وَدِينِهِ وَشَهَادَةِ بِالزُّورِ وَالْبُهْتَانِ
 يعني: ما تعذرون بهذا فلو عذرناكم بمثل هذا وقلنا: لا حساب عليكم لما بينكم وبين الله لن
 نعذركم بالعدوان علينا ووصفنا بالكفر وبالعدوان على قول الرسول وقول الله عز وجل.



* قوله رَحِمَهُ اللهُ:

٤٤١٢ - وَكَذَلِكَ اسْتِخْلَالَ قَتْلٍ مُخَالِفِيهِ

كُفْرًا قَتَلَ ذِي الْإِشْرَاكِ وَالْعُدْوَانَ

٤٤١٣ - إِنَّ الْخَوَارِجَ مَا أَحْلَوْا قَتْلَهُمْ

إِلَّا لِمَا ارْتَكَبُوا مِنْ الْعِضْيَانِ

٤٤١٤ - وَسَمِعْتُمْ قَوْلَ الرَّسُولِ وَحُكْمَهُ

فِيهِمْ وَذَلِكَ وَاضِحٌ التَّبْيَانِ

٤٤١٥ - لَكِنَّكُمْ أَنْتُمْ أَبْحَثْتُمْ قَتْلَهُمْ

بِوَفَاقِ سُؤْتِيهِ مَعَ الْقُرْآنِ

٤٤١٦ - وَاللَّهِ مَا زَادُوا التَّقْيِيرَ عَلَيْهِمَا

لَكِنْ بِتَقْرِيرٍ مَعَ الْإِيمَانِ

٤٤١٧ - فَحَقِّقْ مَنْ قَدْ خَصَّكُمْ بِالْعَدْلِ وَالنَّ

تَحْقِيقِ وَالْإِنْصَافِ وَالْعِرْفَانِ

٤٤١٨ - أَنْتُمْ أَحَقُّ أَمْ الْخَوَارِجُ بِالذِّي

قَالَ الرَّسُولُ الصَّادِقُ الْبِرْهَانِ؟

٤٤١٩ - هُمْ يَقْتُلُونَ الْعَابِدِي الرَّحْمَنِ بَلْ

يَدْعُونَ أَهْلَ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ

٤٤٢٠ - هَذَا وَلَيْسُوا أَهْلَ تَعْطِيلٍ وَلَا

عَزَلِ النَّضُوصِ الْحَقِّيِّ عَنِ إِيْقَانِ

الشَّرح

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

يقول المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

وَكَذَلِكَ اسْتِخْلَالَ قَتْلٍ مُخَالِفِيهِ كُفْرًا قَتَلَ ذِي الْإِشْرَاكِ الْكُفْرَانِ

يعني: أنكم لا تعذرون بقتل مخالفكم؛ لأن بعض أهل البدع يقتلون من يخالفهم ويرون أنهم كفارًا مباحي الدم والمال فيقتلونهم، فهل يعذرون بهذا؟ لا حتى ولو كانوا جهًا لا.

إِنَّ الْخَوَارِجَ مَا أَحَلُّوا قَتْلَهُمْ إِلَّا لِمَا أَرْكَبُوا مِنَ الْعِصْيَانِ

الآن يريد المؤلف أن يقارن بين هؤلاء وبين الخوارج.

فالخوارج كفروا العصاة حيث يقولون: فاعل الكبيرة في النار مخلد فالذي يسرق درهمًا كالذي يعبد صنمًا عندهم؛ لأنهم يكفرون بالكبائر فكل كبيرة فهي عندهم مكفرة؛ فالخوارج ما استحلو قتل العصاة إلا لأنهم يرونهم كفارًا خارجين عن دين الله، وما أحلوا قتلهم إلا لما ارتكبوا من العصيان.

وَسَمِعْتُمْ قَوْلَ الرَّسُولِ وَحُكْمَهُ فِيهِمْ وَذَلِكَ وَاضِحَ التَّبَيَّنِ

ماذا قال في الخوارج؟ أمر بقتلهم وقال: «إنهم يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ»^(١). السهم إذا ضرب رمية يضربها بسرعة ويخرج، فهم الخوارج يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية؛ لأن إيمانهم لا يجاوز حناجرهم قال: «فَأَيْتِمًا وَجَدْتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ». هؤلاء الخوارج كفروا العصاة وأباحوا قتلهم.

لَكِنَّكُمْ أَنْتُمْ أَبْحَثْتُمْ قَتْلَهُمْ

بِوَفَاقِ سُنتِهِ مَعَ الْقُرْآنِ

سنة من؟ سنة الرسول صلى الله عليه وسلم مع القرآن أنتم أبحتم قتل من يقول بالكتاب والسنة.

وَاللَّهُ مَا زَادُوا النِّقِيرَ عَلَيْهِمَا

لَكِنْ بِتَفْرِيرٍ مَعَ الْإِيمَانِ

قوله: (والله ما زادوا النقيير) أي: ما زاد هؤلاء الذين حكمتهم بكفرهم وجواز قتلهم عليهما أي: على الكتاب والسنة ولم يتجاوزها، والنقيير) ويضرب مثلًا للقلعة والتحجير وفي القرآن: قطمير، ونقيير، وفنيل، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ نَادَعُواكَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾ [فاطر: ١٣]، قال تعالى: ﴿وَلَا يُظَلَمُونَ نَفِيرًا﴾ [النساء: ١٢٤]، قال تعالى: ﴿وَلَا تُظَلَمُونَ فَنِيلاً﴾ [النساء: ٧٧]، ما هو الفتيل؟ قال العلماء الفتيل هو العرق الذي يكون على النواة، وفي لغة أهل الحجاز العجمة، وتسمى في بعض البادية الفصم، وتسمى في لغة المصريين الفصام، وتسمى في لغة الأفغانيين مندكة، وتسمى في لغتنا عبس، وهذه النواة فيها ثلاثة أشياء النقيير والفتيل والقطمير، وكلها في النواة؛ الفتيل: العرق الذي يكون كالخيط في وسط النواة، والنقيير هو نفرة في ظهرها منها يخرج العرق إذا دفنت في الأرض يخرج هذا العرق من هذا النقيير لينغرس في الطين وتخرج بإذن الله، الثالث القطمير هو الثوب الملفوف على النواة يعني: شيء مثل الغشاء، فيقول رَحِمَهُ اللَّهُ أنهم ما زادوا نقييرًا على الكتاب والسنة والله أعلم.

(١) رواه البخاري (٣٤١٤)، ومسلم (١٠٦٤).

وَاللَّهِ مَا زَادُوا التَّقْيِيرَ عَلَيْهِمَا لَكِنْ بِتَقْيِيرٍ مَعَ الْإِيمَانِ
أَقْسَمَ ابْنُ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنْ أَهْلَ الْإِبْتِاتِ مَا زَادُوا عَلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ نَقِيرًا وَلَكِنْ بِتَقْيِيرٍ مَعَ
الْإِيمَانِ، فَهَمَّ قَرَرُوا مَا جَاءَ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَأَمَنُوا بِهِ وَوَضَحُوهُ لِلنَّاسِ وَلَمْ يَزِيدُوا عَلَيْهِ.
فَبِحَقِّ مَنْ قَدْ خَصَّكُمْ بِالْعَدْلِ وَالْثَمَّةِ تَحْقِيقِي وَالْإِنْصَافِ وَالْعُرْفَانِ
قوله: (فبحق من قد خصكم) يعني: من الذي خصكم أنتم بالعلم والتحقيق والإنصاف
والعرفان وحرّم هؤلاء؟

الجواب: لا أحد، بل بالعكس هم الذين خصهم الله بالعلم والتحقيق والإنصاف والعرفان.
أَنْتُمْ أَحَقُّ أَمْ الْخَوَارِجُ بِالَّذِي قَالَ الرَّسُولُ الصَّادِقُ الْبِرْهَانُ؟
ما الذي قاله الرسول في الخوارج؟ قال: «إِنَّهُمْ يَمُرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمُرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ». فهل هم أحق أم أنتم؟ هو يقول: أنتم أحق منهم؛ لأن الخوارج إنما يكفرون بالمعاصي ويستباحون دم من عصى الله، أما أنتم فتكفرون باتباع الكتاب والسنة فينكم فرق عظيم ولهذا قال:

هُمْ يَقْتُلُونَ الْعَابِدِي الرَّحْمَنِ بَلْ يَدْعُونَ أَهْلَ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ
يعني: أن الخوارج يقتلون عباد الله، (بل يدعون عندهم أهل عبادة الأوثان) يعني: أنهم يقتلون المسلمين الذين يعبدون الله بناءً على أنهم عندهم كعبدة الأوثان.

فَقَوْلُ (يَدْعُونَ) يَعْنِي: بِاعْتِقَادِ الْخَوَارِجِ يَدْعُونَ أَهْلَ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ
هَذَا وَلَيْسُوا أَهْلَ تَعْطِيلٍ وَلَا عَزْلٍ التَّضْوِصِ الْحَقِّيِّ عَنِ إِيقَانِ

يعني: أن الخوارج ليسوا أهل تعطيل بل يثبتون لله ما أثبتته لنفسه، ولا يعزلون النصوص عن الحق بل يبقونها على ما هي عليه، ولكن لا شك أن الخوارج عزلوا نصوص الرجاء عما أراد الله به ورسوله وغلبوا نصوص الوعيد، فهم بلا شك متأولون ومخطئون بتأويلهم ومحرفون لنصوص الرجاء، لكن هل نقول: إن تحريفهم لنصوص الرجاء كتحريف هؤلاء لنصوص الصفات أم أشد؟ هذا هو محل النظر؛ فابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ يرى أن تحريف نصوص الصفات أشد وأعظم من تحريف نصوص الرجاء؛ لأن تحريف نصوص الرجاء كل ما فيه تحريف لثواب الله وجزائه فقط، بخلاف تحريف نصوص الصفات فإنه تعطيل لله عز وجل ولكماله.

أما الخوارج فقد سُئِلَ عَنْهُمْ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ: إِنَّهُمْ مِنَ الْكُفْرِ فَرَوْا وَتَبَقَطُوا فِيهِ، وَمِنَ الْعُلَمَاءِ مَنْ قَالَ: أَنَّ الدَّاعِيَ لِبِدْعَتِهِ مِنْهُمْ يَكُونُ كَافِرًا، وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَهُ مُطْلَقًا، فَالْعُلَمَاءُ مُخْتَلِفُونَ فِيهِ، وَلَا شَكَّ أَنَّ قَتْلَهُمْ وَاجِبٌ لِدَفْعِ شَرِّهِمْ سِوَاءِ قَلْنَا بِكُفْرِهِمْ أَمْ لَمْ نَقُلْ وَلَا يُقَالُ: إِنَّ قَوْلَ الرَّسُولِ ﷺ «يَمُرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمُرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ» دَلِيلٌ عَلَى كُفْرِهِمْ؛ لِأَنَّهُمْ قَدْ يَمُرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ وَفِيهِمْ شَيْءٌ مِنْ أَحْكَامِهِ.

فصل

٤٤٢١- وَالْآخِرُونَ فَأَهْلُ عَجَزٍ عَنْ بُلُو

غِ الْحَقِّ مَعَ قَضْدٍ وَمَعَ إِيْمَانٍ

٤٤٢٢- بِاللهِ ثُمَّ رَشُولِهِ وَلِقَائِهِ

وَهُمْ إِذَا مَيَّرْتَهُمْ ضَرْبَانِ

٤٤٢٣- قَوْمٌ دَهَاهُمْ حُسْنُ ظَنِّهِمْ بِمَا

قَالَتْهُ أَشْيَاخٌ ذَوُو أَسْنَانِ

٤٤٢٤- وَدِيَانَةٍ فِي النَّاسِ لَمْ يَجِدُوا سِوَى

أَقْوَالِهِمْ فَرَضُوا بِهَا بِأَمَانِ

٤٤٢٥- لَوْ يَقْدِرُونَ عَلَى الْهُدَى لَمْ يَرْضَوْا

بَدَلًا بِهِ مِنْ قَائِلِ الْبُهْتَانِ

٤٤٢٦- فَأَوْلَاءِ مَعْدُورُونَ إِنْ لَمْ يَظْلِمُوا

وَيَكْفُرُوا بِالْجَهْلِ وَالْعُدْوَانِ

٤٤٢٧- وَالْآخِرُونَ فَطَالِبُونَ الْحَقِّ لَ

كِنْ صَدَّهُمْ عَنْ عِلْمِهِ شَيْئَانِ

٤٤٢٨- مَعَ بَخْثِهِمْ وَمُصْتَفَاتِ قَضْدِهِمْ

مِنْهَا وَضَوْلُهُمْ إِلَى الْعِزْفَانِ

٤٤٢٩- إِحْدَاهُمَا طَلَبُ الْحَقَائِقِ مِنْ سِوَى

أَبْوَابِهَا مَتَسَوِّرِي الْجُذْرَانِ

٤٤٣٠- وَسُلُوكُ طُرُقٍ غَيْرِ مُوَصَّلَةٍ إِلَى

دَرْكِ الْيَقِينِ وَمَطْلَعِ الْإِيمَانِ

٤٤٣١- فَتَشَابَهَتْ تِلْكَ الْأُمُورُ عَلَيْهِمْ

مِثْلَ اشْتِيَاءِ الطُّرُقِ بِالْحَيْرَانِ

٤٤٣٢- فَتَرَى أَفَاضِلَهُمْ حَيَارَى كُلَّهُمْ

فِي التِّيهِ يَقْرَعُ نَاجِذَ التَّنَدْمَانِ

٤٤٣٣- وَيَقُولُ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ الطُّرُقُ لَا

أَذْرِي الطَّرِيقَ الْأَعْظَمَ السُّلْطَانِي

٤٤٣٤- بَلْ كُلُّهَا طُرُوقٌ مَخُوفَاتٌ بِهَا الْ

آفَاتُ حَاصِلَةٌ بِسَلَا حُسْبَانِ

٤٤٣٥- فَالْوَقْفُ غَايَتُهُ وَآخِرُ أَمْرِهِ

مِنْ غَيْرِ شَكٍّ مِنْهُ فِي الرَّحْمَنِ

٤٤٣٦- أَوْ دِينِهِ وَكِتَابِهِ وَرَشْوَلِهِ

وَلِقَائِهِ وَقِيَامَةِ الْأَبْدَانِ

٤٤٣٧- فَأَوْلَاءِ بَيْنِ الذَّنْبِ وَالْأَجْرَيْنِ أَوْ

إِحْدَاهُمَا أَوْ وَاسِعِ الْعُفْرَانِ

٤٤٣٨- فَانظُرْ إِلَى أَحْكَامِنَا فِيهِمْ وَقَدْ

جَحَدُوا النَّضُوصَ وَمُقْتَضَى الْقُرْآنِ

٤٤٣٩- وَانظُرْ إِلَى أَحْكَامِهِمْ فِينَا لِأَجْلِ

سَلِّ خِلَافِهِمْ إِذْ قَادَهُ الْوَحْيَانِ

٤٤٤٠- هَلْ يَسْتَوِي الْحُكْمَانِ عِنْدَ اللَّهِ أَوْ

عِنْدَ الرَّسُولِ وَعِنْدَ ذِي إِيْمَانِ

- ٤٤٤١- الْكُفْرُ حَقُّ اللَّهِ ثُمَّ رُسُولُهُ
بِالشَّرْعِ يَثْبُتُ لَا يَقُولُ فُلَانٌ
٤٤٤٢- مَنْ كَانَ رَبُّ الْعَالَمِينَ وَعَبْدُهُ
قَدْ كَفَّرَاهُ فَذَلِكَ ذُو الْكُفْرَانِ
٤٤٤٣- فَهَلُمَّ وَيَحْكُمُ نَحَايِكُمْ إِلَى الْـ
وَوَحْيِينَ مِنْ خَيْرٍ وَمِنْ قُرْآنِ
٤٤٤٤- وَهُنَاكَ يَغْلَمُ أَيُّ حَزْبَيْنَا عَلَى الْـ
كُفْرَانِ حَقًّا أَوْ عَلَى الْإِيمَانِ
٤٤٤٥- فَلِيهِنِكُمْ تَكْفِيرُ مَنْ حَكَمْتَ بِإِشـ
لَامٍ وَإِيمَانٍ لَهُ النَّصَّانِ
٤٤٤٦- لَكِنَّ غَايَتَهُ كَغَايَةَ مَنْ سِوَى الْـ
مَعْصُومِ غَايَةَ نَوْعٍ ذَا الْإِحْسَانِ
٤٤٤٧- خَطَأً يَصِيرُ الْأَجْرُ كَفَلًا وَاحِدًا
إِنْ فَاتَهُ مِنْ أَجْلِهِ الْكِفْلَانِ
٤٤٤٨- إِنْ كَانَ ذَلِكَ مُكْفِّرًا يَا أُمَّةَ الْـ
عُدْوَانِ مَنْ هَذَا عَلَى الْإِيمَانِ
٤٤٤٩- قَدْ دَارَ بَيْنَ الْأَجْرِ وَالْأَجْرَيْنِ وَالتـ
تَكْفِيرِ بِالِدَّعْوَى بِأَلَا بُرْهَانَ
٤٤٥٠- نِثْنَانِ مِنْ قِبَلِ الرَّسُولِ وَخِصْلَةٌ
مِنْ عِنْدِكُمْ أَفَأَنْتُمْ عِذْلَانِ^(١)

(١) [٤٤٥٠] قال العلامة محمد خليل هراس:

فصار لنا من الرسول نثنان، إما أجر أو أجران، ولنا من عندكم خصلة واحدة وهي الحكم بالكفران، فهل أنتما بعد متساويان.

٤٤٥١ - كَفَرْتُمْ وَاللَّهِ مَنْ شَهِدَ الرَّسُو

لُ بِأَنَّهُ حَقًّا عَلَى الْإِيمَانِ

الشَّحْ

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

المؤلف رَحِمَهُ اللهُ سبق أن قال: إن الجهال ينقسمون إلى قسمين وتكلم عن القسم الأول، ثم هو يتكلم الآن عن القسم الثاني فقال:

وَالْآخِرُونَ فَأَهْلُ عَجْزٍ عَنِ بُلُوغِ الْحَقِّ مَعَ قَصْدٍ وَمَعَ إِيْمَانٍ

يعني: النوع الثاني من الجهال قوم عجزوا عن بلوغ الحق مع أن قصدهم حسن وإيمانهم قوي، لكن عجزوا عن بلوغ الحق فيقول رَحِمَهُ اللهُ:

بِاللَّهِ ثُمَّ رَسُولِهِ وَلِقَائِهِ وَهُمْ إِذَا مَيَّرْتَهُمْ ضَرْبَانِ

يعني: هؤلاء الذين عندهم جهل ولكنهم عاجزون عن الوصول للحق هم أيضًا ضربان يعني: نوعين.

قَوْمٌ دَهَاهُمْ حُسْنُ ظَنِّهِمْ بِمَا قَالَتْهُ أَشْيَاخُ ذُووِ الْأَسْنَانِ

يعني: أن هذا الضرب قالوا ما قالوه لما قرأوا ما قالته أشياخهم، و(ذوو الأسنان) جمع سن، وليس المراد به العظم، بل المراد به السنوات يعني: أشياخ كبار.

وَدِيَانَةٌ فِي النَّاسِ لَمْ يَجِدُوا سِوَى أَقْوَالِهِمْ فَرَضُوا بِهَا بِأَمَانٍ

و(ديانة في الناس) أيضًا وهم على مثل دين الأشياخ فعندهم صغر ومشيخه ودين، (لم يجدوا سوى... أقوالهم فرضوا بها بأمان) يعني: أنهم لم يجدوا إلا ما بين أيديهم من كلام

الأشياخ ولا يعلمون أحدًا أقدر على بيان الحق من أشياخهم؛ فرضوا بما عندهم من هذه الكتب (بأمان) يعني: أنهم رضوا بها وهم آمنون على أنها حق لا يخافون أنها باطل.

لَوْ يَقْدِرُونَ عَلَى الْهُدَى لَمْ يَرْتَضُوا بَدَلًا بِهِ مِنْ قَائِلِ الْبُهْتَانِ

يعني: لو أنهم علموا بالحق ما رضوا به بدلًا (من قائل البهتان) يعني: ما رضوا بقول صاحب البهتان بدلًا عن الحق.

فَأَوْلَاءٌ مَعْدُورُونَ إِنْ لَمْ يَظْلَمُوا وَيَكْفَرُوا بِالْجَهْلِ وَالْعُدْوَانِ

قُرئت بـ (إذا وإن) فما الفرق بين إذ وإن؟ إذ تكون الجملة بعدها تعليلية يعني: أن هؤلاء

معدورون؛ لأنهم لم يظلموا ويكفروا بالجهل والعدوان، وأما إن تكون الجملة شرطية يعني: هؤلاء معدورون بشرط ألا يظلموا ويكفروا بالجهل والعدوان، ومؤدى النسختين واحد يعني: سواء إن جعلته شرطاً أو جعلته تعليلاً.

وَالْآخَرُونَ فَطَالِبُونَ الْحَقِّ لَ كِنْ صَدَّهُمْ عَنْ عِلْمِهِ شَيْئَانِ

الآخرون مَنْ هم الآخرون؟ يعني: الضرب الثاني فطالبون للحق لكن صدهم عن علمه شيان.

مَعَ بَحْثِهِمْ وَمُصَنَّفَاتِ قَضَاهُ مِنْهَا وَضَوْلُهُمْ إِلَى الْعِرْفَانِ
ما هما الشيان؟ قال:

إِحْدَاهُمَا طَلَبُ الْحَقَائِقِ مِنْ أَبْوَابِهَا مُتَسَوِّرِي الْجُذُرَانِ
وَسُلُوكُ طُرُقٍ غَيْرِ مُوَصَّلَةٍ إِلَى ذَرَكِ الْيَقِينِ وَمَطْلَعِ الْإِيمَانِ

يعني: هؤلاء طالبون للحق لكن لم يصلوا إلى علمه بل صده شيان:

الشيء الأول: طلب الحقائق من سوى أبوابها بدلاً من أن يرجعوا إلى الكتاب والسنة في طلب الحقائق رجعوا إلى طرق أخرى غير موصلة إلى الحق فتشابهت عليهم؛ ولهذا قال:

فَتَشَابَهَتْ تِلْكَ الْأُمُورُ عَلَيْهِمْ مِثْلَ اشْتِبَاهِ الطُّرُقِ بِالْحَيْرَانِ

لأنها تشبهت بهم الطرق، وإلا فهم لم يحسنوا النية قاصدين للعلم الشرعي لكن أتوا البيوت من غير أبوابها؛ فتشابهت تلك الأمور عليهم مثل اشتباه الطرق بالحيران.

فَكَرَى أَفْضَلَهُمْ حَيَارَى كُلَّهُمْ فِي التِّيهِ يَفْرَعُ نَاجِذَ النَّدْمَانِ

يعني: الأفضل من هؤلاء تجدهم متحيرين؛ لأنه حيل بينهم وبين الوصول إلى الحق حيث لم يتركوا طرق الحق ولم يأتوا البيوت من أبوابها؛ فتشابهت عليهم فصاروا حيارى يقرعون ناجذ الندمان، والناجذ هو: أقصى الأطراف، والعادة أن الإنسان إذا ندم يقرع سنه تجده متحيراً يقرع سنه ندمان، وقد قال الله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيْتَنِي أَخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴾ [الفرقان: ٢٧] فالندمان: إما يقرع سنه إما أن يعص يديه:

وَيَقُولُ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ الطُّرُقُ لَا أَدْرِي الطَّرِيقَ الْأَعْظَمَ السُّلْطَانِي

ما هو الطريق الأعظم السلطاني؟ الكتاب والسنة طريق الأئمة ووحى الهدى.

بَلْ كُلُّهَا طُرُوقٌ مَخُوفَاتٌ بِهَا أَلْ آفَاتٌ حَاصِلَةٌ بِهَا حُسْبَانِ

فالوقف غايته مثل أكثر أهل الكلام، يقولون: إن أكثر الناس شكاً عند الموت هم أهل الكلام،

خياري حتى أئمتهم يصرّحون بالحيرة، يقولون:

نهاية أقدام العقول عقال
وأرواحنا في وحشة من جسمنا
وأكثر سعي العالمين ضلال
وغاية دياننا أذىً ووبال
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا
سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا

وقال أحدهم: لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأيتها تشفي عليلاً ولا تروي غليلاً ووجدت أقرب الطرق طريقة القرآن أقرأ في الإثبات، قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْمَرْشِ أَسْتَوَى﴾ [طه: 5] كقوله تعالى ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠] وأقرأ في النفي: قوله تعالى ﴿وَلَا يَحِطُّونَ بِهِ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠] ومن جرّب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي؛ هذا يقوله إمامٌ من أئمتهم وهو فخر الدين الرازي، وهذا إقرار منه بأن جميع البحث في علم الكلام كله هدر لا يفيد، وقال بعضهم: لقد خضت البحر الخضم فلم أجد شيئاً يشفيني، وها أنا أموت على عقيدة أُمِّي. وعقيدة أمه هي الفطرة وأنها لم تبحث في علم الكلام؛ فهؤلاء أهل شك وحيرة؛ لأنهم لم يأتوا البيوت من أبوابها.

فَالْوَقْفُ غَايَتُهُ وَآخِرُ أَمْرِهِ
أَوْ دِينِهِ وَكِتَابِهِ وَرَسُولِهِ
مَنْ غَيْرِ شَكِّ مِنْهُ فِي الرَّحْمَنِ
وَلِقَائِهِ وَقِيَامَةِ الْأَبْدَانِ

يعني: ليس عنده شك في الله أو في الدين أو في الكتاب والرسول أو في القيامة لكنه متحير، نسأل الله العافية.

فَأَوْلَاءَ بَيْنَ الذَّنْبِ وَالْأَجْرَيْنِ أَوْ
إِحْدَاهُمَا أَوْ وَاسِعِ الْغُفْرَانِ

أربع حالات يقول: (بين الذنب والأجرين أو إحداهما) يعني: أجر واحد أو واسع الغفران يغفر الله لهم؛ لأن هؤلاء راقبوا وبحثوا ولكن لما لم يأتوا البيوت من أبوابها ولم يسلكوا الطرق التي توصل إلى الحق، فبقوا جاهلين لا يعرفون شيئاً عن الحق فهؤلاء تُرجى لهم المغفرة.

فَانظُرْ إِلَى أَحْكَامِنَا فِيهِمْ وَقَدْ
جَحَدُوا التُّصُوصَ وَمُقْتَضَى الْقُرْآنِ

ومع ذلك نعذر عالمهم الحريص على طلب الحق الذي لن يوفق لطلبه من الطرق الصحيحة نعذرهم لذلك.

وَانظُرْ إِلَى أَحْكَامِهِمْ فِينَا لِأَجْرِ
لِخِلَافِهِمْ إِذْ قَادَهُ الْوُحْيَانِ

وانظر إلى أحكامهم، فينا ما الذي حكموا فينا؟ بالكفر؛ (لأجل خلافهم) يعني: لما خالفناهم صرنا كفاراً، (إذ قاده) يعني: قاد خلافه الوحيان يعني: نحن ما خالفناهم في أهواءنا ولكن في قيادة الكتاب والسنة.

هَلْ يَسْتَوِي الْحُكْمَانِ عِنْدَ اللَّهِ أَوْ عِنْدَ الرَّسُولِ وَعِنْدَ ذِي إِيْمَانٍ؟
الجواب: لا، لأننا نحن حكمنا بالعدل وهم حكموا بالجور والطغيان، ثم قال المؤلف قائلة مفيدة مهمة ما أحوج الناس إليها في هذا الزمان، يقول:

الْكُفْرُ حَقٌّ اللَّهُ ثُمَّ رَسُولُهُ بِالشَّرْعِ يَثْبُتُ لَا بِقَوْلِ فَلَانٍ .
يعني: الكفر حق لله وحق للرسول، والذي يحكم بأن الشيء كفر أو غير كفر هو الله ورسوله، كما أن الذي يحكم بأن هذا حلال وهذا حرام الله ورسوله، فالذي يحكم بأن هذا كفر أو إيمان هو الله ورسوله، فإذا كان الله يقول في القرآن: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ﴾ [النحل: ١١٦]، فكذلك نقول هذا مؤمن وهذا كافر لتفتروا على الله الكذب؛ (فالكفر حق الله ثم رسوله بالنص يثبت لا بقول فلان).

مَنْ كَانَ رَبُّ الْعَالَمِينَ وَعَبْدُهُ قَدْ كَفَرَاهُ فَذَلِكَ ذُو الْكُفْرَانِ
قوله: (من كان رب العالمين وعبده) من عبده؟ الرسول عليه الصلاة والسلام، (قد كفرناه) ومن لم يكفرناه فليس بكافر.

فَهَلُمْ وَيَحْكُمُ نَحَاكِمُكُمْ أَلْـ وَخَوَّيْنِ مِنْ خَبْرٍ وَمِنْ قُرْآنِ
وَهُنَاكَ يَغْلُمُ أَيَّ حِزْبَيْنَا عَلَى أَلْـ كُفْرَانٍ حَقًّا أَوْ عَلَى الْإِيْمَانِ
فَلِيَهْنِكُمْ تَكْفِيرُ مَنْ حَكَمْتَ بِإِسْـ سَلَامٍ وَإِيْمَانٍ لَهُ النَّصَّانِ
هذا من باب التهكم بهم، قال: (فليهنكم) يعني: لكم الهناء، (تكفير من حكمت بإسلام وإيمان له)، والنصان فاعل حكمت يعني: من حكمت له النصان بالإيمان والإسلام أنتم تكفرونه.

لَكِنَّ غَايَتَهُ كَغَايَةَ مَنْ سِوَى أَلْـ مَعْصُومٍ غَايَةَ نَوْعِ ذَا الْإِحْسَانِ
يعني: نوع هذا الإحسان يعني: غاية هذا الذي أنتم كفرتم كغاية من سوى المعصوم غاية ذا الإحسان.

خَطَأً يَصِيرُ الْأَجْرُ كَفَلًا وَاحِدًا إِنْ فَاتَهُ مِنْ أَجْلِهِ الْكُفْلَانِ
ومعني النسختين واحد، يعني: أن المخطئ إذا كان مجتهدًا يجعل له بدل الأجرين أجرًا واحدًا والنسخة الثانية فيصير الأجرين أجرًا واحدًا؛ وقوله: (إن فاته من أجله الكفلان) وما سيأخذ من الكفلان إذا أخطأ، فالمجتهد؛ إما مصيب فله أجران وإما مخطئ فله أجر واحد.

إِنْ كَانَ ذَاكَ مُكْفِرًا يَا أُمَّةَ أَلْـ مَعْدُوَانٍ مَنْ هَذَا عَلَى الْإِيْمَانِ
يعني: إن كان الاجتهاد الذي يبذله الإنسان ثم يهتدي على أي تقدير إن كان هذا كفرًا، فمن

الذي على الإيمان؟ والاستفهام هنا للإنكار والتوبيخ.

قَدْ ذَارَ بَيْنَ الْأَجْرِ وَالْأَجْرَيْنِ وَالْثَمَّ تَكْفِيرٍ بِالِدَّعْوَى بِأَلَا بُرْهَانَ

فالأجر يكون إن أخطأ، والأجران إن أصاب، والتكفير هذا ليس بصحيح فليس هناك تكفير؛ ولهذا قال: (بالدعوى بلا برهان).

ثُمَّ تَنَانٍ مِنْ قَبْلِ الرَّسُولِ وَخِصْلَةً مِنْ عِنْدِكُمْ أَفَأَنْتُمْ عِدْلَانِ؟

كَفَرْتُمْ وَاللَّهِ مَنْ شَهِدَ الرَّسُولَ لُ بِأَنَّهُ حَقًّا عَلَى الْإِيمَانِ

كفرتم والله (من شهد الرسول بأنه حقاً على الإيمان)؛ لأن إثبات الأجر له يدل على أنه مؤمن؛ إذ إن الكافر ليس له أجر ولو أصاب، وقوله: (ثنتان من قبل الرسول) ما هما؟ الأجران (وخصلة من عندكم أفأنتما عدلان؟) يعني: أنتم مع الرسول عدلان أي: أن بعضكم يعدل بعضاً، فتحكمون كما يحكم الرسول، والاستفهام هنا للنفي والإنكار والله أعلم.





تلاعب بين يدي الفصل



قال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللهُ:

فصل

في تلاعب المُكفِّرِين لأهل السُنَّة والإيمان بالدين كتلاعب الصبيان

أهل الكلام الباطل والبدع جعلوا دينهم ما قالته شيوخهم، فإذا جاءتهم نصوص الوحي قالوا: هذا مجمل، هذا مؤوّل، هذا كذا هذا كذا. وأما أقوال شيوخهم فلا يعترها عندهم إجمال ولا إشكال، ولا يحل لأحد مخالفتها ولو كان ذلك لقول الله وقوله رسوله، فهل أبلغ من هذا التلاعب بالدين..

أمّا أهل السنة والجماعة فعندهم أن نصوص الوحي صريحة بينة واضحة كما هو مشاهد، معصومة توجب العلم واليقين، لا تحل مخالفتها ولو اجتمعت عقول أهل الأرض وآراؤهم على مخالفة نص واحد منها. فالنص عندهم أعظم وأجل من أن يعارض بغيره، ولهذا كان أهل البدع لم يعيبوا أهل السنة بمخالفة شيء من النصوص وإنما عابوا عليهم مخالفة أئمة أهل البدع. ولما كان أبو الحسن الأشعري فيه سنة وبدعة، وأثنى عليه أهل السنة بما معه من السنة وما نصره من الحق وما ردّ به على المعتزلة وغيرهم، وأنكروا عليه ما يقوله مما يخالف فيه الحق وخالفوه في ذلك، عاب أهل الكلام على أهل السنة مخالفة أبي الحسن في أقواله البدعية، وهم في أنفسهم قد تناقضوا: فإنهم وافقوا الأشعري في أقواله المبتدعة، وخالفوه بما ذكره في كتابه: «الإبانة» وغيرها، من التصريح بعلو الله واستوائه على عرشه وإثباته للصفات وردّه على الجهمية وموافقته للإمام أحمد وأصحابه كما صرح بذلك كله. وإنما ثبت على قوله في الكلام النفسي وبقي على مذهب ابن كلاب كما تقدمت حكايته. فأبي الفريقين أحق بالحق إن كنتم تعلمون.

وهكذا صنيع أهل السنة مع كل من عرف بالعلم والإيمان، يعتقدون فضله ومقامه الذي أقامه الله به من العلم والإيمان، ويوافقونه فيما قاله من الحق، ويستفيدون من علمه، ويردّون ما غلط فيه من الباطل، لعلمهم أنه لا معصوم إلا رسول الله وإلّا إجماع الأمة، وهؤلاء المبتدعة ليس لهم جواب عن هذا التحقيق إلا التكفير والتبديع والشكاية إلى الملوك ليؤيدوا ما قالوه من الباطل.



فصل

في تلاعب المكفرين لأهل السنة
والإيمان بالدين كتلاعب الصبيان

٤٤٥٢- كَمْ ذَا التَّلَاعِبِ مِنْكُمْ بِالَّذِينَ وَالْ

إِيمَانَ مِثْلَ تَلَاعِبِ الصَّبِيَانِ؟

٤٤٥٣- خُسِفَتْ قُلُوبُكُمْ كَمَا كُسِفَتْ عُقُورُ

لَكُمْ فَلَا تَزُكُّوْا عَلَى الْقُرْآنِ

٤٤٥٤- كَمْ ذَا تَقُولُوا مُجْمَلٌ وَمُؤَوَّلٌ

وَوَاهِرٌ غَزَلْتِ عَنِ الْإِقْيَانِ

٤٤٥٥- حَتَّى إِذَا رَأَى الرَّجَالِ أَتَاكُمْ

فَأَسْمَعُ لِمَا يُوْحَى بِهَا بُرْهَانِ

٤٤٥٦- مِثْلَ الْخَفَافِيشِ الَّتِي إِنْ جَاءَهَا

ضَوْءُ النَّهَارِ فَفِي كُورِ الْحَيْطَانِ

٤٤٥٧- عَمِيَتْ عَنِ الشَّمْسِ الْمُنِيرَةِ لَا تُطِيءُ

سُقًى هِدَايَةً فِيهَا إِلَى الطَّيْرَانِ

٤٤٥٨- حَتَّى إِذَا مَا اللَّيْلُ جَاءَ ظَلَامُهُ

جَالَتْ بِظُلْمَتِهِ بِكُلِّ مَكَانِ

٤٤٥٩- فَتَرَى الْمُوَجِدَ حِينَ يَسْمَعُ قَوْلَهُمْ

وَيَرَاهُمْ فِي مَخْنَةِ وَهْوَانِ

٤٤٦٠- وَارْحَمْتَاهُ لِعَيْنِهِ وَلَاذُنِهِ

يَا مَخْنَةَ الْعَيْنَيْنِ وَالْأَذُنَانِ

٤٤٦١- إِنْ قَالَ حَقًّا كَفَرُوهُ وَإِنْ يُقُو

لُوا بِبَاطِلًا نَسَبُوهُ لِلإِيمَانِ

٤٤٦٢- حَتَّى إِذَا مَا رَدَّهُ عَادُوهُ مِثْ-

لَ عَدَاوَةِ الشَّيْطَانِ لِلإِنْسَانِ

٤٤٦٣- قَالُوا لَهُ خَالَفتَ أَقْوَالَ الشُّيُو

خِ وَلَمْ يَبَالُوا الخُلْفَ لِلْفُرْقَانِ

٤٤٦٤- خَالَفتَ أَقْوَالَ الشُّيُوخِ فَأَنْتُمْ

خَالَفتُمْ مَنْ جَاءَ بِالقُرْآنِ

٤٤٦٥- خَالَفتُمْ قَوْلَ الرِّسُولِ وَإِنَّمَا

خَالَفتَ مِنْ جَرَّاهُ قَوْلُ فُلَانٍ

٤٤٦٦- يَا حَبِذَا ذَاكَ الخِلَافُ فَإِنَّهُ

عَيْنُ الوِفَاقِ لِطَاعَةِ الرَّحْمَنِ

الشَّحْ

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

هذا الفصل ذكر المؤلف رَحِمَهُ اللهُ أن هؤلاء الذين يكفرون أهل السنة يتلاعبون بالدين كتلاعب

الصبيان، قال :

كَمْ ذَا التَّلَاعِبِ مِنْكُمُ بِالدِّينِ وَالْإِيمَانِ مِثْلَ تَلَاعِبِ الصَّبِيَّانِ

يعني: كما يتلاعب الصبيان بالكرة وغيرها فأنتم تتلاعبون بالدين، فيقول هذا حق وهذا باطل

وكفر، وهذا إيمان بدون إيمان.

خَسِفتُ قُلُوبِكُمْ كَمَا كَسِفتُ عُضُو

لُكُمْ فَلَا تَزْكُوا عَلَى القُرْآنِ

قوله: (خسفت) يعني: ذهب نورها وانطمس كما يخسف القمر.

كَمْ ذَا تَقُولُوا مُجْمَلٌ وَمُؤَوَّلٌ

وظواهرٌ عَزَلتْ عَنِ الإيقَانِ

يعني: أنكم تردون الكتاب والسنة بمثل هذه الأقوال فتقولون هذا مجمل وهذا مفصل وهذا

ظواهر لا تدل على اليقين وما أشبه ذلك، وهذا ما يذهبون إليه الآن، فإذا رأوا دليلاً خالف

عقولهم قالوا: هذا ظاهر، والظاهر لا يدل على اليقين، فإذا كان الظاهر لا يدل على اليقين فما الذي يدل على اليقين؟!

حَتَّى إِذَا رَأَى الرَّجَالَ أَتَاكُمْ فَاسْمَعْ لِمَا يُوْحَىٰ بِلَا بُرْهَانَ

يعني: إذا جاء في الآراء أنكم تسمعون لها بدون أي دليل، والأدلة من الكتاب والسنة ترد وآراء الرجال التي لا دليل لها تقبل.

مِثْلَ الْخَفَافِيشِ الَّتِي إِنْ جَاءَهَا ضَوْءُ النَّهَارِ فَفِي كُؤَى الْحِيطَانِ

قوله: (الخفافيش) نوع من الطيور، لكنه طير بلا ريش وجناحه عبارة عن لحم متصل ببعضه ببعض ولا يأتي إلا في الظلام، لا يأتي في النهار أبدًا ولا يأتي في الليل المدهم، يأتي في أول الليل وفي آخر الليل، ويسمى عندنا السحاء ويسمى عند المصريين خفاشًا.

وعلى كل حال: هو الآن غير موجود عندنا؛ لأن الأنوار بالليل كالأنوار بالنهار يطير في المحل الذي ما فيه نور؛ لأن النور يعيميه ما يقدر أن يتحرك.

قوله: (إن جاءها ضوء النهار ففي كوى الحيطان) كوى: جمع كوة يعني: تكون في الفرج تتعلق بالثقوب وهكذا.

عَمِيثٌ عَنِ الشَّمْسِ الْمُنِيرَةِ لَا تُطِيبُ قُ هِدَايَةً فِيهَا إِلَى الطَّيْرَانِ

حَتَّى إِذَا مَا اللَّيْلُ جَاءَ ظَلَامُهُ جَالَتْ بِظُلْمَتِهِ بِكُلِّ مَكَانٍ

والمراد بهذا التشبيه التقيح، يعني: أراد بالتشبيه بهذا الخفاش تقيح حالهم.

فَفَتْرَى الْمَوْجِدَ حِينَ يَسْمَعُ قَوْلَهُمْ وَيَرَاهُمْ فِي مِحْنَةٍ وَهَوَانٍ

إذا رآهم الموحد وسمع قولهم صار في محنة وهوان، كما قال المتنبي:

وَمَنْ نَكَدَ الدُّنْيَا عَلَى الْحَرِّ أَنْ يَرَى عَدُوَّالَهُ مَا مِنْ صَدَاقَتِهِ بُدُّ

هذا من نكد الدنيا على الحر أن يرى عدوًا له ما من صداقته بد، فهو لاء القوم الذين يأتون إلى مجالس أهل السنة ويتكلمون معهم ويجادلونهم يؤذون أهل السنة برويتهم وبأقوالهم؛ ولهذا يقول: (فترى الموحد حين يسمع قولهم ويراهم في محنة وهوان).

وَأَرْحَمَتَاهُ لِعَيْنِهِ وَلَاذُنِهِ يَا مِحْنَةَ الْعَيْنَيْنِ وَالْأذُنَانِ

قوله: (وراحمته لعينه) إذا رآه، (ولأذنه) إذا سمعه؛ (يا محنة العينين والأذنان).

إِنْ قَالَ حَقًّا كَفَرُوهُ وَإِنْ يَقُو لُوا بَاطِلًا نَسَبُوهُ لِلْإِيمَانِ

إن قال هذا السني حقًا قالوا: هذا كافر، وإن قالوا هم باطلًا قالوا: هذا هو الإيمان، فباطلهم إيمان وحق السني كفر عندهم.

حَتَّى إِذَا مَا رَدَّهُ عَادُوهُ مِثْلَ عَدَاوَةِ الشَّيْطَانِ لِلْإِنْسَانِ

قوله: (حتى إذا ما رده) أي: رد الباطل الذي نسبه للإمام، لعادوه مثل عدواة الشيطان للإنسان)، الشيطان ماذا قال؟ قال: ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنْ بَرِئْتُ مِنْكَ﴾ [الحشر: ١٦] وصار من أعداءه.

قَالُوا لَهُ خَالَفْتَ أَقْوَالَ الشُّيُوخِ وَلَمْ يَبَالُوا الْخُلْفَ لِلْفُرْقَانِ

يعني: أنكروا عليه أنه خالف أقوال الشيوخ ولم يبالوا بأنهم خالفوا الفرقان الذي هو القرآن. وأيها أعظم؟ الثاني أعظم يقول: خالفت أنا أقوال الشيوخ، أما أنتم فخالفتم من جاء بالقرآن وهو الرسول ﷺ.

خَالَفْتُمْ قَوْلَ الرَّسُولِ وَإِنَّمَا خَالَفْتُمْ مِنْ جَرَّاهُ قَوْلَ فُلَانٍ

يعني: خالفتم قول الرسول أما أنا فخالفت من جراه يعني: من أجله قول فلان. يا حَبِذَا ذَاكَ الْخِلَافُ فَإِنَّهُ عَيْنُ الْوِفَاقِ لِبَطَاعَةِ الرَّحْمَنِ

قوله: (يا حبذا) هذه كلمة يراد بها الثناء يعني ما أحسن هذا الخلاف الذي سلكته؛ لأنه عين الوفاق لطاعة الرحمن فأنا مخالف بزعمكم ولكن موافق لطاعة الله عز وجل.



* قَوْلُهُ رَحِمَهُ اللهُ:

٤٤٦٧- أَوْ مَا عَلِمْتَ بِأَنَّ أَعْدَاءَ الرَّسُولِ

لِ عَلَيْهِ عَابُوا الْخُلْفَ بِالْبُهْتَانِ

٤٤٦٨- لِشُيُوخِهِمْ وَلِمَا عَلَيْهِ قَدْ مَضَى

أَسْلَافُهُمْ فِي سَالِفِ الْأَزْمَانِ

٤٤٦٩- مَا الْعَيْبُ إِلَّا فِي خِلَافِ النَّصِّ لَا

رَأْيِ الرَّجَالِ وَفِكْرَةِ الْأَذْهَانِ

٤٤٧٠- أَنْتُمْ تَعْيَبُونَا بِهِذَا وَهُوَ مِنْ

تَوْفِيقِنَا وَالْفُضْلُ لِلْمَنِّانِ

٤٤٧١- فَلَيْهِنَكُمْ خُلْفُ النَّصُوصِ وَيَهِنَا

خُلِفَ الشُّيُوخَ أَيَسْتَوِي الخُلْفَانِ؟

٤٤٧٢- وَاللَّهِ مَا تَسَوَى عُقُولُ جَمِيعِ أَهْلِ

بِلِ الأَرْضِ نَصًّا صَحَّ ذَا تَبَيَّانِ

٤٤٧٣- حَتَّى تُقَدِّمَهَا عَلَيْهِ مُعْرِضِي-

مَنْ مُؤَوَّلِينَ مُحَرِّفِي القُرْآنِ

٤٤٧٤- وَاللَّهِ إِنَّ النِّصَّ فِيمَا بَيْنَنَا

لَأَجَلٌ قَدْرًا يَا أَوْلِي الطُّغْيَانِ

٤٤٧٥- وَاللَّهِ لَمْ يَسْتَقِمْ عَلَيْنَا مِنْكُمْ

أَبَدًا خِلَافَ النِّصِّ مِنْ إِنْسَانِ

٤٤٧٦- لَكِنْ خِلَافَ الأشْعَرِيِّ بِزَعْمِكُمْ

وَكَذَبْتُمْ أَنْتُمْ عَلَى الإِنْسَانِ

٤٤٧٧- كَفَرْتُمْ مَنْ قَالَ مَا قَدْ قَالَهُ

فِي كُتُبِهِ تَصْرِيحَ ذِي الإِيْقَانِ

الشَّرح

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

يقول المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

لِ عَلَيْهِ عَابُوا الخُلْفَ بِالبُهْتَانِ

أَوْ مَا عَلِمْتَ بِأَنَّ أعدَاءَ الرُّسُو

أَسْلَافُهُمْ فِي سَالِفِ الأَزْمَانِ

لشيوخهم وَلِمَا عَلَيْهِ قَدْ مَضَى

يعني: أن أعداء الرسول عابوا عليه الخلف للشيوخ لكن هذا العيب بهتان؛ لأن النبي عليه الصلاة والسلام لا يعاب بمخالفة شيوخهم بتوحيد الله عز وجل هم يقولون إن هذا خالف آباءنا فسفه عقولهم وأغوى شبابنا، وما أشبه ذلك وهم أهل العيب.

رَأَى الرِّجَالِ وَفِكْرَةَ الأَذْهَانِ

مَا العَيْبُ إِلَّا فِي خِلَافِ النِّصِّ لَا

يقول المؤلف رَحِمَهُ اللهُ: ما العيب إلا في خلاف النص لا رأي الرجال وفكرة الأذهان،

العيب هو ما كان فيه خلاف النص، أي أن العيب حقيقة مخالفة النص لا مخالفة الآراء.

أَنْتُمْ تَعْيُونَا بِهَذَا وَهَوَ مِنْ تَوْفِيقِنَا وَالْفَضْلُ لِلْمَنَّانِ
صدق رَحْمَتُهُ لكونهم يعيرون علينا أن نأخذ بالنص، ونحن نرى أن هذا من توفيق وفضل
للمننان.

فَلْيَهْنِكُمْ خُلْفُ النَّصُوصِ وَيَهِنْنَا خُلْفُ الشُّيُوخِ أَيَسْتَوِي الْخُلْفَانِ؟
الجواب: لا، نحن نهنا بمخالفة الشيوخ إذا كانوا على باطل وأنتم ليهنكم خلف
النصوص، وهذا لا شك من التهكم بهم رَحْمَتُهُ.

وَاللَّهُ مَا تَسْوِي عُقُولَ جَمِيعِ أَهْلِ الْأَرْضِ نَضًّا صَحًّا ذَا تَبَيَانٍ
يعني: لو أننا وزنا جميع عقول أهل الأرض لنص صح عن النبي عليه الصلاة والسلام حتى
نقدمها لرجح النص؛ لأنها لا تسواي حتى نقدمها يعني: لا يمكن أن نقدمها لأنها لا تسواي.
حَتَّى تَقْدِمَهَا عَلَيْهِ مُعْرِضِي سَنَ مُؤَوَّلِينَ مُحَرِّفِي الْقُرْآنِ
وَاللَّهُ إِنَّ النَّصَّ فِيْمَا بَيْنَنَا لِأَجَلٍ قَدْرًا يَا أَوْلِي الطُّغْيَانِ
وصدق في اليمين وير فيها لأن النص فيما بيننا أجل من آراء كل أحد.

وَاللَّهُ لَمْ يَنْقِمْ عَلَيْنَا مِنْكُمْ أَبَدًا خِلَافَ النَّصِّ مِنْ إِنْسَانٍ
لَكِنَّ خِلَافَ الْأَشْعَرِيِّ بَزْعِمِكُمْ وَكَذَبْتُمْ أُنْتُمْ عَلَى الْإِنْسَانِ
يعني: أنه لم ينقم علينا أحد منكم خلاف النص، قوله: (من إنسان) ما في إنسان ينقم علينا أننا
وافقنا النص وأنتم خالفتموه. يعني: أنكم لم تنقموا علينا خلاف النص أبدًا، وإنما تنقمون خلاف
الأشعري بزعمكم، يعني: أنتم تقولون أنكم خالفتم الأشعري ولم تنقموا علينا يومًا من الأيام أننا
خالفتنا النص، بل تقولون أنكم خالفتم الأشعري وكذبتم أنتم على الإنسان يريد بالإنسان
الأشعري كذبتم عليه بأنه يوافقكم ويخالفنا.

كَفَرْتُمْ مَنْ قَالَ مَا قَدْ قَالَهُ فِي كُتُبِهِ تَصَدَّحَ ذِي الْأَيْقَانِ
يعني: أنهم كفروا ما قال الأشعري في كتبه، لأنهم ينكرون أن يكون الأشعري قد تابع أهل
السنة والجماعة في آخر الأمر.



* قَوْلُهُ رَحْمَتُهُ:

٤٤٧٨ - هَذَا وَخَالَفْنَا فِي الْقُرْآنِ مِنْ

لِخِلَافِكُمْ فِي الْفُوقِ لِلرَّحْمَنِ

٤٤٧٩- فَالْأَشْعَرِي مُصْرِحٌ بِالِاسْتِوَا

ءِ وَبِالْعُلُوِّ بِغَايَةِ التَّيْبَانِ

٤٤٨٠- وَمُصْرِحٌ أَيْضًا بِإِثْبَاتِ الْأَصَا

بِعِ مِثْلَ مَا قَدْ قَالَ ذُو الْبُرْهَانِ

٤٤٨١- وَمُصْرِحٌ أَيْضًا بِإِثْبَاتِ الْأَيْدِ

مِنْ وَوَجْهِ رَبِّ الْعَرْشِ ذِي السُّلْطَانِ

٤٤٨٢- وَمُصْرِحٌ أَيْضًا بِأَنَّ لِرَبِّنَا

سُبْحَانَهُ عَيْنَانِ نَاطِرَتَانِ

٤٤٨٣- وَمُصْرِحٌ أَيْضًا بِإِثْبَاتِ الثُّرُو

لِ لِرَبِّنَا نَحْوِ الرَّفِيعِ الدَّانِي

٤٤٨٤- وَمُصْرِحٌ أَيْضًا بِأَنَّ اللَّهَ يُو

مُ الْحَشْرِ يَنْصُرُهُ أَوْلُو الْإِيمَانِ

٤٤٨٥- جَهْرًا يَرُونَ اللَّهَ فَوْقَ سَمَائِهِ

رُؤْيَا الْعِيَانِ كَمَا يُرَى الْقَمَرَانِ

٤٤٨٦- وَمُصْرِحٌ أَيْضًا بِإِثْبَاتِ الْمَجِي

ءِ وَأَنَّهُ يَأْتِي بِإِلَّا نُنْكَرَانِ

٤٤٨٧- وَمُصْرِحٌ بِفَسَادِ قَوْلِ مُؤَوِّلِ

لِلْإِسْتِوَاءِ بِقَهْرِ ذِي السُّلْطَانِ

٤٤٨٨- وَمُصْرِحٌ أَنَّ الْأَلَى قَالُوا بِذَا التَّ

تَأْوِيلِ أَهْلِ ضَلَالَةٍ بَيِّنَانِ

٤٤٨٩- وَمُصْرِحٌ أَنَّ الَّذِي قَدْ قَالَهُ

أَهْلُ الْحَدِيثِ وَعَسْكَرُ الْقُرْآنِ

٤٤٩٠- هُوَ قَوْلُهُ يَلْقَى عَلَيْهِ رَبَّهُ

وَبِهِ يَسْتَدِينُ اللَّهُ كُلُّ أَوَانٍ

٤٤٩١- لَكِنَّهُ قَدْ قَالَ إِنَّ كَلَامَهُ

مَعْنَى يَقُومُ بِنَفْسِهِ بَيَانٍ

٤٤٩٢- فِي الْقَوْلِ خَالَفْنَاهُ نَحْنُ وَأَنْتُمْ

فِي الْفَوْقِ فَاتُّوا الْآنَ بِالْبُرْهَانِ

٤٤٩٣- لِمَ كَانَ نَفْسُ خِلَافِنَا كُفْرًا وَكَأَنَّ

نَ خِلَافُكُمْ هُوَ مُقْتَضَى الْإِيمَانِ

٤٤٩٤- هَذَا وَخَالَفْتُمْ لِنَصِّ حِينَ خَا

لَفْتُمْ لِرَأْيٍ لَا سِوَاءَ ذَانِ

٤٤٩٥- وَاللَّهِ مَا لَكُمْ جَوَابَ غَيْرُ تَكْ

فِيرٍ بِإِلَّا عَلَيْهِمْ وَلَا إِيْقَانِ

٤٤٩٦- أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لَكُمْ جَوَابَ

بِغَيْرِ ذَا الشُّكُورِ إِلَى السُّلْطَانِ!

٤٤٩٧- فَهُوَ الْجَوَابُ لَدَيْكُمْ وَلَنَحْنُ مِنْ

تَنْظُرُوهُ مِنْكُمْ يَا أَوْلِي الْبُرْهَانِ!

٤٤٩٨- وَاللَّهِ لَا لِلْأَشْعَرِيِّ تَبِعْتُمْ

كَلًّا وَلَا لِلنَّصِّ بِالْإِحْسَانِ

٤٤٩٩- يَا قَوْمُ فَانْتَبِهُوا لِأَنْفُسِكُمْ وَخَلِّ

لُوا الْجَهْلَ وَالِدَّعْوَى بِإِلَّا بُرْهَانِ

٤٥٠٠- مَا فِي الرِّيَاسَةِ بِالْجَهَالَةِ غَيْرُ ضَحْ

كَةِ عَاقِلٍ مِنْكُمْ مَدَى الْأَرْمَانِ

٤٥٠١- لَا تَرْتَضُوا بِرِيَاةِ الْبَقْرِ الَّتِي

رُؤَسَاؤُهَا مِنْ جُمْلَةِ الثِّيَرَانِ

الشَّحْ

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

يقول المؤلف رَحِمَهُ اللهُ تعالى مبيِّناً أننا نحن نوافق الحق أينما كان سواء كان من أشعري أو من غيره، يقول:

هَذَا وَخَالَفْنَاهُ فِي الْقُرْآنِ مِثْلَ خِلَافِكُمْ فِي الْفُوقِ لِلرَّحْمَنِ

يعني: أن مثل ما خالفتموه أنتم في الفوق للرحمن نحن خالفناه في القرآن؛ لأنه رَحِمَهُ اللهُ يرى أن كلام الله هو المعنى القائم بنفسه، وكلام النفس الذي سبق أن ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ ذكر أن شيخ الإسلام ابن تيمية رد عليهم من تسعين وجهاً، (مثل خلافكم له في الفوق للرحمن)، فهو يؤمن بفوقية الله وأنتم تنكرونها؛ لأن الأشاعرة يقولون: إن الله ليس فوق العالم ولا تحت العالم ولا يمين العالم ولا شمال العالم ولا متصل ولا منفصل ولا مبين ولا محيد، أين يكون؟ لا شيء أما هو رَحِمَهُ اللهُ - الأشعري - فقال وأقره بأن الله فوق سمواته، قال:

فَلِأَشْعَرِيٍّ مُصْرِحٍ بِالْأَشْتَوَا ۚ وَبِالْعُلُوِّ بِغَايَةِ التَّبْيَانِ

والأشاعرة لا يقولون: لا بهذا ولا بهذا، لا يؤمنون بالاستواء على معناه الحقيقي ولا يؤمنون بعلو الله، والأشعري الذي يدعون أنهم متبعون له يؤمن بالاستواء والعلو.

وَمُصْرِحٍ أَيْضًا بِإِثْبَاتِ الْيَدَيْنِ ۚ مِنْ وَوَجْهِ رَبِّ الْعَرْشِ ذِي السُّلْطَانِ

مصرح بإثبات اليدين لمن؟ لله عز وجل فله يدان اثنتان، كلتاهما يمين من حيث البركة ومن حيث القوة ومن حيث البطش ولكن إحداها يمين وإحداها شمال من حيث ذات اليد، وهذا نجمع بين الأحاديث الواردة في إثبات الشمال لله عز وجل والأحاديث التي ورد فيها كلتا يديه يمين، وقد وردت اليدين في القرآن الكريم، وكذلك في السنة على أوجه ثلاثة: الجمع والشية والإفراد: أما الجمع ففي قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا﴾ [يس: ٧١] وأما الإفراد ففي قوله تبارك وتعالى: ﴿بَنَرِكَ الَّتِي بِيَدَيْهِ الْمُلْكُ﴾ [الملك: ١] وأما الشية ففي قوله تعالى يخاطب إبليس: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي﴾ [ص: ٧٥]، وقوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤] فالجمع بين هذه الأوجه الثلاثة سهل بأن نقول: أما الجمع فإنما جمع للتعظيم، والتناسب بين المضاف والمضاف إليه، المضاف إليه هنا الدال على العظمة فجمعت

اليد لتكون مناسبة (لما) التي للعظمة، وأما الثنية فلأن ذلك هو الحقيقة أن الله يدين اثنتين، وأما الأفراد فإن المفرد المضاف لا يمنع التعدد؛ لأنه يعم وبهذا يصح التعبير بالثنية والأفراد والجمع، أما قوله: (ووجه رب العرش ذي السلطان).

أَيْضًا الْأَشْعَرِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُؤْمِنُ بِأَنَّ اللَّهَ لَهُ وَجْهٌ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧] وأما أتباع الأشعري الذين هم الأشاعرة فلا يؤمنون بوجه الله بل يحرفونه. قال:

وَمُصْرِحٌ أَيْضًا بِأَنَّ لِرَبِّنَا سُبْحَانَهُ عَيْنَانِ نَاطِرَتَانِ

الأشعري (مصرح أيضًا بأن لربنا سبحانه عينان ناظرتان)، وقال المؤلف: عينان ناظرتان، وابن القيم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي هَذِهِ النَّوْبِيَّةِ يَرْفَعُ الْمَثْنَى أحيانًا فِي مَوْضِعِ النِّقْلِ وَفِي مَوْضِعِ الْجُرِّ، يَرْفَعُ يَعْنِي: يَجْعَلُهُ بِالْأَلْفِ إِمَّا لِلضَّرُورَةِ أَيْ: لِلضَّرُورَةِ الشَّعْرُ وَإِمَّا عَلَى لُغَةٍ مِنْ يَلْزَمُ الْمَثْنَى الْأَلْفَ مَطْلَقًا، وَالَّذِي يَظْهَرُ لِي - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - أَنَّهُ لِأَجْلِ الضَّرُورَةِ؛ لِأَنَّهُ مَرَّ عَلَيْنَا قَبْلَ أَنَّهُ عَطَفَ مَثْنَى بِالْأَلْفِ عَلَى مَثْنَى بِالْيَاءِ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ يَفْعَلُ ذَلِكَ لِلضَّرُورَةِ وَقَدْ ذَهَبَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ إِلَى أَنَّ ضَّرُورَةَ الشَّعْرِ كَمَا تَوْجِبُ أحيانًا صَرَفَ مَا لَا يَنْصَرِفُ كَذَلِكَ تَوْجِبُ تَغْيِيرَ الْحَرْفِ. يَعْنِي: تَغْيِيرَ الْحَرْفِ مَا يَعْرِفُ بِتَغْيِيرِ الْحُرُوفِ.

قوله: (عينان ناظرتان) هذا الذي أجمع عليه أهل السنة أن الله عينين ناظرتين، ينظر بهما عز وجل وقد وردت العينان بصفة الجمع وبصفة الأفراد، ففي صفة الجمع كقوله تعالى: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ وبصفة الأفراد كقوله تعالى يخاطب موسى: ﴿وَلْيَضَعْ عَلَىٰ عَيْنَيْكَ﴾ فنقول في الجمع بينها كما قلنا في الجمع بين اليمين؛ أن الجمع للتعظيم والتعظيم واضح المناسبة؛ لأنها أضيفة إلى ما يفيد العظمة، والأفراد فلأنه مفرد مضاف فلا ينافي التعدد، إذ إن المفرد المضاف يكون للعموم، وهل وردت العينان بصفة الثنية؟ نعم جاءت في السنة لكن جاءت على وجهين: الوجه الأول أنها وردت بلفظ صريح لكن لصحته نظرًا: «إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ يُصَلِّي فَإِنَّهُ بَيْنَ عَيْنَيْ الرَّحْمَنِ» عينين اثنتين، ولكن في صحته نظر إلا أنه يقويه ما ثبت في الصحيحين وغيرهما في وصف الدجال، بأنه أعور وإن ربكم ليس بأعور، أعور يعني: عور العين ولا أعور البدن من العور؛ لأنه جاء مصرحًا به وهذا يدل قطعًا على أن الله عينان فقط؛ لأنه لو كان أكثر من عينين لكانت الزيادة على العينين كمالًا، وإذا كانت كمالًا فلا بد أن تذكر، وإذا ذكرت حصل الفرق أو التمييز بين هذا الأعور والدجال وبين رب العالمين عز وجل ويحصل الفرق بإذا؟ في الزيادة.

أما قول الرسول عليه الصلاة والسلام يجعل الفرق أنه أعور، فهذا يدل قطعًا على أن الله عينان اثنتين لا زيادة، ووجه ذلك ما ذكرت لكم لو كان له أكثر من عينين اثنتين لكان الزائد كمالًا ولو

كان كما لا فإنه لا يمكن أن يهمله الرسول عليه الصلاة والسلام ولقال إن ربكم له ثلاثة أعين أو أربعة أو عشرة، فلما لم يذكر عُلِمَ أنه لا يزيد على عينين، لكن تمييز عين الدجال بأنها عوراء بخلاف عين الرب عز وجل، وهذا أيضًا أمرٌ قد أجمع عليه سلف الأمة، فكل من تكلم من أصحاب كتب العقائد يسمونها بهذه التسمية، وقد ذكر الأشعري رَحِمَهُ اللهُ فِي كِتَابِهِ «الإبَانَةَ» أن أهل السنة أجمعوا على ذلك، وذكره أيضًا غيره، ولهذا أن ما حصل من بعض الطلبة الصغار من الذبذبة حول العينين لا أصل له، وهم لم يفهموا معنى أنه أعور وأن ربكم ليس بأعور، ولو فطنوا لما ذكرته لكان الأمر جليًا واضحًا.

وَمُصْرَحٌ أَيْضًا بِإثْبَاتِ النَّزْوِ لِرَبِّنَا نَحْوِ الرَّفِيعِ الدَّانِي

أي: أن الأشعري مصرح بإثبات نزول ربنا نحو الرفيع الداني، كيف الرفيع الداني؟ يعني: السماء الدنيا؛ لأنه بالنسبة لأهل الأرض رفيع وبالنسبة للسموات دانٍ.

وَمُصْرَحٌ أَيْضًا بِإثْبَاتِ الْأَصَابِعِ مِثْلَ مَا قَدْ قَالَ ذُو الْبُرْهَانَ

قوله: (ذو البرهان) أي: الرسول صلوات الله وسلامه عليه، فالأشعري علي أن الله أصابع كما أخبر بذلك النبي ﷺ حين قال: «إِنَّهُ مَا مِنْ قَلْبٍ مِنْ قُلُوبِ بَنِي آدَمَ إِلَّا وَهُوَ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أُصَابِعِ الرَّحْمَنِ يُقَلِّبُهُ كَيْفَ يَشَاءُ»^(١) فالأشاعرة الذين يدعون أنهم أتباع الأشعري أنكروا الأصابع، وقالوا: ما يمكن أن يكون له أصابع، ومن الذي قال هذا الحديث؟ أعلم الخلق به محمد صلوات الله وسلامه عليه، قالوا هذا يمنعه اللفظ، لأنه قال: «مَا مِنْ قَلْبٍ إِلَّا بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أُصَابِعِ الرَّحْمَنِ» وهذا يقتضي أن تكون أصابع الله في أجوافنا، ومعناها أن الأصابع مست القلب وإذا مست القلب لزم أن تكون أصابع الله في صدورنا وهذا مستحيل، إذن فلا يراد بالحديث ظاهره، فنقول لهم إن النبي عليه الصلاة والسلام يخاطب الأمة بلسان عربي مبين، ولا يمكن أن يخاطبهم بهذه الصراحة وهو يريد غيرها (إلا إذا بينها وهو لم يبين)، وقولكم: إنه لا بد أن تكون هناك ماثلة هذا غير صحيح، فالبينية لا تستلزم الماثلة، ألم يسمعوا قول الله عز وجل: ﴿وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [البقرة: ١٦٤]، ومع ذلك هل هو مماثل للسماء والأرض أم غير مماثل؟ فالسماء بعيدة منه والأرض بعيدة منه ألم يسمعوا الناس يقولون: المدينة بين دمشق ومكة، صح هل هي محادة لها؟ ولا إذن البينية في المكان لا تستلزم الماثلة أبدًا، وبهذا نعرف أن المراد بالحديث حقيقته، يعني: أن القلوب بين أصبعين من أصابع الله، وليس المراد كما قالوا أنه كناية عن التبديل والسلطان التام.

وَمُصْرَحٌ أَيْضًا بِأَنَّ اللَّهَ يُوَمُّ الْحَشْرَ يَنْصُرُهُ أَوْلُو الْإِيمَانِ

يعني: رؤية الله عز وجل أن الله يُرى يوم الحشر وهو: يوم القيامة.

جَهْرًا يَرَوْنَ اللَّهَ فَوْقَ سَمَائِهِ رُؤْيَا الْعِيَانِ كَمَا يَرَى الْقَمَرَانِ

القائل الرسول عليه الصلاة والسلام قال: ﴿إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرُونَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ﴾. وقال: ﴿إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرُونَ الشَّمْسَ صَحْوًا لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ﴾^(١) وهل أبلغ من هذا التحقيق: كما ترون القمر ليلة البدر، كما ترون الشمس صحواً ليس دونها سحاب، هذه الرؤية يخاطب بها النبي عليه الصلاة والسلام قوماً يفهمون اللسان العربي وأنها رؤية حقيقية، ولكن أنكر الأشاعرة رؤية الله، وقالوا: إن الله لا يُرى وما هو جسم كي يرى ما يمكن أن يرى، ويقولون: دليلنا من القرآن الكريم: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ [الأنعام: ١٠٣] وقال موسى: ﴿لَنْ تَرِنِّي﴾ [الأعراف: ١٤٣] لن نافية للتأييد يعني لم تراني لا في الدنيا ولا في الآخرة، وكيف تقولون: أنتم أن الله يرى؟ نقول لهم: إن الحمد لله الذي جعل ما استدلتتم به عليكم ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾، يدل على أنه يرى؛ لأنه لو لم يُر لقال لا تراه، فلما نفى الأخص لا تدرکه دل على وجود الأعم وهو الرؤية؛ وهو أن هناك رؤية ولكن بدون إدراك، قالوا: سبحان الله هل يمكن رؤية بدون إدراك؟ يمكن، أنتم الآن ترون الشمس إذن ولا تدركونها يمكن رؤية بلا إدراك؟ مع أننا نقول: لو سلمنا جدلاً أنه لا يمكن رؤية بدون إدراك في المخلوق، فإن هذا في الخالق ممكن؛ لأن الله ليس كمثلته شيء، وإذا كنا لا نحيط علماً بالمخلوقات التي ندرکہا فإن هذا كذلك.

أما قوله: ﴿لَنْ تَرِنِّي﴾ فالآية أيضاً دليل عليهم؛ لأننا لو جعلنا الرؤية مستحيلة في حق الله - وهي عندكم مستحيلة؛ لأن رؤية الله نقص - على زعمكم - ، يقولون: إذا روي الله فهو جسم والجسم نقص، فلو كانت الرؤية مستحيلة لكونها نقص في حق الله - هل يمكن أن يسألها رسول من أولى العزم؟ لا يمكن، كما أنه لا يمكن أن يقول رسول من أهل العزم يارب أرني عدلك أو أرني ظلمك. فإذا كان موسى عليه السلام سأل دل هذا على إمكان الرؤية لكنها في الدنيا لا يمكن، لعدم قدرة الإنسان على تحملها؛ ولهذا قال الله له: ﴿لَنْ تَرِنِّي﴾ يعني في الدنيا، لماذا؟ لأنه لا يمكن أن تتحمل الرؤية ﴿وَلَكِنْ أَنْظِرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنْ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرِنِّي﴾ [الأعراف: ١٤٣] نظر إلى الجبل: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا﴾ اندك أي: صار تراب ﴿وَحَرَّ مُوسَى صَعَقًا﴾ أنبهر من عظمة الرب عز وجل، ﴿فَلَمَّا آفَقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ إذن الآية فيها ما يدل على إمكان الرؤية، سؤال موسى له، وأما قولهم: إن (لن) تقتضي التأيد فقول يرده القرآن؛ لأن الله قال: ﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ [البقرة: ٩٥] لن يتمنوه أبداً بما قدمت أيديهم، ومع ذلك أخبر الله عن أهل النار أنهم يقولون: ﴿يَمَنَّوْكَ لِيُقِضَ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ [الزخرف: ٧٧] فهم يتمنون والله عز وجل قال: ﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا﴾ إذن لن تفيد التأيد مطلقاً على زعمهم، وهذا كما في قوله تعالى: ﴿لَنْ

تَرْفِيءٌ ﴿ أَي: لن تراني في الدنيا أما الآخرة فلها شأن آخر، فالذي ندين الله به أن الله عز وجل يرى يوم القيامة بالبصر، ولكننا لا نحيط به؛ لأن الله أعظم وأجل من أن تدركه الأبصار.

وَمُصْرِحٌ أَيْضًا بِأَنَّ اللَّهَ يَوْمَ
مَ الْحَشْرِ يَنْصُرُهُ أَوْلُو الْإِيمَانِ
وَمُصْرِحٌ أَيْضًا بِإِثْبَاتِ الْمَجِي
ءِ وَأَنَّهُ يَأْتِي بِسَلَا نُكْرَانِ

فالرب عز وجل يراه أهل الإيثار بعد دخول الجنة وفي عرسات القيامة، ويراه كذلك المنافقون في عرسات القيامة، ولكنهم بعد ذلك يجربون والحكمة من هذا زيادة الحسرة عليهم والعياذ بالله، ولأنهم آمنوا ثم كفروا، ويراه كذلك الكفار على قول بعض أهل العلم ولكنه يحتجب عنهم، وظاهر النصوص أنهم لا يرونه - أعني الكفار الخالص - لقول الله تعالى: ﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُورُونَ ﴾ [المطففين: ١٥]، أما أهل الإيثار فيرونه رؤية رضى في عرسات القيامة وبعد دخول الجنة، يقول: (رؤيا العيان كما يرى القمران).

وَمُصْرِحٌ أَيْضًا بِإِثْبَاتِ الْمَجِي
ءِ وَأَنَّهُ يَأْتِي بِسَلَا نُكْرَانِ

المصرح أبو الحسن الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بأن الله يأتي يوم القيامة كما قال تعالى: ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر: ٢٢] وقال تعالى: ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ ﴾ [الأنعام: ١٥٨] وهذا الإتيان هو إتيان الله تعالى حقيقة فيأتي بنفسه، ولكن هل يأتي على كيفية معلومة لنا؟ لا لأن هذا أمر غيبي، وقد أخبرنا الله أنه يأتي ولم يقول إنه يأتي على كيفية معينة، فهل لإتيانه كيفية؟ نعم لا بد أن يكون على كيفية، فما من موجود إلا وله كيفية، ولكن هي غير معلومة لنا؛ ولهذا قال الإمام مالك في قضية الاستواء: الاستواء معلوم، والكيف غير معقول، والإيثار به واجب، والسؤال عنه بدعة، وقال الإمام مالك للسائل: وما أراك إلا مبتدعاً.

وَمُصْرِحٌ بِفَسَادِ قَوْلِ مُؤَوَّلٍ
لِلْإِسْتِوَاءِ بِقَهْرِ ذِي سُلْطَانِ
وَمُصْرِحٌ أَنَّ الْأَلَى قَالُوا بِذَا الثَّ
تَأْوِيلِ أَهْلِ ضَلَالَةٍ بَيِّنِ

قوله: (مصرح بفساد قول مؤول للاستواء بقهر) هؤلاء الأشعرية والمعتزلة وغيرهم ممن عطلوا الأفعال الاختيارية، وقالوا لا يمكن أن يكون الاستواء على العرش استواءً استقراراً أو علوً؛ لأن هذا يستلزم أن يكون جسماً، وقال بعضهم: يستلزم أن يكون محدوداً؛ لأن العرش محدود له قوائم فهو محدد، فإذا قلت: إنه استوى على العرش جعلت الله محدوداً، إذن علل هذا بوجهين:

الوجه الأول: أنه إذا جعلت الاستواء حقيقة لزم أن يكون الله جسماً والأجسام متماثلة على زعمهم.

الوجه الثاني: إذا جعلت الاستواء حقيقة صار محدوداً على محدود، يعني: يلزم من هذا أن يكون الله محدوداً والله عز وجل لا يحده شيء، فإذاً ما المعنى على رأيهم؟ يقولون استوى على

العرش يعني: استولى عليه وملك وقهر وقد علمتم أن بعضهم من أجل هذا التأويل ادعى أن خلق العرش بعد خلق السموات؛ من أجل أن لا يقول قائل: إذا كان الله لم يستول على العرش إلا بعد خلق السموات فمن الذي له العرش قبل ذلك؟ واضح ومعلوم أن تفسير الاستواء في القهر والغلبة باطل من وجوه كثيرة، فهو خلاف ما أجمع عليه السلف وأنه خلاف ما تقتضيه اللغة وأنه يتضمن أن العرش قبل السموات ملك لغير الله، وأنه يجوز أن نقول: إن الله استولى على العرش لأنه مستوٍ عليه وغالبٌ له وقاهر له ومالك له، بل نقول إن الله استولى على أكبر من هذا - على زعمهم - فهو يستلزم لوازم باطلة فهو باطل؛ لأن ما لزم منه الباطل فهو باطل.

وَمُصْرِحٌ أَنَّ الْأَلَى قَالُوا بِذَا التَّ - تَأْوِيلِ أَهْلِ ضَلَالَةٍ بَيِّنَانِ

ولا شك أنهم ضالون، وأي ضلال أبلغ من ضلال شخص يقول: أن الله لم يستول على عرشه؟ أي لم يعلو عليه! ونحن نؤمن أن الله مستوٍ على العرش أي: عالٍ عليه، ولكن هل هذا العلو هو العلو العام على جميع المخلوقات؟ الجواب: لا، هذا علوٌ خاص، ونحن نضرب مثلاً - والله المثل الأعلى - لو أن شخصاً نصب كرسيّاً في السقف وجلس عليه يكون مستويّاً وهو في نفس الوقت عالٍ على الكرسي وعلى السقف، فاستواء الله على العرش ليس هو العلو الشامل لكل المخلوقات بل هو علو خاص يختص بالعرش؛ ولهذا لا يصلح أن تقول إن الله استوى على السماء أو على الأرض مع أنه عالٍ عليهما.

وَمُصْرِحٌ أَنَّ الْأَلَى قَدَّ قَالَهُ - أَهْلُ الْحَدِيثِ وَعَسْكَرُ الْقُرْآنِ

يعني: أن هو قول أبي الحسن رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، يعني يصرح أن قوله ما قاله أهل الحديث وعسكر القرآن.

هُوَ قَوْلُهُ يَلْقَى عَلَيْهِ رَبَّهُ - وَبِهِ يَدِينُ اللَّهُ كُلُّ أَوَانٍ

ثم ذكر المؤلف رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مخالفة أبي الحسن لأهل الحديث في مسألة الكلام.

لَكِنَّهُ قَدَّ قَالَ إِنَّ كَلَامَهُ - مَعْنَى يَقُومُ بِرَبِّتَا الرَّحْمَنِ

يقول رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: إن الله لا يتكلم بحرف وصوت مسموع، بل ما يُسمع من كلامه عبارة الكلام وليس كلامه، فكلامه هو المعنى القائم بنفسه، فمثلاً الآن افرض أنك تريد أن تقول خطبة تقدر الكلام في قلبك قبل أن تتكلم، ثم إذا تكلمت عبرت عن ما في نفسك، وهو يقول رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وعفا عنه إن الله لا يتكلم بكلام يسمع أو بصوت إنما كلامه المعنى الذي في نفسه، ثم يخلق أصواتاً وحرفاً يسمعه من يخاطبه الله عز وجل، وعلى هذا فإن هذا القرآن الذي بأيدينا ليس كلام الله على زعمه، بل هو عبارة عنه، المعتزلة يقولون: إنه كلام الله لكنه خلق من مخلوقاته، وينكرون كلام النبي بل يقولون: هذا كلام الله لكنه مخلوق، أما هم يقولون: إنه عبارة عن كلام الله وهو مخلوق أيضاً؛

ولهذا كان المعتزلة من هذا الوجه خيراً منهم، لأنهم يصرحون بأن القرآن كلام الله، أما هم فيقولون: لا، القرآن عبارة عن كلام الله، ويتفق المعتزلة والأشاعرة على أن ما نقرأه مخلوق.

فِي الْقَوْلِ خَالَفْنَا نَحْنُ وَأَنْتُمْ فِي الْفَوْقِ وَالْأَوْصَافِ لِلدِّيَانِ

يعني: نحن خالفناهم في مسألة واحدة وهي القول، أما أنتم خالفتم في الفوقية وفي جميع الأوصاف: كل صفات الرحمن التي أقرها خالفتموها أنتم، أما نحن لم نخالفكم إلا في مسألة واحدة.

لِمَ كَانَ نَفْسٌ خِلَافِنَا كُفْرًا وَكَأَنَّ خِلَافَكُمْ هُوَ مُقْتَضَى الْإِيمَانِ

قوله: (لم كان) إنكار يعني: نحن الآن خالفنا أبا الحسن في مسألة واحدة وهي مسألة الكلام، والباقي وافقناه، وأنتم خالفتموه في كل شيء إلا الكلام، فلماذا كان خلافنا نحن كفراً وكان خلافكم هو مقتضى الإيذان مع أنكم خالفتموه في ما هو مقتضى الإيذان؟!

هَذَا وَخَالَفْتُمْ لِنَصِّ حِينَ خَالَفْنَا لِرَأْيِ الْجَهْمِ ذِي الْبُهْتَانِ

يعني: نحن لم نخالف النص، أما أنتم خالفتم النص، ونحن خالفنا رأي الجهمي، فأين أحق بالكفر من خالف النص أم من خالف الرأي الباطل؟

وَاللَّهُ مَا لَكُمْ جَوَابٌ غَيْرُ تَكْذُوبٍ بِلَا عِلْمٍ وَلَا إِيقَانٍ

صحيح، ليس لهم جواب إلا أن يُشنعوا علينا: أنتم كفار أنتم مجسمة أنتم مشبهة إلى آخر ما يقولون من القذف.

أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لَكُمْ جَوَابًا غَيْرَ ذَا الشُّكْوَى إِلَى السُّلْطَانِ

يعني: أستغفر الله لكم، جواب آخر غير هذا الجواب وهو الشكوى إلى السلطان تشكون إلى السلطان، وتوشون بنا وهذا يقع كثيراً؛ يأتيه الإنسان لاستدراك يقول: فلان فيه كذا من الخصال الذميمة: أستغفر الله بل فيه غيره هذا كذا وكذا، إذن يعتبر هذا الكلام توكيد لما سبق وإضافة أمر يذمون عليه.

فَهُوَ الْجَوَابُ لَدَيْكُمْ وَلَنْحُنُّ مِنْكُمْ تَطَرُّوهُ مِنْكُمْ يَا أُولِي الْبُزْهَانِ

وهل الذي ليس له جواب إلا الشكوى إلى السلطان عنده علم؟ أبداً ليس عنده علم، ثم قال: والله لا للأشعري تبغثتم كلاً ولا للنص بالإحسان

إذن هم أخطأوا تقليداً وأخطأوا اجتهاداً؛ أخطأوا تقليداً حيث لم يتبعوا الأشعري، واجتهاداً حيث لم يتبعوا النص.

يَا قَوْمَ فَاتَّبِعُوا أَنْفُسَكُمْ وَخَلُّوا الْجَهْلَ وَالِدَعْوَى بِلَا بُزْهَانٍ



جزاه الله خيرًا ينصحهم يقول: انتبهوا لأنفسكم ودعوا الجهل والدعوى بلا برهان.

مَا فِي الرِّيَاسَةِ بِالْجَهَالَةِ غَيْرُ ضَحْ كَةِ عَاقِلٍ مِنْكُمْ مَدَى الْأَزْمَانِ

لا شك أن الرئاسة بالجهل ضحكة إلى يوم الدين؛ لأن الرئاسة إنما تنال بالشرف والعز، أما الجهل فإنه لا خير فيه ومآله إلى الفشل.

لَا تَرْتَضُوا بِرِّيَاسَةِ الْبَقْرِ النَّيِّ زُوسَاؤُهَا مِنْ جُمْلَةِ الثِّيَرَانِ

يعني: لا ترضوا لأنفسكم هذا الحظ بأن تكونوا رؤساء لبقر من رأس البقر الثيران إذا رضيتم برأسه البقر فأنتم ثيران.





مهيد بين يدي الفصل



قال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللهُ:

فصل

في بيان أن أهل الحديث هم أنصار
رسول الله ﷺ وخاصته ولا يبغض
الأنصار رجل يؤمن بالله واليوم الآخر

ثبت في الصحيح أن النبي ﷺ قال عن الأنصار: «لا يبغضهم إلا منافق» وذلك بأسباب إيمانهم ومسابقتهم ونصرتهم التامة لرسول الله ﷺ وذبحهم عنه من يريده بسوء. كذلك أهل السنة والجماعة وأهل الحديث هم أنصار دينه وكتابه ورسوله: نصروا الرسول بعد وفاته كما نصره الأنصار في حياته، فمحبتهم من الإيمان وبغضهم من النفاق، ولذلك قيل لهم: «أهل السنة والجماعة» و«أهل الحديث» لانتسابهم لستته دون المقالات كلها والمذاهب وغيرها، لأن الإنسان لا ينسب لشيء إلا لاتصاله به، بخلاف غيرهم فإنهم تباينت نسبهم إما إلى القائلين كالجهمية والكلاية والأشعرية ونحوهم، وإما إلى المقالات كالقدرية والجبرية والمعطلة، أو إلى الأمكنة أو إلى الأشخاص ونحو ذلك. ولا ينجي العبد من النار إلا اتباع السنة والقرآن، والناس في الحقيقة هم المتبعون لهما، وخيار أهل الحق علماءهم لأنهم هدوا واهتدوا وشرار أهل الباطل علماءهم لأنهم ضلوا وأضلوا، والجهال من هؤلاء وهؤلاء وسط بين الكمل الذين هم أهل العلم والإيمان وبين أئمة الباطل.



فصل

في أن أهل الحديث هم أنصار
رسول الله ﷺ، ولا يبغض الأنصار
رجل يؤمن بالله واليوم الآخر

- ٤٥٠٢- يا مُبْغِضًا أَهْلَ الْحَدِيثِ وَشَاتِمًا
أَبْشِرْ بِعَقْدِ وَلَايَةِ الشَّيْطَانِ
- ٤٥٠٣- أَوْ مَا عَلِمْتَ بِأَنَّهُمْ أَنْصَارُ دِي
— مِنَ اللَّهِ وَالْإِيمَانِ وَالْقُرْآنِ؟
- ٤٥٠٤- أَوْ عَلِمْتَ بِأَنَّ أَنْصَارَ الرَّسُولِ
لِ هُمْ بِلَا شَكِّ وَلَا تَكْرَانِ؟
- ٤٥٠٥- هَلْ يَبْغِضُ الْأَنْصَارَ عَبْدٌ مُؤْمِنٌ
أَوْ مُذْرِكٌ لِـرَوَائِحِ الْإِيمَانِ
- ٤٥٠٦- شَهِدَ الرَّسُولُ بِذَلِكَ وَهِيَ شَهَادَةٌ
مِنْ أَصْدَقِ الثَّقَلَيْنِ بِالْبُرْهَانِ
- ٤٥٠٧- أَوْ مَا عَلِمْتَ بِأَنَّ خَزْرَجَ دِينِهِ
وَالْأَوْسُ هُمْ أَبَدًا بِكُلِّ زَمَانِ؟
- ٤٥٠٨- مَا ذَنْبُهُمْ إِذْ خَالَفُوا لِقَوْلِهِ
مَا خَالَفُوهُ لِأَجْلِ قَوْلِ فُلَانِ
- ٤٥٠٩- لَوْ وَافَقُوا وَخَالَفُوهُ كُنْتَ تَشْ
— هَدُ أَنَّهُمْ حَقًّا أَوْلُوا الْإِيمَانِ

- ٤٥١٠- لَمَا تَحِيْرْتُمْ إِلَى الْأَشْيَاحِ وَإِن
 حَازُوا إِلَيَّ الْمُبْعُوْثِ بِالْفِرْقَانِ
- ٤٥١١- نَسَبُوا إِلَيْهِ دُونَ كُلِّ مَقَالَةٍ
 أَوْ قَائِلٍ أَوْ حَالَةٍ وَمَكَانِ
- ٤٥١٢- هَذَا انْتِسَابٌ أَوْلِي التَّفْرِيقِ نِسْبَةً
 مِنْ أَرْبَعِ مَعْلُومَةِ التَّبَيَّانِ
- ٤٥١٣- فَلَيْذَا غَضِبْتُمْ حِيْنَمَا انْتَسَبُوا إِلَيَّ
 خَبِرِ الرُّشُولِ بِنِسْبَةِ الْإِحْسَانِ
- ٤٥١٤- فَوَضَعْتُمْ لَهُمْ مِنَ الْأَلْقَابِ مَا
 تَسْتَقْبِحُونَ وَذَا مِنَ الْعُدْوَانِ
- ٤٥١٥- هُمْ يُشْهِدُونَكُمْ عَلَى بَطْلَانِيهَا
 أَفَنُشْهِدُونَهُمْ عَلَى الْبَطْلَانِ؟
- ٤٥١٦- مَا ضَرَّهُمْ وَاللَّهِ بَغْضُكُمْ لَهُمْ
 إِذْ وَاقَفُوا حَقًّا رِضَا الرَّحْمَنِ
- ٤٥١٧- يَا مَنْ يَعَادِيهِمْ لِأَجْلِ مَا كَلِ
 وَمَنَاصِبِ وَرِيَاسَةِ الْإِخْوَانِ
- ٤٥١٨- تَهْنِيكَ هَاتِيكَ الْعَدَاوَةُ كَمْ بِهَا
 مِنْ حَسْرَةٍ وَمَذَلَّةٍ وَهَوَانِ
- ٤٥١٩- وَلَسَوْفَ تَجْنِي غِبَّهَا وَاللَّهِ عَنِ
 قُرْبٍ وَتَذَكُرُ بِرِّ ذِي الْإِيْمَانِ
- ٤٥٢٠- فَإِذَا تَقَطَّعَتِ الْوَسَائِلُ وَانْتَهَتْ
 تِلْكَ الْمَأْكِلُ فِي سَرِيْعِ زَمَانِ

٤٥٢١- فَهَنَّاكَ تَقْرَعُ سِنَّ نَدْمَانَ عَلَى النَّدْمَانِ

تَقْرِبُ وَفَتَّ السِّرَّ وَالْإِمَّاكَانِ

٤٥٢٢- وَهَنَّاكَ تَعْلَمُ مَا بِضَاعَتِكَ الَّتِي

حَصَلَتْهَا فِي سَالِفِ الْأَزْمَانِ

٤٥٢٣- إِلَّا الْوَبَالَ عَلَيْكَ وَالْحَسْرَاتُ وَالْ

حُسْرَانَ عِنْدَ الْوَضْعِ فِي الْمِيزَانِ

٤٥٢٤- قِيلَ وَقَالَ مَا لَهُ مِنْ حَاصِلٍ

إِلَّا الْعَنَاءُ وَكُتِبَ ذِي الْأَذْهَانِ

٤٥٢٥- وَاللَّهُ مَا يَجِدِي عَلَيْكَ هُنَّاكَ إِنْ

لَا ذَا الَّذِي جَاءَتْ بِهِ الْوُخْيَانِ

٤٥٢٦- وَاللَّهُ مَا يَنْجِيكَ مِنْ سِجْنِ الْجَحِي

مِ سِوَى الْحَدِيثِ وَمُحْكَمِ الْقُرْآنِ

٤٥٢٧- وَاللَّهُ لَيْسَ النَّاسُ إِلَّا أَهْلُهُ

وَسِوَاهُمْ مِنْ جَمَلَةِ الْحَيَوَانِ

٤٥٢٨- وَلَسَوْفَ تَذْكُرُ بَرِّ ذِي الْإِيمَانِ عَنْ

فُزْبٍ وَتَقْرَعُ نَاجِدَ النَّدْمَانِ

٤٥٢٩- رَفَعُوا بِهِ رَأْسًا وَلَمْ يَزْفَعْ بِهِ

أَهْلُ الْكَلَامِ وَمَنْطِقِ الْيُونَانِ

الشَّرْحُ

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

هذا الفصل يقول فيه المؤلف رَحِمَهُ اللهُ: أن أهل الحديث هم أنصار رسول الله ﷺ وخاصة، ولا يبغض الأنصار رجل يؤمن بالله واليوم الآخر.

قوله: (إن أهل الحديث هم أنصار رسول الله ﷺ) هذا لا شك فيه؛ لأنهم أخذون به متابعون

له ذابون عنه.

وقوله: (ولا يبغض الأنصار رجل يؤمن بالله واليوم الآخر). هكذا جاء عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه لا يبغض الأنصار رجل يؤمن بالله واليوم الآخر.
ثم قال رَحِمَهُ اللهُ:

يَا مُبْغِضًا أَهْلَ الْحَدِيثِ وَشَاتِمًا أَتَبَشَّرُ بِعَقْدِ وَلَايَةِ الشَّيْطَانِ

يعني: أن من يشتم أهل الحديث ويبغضهم فقد عقد الولاية مع الشيطان.

أَوْ مَا عَلِمْتَ بِأَنَّهُمْ أَنْصَارُ دِينِ اللَّهِ وَالْإِيمَانِ وَالْقُرْآنِ؟

وهذا للتقريب: يعني أنه قد علم أن أهل الحديث هم أنصار دين الله والإيمان والقرآن.

أَوْ عَلِمْتَ بِأَنَّ أَنْصَارَ الرَّسُولِ لِي هُمْ بِلَا شَكِّ وَلَا نَكْرَانِ؟

وهذا أيضًا لتقريب، فإن أهل السنة هم الذي نصره رسول الله ﷺ لأخذهم بها وذبيهم عنها.

هَلْ يَبْغِضُ الْأَنْصَارَ عَيْدٌ مُؤْمِنٌ أَوْ مُذْرِكٌ لِرَوَائِحِ الْإِيمَانِ؟

الجواب: لا، فلاستفهام هنا بمعنى النفي، فالإنسان المؤمن لا يمكن أن يبغض أنصار الرسول عليه الصلاة والسلام، سواء نصره في حياته أو في مماته.

شَهِدَ الرَّسُولُ بِذَلِكَ وَهِيَ شَهَادَةٌ مِنْ أَصْدَقِ الثَّقَلَيْنِ بِالْبُرْهَانِ

شهد الرسول بأنه لا يبغضهم مؤمن وهي شهادة صدرت من أصدق الثقلين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

أَوْ مَا عَلِمْتَ بِأَنَّ خَزْرَجَ دِينِهِ وَالْأَوْسَ هُمْ أَبَدًا بِكُلِّ زَمَانٍ؟

الأنصار قبيلتان: الأوس والخزرج، لكن هل هذا يختص بتلك القبيلتين؟ الجواب: يكون بلا، أنصار الدين الأوس والخزرج في فكل مكان كل من نصر دين الله فإنه مثل الأنصار من الأوس والخزرج؛ ولهذا يقول:

مَا ذُنِبُهُمْ إِذْ خَالَفُوا لِقَوْلِهِ مَا خَالَفُوهُ لِأَجْلِ قَوْلِ فُلَانٍ

يعني: ما ذنب أهل الحديث حين خالفوك، (لقوله) أي: لقول الرسول ﷺ هم ما خالفوا الرسول؛ لأجل قول فلان وأنت خالفت الرسول لأجل قول فلان فالذنب ذنب أهل الحديث أو ذنب من أبغضهم؟ ذنب من أبغضهم وعاداهم، قال:

لَوْ وَاخَفَاكَ وَخَالَفُوهُ كُنْتَ تَشْتَدُّ هَهُذَا أَنَّهُمْ حَقًّا أَوْلُو الْإِيمَانِ

يعني: لو أنهم خالفوا الرسول ﷺ ووافقوك لشهد بأنهم أهل الإيمان.

لَمَّا تَخَيَّرْتُمْ إِلَى الْأَشْيَاحِ وَأَنْدَ حَازُوا إِلَى الْمَبْعُوثِ بِالْفُرْقَانِ
نَسَبُوا إِلَيْهِ دُونَ كُلِّ مَقَالَةٍ أَوْ حَالَةٍ أَوْ قَائِلٍ وَمَكَانٍ

يعني: أن هؤلاء المعطلة أخذوا بأقوال الشيوخ وتركوا ما قاله النبي ﷺ، أما المثبتة فأخذوا بما قال النبي ﷺ وتركوا ما قال الشيوخ مما يخالف قول النبي ﷺ.

هَذَا انْتِسَابٌ أَوْلِي التَّفْرِيقِ نِسْبَةً مِنْ أَرْبَعِ مَعْلُومَةِ التَّيْيَانِ

قوله: (هذا انتساب أولي التفرق). يعني: الذين تفرقوا في دين الله.

قوله: (نسبة من أربع معلومة التبيان) ما هذه النسبة من أربع؟ الظاهر والله أعلم أن النسب الأربع: موافقة الكتاب ومخالفته وموافقة السنة ومخالفتها؛ فأهل الإثبات قد وافقوا الكتاب والسنة، وأما أهل التعطيل فخالفوا في الكتاب والسنة؛ ولهذا قال نسب إليه دون كل مقالة أو حالة أو قائل ومكان، لا شك أن هذه الأربع التي ذكرها الآن المقال والحالة والقائل والمكان لكن الذي يظهر لي والله أعلم الموافقة والمخالفة أنه موافقة الكتاب والسنة ومخالفتها.

فَلِذَا غَضِبْتُمْ حِينَمَا انْتَسَبُوا إِلَى خَيْرِ الرُّسُولِ بِنِسْبَةِ الْإِحْسَانِ

الخطاب هنا لأهل التعطيل، يعني: أنكم غضبتم حينما انتسبوا إلى خير الرسول (بنسبة الإحسان) ونسبة الإحسان في الخبر هو نقله بنصه من غير زيادة ولا نقص.

فَوَضَعْتُمْ لَهُمْ مِنَ الْأَلْقَابِ مَا تَسْتَقْبِحُونَ وَذَا مِنَ الْعُدْوَانِ

قوله: (وضعتم لهم من الألقاب) اللقب: قال أهل النحو كل ما أشعر من مدح أو ذم، ومثلوا لذلك بكفة وزين العابدين، كفة مشعر بالذنب وزين العابدين بالمدح فهم - أعني أهل التعطيل - وضعوا لأهل الإثبات من الألقاب ما يستقبحون، فكلما استقبحوا لقباً وضعوه على أهل السنة والإثبات، وقالوا إنهم حشوية نوابت غشاء وما أشبه ذلك.

مَا ضَرَّهُمْ وَاللَّهِ بَغْضُكُمْ لَهُمْ إِذْ وَافَقُوا حَقًّا رِضًا الرَّحْمَنِ

صحيح، الإنسان إذا وافق رضا الرحمن فلا يهمله أن يغضب عليه الناس، المهم أن تنال رضا الله عز وجل ولو غضب الناس.

هُمْ يَشْهَدُونَكُمْ عَلَى بَطْلَانِهَا أَفْتَشْهَدُونَهُمْ عَلَى الْبَطْلَانِ

يعني: أن أهل السنة يشهدون أهل التعطيل على بطلان ما لقبوهم، به فهل أنتم تشهدونهم على البطلان كما شهدوا هم على بطلان ما لقبوا به؟ الجواب: لا، هم يرون أنهم على أكمل شيء، وأنهم هم أهل السنة وأهل العدل وأهل التوحيد وما أشبه ذلك.

يَا مَنْ يَعَادِيهِمْ لِأَجْلِ مَا كَلِمٍ وَمَنَاصِبٍ وَرِيَاسَةِ الْإِخْوَانِ

يعني: أن هؤلاء الذين عادوا أهل الإسلام لهم مأرب أما المآكل أو المناصب عند ذوي السلطان أو رياسة الإخوان؛ حيث يكون رئيسًا مبعولًا في قومه، فيخشى أن يتحول إلى الإثبات فيعاديه قومه، يقول:

تَهْنِيكَ هَاتِيكَ الْعَدَاوَةُ كَمْ بِهَا مِنْ حَسْرَةٍ وَمَذَلَّةٍ وَهَوَانٍ
لكن متى؟ قال:

وَلَسَوْفَ تَجْنِي غَيْبَهَا وَاللَّهُ عَنِّي
متى يكون هذا؟ إذا مات ورأى أنه ليس على شيء، حينئذ يكون قد جنى غي ما ذهب إليه من تعطيل الله عز وجل عن أوصافه.

فَإِذَا تَقَطَّعَتِ الْوَسَائِلُ وَأَنْتَهَتْ
فَهُنَاكَ تَقْرَعُ سِنَّ نَدْمَانَ عَلَى الثَّ
يعني: أنه إذا تقطعت الوسائل وانتهت الحياة، فهناك تقرع سن الندم ولكن بعد فوات الأوان.
وَهُنَاكَ تَعْلَمُ مَا بَضَاعَتِكَ الَّتِي
إِلَّا الْوَبَالَ عَلَيْكَ وَالْحَسْرَاتُ وَال
قِيلَ وَقَالَ مَا لَهُ مِنْ حَاصِلٍ
يعني: تعب الأذهان هذا الذي يحصلونه.

وَاللَّهُ مَا يَجِدِي عَلَيْكَ هُنَاكَ إِنْ
أَقْسَمَ الْمُؤَلَّفُ بِأَنَّهُ لَا يَجِدِي عَلَيْهِ هُنَاكَ إِلَّا مَا جَاءَ بِهِ الْوَحْيَانُ يَعْنِي: الْكِتَابَ وَالسَّنَةَ.

وَاللَّهُ مَا يَنْجِيكَ مِنْ سِجْنِ الْجَحِيمِ
وَاللَّهُ لَيْسَ النَّاسُ إِلَّا أَهْلُهُ
وَسِوَاهُمْ مِنْ جَمَلَةِ الْحَيَوَانِ

يعني: هم أهل الحديث فالناس الذين ربخوا الدنيا والآخرة هم أهل الحديث، أما سواهم فهو من جملة الحيوان.

وَلَسَوْفَ تَذْكُرُ بَرِّي ذِي الْإِيمَانِ عَنِّي
وَكُلُّ هَذَا إِنَّمَا يَكُونُ بَعْدَ الْمَوْتِ.

رَفَعُوا بِهِ رَأْسًا وَلَمْ يَرْفَعْ بِهِ
أَهْلُ الْكَلَامِ وَمَنْطِقِ الْيُونَانِ
قوله: (رفعوا به رأسًا) يقصد أهل الإثبات - أهل السنة.

قوله: (ولم يرفع به أهل الكلام ومنطق اليونان). يعني: لم يرفعوا به رأساً بل حطّوه وأعرضوا عنه.



* قوله رَحِمَهُ اللهُ:

٤٥٣٠ - فَهُمْ كَمَا قَالَ الرَّسُولُ مُمَثِّلاً

بِالْمَاءِ مَهْبِطُهُ عَلَى الْقِيَعَانِ

٤٥٣١ - لَا الْمَاءُ تُمَسِكُهُ وَلَا كَلًّا بِهَا

يَزَعَاهُ ذُو كَبِيدٍ مِنَ الْحَيَوَانِ

٤٥٣٢ - هَذَا إِذَا لَمْ يَحْرِقِ الزَّرْعَ الَّذِي

يَجَوَّارِهَا بِالنَّارِ أَوْ بِدُخَانِ

٤٥٣٣ - وَالْجَاهِلُونَ بِذَا وَهَذَا هُمْ زَوَا

نُ الزَّرْعِ إِي وَاللَّهِ شَرُّ زَوَانِ

٤٥٣٤ - وَهُمْ لَدَى غَرَسِ الْإِلَهِ كَمِثْلِ غَرِ

سِ الدُّنْبِ بَيْنَ مَعَارِسِ الرُّمَانِ

٤٥٣٥ - يَمْتَضُّ مَاءَ الزَّرْعِ مَعَ تَضْيِيقِهِ

أَبَدًا عَلَيْهِ وَلَيْسَ ذَا قِنْوَانِ

٤٥٣٦ - ذَا حَالُهُمْ مَعَ حَالِ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنْ

صَارَ الرَّسُولِ فَوَارِسِ الْإِيْمَانِ

٤٥٣٧ - فَعَلَيْهِ مِنْ قَبْلِ الْغِرَاسِ تَحِيَّةٌ

وَاللَّهُ يَنْقِيهِ مَدَى الْأَزْمَانِ^(١)

(١) [٤٥٣٦:٤٥٣٧] قال العلامة محمد خليل هراس:

فهذا حال هؤلاء الجهلاء مع حال أهل العلم أنصار الرسول وفوارس الإيمان من أمثال شيخ المؤلف شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، فعليه تحية من الله مباركة طيبة، فسلام الله عليه ورحمته والله يقيه مدى الأزمان لسان صدق لدعوة الحق يدود عنها كيد المضلين وأكاذيب المفترين.

٤٥٣٨- لَوْلَاهُ مَا سَقَى الْغِرَاسُ فَسَوْقُ ذَا

كَ الْمَاءِ لِلدُّلْبِ الْعَظِيمِ الشَّانِ

٤٥٣٩- فَالْغَرَسُ دُلْبٌ كُلُّهُ وَهُوَ الَّذِي

يَسْقَى وَيَحْفَظُ عِنْدَ أَهْلِ زَمَانِ

الشَّحْ

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

يقول رَحِمَهُ اللهُ تعالى:

فَهُمْ كَمَا قَالَ الرَّسُولُ مُمَثَّلًا بِالْمَاءِ مَهْبَطُهُ عَلَى الْقِيَعَانِ

لَا الْمَاءُ تُمَسِّكُهُ وَلَا كَلًّا بِهَا يَزْعَاهُ ذُو كَبِدٍ مِنَ الْحَيَوَانِ

قد مثل الرسول عليه الصلاة والسلام به «مثل غيث أصاب به من هذه الأرض التي أصابها أرض قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلاً» يعني أنها تشرب الماء ولكنها لا تنبت، فهذه لا ينتفع الناس بنباتها ولا ماءها، وعلى العكس نزل الماء في أرض ثانية فكانت صفاء فأمسكت الماء وانتفع الناس بشربه، وهناك أرض ثالثة شربت الماء وأنبتت الكلاً فنفعت الناس؛ فهذا يقول: (كما قال الرسول ممثلاً).

هَذَا إِذَا لَمْ يَحْرِقِ الزَّرْعَ الَّذِي بِجَوَارِهَا بِالنَّارِ أَوْ بِدُخَانِ

فإذا أحرق لم يكن هناك فائدة إطلاقاً؛ لأن الزرع ربما يخرج ويرى صاحبه أنه قدر عليه ثم بعد يأتيه ما يحرقه من نارٍ أو دخان.

قوله: (زوان الزرع) بذر يخالف الزرع فيضيق عليه ويفسده.

وَهُمْ لَدَى غَرَسِ الْإِلَهِ كَمَثَلِ غَرَسِ الدُّلْبِ بَيْنَ مَعَارِسِ الرُّمَانِ

يعني: هؤلاء القوم المعطلة بين غرس الرحمن، وهم المفسدة مثل غرس الدلب بين الرمان، (الدلب) شجر كما ذكره بن القيم أنه كبير الحجم وأنه لا خير فيه، يقول:

يَمْتَصُّ مَاءَ الزَّرْعِ مَعَ تَضْيِيقِهِ أَبَدًا عَلَيْهِ وَكَأَنَّ ذَا قِنَوَانَ

قوله: (يمتص ماء الزرع)، يعني: يمتص الماء من الزرع فلا يأتي الزرع من الماء إلا الشيء القليل، وأما من فوق فيقول: (مع تضيقه أبداً عليه وليس ذا قنوان) يعني: يضيق من خارج الأرض ويمتص الماء من داخل الأرض، ومع ذلك ليس له قنوان أي: ليس له ثمر.

ذَا حَالُهُمْ مَعَ حَالِ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنْ صَارَ الرَّسُولِ فَوَارِسَ الْإِيمَانِ
إِذْ نَاحِلٌ هُوَ لَأَنَّ هُمْ يَضِيقُونَ الْمَكَانَ، وَيَأْخُذُونَ الْمَكَانَ بِالْعُرُوقِ الَّتِي تَوْثُرُ، وَيَضِيقُونَ الْمَكَانَ
فَوْقَ ظَهْرِ الْأَرْضِ هَذِهِ حَالُهُمْ، ثُمَّ قَالَ:

فَعَلَيْهِ مِنْ قَبْلِ الْغِرَاسِ تَحِيَّةٌ وَاللَّهُ يَبْقِيهِ مَدَى الْأَزْمَانِ

قوله: (فعليه) يحتتمل أن الضمير يعود على الأنصار، وهي للجمع باعتبار الجنس، أي فعلى أنصار الرسول فوارس الإيمان من قبل الله تحية (والله يبقيه مدى الأزمان).

لَوْلَا مَا سَقَى الْغِرَاسُ فَسَوْقٌ ذَا لِكَ الْمَاءِ لِلدُّلْبِ الْعَظِيمِ الشَّانِ

يعني: لولا أنصار الرسول عليه الصلاة والسلام فوارس الإيمان ما سقى الغراس، (فوق ذاك الماء للدلب العظيم الشأن).

فَالْغَرْسُ ذُلْبٌ كُلُّهُ وَهُوَ الَّذِي يَسْقَى وَيَحْفَظُ عِنْدَ أَهْلِ زَمَانِ

يعني أن ابن القيم رحمه الله يقول: إن الأوضاع انقلبت فصار الدلب هذا الشجر الكبير الذي يمتص الماء والذي لا خير فيه صار هو غراس وقتنا.



* قوله رحمه الله:

٤٥٤٠ - فَالْغَرْسُ فِي تِلْكَ الْحُفَّارَةِ شَارِبٌ

فَضَلَ الْمِيَاهِ مُصَاوَةً الْبُشْتَانِ

٤٥٤١ - لَكِنَّمَا الْبُلُوى مِنَ الْحَطَّابِ قَطْ

طَاعِ الْغِرَاسِ وَعَاقِرِ الْحَيْطَانِ

٤٥٤٢ - بِالْفُؤُسِ يَضْرِبُ فِي أَصُولِ الْغَرْسِ كَيِّ

يَجْتَنُّهَا فَيُظَنُّ ذَا إِخْسَانِ

٤٥٤٣ - وَيَظَلُّ يَخْلِفُ كَأَذْبَالٍ لَمْ أَعْتَمِدْ

فِي ذَا سِوَى التَّشْيِيتِ لِلْعِيدَانِ

٤٥٤٤ - يَا خَيْبَةَ الْبُشْتَانِ مِنْ حَطَّابِهِ

مَا بَعْدَ ذَا الْحَطَّابِ مِنْ بُشْتَانِ

٤٥٤٥- فِي قَلْبِهِ غِلٌّ عَلَى الْبُسْتَانِ فَهْـ

— وَ مُوَكَّلٌ بِالْقَطْعِ كُلِّ أَوَانٍ

٤٥٤٦- فَالْجَاهِلُونَ شِرَارُ أَهْلِ الْحَقِّ وَالـ

— عُلَمَاءُ سَادَتُهُمْ أَوْلُو الْإِحْسَانِ

٤٥٤٧- وَالْجَاهِلُونَ خِيَارُ أَحْزَابِ الضَّلَا

لِ وَشَيْعَةُ الْكُفْرَانِ وَالشَّيْطَانِ

٤٥٤٨- وَشِرَارُهُمْ عُلَمَاؤُهُمْ هُمْ شَرُّ خَلْدِ

— قِي اللَّهِ آفَةٌ هَذِهِ الْأَكْسَوَانِ

الشَّحْ

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

فَالْعُرْسُ فِي تِلْكَ الْحَفَارَةِ شَارِبٌ فَضَّلَ الْمِيَاهِ مُصَارُهُ الْبُسْتَانَ

لَكِنَّمَا الْبُلُوى مِنَ الْحَطَابِ قَطٌّ طَاعَ الْغِرَاسِ وَعَاقِرِ الْحَيْطَانِ

يقول: إن هناك بلوى أخرى وهي هذا الذي يقطع الشجر ويهدم الجدار (الخطاب قطاع الغراس وعافر الحيطان) ويعني: بذلك هؤلاء المعطلة الذين طغوا على هذه النصوص بالقطع وهدم السيقان حتى أصبح بهتانهم يقال ولا يحجر عليه.

بِالْفُؤْسِ يَضْرِبُ فِي أَصُولِ يَجْتَنُّهَا وَيَظُنُّ ذَا إِحْسَانِ

يعني: هذا الخطاب يضرب بالفؤس (جمع فأس) أصولها حتى يجتثها ولا يبقى لها أصل ولا فرع.

وَيَظَلُّ يَخْلِفُ كَاذِبًا لَمْ أَعْتَمِدْ فِي ذَا سِوَى التَّيْبِتِ لِلْعِيدَانِ

يعني: يظل هذا الذي يقطعها من أصلها وعرقها يخلف أنه ما أراد إلا أن يثبت العيدان، يعني يحفر لها حتى تثبت وفي الحقيقة يحفر لها من أجل أن يقطعها.

يَا حَيِيَّةَ الْبُسْتَانِ مِنْ حَطَابِهِ مَا بَعْدَ ذَا الْحَطَابِ مِنْ بُسْتَانِ

يعني: هل بعده بستان وهو يجتث الغرس من أصله؟ لا، أبدًا.

فِي قَلْبِهِ غِلٌّ عَلَى الْبُسْتَانِ فَهْـ وَ مُوَكَّلٌ بِالْقَطْعِ كُلِّ أَوَانِ

وهكذا أهل البدع في قلوبهم غل على السنة ذات الثمار والأشجار اليانعة، فهم في قلوبهم غل

يريدون أن يجتثوها من أصلها، وهم يدعون أنهم إنما يريدون الإصلاح.

فَالْجَاهِلُونَ شِرَارُ أَهْلِ الْحَقِّ عُلَمَاءُ سَادَتُهُمْ أَوْلُو الْإِحْسَانِ

وَالْجَاهِلُونَ خِيَارُ أَحْزَابِ لِ وَشِيعَةُ الْكُفْرَانِ وَالشَّيْطَانِ

الجاهلون شرار أهل الحق، لماذا؟ وإن كان يريد الحق لكن لا يعرفه وسادتهم العلماء هم أولو الإحسان، أي أنهم يدعون أن هؤلاء الجهلة هم أهل الحق، وأن العلماء الذين يلقنهم هذه البدع هم السادة أهل الإحسان، قال تعالى: ﴿إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا﴾

وَالْجَاهِلُونَ خِيَارُ الضَّلَا لِ وَشِيعَةُ الْكُفْرَانِ وَالشَّيْطَانِ

وَشِرَارُهُمْ عُلَمَاؤُهُمْ هُمْ شَرُّ خَلْد قِي اللَّهِ آفَةُ هَذِهِ الْأَكْوَانِ

يعني: أن الحقيقة أنهم - أي الجاهلين - هم خيار أحزاب الضلال وشرار أهل الحق، وأما علماءهم فيقول: شرار خلق الله آفة هذه الأكوان - نسأل الله العافية.





تهذيب بين يدي الفصل



قال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللهُ:

فصل

في تعيين الهجرة من الآراء والبدع إلى سنته كما كانت فرضاً من الأمصار إلى بلدته

وذلك أن الهجرة من بلد الكفر إلى بلد الإسلام ومن بلاد البدع إلى بلاد السنة واجبة عند وجود سببها وهو العجز عن إظهار الدين والسنة مع القدرة على الهجرة. وهذه قد تجب في وقت دون وقت وفي مكان دون مكان وعلى شخص دون آخر بحسب وجود سببها أو عدمه. وأما الهجرة إلى الله ورسوله بالإخلاص والمتابعة فهي فرض عين على كل شخص وفي كل مكان وزمان، وهي روح الدين وحقيقة الإيمان. فعلى كل عبد أن يقصد رضا ربه وطلب رضوانه في كل ما يأتي وما يذر في أقواله وأفعاله وسره وعلنه، بأن يكون حبه لله وفي الله ويغضه الله وولايته لله وعداوته لله، وينيب إلى ربه في جميع أعمال قلبه.

وعليه مع ذلك أن يكون في أقواله وأفعاله واعتقاداته وأصول دينه وفروعه متابِعاً لرسول الله متلقياً عنه جميع دينه، وأن يعرض جميع المقالات والمذاهب على ما جاء به الرسول ﷺ، فما وافقه قبله، وما خالفه رده، وما أشكل أمره توقف فيه. فالعمل المقبول ما جمع هذين الوصفين. وقد صنف المؤلف في هذين الأصلين كتاباً سماه «سفر الهجرتين» فصّل فيه مجمل ما ذكره في هذا الفصل تفصيلاً تاماً. ومن تفضل الله عليه بهذين الأمرين - الإخلاص والمتابعة - كان سيره إلى الله مستوعباً لجميع أوقاته على سهولته ويسره، وصار القليل من عمله كثيراً، وقد سبق المكثرين من الأعمال وهو مطمئن في سيره. فعلى العبد أن يسأل ربه أن يوفقه للقيام بهاتين الهجرتين.



فصل

في تعيين الهجرة من الآراء والبدع إلى سنته،
كما كانت فرضاً من الأمصار
إلى بلده عليه السلام

٤٥٤٩- يا قَوْمُ فَرَضُ الْهِجْرَتَيْنِ بِحَالِهِ

وَاللَّهُ لَمَّا يَنْسَخْ إِلَيَّ ذَا الْآنِ

٤٥٥٠- فَالْهِجْرَةُ الْأُولَى إِلَى الرَّحْمَنِ بِالْ

إِخْلَاصٍ فِي سِرِّ وَفِي إِعْلَانِ

٤٥٥١- حَتَّى يَكُونَ الْقَضُ وَجْهَ اللَّهِ بِالْ

أَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ وَالْإِيمَانِ

٤٥٥٢- وَيَكُونَ كُلُّ الدِّينِ لِلرَّحْمَنِ مَا

لِيسِوَاهُ شَيْءٌ فِيهِ مِنْ إِنْسَانٍ

٤٥٥٣- وَالْحُبِّ وَالْبُغْضِ اللَّذَانِ هُمَا لِكُلِّ

لِ وَلَايَةٍ وَعَدَاوَةٍ أَضْلَانِ

٤٥٥٤- اللَّهُ أَيْضًا هَكَذَا الْإِعْطَاءِ وَالْ

مَنْعِ اللَّذَانِ عَلَيْهِمَا يَقِفَانِ

٤٥٥٥- وَاللَّهُ هَذَا شَطْرُ دِينِ اللَّهِ وَالثَّ

تَخَكِيمِ لِلْمُخْتَارِ شَطْرُ ثَانِ

٤٥٥٦- وَكِلَاهُمَا الْإِحْسَانُ لَنْ يَتَقَبَّلَ الزَّ

رَحْمَنٌ مِنْ سَعْيِ بِلَا إِحْسَانِ

٤٥٥٧ - وَالْهَجْرَةُ الْأُخْرَى إِلَى الْمَبْعُوثِ بِأَلِ

إِسْلَامٍ وَالْإِيمَانِ وَالْإِحْسَانِ

٤٥٥٨ - أَتَرُونَ هَذِي هِجْرَةَ الْأَبْدَانِ لَا

وَاللَّهُ بَلِّ هِيَ هِجْرَةُ الْإِيمَانِ

٤٥٥٩ - قَطَعُ الْمَسَافَةَ بِالْقُلُوبِ إِلَيْهِ فِي

دَرْكِ الْأَصُولِ مَعَ الْفُرُوعِ وَذَانِ

٤٥٦٠ - أَبَدًا إِلَيْهِ حُكْمَهَا لَا غَيْرِهِ

فَالْحُكْمُ مَا حَكَمْتَ بِهِ النَّصَانِ

الشَّرْحُ

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

يقول المؤلف رَحِمَهُ اللهُ: فصل في تعيين الهجرة من الآراء والبدع إلى سنته، يعني: سنة النبي ﷺ، كما كانت فرضاً من الأمصار إلى بلده ﷺ.

يَا قَوْمُ فَرَضُ الْهَجْرَتَيْنِ بِحَالِهِ وَاللَّهُ لَمْ يَنْسَخْ إِلَى ذَا الْآنِ

أقسم رَحِمَهُ اللهُ أن الهجرة لم تُنسخ أي: لم ينسخ وجوبها، بل يجب على الإنسان أن يهاجر، وأما قول النبي ﷺ: «لَا هِجْرَةَ بَعْدَ الْفَتْحِ وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ»^(١) فالمراد: لا هجرة من مكة وإلا فالهجرة باقية إلى يوم القيامة لاسيما من البدع إلى السنة. فهما الهجرتان، فما الهجرتان اللذان فُرَضَا؟ قال: فالهجرة الأولى إلى الرحمن، والهجرة الثانية إلى الرسول.

فَالْهَجْرَةُ الْأُولَى إِلَى الرَّحْمَنِ بِأَلِ

إِخْلَاصٍ فِي سِرِّ وَفِي إِعْلَانِ

ثم عقب على هذا الإخلاص بقوله:

حَتَّى يَكُونَ الْقَضْدُ وَجْهَ اللَّهِ بِأَلِ

الناس يتفاوتون في هذه الهجرة تفاوتاً كبيراً، فمنهم: من هجرته خالصة، ومنهم من هجرته مشوبة، فمن قال قولاً يرائي فيه فهجرته مشوبة، ومن قال قولاً لا يريد به إلا الدنيا فقط فهجرته محطمة؛ فالناس يختلفون في هذه الهجرة إلى الله بإخلاص القصد في الأقوال كالذكر، والأفعال كالصلاة مثلاً، والأعمال والإيمان كاعتقاد القلب، والناس يختلفون في هذا اختلافاً كبيراً.

وَيَكُونُ كُلُّ الدِّينِ لِلرَّحْمَنِ مَا لِسِوَاهُ شَيْءٍ فِيهِ مِنْ إِنْسَانٍ

قوله: (كل الدين) أي: كل ما يتعبد به الإنسان يكون لله عز وجل ما لسواه من شيء.

وَالْحُبُّ وَالْبُغْضُ اللَّذَانِ هُمَا لِكُلِّ وَلايَةٍ وَعَدَاوَةٌ أَضْلَانِ

يعني: ويكون الحب والبغض أيضًا لله خالصًا، والحب والبغض هما أصلان للولاية والعداوة؛ فبالحب تكون الولاية وبالبغض تكون العداوة، ولا يمكن أن تكون العداوة مع الحب ولا أن تكون الولاية مع البغض؛ فالحب أصل والولاية فرع، فمن أحب شيئًا تولاهُ، والبغض أصل والعداوة فرع، فمن أبغض شيئًا عاداه؛ فأنت إذا أحببت الله عز وجل فحينئذ تكون الولاية ولاية الله عز وجل لك وولايتك أنت لله، وإذا كان الأمر بالعكس - والعياذ بالله - حينئذ تكون العداوة عداوة الله لك وعداوتك لله؛ ولهذا كان الكفار محل بغض الله ومقته وهم أهل عداوته.

لله أَيْضًا هَكَذَا الإِعْطَاءُ وَالْمَنْعُ اللَّذَانِ عَلَيْهِمَا يَقِفَانِ

قوله: (عليهما) يعني: على العطاء والمنع (ويقفان) يعني: الحب والبغض والولاية والعداوة، (لله) أيضًا هكذا الإِعْطَاءُ والمنع الإِعْطَاءُ مَنْ؟ من الله والمنع من الله، يعني: هو الذي يهب الحب الذي يترتب عليه الولاية والبغض الذي يترتب عليه العداوة؛ فمن أعطاه الحب والولاية فقد أعطاه ومن منعه فقد حرم من الحب والولاية، كما قال النبي ﷺ: «اللَّهُمَّ لَا مَنَاعَ لِمَا أُعْطِيَ وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ».

وَالله هَذَا شَطْرُ دِينِ الله وَالثَّ

قوله: (والله هذا شطر دين الله) هذا المشار إليه وهو الإخلاص، لأنه شطر الدين، والنصف الثاني اتباع الرسول؛ ولهذا قال: (والتحكيم للمختار شطر ثان) قال الله تعالى: ﴿فَلَا وَرَيْكَ لَا يَوْمُنُوتَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَتَيْنَهُمُ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥] فالإخلاص لله والتحكيم لرسول الله ﷺ.

وَكِلَاهُمَا الإِحْسَانُ لَنْ يَتَقَبَّلَ الزُّ

قوله: (وكلاهما) يعني: الإخلاص والمتابعة هما الإحسان، فقوله تعالى: ﴿لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢] مَنْ هو الأحسن عملًا؟ هم من كان أخلص لله واتبع رسوله ﷺ.

وَالهَجْرَةُ الأُخْرَى إِلَى الْمَبْعُوثِ إِسْلَامٌ وَالإِيمَانُ وَالإِحْسَانُ

صلوات الله وسلامه عليه، فالهجرة الثانية هجرة للمبعوث محمد ﷺ بالإسلام والإيمان والإحسان كيف تهاجر إليه؟ تهاجر إليه باتباعه وتسلك طريقه الذي مشى عليه لا تتجاوزة ولا تقصر عنه؛ ولهذا ينبغي للإنسان حين إتيان العبادة أن يستحضر هذين الأمرين؛ الإخلاص لله والمتابعة لرسول الله ﷺ.

أَتَرُونَ هَذِي هِجْرَةَ الْأَبْدَانِ لَا وَاللهِ بَلْ هِيَ هِجْرَةُ الْإِيمَانِ
يعني: هذه ليست هي هجرة أبدان وإنما هي هجرة الإيمان، أي: هجرة قلوب، فيهاجر القلب
إلى الله فيكون واقفاً بين يديه وفي رحابه، ويهاجر إلى الرسول ﷺ فيكون متبعاً له وكأنه أمامه ينظر
إليه ويسلك ما يسلكه؛ هذه هي الهجرة الحقيقية، وهجرة الأبدان وهي فرع عن هذه الهجرة؛
لقول النبي ﷺ «فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهَجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ»^(١).

قَطَعَ الْمَسَافَةَ بِالْقُلُوبِ إِلَيْهِ فِي ذَرِكِ الْأَصُولِ مَعَ الْفُرُوعِ وَذَانَ
أَبْدًا إِلَيْهِ حُكْمَهَا لَا غَيْرُهُ فَالْحُكْمُ مَا حَكَمْتَ بِهِ النَّصَانِ

يقول: (قطع المسافة بالقلوب إليه)، هل يمكن أن تقطع المسافة بالقلوب إلى الله؟ نعم يكون دائماً
قلبك يحوم حول العرش ولا يجول حول الفرش يعني: الأرض؛ لأن كونك تجول حول العرش
معناها أنك أعتقت نفسك، قال تعالى: ﴿وَأَقْلَ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبِعَهُ
الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿٧٧﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ
كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحَمَلَ عَلَيْهِ يَلْهَثَ أَوْ تَتَرَكَّهُ يَلْهَثُ ﴿﴾ [الأعراف: ١٧٥، ١٧٦] فالحاصل: أن
المؤلف يقول: قطع المسافة بالقلوب إليه في درك الأصول، وقطع المسافة بالقلوب للرسول يعني: أن
تحوم حول سنته وتبذ كل ما خالف سنته وتجعله ورائك، وتجعل أمامك محمداً ﷺ، يقول: (إليه
حكمتها لا غيره) لا إلى غيره؛ لأن الحكم لله ورسوله (فالحكم ما حكمت به النصان) ما هم
النصان؟ الكتاب والسنة.

مسألة: ما معنى الإقبال على الله بالقلب كما ذكره المؤلف؟

الجواب: أن هو يثق في الله دائماً، ويجعل دائماً ذكر الله في قلبه قائماً وقاعداً وساعياً؛ لأن الإنسان
الموفق يكون دائماً في يقظة والمخدول - نسأل الله العافية - يكون دائماً في غفلة، قال تعالى: ﴿وَلَا تُطْعَمَنْ
أَعْفَلْنَا قَلْبَهُ، عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨]؛ ولهذا إذا رأيت من نفسك أنك لا
تعمل فتوضى عليك أيام وأنت ما صلحت شيئاً فاتهم نفسك؛ فإن قلبك يكون غافلاً عن ذكر الله؛
لأن من أقبل على الله بارك الله له في وقته وفي عمله وكانت ساعته كلها معمورة بكل ما فيه من الخير.



* قوله رَحِمَهُ اللهُ:

٤٥٦١ - يَا هِجْرَةً طَالَتْ مَسَافَتُهَا عَلَيَّ

مَنْ خُصَّ بِالْجِزْمَانِ وَالْخِذْلَانِ

٤٥٦٢- يَا هِجْرَةَ طَالَتْ مَسَافَتُهَا عَلَيَّ

كَسَلَانَ مَنْخُوبِ الْفُوَادِ جَبَانَ

٤٥٦٣- يَا هِجْرَةَ وَالْعَبْدُ فَوْقَ فِرَاشِهِ

سَبَقَ السُّعَاةَ لِمَنْزِلِ الرِّضْوَانِ

٤٥٦٤- سَارُوا أَحْتَّ السَّيْرِ وَهُوَ فَسِيرُهُ

سَيْرِ الدَّلَالِ وَلَيْسَ بِالذَّمْلَانِ

٤٥٦٥- هَذَا وَتَنْظُرُهُ أَمَامَ الرَّكْبِ كَالْ

عَلَمِ الْعَظِيمِ يَشَافُ فِي الْقِيَعَانِ

٤٥٦٦- رُفِعَتْ لَهُ أَعْلَامُ هَاتِيكَ النُّصُو

صِ رُءُوسُهَا شَابَتْ مِنْ النَّيْرَانِ

٤٥٦٧- نَارٌ هِيَ الثُّورُ الْمُبِينُ وَلَمْ يَكُنْ

لِيَرَاهُ إِلَّا مَنْ لَهُ عَيْنَانِ

٤٥٦٨- مَكْحُولَتَانِ بِمَزُودِ الْوَحِيينِ لَا

بِمَـرَاوِدِ الْآرَاءِ وَالْهَـذْيَانِ

٤٥٦٩- فَلِذَلِكَ شَمَّرَ نَحْوَهَا لَمْ يَلْتَفِتْ

لَا عَنُّ شَمَائِلِهِ وَلَا أَيَمَانِ

الشَّحْ

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

يَاهِجْرَةَ طَالَتْ مَسَافَتُهَا عَلَيَّ مَنْ خَصَّ بِالْحِزْمَانِ وَالْحِذْلَانِ

يعني: أنه يتأسف على هذه الهجرة أي: الهجرة إلى الله ورسوله؛ لأنها (طالت مسافتها على من خص بالحرمان والحذلان)، وأما مَنْ مَنَّْ اللهُ عَلَيْهِ بالتوفيق والنصر والعز فليست عليه طويلة.

يَا هِجْرَةَ طَالَتْ مَسَافَتُهَا عَلَيَّ كَسَلَانَ مَنْخُوبِ الْفُوَادِ جَبَانَ

يعني: ضعيف القلب جبان كسلان تطول عليه الهجرة ويعجز عليه الوصول إلى مكان هذه

الهجرة؛ ولهذا قال:

يا هِجْرَةَ وَالْعَبْدُ فَوْقَ فِرَاشِهِ سَبَقَ السُّعَاةَ لِمَنْزِلِ الرِّضْوَانِ

أنت على فراشك نائم لا صلاة ولا تهجد والناس يتعجدون ويقيمون؛ فالسعاة قد سبقوا المنزل
الرضوان وأنت متخلف.

سَارُوا أَحْتَّ السَّيْرِ وَهُوَ فَسِيرُهُ سَيْرُ الدَّلَالِ وَلَيْسَ بِالدَّمْلَانِ

قوله: (سیر الدلال) أي: سیر بطيء، أما (والذملان) سیر سريع؛ وهذا يسیر سیر الدلال،
فكيف يعدل من يسیر سیر الذملان السريع؟!

هَذَا وَتَنْظُرُهُ أَمَامَ الرُّكْبِ كَالْعِلْمِ الْعَظِيمِ يَشَافُ فِي الْقِيَعَانِ

يعني: أن هذا الذي سار أحت السیر تنظره مثل العلم في القيعان، والقيعان: جمع قاع وهي:
الأرض الواقعة المستوية.

رُفِعَتْ لَهُ أَعْلَامُ هَاتِيكَ النُّصُوصِ ص رُءُوسُهَا شَابَتْ مِنَ النَّيْرَانِ

يعني: أن هذا الرجل الذي يسیر سیر الذملان يريد الهجرة إلى الله ورسوله، (رفعت له هاتيك
النصوص) وأعلامها (رءوسها شابت من النيران)، شابت من الشيب، (والنيران) جمع نار
والمعنى: أن هذه الأعلام واضحة لكثرة النيران على رءوسها.

نَارٌ هِيَ النُّورُ الْمُبِينُ وَلَمْ يَكُنْ لِيَرَاهُ إِلَّا مَنْ لَهُ عَيْنَانِ

قوله: (نار هي النور المبين) يعني: هي نار ولكنها في الحقيقة نور مبين. (ولم يكن ليراه إلا
من له عينان).

مَكْحُولَتَانِ بِمَزُودِ الْوُحْيَيْنِ لَا بِمَزَاوِدِ الْأَرَاءِ وَالْهَدْيَانِ

يقول رحمه الله: إن أعلام السنة لا يراها من له عينان مكحولتان بمزاود الأراء
والهديان والقول اللغو، وهو يشير إلى ما عليه السلف الصالح رحمهم الله وما عليه هؤلاء المعطلة.

فَلِذَاكَ شَمَّرَ نَحْوَهَا لَمْ يَلْتَفِتْ لَا عَنُ شَمَائِلِهِ وَلَا أَيْمَانِ

هذا من باب التوبيخ، فمن فضل الله عز وجل أن يفتح للإنسان نور العلم والإيمان حتى
يسير خلفهما، ومن الخذلان: أن يعلق عليه هذا حتى لا يفهم ولا يعي.



* قوله رَحِمَهُ اللهُ:

- ٤٥٧٠- يَا قَوْمَ لَوْ هَاجَزْتُمْ لَرَأَيْتُمْ
 أَغْلَامَ طَيِّبَةَ زُرِّيَّةَ بَعِيَانِ
 ٤٥٧١- وَرَأَيْتُمْ ذَاكَ اللَّوَاءِ وَتَحْتَهُ الزُّ
 رُسُلُ الْكِرَامِ وَعَسْكَرُ الْقِرَانِ
 ٤٥٧٢- أَصْحَابُ بَدْرِ وَالْأَلَى قَدْ بَايَعُوا
 أَزْكَى الْبَرِّيَّةِ بَيْعَةَ الرِّضْوَانِ
 ٤٥٧٣- وَكَذَا الْمُهَاجِرَةُ الْأَلَى سَبَقُوا كَذَا أَلِ
 أَنْصَارِ أَهْلِ الدَّارِ وَالْإِيْمَانِ
 ٤٥٧٤- وَالتَّابِعُونَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ وَسَا
 لِكُ هَدِيهِمْ أَبَدًا بِكُلِّ زَمَانِ
 ٤٥٧٥- لَكِنْ رَضِيْتُمْ بِالْأَمَانِيِّ وَابْتَلِي
 تُمْ بِالْحُظُوظِ وَنَضْرَةِ الْإِخْوَانِ
 ٤٥٧٦- بَلْ غَرَّكُمْ ذَاكَ الْعُرُورُ وَسَوَّلَتْ
 لَكُمْ النُّفُوسُ وَسَاوَسَ الشَّيْطَانِ
 ٤٥٧٧- وَنَبَذْتُمْ عَسَلَ النَّضُوصِ وَرَاءَكُمْ
 وَقَفَعْتُمْ بِقَطَارَةِ الْأَذْهَانِ
 ٤٥٧٨- وَتَرَكْتُمْ الْوَحْيِينَ زُهْدًا فِيهِمَا
 وَرَغِبْتُمْ فِي رَأْيِ كُلِّ فُلَانِ
 ٤٥٧٩- وَعَزَلْتُمْ النَّصَّيْنِ عَمَّا وُلِّيَا
 لِلْحُكْمِ فِيهِ عَزَلَ ذِي عُذْوَانِ

الشَّرح

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

يَا قَوْمُ لَوْ هَاجَزْتُمْ لَرَأَيْتُمْ أَغْلَامَ طَيِّبَةَ رُؤْيَا بَعِيَانِ

يقول المؤلف رَحِمَهُ اللهُ: (يا قوم) مثل هذه العبارة يجوز فيها (يا قوم) ويجوز فيها (يا قوم) مراعاة للياء المحذوفة وبضمها على سبيل القطع عن الإضافة، يقول:

قوله: (طيبة) هي المدينة، ولا ينبغي أن تسمى يثرب كما يفعله بعض الكتاب المعاصرين تبعاً للنصاري المنصرين، بل هي طيبة كما قال النبي عليه الصلاة والسلام: «يَقُولُونَ يَثْرِبَ وَهِيَ طَيِّبَةٌ» وصدق النبي عليه الصلاة والسلام، وأما قوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ﴾ [الأحزاب: ١٣] فهذا في شكاية قول المنافقين وليس إقرار لها، ولذلك قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ: (رأيتم أعلام طيبة رؤية بعيان).

وَرَأَيْتُمْ ذَاكَ اللَّوَاءَ وَتَحْتَهُ الرُّزُّ رُسُلُ الْكِرَامِ وَعَسْكَرُ الْقُرْآنِ

قوله: (رأيتم ذاك اللواء) اللواء: هو ما يرفع علماً عند قيادة الجيوش؛ ليكون متبعاً، وأما قوله: (وتحت الرسل الكرام) ففيه إشكال؛ لأنه ليس في المدينة إلا رسول واحد وهو محمد ﷺ؛ والجواب عنه أنه قال: إن محمداً ﷺ جاء بها جاءت به الرسل قبله فهو كالرسل جميعاً في المعنى، والناس ألف منهم كواحد وواحد كالألف، (وعسكر القرآن) مَنْ هم؟ قال:

أَصْحَابُ بَدْرِ وَالْأَلْيِ قَدْ بَايَعُوا أَرْكَى الْبَرِيَّةِ بَيْعَةَ الرِّضْوَانِ

قوله: (أصحاب بدر) هم الذين قاتلوا في بدر، وكانوا ثلاث مائة وبضع عشر رجلاً وخصّهم الله بخصيصة حيث اطلع عليهم وقال: «اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ»^(١). وكذلك أيضاً قوله: (والألي قد بايعوا) الألي بمعنى الذين.

قال ابن مالك:

جَمْعُ الْأَلْيِ الَّذِينَ

وقوله: (أركى البرية ببيعة الرضوان) أركى البرية هو محمد رسول الله ﷺ فقد بويع من الأنصار بيعة الرضوان؛ لأن الله قال في هذه المباحة: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَايَعُوكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨] فأحل الله عليهم رضاه، وقال النبي عليه الصلاة والسلام: «لَا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ». يعني: لا يدخلها لا دخول مؤقت ولا مؤبد، لأنهم بايعوا تحت الشجرة النبي ﷺ على ألا يفروا.

وحين شاع بين الناس أن عثمان رضي الله عنه قد قتل - وكان عثمان قد ندبه النبي ﷺ إلى أهل مكة

(١) رواه البخاري (٢٨٤٥)، ومسلم (٢٤٩٤).

للمفاوضة - فبايع الناس، وعثمان رضي الله عنه لم يحضر ولكن النبي صلى الله عليه وسلم بايع عنه بنفسه فقال: «هذه يد عثمان» فبايع بيده الأخرى عن عثمان رضي الله عنه وهؤلاء الذين بايعوا عددهم ألف وأربعمائة رجلاً كلهم بايعوا تحت الشجرة وبقيت هذه الشجرة حتى ذكر لأmir المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه الموحد المخلص أن أناساً يذهبون إليها فأمر بقطعها فاجتثت من أصلها، والحمد لله الذي وفق هذا الخليفة لهذا العمل، والله لو بقيت لكانت مثل اللات والعزى لاسيما في هذا الوقت، وانظر إلى إخلاصه ودرجة توحيده فإنه لما قبل الحجر الأسود وخاف أن يكون فتنة قال: «والله إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولو لأني رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك» (١). كل هذا إبعاداً للناس عن التعلق بالأحجار والأشجار فجزاه الله عن أمة محمد خيراً.

وَكَذَا الْمُهَاجِرَةُ الْأَلَى سَبَقُوا كَذَا أَنْصَارُ أَهْلِ الدَّارِ وَالْإِيمَانِ

(وكذا المهاجرة الألى سبقوا)؛ لقوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ﴾ [التوبة: ١٠٠] فالذين هاجروا من مكة - أفضل بلاد الله وأحب البلاد إليهم - هاجروا إلى الله ورسوله تاركين أموالهم وديارهم وعيالهم؛ فكان لهم السبق بالمهجرة، (كذا فالأنصار أهل الدار والإيمان)، فالأنصار رضي الله عنهم أيضاً وهم: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا﴾ [الحشر: ٩] يعني: لا يجدون في صدورهم أي شيء من البغضاء، والضمير في (أوتوا) يعود على المهاجرين، يعني: لا يجدون في صدورهم شيئاً على المهاجرين؛ حيث فضّلهم الله سبحانه وتعالى بما فضلهم به مع أنهم هم الذين قدموا إليهم.

وَالسَّابِقُونَ لَّهُمْ بِإِحْسَانٍ وَسَا لِكُمْ هَدْيِهِمْ أَبَدًا بِكُلِّ زَمَانٍ

يعني: لو أن الإنسان هاجر لوجد هذه الأعلام الطيبة الميرة.

لَكِنْ رَضِيْتُمْ بِالْأَمَانِيِّ وَابْتَلِيْتُمْ بِالْخَطُوطِ وَنَضَرْتُمُ الْإِخْوَانَ

وهذه محنة - والعيادة بالله - من الله عز وجل أن يُعَرِّضَ الإنسان عن الكتاب والسنة وأن يأخذ برأي فلان وفلان، قال الله عز وجل: ﴿وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلْبِغْتَنِي أَخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَيْلًا﴾ (٢٧) يَتَوَلَّى يَتَبَوَّءُ لَمْ أَخْذْ فَلَانًا خَلِيلًا (٢٨) لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ ﴿ [الفرقان: ٢٧ - ٢٩] وهذا مثل ينطبق تماماً على المقلدين الذين يقدمون أقوال الشيوخ على قول الرسول عليه الصلاة والسلام.

بَلْ غَرَّكُمْ ذَاكَ الْغُرُورُ وَسَوَّلَتْ لَكُمْ النَّفُوسُ وَسَاوَسَ الشَّيْطَانُ

قوله: (بل غرركم ذلك الغرور). مَنْ الغرور؟ هو الشيطان، قال الله تعالى: ﴿وَعَزَّكُمْ بِاللهِ الْغُرُورِ﴾ [الحديد: ١٤] وقوله: (وسولت لكم النفوس وساوس الشيطان)، يعني: زينت لكم وساوس

الشیطان فاتبعتموه.

وَبَبَذْتُمْ عَسَلَ التُّصُوصِ وَرَاعَكُمْ وَقَعْتُمْ بِقُطَارَةِ الْأَذْهَانِ
قوله: (عسل التصوص) ذلك العسل الصافي الكثير نبذتموه وراءكم وأخذتم بالقطارة
الضعيفة الملوثة بالأوساخ وهي قطارة الأذهان.

وَتَرَكْتُمْ الْوُحِيِّينَ زُهْدًا فِيهِمَا وَرَغِبْتُمْ فِي رَأْيِ كُلِّ فُلَانٍ
فهم تركوا شيئين وأخذوا أشياء كل ما ذكّر لهم من رأي اتبعوه وتركوا الوحيين: كتاب الله
وسنة رسوله ﷺ.

وَعَزَلْتُمْ النَّصِيئِينَ عَمَّا وُلِيََا لِلْحُكْمِ فِيهِ عَزَلُ ذِي عُدْوَانٍ
الرجوع في التحاكم يكون إلى مَنْ؟ إلى الله ورسوله، قال تعالى: ﴿فَإِنْ نَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ
وَالرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩] فإذا تنازع الرجلان في أمر من أمور الدنيا يذهبان إلى الحاكم في المحكمة، وإذا
تنازعا في شيء من الدين يجب أن نرده إلى الكتاب والسنة، وهؤلاء -والعياذ بالله- عزلوا النصيين عما
وُلِيََا للحكم فيه، وقد ولى الله النصيين للحكم بين الناس ولكن هؤلاء عزلوهما عزل ذي عدوان.



* قوله رَحِمَهُ اللهُ:

٤٥٨٠ - وَزَعَمْتُمْ أَنْ لَيْسَ بِحُكْمِ بَيْنَنَا

إِلَّا الْعُقُولُ وَمَنْطِقُ الْيُونَانِ

٤٥٨١ - فَهَمَّا بِحُكْمِ الْحَقِّ أَوْلَى مِنْهُمَا

سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ ذَا السُّبْحَانِ

٤٥٨٢ - حَتَّى إِذَا انْكَشَفَ الْغِطَاءُ وَحُصِّلَتْ

أَعْمَالُ هَذَا الْخَلْقِ فِي الْمِيزَانِ

٤٥٨٣ - وَإِذَا انْجَلَى هَذَا الْعُبَارُ وَصَارَ مِ

سَدَانِ السِّبَاقِ تَنَالَهُ الْعَيْنَانِ

٤٥٨٤ - وَبَدَتْ عَلَى تِلْكَ الْوُجُوهِ سِمَاتُهَا

وَسَمِ الْمَلِيكِ الْقَادِرِ الدِّيَانِ

٤٥٨٥ - مُبِيضَةٌ مِثْلَ الرِّيَاضِ بِجَنَّةِ

وَالشُّوْدُ مِثْلَ الفَخْمِ لِلنَّيِّرَانِ

٤٥٨٦ - فَهَنَّاكَ يَعْرِفُ رَاكِبٌ مَا تَحْتَهُ

وَهُنَّاكَ يَقْرَعُ نَاجِدُ النَّذْمَانِ

٤٥٨٧ - وَهَنَّاكَ تَعْلَمُ كُلُّ نَفْسٍ مَا الَّذِي

مَعَهَا مِنْ الْأَرْبَاحِ وَالْخُسْرَانِ

٤٥٨٨ - وَهَنَّاكَ يَغْلَمُ مُؤَثِّرُ الْأَرْءِ وَالشُّ

سَحَاتِ وَالْهَـذْيَانِ وَالْبُطْلَانِ

٤٥٨٩ - أَيُّ البُضَاعَةِ قَدْ أَضَاعَ وَمَا الَّذِي

مِنْهَا تَعَوَّضَ فِي الزَّمَانِ الْفَانِي

الشَّرْحُ

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

وَزَعَمْتُمْ أَنْ لَيْسَ بِحُكْمٍ بَيْنَنَا إِلَّا الْعُقُولُ وَمَنْطِقُ الْيُونَانِ

يخاطب أهل التعطيل؛ لأن أهل التعطيل يحكمون العقل في باب الصفات ويقولون: ما قاله العقل فإنه يجب تأويله؛ فيرجعون للعقل مع أن الصفات تتلقى أي: من السمع من الكتاب والسنة لا من العقول، يقول:

فَهَمَّا بِحُكْمِ الْحَقِّ أَوْلَى مِنْهُمَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ ذَا السُّبْحَانِ

(فهما) أي: الكتاب والسنة، (بحكم الحق) وهو الله عز وجل، (أولى منها) أي: من العقول ومنطق اليونان، (سبحانك اللهم ذا السبحان) أي: تنزيهاً لك يا ذا السبحان يا ذا التنزيه.

والمعنى أن هؤلاء المعطلة يقولون: لا يحصل بين الناس بإثبات الصفات إلا العقول والمنطق أي منطق اليونان، ولكن ابن القيم يقول: الحق أن الأولى بالحكم هو النصان؛ الكتاب والسنة والذي جعله أولى بالحق هو الله عز وجل.

حَتَّى إِذَا انْكَشَفَ الْغَطَاءُ أَعْمَالُ هَذَا الْخَلْقِ فِي الْمِيزَانِ

ومتى يكون ذلك؟ يكون يوم القيامة حيث تحصل أعمال هذا الخلق في الميزان.

وَإِذَا أَنْجَلَى هَذَا الْغُبَارُ وَصَارَ مَيِّ — دَانَ السِّبَاقِ تَنَالَهُ الْعَيْنَانِ

قوله: (ميدان السباق) أي: منتهى السباق فمثلاً لو أردنا أن نتسابق إلى راية، فإذا كان هناك غبار فإننا لا نشاهد الراية؛ لأنها بعيدة ومحجوبة بالغبار فإذا انجلى الغبار نرى هذه الراية؛ ولهذا يقول: وَبَدَتْ عَلَى تِلْكَ الْوُجُوهِ سِمَاتُهَا وَسَمَ الْمَلِيكَ الْقَادِرِ الدِّيَانِ قوله: (على تلك الوجوه) أي: على وجوه الخلق، (سماتها) أي: علاماتها، (وسم المليك) أي: تعليم المليك الذي يرى العلامة وهو الله عز وجل القادر الديان الذي يجزي عباده بما يعملون، وكما تدين تُدان.

مُبَيَّضَةٌ مِثْلَ الرِّيَاضِ بِجَنَّةِ — وَالسُّودُ مِثْلَ الْفَحْمِ لِلنَّيْرَانِ

الوجوه يوم القيامة تكون هكذا، قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌُ وَسَوْدٌ وُجُوهٌُ﴾ وجوه المؤمنين تكون بيضاء ووجوه الكافرين تكون سوداء مثل الفحم للنيران.

فَهُنَاكَ يَعْرِفُ رَاكِبٌ مَا تَحْتَهُ — وَهُنَاكَ يَفْرَعُ نَاجِدٌ النَّدْمَانَ

هناك يعلم الراكب من الذي تحته هل هو مركوب؟ أو هل هو راحلة تؤدي إلى الغرض أو ليس كذلك؟

وَهُنَاكَ تَعْلَمُ كُلُّ نَفْسٍ مَا الَّذِي — مَعَهَا مِنَ الْأَرْبَاحِ وَالْخُسْرَانِ

قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مِمَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُخْتَصَرًا وَمِمَّا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾ [آل عمران: ٣٠]

وَهُنَاكَ يَعْلَمُ مُؤَثِّرُ الْأَرَاءِ وَالشُّ — شَطْحَاتِ وَالْهَدْيَانِ وَالْبُطْلَانِ

أَيُّ الْبُضَائِعِ قَدْ أَضَاعَ وَمَا الَّذِي — مِنْهَا تَعَوَّضُ فِي الزَّمَانِ الْفَانِي

هذا صحيح، فهناك يُعلم من يؤثر الآراء والشطحات والهديان والبطلان على كتاب الله وسنة رسوله، وقوله: (يعلم أي البضائع قد أضاع) ما الذي أضاع من البضائع؟ أضاع ما فيه الربح واختار ما فيه الخسارة؛ ولهذا قال: (وما الذي منها تعوض) ولم يتعوض إلا ما فيه الخسارة والندم، (في الزمان الفاني) يعني: زمان الدنيا فإنه أضاع ما فيه الربح إلى ما فيه الخسران.



* قَوْلُهُ رَحِمَ اللَّهُ:

٤٥٩٠ - سُبْحَانَ رَبِّ الْخَلْقِ قَاسِمِ فَضْلِهِ

وَالْعَدْلِ بَيْنَ النَّاسِ بِالْمِيزَانِ

٤٥٩١- لَوْ شَاءَ كَانَ النَّاسُ شَيْئًا وَاحِدًا

مَا فِيهِمْ مِنْ تَائِهٍ حَيْرَانٍ

٤٥٩٢- لَكِنَّهُ سُبْحَانَهُ يَخْتَصُّ بِالْ

فَضْلِ الْعَظِيمِ خُلَاصَةَ الْإِنْسَانِ

٤٥٩٣- وَسِوَاهُمْ لَا يَضِلُّحُونَ لِصَالِحٍ

كَالشُّؤْكِ فَهِيَ وَعِمَارَةُ النَّيِّرَانِ

٤٥٩٤- وَعِمَارَةُ الْجَنَّاتِ هُمْ أَهْلُ الْهُدَى

اللَّهُ أَكْبَرُ لَيْسَ يَسْتَوِيَانِ

٤٥٩٥- فَسَلِ الْهَدَايَةَ مَنْ أَرْمَتْهُ أَمْرِنَا

بِيَدَيْهِ مَسْأَلَةَ الذَّلِيلِ الْعَانِي

٤٥٩٦- وَسَلِ الْعِيَاذَ مِنْ اثْنَتَيْنِ هُمَا اللَّتَا

نِ بِهَلْكَ هَذَا الْخَلْقِ كَافِلَتَانِ

٤٥٩٧- شَرُّ النَّفُوسِ وَسَيِّئُ الْأَعْمَالِ مَا

وَاللَّهُ أَعْظَمُ مِنْهُمَا شَرَّانِ

٤٥٩٨- وَلَقَدْ أَتَى هَذَا التَّعَوُّدُ مِنْهُمَا

فِي خُطْبَةِ الْمَبْعُوثِ بِالْفُرْقَانِ

٤٥٩٩- لَوْ كَانَ يَذْرِي الْعَبْدُ أَنَّ مُضَابَهُ

فِي هَذِهِ الدُّنْيَا هُمَا الشَّرَّانِ

٤٦٠٠- جَعَلَ التَّعَوُّدُ مِنْهُمَا دَيْدَانَهُ

حَتَّى تَرَاهُ دَاخِلَ الْأَكْفَانِ

٤٦٠١- وَسَلِ الْعِيَاذَ مِنَ التَّكْبِيرِ وَالْهَوَى

فَهُمَا لِكُلِّ الشَّرِّ جَامِعَتَانِ

٤٦٠٢- وَهُمَا يَضُدَّانِ الْفَتَى عَنْ كُلِّ طُرِّ

قِ الْخَيْرِ إِذْ فِي قَلْبِهِ يَلْجَأَانِ

٤٦٠٣- فَتَرَاهُ يَمْنَعُهُ هَوَاهُ تَارَةً

وَالْكَيْبَرُ أُخْرَى ثُمَّ يَشْتَرِكَانِ

٤٦٠٤- وَاللَّهُ مَا فِي النَّارِ إِلَّا تَابِعٌ

هَٰذِينَ فَاسْأَلْ سَاكِنِي التِّيْرَانِ

٤٦٠٥- وَاللَّهُ لَوْ جَرَّدَتْ نَفْسَكَ مِنْهُمَا

لَأَتَيْتَ إِلَيْكَ وَفُودُ كُلِّ تَهَانٍ^(١)

الشَّحْ

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

سُبْحَانَ رَبِّ الْخَلْقِ قَاسِمِ فَضْلِهِ وَالْعَدْلِ بَيْنَ النَّاسِ بِالْمِيزَانِ

يعني: يسبح الله عز وجل الذي يُقَسِّمُ الفضل بين الناس ويعدل بينهم بالميزان فهذا فضله وهذا عدله، فَمَنْ هداه بفضله ومن أضله فبعده؛ قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [الصف: ٥] ولكن من تفضل عليه فهدها فهذا فضله يؤتبه من يشاء.

لَوْ شَاءَ كَانَ النَّاسُ شَيْئًا وَاحِدًا مَا فِيهِمْ مِنْ تَائِهٍ خَيْرَانِ

كما قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْتُكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [النحل: ٩] وقال: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى﴾ [السجدة: ١٣] ولكنه عز وجل حكيم له الحكمة في أنه يهدي من يشاء ويضل من يشاء.

لِكَيْتَهُ سُبْحَانَهُ يَخْتَضُّ بِأَلْفِ فَضْلِ الْعَظِيمِ خُلَاصَةَ الْإِنْسَانِ

(١) [٤٦٠١ : ٤٦٠٥] قال العلامة محمد خليل هراس:

وأما الهوى فقد ذكر القرآن أنه إله يعبد من دون الله، قال تعالى في سورة الفرقان ﴿أَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكَيْلًا﴾ [الفرقان: ٤٣] وقال في سورة الجاثية ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَمَلَهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ عَشَبًا فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ﴾ [الجاثية: ٢٣] فترى العبد يمنعه هواه تارة ويمنعه كبره تارة، ثم قد يجتمعان ويشتركان فيه فيصدر ما يصدر عن كبره وهواه فيكون قد بلغ من السوء والشر غايته والعياذ بالله. ولو أنك سألت كل واحد من أهل النار عما سلكه في سفر وأرداه في جهنم لم تجده إلا تابعا لواحد من هذين أو لهما جميعا، ولو أنك اجتهدت في تجريد نفسك فنفيت عن قلبك الكبر ولم تتبع في دينك الهوى لبلغت كل ما تؤمل من خير وجاءتك وفود التهته ترى تزف إليك البشرية بما ظفرت به من فوز ورضوان.

يختص بالخلاصة من الإنسان، فإذا كان الله تعالى يقول: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٤] فهو كذلك أعلم حيث يجعل أثر هذه الرسالة، هل هذا أهل أن يكون من أتباع الرسل أو ليس أهلاً؟ فالله أعلم، فمن أتاه الله عز وجل من آثار هذه الرسالة من العلم والإيمان والهدى فليبشر بالخير فإن هذا لم يضعه فيه إلا وهو يعلم أنه أهل، ومن حُرِمَ فلا يبأس، فليدعُ الله عز وجل وليسأله الخير والثبات.

وَسِوَاهُمْ لَا يَضْلُحُونَ لِصَالِحٍ كَالشُّوكِ فَهَوَ عِمَارَةُ النَّيِّرَانِ
الشوك ما يتفقع به ولكنه توقد به النيران هؤلاء الذين ليس من خلاصة الإنسان هم كالشوك.
وَعِمَارَةُ الْجَنَّاتِ هُمْ أَهْلُ الْهُدَى اللَّهُ أَكْبَرُ لَيْسَ يَسْتَوِيَانِ
من هم ساكنو الجنات وعامروها؟ هم أهل الهدى أما الشوك فهم للنيران.

فَسَلِ الْهُدَايَةَ مَنْ أَرَمَهُ أَمْرُنَا بِيَدَيْهِ مَسْأَلَةَ الدَّلِيلِ الْعَانِي
هذا توجيه من المؤلف رَحِمَهُ اللهُ ونصيحة أن تسأل الهداية من الله، (من أزمة أمرنا بيديه) أزمة: جمع زمام؛ لأن أمورنا بيد الله قال تعالى: ﴿مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا﴾ [هود: ٥٦] إذن إلى مَنْ نلجأ؟ إلى الله عز وجل اسأل مَنْ أزمة الأمور بيديه الهداية - مسألة الدليل العاني - لا مسألة المتكبر الفاخر بعمله.

وَسَلِ الْعِيَادَ مِنْ اثْنَتَيْنِ هُمَا اللَّتَانِ نِ بِهَلْكَ هَذَا الْخَلْقِ كَاثِلَتَانِ
يعني: اسأل الله عز وجل أن يعيدك من اثنتين (هما اللتان بهلك هذا الخلق كاثلتان)، فأرشدنا رَحِمَهُ اللهُ إلى سؤال الهداية من الله، وإلى التعود به من هاتين الخصلتين، قال هما:

شَرُّ النَّفُوسِ وَسَيِّئُ الْأَعْمَالِ مَا وَاللَّهُ أَعْظَمُ مِنْهُمَا شَرَّانِ
يعني: استعذ بالله من شر النفوس وسيء الأعمال؛ لأنها هما الكفيلتان بهلك الناس.

وَلَقَدْ أَتَى هَذَا التَّعَوُّدُ مِنْهُمَا فِي خُطْبَةِ الْمَبْعُوثِ بِالْقُرْآنِ
وذلك في قوله ﷺ في خطبة الحاجة: «تَعَوَّذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا» (١) لأن النفس الأمارة بالسوء تقودك إلى كل هلك، والأعمال السيئة تمنعك من كل خير، فإذا كانت الأعمال السيئة تمنع من الخير والنفس تقود إلى الشر هلك الإنسان.

لَوْ كَانَ يَدْرِي الْعَبْدُ أَنَّ مُصَابَةَ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا هُمَا الشَّرَّانِ
ما هما؟ شر نفسه وسيئات أعماله.



جَعَلَ التَّعَوُّدَ مِنْهُمَا دَيْدَانَهُ حَتَّى تَرَاهُ دَاخِلَ الْأَكْفَانِ
قوله: (جعل التعوذ) هذا جواب لو، (ديدانه) يعني: الشيء الملازم له، (حتى يرى داخل
الأكفان) أي: حتى يموت.

وَسَلِّ الْعِيَاذَ مِنَ التَّكْبِيرِ وَالْهَوَىٰ فَهُمَا لِكُلِّ الشَّرِّ جَامِعَتَانِ
نعوذ بالله من التكبر والهوى، سل العياذ من التكبر؛ والكبر - والعياذ بالله - كما حده النبي عليه
الصلاة والسلام: «هُوَ بَطْرُ الْحَقِّ وَعَمَطُ النَّاسِ»^(١). يعني: رد الحق واحتقار الناس، فإذا أُبتلي
الإنسان بهذا مع الهوى فإن ابن القيم يقول: (هما لكل الشر جامعتان) ويجب على العبد أن يدعو
الله ويقول: اللهم إني أعوذ بك من الكبر والهوى.

وَهُمَا يَضُدَّانِ الْفِتَىٰ عَنِ كُلِّ طَرَفٍ قِ الْخَيْرِ إِذْ فِي قَلْبِهِ يَلْجَأُ
يعني: إذا ولج الكبر والهوى في قلب الإنسان صداه عن كل طرق الخير.

فَتَرَاهُ يَمْتَنِعُهُ هَوَاهُ تَارَةً وَالْكِبْرُ أُخْرَىٰ ثُمَّ يَشْتَرِكَانِ
يعني: أحياناً يمتنعه الهوى وأحياناً يمتنعه الكبر وأحياناً يمتنعه الهوى والكبر جميعاً.

وَاللَّهُ مَا فِي النَّارِ إِلَّا تَابِعٌ هَذَيْنِ فَاسْأَلْ سَاكِنِي النَّيِّرَانِ
قوله: (تابع هذين) وهما الكبر والهوى.

وَاللَّهُ لَوْ جَرَّدَتْ نَفْسَكَ مِنْهُمَا لِأَنَّكَ إِلَيْكَ وَفُودُ كُلِّ تَهَانِ
نسأل الله أن يعيذنا وإياكم من التكبر والهوى.



فصل

في ظهور الفرق المبين
بين دعوة الرسل ودعوة المعطلين

٤٦٠٦- وَالْفَرْقُ بَيْنَ الدَّعْوَتَيْنِ فَظَاهِرٌ

جَدًّا لِمَنْ كَانَتْ لَهُ أُذُنَانِ

٤٦٠٧- فَرْقٌ مُبِينٌ ظَاهِرٌ لَا يَخْتَفِي

إِيضًا حُهُ إِلَّا عَلَى الْعَمِيَانِ

٤٦٠٨- فَالرُّسُلُ جَاءُوا نَا بِإثْبَاتِ الْعُلُوِّ

وَلِرَبَّنَا مِنْ فَوْقِ كُلِّ مَكَانِ

٤٦٠٩- وَكَذَا أَتَوْنَا بِالصِّفَاتِ لِرَبَّنَا الزَّ

رَحْمَنِ تَقْصِيلاً بِكُلِّ بَيَانِ

٤٦١٠- وَكَذَاكَ قَالُوا إِنَّهُ مُتَكَلِّمٌ

وَكَلامُهُ الْمَسْمُوعُ بِالْأَذَانِ

٤٦١١- وَكَذَاكَ قَالُوا إِنَّهُ سُبْحَانَهُ أَلْ

مَزْيِي يَوْمَ لِقَائِهِ بِعِيَانِ

٤٦١٢- وَكَذَاكَ قَالُوا إِنَّهُ الْفَعَّالُ حَقٌّ

قَائِلٌ يَوْمَ رَبَّنَا فِي شَانِ

الشَّحْ

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ تعالى: (فصل في ظهور الفرق المبين بين دعوة الرسل ودعوة المعطلين).

الفرق المبين يعني: البين أو المظْهَر وذلك أن الإبانة تجوز أن تكون لازمة وتجوز أن تكون متعدية؛ يقال أبان الحقَّ يعني: أظهره وهي في هذا الحال متعدية، ويقال: أبان الصبحُ أي: ظهر وهي في هذا الحال لازمة، فالفرق بين مابين بين دعوة الرسل والمعطلين؛ ولهذا قال:

وَالْفَرْقُ بَيْنَ الدَّعْوَتَيْنِ فَظَاهِرٌ جَدًّا لِمَنْ كَانَتْ لَهُ أُذُنَانِ

قوله: (جدًّا) مصدر عامله محذوف، أي أجد الأمر جدًّا والجد ضد الكسل والضعف، ثم قال: (لمن كانت له أذنان) لأنه صَلَّى اللهُ سِلْقِي الفرق وكان المتوقع أن يقول: لمن كانت له عينان، لكن لما كان هو سِلْقِي الفرق بين الدعوتين طلب منا أن نستمع .

فَرْقٌ مُبِينٌ ظَاهِرٌ لَا يَخْتَفِي إِضْرَاحُهُ إِلَّا عَلَى الْعُمَيَانِ

ثم بيّن وجه الفرق فقال:

فَالرُّسُلُ جَاؤُونَا بِإِبْتَاتِ الْعُلُوِّ وَ لِرَبِّنَا مِنْ فَوْقِ كُلِّ مَكَانٍ

قال الله تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠]، والرسل كلهم مجتمعون على أن الله تعالى فوق كل شيء، والمعطلون يقولون: لا. وانقسموا في ذلك ضد ما جاءت به الرسل إلى قسمين: قسم قال: إنه بذاته في كل مكان في المساجد وفي البيوت وفي الحشوش وفي كل مكان - والعياذ بالله - وقسم قال: إنه ليس له مكان ما هو في شيء لا فوق العالم ولا تحته ولا يمينه ولا شماله ولا أمامه ولا خلفه ولا فوقه ولا تحته ولا داخل العالم ولا خارجه ولا متصل ولا منفصل ولا مباين ولا محايد، وأتوا من هذا بالعجب العجاب؛ ولهذا قال: من فوق كل مكان .

وَكَذَا أَتَوْنَا بِالصِّفَاتِ لِرَبِّنَا الرِّحْمَنِ تَفْصِيلاً بِكُلِّ بَيَانٍ

نعم أتوا بالصفات مفصلة وأحياناً مجملة، ففي قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ [النحل: ٦٠]. هذا مجمل، وفي قوله: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ السُّلْطَانُ وَالشَّهَادَةُ﴾ [الحشر: ٢٢] إلى آخره مفصل.

وَكَذَلِكَ قَالُوا إِنَّهُ مُتَكَلِّمٌ وَكَلَامُهُ الْمَسْمُوعُ بِالْأَذَانِ

كلهم يقولون: إنه متكلم. والأنبياء كلّموا ربهم عز وجل، فقد كلّمه موسى وكلّمه آدم وكلّمه محمد عليهم الصلاة والسلام أجمعين .

وَكَذَلِكَ قَالُوا إِنَّهُ سُبْحَانَهُ أَلَمْ يَمُرِّي يَوْمَ لِقَائِهِ بَعِيَانٍ

يعني: أنه يُرى بالعين يوم نلقاه عز وجل، نسأل الله أن نلقاه وهو راضٍ عنا، يُرى بعيان فيراه الناس بأعينهم، وقد بيّن أفصح الخلق وأنصح الخلق وأهدى الخلق أنه يُرى كما يُرى القمر، ويُرى كما ترى الشمس صحواً ليس دونها سحب والتشبيه للرؤية بالرؤية لا للمرئي بالمرئي، وهل أبين من قول الرسول ﷺ «إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَا تَصَامُونَ فِي رُؤْيَيْهِ، فَإِنْ

اسْتَطَعْتُمْ أَلَّا تُغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَصَلَاةٍ قَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا» (١)؟

وَكَذَلِكَ قَالُوا إِنَّهُ الْفَعَّالُ حَفَّ قَفَا كَلَّ يَوْمَ رَبُّنَا فِي شَانِ

قال تعالى: ﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩] فيغني ويفقر ويحيي ويميت ويُنشئ ويُعِدِّم، فكل يوم هو في شأن، وما أكثر الأيام، مَنْ يحصيها؟ الله عز وجل. وما أكثر الحوادث في الأيام، كل هذه الحوادث بأمر ربنا عز وجل، يحدثها كما يشاء حيث تقتضيها حكمته.



* قوله رَحِمَهُ اللهُ:

٤٦١٣ - وَأَتَيْتُمُونَا أَنْتُمْ بِالنَّفْيِ وَالنَّ

تَعْطِيلِ بَلْ بِشَهَادَةِ الْكُفْرَانِ

٤٦١٤ - لِلْمُشْتَبِهِينَ صِفَاتِهِ وَعُلُوُّهُ

وَنِدَاءَهُ فِي عُرْفِ كُلِّ لِسَانِ

٤٦١٥ - شَهِدُوا بِإِيمَانِ الْمُقَرَّرِ بَأَنَّهُ

فَوْقَ السَّمَاءِ مُبَايِنُ الْأَكْوَانِ

٤٦١٦ - وَشَهِدْتُمْ أَنْتُمْ بِتَكْفِيرِ الَّذِي

قَدْ قَالَ ذَلِكَ يَا أُولِي الْعُدْوَانِ

٤٦١٧ - وَأَتَى بِـ «أَيْنَ اللهُ» إِقْرَارًا وَنُطْقًا

قَفَا قُلْتُمْ هَذَا مِنَ الْبُهْتَانِ

٤٦١٨ - فَسُؤَالُنَا بِالْأَيْنِ مِثْلَ سُؤَالِنَا

مَا الْكَوْنُ عِنْدَكُمْ هَمَا شَيْئَانِ

٤٦١٩ - وَكَذَا أَتَوْنَا بِالْبَيَانِ فَقُلْتُمْ

بِاللُّغْزِ أَيْنَ اللُّغْزُ مِنْ تَبْيَانِ

٤٦٢٠ - إِذْ كَانَ مَذْلُولُ الْكَلَامِ وَوَضَعُهُ

لَمْ يَقْصِدُوهُ بِنُطْقِهِمْ بِلِسَانِ

٤٦٢١ - وَالْقَصْدُ مِنْهُ غَيْرُ مَفْهُومٍ بِهِ

مَا اللَّغْزُ عِنْدَ النَّاسِ إِلَّا ذَانِ

٤٦٢٢ - يَا قَوْمُ رُسُلُ اللَّهِ أَعْرَفُ مِنْكُمْ

وَأَنْتُمْ نَضْحًا فِي كَمَالِ بَيَانِ

الشَّحْ

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

يقول المؤلف رَحِمَهُ اللهُ لمن نفوا ما أتت به الرسل من إثبات الصفات والعلو للرب عز وجل، وهاكم الكلام، قال:

وَأَتَيْتُمُونَا أَنْتُمْ بِالتَّقْيِ وَالْثَّ - تَعْطِيلِ بَلِّ بِشَهَادَةِ الْكُفْرَانِ

فقلت: لا يتكلم، وليس فوق العرش، وليس له صفة، وفرق بين هذا وهذا. فهم - والعياذ بالله - جنوا في حق الله عز وجل وحق كلامه وحق رسوله وحق أتباعه، وليتهم عطلوا وسكتوا بل قالوا: من أثبت فهو كافر، ولهذا قال رَحِمَهُ اللهُ: بل بشهادة الكفران

لِلْمُشْتَبِهِينَ صِفَاتِهِ وَعُلُوَّهُ - وَنِدَاءُهُ فِي عُرْفِ كُلِّ لِسَانِ

فصار منهم عدوان عظيم، ويلزم من قولهم هذا أن الرسل كفار؛ لأن الرسل مثبتون؛ وهم يقولون: من أثبت فقد جسّم، ومن جسّم فقد كفر. هذا اللازم قد ينكرونه مكابرة ويقولون: نحن لا نكفر الرسل - معاذ الله - مكابرة نقول: إذا كنتم تقولون من قال إن الله وجهًا فهو كافر فهل معنى هذا إلا تكفير الرسل؟ يقول:

شَهِدُوا بِإِيْمَانِ الْمُقْبِرِ بِأَنَّهُ - فَوْقَ السَّمَاءِ مُبَايِنُ الْأَكْوَانِ

يعني: أن الرسل شهدوا بإيمان المقر بأنه سبحانه وتعالى فوق السماء مبين الأكوان.

وَشَهِدْتُمْ أَنْتُمْ بِتَكْفِيرِ الَّذِي - قَدْ قَالَ ذَلِكَ يَا أَوْلِي الْعُدْوَانِ

و هذا فرق. فما شهدت به الرسل ليس كالذي شهد به أهل التعطيل، فالرسل يشهدون بأن من أقر بعلو الله فهو مؤمن، وأنتم تشهدون بأن من أقر بعلو الله فهو كافر، إذا فقد ناقضتم الرسل تمامًا.

وَأَتَى بِـ «أَيْنَ اللَّهُ» إِفْرَارًا وَنُطْ - قَا قُلْتُمْ هَذَا مِنَ الْبُهْتَانِ

من الذي قال: أين الله؟ الرسول عليه الصلاة والسلام قال للجارية التي أعتقها معاوية بن



الحكم: «أَيْنَ اللهُ؟» قالت: في السماء. قال: «مَنْ أَنَا؟» قالت: أنت رسول الله. قال: «أَعْتَقَهَا فَإِنَّهَا مُؤَمَّنَةٌ»^(٢). فشهد لها بالإيمان حين أقرت بأن ربها هو الذي في السماء، ويذكر أنه قال: لحصين أبي عمران بن حصين: «كَمْ إِلَهًا تَعْبُدُ؟». قال: سبعة؛ ستة في الأرض وواحدًا في السماء. قال: «مَنْ تَعُدُّ لِرَغْبَتِكَ وَرَهْبَتِكَ؟» قال: الذي في السماء^(٣). فأقره النبي عليه الصلاة والسلام.

فَسُؤَالِنَا بِالْأَيْنِ مِثْلُ سُؤَالِنَا مَا الْكَوْنُ عِنْدَكُمْ هُمَا شَيْئَانِ

يعني: أن السؤال بالآين إنما يكون عن الكون، يعني: أين هو كائن؟ أين هو موجود؟ فهو سؤال عن المكان، فإذا قيل: أين فلان فما الجواب؟ في بيته أو في المسجد أو في السوق، لكن لو قيل أين فلان؟ قال: غداً. فهذا لا يصلح، ولو قيل: أين فلان؟ قال: والله فلان لحم وعصب وعظام. يُقال له: أنت مجنون، أسألك أين هو فتجيبني عن حقيقته وماهيته. فالآين إنما يُسأل بها عن المكان لا شك، والنبي عليه الصلاة والسلام أفصح الخلق وأعلمهم بمدلولات اللغة العربية لما قال أين ما هو يسأل ما الله ولا يسأل ما سلطانه لكنه يسأل: أين هو؟ يسأل بها عن الله نفسه أين هو؟ والمرأة أجابت: في السماء. وهذا واضح جداً، يقول:

وَكَذَا أَتَوْنَا بِالْبَيَانِ فَقُلْتُمْ بِاللُّغْزِ أَيْنَ اللُّغْزُ مِنْ تَبْيَانِ

اللغز: يعني التعمية والإخفاء؛ الرسل أتوا بالتبيان البين الواضح، أما اللغز فلم يأتي به، لهذا لو قال لكم قائل: رجل صلى صلاة فريضة، ووجب عليه أن يتشهد فيها ست مرات وجوباً فنقول هذا لغز؛ لأنه يعمي علينا.

فائدة: الصلاة التي فيها أحياناً - ست تشهدات هي المغرب. فلو دخل مع الإمام في الركعة الثانية في المغرب فجلس يتشهد التشهد الأول مع الامام، ولا يحسب له هو وتشهد مع الإمام التشهد الثاني، وكان الإمام ساهياً سهواً يكون سجوده بعد السلام، والمشهور من المذهب أن المأموم يتابع الإمام في السجود بعد السلام، وأن السجود بعد السلام يجب فيه التشهد، فهذا تابع الإمام وتشهد، هذه ثلاثة ثم قام إلى الركعة الثانية فجلس للتشهد الأول في حقه، ولكنه سلم فسلم قبل تمام الصلاة، ثم ذكر فقام فأتى بالركعة الثالثة، وتشهد وكان محل السجود عنده بعد السلام؛ لأنه سلم قبل إتمامها فسجد بعد السلام وتشهد فكم هذه؟ ست تشهدات. المهم أن اللغز معناه: التعمية، أن يأتي الإنسان بشيء يعميه على غيره؛ ولهذا يقولون: إنه لا يجوز أن تؤكل الأترجة بعد العصر في رمضان.

إِذْ كَانَ مَدْلُولُ الْكَلَامِ وَوَضَعُهُ لَمْ يَقْصِدُوهُ بِنُطْقِهِمْ بِلِسَانِ

(٢) رواه مسلم (٥٣٧).

(٣) ضعيف: رواه الترمذي (٣٤٨٣)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٤٠٩٨).

يعني: العلة في أن الرسل أتوا باللغز؛ الألفاظ لم تُقصد والمدلول لم يقصد. إذا قيل: (وجاء ربك). فقول المراد: وجاء أمر ربك. صار اللفظ لم يقصد؛ لأن اللفظ الذي أمامنا (جاء ربك)، هم يقولون: هذا غير مقصود، فالمقصود؛ جاء أمر ربك، فالمعنى الذي يظهر من قول (جاء ربك) غير مقصود. إذا فاللفظ بحسب وضعه غير مقصود، ومدلول اللفظ عندهم أيضًا غير مقصود، مقصود اللفظ في قوله: (وجاء ربك) أن الجائي هو الرب عز وجل، وهذا أيضًا مدلول الخطاب وضعًا أي: لغة، فهم نفوا هذا وهذا، ويقول المؤلف رَحِمَهُ اللهُ: (ووضعه لم يقصدوه بنطقهم بلسان)

وَالْقَصْدُ بِذَلِكَ غَيْرُ مَفْهُومٍ بِهِ مَا اللَّغْزُ عِنْدَ النَّاسِ إِلَّا ذَانِ

القصد الذي هو: جاء أمر ربك على زعمهم غير مفهوم من قوله: (وجاء ربك) الذي يدل على مجيء الله تعالى.

وقوله: (الإذان). المشار إليه مخالفة الوضع في اللسان العربي، وقصد غير المفهوم منه، هذا هو اللغز.

يَا قَوْمُ رَبِّهِ اللهُ أَعْرَفُ مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ نَصَحًا فِي كَمَالِ بَيَانِ

ذكر ثلاثة أشياء من مقومات اللفظ: (يا قوم رسل الله أعرف منكم)، وأعرف بمعنى: أعلم وأعرف بمدلول الخطاب، وقوله: (وأنتم نصحًا في كمال بيان). بيان يعني: فصاحة. فهذه ثلاثة أشياء من مقومات الكلام والعلم والنصح والبيان، كلها اجتمعت في كلام الرسل، ويوجد أمر رابع أيضًا وهو الصدق، فَهُمْ أَصْدَقُ النَّاسِ خَبْرًا، فإذا اجتمعت هذه المقومات صار الكلام على أتم وجه.



* قوله رَحِمَهُ اللهُ:

٤٦٢٣- أَتَرُونَهُمْ قَدْ أَلْغَرُوا التَّوْحِيدَ إِذْ

بَيَّنْتُمُوهُ يَا أُولِي الْعِرْفَانِ؟

٤٦٢٤- أَتَرُونَهُمْ قَدْ أَظْهَرُوا التَّشْبِيهَ وَهـ

وَلَدَيْكُمْ كِعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ؟

٤٦٢٥- وَلَايَ شَيْءٍ لَمْ يَقُولُوا مِثْلَ مَا

قَدْ قُلْتُمْ فِي رَبِّنَا الرَّحْمَنِ؟

٤٦٢٦- وَلَايَ شَيْءٍ صَرَّحُوا بِخِلَافِهِ

تَضَرِيحٍ تَفْصِيلٍ بِلَا كِتْمَانِ؟

- ٤٦٢٧ - وَلَايَ شَيْءٍ بِالْعُوقَا فِي الْوَضْفِ بِأَلْ
إثباتِ دُونَ النَّفْيِ كُلِّ زَمَانٍ؟
- ٤٦٢٨ - وَلَايَ شَيْءٍ أَنْتُمْ بِالْعَتْمِ
فِي النَّفْيِ وَالْتَعْطِيلِ بِالْقَفْزَانِ؟
- ٤٦٢٩ - فَجَعَلْتُمْ نَفْيَ الصِّفَاتِ مُفَصَّلًا
تَفْصِيلَ نَفْيِ الْعَيْبِ وَالْتَقْضَانِ
- ٤٦٣٠ - وَجَعَلْتُمْ الْإِثْبَاتَ أَمْرًا مُجْمَلًا
عَكْسَ الَّذِي قَالُوهُ بِالْبُرْهَانِ
- ٤٦٣١ - أَتَرَاهُمْ عَجَزُوا عَنِ التَّبَيُّانِ وَاشِد
تَوَلَّيْتُمْ أَنْتُمْ عَلَى التَّبَيُّانِ
- ٤٦٣٢ - أَتَرُونَ أَفْرَاحَ الْيَهُودِ وَأُمَّةَ الثِّ
تَعْطِيلِ وَالْعُبَّادِ لِلنِّيَرَانِ
- ٤٦٣٣ - وَوَفَاحِ أَرْبَابِ الْكَلَامِ الْبَاطِلِ أَلْ
مَذْمُومِ عِنْدَ أُمَّةِ الْإِيْمَانِ
- ٤٦٣٤ - مِنْ كُلِّ جَهْمِيٍّ وَمُعْتَزِلٍ وَمَنْ
وَالْأَهْمَامِ مِنْ حِزْبِ جَنْكِشْحَانِ
- ٤٦٣٥ - بِاللَّهِ أَعْلَمَ مِنْ جَمِيعِ الرُّسُلِ وَالْتِ
تَوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ؟
- ٤٦٣٦ - فَسَلُّوهُمْ بِسُؤَالِ كُتُبِهِمُ التِّي
جَاءُوا بِهَا عَنْ عِلْمِ هَذَا الشَّانِ
- ٤٦٣٧ - وَسَلُّوهُمْ هَلْ رَبُّكُمْ فِي أَرْضِهِ
أَوْ فِي السَّمَاءِ وَفَوْقَ كُلِّ مَكَانِ

٤٦٣٨ - أَمْ لَيْسَ مِنْ ذَا كَلِّهِ شَيْءٌ فَلَا

هُوَ ذَا حِلٍّ أَوْ خَارِجُ الْأَكْوَانِ

٤٦٣٩ - فَالْعِلْمُ وَالتَّبَيُّانُ وَالتُّضْحُ الَّذِي

فِيهِمْ يَبِينُ الْحَقَّ كُلَّ بَيَانِ

٤٦٤٠ - لَكِنَّمَا الْإِلْعَازُ وَالتَّلْبِيسُ وَالْ

كَيْثَمَانُ فَعَلَّ مُعَلِّمُ الشَّيْطَانِ

الشَّحْ

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

يقول ابن القيم رحمه الله تعالى :

أَتَرُونَهُمْ قَدْ أَلْغَزُوا التَّوْحِيدَ إِذْ بَيِّتْتُمُوهُ يَا أَوْلِيَا الْعِرْفَانِ؟

أترونهم: يعني الرسل عليهم الصلاة والسلام وأتباعهم، قد أَلْغَزُوا في التوحيد وأنتم بينتموه بأولي العرفان. يعني: يا أصحاب المعرفة. وهذا تهكم بهم واستهزاء .

أَتَرُونَهُمْ قَدْ أَظْهَرُوا التَّشْبِيهَ وَهَـ وَ لَدَيْكُمْ كِعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ

أظهروا التشبيه؟ بماذا بإثبات الصفات؛ لأن هؤلاء المعطلة يا إخواننا يقولون: كل من أثبت صفة لله فهو مشبه وهو عابد وثن؛ لأنه يلزم من إثباته أن يكون الله جسمًا كالأوثان؛ ولهذا قال المؤلف: وهو لديكم كعبادة الأوثان. يعني: والإثبات لديكم عبادة الأوثان؛ لأنكم تقولون: مَنْ أثبت صفة فهو مجسَّم. أي: جاعل الله عزوجل جسمًا كالوثن الذي يعبد.

وَلَايَ شَيْءٍ لَمْ يَقُولُوا مِثْلَ مَا قَدْ قُلْتُمْ فِي رَبِّنَا الرَّحْمَنِ؟

يعني: ما الذي منعهم أن يقولوا كما تقولون مع أنهم مُلْزَمُونَ بالبلاغ؟ ولو كان الحق كما قلتم لكانوا هم الذين يبينونه لا أنتم.

وَلَايَ شَيْءٍ صَرَّحُوا بِخِلَافِهِ تَضْرِيحَ تَفْصِيلٍ بِأَلَّا كَيْثَمَانِ؟

لأي شيء: ما الذي حملهم على أن يصرَّحوا بخلاف ما تزعمون أنه الحق؟

وَلَايَ شَيْءٍ بِالْعَوَا فِي الوُصْفِ بِأَلَّا إِثْبَاتِ دُونَ النَّفْسِ كُلِّ زَمَانِ؟

قوله: «بالعوا في الوصف بالإثبات». يعني: أتوا في الإثبات - إثبات الصفات لله عز وجل - على وجه الأكثرية، ولهذا لو تأملت النصوص لوجدت أكثر ما فيها - في الإثبات - التفصيل ، وفي

النفي الإجمال عكس طريق هؤلاء.

وَلَايَ شَيْءٍ أَنْتُمْ بِالْعُثْمِ فِي النَّفْيِ وَالتَّعْطِيلِ بِالْقَفْزَانِ؟

عكس ما جاءت به الرسل، فالرسل أتوا بإثبات مفصل غالباً، ونفي مجمل وهؤلاء بالعكس؛ ولهذا لا تكاد تجد نفيًا مفصلاً في صفات الله إلا لسبب:

إما أن تكون صفة عيب ادّعاها المفتري مثل: دعوى اليهود والنصارى والمشركين بأن له ولدًا، فقال تعالى: ﴿لَمْ يَكِدْ وَيَكِدْ وَلَمْ يُؤَلِّدْ﴾ [الصمد: ٣] أو نفي صفة يتوهمها وإهم من فعل شيء كبير عظيم؛ مثل خلق السماوات قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ [ق: ٣٨] لأنه ربما يقول قائل خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام تُلْحِقُ الفاعل تعبًا، فقال: ﴿وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾. وفي نفس الوقت قوله: ﴿وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾. رد لما قاله المفترون؛ وهم اليهود حيث قالوا - لعنة الله عليهم: إن الله عز وجل لما خلق السماوات والأرض في ستة أيام وكان آخرها يوم الجمعة تعب فاستراح يوم السبت، ولم يكن خلق في يوم السبت^(٤)، هذا على زعم اليهود.

قوله: «بالقفزان» الظاهر أن (القفزان): جمع قفيز، والقفيز أكبر من الصاع بكثير، يعني: أنتم كأنكم كلتم بالمكيال الأوفي بالنسبة للنفي.

فَجَعَلْتُمْ نَفْيَ الصِّفَاتِ مُفَصَّلًا تَفْصِيلَ نَفْيِ الْعَيْبِ وَالنُّقْضَانِ

ولهذا تجد في كتبهم أن الله ليس بجوهر ولا عرض ولا فوق ولا تحت ولا يمين ولا شمال ولا أصم ولا أعمى ولا أخرس وما أشبه ذلك، لا تكاد تجد فيهم صفة ثبوتية.

قوله: «نفي الصفات مفصلاً» يعني: أن أهل التعطيل سلكوا طريقًا مخالفًا لطريق القرآن والسنة؛ ففصلوا في النفي وأجملوا في الإثبات، وأما طريق الكتاب والسنة فهو التفصيل في الإثبات والإجمال في النفي.

وَجَعَلْتُمْ الْإِثْبَاتَ أَمْرًا مُجْمَلًا عَكَسَ الَّذِي قَالُوهُ بِالْبُرْهَانِ

أَتَرَاهُمْ عَجَزُوا عَنِ التِّيَانِ وَاسْتَوْلَيْتُمْ أَنْتُمْ عَلَى التِّيَانِ

هذا الاستفهام للنفي والإنكار، يعني: لا تظنهم أنهم عجزوا عن التيان وأنكم أنتم استوليتم عليه.

أَتَرُونَ أَفْرَاحَ الْيَهُودِ وَأُمَّةَ التُّهْمِ وَالْعُتْبَادِ لِلتِّيَرَانِ

هذا متعلق بقوله: أترون. قال: أترون أفراخ اليهود، الفرخ: صغار الطير. ومعلوم لنا جميعًا أن الفرخ مهين ضعيف لا يقوى أن يخلص نفسه، فيقول: أفراخ اليهود. يعني بذلك أهل التعطيل؛



لأن الجعد بن درهم يُقال إنه أخذ مقالته عن لييد بن الأعصم الذي ثبت في صحيح البخاري^(٥) أنه سحر النبي ﷺ ومن هنا أخذت مقالة التعطيل من اليهود ولا شك أن اليهود معروفون بسب الله عز وجل فقالوا: إن الله فقير، وقالوا: يد الله مغلولة فوصفوه بالفقر والإعدام وبالبلخ وقالوا: إنه عجز واستراح يوم السبت فوصفوه بالعجز يعني: كيف كان أهل التعطيل أفرأخًا لليهود؟ لأن الجعد بن درهم - على ما يقال - أخذ مقالته من لييد بن الأعصم، كذلك أفرأخ اليهود وأمة التعطيل والعباد للنيران المجوس.

والظاهر أن أفرأخ اليهود والعباد يعني وأفرأخ العباد للنيران يعني المجوس كيف كان أخذ هذه المقالة من المجوس؟ يقال: إن الجعد بن درهم كان في حران وكان فيها كثير من الصابئة والمجوس فأخذ منهم ذلك.

وَوَقَّاحَ أَرْبَابِ الْكَلَامِ الْبَاطِلِ أَلْ — مَذْمُومٍ عِنْدَ أُمَّةِ الْإِيمَانِ

يعني: الوقحاء من أرباب الكلام المذموم عند أئمة الإيمان ثم بين هؤلاء فقال:

مِنْ كُلِّ جَهْمِي وَمُعْتَزِلٍ وَمَنْ — وَالْأَهْمَا مِنْ حِزْبِ جَنْكِسَخَانَ

يعني: أن التتار وغيرهم ممن عطّلوا الله عز وجل عن صفاته قال: أهل الكلام المذموم عند أئمة الإيمان، فعلم الكلام عند الأئمة مذموم، حتى إن بعضهم قال: من تعلم الكلام فقد تزندق. وقال: الشافعي رَحِمَهُ اللهُ: حكيم في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد والنعال ويُطاف بهم في العشائر. ويقال: هذا جزء من ترك الكتاب والسنة وأقبل على علم الكلام.

قوله: «من كل جهمي». نسبة إلى الجهم بن صفوان و«معتزل» نسبة إلى عمرو بن عبيد وواصل بن عطاء فإن واصل بن عطاء اعتزل مجلس الحسن البصري وجعل يقرر: مذهب المعتزلة ويقول: إن فاعل الكبيرة في منزلة بين منزلتين لا مؤمن ولا كافر.

بِاللهِ أَعْلَمَ مِنْ جَمِيعِ الرُّسُلِ وَالنَّبِيِّينَ — تَوْرَةَ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ

يعني: أترون هؤلاء بالله أعلم؟ وهذا الاستفهام للإنكار يعني: لا تظنّوهم أعلم هؤلاء.

فَسَلُّوهُمْ بِسُؤَالِ كُتُبِهِنَّ الَّتِي — جَاءُوا بِهَا عَنْ عِلْمِ هَذَا الشَّانِ

قوله: «فسلّوهم» كيف نسألهم وقد ماتوا؟ يقول: بسؤال كتبهم؛ لأن الكتاب يعبر عما في نفس الكاتب فيقول: سلّوهم.

وَسَلُّوهُمْ هَلْ رَبُّكُمْ فِي أَرْضِهِ — أَوْ فِي السَّمَاءِ وَفَوْقَ كُلِّ مَكَانٍ

أَمْ لَيْسَ مِنْ ذَا كُلِّهِ شَيْءٌ فَلَا — هُوَ دَاخِلٌ أَوْ خَارِجٌ الْأَكْوَانِ

ينقسمون في هذا إلى قسمين: الأول: أن الله في أرضه كما هو في السماء. وهؤلاء هم الحلولية الذين قالوا: إن الله في كل مكان .

أَمْ لَيْسَ مِنْ ذَا كُلِّهِ شَيْءٌ فَلَا هُوَ دَاخِلٌ أَوْ خَارِجٌ الْأَكْوَانِ

الثاني: هؤلاء المعطلة النفاة الذين قالوا: إن الله لا داخل العالم ولا خارجه ولا متصل ولا منفصل ولا فوق ولا تحت ولا يمين ولا شمال ولا مباين ولا محايد ونحن نقول: إن الله لا يخلو إما أن يكون في الأرض كما هو في السماء، أو في السماء وحدها، أو في الأرض وحدها، أو ليس في الأرض ولا في السماء، فالأقسام أربعة إما في السماء وحدها، أو في الأرض وحدها، أو فيهما جميعاً وليس في واحدة منهما، ففي الأرض وحدها ما علمنا أحداً قال به، وفي السماء وحدها من قال به؟ أهل السنة. والذين قالوا: في السماء والأرض هم الحلولية. والذين قالوا: لا في السماء ولا في الأرض هم المعطلة النفاة.

مسألة: هل الاتحادية نفس الحلولية؟

الجواب: لا . أقبح الاتحادية يقولون : الرب والخلق شيء واحد .

فَالْعِلْمُ وَالْتَّبَيُّانُ وَالنُّصْحُ الَّذِي فِيهِمْ يَبِينُ الْحَقُّ كُلُّ بَيَانٍ

لَكِنَّمَا الْإِنْعَازُ وَالتَّلْبِيسُ وَالْكِتْمَانُ فِعْلٌ مُعَلِّمُ الشَّيْطَانِ

العلم والتبيان والنصح هذا كله للرسول وأتباعهم ، أما هؤلاء فعندهم الإلغاز والتلبيس والكتمان؛ لأنهم يتلقون علومهم من الشياطين، فيأتون بها كالألغاز لا تفهم.

مسألة: هل كلام الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللهُ فِي قَوْلِهِ : حَكْمِي فِي أَهْلِ الْكَلَامِ أَنْ يَفْعَلَ بِهِمْ كَذَا وَكَذَا، هل يطبق على الصوفية؛ لأن الصوفية ما يعملون بالكتاب والسنة؟

الجواب: قد يطبق عليهم وقد لا يطبق ، وقد يُعاقبون بأكثر من هذا؛ لأن الإنسان يُعاقب على حسب بدعته وعلى حسب دعوته إلى هذه البدعة، فقد تكون البدعة خفيفة فتكون الدعوة لها خفيفة، وقد تكون عظيمة فتكون الدعوة لها عظيمة؛ ولهذا فرق العلماء بين الداعية وبين المقلد الداعي؛ لأنه يفسد.

مسألة: في قوله: (بالله أعلم من جميع الرسل في التوراة والإنجيل والقرآن)

كيف يعبر بالتوراة والإنجيل لجميع الرسل؟

الجواب: المراد بالرسول أفراد الجنس ، أي: جميع الرسل الذين من جملتهم موسى الذي نزلت عليه التوراة ، وعيسى الذي نزل عليه الإنجيل ، ومحمد الذي نزل عليه القرآن .

مسألة: في بعض الكتب الصوت الأكبر على التوحيد أنه علم الكلام ، هل هذا صحيح؟

الجواب الأصل أن التوحيد مجرد عن علم الكلام .



فصل

في شكوى أهل السنة والقرآن أهل التعطيل
والآراء المخالفة لها إلى الرحمن

٤٦٤١- يَا رَبِّ هُمْ يَشْكُونَنَا أَبَدًا يَبْغُ

يِهِمْ وَظَلَمِهِمْ إِلَى السُّلْطَانِ

٤٦٤٢- وَيَلْبِئْسُونَ عَلَيْهِ حَتَّى إِنَّهُ

لِيُظَنُّهُمْ هُمْ نَاصِرُوا الْإِيمَانَ

٤٦٤٣- فَيُرُونَهُ الْبِدْعَ الْمُضِلَّةَ فِي قَوَا

لِبِ سُنَّةِ نَبِيَّةٍ وَقُرْآنِ

٤٦٤٤- وَيُرُونَهُ الْإِثْبَاتَ لِلْأَوْصَافِ فِي

أَمْرِ شَنِيعٍ ظَاهِرِ الْكُفْرَانِ

٤٦٤٥- فَيَلْبِئْسُونَ عَلَيْهِ تَلْبِيسِينَ لَوْ

كُشِفَ لَهُ بَادَاهُمْ بِطَعَانِ

٤٦٤٦- يَا فِرْقَةَ التَّلْبِيسِ لَا حِيِيْتُمْ

أَبَدًا وَحِيِيْتُمْ بِكُلِّ هَوَانِ

٤٦٤٧- لَكِنَّا نَشْكُوهُمْ وَصَنَعَهُمْ

أَبَدًا إِلَيْكَ فَأَنْتَ ذُو السُّلْطَانِ^(١)

(٦) [٤٦٤٦ : ٤٦٤٧] قال العلامة محمد خليل هراس:

فيا أمة التمويه والتلبيس لا حياكم الله تحية الرحمن والرضوان، بل حياكم تحية غضب وهوان، إننا نشكوكم كما تشكونا أبدًا إلى السلطان، وإننا نشكوكم ونشكو فعالكم القبيحة وعدوانكم علينا إلى الله وحده، فهو ذو السلطان الذي لا يُدانِيه سلطان.

٤٦٤٨- فَاسْمَعْ شِكَايَتَنَا وَأَشْكُ مُحِقَّنَا

وَالْمُبْطِلَ اِزْدُدْهُ عَنِ الْبُطْلَانِ

٤٦٤٩- رَاجِعْ بِهِ سُبُلَ الْهُدَى وَالطُّفِ بِهِ

حَتَّى تُرِيَهُ الْحَقَّ ذَا تَبْيَانِ

٤٦٥٠- وَارْحَمْهُ وَارْحَمْ سَعِيَهُ الْمُسْكِينِ قَدْ

ضَلَّ الطَّرِيقَ وَتَاهَ فِي الْقِيَعَانِ

الشَّرْحُ

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

يقول المؤلف رَحِمَهُ اللهُ في بيان الشكاية أي شكوى أهل السنة والقرآن أهل التعطيل والآراء المخالفين للرحمن، يبين المؤلف في هذا الفصل أن الشكاية تقع من أهل السنة ومن أهل التعطيل لكن من المشتكى إليه؟

يَا رَبِّ هُمْ يَشْكُونَنَا أَبَدًا بِيَعْدِ

يَعْنِي: إِذَا رَأَوْا مَنَّا أَحَدًا شَكَوْهُ إِلَى السُّلْطَانِ فَحَبَسَهُ وَضْرَبَهُ، كَمَا جَرَى ذَلِكَ لِلْأَثَمَةِ وَأَتْبَاعِهِمْ .

وَيَلْبَسُونَ عَلَيْهِ حَتَّى إِنَّهُ

فَيُرُونَهُ الْبِدْعَ الْمُضِلَّةَ فِي قَوَا

وَيُرُونَهُ الْإِثْبَاتَ لِلْأَوْصَافِ فِي

فِيَلْبَسُونَ عَلَيْهِ تَلْبِيسِينَ:

هؤلاء يشكون أهل السنة والجماعة إلى السلطان؛ مثل ما صنع ابن أبي دؤاد في شكايته الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ إلى المأمون ومن بعده؛ ليرونه البدع في قوالب سنة وهذا تلبيس، فالذي يظهر لك البدعة في قوالب السنة ملبسًا، ويرونه الإثبات أمرًا عظيمًا منكرًا، وهذا تلبيس، آخر فصاروا يلبسون من وجهين: الوجه الأول: تحسين البدع؛ حيث يجعلونها في القوالب سننًا، والوجه الثاني: تشويه السنن والإثبات؛ حتى يجعلوه في قالب الكفران.

فِيَلْبَسُونَ عَلَيْهِ تَلْبِيسِينَ لَوْ

لَوْ كَشَفَا لِلسُّلْطَانِ وَيَبَيَّنَا لَهُ لِبَادَاهِمُ بِالطَّعَانِ أَي بِالْقَتْلِ؛ لِأَنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّهُمْ لَبَسُوا عَلَيْهِ .

يَا فِرْقَةَ التَّلْبِيسِ لَا حَيْثُمْ

أَبَدًا وَحَيْثُمْ بِكُلِّ هَوَانِ

كيف يقول لا حيتم ويقول حيتم؟ يعني: لا حيتم تحية إكرام وحيتم تحية هوان، وهو كقوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَنْ يَكُنَّ اللَّهُ رَمِيًّا﴾ [الأنفال: ١٧].

لَكَيْتَنَا نَشْكُوهُمْ وَصَنِعَهُمْ أَبَدًا إِلَيْكَ فَأَنْتَ ذُو السُّلْطَانِ

صدق؛ فذو السلطان الأعظم القديم هو الله سبحانه وتعالى فنحن نشكوهم إليه، ولكن انظر للفرق بين شكائتنا وشكايهم:

فَاسْمَعْ شِكَايَتَنَا وَأَشْكُ مِحَقَّتَنَا وَالْمُبْطِلَ أَرْدَدُهُ عَنِ السُّلْطَانِ

فنحن نشكوهم إلى الله، ونسأله أن يهديهم ويردهم عن الباطل، وهم يشكوننا إلى السلطان، للانتقام، أي: لينتقم منا، ونحن ما قلنا: اللهم عذبهم اللهم انتقم منهم بل نقول: اللهم اهدهم، وكان الإمام أحمد يعذبه المأمون تعذيباً بليغاً وهو يدعو له ويقول: لو أعلم أن لي دعوة مستجابة لصرفتها للسلطان. خلافاً لما يفعله بعض الناس اليوم الذين يدعون أنهم أهل غيره، ويدعون على ولي الأمر، وهو لم يسئ إليهم فتجدهم يدعون عليه وهم مخطئون على أنفسهم وعلى ولي الأمر وعلى المسلمين عموماً فإذا كانوا صادقين في نصحتهم لله ورسوله فليدعوا له؛ لأنه إذا صلح صلحت الرعية؛ لأن الأمر مشكل، فهذا بيده القوة وبيده السلطة فإذا دعوت عليه زاد في شره، وإذا دعوت له فالله على كل شيء قدير فقد يفتح الله عليه، فنحن ندعوا لأهل البدع، أما هم فيشكوننا إلى السلطان؛ ليكون علينا؛ ولهذا يقول: والمبطل اردده عن البطلان. هو يقول: المبطل بالنصب؛ لأن فيه اشتغالا وارده: جاء فيه الضمير العائد على الاسم المتقدم (المبطل)، والقاعدة: أنه إذا كان الاسم المقدم متلواً بأمر، فالأرجح النصب تقول: زيداً اضربه. وتقول زيداً اضربه والأحسن زيداً؛ لقوة طلب العامل؛ لأنه فعل طلب، يقول المؤلف: «والمبطل اردده عن البطلان».

رَاجِعْ بِهِ سُبُلَ الْهُدَى وَالطُّفِ بِهِ حَتَّى تُرِيَهُ الْحَقَّ ذَا بَيِّنَاتٍ

وَارْحَمْهُ وَارْحَمْ سَعْيَهُ الْمُسْكِينِ قَدْ ضَلَّ الطَّرِيقَ وَتَاءَ فِي الْقِيَعَانِ

أعوذ بالله، فإذا تاه الإنسان في القيعان والقيعان ما فيها جواد ولا فيها خطوط، فيرجع إلى أقصى الطريق ثم يرجع إلى أوله، فهؤلاء مثل الذين تاهوا في القيعان.



* قوله رَحِمَهُ اللهُ:

٤٦٥١- يَا رَبِّ قَدْ عَمَّ الْمُضَابُ بِهَذِهِ أَلْ

أَرَاءَ وَالشُّطْحَاتِ وَالْبُهْتَانِ

٤٦٥٢- هَجَرُوا لَهَا الْوَحْيِينَ وَالْفَطْرَاتِ وَالْ

- آرَارَ لَمْ يَغْبُوا بِذَا الْهَجْرَانِ
 ٤٦٥٣ - قَالُوا وَتِلْكَ ظَوَاهِرٌ لَفْظِيَّةٌ
- لَمْ تُغْنِ شَيْئًا طَالِبَ الْبُرْهَانِ
 ٤٦٥٤ - فَالْعَقْلُ أَوْلَى أَنْ يَصَارَ إِلَيْهِ مِنْ
- هَذَا الظَّوَاهِرِ عِنْدَ ذِي الْعِرْفَانِ
 ٤٦٥٥ - ثُمَّ ادَّعَى كُلٌّ بِأَنَّ الْعَقْلَ مَا
- قَدْ قُلْتُهُ دُونَ الْفَرِيقِ الثَّانِي
 ٤٦٥٦ - يَا رَبِّ قَدْ حَارَ الْعِبَادُ بِعَقْلِ مَنْ
- يَزُنُونُ وَخِيكَ فَاتِ بِالْمِيزَانِ
 ٤٦٥٧ - وَبِعَقْلِ مَنْ يَقْضِي عَلَيْكَ فَكُلُّهُمْ
- قَدْ جَاءَ بِالْمَعْقُولِ وَالْبُرْهَانِ
 ٤٦٥٨ - يَا رَبِّ أَرْشِدْنَا إِلَى مَعْقُولٍ مَنْ
- يَقَعُ التَّحَاكُمُ إِنَّنَا خَضَمَانِ
 ٤٦٥٩ - جَاءُوا بِشُبُهَاتٍ وَقَالُوا إِنَّهَا
- مَعْقُولَةٌ بِدَائِرِهِ الْأَذْهَانِ
 ٤٦٦٠ - كُلٌّ يَنَاقِضُ بَعْضُهُ بَعْضًا وَمَا
- فِي الْحَقِّ مَعْقُولَانِ مُخْتَلِفَانِ
 ٤٦٦١ - وَقَصَّوْا بِهَا كَذِبًا عَلَيْكَ وَجُرَاةٌ
- مِنْهُمْ وَمَا التَّفْتُّوْا إِلَى الْقُرْآنِ^(٧)

(٧) [٤٤٦٠ : ٤٦٦١] قال العلامة محمد خليل هراس:

وكيف يتأتى أن تكون آراؤهم هذه أحكاماً عقلية صحيحة من تناقضها واختلافها، وهل يمكن أن يكون في الحق معقولان مختلفان؟
 ثم هم يقضون بأقوالهم هذه على الله كذباً عليه سبحانه وإمعاناً في الجرأة والوقاحة معرضين عن حكم القرآن غير

الشرح

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

يقول المؤلف رَحِمَهُ اللهُ شاكيًا إلى الرب العظيم جل وعلا، يقول:

يَا رَبِّ قَدْ عَمَّ الْمَصَابُ بِهَذِهِ الْآرَاءِ وَالشُّطْحَاتِ وَالْبُهْتَانِ

قوله: (قد عم المصاب) يعني: اتسع وصار مصيبًا لكل أحد بهذه الآراء، يعني: الآراء المخالفة للشريعة؛ وهي آراء أهل التعطيل والشطحات والبهتان، والبعد عن الحق والبهتان الكذب.

هَجَرُوا لَهَا الْوَحْيِينَ وَالْفَطْرَاتِ وَأَلْ

هجروا هذه الآراء الوحيين: هما الكتاب والسنة، والآثار هي آثار السلف كالصحابه والتابعين، والقطرات معروفة وهي: ما فطر الله خلقه عليه وقوله (لم يعجبوا بذا الهجران). وهي: يعني: ما هم أن يهجروا هذه الثلاثة بل هذه الأربعة: الوحيين: الكتاب والسنة، والقطرة، والرابع الآثار.

قَالُوا وَتِلْكَ ظَوَاهِرُ لَفْظِيَّةٍ لَمْ تُعْنِ شَيْئًا طَالِبِ الْبُرْهَانِ

تلك يعني: المشار إليه: القرآن والسنة، والآثار ظواهر لفظية لا تغني شيئًا لمن طلب البرهان والدليل.

فَالْعَقْلُ أَوْلَى أَنْ يَصَارَ إِلَيْهِ مِنْ ذِي الظَّوَاهِرِ عِنْدَ ذِي الْعِرْفَانِ

يعني: لما كانت هذه ظواهر لفظية لا تغني شيئًا، وجب أن نرجع العقل على زعمهم.

ثُمَّ ادَّعَى كُلُّ بَأْسِ الْعَقْلِ مَا قَدْ قُلْتُهُ دُونَ الْفَرِيقِ الثَّانِي

لما قال: نرجع إلى العقل وكانوا عشرة، فقال الأول: العقل ما قلت وقال الثاني: العقل ما قلت الثالث: العقل ما قلت وقال الرابع: العقل ما قلت إلى العاشر، كل واحد يقول: العقل ما قلت؟ كم صارت العقول؟ عشرة كلها متباينة؛ ولهذا تجدهم أكثر الناس نزاعًا واختلافًا؛ لأن الله يقول: ﴿وَلَوْ كَانُوا مِنْ عِنْدِ عِزِّ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

ثُمَّ ادَّعَى كُلُّ بَأْسِ الْعَقْلِ مَا قَدْ قُلْتُهُ دُونَ الْفَرِيقِ الثَّانِي

يَا رَبِّ قَدْ حَارَ الْعِبَادُ بِعَقْلِ مَنْ زُنُونٌ وَحِيكَ فَاتٍ بِالْمِيزَانِ

يعني يقول: لو رجعنا إلى العقل، فبعقل من نزن الحق؟ بعقل الأول، إن قلنا: نعم قال الثاني: لا بعقلي أنا. فسيقول الأول والثالث: لا بعقل الرابع. فسيقول الأول والثاني والثالث: لا. فسيقول الخامس: لا. إذن بعقل من؟ يقول رَحِمَهُ اللهُ:

وَبِعَقْلِ مَنْ يَقْضِي عَلَيْكَ فَكُلُّهُمْ قَدْ جَاءَ بِالْمَعْقُولِ وَالْبُرْهَانِ

يعني: بعقل من يقضى عليك؟ هل بعقل فلان أو بعقل فلان نحكم عليك ربنا؟ لا إله إلا الله.

يَا رَبِّ أَرَشِدْنَا إِلَى مَعْقُولٍ مَنْ يَقَعُ التَّحَاكُمُ إِنَّنَا خَضَمَانِ

يعني: يسأل المؤلف ربه أن يرشده إلى عقل من يكون التحاكم عنده.

جَاءُوا بِشُبُهَاتٍ وَقَالُوا إِنَّهَا مَعْقُولَةٌ بِنْدَائِهِ الْأَذْهَانِ

كُلُّ يَنَاقِضُ بَعْضَهُ بَعْضًا وَمَا فِي الْحَقِّ مَعْقُولَانِ مُخْتَلِفَانِ

يعني: أنهم جاءوا بشبهات و قالوا: إنها معقولة، وإن البديهة تدل عليها، ولكن كلهم يناقض بعضه بعضًا، فهل في العقل ما يتناقض؟ أو في الحق ما يتناقض؟ لا ليس في الحق ما يتناقض، فلو كان ما قالوه حقًا فلم يتناقضوا.

وَقَضُوا بِهَا كَذِبًا عَلَيْكَ وَجُرْأَةً مِنْهُمْ وَمَا التَّمْتُّوا إِلَى الْقُرْآنِ

قوله: (قضوا بها). أي: بهذه الشبهات. (كذبًا عليك وجرأة)، منهم يعني: عليك، وما التفتوا إلى القرآن.



* قوله رَحِمَهُ اللهُ:

٤٦٥٨- يَا رَبُّ قَدْ أُوهِى الثُّفَاءُ حَبَائِلَ الْ

قُرْآنِ وَالْأَثَارِ وَالْإِيمَانِ

٤٦٥٩- يَا رَبُّ قَدْ قَلَبَ الثُّفَاءُ الدِّينَ وَالْ

إِيمَانَ ظَهْرًا مِنْهُ فَوْقَ بَطْنِ

٤٦٦٠- يَا رَبُّ قَدْ بَعَثَ الثُّفَاءُ وَأَجْلَبُوا

بِالْحَيْلِ وَالرَّجْلِ الْحَقِيرِ الشَّانِ

٤٦٦١- نَضَبُوا الْحَبَائِلَ وَالْعَوَائِلَ لِلْأَلَى

أَخَذُوا بِوَحْيِكَ دُونَ قَوْلِ فُلَانِ

الشَّحْ

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

يقولون: كل ما جاء في القرآن مما يخالف العقول فإنه يجب فيه أحد أمرين ، انظر القاعدة الخبيثة عندهم: إما التأويل وإما التفويض؛ فالتأويل معناه التحريف ، فيحرف معناها، أو

التفويض فيقول: لا أدري فصارَت قاعدتهم مبنية إما على العدوان وإما على الجهل، فالعدوان إذا قالوا: أوّلوا. والجهل إذا قالوا: والله ما ندري ففوضوا.

وقد قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ عَنْ قول أهل التفويض: إنه من شر أقوال أهل البدع والإلحاد، تشكيل مع أنك تجد كثيرًا في كتب المتأخرين من يقول: إن التفويض مذهب أهل السنة. وهذا قول خطأ؛ لأن التفويض تفويضان: تفويض المعنى، وتفويض الحقيقة والكيفية، فالأول لا يقول به السلف ولا أهل السنة - أعني به تفويض المعنى لأنهم يقولون: المعنى معلوم والثاني يقولون به، فمن أطلق التفويض على أهل السنة فقد أخطأ، عليهم ولم يفهم مذهبهم حقيقة، يقول:

يَا رَبُّ قَدْ أَوْهَى الثُّفَاءُ حَبَائِلَ الْفُزَّانِ وَالْآثَارِ وَالْإِيمَانِ

أوهى يعني: أضعفوا، فهم أضعفوا حبائل القرآن والآثار والإيمان بما فعلوه من التحريف في آيات الله عز وجل وفي أحاديث رسول الله ﷺ حتى أوهنوا الإيمان في قلوب الناس، فهؤلاء النفاة لا يؤمنون بأن الله استوى حقيقة على العرش إذأهنا نقص في الإيمان فقد أخبر الله عن نفسه أنه استوى على العرش حقيقة فإذا لم تؤمن به، وقلت معنى استوى: استولى. ضعف إيمانك؛ لأنك أخللت بعقيدة، فهؤلاء النفاة أوها حبائل القرآن والآثار والإيمان، يقول:

يَا رَبُّ قَدْ قَلَبَ الثُّفَاءُ الدِّينَ وَالْإِيمَانَ ظَهْرًا مِنْهُ فَوْقَ بَطَانِ

يعني: قلبوا الدين ظهرًا على بطن، وهذا واضح، لأنهم صرفوا ظواهر النصوص عن معناها الظاهر، وجعلوا لها معنيًا باطنًا لقوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤] ما معناها الظاهر؟ أن الله يدين حقيقتين مبسوطتين، وهم قالوا: لا هناك معنى آخر غير الظاهر، فالمعنى الباطن المراد عندهم هو: القدرة أو القوة. فهم قلبوا ظهور النصوص إلى بواطن لا يريدوا الله ولا رسوله.

يَا رَبُّ قَدْ بَعَثَ الثُّفَاءُ وَأَجْلَبُوا بِالْخَيْلِ وَالرَّجُلِ الْحَقِيرِ الشَّانِ

قوله: (بعث) أي: تعدت. وقوله: (وأجلبوا بالخيال) مأخوذ من قوله تعالى: ﴿وَأَجْلَبَ عَلَيْهِمْ بَخِيلِكَ وَرَجَلِكَ﴾ [الإسراء: ٦٤] والرجل الحقيير الشان.

نَضَبُوا الْحَبَائِلَ وَالْعَوَائِلَ لِلْأَلْسِنِ خَدُّوا بِوَحْيِكَ دُونَ قَوْلِ فُلَانِ

نعم فهم نصبوا الحبائل، والغوائل: جمع غائلة وذلك بشكائيتهم إلى السلاطين والأمراء، ولا يخفى علينا جميعًا ما حدث لإمام أهل السنة الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ أَيَّامَ المحنة؛ حيث جعلوا يجرونه على البغلة ويضربونه بالسياط حتى يغمى عليه في الأسواق رَحِمَهُ اللهُ، ولا يخفى أيضًا ما جرى لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ؛ حيث كانوا يركبونه على عربة مكشوفة، ويطوفون به ويشهرون به، وفي النهاية سجنوه حتى مات في السجن، فلما سجنه كان أصحابه يأتون إليه فيأخذون من علمه فمنعوا أصحابه عنه، ثم جعل يكتب وفمنعوا الكتابة عنه، ثم جعل يكتب على جدران الحبس

لأجل أن ينشر علمه الذي في قلبه، وآخر العمر مات مسجونا رَحِمَهُ اللهُ.

فالمهم أن هؤلاء النفاة - والعياذ بالله - ما تركوا الناس بلا شر ولا عدوان ، بل فعلوا بهم كل الأفعال التي يستطيعون بالوشاية فيها، قال:

نَضَبُوا الْحَبَائِلَ وَالْعَوَائِلَ لِلْأَلَى خَذُوا بِوَيْحِكَ دُونَ قَوْلِ فَلَانِ

مسألة: ذكرنا فيما سبق أن الذي لم يثبت لله عز وجل صفة العلو والاستواء على العرش هذا ينقص إيمانه، كيف ذلك؟

الجواب: لأن الواجب عليك أن تؤمن بعلو الله واستوائه على العرش، فإذا لم تؤمن به نقص الإيمان عندك.

مسألة: وهل مع النفي ثبت إيماناً العبد؟

الجواب: النفي نفيان : نفي تكذيب: وهذا لا إيمان معه، ونفي تأويل: هذا لا ينتفي معه الإيمان فلو قال قائل إن الله لم يستو على العرش هكذا، قال: فهو كافر؛ لأنه مكذب للخبر، فنفي التكذيب كفر، ونفي التأويل ليس بكفر؛ ولو قال: استوى، نعم الله استوى على العرش ، لكن معنى استوى استولى. فإنه لا يكفر.



* قوله رَحِمَهُ اللهُ:

٤٦٦٦ - وَدَعَوْا عِبَادَكَ أَنْ يَطِيعُوهُمْ فَمَنْ

يَغْصِيهِمْ سَامُوهُ شَرًّا هَوَانِ

٤٦٦٧ - وَقَضَوْا عَلَى مَنْ لَمْ يَثَلْ بِضَالِهِمْ

بِاللَّغْنِ وَالتُّضْلِيلِ وَالْكَفْرَانِ

٤٦٦٨ - وَقَضَوْا عَلَى أَتْبَاعِ وَحَيْكَ بِالَّذِي

هُمُ أَهْلُهُ لَا عَسْكَرَ الْفُرْقَانِ

٤٦٦٩ - وَقَضَوْا بَعَزْلَهُمْ وَقَتْلَهُمْ وَحَبْ

سِيهِمْ وَنَفْيَهُمْ عَنِ الْأَوْطَانِ

٤٦٧٠ - وَتَلَاعَبُوا بِالذِّينِ مِثْلَ تَلَاعَبِ الْ

حُمْرِ التِّي نَفَرَتْ بِلَا أَرْسَانِ

٤٦٧١- حَتَّى كَانَهُمْ تَوَاصَوْا بَيْنَهُمْ

يُوصِي بِذَلِكَ أَوَّلَ لِلثَّانِي

٤٦٧٢- هَجَرُوا كَلَامَكَ هَجَرَ مُبْتَدِعٍ لِمَنْ

قَدْ دَانَ بِالْأَثَارِ وَالْقُرْآنِ

٤٦٧٣- فَكَأَنَّهُ فِيمَا لَدَيْهِمْ مُضَحَفٌ

فِي بَيْتِ زَيْنَدِيقٍ أَخِي كُفْرَانِ

٤٦٧٤- أَوْ مَسْجِدٍ بِجَوَارِ قَوْمِ هُمَّهُمْ

فِي الْفِسْقِ لَا فِي طَاعَةِ الرَّحْمَنِ

٤٦٧٥- وَخَوَاصُّهُمْ لَمْ يَفْرَعُوهُ تَدْبُرًا

بَلْ لِلتَّبَرُّكِ لَا لِفَهْمِ مَعَانِي

٤٦٧٦- وَعَوَائِهِمْ فِي الشَّبَعِ أَوْ فِي خَتْمَةٍ

أَوْ تُزْبَةِ عَوْضًا لِذِي الْأَثْمَانِ

٤٦٧٧- هَذَا وَهُمْ حَرْفِيَةُ التَّجْوِيدِ أَوْ

صَوْتِيَةُ الْأَنْغَامِ وَالْأَلْحَانِ

الشرح

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

يقول المؤلف رحمه الله تعالى:

وَدَعَرُوا عِبَادَكَ أَنْ يَطِيعُوهُمْ فَمَنْ يَعْصِيهِمْ سَامُوهُ شَرًّا هَوَانِ

يعني: هؤلاء النفاة دعوا الناس إلى طاعتهم وقالوا: اسلكوا مسلكنا. فمن عصاهم ساموه شرًّا هوانٍ إما بأيديهم وإما بالسنتهم وإما بتسليط الولاة عليهم انتقامًا منهم، نسأل الله العافية.

وَقَضَوْا عَلَى مَنْ لَمْ يَقُلْ بِضَلَالِهِمْ بِاللَّعْنِ وَالتَّضْلِيلِ وَالْكَفْرَانِ

يقولون مثلاً: لعنة الله على فلان؛ لأنه يقول: إن لله يدين حقيقتين، ما تقولون في هذا الضال الذي يثبت لله جارحة؟ ما تقولون في الكافر الذي جعل الله جسماً؟ وما أشبه ذلك، العامي إذا

سمع مثل هذا الكلام لا سيما من شيخ معمم واسع الكم ماذا يقول؟ يقول صحيح هؤلاء ضلال، هؤلاء كفار، هؤلاء مستحقون لعن، ولهذا وصفهم المؤلف وصفا تاما، قال:

وَقَضَوْا عَلَى أَتْبَاعِ وَحِيكَ بِالَّذِي هُمْ أَهْلُهُ لَا عَسْكَرَ الْفُرْقَانِ

قضوا على أتباع وحيك بالذى هم أهله، فماذا قضوا على أتباع الوحي؟ قضوا عليهم بالتضليل والكفران، وهم أحق بالكفر والضلال. هذا معنى كلام المؤلف، هم أحق وليس عسكر القرآن أحق.

وَقَضَوْا بِعَزْلِهِمْ وَقَتْلِهِمْ وَحَبْ سِهْمٍ وَنَفْيِهِمْ عَنِ الْأَوْطَانِ

كل هذا يصدر عنه أحكاما للولاية يقولون: هذا مفسد احبسه، وهذا ساع في الأرض فسادا اقتله، وهذا لا يمكن بقاءه في هذا البلد انفه. وهكذا، ونحن - والله الحمد - في عافية من هذا، لكنه في زمان المؤلف وما قبله كل ما ذكره موجود ليس من باب المبالغة.

وَتَلَاعَبُوا بِالذِّينِ مِثْلَ تَلَاعِبِ الْ حُمُرِ الَّتِي نَفَرَتْ بِلَا أَرْسَانِ

تلاعبوا بالدين مثل تلاعب الحمر التي نفرت بلا أرسان، هل رأيتم الحمر وهي نافرة بلا أرسان؟ ترفص وتتسابق لكن على غير هدى، ولا سيما الصغار منها هذه لو رأيت لعبها لتعجبت منها، فهو يقول: إنهم مثل هؤلاء الحمر التي نفرت بلا أرسان لا يمسكها أحد.

حَتَّى كَانَتْهُمْ تَوَاصَوْا بَيْنَهُمْ وَصِي بِذَلِكَ أَوَّلَ لِلثَّانِي

هذا البيت مأخوذ من قوله تعالى: ﴿أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَآغُوتٌ﴾ [الذاريات: ٥٣]، ﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجْنُونٌ﴾ [الذاريات: ٥٢] فكل الأمم التي سبقت تقول لرسولهم ساحر أو مجنون، وهل قيل للرسول هكذا؟ نعم قيل له هكذا قال الله تعالى: ﴿أَتَوَاصَوْا بِهِ﴾ يعني: هل أوصى بعضهم بعضا؟ لا، قال تعالى: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَآغُوتٌ﴾ [الذاريات: ٥٣]: الجامع بينهم هو الطغيان.

هَجَرُوا كَلَامَكَ هَجْرَ مُبْتَدِعٍ لِمَنْ قَدْ دَانَ بِالْآثَارِ وَالْقُرْآنِ

يعني: هجروا كلام الله كهجر المبتدع لمن دان بالآثار والقرآن هجرا لا يمكن أن يزول، لأنه يهجره عن دين، وهم هجروا كلام الله وذهبوا في البدع، فهجروه كهجر المبتدع لصاحب السنة.

فَكَانَتْهُ فِيمَا لَدَيْهِمْ مُصْحَفٌ فِي بَيْتِ زَنْدِيقٍ أَخِي كُفْرَانِ

نعوذ بالله، المصحف إذا كان في بيت الزنديق الكافر هل يتتفع به؟ أبدا فهم لم ينتفعوا بالوحي.

أَوْ مَسْجِدٍ بِجَوَارِ قَوْمٍ هُمُهم فِي الْفِسْقِ لَا فِي طَاعَةِ الرَّحْمَنِ

مسجد بجوار قوم فسقة ليس لهم هم إلا شرب الخمر وعزف القيان والزنا وغير ذلك من المحرمات، هل ينتفعون بهذا المسجد؟ لا. يقول:

وَخَوَاضَهُمْ لَمْ يَقْرَأُوهُ تَدْبِيرًا بَلْ لِلتَّبْرُوكِ لَا لِفَهْمِ مَعَانٍ

وهذه النقطة يقع فيها كثير من الناس اليوم لا يقرأون القرآن قراءة تدبر، ولكن قراءة تبرك وانتظار للأجر وهذا وإن كان طيباً لكن الله عز وجل يقول ﴿ كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ عَلَيْكَ مُبْرَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [ص: ٢٩] .

وعوامهم في الشبع أوفي ختمة أو تربة عوضاً لذي الأثمان

قوله: (أوفي ختمة) ختم الشئ ختماً بلغ آخره.

هذا الفائدة من إنزال القرآن، وهذا الحكمة من إنزاله هؤلاء يقرأونه تبركاً.

وأما عوامهم فإنهم يأكلون به، ويتخذون منه حرفة لشبع بطونهم؛ فيقرأونه في الخنثات أو على القبور فيشبعون به كما قال المؤلف.

على كل حال الظاهر أن الصواب وعوامهم في الشبع فلا يقرأونه إلا من أجل أن يشبعوا بطونهم، وهذا يوجد كثيراً، لو فرضنا أن شخصاً رتب غداء وعشاء لمن يقرأ القرآن تجد العوام يقرأون القرآن كثيراً كل يوم، يأتون لهذا الحوش أو البيت يقرأون القرآن من أجل الغداء أو العشاء للشبع، كذلك في ختمة يقرأون ختمة وهذه معروفة في بعض البلاد الإسلامية، الإنسان يقرأ ختمة للميت ما قرأها الله بل قرأها للعوض الذي يأخذه على هذه الختمة، أو في تربة عند القبور يؤجر بها.

هَذَا وَهُمْ حَرْفِيَةُ التَّجْوِيدِ أَوْ صَوْتِيَةُ الْأَنْعَامِ وَالْأَلْحَانِ

يعني: أنهم يقرأون القرآن بالتجويد تماماً، يقيمون حروفه ولا يقيمون معناه، أو في الأصوات صوت الأنعام والألحان، فتجده يقرأ القرآن وكأنه تلحين غناء لا كأنه كلام رب العالمين؛ لأجل أن يطربوا به من حولهم.



* قوله رَحِمَهُ اللَّهُ:

٤٦٧٨ - يَا رَبُّ قَدْ قَالُوا بِأَنَّ مَصَاحِفَ الْ

إِسْلَامِ مَا فِيهَا مِنَ الْقُرْآنِ

٤٦٧٩ - إِلَّا الْمِدَادُ وَهَذِهِ الْأُورَاقُ وَالْ

جِلْدُ الَّذِي قَدْ سُئِلَ مِنْ حَيَوَانَ

٤٦٨٠ - وَالْكَلُّ مَخْلُوقٌ وَلَسْتَ بِقَائِلٍ

أَصْلًا وَلَا حَرْفًا مِنَ الْفُرْقَانِ

٤٦٨١- إِنْ ذَاكَ إِلَّا قَوْلٌ مَخْلُوقٍ وَهَلْ

هُوَ جِبْرِيئِيلُ أَوْ الرَّسُولُ فَذَانِ

٤٦٨٢- قَوْلَانِ مَشْهُورَانِ قَدْ قَالْتَهُمَا

أَشْيَاخُهُمْ يَا مِخْنَةَ الْقُرْآنِ

٤٦٨٣- لَوْ دَاسَهُ رَجُلٌ لَقَالُوا لَمْ يَطَأْ

إِلَّا الْمِدَادَ وَكَاعِدَ الْإِنْسَانَ^(٨)

٤٦٨٤- يَا رَبُّ زَالَتْ حُزْمَةُ الْقُرْآنِ مِنْ

تِلْكَ الْقُلُوبِ وَحُزْمَةُ الْإِيمَانِ

٤٦٨٥- وَجَرَى عَلَى الْأَفْوَاهِ مِنْهُمْ قَوْلُهُمْ

مَا بَيْنَنَا لِلَّهِ مِنْ قُرْآنِ

٤٦٨٦- مَا بَيْنَنَا إِلَّا الْحِكَايَةُ عَنْهُ وَالْثَمَّ

تَغْيِيرُ ذَاكَ عِبَارَةً بِلِسَانِ

الشَّرْحُ

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

يقول المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

يَا رَبُّ قَدْ قَالُوا بِأَنَّ مَصَاحِفَ الْ

سَلَامِ مَا فِيهَا مِنَ الْقُرْآنِ

يعني: أن هؤلاء المعطلة يقولون: إن المصاحف ما فيها من القرآن .

إِلَّا الْمِدَادُ وَهَذِهِ الْأُورَاقُ وَالْ

جِلْدُ الَّذِي قَدْ سُئِلَ مِنْ حَيَوَانِ

فيقولون: إن ما بين دفتي المصحف مخلوق؛ لأنه ممداد يعني: حبر مكتوب بقلم على أوراق،

(٨) [تعقيب ٤٦٨٣] قال العلامة محمد خليل هراس:

ولو بعث المؤلف في هذه الأيام ورأى ما بلغه كتاب الله عز وجل من الهوان على أهله، وكيف عطلوا حدوده وأحكامه واتخذوه مهجوراً لا يستمدون منه نظام حياتهم ولا يعرفونه إلا في الحفلات والمآتم وإلا في اتخاذ الأحجة والتهايم لوجد أن ما كان يشكوه من أهل زمانه من امتهان القرآن لا يُعد شيئاً إذا قيس بما أحدثه أهل هذا الزمان، فإلى الله المشتكى وهو المستعان.

والقلم والمداد والأوراق مخلوقة؛ فيكون هذا الذي بيننا من القرآن كله مخلوق.

وهذا كما حكى الحافظ أبو محمد بن حزم في كتابه «الملل والنحل» قال: أخبرني علي بن حمزة الرادي الصقلي الصوفي أنه رأى بعض الأشعرية ينطح المصحف برجله، قال: فأكبرت ذلك، وقلت له: ويحك تفعل هذا الفعل بالمصحف وفيه كلام الله عز وجل . فقال لي: ويحك والله ما فيه إلا السخامي والسواد وأما كلام الله تعالى فلا أو كلام على معناه، قال أبو محمد: وكتب إلي أخو المرجي يمكن أبو المرجي علي بن زوار المصري رَحِمَهُ اللهُ أَنْ بعض ثقات إخوانه من طلاب السنن أخبروه أن رجلاً من الأشعرية قال له مشافهة على من يقولوا: ألف لعنة على من يقولوا إن الله قال: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾﴾ [الإخلاص: ١-٢] فقال: أبو محمد: بل على من ينكر أن الله تعالى قال: هذا ألف ألف لعنة، وعلى من ينكر أنه يسمع كلام الله عز وجل ويقراء كلام الله عز وجل ألف ألف لعنة تترأ عليهم من عند الله عز وجل ثم من ملائكته وأتبيائه، وجميع الصالحين من الإنس والجن، فإن قول هذه الفرقة في هذه المسألة نهاية الكفر بالله عز وجل .

مسألة : وهل الأشاعرة قريبون من هؤلاء؟

الجواب نحن نبرئ الأشاعرة من ذلك، ولكن الأشاعرة قولهم باطل في مسألة الكلام ، لكن لا ينبغي أنه إذا فعل واحد من أتباعهم مثل هذه الفعلة أن تنسب إليهم جميعاً، مع أن الواجب عليهم أن ينكروها.

وَالْكُلُّ مَخْلُوقٌ وَلَسْتَ بِقَائِلٍ أَصْلًا وَلَا حَرْفًا مِنَ الْفُرْقَانِ

يقولون: إن الله لم يقل القرآن ولم يتكلم به، وإنما هو شيء مخلوق، أو عبارة عن كلام الله أو حكاية عن كلام الله وليس هو كلام الله ، ويترتب على هذا القول - والعياذ بالله - ما سيذكره المؤلف رَحِمَهُ اللهُ قَالَ:

إِنَّ ذَاكَ إِلَّا قَوْلُ مَخْلُوقٍ وَهَلْ هُوَ جَبْرِيْلُ أَوْ الرَّسُولُ فَذَانِ قَوْلَانِ مَشْهُورَانِ قَدْ قَالْتَهُمَا أَشْيَاخُهُمْ يَا مِحْنَةَ الْقُرْآنِ

يقولون: إن القرآن مخلوق، فمن الذي قاله؟ قول جبريل على رأي، أو قول محمد على رأي، ومن المعلوم أن الله في القرآن الكريم أضاف القرآن مرة إلى قول الرسول صلى الله عليه وسلم ومرة إلى قول جبريل؛ مما يدل على أنه ليس قول محمد ولا قول جبريل على وجه الحقيقة، وإنما هو قول غيرهما؛ وذلك لأن القول الواحد لا يمكن أن يكون مقولاً لثلاثين أبداً فقال الله تعالى في سورة الحاقة: ﴿فَلَا أَقِيمُ بِمَا بُتِّحُونَ ﴿٢٨﴾ وَمَا لَا بُتِّحُونَ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٣٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ﴿٣١﴾﴾ [الحاقة: ٢٨-٣٠] من المراد بالرسول هنا؟ محمد ﷺ ؛ لأنه قال: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ﴾. وقال الله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾﴾ [التكوير: ١٩-٢٠] من المراد بالرسول؟

جبريل، فأضاف القرآن إلى هذا وهذا ، إذاً ليس قول هذا ولا هذا؛ لأن المقول الواحد لا يكون للقائلين فمن القائل؟ الله ، لكن أضيف إلى جبريل باعتباره مبلغاً له لرسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى رسول الله باعتباره مبلغاً له إلى الأمة

هؤلاء المعطلة الذين أنكروا كلام الله يقولون: إنه يُضاف إلى جبريل على أنه هو الذي ابتدأه، أو إلى الرسول على أنه هو الذي ابتدأه ، وإذا أضيف إلى هذا أو هذا صار مخلوقاً؛ لأن كلام المخلوق مخلوق.

لَوْ دَاسَهُ رَجُلٌ لَقَالُوا لَمْ يَطَأْ إِلَّا الْمِدَادَ وَكَاعْدَ الْإِنْسَانِ

يعني: لو أن أحداً أتى بالمصحف وداسه بقدمه، قالوا لا يكفر؛ لأنه ما داس كلام الله وإنما داس المداد والورق ودوس المداد والورق لا شيء فيه، فانظر كيف يؤدي هذا القول الباطل إلى هذا اللازم الباطل؟ أنا أعتقد لو أن أحداً داس المصحف أمام العوام لمزقوه قبل أن يرفع قدمه عن المصحف ، ولا يمكن أن يقولوا: إن هذا الرجل لم يدس إلا الكاغد والمداد ، لكن هذا اللازم باطل ، وإذا بطل اللازم بطل الملزوم.

يَا رَبِّ زَالَتْ حُرْمَةُ الْقُرْآنِ مِنْ تِلْكَ الْقُلُوبِ وَحُرْمَةُ الْإِيمَانِ

يعني: أن هؤلاء لزم على قولهم زوال حرمة القرآن وحرمة الإيمان ، وهو واضح.

وَجَرَى عَلَى الْأَفْوَاهِ مِنْهُمْ قَوْلُهُمْ مَا بَيْنَنَا اللَّهُ مِنْ قُرْآنِ

مَا بَيْنَنَا إِلَّا الْحِكَايَةُ عَنْهُ وَالْثَغْيِيرُ ذَاكَ عِبَارَةٌ بِلِسَانِ

المعطلة الذين ينكرون كلام الله انقسموا ثلاث أقسام: قسم قالوا: إنه مخلوق، وقسم آخروا قالوا: إنه غير مخلوق، لكن ما في المصحف عبارة عنه، وقسم ثالث قالوا: ليس بمخلوق، وما في المصحف حكاية عنه، فالعبارة للأشاعرة ، والحكاية للكلائية، والقول الأول قول المعتزلة الذين يقولون: إن القرآن مخلوق لا ينسب إلى الله على أنه صفة من صفاته، بل ينسب إليه على أنه خلق من مخلوقاته، كما نسبت الناقة والبيت إلى الله، وبهذا نعرف أنه من هذه الناحية يكون المعتزلة خيراً من الأشعرية ومن الكلائية يقول رَحِمَهُ اللهُ:

مسألة: ماهو الفرق بين العبارة والحكاية؟

العبارة معناها: إن الله خلق هذا لتعبر عما في نفسه، والحكاية كأنهم وصلوا إلى ما في نفس الله عز وجل ولكنه حكى، كما يقال: فلان يحكي فلاناً وفلان يحكي فلاناً، يعني: يضاويه كأن هذا المسموع يحكي ما في نفس الله عز وجل ، والفرق بينهما فرق دقيق ، لكن العبارة: يعني أبعد عن

كونه كلام الله من القول بأنه حكاية الحكاية أقرب ، لكن كلها أقوال باطلة .

إذًا الثلاثة أقوال التي قبلت في كلام الله عزوجل هي :

أولاً: المعتزلة يقولون: إن القرآن كلام الله حقيقة ، لكنه مخلوق وأضيف إلى الله إضافة مخلوق إلى خالقه، كما أضيف بيت الله إلى الله وهو مخلوق، وأضيفت ناقة الله وهي مخلوقة .

ثانياً: الأشعرية يقولون: هذا المصحف ليس كلام الله، بل هو عبارة عنه واتفق الجميع على أنه مخلوق، فالمعتزلة يقولون: مخلوق ، والأشاعرة يقولون: مخلوق هو القرآن .

ثالثاً: الكلابية أيضاً يقولون: إنه مخلوق ، وليس هو كلام الله بل هو حكاية عنه، وكلها أقوال باطلة .



* قوله رَحِمَهُ اللهُ:

٤٦٨٧- هَذَا وَمَا التَّالُونَ عَمَّالاً بِهِ

إِذْ هُمْ قَدِ اسْتَعْنَوْا بِقَوْلِ فُلَانٍ

٤٦٨٨- إِنْ كَانَ قَدْ جَاَزَ الْحَنَاجِرَ مِنْهُمْ

فَبَقَدْرٍ مَا عَقَلُوا مِنَ الثُّزَّانِ

٤٦٨٩- وَالْبَاحِثُونَ فَقَدُّمُوا رَأْيَ الرَّجَا

لِ عَلَيْهِ تَضْرِيحًا بِلَا كِتْمَانِ

٤٦٩٠- عَزَلُوهُ إِذْ وَلَّوْا سِوَاهُ وَكَانَ ذَا

كَ الْعَزْلُ قَائِدَهُمْ إِلَى الْخِذْلَانِ

٤٦٩١- قَالُوا وَلَمْ يَحْضُلْ لَنَا مِنْهُ يَقِي

نَّ فَهُوَ مَعْرُزٌ عَنِ الْإِيقَانِ

٤٦٩٢- إِنَّ الْيَقِينَ قَوَاطِعَ عَقْلِيَّةَ

مِيزَانُهَا هُوَ مَنْطِقُ الْيُونَانِ

٤٦٩٣- هَذَا دَلِيلُ الرَّفْعِ مِنْهُ وَهَذِهِ

أَعْلَامُهُ فِي آخِرِ الْأَزْمَانِ

٤٦٩٤- يَا رَبِّ مَنْ أَهْلُوهُ حَقًّا كَيْ تُرَى

أَقْدَامَهُمْ مِنَّا عَلَى الْأَذْقَانِ

٤٦٩٥- أَهْلُوهُ مَنْ لَا يِرْتَضِي مِنْهُ بَدِي

لَا فَهُوَ كَافِيهِمْ بِلَا نُقْضَانِ

٤٦٩٦- وَهُوَ الدَّلِيلُ لَهُمْ وَهَادِيهِمْ إِلَى الْ

إِيْمَانِ وَالْإِيْقَانِ وَالْعِرْفَانِ

٤٦٩٧- هُوَ مُوَصَّلٌ لَهُمْ إِلَى دَرْكِ الْيَقِيْدِ

مِنَ حَقِيْقَةِ وَقَوَاطِعِ الْبُرْهَانِ

٤٦٩٨- يَا رَبِّ نَحْنُ الْعَاجِزُونَ بِحُبِّهِمْ

يَا قَلَّةَ الْأَنْصَارِ وَالْأَغْوَانِ

الشَّرْحُ

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

يقول المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

هَذَا وَمَا التَّالُونَ عُمَالًا بِهِ إِذْ هُمْ قَدِ اسْتَعْتَنُوا بِقَوْلِ فُلَانٍ

يعني: هؤلاء الذين يتلون الكتاب ويصفون بأنه مخلوق ليتهم اقتصروا على هذا بل إنهم لا يعملون به، وإنما يعملون بقول فلان وفلان؛ فجنوا عليه جنائتين: أولاً: في أصله، والثاني: في تطبيقه، يقول:

إِنْ كَانَ قَدْ جَاَزَ الْحَاجِرَ مِنْهُمْ فَيَقْدِرُ مَا عَقَلُوا مِنَ الْقُرْآنِ

يعني: إن كان القرآن قد جاوز حناجرهم فإن ما يجاوز حناجرهم من القرآن ما عقلوا منه أما العمل فالعمل لا فإنه لا يصلح، فهم يشبهون من بعض الوجوه الخوارج، بل مر علينا في كلام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ أنهم أشد من الخوارج؛ لأن الخوارج إنما يكفرون بالمعاصي، وأهل التعطيل يكفرون باتباع السنة فيقولون: إن المثبتة كلهم كفار. ومر علينا أيضًا في نفس الفصل أنهم يستحلون دماءهم وقتلهم، فيقول ابن القيم: الخوارج أهون منهم؛ لأن الخوارج لا يكفرون إلا أهل المعاصي، وأنتم تكفرون أهل التوحيد والإيمان؛ وثانيًا: الخوارج إنما خرجوا على من عصى الله، فهم خارجون على المعاصي نفسها يريدون أن تزول من الأرض، وأنتم خرجتم على السنة،

تريدون أن تمحووا السنة من الأرض، نسأل الله العافية، قال :

وَالْبَاحِثُونَ فَقَدَّمُوا رَأْيَ الرَّجَا لِ عَلَيْهِ تَضْرِيحًا بِلَا كِتْمَانِ

الباحثون يعني: أهل البحث منهم ، صرحوا بأن آراء الرجال مقدمة على القرآن.

عَزَلُوهُ إِذْ وَلَّوْا سِوَاهُ وَكَانَ ذَا كُ الْعَزْلُ قَائِدَهُمْ إِلَى الْخِذْلَانِ

عزلوا القرآن لما ولوا غيره، فما هو الذي ولوا؟ آراء الرجال والعقول؛ لأن أهل التعطيل يرجعون في إثبات الصفات ونفيها إلى العقل فيقولون: ما أثبتته العقل أثبتناه وما لا فلا.

قَالُوا وَلَمْ يَخْضُلْ لَنَا مِنْهُ يَقِينٌ — فَهُوَ مَعْرُوزٌ عَنِ الْإِيقَانِ

يقولون: القرآن دلالته ظنية ليست قطعية، والعقائد لا تثبت بالظن ، ودلالة العقول التي يدعون أنها عقول عندهم قطعية، والعجب أنهم يقولون: إن دلالة العقول قطعية، مع أنهم يختلفون فيها اختلافًا كثيرًا، فهل اليقيني يمكن يأتيه الخلاف؟ اليقيني ما فيه اختلاف ، فإذا قيل هذه شمعة ما فيها اختلاف، فدلالة القرآن عندهم ظنية ودلالة العقول - التي هم فيها مضطربون اضطرابًا عظيمًا قطعية سبحانه الله - كذب وافتراء والعياذ بالله - ولكن كما قال تعالى: ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ [الكهف: ٥٠] فهم يقولون هذا .

قَالُوا وَلَمْ يَخْضُلْ لَنَا مِنْهُ يَقِينٌ — فَهُوَ مَعْرُوزٌ عَنِ الْإِيقَانِ

إن اليقين قواطع عقلية.

إِنَّ الْيَقِينَ قَوَاطِعٌ عَقْلِيَّةٌ مِيزَانُهَا هُوَ مَنْطِقُ الْيُونَانِ

هذا الميزان عندهم منطق اليونان الذي هو علم المنطق، يقول شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ فِي كِتَابِهِ «الرد على المنطقيين»: كنت أظن دائمًا أن المنطق اليوناني لا ينتفع به البليد ولا يحتاج إليه الذكي، إذا لا فائدة منه؛ فالذكي يستغني بذكائه عنه، والبليد لو يرده أثناء الليل والنهار ما استفاد منه، إذا فهو مضیعة وقت ، ثم يقول:

هَذَا دَلِيلُ الرَّفْعِ مِنْهُ وَهَذِهِ أَعْلَامُهُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ

يعني يقول: إن إعراض الناس عن القرآن من آيات أو من علامات رفعه في آخر الزمان؛ لأنه في آخر الزمان يُرفع هذا القرآن - نسأل الله أن لا يدركنا هذا الزمان - يُرفع من المصاحف ومن الصدور احترامًا له وتعظيمًا له؛ حيث يعرض الناس عنه إعراضًا كليًا، وهذا في عهد ابن القيم وهو في القرن الثامن، فكيف بعهدنا نحن الآن؟! فأيات رفع القرآن الآن كثيرة جدًا وهذا كما أنه في آخر الزمان يسלט على الكعبة رجل من الحبشة ليس فيه خير أفحت قصير يسלט عليها يقوم عليها ينقضها حجرًا حجرًا، ولا يأتيه شيء مما أتى أصحاب الفيل، فمع قوتهم دُمروا عن آخرهم لكن في آخر

آخر الزمان تَنْتَهَكَ الكعبة، ويكون تعظيمها تعظيماً ظاهرياً أما باطناً فحَدَّثَ ولا حرج .

والآيات الآن - آيات هدم الكعبة - قد تكون ظاهرة كلما كثر الفسق في مكة والفجور، فهذا من علامات قرب هدمها - نسأل الله السلامة - لأن الله عز وجل يغار لبيته أن يكون عنده من لا يحترمه ولا يعظمه إلا بالظاهر، فالظاهر ما فيه فائدة، وعمارة المسجد الحرام بطاعة الله عز وجل، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْزَّمُ مَسْجِدَ اللَّهِ مَن ءَامَرَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَحْشَ إِلَى اللَّهِ﴾ [التوبة: ١٨] فالحاصل أن ابن القيم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يقول: إن علامات وأدلة رفع القرآن هو إعراض الناس عنه.

يَا رَبِّ مَنْ أَهْلُوهُ حَقًّا كَيْ يَرَى أَقْدَامَهُمْ مِّنَّا عَلَى الْأَذْقَانِ

يعني: إذا كُنَّا أهلهم فستكون أقدامنا على أذقانهم، والأذقان: جمع ذَقْن وهي مجمع اللحية: أي: أننا سنعدو عليهم ونغلبهم إذا كنا أهلهم

أَهْلُوهُ مَنْ لَا يَزْتَضِي مِنْهُ بَدِيءٌ لَا فَهْوَ كَافِيهِمْ بِإِلَّا نَقْضَانَ

هؤلاء أهل القرآن الذين لا يرضون به بديلاً لا في الأمور العقديّة ولا في الأمور التعبدية ولا في الأمور العملية، فالذين يحكّمون القوانين الوضعية: قانون فرنسا أو انجلترا أو أمريكا أو غيرها وهؤلاء رضوا بديلاً عن القرآن، لكن ما هو البديل؟ هذه القوانين؛ لأن القرآن كتاب هادٍ في العقيدة وفي السلوك وفي العبادة وفي المعاملات وفي كل شيء، فمن خرج عنه ورضي عنه بديلاً فقد أخذ بحظ وافر بحسب إعراضه عن القرآن، قال:

وَهُوَ الدَّلِيلُ لَهُمْ وَهَادِيهِمْ إِلَى الْإِيمَانِ وَالْإِيقَانِ وَالْعِزْفَانِ

هُوَ مُوَصَّلٌ لَهُمْ إِلَى ذِكْرِ الْيَقِينِ مِنَ حَقِيقَةِ وَقَوَاعِ الْبُرْهَانِ

ولذلك كلما قوي إيمان الإنسان بالقرآن فتح الله له من أدلته من اليقين ما لا يجده في أي كتاب آخر؛ ولهذا أنا أحثكم ونفسي على الحرص التام على القرآن تلاوةً وتدبراً وعملاً به، وجرب نفسك ارجع للقرآن في هذه الأمور، وانظر ماذا سيحصل لقلبك من الإيمان وانسراح الصدر ونور القلب ونور الوجه، هذا شيء مجرب، وبقدر إعراضك عن هذا القرآن الكريم ستتخلف عنك هذه الثمرة العظيمة الجميلة .

يَا رَبِّ نَحْنُ الْعَاجِزُونَ بِحُبِّهِمْ يَا قَلَّةَ الْأَنْصَارِ وَالْأَعْوَانِ

يقول - وما أجمل اعتذار المؤلف في البيت الأخير إلى ربه بعجزه عن القيام بحق القرآن مع حبههم ومع قلة الأنصار والأعوان على ذلك - يقول:

(يا رب نحن العاجزون بحبهم). يعني: إننا عاجزون مع أننا نحبك، فهي من باب إضافة المصدر إلى فاعله، يعني: نحن العاجزون مع محبتنا لك .

يا قلة الأنصار والأعوان، وليس الضمير في قوله: بحبهم. يعود إلى أهل التعطيل لأننا لا نحب أهل التعطيل، لكن يقول نحن العاجزون مع محبتهم لك يا رب يا قلة الأنصار والأعوان.



* قوله رَحِمَ اللهُ:

فصل

في أذان أهل السنة الأعلام بصريحتها
جهرًا على رءوس منابر الإسلام

٤٦٩٩- يا قَوْمَ قَدْ حَانَتْ صَلَاةُ الْفَجْرِ فَاذْ

تَبَّهُوا فَاِنِّي مُغْلِبٌ بِأَذَانِ

٤٧٠٠- لَا بِالْمُلْحَنِ وَالْمُبَدَّلِ [ذَاكَ] بَلْ

تَأْذِينِ حَقِّي وَاضِحِ التَّيْيَانِ

٤٧٠١- وَهُوَ الَّذِي حَقًّا إِجَابْتُهُ عَلَى

كُلِّ امْرِيٍّ فَرَضَ عَلَى الْأَعْيَانِ

٤٧٠٢- اللهُ أَكْبَرُ أَنْ يَكُونَ كَلَامُهُ أَلْ

عَرَبِيٍّ مَخْلُوقًا مِنْ الْأَكْوَانِ

٤٧٠٣- وَاللهُ أَكْبَرُ أَنْ يَكُونَ رَسُولُهُ أَلْ

مَلَكِيٍّ أَنْشَأَهُ عَنِ الرَّحْمَنِ

٤٧٠٤- وَاللهُ أَكْبَرُ أَنْ يَكُونَ رَسُولُهُ أَلْ

بَشَرِيٍّ أَنْشَأَهُ لَنَا بِلِسَانِ

٤٧٠٥- هَذِي مَقَالَاتٌ لَكُمْ يَا أُمَّةَ التَّ

تَشْبِيهِ مَا أَنْتُمْ عَلَى إِيْمَانِ

٤٧٠٦- شَبَّهْتُمْ الرَّحْمَنَ بِالْأَوْثَانِ فِي

عَدَمَ الْكَلَامِ وَذَاكَ لِلأَوْثَانِ
٤٧٠٧- مِمَّا يَدُلُّ بِأَنَّهَا لَيْسَتْ بِأَ

لِهَةِ وَذَا الْبُزْهَانِ فِي الْقُرْآنِ
٤٧٠٨- فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ مَعَ طَهٍ وَثَا

لِيَهَا فَلَا تَعْدِلْ عَنِ الْفُرْقَانِ
٤٧٠٩- أَفْضَحَ أَنَّ الْجَاحِدِينَ لِكُونِهِ

مُتَكَلِّمًا بِحَقِيقَةٍ وَيَبِيَانِ
٤٧١٠- هُمْ أَهْلُ تَعْطِيلٍ وَتَشْبِيهِ مَعًا

بِالْجَمَادَاتِ عَظِيمَةِ التَّقْصَانِ

الشَّرْحُ

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

يقول المؤلف رَحِمَهُ اللهُ: فصل في أذان أهل السنة الإعلام بصريحها: أي بصريح السنة،
جهراً على رءوس منابر الإسلام، وهذا واجب على أهل السنة أن يعلنوا السنة صريحة في
كل مكان، ولا سيما في الأماكن التي تخفى فيها السنة.

يا قوم قَدْ حَانَتْ صَلَاةُ الْفَجْرِ فَأَنْتُمْ تَتَّبِعُونَهَا فَإِنِّي مُغْلِبٌ بِأَذَانِ

وخص صلاة الفجر لسببين: السبب الأول: أنها تأتي بعد النوم، والسبب الثاني: أن بها يلوح
النهار ويتبين الإبصار.

قوله: (لا بالملحن) يعني: معلن بأذان موافق للشريعة لا بالملحن، يعني: المطرب به ولا
المبدل المغيّر

لَا بِالْمُلْحَنِ وَالْمُبَدِّلِ [ذَلِكَ] بَلْ تَأْذِينُ حَقِّ وَاضِحِ التَّبْيَانِ

وَهُوَ الَّذِي حَقًّا إِجَابَتْهُ عَلَيَّ كُلِّ امْرئٍ فَرَضَ عَلَيَّ الْأَعْيَانِ

وهو الضمير يعود على هذا الأذان الذي يؤذن به المؤلف، وهو الأذان بالسنة، أي: الإعلان
بها، وإجابته فرض على كل امرئ ثم بدأ بالأذان، فقال:

اللَّهُ أَكْبَرُ أَنْ يَكُونَ كَلَامُهُ أَلْ- عَرَبِي مَخْلُوقًا مِنَ الْأَكْوَانِ

كما قاله الجهمية والمعتزلة والأشاعرة والكلابية .

وَاللَّهُ أَكْبَرُ أَنْ يَكُونَ رَسُولُهُ أَلْ - مَلَكِي أَنْشَأَهُ عَنِ الرَّحْمَنِ

كما يقوله هؤلاء يقولون: إن الصوت صوت جبريل، والله عز وجل ليس له صوت، ويقول آخرون: بل هو صوت محمد؛ ولهذا قال:

وَاللَّهُ أَكْبَرُ أَنْ يَكُونَ رَسُولُهُ أَلْ - بَشَرِي أَنْشَأَهُ لَنَا بِلِسَانِ

هَذِي مَقَالَاتٍ لَكُمْ يَا أُمَّةَ الثَّ - تَشْبِيهِ مَا أَنْتُمْ عَلَى إِيْمَانِ
قوله: يا أمة التشبيه يعني: الذين فروا على زعمهم من التشبيه، فعطلوا صفات الله عز وجل، فقالوا: إن الله لا يتكلم.

سَبَّهْتُمْ الرَّحْمَنَ بِالْأَوْثَانِ فِي - عَدَمِ الْكَلَامِ وَذَاكَ لِلْأَوْثَانِ

فقلتم: إن الله لا يتكلم.

يعني: الأوثان هي التي في الجهاد لا تتكلم، أما الرب عز وجل فإنه مريد متكلم .

مِمَّا يَدُلُّ بِأَنَّهَا لَيْسَتْ بِأَ - لِهَةِ وَذَا الْبُرْهَانِ فِي الْقُرْآنِ

يعني: كونها لا تتكلم دليل على أنها ليست بألهة؛ لأنها لو كانت آلهة لنطقت؛ ولذلك يقول:

فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ مَعَ طَهٍ وَثَا - لِيهَا فَلَا تَعْدِلُ عَنِ الْفُرْقَانِ

فهي موجودة في سورة الأعراف وفي سورة طه، ففي سورة الأعراف قال تعالى: ﴿ وَأَخَذَ قَوْمٌ

مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجَلًا جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ ﴾ [الأعراف: ١٤٨] فاستدل

بعدم تكليمه على عدم صلاحيته للألوهية الثاني في سورة طه في قوله تعالى: ﴿ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجَلًا

جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ ﴾ [طه: ٨٨] وقوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴾

[طه: ٨٩] والثالثة في سورة مريم في قوله تعالى: ﴿ تَنَادَتِ لَيْلٌ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ ﴾ [مريم: ٤٢]

وفي سورة الأنبياء قال إبراهيم: ﴿ فَسْتَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ﴾ [الأنبياء: ٦٣]، فاستدل

بعدم نطقهم على أنهم لا يصلحوا أن يكونوا إلهًا فهذه ثلاث مواضع .

وقوله: ﴿ فَسْتَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ﴾ يعني: الأصنام، إذا استدل الله عز وجل على أن

الأصنام لا تصلح أن تكون إلهًا بعدم الكلام، هم يقولون: إن الله لا يتكلم فشبوه بالأصنام.

أَفْصَحُ أَنَّ الْجَا حِدِينَ لِكُونِهِ - مَتَكَلِّمًا بِحَقِيقَةٍ وَيَبَانَ

هُمُ أَهْلُ تَعْطِيلٍ وَتَشْبِيهِ مَعَا - بِالْجَامِدَاتِ عَظِيمَةِ التَّقْضَانِ

أفصح أنهم هم أهل التعطيل والتشبيه، فالعبارة واضحة، أما أفصح أو أفصح فهذا غير

صحيح، ولو قال: أفصح كونهم هم أهل التعطيل ما يستقيم، فالاستفهام أفصح .

أفصح بأن الجاحدين لكونه متكلمًا بحقيقة وبيان

قوله: (بحقيقة) متعلق بصح، يعني: صح على وجه الحقيقة والبيان هم أهل تعطيل وتشبيه فهم الحقيقة قال: لا نقول ويتكلم؛ لأننا نشبهه بالحوادث، نقول: أنتم الآن شبهتموه بالجادات و بالأصنام وبالأوثان، وعطلتموه عن كماله بالكلام.



* قوله رَحِمَهُ اللهُ:

٤٧١٠ - هُم أَهْلُ تَعْطِيلٍ وَتَشْبِيهِ مَعًا

بِالْجَمَادَاتِ عَظِيمَةِ التَّقْصَانِ

٤٧١١ - لَا تَقْذِفُوا بِالذَّاءِ مِنْكُمْ شِيعَةَ الزُّ

رَحْمَنِ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْعِرْفَانِ

٤٧١٢ - إِنَّ الَّذِي نَزَلَ الْأَمِينَ بِهِ عَلَى

قَلْبِ الرَّسُولِ الْوَاضِحِ الْبُرْهَانِ

٤٧١٣ - هُوَ قَوْلُ رَبِّي اللَّفْظُ وَالْمَعْنَى جَمِي

عًا إِذْ هُمَا أَخَوَانِ مُضْطَجِبَانِ

٤٧١٤ - لَا تَقْطَعُوا رَحِمًا تَوَلَّى وَضَلَّهَا الزُّ

رَحْمَنِ تَنْسَلِحُوا مِنَ الْإِيمَانِ

٤٧١٥ - وَلَقَدْ شَفَانَا قَوْلُ شَاعِرِنَا الَّذِي

قَالَ الصَّوَابُ وَجَاءَ بِالْإِحْسَانِ

٤٧١٦ - (إِنَّ الَّذِي هُوَ فِي الْمَصَاحِفِ مُثَبَّتٌ

بِأَنَامِلِ الْأَشْيَاحِ وَالشُّبَّانِ

٤٧١٧ - هُوَ قَوْلُ رَبِّي آيَهُ وَحُرُوفُهُ

وَمِدَادُنَا وَالرَّقُّ مَخْلُوقَانِ

الشَّرْحُ

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

يقول المؤلف رَحِمَهُ اللهُ: أفصح بعد هذا البيان الواضح أن أهل التعطيل هم هؤلاء المنكرين للكلام وهم أهل التعطيل والتشبيه، وجواب الاستفهام؟ نعم صح أن هم أهل التعطيل، وهم أهل التشبيه نعم شبهوه بماذا؟

هُمُ أَهْلُ تَعْطِيلٍ وَتَشْبِيهِ مَعَا الْجَاهِدَاتِ هِيَ الَّتِي لَا تَتَكَلَّمُ ثُمَّ ، قَالَ:

لَا تَقْدِفُوا بِالذَّاءِ مِنْكُمْ شِيعَةَ الزُّ رَحِمَنَ أَهْلَ الْعِلْمِ وَالْعِرْفَانِ

لما صح أنهم هم أهل التشبيه هم الآن يقذفون أهل السنة، بالتشبيه يقولون: إننا مشبهة، فيقول: لا تقذفوا أهل السنة بدائمكم أنتم المشبهة؛ لأنكم شبهتموه بالجاهدات، ثم قال:

إِنَّ الَّذِي نَزَلَ الْأَمِينُ بِهِ عَلَى ذَقَلْبِ الرَّسُولِ الْوَاضِحِ الْبُرْهَانِ

هو قول ربي، والذي نزل به الأمين على قلب محمد صلى الله عليه وسلم هو القرآن، يقول: هُوَ قَوْلُ رَبِّي اللَّفْظُ وَالْمَعْنَى جَمِيْعًا إِذْ هُمَا أَخَوَانِ مُضْطَجِعَانِ

وأراد بذلك الرد على الأشاعرة الذين قالوا: إن القرآن هو المعنى، وأما اللفظ فليس كلام الله، وإنما هو عبارة عن كلام الله عز وجل، فكلام الله هو المعنى، أما نحن فنؤمن بأن كلام الله هو اللفظ والمعنى، يقول:

لَا تَقْطَعُوا رَحِمًا تَوَلَّى وَضَلَّهَا الزُّ رَحِمَنُ تَنْسَلِخُوا مِنَ الْإِيْمَانِ

ما هو الرحم؟ الارتباط بين اللفظ والمعنى. فأنتم فرقتم بينهما فقلتم: اللفظ لفظ الملك أو اللفظ الرسول محمد، والمعنى قول الله وهذا لا يصلح.

وَلَقَدْ شَفَانَا قَوْلُ شَاعِرِنَا الَّذِي قَالَ الصَّوَابَ وَجَاءَ بِالْإِحْسَانِ

(شفانا) أي: أزال علتنا وأبرأنا من المرض، (قول شاعرنا الذي قال الصواب) وهو القحطاني رَحِمَهُ اللهُ قال الصواب، (وجاء بالإحسان)، فماذا قال؟ قال:

إِنَّ الَّذِي هُوَ فِي الْمَصَاحِفِ مُثَبَّتٌ بِأَنَامِلِ الْأَشْيَاحِ وَالشُّبَّانِ

هُوَ قَوْلُ رَبِّي آيَهُ وَخُرُوفُهُ وَمِدَادُنَا وَالرَّقُّ مَحْلُوقَانِ

وهذا التفصيل هو مذهب أهل السنة والجماعة، فالذي في المصاحف مثبت بأنامل الأشياخ، ففي الأول كانت المصاحف تكتب باليد بأنامل الأشياخ الكبار والشبان الصغار.

هُوَ قَوْلُ رَبِّي آيَهُ وَخُرُوفُهُ وَمِدَادُنَا وَالرَّقُّ مَخْلُوقَانِ

فهنا إذا قال قائل: هل القرآن المكتوب في هذا الكتاب مخلوق أو لا؟ الجواب نقول: أما المكتوب فليس بمخلوق، وأما المداد (الحبر) والرق (الورق) فهما مخلوقان، وكذلك اليد التي كتبت مخلوقة، كذلك مثل إذا قرأ قارئ فقالوا: ما تقول في هذه القراءة مخلوقة أم غير مخلوقة؟ أقول: أما المقروء فغير مخلوق؟ وأما القارئ وصوته وآلة الصوت من اللسان والشففتين فهي مخلوقة، وهذا التفصيل تزول به الشبهات، فإن قال قائل: إن الإمام أحمد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: من قال لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي، ومن قال غير مخلوق فهو مبتدع، فأنكر القولين جميعاً. نقول: إن الإمام أحمد رَضِيَ اللَّهُ بَيْنَ أَنْ قَوْلَهُ: من قال لفظي بالقرآن مخلوق يعني به القرآن كما جاء في الرواية الأخرى، عنه قال: من قال لفظي بالقرآن مخلوق يعني به القرآن فهو جهمي وأما من قال: غير مخلوق فهو مبتدع؛ لأن السلف لم يقولوا هذا، وكان الإمام أحمد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حريصاً على ما جاء عن السلف، فلا يتعداه ولا يتجاوزها، إذن من قال: لفظي بالقرآن مخلوق نقول: أخطأ. ومن قال: غير مخلوق. أخطأ، بل يفصل، فإن أراد باللفظ الملفوظ به فهو غير مخلوق، وإن قال: مخلوق فهو جهمي. وإن أراد باللفظ التلفظ الذي هو فعل المتلفظ فهو مخلوق.



* قَوْلُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

٤٧١٨ - وَاللَّهُ أَكْبَرُ مَنْ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى

لَكَتُّهُ اسْتَوَى عَلَى الْأَكْوَانِ

٤٧١٩ - وَاللَّهُ أَكْبَرُ ذُو الْمَعَارِجِ مَنْ إِلَيْهِ

تَعْرُجُ الْأَمْلاكُ كُلُّ أَوَانٍ

٤٧٢٠ - وَاللَّهُ أَكْبَرُ مَنْ يَخَافُ جَلَالَهُ

أَمْلاكُهُ مِنْ فَوْقِهِمْ بَيَانٍ

٤٧٢١ - وَاللَّهُ أَكْبَرُ مَنْ غَدَا لِسَرِيرِهِ

أَطُّ بِهِ كَالرَّحْلِ لِلرُّكْبَانِ

٤٧٢٢ - وَاللَّهُ أَكْبَرُ مَنْ أَنَا قَوْلُهُ

مِنْ عِنْدِهِ مِنْ فَوْقِ سِتِّ ثَمَانٍ

٤٧٢٣- نَزَلَ الْأَمِينُ بِهِ بِأَمْرِ اللَّهِ مِنْ

رَبِّ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى الرَّحْمَنِ

٤٧٢٤- وَاللَّهُ أَكْبَرُ قَاهِرٌ فَوْقَ الْعِبَا

دِ فَلَا تَضَعُ فَوْقَيْتَهُ الرَّحْمَنِ

٤٧٢٥- مِنْ كُلِّ وَجْهِ تَلْكَ ثَابِتَةٌ لَهُ

لَا تَهْضِمُوهَا يَا أُولِي الْبُهْتَانِ

٤٧٢٦- قَهْرًا وَقَدْرًا وَاسْتِوَاءَ الذَّاتِ فَوْ

قِ الْعَرْشِ بِالْبُزْهَانِ

الشَّرْحُ

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

يقول المؤلف رَحِمَهُ اللهُ: «والله أكبر» هذا من الأذان الذي أعلنه، وقوله:

وَاللَّهُ أَكْبَرُ مَنْ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى لَكِنَّهُ اسْتَوَى عَلَى الْأَكْوَانِ

يقال: استولى على كل الأكوان، واستوى على العرش خاصة ثم أيضًا نقول: استولى على الأكوان أزلًا وأبدًا، وليس بعد أن خلق السماوات والأرض.

وَاللَّهُ أَكْبَرُ ذُو الْمَعَارِجِ مَنْ إِلَيْهِ تَعْرُجُ الْأَمْلاكُ كُلُّ أَوَانٍ

كما قال تعالى: ﴿سَأَلْنَا سَائِلُ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾ لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ ﴿٢﴾ مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ ﴿٣﴾﴾ [المعارج: ١-٣] وذي المعارج أي: صفة لله بين كونه ذي المعارج، قال: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٤].

وَاللَّهُ أَكْبَرُ مَنْ يَخَافُ جَلَالَهُ أَمْلاكُهُ مِنْ فَوْقِهِمْ بَيَانٍ

كما قال تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠] وهذا فيه إثبات العلو.

وَاللَّهُ أَكْبَرُ مَنْ عَدَا لِسَرِيرِهِ أَطُّ بِهِ كَالرَّحْلِ لِلرُّكْبَانِ

سريره يعني: عرشه فإنه قد جاء في الحديث أن له أطيًا كأطي الرحل، والأطي: ما يسمع من سرير الرحل إذا كان عليه حمل، فالبعير إذا كان عليها حمل ثقيل تجد أن رحلها يكون له صرير.

وَاللَّهُ أَكْبَرُ مَنْ أَنَا قَوْلُهُ مِنْ عِنْدِهِ مِنْ فَوْقِ سِتِّ ثَمَانٍ

قوله: (من أتانا قوله) يعني: القرآن. وقوله: (من عنده من فوق ست ثمان). كيف ست ثمان؟ السماوات سبع فإذا أضفنا إليها الكرسي والعرش لصارت ثمانياً. أما ستة فربما أراد أن يسقط السماء الدنيا من السماوات السبع، والله أعلم.

نَزَلَ الْأَمِينُ بِهِ بِأَمْرِ اللَّهِ مِنْ رَبِّ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى الرَّحْمَنُ الْأَمِينُ يعني: جبريل، وصفه الله بأنه أمين وبأنه قوي، فقال: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾﴾ [التكوير: ١٩-٢٠] وقال: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١﴾﴾ [الشعراء: ١٩٣] وبالقوة والأمانة يحصل الكمال قال تعالى: ﴿إِنَّكَ خَيْرٌ مِمَّنْ اسْتَجَبْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴿٢٦﴾﴾ [القصص: ٢٦].

وَاللَّهُ أَكْبَرُ قَاهِرٌ فَوْقَ الْعِبَادِ دَفَلَا تَصْعُ فَوْقِيَّةَ الرَّحْمَنِ أَي من كل وجه ثابتة له، يعني العلو والفوقية.

مِنْ كُلِّ وَجْهِ تَلِكُ ثَابِتَةٌ لَهُ لَا تَهْضُمُوهَا يَا أُولِي الْبُهْتَانِ أَنْ هُوَ لَاءَ هَضَمُوا الْفُوقِيَّةَ وَقَالَ: إنها ليست فوقية الذات، وإنما هي فوقية الصفة.

قَهْرًا وَقَدْرًا وَاسْتِوَاءَ الذَّاتِ فَوْقَ الْعَرْشِ بِالْبُزْهَانِ يعني: أن علو الله قهر وعلو قدر وعلو ذات؛ ولهذا قال: واستواء الذات يقصد علو الذات.



* قوله رَحِمَ اللَّهُ:

٤٧٢٧- فَبَدَاتِهِ خَلَقَ السَّمَوَاتِ الْعُلَى

ثُمَّ اسْتَوَى بِالذَّاتِ فَافْهَمَ دَانَ

٤٧٢٨- فَضَمِيرٌ فِعْلِ الْاسْتِوَاءِ يَعُودُ لِلذَّاتِ

ذَاتِ الَّتِي ذَكَرْتَ بِإِلَّا فُرْقَانِ

٤٧٢٩- هُوَ رَبُّنَا هُوَ خَالِقُ هُوَ مُسْتَوٍ

بِالذَّاتِ هَذَا كُلُّهَا بِوِزَانِ

الشَّرْحُ

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَ اللَّهُ:

هذه فائدة عظيمة يقول:

فَبَدَاتِهِ خَلَقَ السَّمَوَاتِ الْعُلَى ثُمَّ اسْتَوَى بِالذَّاتِ فَافْهَمَ دَانَ

هذا البيت يوضحه قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [يونس: ٣]، فخلق بذاته واستوى بذاته، فكل الأفعال تعود على الذات، فإذا كانت

تعود على الذات، فلماذا نفرق ونقول إنه لم يستو بذاته بل علا بقدرته ونقول خلق بذاته؟! وقال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ: (ذان) بناء على مَنْ يلزم المثني الألف ولو كان منصوباً أو مجروراً.

فَصَمِيرُ فِعْلٍ الْاِسْتِوَاءِ يَعُودُ لِلذَّاتِ الَّتِي ذَكَرْتَ بِلا فُرْقَانٍ

يعني: ضمير فعل الاستواء في قوله: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْمَرْثَى﴾ [يونس: ٣]، يعود للذات التي ذكرت بلا فرقان أين الذات التي ذكرت؟ نجدها في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى﴾ أي الرب الذي خلق.

هُوَ رَبُّنَا هُوَ خَالِقُ هُوَ مُسْتَوٍ بِالذَّاتِ هَذِي كُلُّهَا بِوِزَانٍ

هو ربنا ذاته وهو الخالق ذاته، وهو المستوي ذاته كلها بوزان.



* قوله رَحِمَهُ اللهُ:

٤٧٣٠ - وَاللَّهُ أَكْبَرُ ذُو الْعُلُوِّ الْمُطْلَقِ الـ

مَعْلُومٍ بِالْفِطْرَاتِ لِلْإِنْسَانِ

٤٧٣١ - فَعَلُوهُ مِنْ كُلِّ وَجْهِ ثَابِتٌ

فَاللَّهُ أَكْبَرُ جَلٌّ ذُو السُّلْطَانِ

٤٧٣٢ - وَاللَّهُ أَكْبَرُ مَنْ رَقَا فَوْقَ الطَّبَا

قِ رَسُولُهُ فَدَنَا مِنْ الدِّيَانِ

٤٧٣٣ - وَإِلَيْهِ قَدْ صَعِدَ الرَّسُولُ حَقِيقَةً

لَا تُتَكَبَّرُوا الْمِعْرَاجَ بِالْبُهْتَانِ

٤٧٣٤ - وَدَنَا مِنَ الْجَبَّارِ جَلٌّ جَلَالُهُ

وَ دَنَا إِلَيْهِ الرَّبُّ ذُو الْإِحْسَانِ

٤٧٣٥ - وَاللَّهُ قَدْ أَحْصَى الَّذِي قَدْ قُلْتُمْ

فِي ذَلِكَ الْمِعْرَاجِ بِالْمِيزَانِ

٤٧٣٦ - قُلْتُمْ خَيَالًا أَوْ أَكَاذِبًا أَوْ أَلـ

مِعْرَاجَ لَمْ يَخْضَلْ إِلَى الرَّخْمَنِ

٤٧٣٧- إِذْ كَانَ مَا فَوْقَ السَّمَوَاتِ الْعُلَا

رَبِّ إِلَيْهِ مُتَّهَى الْإِنْسَانِ

٤٧٣٨- وَاللَّهُ أَكْبَرُ مَنْ أَسَارَ رَسُولُهُ

حَقًّا إِلَيْهِ بِأَضْبَعِ وَبَنَانِ

٤٧٣٩- فِي مَجْمَعِ الْحَجِّ الْعَظِيمِ بِمَوْقِفِ

دُونَ الْمُعَرَّفِ مَوْقِفِ الْعُقْرَانِ

٤٧٤٠- مَنْ قَالَ مِنْكُمْ مَنْ أَسَارَ بِأَضْبَعِ

قُطِعَتْ فِعْنَدَ اللَّهِ يَجْتَمِعَانِ

الشَّرْحُ

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

يقول المؤلف رَحِمَهُ اللهُ في أذانه وإعلانه بالسنة يقول:

وَاللَّهُ أَكْبَرُ ذُو الْعُلُوِّ الْمُطَّلَقِ الْـ مَعْلُومِ بِالْفِطْرَاتِ لِلْإِنْسَانِ

وفي نسخة والإيمان، قوله: ذو العلو المطلق، يعني تام من كل وجه؛ علو الذات وعلو الصفة وعلو القدر والقهر.

فَعَلُوهُ مِنْ كُلِّ وَجْهِ ثَابِتٌ فَاللَّهُ أَكْبَرُ جَلُّ ذُو السُّلْطَانِ

وَاللَّهُ أَكْبَرُ مَنْ رَقَا فَوْقَ الطَّبَا قِي رَسُولُهُ قَدْنَا مِنَ الدِّيَانِ

هذا أيضًا فيه دليل على علو الله وهو أن الرسول ﷺ صعد إلى الله، ودنا، فهو يشير إلى قوله تعالى في سورة النجم: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ⑤ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى ⑥ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى ⑦ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ⑧ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ⑨﴾ [النجم: ٥-٩] والصواب في الآية أن قوله: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى﴾ يعود إلى جبريل؛ لأن الله لا يتدلى، بل جبريل كان بالأفق الأعلى ثم دنا من الرسول عليه الصلاة والسلام وقت الوحي؛ حتى كان قاب قوسين أو أدنى، فأوحى إلى عبد الله ما أوحى، لكن لا شك أن الرسول قَرَّبَ من الله؛ لأنه صعد إلى ما فوق السماوات السبع، ووصل إلى مكان سمع فيه صريف أقلام القضاء^(١) تكتب، وهذا المكان لم يصل إليه أحد من البشر فيها، نعلم يقول:

وَالِيهِ قَدْ صَعِدَ الرَّسُولُ حَقِيقَةً لَا تُنْكِرُوا الْمِعْرَاجَ بِالْبُهْتَانِ

وَدَنَا مِنَ الْجَبَّارِ جَلَّ جَلَالُهُ وَدَنَا إِلَيْهِ الرَّبُّ ذُو الْإِحْسَانِ
وَاللَّهُ قَدْ أَخْصَى الَّذِي قَدْ قُلْتُمْ فِي ذَلِكَ الْمِعْرَاجِ بِالْمِيزَانِ
يشير إلى أن هؤلاء القوم أنكروا عروج الرسول عليه الصلاة والسلام إلى الله؛ لأنهم ينكرون علو الله، فإذا أنكروا علو الله لزم من ذلك إنكار مَنْ يعلو إليه أو إنكار علو من يعلو إلى الله .

قُلْتُمْ خَيْالًا أَوْ أَكَاذِبًا أَوْ أَلْ - مِعْرَاجٌ لَمْ يَخْضُلْ إِلَى الرَّحْمَنِ
هذه ثلاثة أقوال منها: أنه خيال، ومن ذلك قول من قال: إنه منام، وإن الرسول لم يعرج به حقيقة، وإنما رأى في المنام، وهذه أكاذيب؛ وذلك لأن من قاعدتهم أن العقيدة لا تثبت بأخبار الأحاد، مع أن المعراج متواتر، والقرآن قد دل عليه في سورة النجم. وقالوا: إن الرسول لم يعرج إلى الرحمن، وإنما عرج إلى السماوات، وأما الرحمن فليس فوق السماوات، فالعروج ليس إلى الله، العروج إلى ما فوق السماوات، لكن ليس إلى الله: فهذه ثلاثة أقوال قالوها من أجل إنكار العلو، أي: علو الله عز وجل نسأل الله العافية.

إِذْ كَانَ مَا فَوْقَ السَّمَوَاتِ الْعُلَا رَبٌّ إِلَيْهِ مُتَّهَى الْإِنْسَانِ
وإذا لم يكن فوق السماوات رب، فعروج الرسول إلى غير الله ليشهد مثلًا السماوات وما فيها، ثم قال:

هذا أيضًا من الأدلة أن الرسول ﷺ أشار إلى الله بالأصبع والبنان، والأصبع يقولون فيها عشر لغات، والأنملة فيها تسع لغات، وضبطت هذه اللغات في بيت واحد، يعني تسع عشرة لغة في بيت واحد قال فيه الناظم:

وَهَمْزُ أَنْمَلَةٍ ثَلَاثٌ وَتَالِثَةٌ التَّسْعُ فِي أَصْبَعٍ وَاخْتِمٍ بِأَصْبُوعٍ
اختم بأصبع، وعندنا في لغة السيارات إصباح حق البطارية، لكن الظاهر ما هي لغة، فهذه عشر لغات في إصبع، وتسع لغات في أنملة.

همز أنملة ثلث فما معنى ثلث؟ الحركات الثلاث فتح كسر وضم الثالث من أنملة، وهي الميم أيضًا فيها حركات ثلاث فتلاثة في ثلاثة بتسع و«التسع في إصبع واختم بأصبع» تكن عشرة: إصبع إصبع أصْبَعُ أَصْبَعُ، وهكذا لا يُحْطَى الْإِنْسَانُ أَى وَجْهَ تَقْرَأَهُ، يَقُولُ:

فِي مَجْمَعِ الْحَقِّ الْعَظِيمِ بِمَوْقِفٍ دُونَ الْمَعْرِفِ مَوْقِفَ الْغُفْرَانِ
هذا لما نزل الرسول ﷺ وادي محسر^(١)، وخطب الناس في هذا الوادي، وهو ليس عرفة، لكنه قريب منه؛ ولهذا قال: «بموقف دون المعرف».

وقوله: (موقف الغفران). هذا نعت للمعرف لا للموقف الذي خطب فيه الرسول ﷺ، المهم أنه

(١) حسن: رواه الترمذي (٨٨٥)، وحسنه الألباني بحلته في حجاب المرأة المسلمة (٢٨).

نزل هناك وخطب خطبة عظيمة بليغة وقال للناس: «أَلَا هَلْ بَلَغْتُ؟». قالوا: نعم. فقال: «اللَّهُمَّ اشْهَدْ»^(١). يرفع أصبعه للسماء وينكثها إلى الناس ويقول: اللهم اشهد. يعني: عليهم قائلها ثلاث مرات عليه الصلاة والسلام، يقول:

مَنْ قَالَ مِنْكُمْ مَنْ أَشَارَ بِأَصْبَعٍ قَطَعْتَ فَعِنْدَ اللَّهِ يَجْتَمِعَانِ

هؤلاء المنكرون للعلو يقولون: مَنْ رَفَعَ أَصْبَعَهُ إِلَى السَّمَاءِ مَشِيرًا إِلَى عُلُوِّ اللَّهِ وَجَبَ قَطْعُهَا، وَعَلَى هَذَا فَيَجِبُ قَطْعُ أَصْبَعِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؛ لِأَنَّهُ رَفَعَهَا مَشِيرًا إِلَى عُلُوِّ اللَّهِ، يَقُولُ ابْنُ الْقَيْمِ: (فَعِنْدَ اللَّهِ يَجْتَمِعَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَخْتَصِمُونَ عِنْدَ اللَّهِ). وَذَلِكَ لِأَنَّ الْخِلَافَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ أَهْلِ الْبِدْعِ مَا هُوَ فِي الدُّنْيَا فَقَطْ بَلْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ نَخَاصِمُهُمْ، يَقُولُ اللَّهُ ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴿٣١﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ [الزمر: ٣٠، ٣١]، وَيَقُولُ: ﴿لَنْ نَنْفَعَكُمْ أَرْحَامَكُمْ وَلَا أَوْلَادَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصَلُ بَيْنَكُمْ﴾ [المتحنة: ٣]، نَحَاكِمُهُمْ، وَمِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ اللَّهَ لَنْ يَجْعَلَ لِأَهْلِ الْبَاطِلِ سَبِيلًا عَلَى أَهْلِ الْحَقِّ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ [النساء: ١٤١]، كَذَلِكَ أَيْضًا غَيْرَ الْكَافِرِينَ مِمَّنْ هُوَ عَلَى بَاطِلٍ لَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُ حَقًّا عَلَى أَهْلِ الْحَقِّ.



* قَوْلُهُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٤٧٤١ - وَاللَّهُ أَكْبَرُ ظَاهِرٌ مَا فَوْقَهُ

شَيْءٌ وَشَأْنُ اللَّهِ أَعْظَمُ شَأْنِ

٤٧٤٢ - وَاللَّهُ أَكْبَرُ عَرْشُهُ وَسِعَ السَّمَاءَ

وَالْأَرْضَ وَالْكَرْسِيَّ ذَا الْأَرْكَانِ

٤٧٤٣ - وَكَذَلِكَ الْكَرْسِيُّ قَدْ وَسِعَ الطَّبَا

قَ السَّيْبِ وَالْأَرْضِ بَيْنَ الْبُرْهَانِ

٤٧٤٤ - وَالرَّبُّ فَوْقَ الْعَرْشِ وَالْكَرْسِيُّ لَا

يُخْفَى عَلَيْهِ خَوَاطِرُ الْإِنْسَانِ

٤٧٤٥ - لَا تَحْضُرُوهُ فِي مَكَانٍ إِذْ تَقْوُ

لِوَارِثِنَا حَقًّا بِكُلِّ مَكَانٍ

(١) صحيح البخاري (١٦٥٤)، ومسلم (٢٢١).

٤٧٤٦- نَزَّهْتُمُوهُ بِجَهْلِكُمْ عَنْ عَرْشِهِ

وَخَصَرْتُمُوهُ فِي مَكَانٍ ثَانٍ

٤٧٤٧- لَا تَعْدِمُوهُ بِقَوْلِكُمْ لَا دَاخِلٌ

فِينَا وَلَا هُوَ خَارِجُ الْأَكْوَانِ

٤٧٤٨- اللَّهُ أَكْبَرُ قَدْ هَتَكَتُ سِتَارَكُمْ

وَبَدَّتْ لِمَنْ كَانَتْ لَهُ عَيْنَانِ

٤٧٤٩- وَاللَّهُ أَكْبَرُ جَلٌّ عَنْ شَبِّهِ وَعَنْ

مَثَلٍ وَعَنْ تَعْطِيلِ ذِي كُفْرَانِ

٤٧٥٠- وَاللَّهُ أَكْبَرُ مَنْ لَهُ الْأَسْمَاءُ وَالْ

أَوْصَافُ كَامِلَةٌ بِلَا نُقْصَانِ

الشَّرْحُ

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

يقول المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

وَاللَّهُ أَكْبَرُ ظَاهِرٌ مَا فَوْقَهُ شَيْءٌ وَشَأْنُ اللَّهِ أَعْظَمُ شَأْنٍ
هذا مأخوذ من قول النبي ﷺ «أَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ»^(١) يعني العالي.

وَاللَّهُ أَكْبَرُ عَرْشُهُ وَسِعَ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَالْكَرْسِيَّ ذَا الْأَرْكَانِ
إِذَنْ فَهُوَ أَكْبَرُ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَالْكَرْسِيِّ .

وَكَذَلِكَ الْكُرْسِيُّ قَدْ وَسِعَ الطَّبَاتِيقَ وَالسَّنْبَعِ وَالْأَرْضِيْنَ بِالْبُرْهَانِ

البرهان هو قوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ إِذَنْ فَعِنْدَنَا ثَلَاثَةُ أَشْيَاءَ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَسِعَهَا الْكَرْسِيُّ، وَالْكَرْسِيُّ وَسِعَهُ الْعَرْشُ فَالْعَرْشُ أَكْبَرُ الثَّلَاثَةِ، فَلَا يَقْدِرُ قَدْرَهُ إِلَّا
اللَّهُ عِزُّ وَجَلُّ .

وَالرَّبُّ فَوْقَ الْعَرْشِ وَالْكَرْسِيُّ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ خَوَاطِرُ الْإِنْسَانِ

فكيف بأفعالنا وأقوالنا إذا كانت خواطرننا لا تخفى على ربنا، فما بالك بأقوالنا وأفعالنا تكون أولى
بالعلم .

(١) صحيح: رواه ابن حبان في صحيحه ج ٣/ ص ٢٤٧ حديث رقم: ٩٦٦، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٤٢٤).

لَا تَحْضُرُوهُ فِي مَكَانٍ إِذْ تَقُورُوا رَبُّنَا حَقًّا بِكُلِّ مَكَانٍ
و هذا أحد أقوال أهل التعطيل الذين يقولون: إن الله بذاته في كل مكان؛ في المسجد وفي الحجرة
وفي البيت وفي السوق وفي الحش وفي كل مكان - قاتلهم الله - ولا ريب أن من اعتقد في ربه هذا أنه
كافر كفرًا يخرج به من الملة؛ لأنه مكذب للنصوص الصريحة الواضحة في علو الله عز وجل، ثم إنه قد
تنقص الله غاية التنقص - والعياذ بالله - بأن جعله في مكان الحشوش، فلو خاطب أحدهم ملكًا من
الملوك في الدنيا فقال: أنت في الحش. ماذا يفعل به الملك؟ يعدمه مباشرة.

نَزَّهُتُمْوهُ بِجَهْلِكُمْ عَنْ عَرْشِهِ وَحَضَرْتُمْوهُ فِي مَكَانٍ ثَانٍ
لَا تَعْدِمُوهُ بِقَوْلِكُمْ لَا دَاخِلٌ فِينَا وَلَا هُوَ خَارِجُ الْأَكْوَانِ
قالوا: الله ليس على العرش، لكنه في الحش، - أعوذ بالله -، فهم نزوهه عن العرش، ولكنهم
تنقصوه في كونه في كل مكان .

قوله: (لا تعدموه بقولكم) يعني: لا تجعلوه معدومًا. هذا رأى آخر لأهل التعطيل يقولون: ليس
الله داخل العالم، ولا خارج العالم والأولون يقولون: في كل مكان يعني: داخل العالم. ونحن نقول:
ربنا فوق السماوات ولا يخفى عليه شيء من أعمالنا، وليس داخل العالم بل هو فوق العالم .

اللَّهُ أَكْبَرُ قَدْ هَتَكَتْ سِتَارَكُمْ وَيَدَّتْ لِمَنْ كَانَتْ لَهُ عَيْنَانِ
قوله: (هتكت) يعني: مُزقت، والأستار هي التي تستترون بها، وتقولون: نحن أهل التنزيه لله هذه
الأستار قد هتكت، بما أبانه أهل السنة من الحق.

وَاللَّهُ أَكْبَرُ جَلٌّ عَنْ شَبِّهِ وَعَنْ مَثَلٍ وَعَنْ تَعْطِيلِ ذِي كُفْرَانٍ
بعدهما ذكر طائفتين متضادتين، قال: «الله أكبر جل عن شبه وعن مثل»؛ خلافاً لمن قال بالتمثيل،
فقال: (وعن تعطيل ذي الكفران). خلافاً لمن نفى الصفات، فالناس طرفان ووسط فأهل التمثيل،
أثبتوا مع التمثيل وأهل التعطيل نفوا، وأهل السنة أثبتوا بدون تمثيل قال:

وَاللَّهُ أَكْبَرُ مَنْ لَهُ الْأَسْمَاءُ وَالْأَوْصَافُ كَامِلَةً بِإِلَّا نَقْصَانِ
لما ذكر أن الله انتفى عنه الشبه والمثل، يبين أن له الكمال في أوصافه عز وجل لا يلحقه أحد في كمال
أوصافه وتامها.



* قوله رَحِمَهُ اللهُ:

٤٧٥١ - وَاللَّهُ أَكْبَرُ جَلٌّ عَنْ وَلَدٍ وَصَا

جِبَةٍ وَعَنْ كُفٍّ وَعَنْ أَخْدَانِ

٤٧٥٢- وَاللَّهُ أَكْبَرُ جَلَّ عَنْ شَبِّهِ الْجَمَا

دِ كَقَوْلِ ذِي التَّعْطِيلِ وَالْكَفْرَانِ

٤٧٥٣- هُمْ شَبَّهُوهُ بِالْجَمَادِ وَلَيْتَهُمْ

قَدْ شَبَّهُوهُ بِكَامِلِ ذِي شَانِ

٤٧٥٤- اللَّهُ أَكْبَرُ جَلَّ عَنْ شَبِّهِ الْعَبَا

دِ فِذَانِ تَشْبِيهَانِ مُمْتَنِعَانِ

٤٧٥٥- وَاللَّهُ أَكْبَرُ وَاحِدٌ صَمَدٌ فَكُلُّ

لِ الشَّأْنِ فِي صَمَدِيَةِ الرَّحْمَنِ

٤٧٥٦- نَفَتْ الْوِلَادَةَ وَالْأَبُوَّةَ عَنْهُ وَالْ

كُفُوَ الَّذِي هُوَ لَأَزِمُ الْإِنْسَانِ

٤٧٥٧- وَكَذَلِكَ أُثْبِتَتِ الصِّفَاتِ جَمِيعَهَا

لِلَّهِ سِيَالِمَةً مِّنَ التَّقْضَانِ

٤٧٥٨- وَإِلَيْهِ يَضُمُّ كُلُّ مَخْلُوقٍ فَلَا

صَمَدٌ سِوَاهُ عَزَّ ذُو السُّلْطَانِ

٤٧٥٩- لَا شَيْءَ يَشْبِهُهُ تَعَالَى كَيْفَ يَشُدُّ

بِهِ خَلْقَهُ مَا ذَاكَ فِي الْإِمْكَانِ

٤٧٦٠- لَكِنْ تُبَوِّتُ صِفَاتِهِ وَكَلَامِهِ

وَعُلُوِّهِ حَقًّا بِلَا نُكْرَانِ

٤٧٦١- لَا تَجْعَلُوا الْإِبْطَاتِ تَشْبِيهًا لَهُ

يَا فِرْقَةَ التَّشْبِيهِهِ وَالطُّغْيَانِ

٤٧٦٢- كَمْ تَزْتَقُونَ بِسَلْمِ التَّنْزِيهِهِ لِلَّهِ

تَعْطِيلِ تَرْوِجِجَا عَلَى الْعَمِيَانِ

٤٧٦٣- فَاللَّهُ أَكْبَرُ أَنْ تَكُونَ صِفَاتُهُ

كَصِفَاتِنَا جَلَّ الْعَظِيمُ الشَّانِ

٤٧٦٤- هَذَا هُوَ التَّشْبِيهِ لِأَثْبَاتٍ أَوْ

صَافِ الْكَمَالِ فَمَا هُمَا عِدْلَانِ^(١)

الشَّرْحُ

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

يقول المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

وَاللَّهُ أَكْبَرُ جَلَّ عَنْ وَلَدٍ وَصَا حِبَّةٍ وَعَنْ كُفٍّ وَعَنْ أَخْدَانٍ

قوله: (جل عن ولد) أي: تنزه وعظم، (عن ولد) ذكر أو أنثى، وقد قالت اليهود: عزيز ابن الله. وقالت: النصراني: المسيح ابن الله. وقال المشركون الملائكة بنات الله. والله عز وجل منزّه عن هذا كله، (وعن كفاء) أي: مكافئ له في أسائه وصفاته وأفعاله، وقوله (وعن أخدان) أي أصحاب.

وَاللَّهُ أَكْبَرُ جَلَّ عَنْ شَبِّهِ الْجَمَا دِ كَقَوْلِ ذِي التَّعْطِيلِ وَالْكَفْرَانِ

الله أكبر أيضًا جل عن شبه الجهاد، وأهل التعطيل شبهوه بالجهاد، فقالوا: ليس له سمع ولا بصر ولا كلام ولا فعل ولا استواء ولا نزول، فشبهوه بالجهاد.

هُمُ شَبَّهُوهُ بِالْجَمَادِ وَلَيْتَهُمْ قَدْ شَبَّهُوهُ بِكَامِلِ ذِي شَانَ

يعني: لا يتكلم ولا يفعل ولا يسمع ولا يبصر، وليتهم شبهوه بمن يتكلم كالإنسان - مثلاً - الذي فضله الله تعالى على كثير من خلق تفضيلاً، وتمني المؤلف رَحِمَهُ اللهُ هنا ليس يريد به تمني الكمال، بل هذا الذي تمناه خير من الأول فقط، يعني: ليتهم اقتصروا على أن قالوا إنه مثل الإنسان فقط بل قالوا إنه مثل الجهاد.

اللَّهُ أَكْبَرُ جَلَّ عَنْ شَبِّهِ الْعِبَا دِ فَذَانِ تَشْبِيهِانِ مُمْتَنِعَانِ

ما هما؟ تشبيهه بالجهاد وتشبيهه بالعباد الأحياء، فالله منزّه عن هذا وهذا.

وَاللَّهُ أَكْبَرُ وَاحِدٌ صَمَدٌ فَكُلُّ لُ الشَّانِ فِي صَمَدِيَةِ الرَّحْمَنِ

قوله: (الله أكبر واحد صمد) هي في القرآن قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢﴾

(١) [٤٧٦٣، ٤٧٦٤] قال العلامة محمد خليل هراس:

فليس التشبيه هو إثبات الصفات، فإن الإثبات حق لا شك فيه، وإنما التشبيه هو اعتقاد أن صفاته مثل صفات المخلوقين، بأن يقال له علم كعلمنا وقدرة كقدرتنا ويد كيدنا إلخ، فأين هذا من إثبات الكمال له حتى تجعلوها شيئاً واحداً؟ إنها شيان مختلفان، وما هما عند العاقل المنصف سيان.

[الإخلاص: ١- ٢]، وقال: ﴿لَمِنَ الْمَلِكِ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَجْدِ الْقَهَّارِ ﴿١٦﴾﴾ [غافر: ١٦] فهو واحد أحد صمد، (والشأن في صمدية الرحمن كل الشأن)؛ لأن الصمدية تعني كمال غناه عن خلقه وافتقار خلقه إليه وهذه الصمدية هي كمال غناه عن خلقه وافتقار جميع الخلق إليه ولهذا كانت كل الشأن فيها، يقول:

نَفَتِ الْوِلَادَةَ وَالْأَبُوَّةَ عَنْهُ وَالْكَفُوَ الَّذِي هُوَ لِأَزْمِ الْإِنْسَانِ
لأنه غني عنها؛ لأنه هو الأول الذي ليس قبله شيء، ولو كان له أب لكان محتاجاً إليه، والله لا يحتاج لأحد؛ لأنه لا أحد يكون ند الله عز وجل. فالإنسان لا بد له من ولادة وأبوة وأمومة ولا بد له من كفاء، وكل الناس لهم أكفاء.

وَكَذَلِكَ أُثْبِتَتِ الصِّفَاتِ جَمِيعَهَا اللَّهُ سِالِمَةً مِّنَ التَّقْصَانِ
هذا غناه، أما افتقارها إليه، فقال:

وَأَيُّهُ يَضُمُّدُ كُلُّ مَخْلُوقٍ فَلَا صَمَدٌ سِوَاهُ عَزَّ ذُو السُّلْطَانِ
إذن فالصمدية كمال غنى الله، وافتقار جميع الخلق إليه، هذه هي الصمدية.

لَا شَيْءٍ يَشْبَهُهُ تَعَالَى كَيْفَ يَشُبُّهُ خَلْقُهُ مَا ذَاكَ فِي إِمْكَانٍ
يعني: أن مشابهة الله لخلقه أمر مستحيل لا يمكن.

ويجوز في البيت: وعلوه عطفاً على ثبوت المعنى أنه عز وجل لا يشبهه أحد مع ثبوت صفاته، وعلوه على خلقه وكلامه.

لَكِنْ ثُبُوتُ صِفَاتِهِ وَكَلَامِهِ وَعُلُوُّهُ حَقًّا بِلَا نُكْرَانَ
لَا تَجْعَلُوا الْإِبْتَاتِ تَشْبِيهًا لَهُ يَا فِرْقَةَ التَّشْبِيهِ وَالطُّغْيَانَ

هؤلاء الذين عطلوا صفات الله، وزعموا أن كل من أثبت لله صفة فهو مشبه، ثم قال: وبناء على ذلك لا يجوز أن نثبت لله صفة؛ لأننا لو أثبتنا لله صفة لوقعنا في التشبيه فيلبسون على العامة ويقولون مثلاً: إذا سمع رجلاً يقول: إن الله يدين. صرخ: أعوذ بالله، شبهت: أهدت: كفرت: عبدت صنماً، يصرخ في وجهه إذا سمع العوام، يقول سيدنا، ويصفقون ورائه بذلك فهم يلبسون على العوام.

كَمْ تَرْتَقُونَ بِسُلْمِ التَّنْزِيهِ لِلَّهِ تَعْطِيلِ تَرْوِيحًا عَلَى الْعِمْيَانِ

قوله: للتعطيل. اللام بمعنى: إلى، يعني: كم ترتقون بسلم التنزيه إلى التعطيل، فتعطلون الله وتدعون أنكم تنزهونه.

فَاللَّهُ أَكْبَرُ أَنْ تَكُونَ صِفَاتُهُ كَصِفَاتِنَا جَلَّ الْعَظِيمُ الشَّانِ

نعم هو أكبر عز وجل من أن تكون صفاته كصفاتنا، فهذا هو التشبيه، يعني: أن نجعل صفات الله كصفاتنا.

هَذَا هُوَ التَّشْبِيهِ لَا إِبْتَاتُ أَوْ صَافِ الْكَمَالِ فَمَا هُمَا عَدْلَانِ

يعني: لا يستوي من أثبت لله صفات الكمال ومن أثبت لله صفات تماثل صفات المخلوقين، والله أعلم، إذن ما شرف كل الفصل هذا كله؟ أذان؛ ولهذا كلما أراد يتكلم عن مسألة قال: الله أكبر.



* قوله رَحِمَهُ اللهُ:

فصل
في تلازم التعطيل والشرك

- ٤٧٦٥- وَعَلِمَ بِأَنَّ الشِّرْكَ وَالتَّعْطِيلَ مُذْ
كَانَا هُمَا لِأَشْكَ مُضْطَجِبَانِ
- ٤٧٦٦- أَبَدًا فَكُلُّ مُعْطَلٍ هُوَ مُشْرِكٌ
حَتْمًا وَهَذَا وَاضِحُ التَّبَيِّنِ
- ٤٧٦٧- فَالْعَبْدُ مُضْطَرٌّ إِلَى مَنْ يَكْشِفُ أَلْ
بَلْوَى وَيَغْنِي فَاقَةَ الْإِنْسَانِ
- ٤٧٦٨- وَإِلَيْهِ يَضُمُّدُ فِي الْحَوَائِجِ كُلِّهَا
وَإِلَيْهِ يَفْزَعُ طَائِلًا لِأَمَانِ
- ٤٧٦٩- فَإِذَا انْتَفَتِ أَوْصَافُهُ وَفَعَالُهُ
وَعُلُوُّهُ مِنْ فَوْقِ كُلِّ مَكَانِ
- ٤٧٧٠- فَزَعِ الْعِبَادُ إِلَى سِوَاهُ وَكَانَ ذَا
مِنْ جَانِبِ التَّعْطِيلِ وَالتَّكْزِيرِ
- ٤٧٧١- فَمُعْطَلُ الْأَوْصَافِ ذَاكَ مُعْطَلُ التَّ
تَوْجِيهِ حَقًّا دَانَ تَعْطِيلَانِ
- ٤٧٧٢- قَدْ عُطِّلَا بِلِسَانِ كُلِّ الرُّسُلِ مِنْ
نُوحٍ إِلَى الْمُنْبَعُوثِ بِالْفُرْآنِ

٤٧٧٣- وَالنَّاسُ فِي هَذَا ثَلَاثُ طَوَائِفٍ

مَا رَابِعٌ أَبَدًا بِيَدِي إِمْكَانٍ

٤٧٧٤- إِخْدَى الطَّوَائِفِ مُشْرِكٌ بِالْهَيْهَةِ

فَإِذَا دَعَاهُ دَعَا إِلَهًا ثَانِي

٤٧٧٥- هَذَا وَثَانِي هَذِهِ الْأَقْسَامِ ذَا

لِكَ جَاحِدٌ يَدْعُو سِوَى الرَّحْمَنِ

٤٧٧٦- هُوَ جَاحِدٌ لِلرَّبِّ يَدْعُو غَيْرَهُ

شِزْكًَا وَتَعْطِيلًا لَهُ قَدَمَانِ

٤٧٧٧- هَذَا وَثَالِثُ هَذِهِ الْأَقْسَامِ خِي-

رُ الْخَلْقِ ذَاكَ خُلَاصَةُ الْإِنْسَانِ

٤٧٧٨- يَدْعُو الْإِلَهَ الْحَقُّ لَا يَدْعُو سِوَا

هُ قَطُّ فِي الْأَشْيَاءِ وَالْأَكْوَانِ

٤٧٧٩- يَدْعُوهُ فِي الرَّغَبَاتِ وَالرَّهَبَاتِ وَالْ

حَالَاتِ مِنْ سِرٍّ وَمِنْ إِعْلَانِ

٤٧٨٠- تَوْحِيدُهُ تَوْعَانِ عِلْمِي وَقَض-

بِدِي كَمَا قَدْ جُرِدَ التَّوَعَانِ

٤٧٨١- فِي سُورَةِ الْإِحْلَاصِ مَعَ تَالٍ لَنْض-

رِ اللَّهِ قُلْ يَا أَيُّهَا بَيِّنَانِ

٤٧٨٢- وَلِذَلِكَ قَدْ شُرِعَا بِسُنَّةِ فَجَرْنَا

وَكَذَلِكَ سُنَّةٌ مَغْرِبٍ طَرْفَانِ

٤٧٨٣- لِيَكُونَ مُفْتَتِحُ النَّهَارِ وَخَتْمُهُ

تَجْرِيهِ ذَلِكَ التَّوْحِيدَ لِلدِّيَانِ

٤٧٨٤- وَلِذَاكَ قَدْ شَرَعَا بِخَاتَمٍ وَتَرْنَا

خَثْمًا لِسُغِي اللَّيْلِ بِالْإِحْسَانِ

٤٧٨٥- وَلِذَاكَ قَدْ شَرَعَا بِرُكْعَتَيْ الطَّوَا

فِ وَذَاكَ تَحْقِيقٌ لِهَذَا الشَّانِ

٤٧٨٦- فَهُمَا إِذَا أَحْوَانٍ مُضْطَجِبَانِ لَا

يَتَفَارَقَانِ وَلَا يَسُ بِنَقِصِ الْأَنْ

٤٧٨٧- فَمُعْطَلُ الْأَوْصَافِ ذُو شِرْكَ كَذَا

ذُو الشِّرْكَ فَهُوَ مُعْطَلُ الرَّحْمَنِ

٤٧٨٨- أَوْ بَعْضُ أَوْصَافِ الْكَمَالِ لَهُ فَحَقُّ

قِسْقُ ذَا وَلَا تُسْرِعْ إِلَى نُكَرَانِ (١)

الشَّرْحُ

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

قوله: «فصل في تلازم التعطيل والشرك»، التلازم يعني: جعل الشيء لازماً للشيء، ومعلوم أن الدلالات: إما تضمن أو مطابقة أو التزام، والشيء إما مستقل وإما لازم، واللازم تابع للملزوم.

وعلم بأن الشِّرْكَ وَالتَّعْطِيلُ مُذْ كَانَا هُمَا لَا شَكَّ مُضْطَجِبَانِ

يعني: اعلم بأن الشرك والتعطيل مصطحبان، يعني: يصحب أحدهما الآخر.

أَبْدًا فَكُلُّ مُعْطَلٍ هُوَ مُشْرِكٌ ثَمَّا وَهَذَا وَاضِحٌ التَّبَيُّانِ

أي: أن المعطل مشرك، حتماً وهذا واضح التبيان، ثم شرع يبين ذلك فقال:

فَالْعَبْدُ مُضْطَرٌّ إِلَى مَنْ يَكْشِفُ الْبَلْوَ وَيُعْنِي فَاقَةَ الْإِنْسَانِ

قوله: (إلى من يكشف البلوى). يعني: يزيل الضر، وقوله: (ويعني فاقة الإنسان). يعني: يجلب

النفع، والمعني أن كل إنسان مضطر إلى من يدفع عنه الشر ويجلب له الخير.

وَالِيهِ يَضْمُدُ فِي الْحَوَائِجِ كُلِّهَا وَإِلَيْهِ يَفْرَعُ طَالِبًا لِأَمَانِ

(١) [٤٧٨٧، ٤٧٨٨] قال العلامة محمد خليل هراس:

فمعطل الأوصاف كلها أو بعضها فهو مشرك، وكذلك المشرك هو معطل، فتأمل هذا الأمر جيداً وتدبره ولا تسرع إلى إنكاره لعدم فهمك له.

قوله: (يصمد) يعني: يميل وينيب، طالباً الأمان، وعند الخوف كل العباد يفزعون إلى الله في طلب الغنى وفي إزالة الفقر وفي الحوائج كلها.

فَإِذَا انْتَفَتْ أَوْصَافُهُ وَفِعَالُهُ وَعَلَوُهُ مِنْ فَوْقِ كُلِّ مَكَانٍ

فَنَزَعَ الْعِبَادُ إِلَى سِوَاهُ وَكَانَ ذَا مِنْ جَانِبِ التَّعْطِيلِ وَالنُّكْرَانِ

يعني: إذا انتفت أوصاف الله - كما يقولون - وكان ليس سميعاً ولا بصيراً ولا غنياً ولا حميداً ولا غير ذلك من الصفات، فإلى مَنْ يفزعون؟ إلى غير الله يفزعون، وإلى مَنْ يحقق لهم المطالب، وحيثد يكونون مشركين بالله، وهذا لازم اعتقاد انتفاء الصفات عن الله وهو أن يلجأ الخلق إلى غير الله لأنهم بذلك يصيروا مشركين.

قوله: (وكان ذا من جانب التعطيل والنكران) يعني: أن بسبب التعطيل والنكران فزع العباد إلى غير الله يسألونه.

فَمُعْطَلُ الْأَوْصَافِ ذَاكَ مُعْجَلُ الثَّ تَوْجِيهِ حَقًّا ذَانَ تَغْطِيْلَانِ

يعني: أن كل معطلي الأوصاف لا شك أنهم معطلو التوحيد، وكل ومثلي الأوصاف معطلو التوحيد، فالذي يقول: إن عيسى كالرب مشرك، والذي يشبه صفات الله بصفات غيره مشرك، والمعطل هو أيضاً مشرك؛ لأنهم يحتاجون إلى مَنْ يكشف عنهم السوء، ويجلب لهم الخير لذلك يذهبون إلى غيره ويعلقون آمالهم بغيره فيشركون.

وقوله: (ذان تعطيلان) أي: تعطيل الأوصاف وتعطيل التوحيد، ثم قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

قَدْ عَطَّلَا بِلِسَانِ كُلِّ الرُّسُلِ مِنْ نُوحٍ إِلَى الْمَبْعُوثِ بِالْقُرْآنِ

يعني: أن هذا التعطيل قدما قاله الرسل من نوح إلى محمد ﷺ. أي: من أول الرسل إلى خاتمهم.

وَالنَّاسُ فِي هَذَا ثَلَاثُ طَوَائِفٍ مَا رَابِعٌ أَبَدًا بِذِي إِمْكَانٍ

إِخْدَى الطَّوَائِفِ مُشْرِكٌ بِإِلَهِهِ فَإِذَا دَعَا دَعَا إِلَهًا ثَانِي

يدعون اللات والعزى ومناة، بل ولكل قوم صنم يدعوونه ولا يدعون الله.

هَذَا وَثَانِي هَذِهِ الْأَقْسَامِ ذَا لِكَ جَا حِدُّ يَدْعُو سِوَى الرَّحْمَنِ

لا يدعو إلا إلهاً واحداً، لكنه قد جحد الله رب العالمين، وصار يدعو غيره فتوجد أمم لا تعرف الله فتدعو زعماءها؛ فالبوذيون يعبدون بوذا ولا يعرفون الله إطلاقاً فهؤلاء جاحدون، يعبدون غير الله وهذا ثاني الأقسام.

هُوَ جَا حِدُّ لِلرَّبِّ يَدْعُو غَيْرَهُ شُرَكَاءُ وَتَغْطِيْلَانِ لَهُ قَدَمَانِ

يعني: أن الشرك والتعطيل للعبد بمنزلة القدمين يسير عليهما - والعياذ بالله - إلى النار، فبئست القدمان، فالأول: مشرك يدعو إلهين، والثاني جاحد يدعو إلهاً واحداً.

هَذَا وَتَالِثُ هَذِهِ الْأَقْسَامِ خَيْبُ
رُ الْخَلْقِ ذَاكَ خُلَاصَةُ الْإِنْسَانِ
يَدْعُو إِلَهَ الْحَقِّ لَا يَدْعُو سِوَا
هُ قَطُّ فِي الْأَشْيَاءِ وَالْأَكْوَانِ
قوله: في الأشياء والأكوان.

فيه نسختان: الأولى «في الأشياء والأكوان» والثانية «في الأزمان والأكوان». يعني: الأشياء والأزمان متبادلان، ثم قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

يَدْعُوهُ فِي الرَّغَبَاتِ وَالرَّهَبَاتِ وَالْ
حَالَاتِ مِنْ سِرٍّ وَمِنْ إِعْلَانِ

يدعوه في الرغبات، يعني: فيما يرغبه من الخير، وفي الرهبات فيما يرهب من الشر، يعني: في جميع الأحوال، هذا القسم الثالث، فصار الناس ثلاثة أقسام أو ثلاثة طوائف: مَنْ يَشْرِكُ بِاللَّهِ، وَمَنْ يُوْحِدُ غَيْرَهُ، وَمَنْ يُوْحِدُ اللَّهَ، وَيُوْجِدُ قِسْمَ رَابِعٍ لَكِنَّهُ لَا عِبَادَةَ لَهُ أَصْلًا وَهُوَ الْمَلْحَدُ الَّذِي لَا يَعْبُدُ أَحَدًا إِذْنُ الَّذِينَ لَهُمْ مَعْبُودٌ لَا يُخْرِجُونَ عَنْ هَذِهِ الطَّوَائِفِ الثَّلَاثِ: مَنْ يُوْحِدُ اللَّهَ وَمَنْ يُوْحِدُ غَيْرَهُ، وَمَنْ يَشْرِكُ بِهِ، ثُمَّ انْتَقَلَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ إِلَى التَّوْحِيدِ فَقَالَ:

تَوْحِيدُهُ نَوْعَانِ عِلْمِي وَقَضِي
سِدِّي كَمَا قَدْ جُرِدَ النَّوْعَانِ

يعني: توحيد الله عز وجل نوعان:

توحيد علمي: وهو توحيد بأوصافه وأفعاله، وقصدي: وهو توحيد بالإرادة، يعني: بالعبادة أي لا تقصد غيره، إذن ما وصف الله به نفسه يسمى توحيداً علمياً اعتقادياً، وما أمر الله به من العبادة وقصدناه به فهو قصدي.

فِي سُورَةِ الْإِخْلَاصِ مَعَ تَالِ لَنْصُ
رِ اللَّهِ قُلْ يَا أَيُّهَا بَيِّنَانِ

وهي أي: سورة الإخلاص قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: 1]، وسميت بذلك لأنها تخلص قارئها من الشرك ولأن الله أخلصها لنفسه فليس فيها سوى ما يتعلق بأسمائه وصفاته. أما سورة ﴿قُلْ يَتَّيِبُهَا لِكُفْرَتِمْ﴾ فيها التوحيد القصدي العملي؛ لأنه يقول: ﴿قُلْ يَتَّيِبُهَا لِكُفْرَتِمْ﴾ ١ ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾.

وَلِذَلِكَ قَدْ شُرِعَا بِسُنَّةِ فَجْرِنَا
وَكَذَلِكَ سُنَّةِ مَغْرِبِ طَرْفَانِ

شُرِعَا أَي ﴿قُلْ يَتَّيِبُهَا لِكُفْرَتِمْ﴾ و﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ يعني شرعت قراءتهما في سنة الفجر، وهل يسن قراءة غيرهما؟ يجوز قراءة ﴿قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ﴾ في الأولى و﴿قُلْ يَتَّيِبُهَا لِكُفْرَتِمْ﴾ في الثانية، إذن ستان ﴿قُلْ يَتَّيِبُهَا لِكُفْرَتِمْ﴾ و﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ أو ﴿قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ﴾ التي في سورة البقرة، ﴿قُلْ يَتَّيِبُهَا لِكُفْرَتِمْ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ﴾ التي في سورة آل عمران.

يعني: يشرع أيضاً في سنة المغرب أن تقرأ في الركعة الأولى ﴿قُلْ يَتَّيِبُهَا لِكُفْرَتِمْ﴾، وفي الثانية ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾. أي أن سنة الفجر الأولى في طرف النهار، والثانية: سنة المغرب في طرف الليل

أي آخره النهار .

لِيَكُونَ مُفْتَتِحُ النَّهَارِ وَخَتْمُهُ
وَكَذَلِكَ قَدْ شُرِعَا بِخَاتَمٍ وَتَرِنَا
تَجْرِيدَ التَّوْحِيدِ لِلدِّيَانِ
خَتْمًا لِسَعْيِ اللَّيْلِ بِالْإِحْسَانِ

قوله : ختما لسعي الليل . يعني : لعمل الليل ؛ لقول النبي عليه الصلاة والسلام : « اجعلوا آخر صلاتيكم بالليل وترا » ^(١) إذن ختمت صلاة النهار أي : سنة المغرب بهما ، وأول النهار أي : سنة الفجر بهما وآخر الليل الوتر بهما أي الركعة الثانية ﴿ قُلْ يَتَّيِبُهَا لَكُمُ الْوَتْرُ ﴾ ، وفي الثالثة ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ كل هذا سنه وشرعه نبينا ﷺ لنا .

وَلِذَلِكَ قَدْ شُرِعَا بِرَكَعَتَيْ الطَّوَا
فِ وَذَلِكَ تَحْقِيقٌ لِهَذَا الشَّانِ

يعني : ركعتي الطواف يشع أن يقرأ فيهما ﴿ قُلْ يَتَّيِبُهَا لَكُمُ الْوَتْرُ ﴾ و ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ . وقوله : وذلك تحقيق لهذا الشأن . أي للتوحيد تحقيقاً بالنصب ، المهم أن ﴿ قُلْ يَتَّيِبُهَا لَكُمُ الْوَتْرُ ﴾ و ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ تسن في أربعة أنواع من السنن : سنة الفجر ، وسنة المغرب ، وسنة الوتر ، وسنة الطواف .

فَهُمَا إِذَا أَخْوَانَ مُصْطَحِبَانِ لَا
يَتَفَارَقَانِ وَلَيْسَ يَنْفَصِلَانِ

يعني : سورتي الإخلاص والكافرون دائماً مصطحبان ؛ لأن الأولى : ﴿ قُلْ يَتَّيِبُهَا لَكُمُ الْوَتْرُ ﴾ فيها التوحيد القصدي ، والثانية . ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ فيها التوحيد العلمي الخيري .

فَمُعْطَلُ الْأَوْصَافِ ذُو شَرِكٍ كَذَا
ذُو الشَّرِكِ فَهُوَ مُعْطَلُ الرَّحْمَنِ

أي : أن المشرك في العبادة الذي تتضمنها سورة ﴿ قُلْ يَتَّيِبُهَا لَكُمُ الْوَتْرُ ﴾ فهو مشرك بالتوحيد القصدي ، والمعطل لأوصاف الرحمن التي تضمنتها سورة الإخلاص فهو أيضاً مشرك معطل الأوصاف ، لكنه مشرك بالتوحيد العلمي ، وأما العابد لغير الله مشرك بالتوحيد القصدي أيضاً .

أَوْ بَعْضُ الْأَوْصَافِ الْكَمَالِ لَهُ فَحَقُّ
قِيٌّ ذَا وَلَا تُسْرِعْ إِلَى التَّكْزَانِ

أن التعطيل يلزم منه الإشراك ؛ لأن التعطيل والإشراك متلازمان ، فمن أشرك بالله فهو معطل لتوحيده ، ومن عطل أوصافه فهو مشرك .

مسألة هل نحكم على معطل الصفات والمشرك في العبادة بأنهم كفار ؟

الجواب : لا ، ما نحكم بأنهم كفار ؛ لأن الشرك شر كان : شرك أكبر وشرك أصغر ، فهؤلاء مشركون شركاً أصغر ، لكن إذا تبين لهم الحق ، ولكن إن أبوا وعاندوا فيكونون كفاراً .



فصل



في بيان أن المعطل شر من المشرك



٤٧٨٩- لَكِنْ أَخُو التَّعْطِيلِ شَرٌّ مِنْ أَحْيِ الْ

إِشْرَاكِ بِالْمَعْقُولِ وَالْبِرْهَانِ

٤٧٩٠- إِنَّ الْمُعْطَّلَ جَاوِدٌ لِلذَّاتِ أَوْ

لِكَمَالِهَا هَذَا تَعْطِيلَانِ

٤٧٩١- مُتَضَمِّنَانِ الْقَدْحِ فِي نَفْسِ الْأَوْ

هَةِ كَمَا بِذَلِكَ الْقَدْحِ مِنْ نَقْضَانِ

٤٧٩٢- وَالشِّرْكَ فَهُوَ تَوَسَّلَ مَقْضُودُهُ الرُّ

زُلْفَى مِنَ الرَّبِّ الْعَظِيمِ الشَّانِ

٤٧٩٣- بِعِبَادَةِ الْمُخْلُوقِ مِنْ حَجَرٍ وَمِنْ

بَشَرٍ وَمِنْ قَبْرِ وَمِنْ أَوْثَانِ

٤٧٩٤- فَالشِّرْكَ تَعْظِيمٌ بِجَهْلِ مَنْ قِيَا

سِ الرَّبِّ بِالْأَمْرَاءِ وَالشُّلْطَانِ

٤٧٩٥- ظَنُّوا بِأَنَّ الْبَابَ لَا يَغْشَى بِدُو

نِ تَوَسُّطِ الشُّفَعَاءِ وَالْأَعْوَانِ

٤٧٩٦- وَذَهَابُهُمْ ذَلِكَ الْقِيَّاسُ الْمُسْتَبِيحُ

مَنْ فَسَادُهُ بِبِدَاهَةِ الْإِنْسَانِ

٤٧٩٧- الْفَرْقُ بَيْنَ اللَّهِ وَالشُّلْطَانِ مِنْ

كُلِّ الْوُجُوهِ لِمَنْ لَهُ أَدْنَانِ

٤٧٩٨ - أَنَّ الْمُلُوكَ لَعَاجِزُونَ وَمَا لَهُمْ

عِلْمٌ بِأَحْوَالِ الدُّعَا بِأَذَانِ

٤٧٩٩ - كَلَّا وَلَا هُمْ قَادِرُونَ عَلَى الَّذِي

يَحْتَاجُهُ الْإِنْسَانُ كُلَّ زَمَانِ

٤٨٠٠ - كَلَّا وَمَا تِلْكَ الْإِرَادَةُ فِيهِمْ

لِقَضَا حَوَائِجِ كُلِّ مَا إِنْ سَانَ

٤٨٠١ - كَلَّا وَلَا وَسِعُوا الْخَلِيقَةَ رَحْمَةً

مِنْ كُلِّ وَجْهِ هُمْ أَوْلُو الثُّقُصَانِ

٤٨٠٢ - فَلِذَلِكَ احْتَاجُوا إِلَى تِلْكَ الْوَسَا

ئِطِ حَاجَةً مِنْهُمْ مَدَى الْأَزْمَانِ

الشرح

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

قوله: «فصل في بيان أن المعطل شر من المشرك».

المعطل يعني: لأسماء الله وصفاته، شر من المشرك يعني أشر منه.

لَكِنَّ أَخُو التَّعْطِيلِ شَرٌّ مِنْ أَحِي الْإِشْرَاكِ بِالْمَعْقُولِ وَالْبُرْهَانِ

يعني: بدلالة العقل ودلالة السمع ثم شرح ذلك، فقال:

إِنَّ الْمُعْطَلَّ جَاحِدٌ لِلذَّاتِ أَوْ لِكَمَالِهَا هَذَا تَعْطِيلَانِ

قوله: (هذان تعطيلان) أي أن المعطل جاحد لذات الله أو جاحد لكماله؛ لأن من المعطلة من ينكر

ذات الله مثل من يقول: إن الله لا يوصف بأنه موجود ولا أنه معدوم، أو جاحد لكمالها، كالذين

يؤمنون بالله ولكن لا يؤمنون بصفاته فهذان تعطيلان.

مُتَّصِمَاتِنِ الْقُدْحِ فِي نَفْسِ الْأَلُو هِيَ كَمِ بِذَاكَ الْقُدْحِ مِنْ نُقْصَانِ

يعني: أن التعطيل قدح في نفس الألوهية، أي: قدح في ذات الله عز وجل؛ لأن الذين ينكرون الله

تعالى ويقولون: ليس داخل العالم ولا خارجه ولا متصل ولا منفصل وما أشبه ذلك، والذين يقولون:

إن الله ليس له فعل وليس له نزول وليس له استواء، وما أشبه ذلك كلهم متنقص لله عز وجل.

وَالشِّرْكُ فَهُوَ تَوَسَّلَ مَقْصُودُهُ الزُّرْفَى مِنَ الرَّبِّ الْعَظِيمِ الشَّانِ

وذلك مصداقاً قوله تعالى: ﴿مَا عَبَدْتُمْ إِلَّا لِيُقَرَّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ ويقرون بالربوبية، أي: يؤمنون بالخالق وهو الرازق، وهو الذي خلقهم وهو الذي يرزقهم، يقرون بهذا، ويقولون: إنهم لم يشركوا إلا من أجل أن تقربهم هذه الأوثان إلى الله عز وجل .

بِعِبَادَةِ الْمَخْلُوقِ مِنْ حَجَرٍ وَمِنْ بَشَرٍ وَمِنْ قَبْرِ وَمِنْ أَوْثَانٍ
يعني: يعبدون المخلوق ليقربهم إلى الله، كما يكرم الإنسان خادم الملك؛ ليقربه من الملك ويعطي البواب دراهم أو كسوة أو ما أشبه ذلك؛ ليدخله على الملك.

فَالشِّرْكَ تَعْظِيمٌ بِجَهْلِ مَنْ قِيَا
بِسِ الرَّبِّ بِالْأَمْرَاءِ وَالسُّلْطَانِ
يعني: الشرك تعظيم لله لكنه تعظيم مبني على باطل؛ وذلك لأنهم قاسوا الله على الخلق فقالوا: إن ملوك الدنيا لا نصل إليهم إلا بوسائط، فكذلك الرب عز وجل لا نصل إليه إلا بوسائط.

ظَنُّوا بِأَنَّ الْبَابَ لَا يَغْشَى بَدُو
نِ تَوَسُّطِ الشُّفَعَاءِ وَالْأَعْوَانِ
وَدَهَاهُمْ ذَاكَ الْقِيَاسُ الْمُسْتَبِيحُ
مِنْ فَسَادِهِ بِنِدَاهَةِ الْإِنْسَانِ
وقوله: (دهاهم) يعني: أصابهم بدهاية، هذا القياس وفساده واضح بينٌ بالبديهة لا يحتاج إلى تفكير، ولا إلى عمق.

الْفَرْقُ بَيْنَ اللَّهِ وَالسُّلْطَانِ مِنْ
كُلِّ الْوُجُوهِ لِمَنْ لَهُ أُذُنَانِ
أي: الفارق العظيم بين الله وبين ملوك الدنيا من كل وجه، وأراد الإنسان أن يعدها لعدة أوجه بين الله وبين ملوك الدنيا.

لَا تَسْأَلَنَّ بَنِي آدَمَ حَاجَةً
وَسَلِ الَّذِي أَبْوَابُهُ لَا تُحْجَبُ
اللَّهُ يُغْضِبُ إِنْ تَرَكْتَ سُؤَالَهٖ
وَبَنِي آدَمَ حِينَ يُسْأَلُ يُغْضِبُ
فرق عظيم بين الخالق والمخلوق. ومنها أن بني آدم إذا سألتهم ولو شاء سيرة غضبوا وملوا، فتجده أول مرة يلاقيك بوجه لا بأس به، والثانية يسودُّ وجهه، والثالثة يصيح بك، والرابعة ربما يضربك إذا أمكن، لكن الله عز وجل يحب الملحين في الدعاء، فكلمها ألححت عليه أحبك، فالفرق بين الخالق والمخلوق عظيم من كل الوجوه.

أَنَّ الْمُلُوكَ لَعَاجِزُونَ وَمَا لَهُمْ
عِلْمٌ بِأَحْوَالِ الدُّعَا بِأَذَانِ
وقراءة: أن الملوك خطأ، بل إن بالكسرة، واللام إذا جاءت في خبر إن يجب أن تكسر، قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ﴾ [المنافقون: ١]، لولا اللام لوجب الفتح، وكانت والله يعلم أنك. والمعنى أن الملك ما يمكن أن يعرف ما وراء الباب إلا بواسطة الحاجب، والرب عز وجل - كما سيذكر المؤلف - يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.

كَلَّا وَلَا هُمْ قَادِرُونَ عَلَى الَّذِي
يَخْتَاجُهُ الْإِنْسَانُ كُلَّ زَمَانٍ

يعني: أنهم ليسوا قادرين على ما يحتاجه الإنسان في كل زمان.

كَلَّا وَمَا تِلْكَ الْإِرَادَةُ فِيهِمْ لِقَضَا حَوَائِجِ كُلِّ مَا إِنْسَانٍ
يعني: حتى لو فرض أنهم قادرون على قضاء الحوائج، فإنه ليس عندهم إرادة في تنفيذ كل ما يريدونه.
كل ما إنسان، (ما) هذه زائدة؛ لأنك لو حذفها لاستقام الكلام .

كَلَّا وَلَا وَسِعُوا الْخَلِيقَةَ رَحْمَةً مِنْ كُلِّ وَجْهِ هُمْ أَوْلُو النُّقْصَانِ
يعني: أن الله عز وجل وسع كل شيء رحمة وعلماً.
فَلِذَلِكَ اِحْتِاجُوا إِلَى تِلْكَ الْوَسَا يُطِ حَاجَةً مِنْهُمْ مَدَى الْأَزْمَانِ
وهذا فرق ظاهر، هذا فرق واضح جداً؛ فذوي السلطان في الدنيا كلهم ذوو نقص يحتاجون إلى ما يكملهم، والرب عز وجل كامل من كل وجه لا يحتاج إلى من يكمله.



* قَوْلُهُ رَحْمَةً:

٤٨٠٣ - أَمَا الَّذِي هُوَ عَالِمٌ لِلْغَيْبِ مُقَدَّرٌ عَلَيَّ مَا شَاءَ ذُو إِحْسَانٍ

٤٨٠٤ - وَتَخَافُهُ الشَّفَاعَةُ لَيْسَ يَرِيدُ مِنْهُمْ حَاجَةً جَلَّ الْعَظِيمُ الشَّانِ

٤٨٠٥ - بَلْ كُلُّ حَاجَاتٍ لَهُمْ فَإِلَيْهِ لَا لِسِوَاهُ مِنْ مَلِكٍ وَلَا إِنْسَانٍ

٤٨٠٦ - وَلَهُ الشَّفَاعَةُ كُلُّهَا وَهُوَ الَّذِي فِي ذَلِكَ يَأْذُنُ لِلشَّفِيعِ الدَّانِي

٤٨٠٧ - لِمَنْ ارْتَضَى مِمَّنْ يُوَجِّدُهُ وَلَمْ يَشْرِكْ بِهِ شَيْئًا كَمَا قَدْ جَاءَ فِي الْقُرْآنِ

٤٨٠٨ - سَبَقَتْ شَفَاعَتُهُ إِلَيْهِ فَهُوَ مَشْفُوعٌ إِلَيْهِ وَشَافِعٌ ذُو شَانِ

٤٨٠٩ - فَلِذَا أَقَامَ الشَّافِعِينَ كَرَامَةً

٤٨١٠ - وَتَخَافُهُ الشَّفَاعَةُ لَيْسَ يَرِيدُ مِنْهُمْ حَاجَةً جَلَّ الْعَظِيمُ الشَّانِ

٤٨١١ - لِمَنْ ارْتَضَى مِمَّنْ يُوَجِّدُهُ وَلَمْ يَشْرِكْ بِهِ شَيْئًا كَمَا قَدْ جَاءَ فِي الْقُرْآنِ

٤٨١٢ - سَبَقَتْ شَفَاعَتُهُ إِلَيْهِ فَهُوَ مَشْفُوعٌ إِلَيْهِ وَشَافِعٌ ذُو شَانِ

٤٨١٣ - فَلِذَا أَقَامَ الشَّافِعِينَ كَرَامَةً

٤٨١٤ - وَتَخَافُهُ الشَّفَاعَةُ لَيْسَ يَرِيدُ مِنْهُمْ حَاجَةً جَلَّ الْعَظِيمُ الشَّانِ

٤٨١٥ - لِمَنْ ارْتَضَى مِمَّنْ يُوَجِّدُهُ وَلَمْ يَشْرِكْ بِهِ شَيْئًا كَمَا قَدْ جَاءَ فِي الْقُرْآنِ

لَهُمْ وَرَحْمَةً صَاحِبِ الْعِضْيَانِ

٤٨١٠ - فَالْكُلُّ مِنْهُ بَدَا وَمَزَجْعُهُ إِلَيَّ

وَوَحْدَهُ مَا مِنْ إِلَهٍ ثَانٍ

الشَّرْحُ

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

يقول المؤلف رَحِمَهُ اللهُ في بيان توحيد الألوهية، والفرق بين ما ادعاه المشركون من كونهم يقولون: إنها نعبد هؤلاء؛ ليكونوا شفعاء، كالسلطان له شفعاء لنا يشفعون للناس ويتوسطون له عند الملك. فرد عليهم المؤلف وأبطل حجتهم؛ بأن أولئك الملوك والسلاطين قاصرون يحتاجون إلى من ينبههم وإلى من يعينهم، وإلى من يعلمهم بأحوال الناس، وأما عن الله عز وجل فيقول:

أَمَّا الَّذِي هُوَ عَالِمٌ لِّلْغَيْبِ مُقْتَدِرٌ عَلَىٰ مَا شَاءَ ذُو إِحْسَانٍ

يعني: فإنه لا يحتاج إلى الشفعاء والوسطاء، فحاجات العباد منهم إلى الله مباشرة بلا وسطاء، وهذا من كمال رحمته سبحانه وتعالى بعباده؛ أن تكون حاجة العباد من العباد إليه مباشرة بدون واسطة، لو كان ثمة واسطة فمن يأتي بهذه الواسطة؟ ومتى ترضى هذه الواسطة أن ترفع الدعاء؟! ولكنها - أي الحاجات - والله الحمد - من العبد إلى ربه مباشرة.

وَتَخَافُهُ الشُّفَعَاءُ لَيْسَ يَرِيدُ مِنْهُمْ حَاجَةً جَلَّ الْعَظِيمُ الشَّانِ

يعني: أن الشفعاء في ملوك الدنيا قد لا يخافون الملوك، فربما يكون شفيعاً وهو لا يبالي بهذا الملك. أو هذا، أما الشفعاء عند الله فكلهم محتاجون إلى الله ويخافونه.

بَلْ كُلُّ حَاجَاتٍ لَهُمْ فَإِلَيْهِ لَا لِسِوَاهُ مِنْ مَلِكٍ وَلَا إِنْسَانٍ

كل الحاجات لهم إلى الله لا لسواه، فهم محتاجون إلى الله، وأما الوزراء والشفعاء بملوك الدنيا فهؤلاء محتاجون إليه؛ لقوله تعالى ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٤٤].

وَلَهُ الشَّفَاعَةُ كُلُّهَا وَهُوَ الَّذِي فِي ذَاكَ يَأْذَنُ لِلشَّفِيعِ الدَّانِي

وهذا وجه كون كل الشفاعات له، أي: أنه لا يمكن أن توجد الشفاعة إلا بإذنه، كما قال تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥] حتى أعلى الخلق مقاماً وهو محمد ﷺ لا يشفع إلا بإذن الله.

لِمَنْ ارْتَضَى مِمَّنْ يُوْحِّدُهُ وَلَمْ يَشْرِكْ بِهِ شَيْئًا كَمَا قَدْ جَاءَ فِي الْقُرْآنِ

أي: أن الشفاعة لا بد فيها من شرطين: الشرط الأول: رضا الله عن الشافع والمشفوع له أيضاً، وعلى هذا فالأصنام لا تشفع، لأن الله لا يرضى عنها ولا يرضاها، والمشركون لا تصلح لهم الشفاعة،

لأن الله لا يرضى عنهم، والشرط الثاني: أن يأذن الله في الشفاعة؛ فإن لم يأذن فلا شفاعة.

ودليل هذا قوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥] وقوله: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى﴾ [الأنبياء: ٢٨] وقوله: ﴿يَوْمَئِذٍ لَا نَنْفَعُ الشَّفَعَةَ إِلَّا مَنْ أذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾ [طه: ١٠٩] فلا بد من رضا الله عن الشافع والمشفوع له ولا بد من إذنه تعالى.

سَبَقَتْ شَفَاعَتُهُ إِلَيْهِ فَهُوَ مَشْفُوعٌ إِلَيْهِ وَشَافِعٌ ذُو شَانٍ

يعني: أن الذي يشفع مشفوع إليه وشافع، مشفوع إليه يعني: أن الناس يأتون إليه ليشفع لهم، وشافع ويحتمل أن يكون هذا من أوصاف الله أنه مشفوع إليه بأن الناس يشفعون إليه وشافع؛ لأنه يأذن في الشفاعة؛ لقوله: ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا﴾ .

فَلِذَا أَقَامَ الشَّافِعِينَ كِرَامَةً لَهُمْ وَرَحْمَةً صَاحِبِ الْعِضْيَانِ

يعني: أن الله سبحانه وتعالى أذن في الشفاعة لسببين: السبب الأول: إكرام الشافع حيث قبل الله شفاعته، ولا شك في أن شفاعة الشافع إكرامًا له ولو كان ذلك إلى ملك من ملوك الدنيا - مثلاً - وشفعت إليه لشخص ثم قبل شفاعتك، أليس هذا إكرامًا لك؟ بلى إذا إذن الله بالشفاعة لمن أذن له إكرام له، السبب الثاني: رحمة العاصي أي أن الله تعالى يرحم العاصي بسبب شفاعة الشافع فللشفاعة إذن فائدتان: الفائدة الأولى: إكرام الشافع، والفائدة الثانية: الرحمة بالمشفوع له.

فَالْكَلُّ مِنْهُ بَدَأَ وَمَرَجَعُهُ إِلَيْهِ وَوَحْدَهُ مَا مِنْ إِلَهٍ ثَانٍ

قوله: (الكل) يعني: الشفاعة والإذن فيها، وقبولها كله من الله وإليه، فشفاعة الشافع بإذن الله، ونفع شفاعته بإذن الله وقبولها بإذن الله، فالكل منه وإليه.



* قوله رَحْمَةً:

٤٨١١ - غَلِطَ الْأَكْبَى جَعَلُوا الشَّفَاعَةَ مِنْ سِوَا

ه إِلَيْهِ دُونَ الْإِذْنِ مِنَ الرَّحْمَنِ

٤٨١٢ - هَذِي شَفَاعَةٌ كُلِّ ذِي شِرْكَ فَلَا

تَعْقِدُ عَلَيْهَا يَا أَخَا الْإِيمَانِ

٤٨١٣ - وَاللَّهُ فِي الْقُرْآنِ أَبْطَلَهَا فَلَا

تَعْدِلُ عَنِ الْأَثَارِ وَالْقُرْآنِ

٤٨١٤ - وَكَذَا الْوَلَايَةُ كُلُّهَا لِلَّهِ لَا

لِسِوَاهُ مِنْ مَلَكٍ وَلَا إِنْسَانٍ

٤٨١٥ - وَاللَّهِ لَمْ يَفْهَمْ أَوْلُو الْإِشْرَاكِ ذَا

وَرَأَهُ تَنْقِیْضًا أَوْلُو التَّقْضَانِ

٤٨١٦ - إِذْ قَدْ تَضَمَّنَ عَزْلَ مَنْ يُدْعَى سِوَى الزَّ

رَحْمَنِ بَلْ أَحَدِيَّةَ الرَّحْمَنِ

٤٨١٧ - بَلْ كُلُّ مَدْعُوِّ سِوَاهُ مِنْ لَدُنْ

عَرْشِ الْإِلَهِ إِلَى الْحَضِيضِ الدَّنِيِّ

٤٨١٨ - هُوَ بَاطِلٌ فِي نَفْسِهِ وَدُعَاءِ عَا

بِدِهِ لَهُ مِنْ أَبْطَلِ الْبُطْلَانِ

٤٨١٩ - فَلَهُ الْوَلَايَةُ وَالْوَلَايَةُ مَا لَنَا

مِنْ دُونِهِ وَالِ مِنْ الْأَكْوَانِ

٤٨٢٠ - فَإِذَا تَوَلَّاهُ أَمْرٌ دُونَ الْوَرَى

طُرًّا تَوَلَّاهُ الْعَظِيمُ الشَّانِ

٤٨٢١ - وَإِذَا تَوَلَّى غَيْرَهُ مِنْ دُونِهِ

وَلَاهُ مَا يَرْضَى بِهِ لِهَوَانِ

٤٨٢٢ - فِي هَذِهِ الدُّنْيَا وَبَعْدَ مَمَاتِهِ

وَكَذَلِكَ عِنْدَ قِيَامَةِ الْأَبْدَانِ

الشرح

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

يقول المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

غَلِطَ الْأَلَى جَعَلُوا الشَّفَاعَةَ مِنْ سِوَا هِ إِلَيْهِ دُونَ الْإِذْنِ مِنَ الرَّحْمَنِ

أي: أن المشركين الذين جعلوا الشفاعة لمن سواه دون إذنه فقالوا: إن آلهتهم تشفع لهم من دون الله. ومعلوم أن آلهتهم لا يمكن أن تقبل شفاعتهم؛ لأن الله لا يرضاها ولا يرضى عن عابديها، فقد

انتفى منها والشرط الأول وهو: رضا الله عن الشافع والمشفوع له لكنهم ظنوا أن هذه الأوثان والأصنام تنفعهم وتشفع لهم عند الله بدون إذنه.

هَذِي شَفَاعَةُ كُلِّ ذِي شِرْكَ فَلَا تَعْقِدْ عَلَيْهَا يَا أَخَا الْإِيمَانِ
قوله: (تعقد عليها) أي: تعتمد عليها فإنها باطلة.

وَاللَّهُ فِي الْقُرْآنِ أَبْطَلَهَا فَلَا تَعْدِلْ عَنِ الْأَثَارِ وَالْقُرْآنِ
قوله: (أبطالها) واضح في قوله تعالى: ﴿فَأَنْتُمْ تُشْفَعُونَ لِلَّهِ الشَّيْئِينَ﴾ [المدر: ٤٨]. فإذا كان الله أبطلها فعليك ألا تعقد عليها، ولا تؤمل عليها ولا تعدل عن الآثار والقرآن يا أخا الايمان.

وَكَذَا الْوَلَايَةَ كُلَّهَا لِلَّهِ لَا لِسِوَاهُ مِنْ مَلَكٍ وَلَا إِنْسَانٍ
أي: أن الولاية لله وحده كما قال الله تعالى: ﴿هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ﴾ [الكهف: ٤٤]، فلا أحد يتولى العباد إلا ربه عز وجل، فلا يتولاهم ملك ولا نبي ولا شجر ولا حجر ولا أي أحد؛ لأن الولاية لله وحده.

وَاللَّهُ لَمْ يَفْهَمْ أَوْلُو الْإِشْرَاكِ ذَا وَرَأَهُ تَنْقِصًا أَوْلُو التَّقْصَانِ
يعني: لم يفهم أهل الشرك أن الولاية لله، وأهل النقصان رأوا أن ذلك تنقصاً في حق الأولياء بأنهم لا يستطيعون الشفاعة ولا يملكونها.

إِذْ قَدْ تَضَمَّنَ عَزْلٌ مَنْ يُدْعَى سِوَى الرَّحْمَنِ
يعني: أن الذي فهمه هؤلاء المشركون تضمن عزل من يدعى سوى الرحمن. يعني: تضمن عزل عن ملك الله وتدبيره؛ حيث جعله شافعاً بدون إذن الله، وولياً بدون إذن الله، بل عزل، وقوله: (أحدية الرحمن) أنا أظنها بالجر أفضل.

ولكن أهل الشرك لم يفهموا ذلك بل ينكرونه ويرونه تنقيصاً من قدر أوليائهم، إذ هو يتضمن عزها عن أن تدعى مع الله بل يتضمن إخلاص الدعاء له واعتقاد أحديته، وكل من يدعى من دون الله عرشه إلى فرشه هو باطل في نفسه.

إن هؤلاء المشركين لم يفهموا هذا، ورأوا أن ذلك تنقيصاً لأوليائهم، وأنه عزل لها، وإثبات لأحدية الرحمن إذا أبطلتم الولاية لغير الله، وأبطلتم الشفاعة لغير الله، فهذا تنقص للولي الذي يزعمونه ولياً يفعل وشفيعاً يشفع بدون إذن الله، ويتضمن عزل هؤلاء المدعويين من دون الله والبعد عنهم، وتوحيد الله بالدعاء والعبادة هذا معنى قوله بل أحدية الرحمن ثم قال المؤلف:

بَلْ كُلُّ مَدْعُوِّ سِوَاهُ مِنْ لَدُنْ عَزَّشَ الْإِلَهَ إِلَى الْحَضِيضِ الدَّانِ

هُوَ بَاطِلٌ فِي نَفْسِهِ وَدُعَاءُ عَا بِيْدِهِ لَهْ مِنْ أَبْطَلِ الْبُطْلَانِ

لقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ يَأْتِكُ اللَّهُ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْتَ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنْتَ اللَّهُ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [لقان: ٣٠] لأنه إذا بطل بنفسه لزم أن يبطل دعاؤه، إذ إن دعاء الباطل باطل.

فَلَهُ الْوَلَايَةُ وَالْوَلَايَةُ مَا لَنَا مِنْ دُونِهِ وَإِلِ مِنَ الْأَكْوَانِ
الولاية أي: تولى الأمور والولاية منا له أي: نتولاه، يعني: أنه هو الذي يتولى أمورنا ونحن الذين نتولاه وحده دون غيره .

فَإِذَا تَوَلَّاهُ أَمْرٌ دُونَ الْوَرَى طَرًّا تَوَلَّاهُ الْعَظِيمُ الشَّانِ
قوله: (فإذا تولاه امرؤ) يعني: تولى الله، دون الورى، فلم يتولَّ أحدًا غير الله، وخص الولاية لله كانت النتيجة قوله: (تولاه العظيم الشأن). فهنا ولايتان: ولاية منا لله، وولاية من الله لنا، فمن تول الله تولاه الله، قال الله تعالى: ﴿ وَمَنْ تَوَلَّى اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ [المائدة: ٥٦] فمن تولَّ الله تولاه الله، ومن لم يتول الله تحلى عنه الله؛ ولهذا قال:

وَإِذَا تَوَلَّى غَيْرَهُ مِنْ دُونِهِ وَلَاهُ مَا يَرْضَى بِهِ لَهَوَانِ
فِي هَذِهِ الدُّنْيَا وَبَعْدَ مَمَاتِهِ وَكَذَلِكَ عِنْدَ قِيَامَةِ الْأَبْدَانِ
قوله: (وإذا تولى غيره من دونه). توجد في ثلاثة مواضع إذا تولى الإنسان غير الله ولاه الله إياه، كما في قول الله تعالى: ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ، جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ [النساء: ١١٥] وعلى هذا فتكون الولاية من الله تابعة لولاية الله، فإن توليته تولاك، وإن توليت غيره تحلى عنك ووكلك إلى من توليته، ذلك في ثلاثة مواضع أو ثلاثة دور: في الدنيا، وبعد الممات، وعند قيامة الأبدان، نسأل الله أن يتولانا جميعًا في هذه المواضع كلها.

مسألة: هل التولي لغير الله عز وجل يُعذر فيه الإنسان بالجهل؟

والجواب: الصحيح أن كل شيء يعذر فيه الإنسان بالجهل، ولكن لا يعذر من جهة التفريط وعدم السؤال، يعني: قد يبلغ هذا المتولى أن هذا لا يجوز وأنه شرك، فإذا سُئِلَ عن التولي لغير الله قال: نحن وجدنا عليه آباءنا ومثائننا لا يهوننا عنه، حيثئذ نعرف أنه مفرط فلا يعذر، لكن لو لم ينبه على هذا وكان يتمي إلى الإسلام ويصلي ويزكي ويصوم ويحج، لكن فيه هذا البلاء وهو يعتقد أنه ليس بشيء. لكن إذا عجزت أن تناقشه فعليك أن تكلمه إلى عالم أكبر منك، ولكن إذا توفي قبل أن يبين له ويوضح له سبيل الفطرة السوية، فالراجع فيهم أنهم كأطفال المشركين، الله أعلم بما كانوا عاملين^(١)، ففي يوم القيامة يمتحنهم الله عز وجل بما شاء، فمن أطاق دخل الجنة ومن عصي دخل النار.



* قَوْلُهُ رَحِمَهُ اللهُ:

٤٨٢٣ - حَقًّا يَنَادِيهِمْ نَدَا سُبْحَانَهُ

يَوْمَ الْمَعَادِ فَيَسْمَعُ الثَّقَلَانِ

٤٨٢٤ - يَا مَنْ يَرِيدُ وِلَايَةَ الرَّحْمَنِ دُو

نَ وَوِلَايَةَ الشَّيْطَانِ وَالْأَوْثَانِ

٤٨٢٥ - فَارِقُ جَمِيعِ النَّاسِ فِي إِشْرَاكِهِمْ

حَتَّى تَنَالَ وِلَايَةَ الرَّحْمَنِ

٤٨٢٦ - يَكْفِيكَ مَنْ وَسِعَ الْخَلَائِقَ رَحْمَةً

وَكَفَايَةَ ذُو الْفَضْلِ وَالْإِحْسَانِ

٤٨٢٧ - يَكْفِيكَ مَنْ لَمْ تَخُلْ مِنْ إِحْسَانِهِ

فِي طَرْفَةٍ بِتَقْلُبِ الْأَجْفَانِ

٤٨٢٨ - يَكْفِيكَ رَبٌّ لَمْ تَزَلْ أَلْطَافُهُ

تَأْتِي إِلَيْكَ بِرَحْمَةٍ وَخَنَانِ

٤٨٢٩ - يَكْفِيكَ رَبٌّ لَمْ تَزَلْ فِي سِتْرِهِ

وَيَرَاكَ حِينَ تَجِيءُ بِالْعِضْيَانِ

٤٨٣٠ - يَكْفِيكَ رَبٌّ لَمْ تَزَلْ فِي حِفْظِهِ

وَوَقَايَةِ مَنْهُ مَدَى الْأَزْمَانِ

٤٨٣١ - يَكْفِيكَ رَبٌّ لَمْ تَزَلْ فِي فَضْلِهِ

مُتَقَلِّبًا فِي السَّيْرِ وَالْإِعْلَانِ

٤٨٣٢ - يَدْعُوهُ أَهْلُ الْأَرْضِ مَعَ أَهْلِ السَّمَاءِ

ءِ فَكُلُّ يَوْمٍ رَبُّنَا فِي شَأْنِ^(١)

الشرح

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

يقول المؤلف رَحِمَهُ اللهُ تعالى في بيان أن الولاية لله وحده، وأن من تولَّى غير الله ولاه الله ما تولى:

(١) [٤٨٣٢] قال العلامة محمد خليل هراس:

فهو سبحانه يدعو أهل سمائه وأهل أرضه، لا تغلظه المسائل ولا يشغله شأن ولا يتبرم بإلحاح السائلين.

حَقًّا يَنَادِيهِمْ زِدًا سُبْحَانَهُ يَوْمَ الْمَعَادِ فَيَسْمَعُ التَّثْلَانَ
يَا مَنْ يَرِيدُ وَآيَةَ الرَّحْمَنِ دُو نَ وَآيَةَ الشَّيْطَانِ وَالْأَوْثَانَ
فَارِقُ جَمِيعِ النَّاسِ فِي إِشْرَاكِهِمْ حَتَّى تَنَالَ وَآيَةَ الرَّحْمَنِ

يعني: أن الله سبحانه وتعالى يناديهم يوم القيامة أن من كان يعبد أحدًا فليتبعه، فيقوم من يعبد الشمس ليتبع الشمس، ومن يعبد القمر ليتبع القمر وهكذا، ويبقى من يعبد الله وحده فيتولاهم الله سبحانه وتعالى^(١) بعنايته، فمن أراد ولاية الرحمن دون ولاية الشيطان فليفارق جميع الناس .

يَكْفِيكَ مَنْ وَسِعَ الْخَلَائِقَ رَحْمَةً وَكِفَايَةً دُو الْفَضْلِ وَالْإِحْسَانِ
يَكْفِيكَ مَنْ لَمْ تَحُلْ مِنْ إِحْسَانِهِ فِي طَرْفَةِ بَتَقْلُبِ الْأَجْفَانِ
يَكْفِيكَ رَبُّ لَمْ تَزَلْ أَطَافُهُ تَأْتِي إِلَيْكَ بِرَحْمَةٍ وَحَنَانِ
لقوله تعالى: ﴿ وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ﴾ [النحل: ١٨].

يَكْفِيكَ رَبُّ لَمْ تَزَلْ فِي سِرِّهِ وَيِرَاكُ حِينَ تَجِيءُ بِالْعِصْيَانِ
وقوله: (ويراك حين تجيء بالعصيان)، يعني: يكفيك الرب الذي يستر عليك معصيتك وهو يراها، ولو أطلع الخلق على عيوبك لجفاك كل الناس، ولكنه عز وجل يعلم بعيوبك ويسترها سبحانه وتعالى رفقا وإحسانا.

يَكْفِيكَ رَبُّ لَمْ تَزَلْ فِي حِفْظِهِ وَوَقَايَةٍ مِنْهُ مَدَى الْأَرْمَانِ
فهو سبحانه وتعالى حفيظ على عباده وقد وكل ملائكة كراما يحفظونهم قال تعالى: ﴿ لَهُ مَعْقِبَاتٌ
مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَ لَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ﴾ [الرعد: ١١]

يَكْفِيكَ رَبُّ لَمْ تَزَلْ فِي فَضْلِهِ مُتَقَلِّبًا فِي السِّرِّ وَالْإِعْلَانِ
فالإنسان ولا سيما المؤمن متقلب في فضل الله بالسر والإعلان؛ إن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له، وإن أصابته سراء شكر فكان خيرا له.

يَدْعُوهُ أَهْلُ الْأَرْضِ مَعَ أَهْلِ السَّمَاءِ ءِ فَكُلَّ يَوْمٍ رُبْنَا فِي شَانِ
مصدقا لقوله تعالى: ﴿ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾ [الرحمن: ٢٩] فهو كل يوم، يصرف الأمور، ويقلب القلوب (الأفتدة) والأبصار حسب ما تقتضيه حكمته، فيغني فقيرا ويفقر غنيا ويعلم جاهلا، ويوسع لهذا، ويضيق على هذا ويحيى ويميت ﴿ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾

فحسب ما تقتضيه الحكمة، يعني: إن شاء أن يحيى هذا أحياء، ربنا يحيى الله عز وجل هذا الشخص لسبب، ونحن لا نعلم ذلك.

* قوله رَحِمَهُ اللهُ:

٤٨٣٣- وَهُوَ الْكَفِيلُ بِكُلِّ مَا يَدْعُونَهُ

لَا يَغْتَرِي جَدْوَاهُ مِنْ نُقْصَانِ^(١)

٤٨٣٤- فَتَوَسَّطُ الشُّفَعَاءِ وَالشُّرَكَاءِ وَالظُّ

ظَهَرَاءِ أَمْرٌ بَيْنَ الْبُطْلَانِ

٤٨٣٥- مَا فِيهِ إِلَّا مَحْضُ تَشْبِيهِ لَهُمْ

بِاللهِ وَهُوَ فَأَقْبَحُ الْبُهْتَانِ

٤٨٣٦- مَعَ قُضْدِهِمْ تَعْظِيمَهُ سُبْحَانَهُ

مَا عَطَّلُوا الْأَوْصَافَ لِلرَّحْمَنِ

٤٨٣٧- لَكِنْ أَخُو التَّغْطِيلِ لَيْسَ لَدَيْهِ إِلَّا

لَا التَّقْيِ أَيْنَ التَّقْيِ مِنْ إِيْمَانِ

٤٨٣٨- وَالْقَلْبُ لَيْسَ يَقْرَأُ إِلَّا بِالتَّعَبِ

بُدِّ فَهُوَ يَدْعُوهُ إِلَى الْأَكْوَانِ

٤٨٣٩- فَتَرَى الْمُعْطَلَّ دَائِمًا فِي حَيْرَةٍ

مُتَنَقِّلًا فِي هَذِهِ الْأَغْيَانِ

٤٨٤٠- يَدْعُو إِلَهًا ثُمَّ يَدْعُو غَيْرَهُ

ذَا شَأْنُهُ أَبَدًا مَدَى الْأَزْمَانِ

٤٨٤١- وَنَرَى الْمُؤَجَّدَ دَائِمًا مُتَنَقِّلًا

بِمَنَازِلِ الطَّاعَاتِ وَالْإِحْسَانِ

٤٨٤٢- مَا زَالَ يَنْزِلُ فِي الْوَفَاءِ مَنَازِلًا

(١) [٤٨٣٢] قال العلامة محمد خليل هراس:

فهو سبحانه يدعوه أهل سمائه وأهل أرضه، لا تغلظه المسائل ولا يشغله شأن ولا يتبرم بإلحاح السائلين.

وَهِيَ الطَّرِيقُ لَهُ إِلَى الرَّحْمَنِ

٤٨٤٣- لَكِنَّمَا مَعْبُودُهُ هُوَ وَاحِدٌ

مَا عِنْدَهُ رَبَّانٍ مَعْبُودَانِ

الشَّرْحُ

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

وَهُوَ الْكَفِيلُ بِكُلِّ مَا يَدْعُونَهُ لَا يَعْتَرِي جَدْوَاهُ مِنْ نُقْصَانِ

الكفيل يعني: الضامن لكل ما يدعونه، فلو دعاه أهل الأرض وأهل السماء والإنس والجن وأعطى كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عنده إلا كما ينقص المحيط إذا غمس في البحر^(١)، فلو غمست مخيطةً في البحر ثم نزعته هل ينقص البحر شيئاً؟ أبداً لا ينقص البحر شيئاً؛ ولهذا قال المؤلف: (لا يعترى جدواه) أي: عطاياه من نقصان.

فَتَوَسَّطُ الشُّفَعَاءِ وَالشُّرَكَاءِ وَالظُّ

ظَهْرَاءِ أَمْزَجَ بَيْنَ الْبُطْلَانِ

يعني: أنه لا حاجة لوسيط بين الله وبين العباد لا شافع ولا شريك ولا ظهير، والظهير هو المعين، ومنه قوله تعالى ﴿لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الاسراء: ٨٨]، وقد بين الله هذه الأمور الثلاثة التي ذكرها المؤلف في قوله تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهَا مِنْ شَرِكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ﴾^(٢٢) وَلَا تَنْفَعُ الشُّفَعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أذِنَ لَهُ. ﴿[سبأ: ٢٢]﴾ فنفى كل ما يتعلق به المشركون ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾^(٢٣) وَمَا لَهُمْ فِيهَا مِنْ شَرِكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ ﴿[سبأ: ٢٢]﴾ وَلَا تَنْفَعُ الشُّفَعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أذِنَ لَهُ. ﴿[سبأ: ٢٢]﴾ قال رَحِمَهُ اللهُ:

مَا فِيهِ إِلَّا مَحْضُ تَشْبِيهِ لَهُمْ بِاللَّهِ وَهُوَ فَأَقْبَحُ الْبُهْتَانِ

يعني: هؤلاء الذين اتخذوا الشفعاء والوسطاء شبهوهم بالله عز وجل، وهو يعني تشبيه الخالق بالمخلوق أقبح البهتان.

مَعَ قُصْدِهِمْ تَعْظِيمَهُ شُبْحَانَهُ مَا عَطَّلُوا الْأَوْصَافَ لِلرَّحْمَنِ

يعني: الذين اتخذوا هذه الأصنام شفعاء قصدوا بذلك تعظيم الله، ولم يعطلوا أوصافه، وقوله: ما عطلوا الأوصاف للرحمن؛ تنديداً بالمعطلة؛ ولهذا قال:

لَكِنْ أَحْوُ التَّعْطِيلِ لَيْسَ لَدَيْهِ إِلَّا لَا النَّفْسِي أَيْنَ النَّفْسِي مِنْ إِيْمَانِ

يعني: أن المعطل لا يصف الله إلا بالنفي فلا يصفه بالإثبات، وقوله: فأين النفي من الإيمان؟ لا إيمان لمن ينفي؛ لأن النفي عدم والعدم ليس بشيء، فإذا قال: إن الله لا يسمع ولا يبصر وليس له وجه ولا عين، وأخذ ينفي الصفات يؤول به الأمر إلى العدم. قال:

لَكِنْ أَخُو التَّعْطِيلِ لَيْسَ لَدَيْهِ إِلَّا
لَا التَّنْفِيَّ أَيْنَ التَّنْفِيَّ مِنْ إِيْمَانٍ
وَالْقَلْبُ لَيْسَ يَقْرَأُ إِلَّا بِالتَّعَبِ
بُدِ فَهُوَ يَدْعُوهُ إِلَى الْأَكْوَانِ

يعني: القلب لا بد له من معبود، فالقلب الذي يعبد إما أن يعبد الله، وإما أن يعبد غير الله؛ ولهذا قال: «فهو يدعوه إلى الأكوان» يعني: أن قلب المعطل ربما يصل به الحال إلى أن يعبد الأكوان، كما هو مذهب أهل وحدة الوجود الذين يقولون: إن الكون كله هو الله.

فَتَرَى الْمُعْطَلِ دَائِمًا فِي حَيْرَةٍ
مُتَسَقِّلاً فِي هَذِهِ الْأَعْيَانِ
يَدْعُو إِلَهًا تَمْ يَدْعُو غَيْرَهُ
ذَا شَأْنُهُ أَبَدًا مَدَى الْأَرْمَانِ

يعني: أن المعطل أحياناً يعبد هذا، وأحياناً يعبد هذا؛ لأنه ليس له معبود بصفات كاملة فهو حائر.

وَتَرَى الْمُؤَخَّذَ دَائِمًا مُتَسَقِّلاً
بِمَنَازِلِ الطَّاعَاتِ وَالْإِحْسَانِ
مَا زَالَ يَنْزِلُ فِي الْوَفَاءِ مَنَازِلًا
وَهِيَ الطَّرِيقُ لَهُ إِلَى الرَّحْمَنِ

الموحد متنقل في منازل الطاعات من صلاة وذكر وقرآن وصدقة وصيام وعلم وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر، والمعبود عنده واحد لا يتنقل فيه .

لَكِنَّمَا مَعْبُودُهُ هُوَ وَاحِدٌ
مَا عِنْدَهُ رَبَّانٍ مَعْبُودَانِ



* قوله رَحِمَهُ اللهُ:

فصل

في مثل المشرك والمعطل

٤٨٤٤- أَيْنَ الَّذِي قَدْ قَالَ فِي مَلِكٍ عَظِيمٍ

مَ لَسْتُ فِيْنَا قَطُّ ذَا سُلْطَانِ

٤٨٤٥- مَا فِي صِفَاتِكَ مِنْ صِفَاتِ الْمَلِكِ شَيْ

ءَ كُلُّهَا مَسْلُوبَةٌ الْوَجْدَانِ

٤٨٤٦- فَهَلْ اسْتَوَيْتَ عَلَى سَرِيرِ الْمَلِكِ أَوْ

دَبَّرْتَ أَمْرَ الْمَلِكِ وَالسُّلْطَانَ؟

٤٨٤٧- أَوْ قُلْتَ مَرْشُومًا تُنْفِذُهُ الرَّعَا

يَا أَوْ نَطَقْتَ بِلَفْظَةٍ بَيِّنَانِ؟

٤٨٤٨- أَوْ كُنْتَ ذَا أَمْرٍ وَذَا نَهْيٍ وَتَكْ

لِيمٍ لَمَنْ وَآفَى مِنْ الْبُلْدَانِ؟

٤٨٤٩- أَوْ كُنْتَ ذَا سَمْعٍ وَذَا بَصَرٍ وَذَا

عِلْمٍ وَذَا سُخْطٍ وَذَا رِضْوَانِ؟

٤٨٥٠- أَوْ كُنْتَ قَطُّ مُكَلِّمًا مُتَكَلِّمًا

مُتَصَرِّفًا بِالْفِعْلِ كُلِّ زَمَانِ؟

٤٨٥١- أَوْ كُنْتَ حَيًّا فَاعِلًا بِمَشِيئَةٍ

وَبِقُدْرَةٍ أَفْعَالِ ذِي السُّلْطَانِ؟

٤٨٥٢- أَوْ كُنْتَ تَفْعَلُ مَا تَشَاءُ حَقِيقَةً أَلْ

فِعْلِ الَّذِي قَدْ قَامَ بِالْأَذْهَانِ؟

٤٨٥٣- فِعْلٌ يَقُومُ بِغَيْرِ فَاعِلِهِ مُحَا

لٌ غَيْرُ مَعْقُولٍ لِيَدِي الْإِنْسَانِ

٤٨٥٤- بَلْ حَالَةُ الْفَعَالِ قَبْلُ وَمَعٌ وَبَعٌ

سُدْ هِيَ الَّتِي كَانَتْ بِلَا فُرْقَانِ

٤٨٥٥- وَاللَّهِ لَسْتُ بِفَاعِلٍ شَيْئًا إِذَا

مَا كَانَ شَأْنُكَ مِنْكَ هَذَا الشَّانِ

٤٨٥٦- لَا دَاخِلًا فِينَا وَلَسْتُ بِخَارِجٍ

عَنَّا خِيَالًا دُرْتُ فِي الْأَذْهَانِ

٤٨٥٧- فَبَأَيِّ شَيْءٍ كُنْتَ فِينَا مَالِكًا

مُلْكًا مُطَاعًا قَاهِرَ السُّلْطَانَ

٤٨٥٨ - اسْمًا وَرَسْمًا لَا حَقِيقَةَ تَحْتَهُ

شَأْنُ الْمُلُوكِ أَجَلٌ مِنْ ذَا الشَّانِ

٤٨٥٩ - هَذَا وَثَانٍ قَالَ أَنْتَ مَلِيكُنَا

وَسِوَاكَ لَا نَرْضَاهُ مِنْ سُلْطَانِ

٤٨٦٠ - إِذْ حُزَّتْ أَوْصَافِ الْكَمَالِ جَمِيعَهَا

وَلَأَجَلٍ ذَا دَانَتْ لَكَ التَّمْلَانِ

٤٨٦١ - وَقَدْ اسْتَوَيْتَ عَلَى سَرِيرِ الْمُلْكِ وَاسِدِ

تَوَلَّيْتَ مَعَ هَذَا عَلَى الْبُلْدَانِ

٤٨٦٢ - لَكِنَّ بَابَكَ لَيْسَ يَغْشَاهُ امْرُؤٌ

إِنْ لَمْ يَجِئْ بِالشَّافِعِ الْمِعْوَانِ

٤٨٦٣ - وَيَذِلُّ لِلْبَوَابِ وَالْحُجَابِ وَالشَّـ

شُفَعَاءِ أَهْلِ الْقُرْبِ وَالْإِحْسَانِ

٤٨٦٤ - أَفَيْسَتَوِي هَذَا وَهَذَا عِنْدَكُمْ

وَاللَّهُ مَا اسْتَوَى لَدَى الْإِنْسَانِ

٤٨٦٥ - وَالْمُشْرِكُونَ أَخْفُ فِي كُفْرَانِهِمْ

وَكَلاهُمَا مِنْ شَيْعَةِ الشَّيْطَانِ

٤٨٦٦ - إِنَّ الْمُعْطَلَّ بِالْعِدَاوَةِ قَائِمٌ

فِي قَالِبِ التَّنْزِيهِ لِلرَّحْمَنِ

الشرح

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

قوله: (فصل في مثل المشرك والمعتل) فالمؤلف يرى أن فتنة التعطيل أشد من فتنة الشرك، وهو

يقرر ذلك في هذا الفصل حيث يقول:

أَيْنَ الَّذِي قَدْ قَالَ فِي مَلِكٍ عَظِيمٍ
مَا فِي صِفَاتِكَ مِنْ صِفَاتِ الْمَلِكِ شَيْءٍ
م لَسْتُ فِينَا قَطُّ ذَا سُلْطَانٍ
كُلُّهَا مَسْلُوبَةٌ الْوَجْدَانِ

يعني: مسلوبة الوجود ومقصرة، مَنْ هذا؟ هو المعطل.

فَهَلْ اسْتَوَيْتَ عَلَى سَرِيرِ الْمَلِكِ أَوْ
دَبَّرْتَ أَمْرَ الْمَلِكِ وَالسُّلْطَانَ؟

هذا الاستفهام للنفي، يعني: أنك لم تستو على العرش؛ لأن المعطلة ينكرون استواء الله على عرشه.

أَوْ قُلْتَ مَرْسُومًا تُنْفِذُهُ الرَّعَا
يَا أَوْ نَطَقْتَ بِلَفْظَةٍ بَيِّنَةٍ؟

هذا معطوف على الاستفهام الذي بمعنى النفي، يعني: ما قلت مرسومًا ويعني بهذا المرسوم قوله

القرآن، أو نطقت بلفظة ببيان هذا عموم الكلام.

أَوْ كُنْتَ ذَا أَمْرٍ وَذَا نَهْيٍ وَتَك
لِيَمِ لَمَنْ وَافَى مِنَ الْبُلْدَانِ؟

هذا أيضًا تابع للنفي، يعني: أنك لم تأمر ولم تنه ولم تكلم؛ لأن الأمر والنهي من خصائص القول،

وهم يقولون: إن الله لا يقول ولا يتكلم، إذن فهو لا يأمر ولا ينهى.

أَوْ كُنْتَ ذَا سَمْعٍ وَذَا بَصَرٍ وَذَا
عِلْمٍ وَذَا سُخْطٍ وَذَا رِضْوَانٍ؟

هذا أيضًا داخل في النفي.

أَوْ كُنْتَ قَطُّ مُكَلِّمًا مُتَكَلِّمًا
مُتَصَرِّفًا بِالْفِعْلِ كُلَّ زَمَانٍ

هذا أيضًا داخل في النفي.

أَوْ كُنْتَ حَيًّا فَاعِلًا بِمَشِيئَةٍ
وَيُقَدِّرَةَ أفعالِ ذِي السُّلْطَانِ؟

هذا أيضًا داخل في النفي؛ لأنهم ينكرون أن الله يفعل، ويقولون: إن فعله مفعوله، وليس له فعل

قائم بذاته؛ لأنهم لا يرون لله أفعالًا تتعلق بالمشيئة، فيقولون: إنه لو قامت به أفعال تتعلق بمشيئته

لقامت به الحوادث وما قامت به الحوادث فهو حادث، وكل هذا سابق والحمد لله .

أَوْ كُنْتَ تَفْعَلُ مَا تَشَاءُ حَقِيقَةً أَل
لِ غَيْرِ مَعْقُولٍ لِذِي الْإِنْسَانِ

يعني: أنهم يقولون: إن فعل الله مفعوله، فيرد عليهم المؤلف بأن هذا محال أن يكون فعل يقوم بغير

الفاعل .

بَلْ حَالَةُ الْفَعَالِ قَبْلُ وَمَعٍ وَبَعْدُ
لِ هِيَ التِّي كَانَتْ بِلاَ فَوْقَانَ

يعني: حالة الفاعل قبل أن يفعل ومع فعله وبعد أن يفعل كلها إنما يتصف بها الفاعل دون المفعول.

وَاللَّهُ لَسْتُ بِفَاعِلٍ شَيْئًا إِذَا
مَا كَانَ شَأْنُكَ مِنْكَ هَذَا الشَّانِ

يعني: أنه لا يمكن أن يكون فاعلًا شيئًا إذا كان شأنه هذا الشأن .

لَا دَاخِلًا فِينَا وَلَسْتَ بِخَارِجٍ غَنَّا خِيَالًا دُزَّتْ فِي الْأَذْهَانِ
يعني أنهم يقولون: إن الله ليس داخلاً فينا ولا خارجاً عنا، إذن عدماً وخيالا في الأذهان.
فَبَأْي شَيْءٍ كُنْتَ فِينَا مَالِكًا مُلْكًا مُطَاعًا قَاهِرَ السُّلْطَانِ
اسمًا وَرَسْمًا لَا حَقِيقَةَ تَحْتَهُ شَأْنُ الْمُلُوكِ أَجَلٌ مِنْ ذَا الشَّانِ
يعني: شأن الملك في الدنيا عموماً - أي ملك - ليس لنا منه إلا اسمه ورسمه فقط.

مَنْ يَعْنِي بِالثَّانِي: الْمُشْرِكِ

هَذَا وَثَانٍ قَالَ أَنْتَ مَلِيكُنَا وَسِوَاكَ لَا تَرْضَاهُ مِنْ سُلْطَانِ
لأن المشركين يقولون بأن الله وحده هو الخالق الرازق، وأنه بيده ملكوت السماوات والأرض؛
ولهذا قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

إِذْ حُزَّتْ أَوْصَافُ الْكَمَالِ جَمِيعَهَا وَلَا أَجَلَ ذَا دَانَتْ لَكَ الثَّقَلَانِ
وَقَدْ اسْتَوَيْتَ عَلَى سَرِيرِ الْمُلْكِ وَاسِدٍ تَوَلَّيْتَ مَعَ هَذَا عَلَى الْبُلْدَانِ
لكن حصل الخلل عندهم في قول المؤلف رَحِمَهُ اللهُ عنهم:

لَكِنَّ بَابَكَ لَيْسَ يَغْشَاهُ امْرُؤٌ إِنْ لِمَ يَجِيئُ بِالشَّافِعِ الْمُعْوَانِ
هنا حصل الخلل من المشركين قال: إن الله لا بد أن يكون بيننا وبينه شفعا؟ لأن بابه عظيم لا
يلجحه .

وَيَذِلُّ لِلْبَوَابِ وَالْحُجَابِ وَالشِّ شُفَعَاءِ أَهْلِ الْقُرْبِ وَالْإِحْسَانِ
يعني: أن بابك لا يدخله أحد إلا بشفيع يذل له الطالب الذي يطلب القرب منك، فقوله: (ويذل)
معطوفة على يجيء، يعني: إن لم يجيء وإن لم يذل.
أَفِيسْتَوِي هَذَا وَهَذَا عِنْدَكُمْ وَاللَّهُ مَا اسْتَوَى لَدَى الْإِنْسَانِ

الإشارة هنا إلى المعطل والمشرك.

وَالْمُشْرِكُونَ أَحَقُّ فِي كُفْرَانِهِمْ وَكِلَاهُمَا مِنْ شِيعَةِ الشَّيْطَانِ
قوله: (وكلاهما من شيعة الشيطان) أي: المشرك والمعطل.

إِنَّ الْمُعْطَلُ بِالْعَدَاوَةِ قَائِمٌ فِي قَالِبِ التَّنْزِيهِ لِلرَّحْمَنِ
يعني: أن المعطل ملبس عليه؛ لأنه يقول: أنا أقول هكذا تنزيهاً لله حتى لا يشابه المخلوقين.



فصل

فيما أعد الله تعالى من الإحسان
للمتمسكين بكتابه وسنته رسوله ﷺ
عند فساد الزمان

٤٨٦٧- هَذَا وَلِلْمُتَمَسِّكِينَ بِسُنَّةِ الْ

مُخْتَارِ عِنْدَ فَسَادِ ذِي الْأَزْمَانِ

٤٨٦٨- أَجْرٌ عَظِيمٌ لَيْسَ يَقْدِرُ قَدْرَهُ

إِلَّا الَّذِي أُعْطَاهُ لِلإِنْسَانِ

٤٨٦٩- فَرَوَى أَبُو دَاوُدَ فِي سُنَنِ لَهُ

وَرَوَاهُ أَيْضًا أَحْمَدُ الشَّيْبَانِيُّ

٤٨٧٠- أَثَرًا تَضَمَّنَ أَجْرَ خَمْسِينَ امْرَأًا

مِنْ صَاحِبِ أَحْمَدَ خَيْرَةَ الرَّحْمَنِ

٤٨٧١- إِسْنَادُهُ حَسَنٌ وَمُضَدَّقٌ لَهُ

فِي مُسْلِمٍ فَافْهَمَهُ فَهَمَّ بِيَانِ

٤٨٧٢- إِنَّ الْعِبَادَةَ وَقَّتْ هَرْجَ هِجْرَةَ

حَقًّا إِلَيَّ وَذَلِكَ ذُو بُرْهَانَ

٤٨٧٣- هَذَا فَكَمْ مِنْ هِجْرَةَ لَكَ أَيُّهَا السُّ

سُنِّي بِالتَّحْقِيقِ لَا بِأَمَانِي

٤٨٧٤- هَذَا وَكَمْ مِنْ هِجْرَةَ لَهُمْ بِمَا

قَالَ الرَّسُولُ وَجَاءَ فِي الْقُرْآنِ

٤٨٧٥- هَذَا وَمُضَدَّقٌ لَهُ فِي التِّرْمِذِيِّ

ي لِمَنْ لَهُ أذُنَانِ وَاعْيَانِ

٤٨٧٦- فِي أَجْرِ مُحْيِي سُنَّةٍ مَاتَتْ فَذَا

كَ مَعَ الرَّسُولِ رَفِيقُهُ بِجَنَانِ

٤٨٧٧- هَذَا وَمِضْدَاقٌ لَهُ أَيضًا أَتَى

فِي التَّزْمِذِيِّ لِمَنْ لَهُ عَيْنَانِ

٤٨٧٨- تَشْبِيهُ أُمَّتِهِ بِغَيْثِ أَوَّلُ

مِنْهُ وَآخِرُهُ فَمُشْتَبِهَانِ

٤٨٧٩- فَلِذَاكَ لَا يَذْرِي الَّذِي هُوَ مِنْهُمَا

قَدْ خُصَّ بِالتَّفْضِيلِ وَالرُّجْحَانِ

الشَّرح

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

قوله: فصل فيما أعد الله تعالى من الإحسان للمتمسكين بكتابه وسنة رسوله ﷺ متى؟ عند فساد الزمان.

لأنه إذا كان الزمان صالحًا، وكان الناس فيه على الاستقامة سهل على الإنسان أن يستقيم، لكن إذا كان الزمان فاسدًا وكان الناس فيه على غير الاستقامة، فإن الاستقامة تكون صعبة، لأن الإنسان إذا استقام في مثل هذا الزمان وجد نفسه غريبًا بين الناس، ولكن «وَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ»^(١) وهذا أمر واضح فانظر إلى ابن صالح مثلاً في بيت أهله غير صالحين، فسوف تجد هذا الابن الصالح في التعب والمشقة والمعاناة؛ لكن انظر إلى رجل صالح في بيت أناس صالحين تجده يسهل عليه الصلاح بل يرى الغريب أن يفسد، لأنه بين قوم صالحين فإذا صلح الإنسان عند فساد الزمان كان عند الله أعظم أجرًا كما سيبيته المؤلف رَحِمَهُ اللهُ.

قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ تعالى:

هَذَا وَلِلْمُتَمَسِّكِينَ بِسُنَّةِ الْـ مُحْتَارِ عِنْدَ فَسَادِ ذِي الْأَزْمَانِ

قوله: (ذي الأزمان) ذي بمعنى هذي فهو اسم شارة، وليست من الأسماء الموصولة، والمعنى أن للمتمسكين بهذه السنة عند فساد الأزمان لهم كما قال المؤلف:

(١) صحيح: رواه أحمد في مسنده (٦٦٥٠)، وانظر الصحيحة (١٦١٩).

أَجْرٌ عَظِيمٌ لَيْسَ يَقْدِرُ قَدْرَهُ إِلَّا الَّذِي أَعْطَاهُ لِلْإِنْسَانِ

يعني: لهم أجر ليس يعلم قدره أحد ولأن الذي أعطاه للإنسان هو الله عز وجل.

فَرَوَى أَبُو دَاوُدَ فِي سُنَنِ لَهُ وَرَوَاهُ أَيْضًا أَحْمَدُ الشَّيْبَانِيُّ

أَثَرًا تَضَمَّنَ أَجْرَ خَمْسِينَ امْرَأً مِنْ صَحْبِ أَحْمَدَ خَيْرَةَ الرَّحْمَنِ

يقول: روى أبو داود والإمام أحمد رحمتهما أثرًا يتضمن: أن المتمسك بالسنة عند فساد الزمان له أجر خمسين من أصحاب النبي ﷺ (١)، وهذا أجر عظيم، يعني: إذا كنت متمسكًا بالسنة متبعًا لها عند فساد الزمان ومخالفة الناس لها، فلك أجر خمسين امرأة من أصحاب النبي ﷺ، ويقول المؤلف: إن هذا الأثر إسناده حسن.

إِسْنَادُهُ حَسَنٌ وَمِصْدَاقٌ لَهُ فِي مُسْلِمٍ فَافْهَمَهُ فَهَمَّ بِيَانِ

والذي في مسلم:

إِنَّ الْعِبَادَةَ وَقْتَ هَرَجِ هِجْرَةَ حَقًّا إِلَيَّ وَذَاكَ ذُو بُرْهَانَ

يعني: أنه عليه الصلاة والسلام أخبر فيما صح عنه أن العبادة في زمن الهرج، يعني: الاختلاط والقتل كهجرة إلى الرسول ﷺ (٢). يؤيد ما رواه أبو داود والإمام أحمد رحمتهما بأن للمتمسك بالسنة أجر خمسين من أصحاب الرسول ﷺ.

هَذَا فَكَمْ مِنْ هِجْرَةٍ لَكَ أَيُّهَا السُّبَّيِّ بِالتَّحْقِيقِ لَا بِأَمَانِي

يعني: إذا كانت العبادة في زمن الهرج كهجرة إلى الرسول عليه الصلاة والسلام، فما أكثر الهجرات التي تكون لك أيها السني، وقوله: (السُّبَّيِّ) بالضم نسبة إلى السُّبَّةِ لكن السُّبِّيَّ نسبة إلى السُّنِّ بالتحقيق. قوله: (بأمني) يعني: بالتمني فهي هجرة حقيقة كما قال النبي عليه الصلاة والسلام. ومراد النبي ﷺ من قوله هذا سواء ما رواه الإمام أحمد وأبو داود أو ما رواه مسلم الحث على التمسك بالسنة والصبر عليها وإن أودى الإنسان؛ لأنه لا بد أن يؤدي إذا كان الزمان فاسدًا ولا بد أن يسخر به ويتغامز به من مر به من المجرمين قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ ﴿٢١﴾ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَرُونَ ﴿٢٢﴾ [المطففين: ٢٩، ٣٠]، أحيانًا يسخرون من لباسهم، وأحيانًا من لحاهم، وأحيانًا من هيئاتهم، وأحيانًا في ورعهم وتجنّبهم المشتبهات وغير ذلك، المهم أن المتمسك بالسنة لا بد أن يؤدي عند فساد الزمان.

هَذَا وَكَمْ مِنْ هِجْرَةٍ لَهُمْ لِمَا قَالَ الرَّسُولُ وَجَاءَ فِي الْقُرْآنِ

وقوله: (هذا وكم من هجرة لهم لما) الضمير في لهم يعود على الصحابة، فالصحابه لهم هجرات كثيرة

(١) رواه الترمذي (٣٠٥٨)، وأبو داود (٤٣٤١)، وصحيح ابن حبان (١٠٨/٢)، برقم (٣٨٥)، وانظر الصحيحة (٤٩٤).

(٢) رواه أحمد في مسنده (٢٥/٥)، برقم (٢٠٣١٣)، وقال الشيخ شعيب رحمه الله تعالى: إسناده صحيح.



ونحن لنا هجرات كثيرة أيضاً، كل مسألة شرعية تفعلها عند فساد الزمان فإنها كهجرة للرسول عليه الصلاة والسلام، وما أكثر الذين هاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله.

هَذَا وَمِضْدَاقٌ لَهُ فِي التَّرْمِذِيِّ لِمَنْ لَهُ أُذُنَانِ وَعَيْنَانِ
فِي أَجْرِ مُحْيِي سُنَّةٍ مَاتَتْ فَذَا كَمَعَ الرَّسُولِ رَفِيقُهُ بِجَنَانِ
أَي: أَنْ مَنْ يَحْيِي سُنَّةَ مَنْ سَنَّ الرَّسُولُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مَاتَ فَإِنَّهُ رَفِيقُ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْجَنَّةِ.

هَذَا وَمِضْدَاقٌ لَهُ أَيضاً أَتَى فِي التَّرْمِذِيِّ لِمَنْ لَهُ عَيْنَانِ
تَشْبِيهِ أُمَّتِهِ بِغَيْثٍ أَوَّلٍ مِنْهُ وَآخِرُهُ فَمُشْتَبِهَانِ
فَلِذَاكَ لَا يُدْرِي الَّذِي هُوَ مِنْهُمَا قَدْ خُصَّ بِالتَّفْضِيلِ وَالرُّجْحَانِ

يعني: أن النبي عليه الصلاة والسلام شبه أُمَّتَهُ بِالْغَيْثِ لَا يُدْرِي أَوَّلُهُ مِنْ آخِرِهِ (٢)، يعني: أنهم متشابهون أول الأمة وآخرها؛ لأن أول الأمة لهم السبق والفضل ونقل الشريعة، وآخر الأمة لهم حمايتها عند فساد الزمان، فكلهم أخذ من حماية هذه الشريعة بنصيب؛ فلهذا لا يُدْرِي أَوَّلُهُمْ مِنْ آخِرِهِمْ.



* قَوْلُهُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٤٨٨٠ - وَلَقَدْ أَتَى أَثْرَبًا نَ الْفَضْلَ فِي الطِّ

طَرَفَيْنِ أَعْنِي أَوَّلًا وَالثَّانِي

٤٨٨١ - وَالْوَسْطُ ذُو تَبَجٍ فَأَعْوَجُ هَكَذَا

جَاءَ الْحَدِيثُ وَلَيْسَ ذَا نُكْرَانِ

٤٨٨٢ - وَلَقَدْ أَتَى فِي الْوَحْيِ مِضْدَاقٌ لَهُ

فِي الثُّلَثَيْنِ وَذَلِكَ فِي الْقُرْآنِ

٤٨٨٣ - أَهْلُ الْيَمِينِ فُتْلَةٌ مَعَ مِثْلِهَا

وَالسَّابِقُونَ أَقْلٌ فِي الْحُسْبَانِ

٤٨٨٤ - مَا ذَاكَ إِلَّا أَنْ تَابِعَهُمْ هُمْ أَلْ

غُرَبَاءُ لَيْسَتْ غُرَبَاءَ الْأَوْطَانِ

(١) سنن ابن ماجه (٢٠٩) .

(٢) صحيح: انظر صحيح الجامع (٥٨٥٤) .



٤٨٨٥ - لَكِنَّهَا وَاللَّهِ غُرْبَةٌ قَائِمٌ

بِالَّذِينَ بَيْنَ عَسَاكِرِ الشَّيْطَانِ

٤٨٨٦ - فَلِذَاكَ شَبَّهَهُمْ بِهِ مَثْبُوعُهُمْ

فِي الْغُرْبَتَيْنِ وَذَاكَ ذُو تَبِيَّانٍ

٤٨٨٧ - لَمْ يَشْبِهُوهُمْ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِمْ

مِنْ كُلِّ وَجْهِ لَيْسَ يَسْتَوِيَانِ

٤٨٨٨ - فَانظُرْ إِلَى تَفْسِيرِهِ الْغُرْبَاءَ بِالْـ

مُحِينَ سُمَّتُهُ بِكُلِّ زَمَانٍ

٤٨٨٩ - طُوبَى لَهُمْ وَالشُّوقُ يَخْدُوهُمْ إِلَى

أَخَذِ الْحَدِيثِ وَمُخَكَّمِ الْقُرْآنِ

٤٨٩٠ - طُوبَى لَهُمْ لَمْ يَغْبَوْا بِنَحَاتِهِ أَلْـ

أَفْكَارِ أَوْ بِزِبَالَةِ الْأَذْمَانِ

٤٨٩١ - طُوبَى لَهُمْ رَكِبُوا عَلَى مَتْنِ الْعَزَا

ئِمِّ قَاصِدِينَ لِمَطْلَعِ الْإِيمَانِ

٤٨٩٢ - طُوبَى لَهُمْ لَمْ يَغْبَوْا شَيْئًا بِذِي أَلْـ

آرَاءِ إِذْ أَعْتَنَاهُمْ الْوَحْيَانِ

٤٨٩٣ - طُوبَى لَهُمْ وَإِمَامُهُمْ دُونَ الْوَرَى

مَنْ جَاءَ بِالْإِيمَانِ وَالْقُرْآنِ

٤٨٩٤ - وَاللَّهِ مَا اتَّمُّوا بِشَخْصِ دُونَهُ

إِلَّا إِذَا مَا دَلَّهُمْ بِبَيِّنَانِ

٤٨٩٥ - فِي الْبَابِ آثَارٌ عَظِيمٌ شَأْنُهَا

أَعْيَتْ عَلَى الْعُلَمَاءِ فِي الْأَزْمَانِ

٤٨٩٦- إِذْ أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ أَنَّ صَحَابَةَ الْ

مُخْتَارِ خَيْرِ طَوَائِفِ الْإِنْسَانِ

٤٨٩٧- ذَا بِالضَّرُورَةِ لَيْسَ فِيهِ الْخُلْفُ يَدُ

مَنْ اثْنَيْنِ مَا حُكِيَتْ بِهِ قَوْلَانِ

٤٨٩٨- فَلِذَلِكَ ذِي الْآثَارِ أَعْضَلَ أَمْرَهَا

وَبَعَّوْا لَهَا التَّوْبِيلَ بِالْإِحْسَانِ

٤٨٩٩- فَاسْمَعْ إِذَا تَأْوِيلَهَا وَافْهَمْهُ لَا

تَعْجَلْ بِرَدِّ مَنْكَ أَوْ نُكْرَانِ

٤٩٠٠- إِنَّ الْبِدَارَ بِرَدِّ شَيْءٍ لَمْ تُحَطْ

عِلْمًا بِهِ سَبَبٌ إِلَى الْحَزْمَانِ

٤٩٠١- الْفَضْلُ مِنْهُ مُطْلَقٌ وَمُقَيَّدٌ

وَهُمَا لِأَهْلِ الْفَضْلِ مَرْتَبَتَانِ

٤٩٠٢- وَالْفَضْلُ ذُو التَّقْيِيدِ لَيْسَ بِمُوجِبٍ

فَضْلًا عَلَى الْإِطْلَاقِ مِنْ إِنْسَانٍ

٤٩٠٣- لَا يُوجِبُ التَّقْيِيدُ أَنْ يَقْضِيَ لَهُ

بِالْإِسْتِوَاءِ فَكَيْفَ بِالرُّجْحَانِ؟

٤٩٠٤- إِذْ كَانَ ذُو الْإِطْلَاقِ حَازَ مِنَ الْفَضَا

ئِلِ فَوْقَ ذِي التَّقْيِيدِ بِالْإِحْسَانِ

٤٩٠٥- فَإِذَا فَرَضْنَا وَاحِدًا قَدْ حَازَ نُو

عًا لَمْ يَحُزْهُ فَافْضَلِ الْإِنْسَانِ

٤٩٠٦- لَمْ يُوجِبِ التَّخْصِيفُ مِنْ فَضْلِ عَلِيٍّ

عِهِ وَلَا مُسَاوَاةٍ وَلَا نَقْصَانِ

٤٩٠٧- مَا خَلَقُ آدَمَ بِالْيَدَيْنِ بِمُوجِبِ

فَضْلًا عَلَى الْمَبْعُوثِ بِالْقُرْآنِ

٤٩٠٨- وَكَذَا خَصَائِصُ مَنْ أَتَى مِنْ بَعْدِهِ

مِنْ كُلِّ رُسُلِ اللَّهِ بِالْبُرْهَانِ

٤٩٠٩- فَمَحَمَّدٌ أَعْلَاهُمْ فَوْقًا وَمَا

حَكَمَتْ لَهُمْ بِمِزِيَةِ الرَّجْحَانِ

٤٩١٠- فَالْحَائِزُ الْخَمْسِينَ أَجْرًا لَمْ يَخُزْ

هَافِي جَمِيعِ شَرَائِعِ الْإِيمَانِ

٤٩١١- هَلْ حَازَهَا فِي بَدْرٍ أَوْ أُحُدٍ أَوْ أَلْ

فَتَحِ الْمُبِينِ وَيَبْعَةَ الرِّضْوَانِ

٤٩١٢- بَلْ حَازَهَا إِذْ كَانَ قَدْ عَدِمَ الْمُعِي

نَ وَهُمْ فَقَدْ كَانُوا أَوْلِيَ أَعْوَانِ^(١)

٤٩١٣- وَالرَّبُّ لَيْسَ يَضِيغُ مَا يَتَحَمَّلُ أَلْ

مُتَحَمِّلُونَ لِأَجْلِهِ مِنْ شَانِ

الشَّرح

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

قال ابن القيم:

وَلَقَدْ أَتَى أَثْرٌ بِأَنَّ الْفَضْلَ فِي الطُّ رَفَيْنِ أَغْنِي أَوْلَا وَالثَّانِي

قوله: (الطرفين). يعني: طرفي الأمة أولها وآخرها. والمعنى أنه قد أثر بأن الفضل في أول الأمة وفي آخرها؛ أما الفضل في أولها: فواضح للسبق والجهاد وتبيين الشريعة ونقلها للأمة، أما في آخرها: فمن المعين، على حين كانوا هم يجدون على الحق أعوانًا.

(١) [٤٩١٠: ٤٩١٢] قال العلامة محمد خليل هراس:

فكذلك الحائر لأجر خمسين رجلاً من الصحابة لم يجزها في جميع الأعمال الإيمانية حتى يكون أفضل أو مساوياً للصحابة فإنه لم يجزها في بدرٍ ولا أُحُدٍ، ولا في فتح مكة ولا بيعة الرضوان تحت الشجرة، وإنما حازها بسبب غربته وفقده للناصر المعين، على حين كانوا هم يجدون على الحق أعوانًا.

أجل ما يحصل في آخرها من الفتن والضلال، يكون الصابر على هذه الفتن والضلال مأجورًا أجر خمسين من الصحابة.

وَالْوَسْطُ ذُو نَبِيحٍ فَأَعْوَجُ هَكَذَا جَاءَ الْحَدِيثُ وَلَيْسَ ذَا نُكْرَانِ
قوله: ذو النبیح یعنی: وسط الشیء وظهوره.

وَلَقَدْ أَتَى فِي الْوَحْيِ مِضْدَاقٌ لَهُ فِي الثَّلَاثِينَ وَذَاكَ فِي الْقُرْآنِ
يشير إلى قوله تعالى: ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ﴾ وقوله تعالى: ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾ وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ [الواقعة: ٤٠].

أَهْلُ الْيَمِينِ فِثْلَةٌ مَعِ مِثْلَهَا وَالسَّابِقُونَ أَقْلٌ فِي الْحُسْبَانِ
فالسابقون وهم أيضًا قال الله فيهم: ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾ وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ [الواقعة: ١٤]، وإذا جمعنا هاتين الآيتين بعضهما إلى بعض تبين أن أول الأمة أفضل من آخرها.

وهم أيضًا أفضل من وسطها هكذا؛ لأن الله قال في أصحاب اليمين: ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾ وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ وقال في السابقين: ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ إذا ثلثة الآخرين أقل من ثلثة السابقين؛ لأن الله قال: ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾.

مَا ذَاكَ إِلَّا أَنْ تَابِعَهُمْ هُمْ أَلْ غُرَبَاءُ لَيْسَتْ غُرَبَاءَ الْأَوْطَانِ
لدينا غربتان: غربة الدين، وغربة الوطن، ولكن غربة الدين أشد من غربة الوطن، إذ إن غريب الوطن ربما تزول غربته بما يحصل له من الفرح والسرور، بتجدد الإخوان والأصحاب، لكن غربة الدين هي البلاء وهي التي تحتاج إلى الصبر.

لَكِنَّهَا وَاللَّهِ غُرَبَاءٌ قَائِمٌ الَّذِينَ بَسِينِ عَسَاكِرِ الشَّيْطَانِ
فَلِذَاكَ شَبَّهَهُمْ بِهِمْ مَثْبُوءُهُمْ فِي الْغُرَبَاتَيْنِ وَذَاكَ ذُو تَبْيَانِ
يعني: أنهم غرباء بين عساكر الشيطان كما شبههم النبي عليه الصلاة والسلام قال: «بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ غَرِيبًا فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ آخِرِ الْأَرْمَانِ»^(١). إذن الغربة في أول الإسلام وفي آخره، فأهل الإسلام غرباء في الأول وغرباء في الثاني.

وقوله: (بمبتوعهم) يعني: رسول الله ﷺ.

لَمْ يَشْبَهُوهُمْ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِمْ مِنْ كُلِّ وَجْهِ لَيْسَ يَسْتَوِيَانِ
يعني: أن الغرباء في الآخر لا يشبهون الغرباء في الأول من كل وجه، بل ليس يستويان.

فَانظُرْ إِلَى تَفْسِيرِهِ الْغُرَبَاءُ بِالْ مُحْيِينَ سُنَّتَهُ بِكُلِّ زَمَانِ

يعني: أن الرسول ﷺ فسر الغرباء بالذين يحبون سنته بين أهل البدع، أو يقومون بطاعته بين أهل الفسق، والغريب معروف مأخوذ من الغربة، وهو ألا يكون للإنسان من يشابهه في مجتمعه.

طُوبَى لَهُمْ وَالشُّوقُ يَحْدُوهُمْ إِلَى أَخْذِ الْحَدِيثِ وَمُحْكَمِ الْقُرْآنِ

قوله: (طوبى لهم) اختلف المفسرون في قوله تعالى: ﴿طُوبَى لَهُمْ وَحَسَنُ مَا بَرَّ﴾ [الرعد: ٢٩] فقال بعضهم: إنها شجرة في الجنة يسير الراكب في ظلها مائتي عام لا يقطعها، وقال بعضهم: بل إن طوبى علي وزن فُعلى مأخوذة من الطيب، والمراد بها الجنة، فالجنة كلها تسمى طوبى باعتبار أنها طيبة، ونقول نحن: إن الأخير أعم من الأول ويكون إطلاق طوبى على الشجرة من باب إطلاق العام على الخاص.

طُوبَى لَهُمْ لَمْ يَعْزَبُوا بِنَحَاتِهِ الْـ أَفْكَارٍ أَوْ بِزِبَالَةِ الْأَذْهَانِ

طُوبَى لَهُمْ رَكِبُوا عَلَى مَثَنِ الْعَزَا ئِمٍ قَاصِدِينَ لِمَطْلَعِ الْإِيمَانِ

يعني: أن المتمسكين بالقرآن والسنة لم يفعلوا مثل من خالفوا الحديث والقرآن في أسماء الله وصفاته وغيرها، ثم إنهم لم يتوانوا ولم يتأخروا بل ركبوا مطايا العزائم.

طُوبَى لَهُمْ لَمْ يَعْجَبُوا شَيْئًا بِذِي الْـ آرَاءِ إِذْ أَعْتَنَاهُمْ الْوَحْيَانِ

طُوبَى لَهُمْ وَإِمَامُهُمْ دُونَ الْوَرَى مَنْ جَاءَ بِالْإِيمَانِ وَالْقُرْآنِ

وَاللَّهُ مَا اثْتَمُّوا بِشَخْصٍ دُونَهُ إِلَّا إِذَا مَا دَلَّهُمْ بَيِّنَانِ

يعني: أن هؤلاء المتمسكين بالحديث ومحكم القرآن إمامهم دون الناس محمد ﷺ، فلم يأتوا بأحد سواه، بل كان هو الإمام المقتدى به في العقائد والأخلاق والأعمال فعلاً وتركاً.

فِي الْبَابِ آثَارٌ عَظِيمَةٌ شَأْنُهَا أَعْيَتْ عَلَى الْعُلَمَاءِ فِي الْأَزْمَانِ

قوله: (في الباب) أي: في هذا البحث، والباب يطلق عند العلماء إذا قالوا لم يصح في هذا الباب شيء يعني: في هذه المسألة أو في هذا البحث أو في هذا الموضوع. وقوله: (أعيت) يعني: أعجزتهم، فانتبهوا لها ووجه ذلك:

إِذْ أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ أَنَّ صِحَابَةَ الْـ مُخْتَارِ خَيْرُ طَوَائِفِ الْإِنْسَانِ

و هذا بالاتفاق كما دل عليه النص الثابت عن النبي ﷺ في قوله: «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُوتُهُمْ»^(١). وهذا لا إشكال فيه.

ذَا بِالضَّرُورَةِ لَيْسَ فِيهِ الْخُلْفُ بَيِّـ نَ اثْنَيْنِ مَا حُكِيَتْ بِهِ قَوْلَانِ

فَلِذَلِكَ ذِي الْآثَارِ أَعْضَلَ أَمْرَهَا وَبَعَسُوا لَهَا التَّأْوِيلَ بِالْإِحْسَانِ

يعني: امتنع أمرها وشق على الناس.

فَأَسْمَعُ إِذَا تَأْوِيلَهَا وَأَفْهَمُهُ لَا تَعْجَلْ بِرَدِّ مِنْكَ أَوْ نُكْرَانِ
أراد المؤلف رَحِمَهُ اللهُ أَنْ يَنْبَهَنَا عَلَى تَأْوِيلِ هَذِهِ النُّصُوصِ، وَالْجَمْعُ بَيْنَهَا فَقَالَ: (لَا تَعْجَلْ بِرَدِّ) ثُمَّ ذَكَرَ
بَيِّنَاتٍ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ نِبْرَاسًا يَسِيرٌ عَلَيْهِ الْمَرْءُ هُوَ قَوْلُهُ:

إِنَّ الْبَدَارَ بِرَدِّ شَيْءٍ لَمْ تُحْطْ عِلْمًا بِهِ سَبَبٌ إِلَى الْجِزْمَانِ
يعني: أَنْ كُلَّ شَيْءٍ لَا تُحِيطُ بِهِ عِلْمًا لَا تَبَادُرْهُ، وَمَا أَكْثَرَ مَا نَرُدُّ الشَّيْءَ ثُمَّ نَنْدَمُ إِذَا تَعَجَّلْنَا بِرَدِّهِ
أَحْيَانًا، مَثَلًا: تَجِدُ حَتَّى فِي كِتَابِ الْعِلْمِ أَنَّ الْمَوْلِفَ يَطْلُقُ الْعِبَارَةَ فَتَقُولُ: لِمَاذَا أَطْلَقَهَا؟ ثُمَّ تَقُولُ: هَذَا
الْإِطْلَاقُ فِيهِ نَظَرٌ. فَإِذَا بِالْمَوْلِفِ يَقِيدُ فِي آخِرِ الْكَلَامِ عِبَارَتَهُ.

أَيْضًا يَتَكَلَّمُ مَعَكَ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ فَتَبْدُرُ مِنْهُ كَلِمَةً تَظُنُّ أَنَّهَا خَطَأٌ؛ فَتَرُدُّ عَلَيْهِ فَيُبَيِّنُ لَكَ مَرَادَهُ فَتَرْجِعُ
فِي حَكْمِكَ، فَيَقُولُ: اصْبِرْ لَمْ يَتِمَّ الْكَلَامُ، فَكَوْنَ الْإِنْسَانُ يَتَأَنَّى وَلَا يَرُدُّ الشَّيْءَ إِلَّا بَعْدَ أَنْ يَتَبَيَّنَ لَهُ الْخَطَأُ
لَا شَكَّ أَنَّ هَذَا مِنَ الْعَقْلِ.

وقوله: (إِنَّ الْبَدَارَ بِرَدِّ شَيْءٍ) الْبَدَارُ يَعْنِي: الْمُبَادَرَةُ، مِنْ بَادَرَ يَبَادِرُ مِثْلَ قَاتِلٍ يِقَاتِلُ قِتَالًا وَمَقَاتِلَةً.

إِنَّ الْبَدَارَ بِرَدِّ شَيْءٍ لَمْ تُحْطْ عِلْمًا بِهِ سَبَبٌ إِلَى الْجِزْمَانِ
إِذَنْ مَاذَا أَعْمَلُ؟ أَنْتَظِرُ وَأَتَأَنَّى؛ حَتَّى إِذَا اسْتَكَلَمْتَ الْأُمُورَ وَصَارَ هُنَاكَ مَجَالٌ لِلرَّدِّ رَدَدْتَ.

فَأَسْمَعُ إِذَا تَأْوِيلَهَا وَأَفْهَمُهُ لَا تَعْجَلْ بِرَدِّ مِنْكَ أَوْ نُكْرَانِ
إِنَّ الْبَدَارَ بِرَدِّ شَيْءٍ لَمْ تُحْطْ عِلْمًا بِهِ سَبَبٌ إِلَى الْجِزْمَانِ
وَهُمَا لِأَهْلِ الْفَضْلِ وَمُتَّقِيهِ

يعني: الْفَضْلُ الَّذِي يُوصَفُ بِهِ الْإِنْسَانُ مُطْلَقٌ وَمَقِيدٌ: مُطْلَقٌ يَعْنِي: عَلَى كُلِّ حَالٍ، وَمَقِيدٌ: فِي حَالِ
مَعِينَةٍ، انْتَبِهْ إِلَى هَذَا، فَمَثَلًا تَقُولُ: هَذَا الرَّجُلُ أَفْضَلُ مِنْ هَذَا الرَّجُلِ عَلَى سَبِيلِ الْإِطْلَاقِ، ثُمَّ تَقُولُ:
وَالرَّجُلُ الْمَفْضُولُ أَفْضَلُ مِنْهُ فِي كَذَا، وَإِذَا وَجَدْنَا رَجُلًا عَالِمًا كَرِيمًا شَجَاعًا كَانَ فَاضِلًا فَضْلًا مُطْلَقًا عَلَى
مَنْ لَيْسَ كَذَلِكَ، لَكِنْ قَدْ يَفْضَلُهُ الثَّانِي بِحَسَنِ الْخَلْقِ وَدِمَائَةِ الْأَخْلَاقِ، فَيَكُونُ الْفَضْلُ إِذَنْ يَنْقَسِمُ إِلَى
قَسْمَيْنِ مُطْلَقٍ وَمَقِيدٍ، وَسَيَذْكَرُ الْمَوْلِفُ مَثَلًا وَأَضْحًا يَقُولُ:

وَالْفَضْلُ ذُو التَّقْيِيدِ لَيْسَ بِمُوجِبٍ فَضْلًا عَلَى الْإِطْلَاقِ مِنْ إِنْسَانٍ

يعني: أَنَّ الْفَضْلَ الْمَقِيدَ لَا يُوجِبُ أَنْ يَكُونَ الْفَاضِلُ أَفْضَلَ مِنْ ذِي الْفَضْلِ الْمَطْلُوقِ؛ لِأَنَّ الْفَضْلَ كَمَا
قُلْنَا نَوْعَانِ: فَضْلٌ مُطْلَقٌ: يَكُونُ هَذَا الْإِنْسَانُ أَفْضَلَ مِنْ غَيْرِهِ عَلَى الْإِطْلَاقِ، وَفَضْلٌ مَقِيدٌ: أَنْ يَفْضَلَ
غَيْرُهُ فِي شَيْءٍ مَعِينٍ. فَهَلْ إِذَا فَضَلَ الْإِنْسَانُ غَيْرَهُ فِي شَيْءٍ مَعِينٍ يَسْلُتَرَمُ أَنْ يَكُونَ أَفْضَلَ مِنْهُ عَلَى
الْإِطْلَاقِ؟ لَا وَهَذَا قَالَ:

وَالْفَضْلُ ذُو التَّقْيِيدِ لَيْسَ بِمُوجِبٍ فَضْلًا عَلَى الْإِطْلَاقِ مِنْ إِنْسَانٍ

يعني: لَيْسَ بِمُوجِبٍ فَضْلًا عَلَى مَنْ فَضَلَهُ مُطْلَقًا.

لَا يُوَجِبُ التَّقْيِيدَ أَنْ يُفْضِيَ لَهُ بِالِاسْتِثْوَاءِ فَكَيْفَ بِالرُّجْحَانِ
صحيح يعني: أن الفضل المقيد لا يوجب أن يكون مساويًا لذي الفضل المطلق فضلًا عن أن
يكون أرجح منه وأعلى منه، مثلًا نحن نقول: التابعون أفضل من تابعي التابعين على الإطلاق. لكن
قد يوجد في تابعي التابعين من هو أفضل من كثير من التابعين، لكن هو فرد معين، كذلك الفضائل في
شخص معين قد يكون هذا الرجل له فضائل عديدة فيكون أفضل من غيره على الإطلاق، ويكون
غيره له خاصية أطول من الأول منه؛ ولهذا لا يوجب أن يكون الثاني أفضل على الإطلاق، يقول:

إِذْ كَانَ ذُو الْإِطْلَاقِ حَازَ مِنَ الْفَضَا ثَلِ فَوْقَ ذِي التَّقْيِيدِ بِالْإِحْسَانِ
هذا تعيين لقوله: فكيف بالرجحان؛ لأن ذا الإطلاق حاز من الفضائل فوق ذي التقيد
بالإحسان، فمثلًا: هذا له مائة فضيلة وهذا له فضيلة واحدة لا توجد في ذي المائة الأول فسمي الأول
فضلًا مطلقًا، والثاني: فضلًا مقيدًا، فالذي اختص بفضيلة لا توجد عند صاحب الفضائل الكثيرة لا
يوجب عليها أن يكون أفضل من الأول.

فَإِذَا فَرَضْنَا وَاحِدًا قَدْ حَازَ نُو عَالَمٌ يَحْزُهُ فَاضِلُ الْإِنْسَانِ
لَمْ يُوَجِبِ التَّخْصِيسُ مِنْ فَضْلِ عَلِيٍّ هِ وَلَا مَسَاوَاةٍ وَلَا تَقْصَانِ
مَا خَلَقَ آدَمَ بِالْيَدَيْنِ بِمُوجِبِ فَضْلًا عَلَى الْمَبْعُوثِ بِالْقُرْآنِ
هذا من أوضح الأمثلة أن آدم عليه الصلاة والسلام امتاز بفضيلة لم تكن لغيره، وهي أن الله خلقه
بيده الكريمة، وهذه الفضيلة لا توجب أن يكون أفضل من محمد صلى الله عليه وسلم؛ لأن فضل
محمد صلى الله عليه وسلم مطلق، وفضل آدم مقيد بشيء معين، فلا يوجب أن يكون هذا المقيد مساويًا
أو أرجحًا على ذي الفضل المطلق.

وَكَذَا خَصَائِصُ مَنْ أَتَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ كُلِّ رُسُلِ اللَّهِ بِالْبُرْهَانِ
فَمُحَمَّدٌ أَعْلَاهُمْ فَوْقًا وَمَا حَكَمَتْ لَهُمْ بِمَزِيَةِ الرُّجْحَانِ
يعني: أن الأنبياء الذين جاءوا بعد آدم لهم خصائص ليست لمحمد عليه الصلاة والسلام، فموسى
يلقي العصا فتكون حية، ومحمد صلى الله عليه وسلم لم يحصل له ذلك، وإبراهيم ألقى في النار وخرج
سالمًا، ومحمد صلى الله عليه وسلم لم يحصل له ذلك، عيسى عليه السلام يقف على القبر فيخرج
صاحب القبر حيًّا، ومحمد صلى الله عليه وسلم لم يحصل له ذلك، فهل هذا يوجب أن يكون هؤلاء
الرسول الكرام الذين خصوا بهذه الفضائل أفضل من محمد صلى الله عليه وسلم؟ لا؛ لأن فضلهم هذا
مقيد بفضيلة واحدة، فليس كمن كان فضله على الإطلاق.

فَالْحَائِزُ الْخَمْسِينَ أَجْرًا لَمْ يَحْزُرْ هَا فِي جَمِيعِ شَرَائِعِ الْإِيمَانِ
يعني من عمل عملاً صالحًا في آخر الزمان - في زمان الغربة - له أجر خمسين واحد من الصحابة،

لكنه لم يجزها على الإطلاق بل على التقييد في هذا الزمن - زمن الغربة - ولكن هذا الفضل المقيد لا يستلزم أن يكون أفضل ممن حازوا الفضائل في بدر؛ ولهذا قال:

هَلْ حَازَهَا فِي بَدْرٍ أَوْ أَحَدٍ أَوْ أَلْ - فَتَحَ الْمُبِينِ وَيَبْعَةَ الرِّضْوَانِ
ما حازها قطعاً، بل حاز الخمسين.

بَلْ حَازَهَا إِذْ كَانَ قَدْ عَدِمَ الْمُعْبِدِ - مَنْ وَهُمْ فَقَدْ كَانُوا أَوْلِي أَعْوَانِ
يعني: أنه حازها؛ لأنه ليس له معين يعينه على العبادة، وأما هؤلاء لهم أعوان يعينونهم فلا يحوزون فضل الغربة كما حازها هو؛ فصار هذا له أجر خمسين في هذه العبادة فقط، وليس له الأجر الكامل المطلق؛ لأن لهم فضائل عديدة ما شاركهم فيها أحد.

وَالرَّبُّ لَيْسَ يَضِيعُ مَا يَتَحَمَّلُ أَلْ - مُتَحَمِّلُونَ لِأَجْلِهِ مِنْ شَانِ
يعني: أنه الحمد لله لا يضيع الله عز وجل أجر المتحملين من أجله؛ الذين صبروا وأوذوا وصاروا غرباء بين الناس، ومع ذلك هم ثابتون على دينهم، فهؤلاء لهم أجر عظيم لا يضيعه الله عز وجل.



* قوله رَحِمَهُ اللهُ:

٤٩١٤ - فَتَحَمَّلُ الْعَبْدِ الضَّعِيفِ رِضَاهُ مَعَ

فَيْضِ الْعَدُوِّ وَقِلَّةِ الْأَعْوَانِ

٤٩١٥ - مِمَّا يَدُلُّ عَلَى يَقِينِ صَادِقٍ

وَمَحَبَّةٍ وَحَقِيقَةٍ الْعَرْفَانِ

٤٩١٦ - يَكْفِيهِ ذُلًّا وَاعْتِرَابًا قَلَّةُ أَلْ

أَنْصَارِ بَيْنَ عَسَاكِرِ الشَّيْطَانِ

٤٩١٧ - فِي كُلِّ يَوْمٍ فِرْقَةٌ تَغْزُوهُ إِنَّ

تَرْجِعُ يَوَافِيهِ الْفَرِيقُ الثَّانِي

٤٩١٨ - فَسَلِ الْغَرِيبَ الْمُسْتَضَامَ عَنِ الَّذِي

يَلْقَاهُ بَيْنَ عَدَى بِلَا حُسْبَانِ

٤٩١٩ - هَذَا وَقَدْ بَعُدَ الْمَدَى وَتَطَاوَلَ أَلْ

عَهْدُ الَّذِي هُوَ مُوجِبُ الْإِحْسَانِ

٤٩٢٠ - وَلِذَاكَ كَانَ كَقَابِضٍ جَمْرًا فَسَلَّ

أَحْشَاءَهُ عَنِ حَرِّ ذِي النَّيِّرَانِ

٤٩٢١ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالَّذِي فِي قَلْبِهِ

يَكْفِيهِ عِلْمُ الْوَاحِدِ الْمَنَّانِ

٤٩٢٢ - فِي الْقَلْبِ أَمْرٌ لَيْسَ يَقْدِرُ قَدْرَهُ

إِلَّا الَّذِي آتَاهُ لِلْإِنْسَانِ

٤٩٢٣ - بِرٌّ وَتَوْحِيدٌ وَصَبْرٌ مَعَ رِضَا

وَالشُّكْرُ وَالتَّحْكِيمُ لِلْقُرْآنِ

الشرح

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

يبين المؤلف رَحِمَهُ اللهُ فضيلة هؤلاء الغرباء حين عبدوا الله عز وجل على حين غربة، فقال رَحِمَهُ اللهُ:

فَتَحْمَلُ الْعَبْدُ الضَّعِيفَ رِضَاً مَعَ فَيْضِ الْعَدُوِّ وَقَلَّةِ الْأَعْوَانِ

مِمَّا يَدُلُّ عَلَى يَقِينِ صَادِقٍ وَمَحَبَّةٍ وَحَقِيقَةِ الْعَرْفَانِ

قوله: فتحمل العبد الوحيد. أي: الذي ليس معه أحد بل هو غريب بين الناس رضى بالله.

وقوله: (مع فيض العدو) فيضه يعني: كثرته، وقوله: (وقلة الأعوان) مما يدل على أن يقينه صادق،

ولا شك إذا التفت يميناً وشمالاً وإلى كل الناس على خلافه، فإن ثبوته على ما هو عليه دليل على يقينه

الصادق ومحبه لله عز وجل وقوله: (وحقيقة العرفان) أي: أنه عارف بالله حقيقة.

يَكْفِيهِ ذُلًّا وَاعْتِزَابًا قَلَّةُ الْـ أَنْصَارِ بَيْنَ عَسَاكِرِ الشَّيْطَانِ

يعني: أنه دليل بل هو عزيز بما أنعم الله به عليه من العبادة والتوكل على الله واحتساب الأجر من

الله، وإن كان غريباً ذليلاً باعتبار الظاهر للناس.

فِي كُلِّ يَوْمٍ فِرْقَةٌ تَعْزُرُوهُ إِنْ تَرَجَّعَ يَوْفِيهِ الْفَرِيقُ الثَّانِي

يعني: أن الناس يغزونه من كل وجه، فغزوه هذه الفرقة بالسنة ظاهره كظاهر السلف الصالح

فالحلحية موفرة، والثياب مرفوعة عن الكعب، والهيبية والوقار، وتغزوه طائفة أخرى في العقيدة؛ هذا

مثل وهذا مجسم وهذا حشوي وما أشبه ذلك، تغزوه فرقة من جهة الأخلاق وترك اللغو والبعد عن

ضياح الوقت فيقولون: هذا منغل منطو على نفسه لا خير فيه. المهم أن الفرق: فرق الشياطين

شياطين الإنس تغزوه من كل جانب وهو مستعين بالله وثابت.

فَسَلِ الْغَرِيبَ الْمُسْتَضَامَ عَنِ الَّذِي يَلْقَاهُ بَيْنَ عِدَى بِلَا حُسْبَانِ
الغريب يعني: الذي ليس معه أحد. المستضام أي: المضيق عليه.

هَذَا وَقَدْ بَعُدَ الْمَدَى وَتَطَاوَلَ الْعَهْدُ الَّذِي هُوَ مُوجِبُ الْإِحْسَانِ
قوله: (بعد المدى وتطاول العهد) أي: العهد بينه وبين عهد الرسول عليه الصلاة والسلام؛ طويل
لأنه كلما قرب العهد من زمن الرسالة فإنه يكون أقوى إيماناً وأصح إسلاماً.

وَلِذَلِكَ كَانَ كَقَابِضٍ جَمْرًا فَسَلَّ
عَنِ الرَّجْلِ الْقَابِضِ عَلَى الْجَمْرِ (١) يَجِدُ مِنَ الْحَرِّ مَا لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ.

وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالَّذِي فِي قَلْبِهِ يَكْفِيهِ عِلْمُ الْوَاحِدِ الْمَثَانِ
فِي الْقَلْبِ أَمْرٌ لَيْسَ يَقْدِرُ قَدْرَهُ إِلَّا الَّذِي آتَاهُ لِلْإِنْسَانِ
بِرٌّ وَتَوْحِيدٌ وَصَبْرٌ مَعَ رِضَا وَالشُّكْرُ وَالتَّحْكِيمُ لِلْقُرْآنِ
قوله: (في القلب أمر) يقصد به: البرو التوحيد والصبر والرضا والشكر والتحكيم للقرآن.
يعني: ستة أشياء والبرُّ ليس المقصود به بر الوالدين، بل البر من آمن بالله واليوم الآخر كما ذكر الله عز
وجل في سورة البقرة.

* قَوْلُهُ رَحِمَ اللَّهُ:



٤٩٢٤ - سُبْحَانَ قَاسِمٍ فَضْلِهِ بَيْنَ الْعِبَا

دِ ذَاكَ مُوَلِّي الْفَضْلِ وَالْإِحْسَانِ

٤٩٢٥ - فَالْفَضْلُ عِنْدَ اللَّهِ لَيْسَ بِصُورَةٍ أَل

أَعْمَالٍ بَلْ بِحَقَائِقِ الْإِيمَانِ

٤٩٢٦ - وَتَفَاضُلِ الْأَعْمَالِ يَتَّبِعُ مَا يَقُو

مُ بِقَلْبٍ صَاحِبِهَا مِنْ الْإِحْسَانِ

٤٩٢٧ - حَتَّى يَكُونَ الْعَامِلَانِ كِلَاهُمَا

فِي رُتْبَةٍ تَبْدُو لَنَا بَعِيَانِ

٤٩٢٨ - هَذَا وَيَيْنَهُمَا كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ

(١) روى الترمذى في سننه (٢٢٦٠) من حديث أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يأتي على الناس زمان الصابر فيهم على دينه كالقابض على الجمر»، وصححه الألبانى في صحيح الجامع (٨٠٠٢).

وَالْأَرْضُ فِي فَضْلِ وَفِي رُجْحَانِ

٤٩٢٩- وَيَكُونُ بَيْنَ ثَوَابِ دَا وَثَوَابِ دَا

رُتَبٌ مُضَاعَفَةٌ بِإِلَّا حُسْبَانِ

٤٩٣٠- هَذَا عَطَاءُ الرَّبِّ جَلَّ جَلَالُهُ

وَبِذَلِكَ تَعْرِفُ حِكْمَةَ الرَّحْمَنِ^(١)

الشَّحْ

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

سُبْحَانَ قَاسِمِ فَضْلِهِ بَيْنَ الْعِبَادِ دَفْدَاكَ مُوَلِّيَ الْفَضْلِ وَالْإِحْسَانِ

قوله: (سبحان). يعني: تنزيهاً له؛ حيث قسم الفضل بين عباده ولم يقسمه عن عبث ولكن عن حكمة، كما قال تعالى: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٤].

وَالْفَضْلُ عِنْدَ اللَّهِ لَيْسَ بِضَوْرَةِ أَلْ أَعْمَالِ بَلْ بِحَقَائِقِ الْإِيمَانِ

أي: أن الفضل بحقائق الإيمان لا بصورة الأعمال، فالصورة على اسمها صورة مثلاً تجد الخوارج الكفرة يصلون أفضل مما نصلي، ويصومون ويتصدقون ويذكرون الله كثيراً، فصورة أعمالهم أفضل من صورة أعمالنا كما قال النبي ﷺ: «يَخْفَرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِمْ»^(٢). ومع ذلك هم من أبعد الناس عن رب العالمين، نسأل الله العافية، فالمنافق كما قال تعالى: ﴿وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ﴾ [المنافقون: ٤]. من حسنه وهم أبعد الناس عن الإيمان، ثم يقول:

فَالْفَضْلُ عِنْدَ اللَّهِ لَيْسَ بِضَوْرَةِ أَلْ أَعْمَالِ بَلْ بِحَقَائِقِ الْإِيمَانِ

وَتَفَاضُلِ الْأَعْمَالِ يَتَّبِعُ مَا يَقُو

حَتَّى يَكُونَ الْعَامِلَانِ كِلَاهُمَا

هَذَا وَبَيْنَهُمَا كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ

يعني: تجد مثلاً اثنين يصليان معاً جماعة وبعوار بعضهما، لكن بين كل واحد والآخر في الفضل في

(١) [٤٩٣٠] قال العلامة محمد خليل هراس:

فهذا عطاؤه وفضله الذي قسمه بين أهل الفضل من خلقه، وهذه حكمته البالغة في تفاوت درجات الأعمال في الإحسان وتفاوتها تبعاً لذلك في الجزاء، قال تعالى ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ يَمَنَّا عَمَلَةٌ وَالْيُوفِيُّهَا أُعْمَلُهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الأحقاف: ١٩].

وقال سبحانه من سورة آل عمران ﴿هُمْ دَرَجَتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بِصِيرَاتِهِمْ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٣].

(٢) رواه البخاري (٣٤١٤)، ومسلم (١٠٦٤).

هذه الصلاة كما بين السماء والأرض؛ وذلك لما يقوم بقلب صاحبها من الإنابة إلى الله والإيمان به والصدق والطمأنينة وغير ذلك.

وَيَكُونُ بَيْنَ ثَوَابِ ذَا وَثَوَابِ ذَا رُتِبَ مُضَاعَفَةً بِأَلَا حُسْبَانَ
يعني: أنه قد يعمل العاملان العمل الواحد، لكن بينها في الفضل عند الله والثواب رتب عظيمة متباينة.

هَذَا عَطَاءُ الرَّبِّ جَلَّ جَلَالُهُ وَبِذَلِكَ تَعْرِفُ حِكْمَةَ الرَّحْمَنِ
نسأل الله أن يعطينا وإياكم من فضله إنه جواد كريم.



* قوله رَحِمَهُ اللهُ:

فصل

فيما أعد الله تعالى في الجنة لأوليائه
المتمسكين بالكتاب والسنة

٤٩٣١ - يَا خَاطِبَ الْخُورِ الْجِسَانِ وَطَالِبًا

لِوَضَائِلِهِنَّ بِجَنَّةِ الْحَيَوَانِ

٤٩٣٢ - لَوْ كُنْتَ تَدْرِي مَنْ خَطَبْتَ وَمَنْ طَلَبَ

سَتْ بَذَلْتَ مَا تَحْوِي مِنَ الْأَثْمَانِ

٤٩٣٣ - أَوْ كُنْتَ تَدْرِي أَيْنَ مَسْكَنُهَا جَعَلْ

سَتْ السَّعْيِ مِنْكَ لَهَا عَلَى الْأَجْفَانِ

٤٩٣٤ - وَلَقَدْ وَصَفْتُ طَرِيقَ مَسْكَنِهَا فَإِنْ

رُمْتَ الْوِصَالَ فَلَا تَكُنْ بِالْوَانِي

٤٩٣٥ - أَسْرِعْ وَحُتَّ السَّيْرِ جَهْدَكَ إِنَّمَا

مَسْرَاكَ هَذَا سَاعَةٌ لِرَمَانِ

٤٩٣٦ - فَاغْشَقْ وَحَدِّثْ بِالْوِصَالِ النَّفْسَ وَابِ

سُدُّ مَهْرَهَا مَا دُمْتَ ذَا إِمْكَانٍ

٤٩٣٧- وَاجْعَلْ صِيَامَكَ دُونَ لُقْيَاهَا وَيَوْمَ

مَ الْوَضَلِ يَوْمَ الْفِطْرِ مِنْ رَمَضَانَ

٤٩٣٨- وَاجْعَلْ نُعُوتَ جَمَالِهَا الْحَادِي وَسِرُّ

نَلْقَ الْمَخَاوِفِ وَهِيَ ذَاتُ أَمَانٍ

٤٩٣٩- لَا يَلْهِيَنَّكَ مَنْزِلٌ لَعِبَتْ بِهِ

أَيْدِي الْبَلَى مُذْ سَالَفِ الْأَزْمَانِ

٤٩٤٠- فَلَقَدْ تَرَحَّلَ عَنْهُ كُلُّ مَسْرَّةٍ

وَتَبَدَّلَتْ بِهَا لَهْمٌ وَالْأَخْزَانِ

٤٩٤١- سَجُنٌ يَضِيقُ بِصَاحِبِ الْإِيمَانِ لَدَى

كَيْنِ جَنَّةِ الْمَأْوَى لِذِي الْكُفْرَانِ

٤٩٤٢- سُكَّانُهَا أَهْلُ الْجَهَالَةِ وَالْبَطَا

لَةِ وَالسَّفَاهَةِ أَنْجَسُ الشُّكَّانِ

٤٩٤٣- وَالَّذُهُمْ عَيْشًا فَاجْهَلُهُمْ بِحَقِّ

قِ اللَّهِ ثُمَّ حَقَّاقِ الثُّزَانَ

الشَّرح

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

يقول المؤلف رَحِمَهُ اللهُ: (فصل فيما أعد الله تعالى في الجنة لأوليائه المتمسكين بالكتاب والسنة)، أفادنا بقوله: فيما أعد أي أن الجنة الآن موجودة وهو كذلك كما قال الله تعالى: ﴿أَعَدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣]. وأفادنا في قوله لأوليائه المتمسكين أن الأولياء هم المتمسكون بالكتاب والسنة، وهؤلاء هم المؤمنون المتقون، كما قال الله تعالى ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الذِّبَرِ: ٦٢] آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿ [يونس: ٦٢، ٦٣].

ثم قال: يا خاطب الحور الحسان إلى آخره. ولا شك أن هذه الدعوة من المؤلف دعوة حميدة، كلُّ يريدتها ويريد الوصول إليها، لكن هناك ما هو ألد وأنعم من الوصول إلى هؤلاء الحور وهو الوصال

إلى رضا الله ورؤية الله عز وجل، ولعل المؤلف سيذكره فيما بعد لكن ذكر هذا - والله أعلم - من باب التشويق والمقدمة، فقال:

يا خاطِبَ الحُورِ الحِسانِ وَطالِبًا لوصالِهِنَّ بِجَنَّةِ الحِوانِ
الحور يقولون: لا تكون المرأة حوراء إلا إذا ابيض وجهها واسودت عيناها، فسواد العينين في بياض الوجنتين هذا هو الحور.

قوله: (بجنة الحوان) أي: بجنة الحياة؛ لأن الحوان هنا بمعنى الحياة، كما قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الحِوانُ﴾ [العنكبوت: ٦٤].

لَوْ كُنْتُ تَدْرِي مَنْ حَطَبْتُ وما طَلَبْتُ بَدَلْتُ ما تَحْوِي مِنَ الأَثمانِ
يعني: أننا لو كنا ندرى لبذلنا كل ما نحويه من الأثمان ومن الأعمال، ولكننا لا ندرى حقيقة هؤلاء النساء، ندرى أنهن حور حسان خيرات الأخلاق وأنهن مقصورات في الخيام وأنهن قاصرات الطرف؛ ولهذا تأملوا الآيات التي في آخر الرحمن لما ذكر الله المأكولات والمشروبات فرق بين الجنتين، فقال في الأولى: ﴿فِيها عِيانٌ تَجْرانِ﴾ [الرحمن: ٥٠] و﴿فِيها مِن كُلِّ فاكِهَةٍ رَوانِ﴾ [الرحمن: ٥٢] وفي الثانية ﴿فِيها عِيانٌ نَضَّجانِ﴾ [الرحمن: ٦٦] ﴿فِيها فاكِهَةٌ ومُخلٌ ومُمانِ﴾ [الرحمن: ٦٨] فهى دون الأولى لكن في النساء، قال عز وجل: ﴿فِيهِنَّ خَيراتٌ حِسانٌ﴾ [الرحمن: ٧٠] والفرق بين الخيرات والحسان أنهم خيرات في أخلاقهن حسان في خلقتهن، فالخلقة حسنة، والطبع جميل خير، نسأل الله أن يجعلنا وإياكم من أهلها.

وقوله: (لو كنت تدري من خطبت ومن طلبت)، بمعنى: أننا لا ندرى، عن الحقيقة، أي: حقيقة ما بالجنة فلا يعلمه أحد ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ ما أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعينِ﴾ [السجدة: ١٧] فإننا مع عملنا نسأل الله أن يعاملنا بعفوه؛ لأن عملنا عمل الجاهل، ولقد قال الله عز وجل: ﴿ثُمَّ إِنَّكَ بَعْدَ ذَلِكَ لَمِتُونَ﴾ [المؤمنون: ١٥] فأكد الموت بآن واللام مع أنه واضح وكلنا يقر به، لكن عمل الناس عمل من لا يؤمن بالموت بل من يستبعد هذا، فنحن نعلم ما في الجنة من نعيم، لكننا كأننا جاهلون؛ لذلك نسأل الله أن يعاملنا بعفوه وإحسانه.

أَوْ كُنْتُ تَعْرِفُ أَيْنَ مَسَكُنُها جَعَلْتُ السَّعِي مِنْكَ لَها عَلى الأَجفانِ
فالسعي لها يكون على الأجفان لا على الأقدام، لأنه سعي للمحسوب المطلوب، ولكن على الأجفان خاصة.

وقوله: (لو كنت تدري أن مسكنها). فمسكنها في جنات عدن وفوقه عرش الرحمن جل جلاله، فهو أعظم مسكن وأعلى مسكن وأطيب مسكن، فإذا علمت هذا المسكن جعلت السعي منك لها على الأجفان أي: أجفان العيون التي هي أرق شيء في الإنسان، ولكن تتحمل هذه المشقة بالسعي على الأجفان من أجل الوصول إلى هذا المسكن.

وَلَقَدْ وَصَفْتُ طَرِيقَ مَسْكِنِهَا فَإِنْ رُمْتَ الْوِصَالَ فَلَا تَكُنْ بِالْوَانِي

قوله: لا تكن بالواني أي: بالضعيف في الطلب فعليك أن تسعى على وجه القوة في الطلب، ولكن كما قال نبينا وإمامنا ﷺ: «أَحْرَضَ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنَ بِاللَّهِ»^(١). أي: لا تعتمد على نفسك فتخذل، بل استعن بالله عز وجل في كل مطلوبك.

أَسْرَعُ وَحُتُّ السَّيْرِ جَهْدَكَ إِنَّمَا مَسْرَاكَ هَذَا سَاعَةٌ لِرَمَانٍ

قوله: (ساعة لزمان). أي: أن كل الدنيا ساعة من الزمن، فلو جعلت الليل والنهار كله عملاً للوصول إلى هذا المكان لانقضى بسرعة، وكأنه لحظات وساعة من نهار.

فَاعْشُقْ وَحَدِّثْ بِالْوِصَالِ النَّفْسَ ذُلُّ مَهْرَهَا مَا دُمْتَ ذَا إِمْكَانٍ

قوله: (فاعشق) يعني: كن بالنسبة لهذه الحور محباً شديداً الحب والعشق لها، والعشق من أعلى أنواع المحبة التي منها المحبة والخلة؛ ولهذا لم نعلم أن الله اتخذ خليلاً من خلقه إلا رجلين اثنين: إبراهيم ومحمداً صلوات الله عليهما وسلامه، وقوله: فاعشق؛ لأن الانسان بلا عشق لا يتحرك، فالإنسان الذي يتحرك لمرأة يريد أن يتزوجها فإنه يحبها ويعشقها، ويتحدث دائماً عن وصلها، أما أن تعشق ولا تحدث نفسك بالوصال فاعلم أنك لن تسعى للوصال، فلو أن شخصاً عشق امرأة ولكن يعلم أنه لو خطبها من أهلها ما أجابوه ولا أجابت هي، فهل يعمل لهذا أم لا يعمل؟ لا يعمل؛ لأنه يعلم أن عمله ضائع، فإذا لم يكن هناك محبة وتحديث النفس بأن هذا المحبوب يمكن الوصول إليه، فإنك لن تسرع ولن تعمل لهذا.

وقوله: (وابذل مهرها ما دمت ذا إمكان) ومهرها هو الإيثار والعمل الصالح، أعاننا الله وإياكم عليه.

وَاجْعَلْ صِيَامَكَ دُونَ نُقْيَاهَا وَيَوْمَ الْوُصْلِ يَوْمَ الْفِطْرِ مِنْ رَمَضَانَ

أي: اجعل صيامك قبل لقيها أي: قبل أن تلقاها؛ لأنك إن مت قبل أن تصوم عن المعاصي ما وصلت إليها، فصم عن المعاصي في هذه الدنيا قبل أن تلقاها، ويكون الفطر يوم القيامة يوم الوصل.

وَاجْعَلْ نُعُوتَ جَمَالِهَا الْحَادِي وَسِرَّ الْمَخَاوِفِ وَهِيَ ذَاتُ أَمَانٍ

قوله: (اجعل نعوت جمالها). هذا أمر لكننا لا يمكن أن نصل إلى نعوت الجمال إلا عن طريق الوحيين الكتاب والسنة، وقد ذكر المؤلف رَحِمَهُ اللهُ فِي كِتَابِهِ «حَادِي لَأَرْوَاحٍ إِلَى بِلَادِ الْأَفْرَاحِ» من أوصاف الحور ما يكفي لمن له همة أن يعمل للوصول إليها.

لَا يَلْهَيْتُكَ مَنْزِلٌ لَعِبْتُ بِهِ أَيْدِي الْبَلَى مُذْ سَالِفِ الْأَرْمَانِ

قوله: (لا يلهنك منزل لعبت به). يعني: بهذا المنزل الدنيا، والمعنى: ألا تجعل الدنيا تلهيك عن

الآخرة.

وقوله: أيدي البلى يعني: الفناء والتلف.

وقوله: (لعبت مذ سالف الأزمان). أي: مما مضى، فقد ترك الناس لك الدنيا بعد أن غادروها ويعد أن أفسدوها أو أفسدتهم ولم يبق إلا الخثالة.

فَلَقَدْ تَرَحَّلَ عَنْهُ كُلُّ مَسْرُورٍ وَتَبَدَّلَتْ بِأَلْهَمِّ وَالْأَحْزَانِ

يعني: أن هذه الدنيا لا تدوم مسراتها بل تتبدل بالأحزان.

يقول الشاعر:

فَيَوْمٌ عَلَيْنَا وَيَوْمٌ لَنَا وَيَوْمٌ نُسَاءُ وَيَوْمٌ نُسْرُ

ويقول الآخر:

لَا طِيبَ لِلْعَيْشِ مَا دَامَتْ مُنْعَصَةٌ لَدَاتُهُ بِأَذْكَارِ الْمَوْتِ وَالْهَرَمِ

وقد صدق الأول والثاني، فلا تكاد يمر بك يومان وأنت مسرور لم ينغصك شيء؛ إما من خاصة نفسك أو من أهلك أو من أصحابك أو من المجتمع، ولو فرض أن الإنسان في أطيب ما يكون من العيش وأبعد ما يكون عن المشاكل، فهو إذا فكر ساعة في المال سيكون أحد أمرين: إما موت أو هرم، إن مت فقد فت، وإن هرمت فقد تعبت وأتعبت؛ ولهذا تجمد أن الهرم الذي يصل إلى حد الهذيان يمل منه أهله ويضعونه في زاوية من البيت يتكلم ويصيح فلا يأتيه أحد من أهله.

سَجْنٌ يَضِيقُ بِصَاحِبِ الْإِيمَانِ لَ كُنْ جَنَّةُ الْمَأْوَى لِذِي الْكُفْرَانِ

قوله: (سجن يضيق بصاحب الإيمان). يعني: أن المؤمن سجنه الدنيا، لوجهين: الوجه الأول: أنه لا يرى فيها ما يسره من حيث الإيمان والعمل الصالح إلا نادراً، الوجه الثاني: أنه يرتقب داراً أنعم وأكمل وأطيب من هذه الدنيا كما قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ نُوَفِّقُهُمُ الْمَلَائِكَةَ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلِّمْ عَلَيْنَا مِنْ أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ﴾ [النحل: ٣٢] وهذا حال الموت عند المؤمنين يتوفون طيبين - اللهم اجعلنا منهم - وتقول لهم الملائكة سلام عليكم ادخلوا الجنة الآن؛ ولهذا إذا كان الإنسان المؤمن في قبره وسئِلَ ثم انفتحت له أبواب إلى الجنة فينظر إليها فيعلم أنه كان في عذاب.

وهذا يعني: أن الدنيا جنة للكافر؛ جنة بالنسبة لما يلقاه من العذاب؛ ولأن الكافر لا يتقيد بشيء في الدنيا، لأن كل شيء عنده حلال فيزني ويسرق ويشرب الخمر ويلبس الحرير، وكل شيء منعم به، أي: الدنيا فهي له جنة ولكن هي للمؤمن سجن، يقال إن ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ كان قاضي القضاة في مصر، وكان إذا أتى من بيته إلى العمل أو ذهب يميناً وشمالاً يركب العربة - والعربة في ذلك الوقت بمنزلة سيارة الكاديلاك - تجره البغال أو الخيل، فمر ذات يوم برجل زيات من اليهود - يهودي يبيع الزيت - وكلّ ثيابه مدنسة بالزيت وسخة، فأوقفه اليهودي - أوقف الحافظ ابن حجر - وقال له إن نبيكم يقول «إِنَّ

الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر^(١). وأنت الآن فيما أنت فيه من النعيم في الدنيا وأنا اليهودي فيما أنا فيه من العذاب - عذاب الزيات - أهبذا صدق نبيكم؟ قال ابن حجر: نعم صدق رسول الله ﷺ، فما أنعم به من الدنيا الآن هو بالنسبة لنعيم الآخرة سجن، وما أنت فيه من البؤس في الدنيا هو بالنسبة لعذاب الآخرة نعيم، فقال اليهودي: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله. سبحان الله إن هذا هو الحق الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر.

سُكَّانُهَا أَهْلُ الْجَهَالَةِ وَالْبَطَا لَةَ وَالسَّفَاهَةِ أَنْجَسُ السُّكَّانِ

قوله: (أهل البطالة) أي: ليس عندهم عمل وأهل السفاهة: أي ليس عندهم حكمة بل هم سفهاء وقوله: أنجس السكان. أي: ليس فيهم طهارة، وكل هذا أوصاف لسكانها الذين آثروها على الآخرة أي: لسكان الدنيا وهي فيها الأنبياء وفيها الصديقون وفيها الشهداء وفيها الصالحون، إذن المؤلف رحمة الله يذم سكانها الذين آثروها على الآخرة.

وَأَلْذُهُمْ عَيْشًا فَأَجْهَلُهُمْ بِحَقِّ قِ اللَّهِ ثُمَّ حَقَائِقِ الْقُرْآنِ

يعني: أن أذهم عيشًا هو الجاهل بالله، وبحقائق الإياني؛ لأنه ميت قلبه، لا يبحث في أسماء الله ولا في صفاته، ولا في أحكامه، ولا في الإياني به، فأعماله بهيمية بل هو أضل من البهيمة.

مسألة: كيف نجتمع بين قوله عليه الصلاة والسلام أن الدنيا سجن المؤمن، وبين قوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً﴾؟

الجواب: الحياة الطيبة لا تقتضي كثرة المال، ولا كثرة الأولاد، ولا القصور المشيدة لكن الحياة الطيبة هي ما طاب عيش صاحبها ولو كان أفقر الناس؛ ولهذا لم يقل الله عز وجل: ﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ فلنرزقنه أي: نكثر أولاده ونكثر ماله ونحسن مسكنه، بل قال: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً﴾ ومعنى هذا أنك تجد المؤمن التقي - ولو كان من أفقر عباد الله - تجده من أطيب الناس قلبًا.

مسألة: بالنسبة للخلة بين البشر، هل للبشر أن يتخذ بعضهم بعضًا خليلاً؟

الجواب: نحن نسأل الله أن يجعلنا متخذين محمدًا خليلاً لنا، يعني: نحن نجعل الرسول خليلاً لنا، لكن كون بعضنا يجعل لنفسه خليلاً هذا فيه نظر؛ لأنني أخشى أن تتطور هذه الخلة حتى تكون محبة مع الله، وإذا كانت محبة مع الله - أعاذنا الله وإياكم من ذلك - صارت نوعًا من الشرك، قال تعالى: ﴿مُحِبُّوهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥]، فالإنسان يجب عليه أنه يضبط نفسه في هذه المسائل، ولا يتخذ خليلاً إلا محمدًا ﷺ من البشر؛ ولهذا يقول أبو هريرة: سمعت خليلي ﷺ يقول كذا وكذا^(٢)... وأوصاني خليلي بكذا وكذا.

(١) رواه مسلم (٢٣٩٢).

(٢) رواه مسلم (٢٥٠).

* قوله رَحِمَهُ اللهُ:

٤٩٤٤- عَمَرْتُ بِهِمْ هَذِي الدِّيَارُ وَأَقْفَرْتُ

مِنْهُمْ رُبُوعُ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ

٤٩٤٥- قَدْ آثَرُوا الدُّنْيَا وَلَذَّةَ عَيْشِهَا أَلْ

فَنَانِي عَلَى الْجَنَّاتِ وَالرِّضْوَانِ

٤٩٤٦- صَحِبُوا الْأَمَانِي وَابْتَلُوا بِحُطُوبِهِمْ

وَرَضُوا بِكُلِّ مَذَلَّةٍ وَهَوَانِ

٤٩٤٧- كَذْحًا وَكَذًّا لَا يَفْتَرُ عَنْهُمْ

مَا فِيهِ مِنْ غَمٍّ وَمِنْ أْخْزَانِ

٤٩٤٨- وَاللَّهِ لَوْ شَاهَدْتَ هَاتِيكَ الضُّدُو

رَ رَأَيْتَهَا كَمَرَا جِلِّ التِّيَرَانِ

٤٩٤٩- وَوَفُودُهَا الشَّهَوَاتُ وَالْحَسْرَاتُ وَالْ

آلَامُ لَا تَخْبُؤُ مَدَى الْأَزْمَانِ

٤٩٥٠- أَبْدَانُهُمْ أَجْدَاثُ هَاتِيكَ التُّفُو

سِ السَّلَاءِ قَدْ قُبِرَتْ مَعَ الْأَبْدَانِ

٤٩٥١- أَرْوَاحُهُمْ فِي وَخْشَةٍ وَجُسُومُهُمْ

فِي كَذْحِهَا لَا فِي رِضَا الرَّحْمَنِ

٤٩٥٢- هَرَبُوا مِنَ الرِّقِّ الَّذِي خَلَقُوا لَهُ

فَبَلُّوا بِرِقِّ النَّفْسِ وَالشَّيْطَانِ

٤٩٥٣- لَا تَرَضُ مَا اخْتَارُوهُ هُمْ لِئُفُوسِهِمْ

فَقَدِ ارْتَضَوْا بِالذَّلِّ وَالْحِزْمَانِ

٤٩٥٤- لَوْ سَاوَتْ الدُّنْيَا جَنَاحَ بَعْضَةٍ

- لَمْ يَشِقْ مِنْهَا الرَّبُّ ذَا الْكُفْرَانِ
 ٤٩٥٥ - لَكِنَّهَا وَاللَّهِ أَحْقَرُ عِنْدَهُ
- مِنْ ذَا الْجَنَاحِ الْقَاصِرِ الطَّيْرَانِ
 ٤٩٥٦ - وَلَقَدْ تَوَلَّتْ بَعْدُ عَنْ أَصْحَابِهَا
- فَالسَّغْدُ مِنْهَا حَلٌّ فِي الدَّبْرَانِ
 ٤٩٥٧ - لَا يَزْتَجِي مِنْهَا الْوَفَاءُ لِصِبِّهَا
- أَيْنَ الْوَفَا مِنْ غَادِرِ خَوَّانِ
 ٤٩٥٨ - طِبَعَتْ عَلَى كَدَرٍ فَكَيْفَ يَنَالُهَا
- صَفْوًا أَهَذَا قَطُّ فِي الْإِمْكَانِ؟
 ٤٩٥٩ - يَا عَاشِقَ الدُّنْيَا تَأْهَبُ لِلَّذِي
- قَدْ نَالَهُ الْعُشَّاقُ كُلَّ زَمَانِ
 ٤٩٦٠ - أَوْ مَا سَمِعْتَ بَلَى رَأَيْتَ مَصَارِعَ الْـ
- عُشَّاقٍ مِنْ شَيْبٍ وَمِنْ شُبَّانِ

الشرح

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

عَمَّرْتُ بِهِمْ هَذِي الدِّيَارُ وَأَقْفَرْتُ مِنْهُمْ رُبُوعَ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ
 قوله: (عمرت بهم) أي: بسكان الدنيا الذين آثروها على الآخرة.

قَدْ آثَرُوا الدُّنْيَا وَلَذَّةَ عَيْشِهَا الْـ فَنَانِي عَلَى الْجَنَّاتِ وَالرِّضْوَانِ
 قوله: (آثروا الدنيا) أي: على العمل الصالح والإيمان فما يهتمهم إلا لذاتهم في هذه الدنيا.

صَحِبُوا الْأَمَانِي وَابْتَلُوا بِحُظُوظِهِمْ وَرَضُوا بِكُلِّ مَذَلَّةٍ وَهَوَّانِ
 يعني: أنهم عاشوا على الأماني، وقد قال النبي ﷺ: «الْعَاجِزُ مَنْ اتَّبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ الْأَمَانِي»^(١). ومن ذلك أن منهم من إذا نصحته وقلت له: اتق الله وأدِّ ما عليك. قال: الله غفور رحيم أو تلا عليك هذه الآية: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨].

(١) ضعيف: رواه الترمذي (٢٤٥٩)، وابن ماجه (٤٢٦٠)، وأحمد (١٧١٦٤)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٤٣٠٥).

وكانه لم يفهم قوله: ﴿لَمَنْ يَسْأَلُ﴾ نقول له: ما الذي أعلمك أنك ممن شاء الله أن يغفر له؟ فالله عز وجل لم يقل ويغفر ما دون ذلك فقط، فكان ساعتها نقول: نعم افعل ما شئت إلا الشرك، لكن قال: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَسْأَلُ﴾ حسب ما تقتضيه حكمته، فلست أنت على جزم بأنك ممن يغفر له، فأنت متمنٌ على الله الأمانى.

كَدْحًا وَكَدًّا لَا يَفْتَرُ عَنْهُمْ مَافِيهِ مِنْ غَمٍّ وَمِنْ أَحْزَانٍ

يعني: أنهم يكدحون، أي يعملون ويكدون ويتعبون أنفسهم، ومع ذلك قلوبهم مملوءة بالغم والحزن.

وَاللَّهُ لَوْ شَاهَدَتْ هَاتِيكَ الضُّدُو رَزَايَتَهَا كَمَرَا جِلِّ النَّيِّرَانِ

قوله: (المرجل) أي: القدر على النار موقدة عليه، تسمع له أزيزًا وصوتًا، فقلوبهم والعياذ بالله مثل مراجل النيران لما فيها من الحر والغم والههم.

ولذلك نحن نقول: إنك لا تظن أن هؤلاء الكفرة من الغربيين وغير الغربيين في نعيم، والله إنهم في جحيم، فقلوبهم الآن ملأى من الجحيم، و معها دانت لهم الدنيا فهم في جحيم، لكن يغروننا بما يدعون أنهم فيه من النعيم ونظن أن هذا حقيقة.

وَاللَّهُ لَوْ شَاهَدَتْ هَاتِيكَ الضُّدُو رَزَايَتَهَا كَمَرَا جِلِّ النَّيِّرَانِ

وَوُفُودَهَا الشَّهَوَاتِ وَالْحَسْرَاتِ وَالْآلَمَ لَا تَحْبُو مَدَى الْأَزْمَانِ

قوله: (وقودها) يعني: الذي توقد به هذه القلوب من شهوات وحسرات على ما فاتهم من الدنيا، كل واحد منهم يريد أن يكون مثل الثاني، فإذا فاته ما للثاني ازداد همًا وغمًا وحسرة، والآلام البدنية لا تحبو مدى الأزمان.

أَبْدَانُهُمْ أَجْدَاثُ هَاتِيكَ النَّفْسِ بِنِ اللَّاءِ قَدْ فُيِّرَتْ مَعَ الْأَبْدَانِ

قوله: (أبدانهم أجداث) يعني: أن أبدانهم قبور هاتيك النفوس والأرواح الخبيثة التي ليس عندها إلا الهموم والأحزان، فأبدانهم هي قبور هذه الأرواح.

أَرْوَاحُهُمْ فِي وَحْشَةٍ وَجُسُومُهُمْ فِي كَدْحِهَا لَا فِي رِضَا الرَّحْمَنِ

قوله: (في كدحها) وفي نسخة أخرى في كدها وعلى الوجهين معناهما واحد.

وقوله: (أرواحهم في وحشة)؛ لأنها لم تأنس بالله عز وجل؛ ولم تأنس بما ترجوه من رحمته، فهي في وحشة من الله وفي وحشة من عباد الله، فأنت مثلًا الآن إذا فعلت معصية تجذب نفسك تستوحش من الناس، وكان الناس يقرءونها على صفحات وجهك، فتجد أنك خجلان من الناس مع أنهم ما علموا عنك شيئًا.

أَرْوَاحُهُمْ فِي وَحْشَةٍ وَجُسُومُهُمْ فِي كَدْحِهَا لَا فِي رِضَا الرَّحْمَنِ

هَرَبُوا مِنَ الرَّقِّ الَّذِي خُلِقُوا لَهُ قَبِلُوا بِرِقِّ النَّفْسِ وَالشَّيْطَانِ

هذا البيت لو كتب بهاء الذهب لكان رخيصاً وهو قوله: هربوا من الرق الذي خلقوا له إلى آخره. قوله: (الرق) يكون الله عز وجل، بأن نكون عبيداً له، ونسأل الله أن يجعلنا عبيداً له، وقوله: وبلوا برق النفس والشيطان. أي صاروا عبيداً لنفوسهم وللشيطان فهم ممن قال الله عنهم: ﴿أَسْتَبِدُّونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾ [البقرة: ٦١] فهم هربوا من الرق الذي يعتبر حرية لهم وهو عبودية الله إلى رق الشيطان الذي هو الذل والخسارة في الدنيا والآخرة.

لَا تَرْضَ مَا اخْتَارُوهُ هُمْ لِنَفْسِهِمْ فَقَدِ ارْتَضَوْا بِالذُّلِّ وَالْحِزْمَانِ

يعني: أن العاقل لا يرضى بما رضى به هؤلاء لنفوسهم، وإنما يرضى بما رضىه الرسل وأتباعهم، جعلنا الله وإياكم منهم.

لَوْ سَاوَتْ الدُّنْيَا جَنَاحَ بَعُوضَةٍ لَمْ يَسْقِ مِنْهَا الرَّبُّ ذَا الْكُفْرَانِ

وهذا معني قول النبي ﷺ «لَوْ أَنَّ الدُّنْيَا تُسَاوِي عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَى مِنْهَا كَافِرًا شَرْبَةَ مَاءٍ»^(١). لأن الكافر ليس أهلاً لذلك مع أن الله ينعم على الكافر في الدنيا؛ لأنها ليست شيئاً عند الله.

لَكِنَّهَا وَاللَّهِ أَحَقُّرُ عِنْدَهُ ذِمِّنْ ذَا الْجَنَاحِ الْفَاصِرِ الطَّيْرَانِ

أي: أنها أحقر عند الله من جناح البعوضة؛ ولهذا قال ﷺ «رَكَعَتَا الْفَجْرِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا»^(٢). كل الدنيا منذ خلقت إلى أن تفتني وهاتان الركعتان، كم تستوعب من الزمن؟ خمس دقائق بوضوئها، تساوي الدنيا كلها من أولها إلى آخرها، إذن الدنيا لا تساوي شيئاً عند الله عز وجل.

وَلَقَدْ تَوَلَّتْ بَعْدُ عَنْ أَصْحَابِهَا فَالَسَّعْدُ مِنْهَا حَلٌّ فِي الدُّبْرَانِ

قوله: (تولت عن أصحابها) أي: إذا صار الإنسان ما له حظ، قال بعض العوام: هذا مثل فقير النصراني لا دنيا ولا دين، نعم فهي تولت عن أصحابها حقيقة إذا كانوا لم ينعموا فيها، أو حكماً إذا كانوا قد نعموا فيها لأنهم سيفارقون هذا النعيم عن قرب.

لَا يَزْتَجِي مِنْهَا الْوَفَاءُ لِصَبِّهَا أَيْنَ الْوَفَا مِنْ غَادِرِ خَوَّانٍ؟

الجواب عليه: الغادر الخوان لا يمكن أن يفي لك.

طَبَعَتْ عَلَى كَدْرِ فَكَيْفَ يَنَالُهَا صَفْوُ أَهْدَا قَطُّ فِي الْإِمْكَانِ

الجواب: لا، ما دام قد طبع في طبيعتها الكدر، فكيف تصفو؟! وكان شيخ الإسلام رحمه الله يتمثل كثيراً بهذين البيتين:

طَبَعَتْ عَلَى كَدْرِ فَكَيْفَ يَنَالُهَا صَفْوًا أَهْدَا قَطُّ فِي الْإِمْكَانِ؟

(١) صحيح: انظر صحيح الجامع (٥٢٩٢).

(٢) رواه مسلم (٧٢٥).

يا عاشق الدنيا تأهب للذي قد ناله العشاق كل زمان

فهذان بيتان عظيمان يسلي بها الإنسان نفسه فابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ قد ناله من الكدر ما لم ينله أحد من الناس إلا قليلاً، لكن هذا الكدر الذي ناله رَحِمَهُ اللهُ صار صفواً؛ لأنه صار إماماً للناس إلى اليوم، فالناس يقتدون به ويأخذون بأقواله رَحِمَهُ اللهُ وألحقنا وإياكم به وبالصالحين.

يا عاشق الدنيا تأهب للذي قد ناله العشاق كل زمان

هو الموت، فتأهب له لو بقيت ما بقيت في الدنيا فالرحيل حتم لازم.

أو ما سمعت بل رأيت مصارع الـ عشاق من شيب ومن شبان

الجواب: بلى رأينا، فالدنيا يموت فيها الشيخ، ويموت فيها الشباب، ويموت فيها الكهول، ويموت فيها الأغنياء، ويموت فيها الفقراء، وليس شيئاً مقررًا أن الناس يصلون إلى حد معين من العمر، فتجد الرجل يدفن أولاده وأولاد أولاده ويبقى حياً أو بالعكس، وهذا شيء مشاهد؛ ولهذا لما قال: أو ما سمعت قال: بل رأيت، والرؤية أبلغ من السماع، ونحن نرى ونسمع مصارع الناس من شيب ومن شبان وأنهم لن يبقوا في هذه الدنيا، أحسن الله لنا ولكم الخاتمة.



* قوله رَحِمَهُ اللهُ:

فصل

في صفة الجنة لتي أعدها الله
ذو الفضل والمنة لأوليائه المتمسكين
بالكتاب والسنة

٤٩٦١ - فاسمع إذا أوصفها وصفات ها

تيك المنازل ربة الإحسان

٤٩٦٢ - هي جنة طابت وطاب نعيمها

فنعيمها باق وليس بفان^(١)

(١) [٤٩٦٢، ٤٩٦١] قال العلامة محمد خليل هراس:

فإذا كنت مشوقاً إلى معرفة أوصاف تلك الدار التي هي مسكن الحور الحسان، ومستقر الرحمة والرضوان، وأوصاف منازلها وغرفها صاحبة الجمال والإحسان، فاعلم أنها جنة طيبة قد تمحض طيبها، فلا يلحقها خبث ولا أذى، وطاب نعيمها فهو باق لا يبيد ولا يفنى. وهو صاف من كل شوب فلا يُبازجه كدر ولا يعرض له عطب ولا عفن، ولا تبلى جدته ولا تبدل نضارته.

٤٩٦٣- دَارُ السَّلَامِ وَجَنَّةُ الْمَأْوَى وَمَنْ

— زَلَّ عَسْكَرَ الْإِيْمَانِ وَالْقُرْآنِ

٤٩٦٤- فَالِدَارُ دَارُ سَلَامَةٍ وَخِطَابُهُمْ

فِيهَا سَلَامٌ وَأَسْمُ ذِي الْعُقْرَانِ

فصل

في عدد درجات الجنة وما بين كل درجتين

٤٩٦٥- دَرَجَاتُهَا مِائَةٌ وَمَا بَيْنَ اثْنَيْ

— مِئَاتَيْنِ فِي التَّحْقِيقِ لِلْحُسْبَانِ

٤٩٦٦- مِثْلُ الَّذِي بَيْنَ السَّمَاءِ وَبَيْنَ هـ

— ذِي الْأَرْضِ قَوْلُ الصَّادِقِ الْبُرْهَانَ

٤٩٦٧- لَكِنَّ عَالِيَهَا هُوَ الْفِرْدَوْسُ مَنْ

— قُوفَ بَعْرَاشِ الْخَالِقِ الرَّحْمَنِ

٤٩٦٨- وَسَطَ الْجَنَانِ وَعُلُوُّهَا فَلِذَلِكَ كَمَا

— نَتَّ قُبَّةً مِنْ أَحْسَنِ الْبُنْيَانِ

٤٩٦٩- مِنْهُ تَفَجَّرَ سَائِرُ الْأَنْهَارِ قَالَ

— مَشْبُوعٌ مِنْهُ نَازِلًا بِجَنَانِ

الشَّرح

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

في هذا الفصل بيّن المؤلف رَحِمَهُ اللهُ أن درجات الجنة مائة.

دَرَجَاتُهَا مِائَةٌ وَمَا بَيْنَ اثْنَيْ

— مِئَاتَيْنِ فِي التَّحْقِيقِ لِلْحُسْبَانِ

مِثْلُ الَّذِي بَيْنَ السَّمَاءِ وَبَيْنَ هـ

— ذِي الْأَرْضِ قَوْلُ الصَّادِقِ الْبُرْهَانَ

والذي بين السماء وبين هذي الأرض خمسمائة عام، فإذا كانت خمس مائة وبين كل واحدة والأخرى خمسمائة فيكون الجميع خمسين ألفاً.

لَكِنَّ عَالِيهَا هُوَ الْفِرْدَوْسُ مَنْسٌ — شُقُوفٌ بِعَرْشِ الْخَالِقِ الرَّحْمَنِ
قوله: مسقوف. يعني: أن سقفه عرش الله عز وجل، وعرشه سبحانه وتعالى على سماواته مثل القبة، والقبة يعني: الخيمة.

وَسَطُ الْجَنَانِ وَعُلُوُّهَا فَلِذَلِكَ كَا — ذَنَّتْ قُبَّةٌ مِنْ أَحْسَنِ الْبُنْيَانِ
يعني: كانت الفردوس - جعلنا الله وإياكم من أهلها - مثل القبة، وفوقها عرش الرب عز وجل.

مِنْهُ تَفَجَّرَ سَائِرُ الْأَنْهَارِ قَالَ — مَمْبُوعٌ مِنْهُ نَازِلًا بِجَنَانِ
قوله: (نازلاً بجنان) أي ينزل؛ لأنها هذه أعلى درجات الجنة وللجنة كما قلنا مائة درجة ودليل ذلك قوله عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الْمُتَحَابِّينَ لَتَرَى عُرْفَهُمْ فِي الْجَنَّةِ كَالْكَوْكَبِ الطَّلَعِ الشَّرْقِيِّ أَوْ الْغُرْبِيِّ فَيَقَالُ: مَنْ هَؤُلَاءِ فَيَقَالُ: هَؤُلَاءِ الْمُتَحَابُّونَ فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ»^(١). فيها أيضاً من حديثه ﷺ: «فَإِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ وَلَوْ أَنَّ الْعَالَمِينَ اجْتَمَعُوا فِي إِحْدَاهُنَّ وَسَعَتْهُمْ»^(٢). وفيه أنه أيضاً ﷺ قال: «يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ إِذَا دَخَلَ الْجَنَّةَ أَقْرَأَ وَاصْعَدَ فَيَقْرَأُ وَيَصْعَدُ بِكُلِّ آيَةٍ دَرَجَةٌ»^(٣) حَتَّى يَقْرَأَهَا أَكْثَرَ شَيْءٍ مِائَةً.

وفي البخاري أن النبي ﷺ قال من حديث أبي هريرة: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِهِ بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ فَإِذَا سَأَلْتُمْ اللَّهَ فَسَأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ فَإِنَّهَا أَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَى الْجَنَّةِ وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ وَمِنْهُ تَفَجَّرَ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ».

وهذا الحديث دليل على عظم الجنة.

هذا بالنسبة للفردوس، أما بالنسبة لكون درجات الجنة مائة فلا يؤخذ من هذا الحديث؛ لأن الرسول قيد قال: «مِائَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»^(٤). وليس كل المؤمنين مجاهدين في سبيل الله.

بحث في عدد درجات الجنة وقد جمع فيه بعض الروايات:

أولاً: قال البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: حدثنا يحيى بن صالح قال: حدثنا فليح عن جناب بن علي عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي ﷺ: «مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ، وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَصَامَ رَمَضَانَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ جَاهِدًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ جَلَسَ فِي أَرْضِهِ الَّتِي وُلِدَ فِيهَا» فقال: يا

(١) رواه أحمد في مسنده (١١٨٤٧)، وقال الشيخ شعيب: إسناده ضعيف لانقطاعه.

(٢) ضعيف: رواه انظر ضعيف الجامع (٦٤١٧).

(٣) صحيح: انظر صحيح الجامع (٨١٢١).

(٤) رواه البخاري (٢٦٣٧).

رسول الله أفلا نبشر الناس؟ قال: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ فَإِذَا سَأَلْتُمْ اللَّهَ فَسَأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ الْأَعْلَى فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَى الْجَنَّةِ»^(١) أراه قال: «وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ». أخرج البخاري في كتاب الجهاد في باب درجات المجاهدين في سبيل الله في المجلد الثالث صفحة أربعة عشر برقم ألفين وسبعمئة وتسعين، وأخرجه أيضًا في كتاب التوحيد في باب وكان عرشه على الماء، وهو رب العرش العظيم في الفتح المجلد الثالث عشر صفحة أربعمئة وخمسة عشر برقم سبع آلاف وأربعمئة وثلاث وعشرين وأخرجه النسائي في سننه الصغرى المجلد الثالث صفحة عشرين، من حديث أبي الدرداء بلفظ: «إِنَّ لِلْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ». وأخرجه أيضًا في «سننه الكبرى» المجلد الثالث أربعة عشر من حديث أبي الدرداء بلفظ: «إِنَّ الْجَنَّةَ مِائَةَ دَرَجَةٍ» وقد قال الحافظ ابن حجر في قوله مائة درجة: أنه ليس في سياقه التقرير بأن العدد المذكور هو جميع درج الجنة من غير زيادة، إذ ليس فيه ما ينفىها، ويؤيد ذلك أن في حديث أبي سعيد المذكور الذي أخرجه أبو داود وصححه الترمذي وابن ماجه: «يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ اقْرَأْ وَأَرْقُ وَرَتَّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا فَإِنَّ مَنْزِلَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرُؤُهَا». وعدد آي القرآن أكثر من ستة آلاف ومائتين، وقال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى في كتابه «حادي الأرواح إلى بلاد الأفرح»: أنه ثبت في «الصحيحين» عنه رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى أنه قال: «الْجَنَّةُ مِائَةُ دَرَجَةٍ مَا بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ». وهذا يدل على أنها في غاية العلو، والحديث له لفظان هذا أحدهما، والثاني: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ مَا بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِهِ». وقال: إن شيخه يرجح اللفظ الثاني، وهو لا ينافي أن يكون درج في الجنة أكثر من ذلك، ونظير هذا قوله في الحديث الصريح: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ»^(٢). أي من جملة أسائه هذا القدر، فيكون الكلام جملة واحدة في الموضوعين. إذا أفادنا ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى أن قوله رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى «إِنَّ الْجَنَّةَ مِائَةُ دَرَجَةٍ». لا ينافي أن تكون أكثر؛ لأنه ما في نفي أنها أكثر لكن في النفس من هذا شيء.

مسألة: هل الحديث الذي ذكره ابن حجر يدل على الحصر؟
الجواب: إنها ذكره من أجل الاستدلال على أنه ليس للحصر.



(١) رواه البخاري (٢٦٣٧).

(٢) رواه البخاري (٢٥٨٥)، ومسلم (٢٦٧٧).

فصل
في أبواب الجنة

٤٩٧٠ - أَبْوَابُهَا حَقٌّ ثَمَانِيَةٌ أَتَتْ

فِي النَّصِّ وَهِيَ لِصَاحِبِ الْإِحْسَانِ

٤٩٧١ - بَابُ الْجِهَادِ وَذَلِكَ أَغْلَاهَا وَبَا

بُ الصَّوْمِ يَدْعَى الْبَابُ بِالرَّيَّانِ

٤٩٧٢ - وَلِكُلِّ سَعْيٍ صَالِحٍ بَابٌ وَرَبُّ

بُ السَّعْيِ مِنْهُ دَاخِلٌ بِأَمَانِ

٤٩٧٣ - وَلَسَوْفَ يَدْعَى الْمَرْءُ مِنْ أَبْوَابِهَا

جَمْعًا إِذَا وَقَى خُلَى الْإِيمَانَ

٤٩٧٤ - مِنْهُمْ أَبُو بَكْرٍ هُوَ الصِّدِّيقُ ذَا

كَ خَلِيفَةَ الْمُبْعُوثِ بِالْقُرْآنِ

الشَّحْ

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

هذا الذي ذكره المؤلف صريح، فيه أحاديث رواها البخاري وغيره، منهم أبو بكر؛ لأن أبا بكر سأل النبي عليه الصلاة والسلام فقال: يا رسول الله ما على من دعى من باب من هذه الأبواب من ضرورة. يعني: أن يدعى الإنسان من باب واحد ما في ضرورة، ثم قال أبو بكر: فهل يدعى أحد من جميع تلك الأبواب؟ قال: نعم، وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ^(١). لكن ممكن أن يقال: أليس المسلم يصلي ويصوم ويحج ويجاهد ويتصدق؟ فكيف يقال من كان من أهل الصيام ومن كان من أهل الجهاد ومن كان من أهل الصدقة؟ يقال: من كان أكثر عمله وأحسن عمله الصيام مثلاً دعى من باب الصيام، ومن كان أكثر عمله وأحسنه الصدقة دعى من باب الصدقة وإن كان له صيام وله صلاة، ومن كان

(١) رواه البخاري (١٧٩٨)، ومسلم (١٠٢٧).

أكثر الناس صلاة وأحسنهم صلاة دُعي من باب الصلاة.
❀ ❀ ❀

* قوله رَحِمَهُ اللهُ:

فصل

في مقدار ما بين الباب والباب منها

٤٩٧٥- سَبْعُونَ عَامًا بَيْنَ كُلِّ اثْنَيْنِ مِنْ

— هَا فُـدِرَتْ بِالْعَدِّ وَالْحُسْبَانِ

٤٩٧٦- هَذَا حَدِيثٌ لَقِيَطِ الْمَعْرُوفِ بِالْ

— خَبْرِ الطَّوِيلِ وَذَا عَظِيمِ الشَّانِ

٤٩٧٧- وَعَلَيْهِ كُلُّ جَلَالَةٍ وَمَهَابَةٍ

وَلَكُمْ خَوَاهُ بَعْدُ مِنْ عِزْفَانٍ^(١)

فصل

في مقدار ما بين مصراعي الباب الواحد

٤٩٧٨- لَكِنَّ بَيْنَهُمَا مَسِيرَةَ أَرْبَعِي

— نَ زَوَاهُ حَبْرُ الْأُمَّةِ الشَّيْبَانِي

٤٩٧٩- فِي مُسْنَدِ بِالرَّفْعِ وَهُوَ لِمُسْلِمٍ

وَقَفُّ كَمَرْفُوعٍ بِوَجْهِ ثَانِ

(١) [٤٩٧٥: ٤٩٧٧] قال العلامة محمد خليل هراس:

يعني أن المسافة التي تفصل بين كل بابين من أبواب الجنة هي مسيرة سبعين عامًا مقدرة بالعد والحساب كما ورد في حديث لقيط بن عامر الذي رواه الطبراني في معجمه أنه خرج وأفدأ إلى رسول الله ﷺ، قال: قلت يا رسول الله فما الجنة والنار، قال: «لعمرك إن للنار سبعة أبواب ما منهن بابان إلا يسير الراكب بينهما سبعين عامًا، وإن للجنة ثمانية أبواب ما منهن بابان إلا يسير الراكب بينهما سبعين عامًا».

والحديث طويل وهو عظيم القدر جدًا وفيه من أنواع المعرفة ما ينبغي أن يجد كل أحد في تحصيله، فليرجع إليه من أراد.

٤٩٨٠ - وَلَقَدْ رَوَى تَقْدِيرُهُ بِثَلَاثَةِ أَلْ

أَيَّامٍ لَكِنَّ عِنْدَ ذِي الْعَرْفَانِ

٤٩٨١ - أَغْنَى الْبُخَارِيُّ الرَّضَا هُوَ مُنْكَرٌ

وَحَدِيثُ رَاوِيهِ فَذُو نُكْرَانِ

الشَّحْ

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

في التقدير ما بين البابين ثلاثة آثار: الأثر الأول حديث لقيط أن بينها سبعين عامًا، والثاني: بينها مسيرة أربعين، والثالث: بينها مسيرة ثلاثة أيام والأخير منكر. قال البخاري رَحِمَهُ اللهُ: إنه حديث منكر وصاحبه له مناكير، فإذا يسقط هذا ويبقى النظر في التقدير بأربعين والتقدير بسبعين، الفرق بينهما من سبعين إلى أربعين حوالي النصف، فكيف الجمع بينهما؟ أن يقال: أن السير يختلف، فليس سير الإبل المحملة كسير البريد السريع، فيكون أربعين عامًا باعتبار السير السريع وسبعين عامًا باعتبار سير البطيء هذا إذا صح حديث لقيط، أما إذا لم يصح فالعمدة على ما رواه الإمام أحمد مرفوعًا وأخرجه مسلم موقوفًا، لكن ابن القيم يقول: هو مرفوع بوجه ثانٍ وهو أنه مرفوع حكمًا؛ لأن مثل هذا لا يقال بالرأى.

مسألة: أليس الفرق بين أثر السبعين وأثر الأربعين، أن السبعين يكون مقدار ما بين البابين، والأربعين يكون مقدار ما بين مصراعي الباب؟

الجواب: الأثر الموجود أن مقدار ما بين مصراعي الباب أربعين.

والمهم: كلام ابن القيم، أما إذا كان ما بين مصراعيه، فالأمر واضح ولا يشك؛ لأنه يكون سعة الباب أربعين، وما بين البابين سبعين، لكن الكلام على النونية؛ ولهذا قال: لكن بينها مسيرة. كأن هذا استدراك من قوله: سبعون عامًا بين كل اثنين، يقول لكن بينها أربعون في رواية الإمام أحمد ومسلم.



فصل
في مفتاح باب الجنة

٤٩٨٢ - هَذَا وَفَتَحَ الْبَابَ لَيْسَ بِمُمْكِنٍ

إِلَّا بِمِفْتَاحٍ عَلَى أَسْنَانٍ

٤٩٨٣ - مِفْتَاحُهُ بِشَهَادَةِ الْإِخْلَاصِ وَالْث

تَوْحِيدِ تِلْكَ شَهَادَةِ الْإِيْمَانِ

٤٩٨٤ - أَسْنَانُهُ الْأَعْمَالُ وَهِيَ شَرَائِعُ الْ

إِسْلَامِ وَالْمِفْتَاحُ بِالْأَسْنَانِ

٤٩٨٥ - لَا تُلْغِيَنَّ هَذَا الْمِثَالَ فَكَمِّ بِهِ

مَنْ حَلَّ إِشْكَالَ لِذِي الْعِرْفَانِ

الشَّرْح

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

لما ذكر أبوابها - رَحِمَهُ اللهُ - ذكر المفتاح، ومفتاح هذه الأبواب مفتاح الجنة: لا إله إلا الله^(١)، فقال: المرجئة مفتاح الجنة لا إله إلا الله، ولا دَخَلَ للأعمال في ذلك. وقال السلف: إن المفتاح لا يفتح إلا بأسنان، وأسنانه شرائع الإيِّان، فمن جاء بالصلاة والزكاة والصيام والحج وشرائع الإسلام فتح له ومن لم يأت فلا.

فالمهم أن مفتاح الجنة لا إله إلا الله، ولا بد للمفتاح من أسنان؛ ولهذا يقول:



فصل

في منشور الجنة الذي يوقع به لصاحبها

- ٤٩٨٦ - هَذَا وَمَنْ يَدْخُلُ فَلَيْسَ بِدَاخِلٍ
إِلَّا بِتَوْقِيعِ مَنْ الرَّحْمَنِ
- ٤٩٨٧ - وَلِذَاكَ يَكْتُبُ لِلْفَتَى لِدُخُولِهِ
مِنْ قَبْلِ تَوْقِيعَانِ مَشْهُودَانِ
- ٤٩٨٨ - إِحْدَاهُمَا بَعْدَ الْمَمَاتِ وَعَرْضِ أَرْوَاحِ الْعِبَادِ بِهِ عَلَى الدِّيَانِ
- ٤٩٨٩ - فَيَقُولُ رَبُّ الْعَرْشِ جَلَّ جَلَالُهُ
لِلْكَاتِبِينَ وَهُمْ أَوْلُو الدِّيَوَانِ
- ٤٩٩٠ - ذَا الْإِسْمِ فِي الدِّيَوَانِ يَكْتُبُ ذَلِكَ دِيوانِ
مَجَاوِزِ الْمَنَانِ
- ٤٩٩١ - دِيوانِ عَلَيْهِنَ أَصْحَابُ الْقُرْآنِ
وَسُنَّةِ الْمَبْعُوثِ بِالْقُرْآنِ
- ٤٩٩٢ - فَإِذَا انْتَهَى لِلْجِسْرِ يَوْمَ الْحَشْرِ يَغْطِي
لِلدُّخُولِ إِذَا كَتَبَ ثَانِ
- ٤٩٩٣ - عِنْوَانُهُ هَذَا كِتَابٌ مِنْ عَزِيهِ
زِيَارَةِ لِقَائِهِ بِنِ فُلَانِ
- ٤٩٩٤ - فَدَعُوهُ يَدْخُلُ جَنَّةَ الْمَأْوَى الَّتِي أَرَادَ
تَفَعُّتٌ وَلَكِنَّ الْقُطُوفَ دَوَانِ

٤٩٩٥ - هَذَا وَقَدْ كُتِبَ اسْمُهُ مُذْ كَانَ فِي الْ

أَرْحَامِ قَبْلَ وِلَادَةِ الْإِنْسَانِ

٤٩٩٦ - بَلْ قَبْلَ ذَلِكَ وَهُوَ وَقَّتَ الْقَبْضِيَّةَ

مِنْ كِلَاهُمَا لِلْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ

٤٩٩٧ - سُبْحَانَ ذِي الْجَبْرُوتِ وَالْمَلَكُوتِ وَالْ

إِجْلَالِ وَالْإِكْرَامِ وَالشُّبْحَانِ

٤٩٩٨ - وَاللَّهُ أَكْبَرُ عَالِمِ الْأَشْرَارِ وَالْ

إِعْلَانِ وَاللَّحْظَاتِ بِالْأَجْفَانِ

٤٩٩٩ - وَالْحَمْدُ لِلَّهِ السَّمِيعِ لِسَائِرِ الْ

أَصْوَاتِ مِنْ سِرٍّ وَمِنْ إِعْلَانِ

٥٠٠٠ - وَهُوَ الْمُوَحَّدُ وَالْمُسَبِّحُ وَالْمَمَجَّدُ

جَدُّ وَالْحَمِيدُ وَمُنْزِلُ الْقُرْآنِ

٥٠٠١ - وَالْأَمْرُ مِنْ قَبْلِ وَمِنْ بَعْدِ لَهُ

سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ ذَا السُّلْطَانِ

الشَّرْحُ

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

هَذَا وَمَنْ يَدْخُلُ فَلَيْسَ بِدَاخِلٍ إِلَّا بِتَوْقِيعٍ مِنَ الرَّحْمَنِ

قوله: (إلا بتوقيع من الرحمن) التوقيع معروف وهو: أن يعطي الإنسان كتاباً ويوقع عليه المسئول، فالله عز وجل لا يدخل الجنة أحداً إلا بهذا التوقيع الذي ذكره المؤلف .

وقد بينه رَحِمَهُ اللهُ فقال:

وَلِذَلِكَ يَكْتُبُ لِلْفَتَى لِدُخُولِهِ

إِحْدَاهُمَا بَعْدَ الْمَمَاتِ وَعَرْضِ أَرْ

فِيَقُولُ رَبُّ الْعَرْشِ جَلَّ جَلَالُهُ

مِنْ قَبْلِ تَوْقِيعَانِ مَشْهُودَانِ

ذَوَا حِجَابٍ بِهٖ عَلَى الدِّيَانِ

لِلْكَاتِبَيْنِ وَهُمَ أَوْلُو الدِّيَوَانِ

ذَا الْإِسْمُ فِي الدِّيْوَانِ يَكْتُبُ ذَاكَ دِي

دِيْوَانُ عَلِيَيْنَ أَصْحَابِ الْقُرْآنِ

هذا يكتب أو يوقع كما قال المؤلف، فإذا مات الإنسان فإن الملائكة تقبض روحه وتصعد بها إلى السماء؛ حتى تكون بين يدي الله عز وجل، ثم يقول: «اكتبوا كتابَ عَبْدِي فِي عَلِيَيْنَ» هذه كتابة، ثم يقول: «وَاعِيدُوهُ إِلَى الْأَرْضِ فَإِنِّي مِنْهَا خَلَقْتُهُ وَفِيهَا أُعِيدُهُ وَمِنْهَا أُخْرِجُهُ تَارَةً أُخْرَى»^(١).

فَإِذَا انْتَهَى لِلْجِسْرِ يَوْمَ الْحَشْرِ يَغْ

قوله: (الليجر يوم الحشر) هو الجسر المدود على جهنم يعبر الناس عليه على قدر أعمالهم، وحسب قوتهم وأخذهم لشريعة الله، فمنهم من يمر كلمح البصر، ومنهم من يمر كالبرق، ومنهم من يمر كالريح، ومن هم من يمر كالإبل، المهم أنه يمر الناس عليه على قدر أعمالهم فيعطى كتاباً.

عُنْوَانُهُ هَذَا الْكِتَابِ مِنْ عَزِي

رِ رَاحِمٍ لِفُلَانِ بْنِ فُلَانٍ

أي: يعطى كتاباً عند الصعود على الصراط بأنه كتاب من عزيز رحيم لفلان بن فلان، وربما يشهد لهذا قوله تعالى: ﴿نُزِّلْنَا مِنْ عَفْوِرٍ رَحِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٢]، فدعوه يدخل، وهذا ورد به أثر عن النبي ﷺ.

يقول المؤلف: إن الجنة ارتفعت ولكن القطوف دوان، والقطوف جمع قطف وهو الثمر ﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾ [الحاقة: ٢٣]، أي: أنها مع علوها دانية، فإذا اشتهى الإنسان ثمرة من هذه الثمرات فيميل الغصن له حتى تكون الثمرة بين يديه، فلا يحتاج إلى تعب ولا إلى عناء، كما قال تعالى: ﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾ [الحاقة: ٢٣]، اللهم اجعلنا من أهلها.

هَذَا وَقَدْ كُتِبَ اسْمُهُ مُذْ كَانَ فِي الْ

لأنه إذا تم له أربعة أشهر أرسل إليه الملك، ويؤمر بأربع كلمات: بكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد^(٢)، والحديث في هذا مشهور وهو حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

بَلْ قَبْلَ ذَلِكَ وَهَوَ وَقَتَ الْقَبْضَتِي

لأن الله جل وعلا قبض قبضتين من بني آدم فقال: هؤلاء للجنة ولا أبالي^(٣)، وهؤلاء للنار ولا أبالي.

سُبْحَانَ ذِي الْجَبْرُوتِ وَالْمَلَكُوتِ وَالْ

إجلال والإكرام والسبحان قوله: سبحان. أي تنزيهاً لله عز وجل.

(١) صحيح: انظر صحيح الجامع (١٦٧٦).

(٢) رواه البخاري (٣٠٣٦).

(٣) رواه الحاكم في مستدرکه ج ١ / ص ٨٥ حديث رقم: ٨٤.

وقوله: (ذي الجبروت) من الجبر، وقد مر علينا في هذا الكتاب أن الجبار من أسماء الله، وله ثلاثة معانٍ القوة وجبر الضعيف والعلو قال المؤلف في ذلك:

وَلَهُ مُسَمِّي تَالِثٌ وَهُوَ الْعُدُّ لَوْ فَلَيْسَ يَدْنُو مِنْهُ مِنْ إِنْسَانٍ
مِنْ قَوْلِهِمْ جَبَّارَةٌ لِلتَّخَلُّعِ الَّتِي فَاقَتْ لِكُلِّ بَنَانٍ
وَاللَّهُ أَكْبَرُ عَالِمِ الْأَسْرَارِ وَالْأَلِّ إِعْلَانٍ وَاللَّحْظَاتِ بِالْأَجْفَانِ
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ السَّمِيعِ لِسَائِرِ الْأَلِّ أَصْوَاتٍ مِنْ سِرٍّ وَمِنْ إِعْلَانٍ
وَهُوَ الْمُوَحَّدُ وَالْمُسَبِّحُ وَالْمُمَجِّدُ جَدُّ وَالْحَمِيدُ وَمُنْزِلُ الْقُرْآنِ

قوله: (الحميد) بمعنى الحامد، وبمعنى المحمود فهو حامد لمن يستحق الحمد وهو محمود.
وَالْأَمْرُ مِنْ قَبْلِ وَمِنْ بَعْدِ لَهُ سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ ذَا السُّلْطَانِ
قوله: (والأمر) هذا من قوله تعالى: ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾ [الروم: ٤٠].



* قَوْلُهُ رَحِمَهُ اللهُ:



٥٠٠٢ - هَذَا وَإِنَّ صُفُوفَهُمْ عَشْرُونَ مَع

مِائَةٍ وَهَذِي الْأُمَّةُ الثَّلَاثَانِ

٥٠٠٣ - يَزُويهِ عَنْهُ بُرَيْدَةٌ إِسْنَادُهُ

شَرِطُ الصَّحِيحِ بِمُسْنَدِ الشَّيْبَانِيِّ

٥٠٠٤ - وَلَهُ شَوَاهِدٌ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ

بِرَّةِ وَابْنِ مَسْعُودٍ وَخَبَرِ زَمَانَ

٥٠٠٥ - أَغْنِي ابْنَ عَبَّاسٍ وَفِي إِسْنَادِهِ

رَجُلٌ ضَعِيفٌ غَيْرُ ذِي إِتْقَانٍ

٥٠٠٦ - وَلَقَدْ أَتَانَا فِي الصَّحِيحِ بِأَنَّهُمْ

شَطْرٌ وَمَا اللَّفْظَانِ مُخْتَلَفَانِ

٥٠٠٧- إِذْ قَالَ أَرْجُو أَنْ تَكُونُوا شَطْرَهُمْ

هَذَا رَجَاءٌ مِنْهُ لِلرَّحْمَنِ

٥٠٠٨- أَعْطَاهُ رَبُّ الْعَرْشِ مَا يَزُجُو وَرَأَى

دَمِنَ الْعَطَاءِ فِعَالٌ ذِي الْإِحْسَانِ

الشَّرْحُ

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

قوله: (فصل في صفوف أهل الجنة) وقد ذكر أن أهل الجنة صفوفهم عشرون ومائة، وأن هذه الأمة الثلثان، فيكون من هذه الأمة ثمانون صفًا، ومن غيرها أربعون صفًا، ثم ذكر المؤلف رَحِمَهُ اللهُ بعد أن صحح هذا الحديث ما ظاهره المعارضة وهو أن النبي ﷺ لما حدث أصحابه فقال: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُنَادِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَا آدَمُ. فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ. فَيَقُولُ: أَخْرَجَ مِنْ دُرِّيَّتِكَ بَعَثَ النَّارَ. قَالَ: وَمَا بَعَثَ النَّارَ؟ قَالَ: تِسْعِمِائَةَ وَتِسْعَةَ وَتِسْعُونَ بِالْأَلْفِ كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدًا^(١) مِنَ الْأَلْفِ. فعظم ذلك على الصحابة. وقالوا: يا رسول أيننا ذلك الواحد، فقال ﷺ: أَبَشِّرُوا فَإِنَّكُمْ فِي أُمَّتَيْنِ مَا كَانَتْما فِي شَيْءٍ إِلَّا كَثْرَتَاهُ، يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ مِنْهُمْ أَلْفٌ وَمِنْكُمْ وَاحِدٌ، ثم قال: «إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا رُبْعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ». فكبروا. فقال: «أَرْجُو أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَهُمْ». فكبروا فقال: «أَرْجُو أَنْ تَكُونُوا شَطْرَهُمْ». فكبروا فرحين بذلك، وهذا الحديث يدل على أن هذه الأمة الشطر أي: النصف، والحديث الأول يدل على أنهم الثلثان، فجمع المؤلف بينهما جمعًا حسنًا ويقال: إن الذي فيه الشطر هو رجاء من الرسول ﷺ، وإن الله أعطاه فوق ما رجاه أي زاده أكثر مما رجي.



فصل
في صفة أول زمرة تدخل الجنة

٥٠٠٩- هَذَا وَأَوَّلُ زُمْرَةٍ فَوُجُوهُهُمْ

كَالْبَدْرِ لَيْلِ اللَّيْلِ بَعْدَ ثَمَانٍ

٥٠١٠- السَّابِقُونَ هُمْ وَقَدْ كَانُوا هُنَا

أَيْضًا أُولَى سَبْقٍ إِلَى الْإِحْسَانِ

الشَّرْحُ

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

قوله: (زمرة) لأنهم يحشرون إلى الجنة زمراً؛ حيث قال تعالى ﴿ وَسَيَقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا ﴾ [الزمر: ٧٣]، أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر، وليلة البدر هي ليلة الرابع عشر، وفيها أكمل ما يكون القمر أبعاداً، وهذا لا يلزم أن يكونوا مثله لكنهم على صورته في البهجة والإضاءة وما أشبه ذلك، ولا يلزم من هذا أن يكونوا مماثلين له، وعلى هذا التقدير يزول الإشكال الذي حصل عند كثير من الناس في قول النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ»^(١). حيث ظنوا أنه إذا كان على صورته كان مماثلاً له، ولكننا نقول: على صورته ولا يلزم أن يكون مماثلاً له كما في هذا الحديث.



* قوله رَحِمَهُ اللهُ:



٥٠١١- وَالزُّمْرَةُ الْأُخْرَى كَأَضْوَاءِ كَوْكَبٍ

فِي الْأَفُقِ تَنْظُرُهُ بِهِيَ الْعَيْنَانِ

٥٠١٢- أَمْشَاطُهُمْ ذَهَبٌ وَرَشْحُهُمْ فِمْسٌ

لَكَ خَالِصٌ يَا ذَلَّةَ الْحِزْمَانِ

الشَّحْ

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

مسألة: هل يدل قوله: في صفة الزمرة الثانية . علي أنه لا توجد زمراً أخري؟

الجواب: قد يكون هذا، وقد تكون الزمرة الثانية كلها، لكن يعني كل أهل الجنة زمرة الثانية في

مستوى واحد لكنه خلاف الآية ﴿ وَسَيَقَى الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا ﴾ [الزمر: ٧٣]. فيكون ما

بقي من الزمر مسكوتاً عنه.



فصل

في تفاضل أهل الجنة في الدرجات العلى

٥٠١٣- وَيَرَى الَّذِينَ بِذِيئِلْهَا مَنْ فَوْقَهُ

مِثْلَ الْكَوَاكِبِ رُؤْيَةً بَعِيَانٍ

٥٠١٤- مَا ذَاكَ مُخْتَصِّبًا بِرُسُلِ اللَّهِ بَلْ

لَهُمْ وَلِلصَّادِقِ ذِي الْإِيمَانِ

الشَّرح

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

لما حدث النبي عليه الصلاة والسلام أصحابه بأنهم يترءون أصحاب الغرف كما يترءون الكوكب الدرّي الغابر في الأفق من بعده وصفائه ونوره، قالوا: يارسول الله تلك منازل الأنبياء لا يسكنها أو لا ينالها غيرهم. قال: «بَلَى وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ رِجَالٌ آمَنُوا بِاللَّهِ وَصَدَّقُوا الْمُرْسَلِينَ»^(١). آمنا بالله وصدقنا برسله، هؤلاء هم أصحاب هذه الغرف وعلى رأسهم وأولهم هم الأنبياء لا شك في هذا؛ لأن الأنبياء كلهم آمنوا بالله ورسله قال الله تعالى: ﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَكَاتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، والأنبياء السابقون لمحمد ﷺ أخذ عليهم العهد أنه بعث ليؤمنن به ولينصرنه فوافقوا على هذا، وأعطوا الله العهد والميثاق على أنه إن بعث محمد فهم تحت لوائه من جنوده، فكل الرسل آمن بعضهم ببعض وصدق بعضهم بعضًا، فهم أعلى أهل هذه الغرف.



فصل

في ذكر أعلى أهل الجنة منزلة وأدناهم

٥٠١٥ - هَذَا وَأَعْلَاهُمْ فَتَاطَرُ رَبِّيهِ

فِي كُلِّ يَوْمٍ وَقْتُهُ الطَّرْفَانِ

٥٠١٦ - لَكِنَّ أَدْنَاهُمْ وَمَا فِيهِمْ ذَنبِي

بِي لَيْسَ فِي الْجَنَّاتِ مِنْ نُقْصَانِ

٥٠١٧ - فَهُوَ الَّذِي تُلْفَى مَسَافَةٌ مُلْكِهِ

بِسِينِنَا أَلْفَانِ كَامِلَتَانِ

٥٠١٨ - فَيَرَى بِهَا أَقْصَاهُ حَقًّا مِثْلَ رُؤُ

يَتِيهِ لِأَدْنَاهُ الْقَرِيبِ الدَّانِي

٥٠١٩ - أَوْ سَمِعَتْ بِأَنَّ آخِرَ أَهْلِهَا

يُعْطِيهِ رَبُّ الْعَرْشِ ذُو الْعُقْرَانِ

٥٠٢٠ - أَضْعَافَ دُنْيَانَا جَمِيعًا عَشْرَ أَمْ

ثَالِ لَهَا سُبْحَانَ ذِي الْإِحْسَانِ

الشَّرح

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

قوله : (هذا وأعلاهم) أعلاهم منزلة فناظر إلي ربه. أي: أعلاهم منزلة هو الذي ينظر إلى الله تعالى كل يوم في الصباح والمساء، فهذا أعلاهم منزلة. على كل حال المعنى: أنه لا يضطرب وهو الذي يكون مسافة ملكه ألفي عام يرى أقصاه كما يرى أدناه، وهذا دليل على كمال حياتهم وقوتهم إذ إن الناس في الدنيا لا ينظرون، ولا نسبة لهذا النظر، لكن هو لكمال نعيمه حتى يكون محيطاً بملكه، فيرى أقصاه كما يرى أدناه لا يختلف، وآخر أهلها دخولاً هذا الذي يعطيه الله عز وجل مثل الدنيا

وعشرة أمثال الدنيا^(١)، الدنيا من أولها إلى يوم القيامة؟ نعم الله عز وجل يعطيه عشرة أمثالها، وهي ليست كنعيم الدنيا المهدد بالخطر والزوال والنقص، بل نعيم لا ينفد ولا يزول فتجد الفرق العظيم. المهم: أننا نسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا وإياكم من أهل الجنة؛ لأن نعيمها لا يعادله شيء؛ ولهذا صح عن النبي ﷺ أن: «رَكَعَتَيِ الْفَجْرِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا»^(٢). يعني: سنة الفجر وهما ركعتان خفيفتان خير من الدنيا وما فيها، ولكن الناس الآن يذهبون يمينا وشمالا وفي شدة الحر وفي شدة البرد؛ لينالوا شيئا زهيدا من الدنيا، وهاتان الركعتان خير من الدنيا وما فيها، نسأل الله أن يعيننا وإياكم على طاعته.



* قوله رَحِمَهُ اللهُ:

فصل
في ذكر سنّ أهل الجنة

- ٥٠٢١ - هَذَا وَسَنُّهُمْ ثَلَاثٌ مَعَ ثَلَاثٍ
ثَيْنِ التِّي هِيَ قُوَّةُ الشُّبَّانِ
٥٠٢٢ - وَصَغِيرُهُمْ وَكَبِيرُهُمْ فِي ذَا عُلَى
حَدِّ سَوَاءٍ مَا سِوَى الْوُلْدَانِ
٥٠٢٣ - وَلَقَدْ رَوَى الْخُدْرِي أَيْضًا أَنَّهُمْ
أَبْنَاءُ عَشْرِ بَعْدَهَا عَشْرَانِ
٥٠٢٤ - وَكِلَاهُمَا فِي التِّرْمِذِيِّ وَلَيْسَ ذَا
بِتَّاقُضٍ بَلْ هَاهُنَا أَمْرَانِ
٥٠٢٥ - حَذَفَ الثَّلَاثَ وَيُفِ بَعْدَ الْعُقُو
دِ وَذَكَرُ ذَلِكَ عِنْدَهُمْ سَيِّانِ

(١) رواه البخاري (٦٢٠٢)، ومسلم (١٨٦).

(٢) سبق تخريجه.

٥٠٢٦ - عِنْدَ اتِّسَاعِ فِي الْكَلَامِ فَعِنْدَ مَا

يَأْتُوا بِتَحْرِيرٍ فِي الْمِيزَانِ^(١)
الشرح

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

قوله: (هَذَا وَسَنَّهُمْ ثَلَاثٌ مَعَ ثَلَاثِينَ) أي أن: سنهم أبناء ثلاث و ثلاثين سنة، وأن الصغير والكبير في هذا على حد سواء، يعني: حتى من مات وله عشرون سنة فإنه يكون ابن ثلاث و ثلاثين سنة عند دخول الجنة، ومن مات وله خمسون سنة يكون ابن ثلاث و ثلاثين سنة عند دخول الجنة.

الولدان الذين هم خدام الجنة، وهم ليسوا من المكلفين الذين يدخلونها بأعمالهم، بل خلقوا في الجنة للجنة وهذا هو المتبادر من كلمة الولدان، كما قال تعالى: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّشْهُورًا﴾ [الإنسان: ١٩].

قوله: (ولقد روي الخدري) حيث روى الترمذي في «جامعه» أيضًا من حديث أبي سعيد أن النبي ﷺ قال: «مَنْ مَاتَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ مِنْ صَغِيرٍ أَوْ كَبِيرٍ يُرَدُّونَ بَنِي ثَلَاثِينَ سَنَةً فِي الْجَنَّةِ لَا يَزِيدُونَ عَلَيْهَا أَبَدًا وَكَذَلِكَ أَهْلُ النَّارِ»^(٢).

ولقد روى أبو سعيد الخدري أن أهل الجنة يدخلونها أبناء عشر وعشرين أي: أبناء ثلاثين، وهذا لا يناقض ما سبق من أنهم يدخلونها وهم أبناء ثلاث و ثلاثين؛ وذلك لأن العرب قد يسقطون ما زاد على العقود يعني: ما زاد مثلاً على العشرة أو على العشرين أو على الثلاثين بل قد يحذفونه، مع أن المراد ما زاد، فيكون الذين اقتصروا في الرواية على الثلاثين حذفوا ما زاد عليها؛ ولهذا قال: (ها هنا أمران)، وهما واضحا في قوله رَحِمَهُ اللهُ:

حَدَفُ الثَّلَاثِ وَنَيْفِ بَعْدَ الْعُقُورِ دِ وَذِكْرُ ذَلِكَ عِنْدَهُمْ سَيِّانٍ
عِنْدَ اتِّسَاعِ فِي الْكَلَامِ فَعِنْدَ مَا يَأْتُوا بِتَحْرِيرٍ فِي الْمِيزَانِ

فإذا أرادوا التحرير فهم يذكرون العدد الزائد على العقود.



(١) [٥٠٢٥، ٥٠٢٦] قال العلامة محمد خليل هراس:

قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ في كتابه حادي الأرواح: «فإن كان هذا محفوظ لم يناقض ما قبله فإن العرب إذا قدرت بعدد له نيف فإن لهم طريقين تارة يذكرون النيف للتحرير وتارة يحذفونه، وهذا معروف في كلامهم وخطاب غيرهم من الأمم»^١، هـ.

(٢) ضعيف: انظر ضعيف الجامع (٥٨٥٢).



فصل



في طول قامات أهل الجنة وعرضهم

٥٠٢٧- وَالطُّوْلُ طُوْلُ أَبِيهِمْ سِتُّونَ لَـ

كِنْ عَرْضُهُمْ سَبْعٌ بِإِلَّا نَقْصَانِ

٥٠٢٨- الطُّوْلُ صَحْحٌ بَغَيْرِ شَكٍّ فِي الصَّحِيحِ

حَيْنِ اللَّذِينَ هُمَا لَنَا شَمْسَانِ

٥٠٢٩- وَالْعَرْضُ لَمْ نَعْرِفْهُ فِي إِحْدَاهُمَا

لَكِنْ رَوَاهُ أَحْمَدُ الشَّيْبَانِي

٥٠٣٠- هَذَا وَلَا يَخْفَى التَّنَاسُبُ بَيْنَ هَـ

ذَا الْعَرْضِ وَالطُّوْلِ الْبَدِيعِ الشَّانِ

٥٠٣١- كُلٌّ عَلَى مَقْدَارِ صَاحِبِهِ وَذَا

تَقْدِيرُ مُتَقِينِ صَنْعَةِ الْإِنْسَانِ

الشَّحْ

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

يقول المؤلف رَحِمَهُ اللهُ: إن طول أهل الجنة ستون ذراعاً في السماء، وأن عرضهم سبعة أذرع حتى من مات صغير الجسم، فإنه يبلغ هذا، وحتى من مات كبير الجسم بالنسبة لما نشاهد يبلغ هذا أيضاً؛ لأن الله ينشأهم نشأة أخرى تناسب الأحوال، وذكر المؤلف رَحِمَهُ اللهُ أن الستين في الطول ثابتة في الصحيحين^(١)، أما في العرض فرواه الإمام أحمد، لكن ذكر أنه مناسب للطول، لأن الطول ستون ذراعاً لو كان على حسب العرض الذي نعرفه الآن لم يتناسب لكن سبعة متناسبة مع الطول، فنسبة السبعة إلى الستين وسدس العشر هذا متناسب مع الطول.



* قوله رَحِمَهُ اللهُ:



فصل

في لحاهم وألوانهم

٥٠٣٢- أَلْوَانُهُمْ بَيْضٌ وَلَيْسَ لَهُمْ لِحَى

جُعِدُ الشُّعُورُ مُكْحَلُّو الْأَجْفَانِ

٥٠٣٣- هَذَا كَمَالُ الْحُسْنِ فِي أَبْشَارِهِمْ

وَشُعُورُهُمْ وَكَذَلِكَ الْعَيْنَانِ

الشَّحْ

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

اللهم اجعلنا منهم، الظاهر أن الصواب فصل في حليهم وليس الظاهر لحاهم؛ لأنه ما ذكر الحلي إلا وذكر الكحل، ويأتي فصل يبين أن ما قلنا ذلك؛ لأنه ليس في الجنة لِحْيَةٌ، فالحلي غير اللحي .



* قوله رَحِمَهُ اللهُ:



فصل

في لسان أهل الجنة

٥٠٣٤- وَلَقَدْ أَتَى أَثَرٌ بِأَنَّ لِسَانَهُمْ

بِالْمَنْطِقِ الْعَرَبِيِّ خَيْرَ لِسَانٍ

٥٠٣٥- لَكِنَّ فِي إِسْنَادِهِ نَظَرٌ فَفِي-

هَ رَاوِيَانِ وَمَا هُمَا ثَبَتَانِ

٥٠٣٦- أَغْنِي الْعَلَاءَ هُوَ ابْنُ عَمْرٍو ثُمَّ يَحُدُّ

بِالْأَشْعَرِيِّ وَذَانِ مَعْمُورَانِ



الشرح

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

هو الظاهر والله أعلم أن لسانهم هو اللسان العربي؛ لأن أفضل الكتب باللغة العربية ولأن أتباع النبي عليه الصلاة والسلام أكثر أهل الجنة، وإن كان في أتباع النبي ﷺ من ليس بعربي، لكن الواجب على غير العربي من أتباع النبي عليه الصلاة والسلام أن يعرف العربية؛ لأنه لا بد أن يعرف معنى القرآن والسنة، وهذا لا يتأتى إلا بمعرفة اللغة العربية.



* قوله رَحِمَهُ اللهُ:



٥٠٣٧- وَالرَّيْحُ تَوْجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِ

سَنَ وَإِنْ تَشَأْ مَائَةً فَمَزْوِيَّانِ

٥٠٣٨- وَكَذَا رُوي سَبْعِينَ أَيْضًا صَحَّ هـ

ذَا كُلُّهُ وَأَتَى بِهِ أَثَرَانِ

٥٠٣٩- مَا فِي رِجَالِهِمَا لَنَا مِنْ مَطْعَنِ

وَالْجَمْعُ بَيْنَ الْكُلِّ ذُو إِمْكَانِ

٥٠٤٠- وَلَقَدْ أَتَى تَقْدِيرُهُ مَائَةً بَحْمَ

سِ صَرْبُهَا مِنْ غَيْرِ مَا نَقْضَانِ

٥٠٤١- إِنْ صَحَّ هَذَا فَهُوَ أَيْضًا وَالَّذِي

مِنْ قَبْلِهِ فِي غَايَةِ الْإِمْكَانِ

٥٠٤٢- إِمَّا بِحَسَبِ الْمُدْرِكِينَ لِرِيحِهَا

قُرْبًا وَبُعْدًا مَا هُمَا سَيَّانِ

٥٠٤٣- أَوْ بِاخْتِلَافِ قَرَارِهَا وَعُلُوِّهَا

أَيْضًا وَذَلِكَ وَاضِحُ التَّبَيَّانِ

٥٠٤٤ - أَوْ بِاخْتِلَافِ السَّيْرِ أَيْضًا فَهُوَ أَتَى

— وَاعٍ بِقُدْرِ إِطَاقَةِ الْإِنْسَانِ

٥٠٤٥ - مَا بَيْنَ أَلْفَاظِ الرَّسُولِ تَنَاقُضٌ

بَلْ ذَاكَ فِي الْأَفْهَامِ وَالْأَذْهَانِ

الشَّحْ

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

ذكر رَحِمَهُ اللهُ أن ربح الجنة يوجد من مسيرة أربعين عامًا، وفي أثر آخر من مسيرة مائة عام، وفي أثر ثالث من مسيرة خمسمائة عام، وإذا نظرت إلى الفرق بين أربعين عامًا وخمسمائة عام وجدته شاسعًا، لكن الخمسمائة نبذة ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ، فيبقى النظر بين الأربعين عامًا والسبعين والمائة، يقول رَحِمَهُ اللهُ ما بين ألفاظ الرسول ليس فيها تناقض، وحمل ذلك على أوجه ثلاث: إما باختلاف المدركين لريحها؛ لأن الناس يختلفون في إدراك الريح، فتجد بعض الناس يمشى من عند البيت. ويقول: أهل البيت يطبخون كذا وكذا، والثاني: يجعل أنفه في كوة الباب ولا يشم شيئًا فيكون التقدير الأكثر بالنسبة لمن شمه ضعيف، والتقدير الأدنى بالنسبة لمن شمه قوي هذا من وجه، الوجه الثاني بينه قوله المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

أَوْ بِاخْتِلَافِ قَرَارِهَا وَعُلُوِّهَا أَيْضًا وَذَلِكَ وَاضِحُ التَّبَيَّانِ

أي: باختلاف قرارها وعلوها، ومعلوم أن الجنة درجات، وإذا كانت درجات فلا بد أن تختلف في الرائحة، وكلما كانت الرائحة أطيب كان شمه من بعيد أقرب، أليس كذلك؟ فإنسان مثلًا متطيب بطيب بارد وآخر متطيب بطيب حار، المتطيب بطيب حار يشم من بعيد، والثاني لا يشم إلا من قريب.

الوجه الثالث: باختلاف السير، فرب مسيرة مائة عام تكون لشخص آخر سبعين عامًا أو أربعين عامًا، فالسير يختلف، وهذه الوجوه الثلاثة التي ذكرها ابن القيم كلها محتملة، وأهم شيء أن نعلم أنه لا تناقض بين أقوال الرسول ﷺ، وإنما التناقض الذي يظن بحسب الأفهام يكون بعض الناس فهمه ضعيفًا فيظن التناقض، وليس كذلك والله أعلم.



فصل

في أسبق الناس دخولًا إلى الجنة

- ٥٠٤٦ - وَنَظِيرُ هَذَا سَبَقُ أَهْلِ الْفَقْرِ لِلدُّخُولِ فِي الْجَنَّةِ فِي تَقْدِيرِهِ أَتْرَانِ
 ٥٠٤٧ - مَائَةٌ بِخَمْسٍ ضَرْبُهَا أَوْ أَرْبَعِينَ
 ٥٠٤٨ - فَأَبُو هُرَيْرَةَ قَدْ رَوَى أَوْلَاهُمَا
 وَرَوَى لَنَا الثَّانِي صَحَابِيَانِ
 ٥٠٤٩ - هَذَا بِحَسَبِ تَفَاوُتِ الْفُقَرَاءِ فِي الشَّرْحِ
 ٥٠٥٠ - أَوْ ذَا بِحَسَبِ تَفَاوُتِ فِي الْأَغْنِيَا
 ٥٠٥١ - هَذَا وَأَوْلَاهُمْ دُخُولًا خَيْرٌ خَلْدِ
 قِي اللَّهِ مَنْ قَدْ خُصَّ بِالْقُرْآنِ

الشَّرْحُ

قال العلامة ابن عثيمين ﷺ:

ذكر المؤلف أيضًا أول الناس دخولًا الجنة وهم الفقراء قبل الأغنياء، إما بخمسة عام وإما بأربعين عامًا والفرق كبير جدًا فكيف الجمع؟ ذكر الجمع ﷺ من أحد وجهين: إما بحسب الفقراء وأن بعضهم أشد من الآخر، فينظر إلى أشدهم فقرًا بالنسبة إلى الأغنياء، ويكون ما بعد الخمسة حسب الفقر أو بالعكس، يعني معناه: إن الفقراء يسبقون الأغنياء وأن الأغنياء يختلفون، فبعض الأغنياء قريب من الفقراء فتكون المسافة قصيرة فتكون أربعين، وبعضهم بعيد فتكونه المسافة خمسة، المهم إن هذا الاختلاف إما بحسب تفاوت الفقراء أو بحسب تفاوت الأغنياء.

وهذا ليس فيه هضم حقوق الأغنياء، فمثل ما أنهم في الدرجات يختلفون اختلافًا عظيمًا، ومع

ذلك لا يرى أحدهم أن غيره أفضل منه.

قد يقتضى هذا أن الفقراء أفضل من الأغنياء، أي: دخول الفقراء الجنة قبل الأغنياء؛ لأن سبقهم في دخول الجنة بسبب ما حرموا من النعيم في الدنيا؛ لأنهم ذاقوا البؤس والتعب والجوع والعطش، وقد يكون أقل منزلة من الغني، يعني: قد يكون الغني إذا دخل فوقه بمراحل، فلا يقال أن دخول الفقراء قبل الاغنياء على سبيل العموم.

لكن قد يكون الفقير أقوى إيماناً من الغني وبالعكس، وليس كل حال يدخل الفقير الجنة قبل الغني، إنما قبل ذلك، لأن الغالب إن الفقراء أقرب للإيمان من الأغنياء، هنا إشكال إذ كيف يدخلون هؤلاء إما بخمسةائة عام قبل الأغنياء أو بأربعين عاماً؟

روى أحمد^(١) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يَدْخُلُ فُقَرَاءُ الْمُسْلِمِينَ إِلَى الْجَنَّةِ قَبْلَ أَغْنِيَائِهِمْ بِنِصْفِ يَوْمٍ وَهُوَ خَمْسِائَةٌ». وصححه الترمذي، ورجال إسناده احتج بهم مسلم في صحيحه، وروى الترمذي^(٢) عن جابر أنه قال: «يَدْخُلُ فُقَرَاءُ أُمَّتِي الْجَنَّةَ قَبْلَ الْأَغْنِيَاءِ بِأَرْبَعِينَ خَرِيفًا». وفي صحيح مسلم^(٣) عن ابن عمر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ فُقَرَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يَسْبِقُونَ الْأَغْنِيَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَرْبَعِينَ خَرِيفًا». وروى الطبراني عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ فُقَرَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ قَبْلَ أَغْنِيَائِهِمْ بِنِصْفِ يَوْمٍ وَذَلِكَ خَمْسِائَةٌ عَامٌ». الحديث بطوله، والذي في الصحيح أن سبقهم لهم بأربعين خريفاً، فإما أن يكون هو المحفوظ وإما أن يكون كلاهما محفوظاً، وتختلف مدة السبق بحسب أحوال الفقراء والأغنياء، فمنهم من يسبق بخمسةائة، كما يتأخر مكث العصاة من الموحيدين في النار بحسب جزائهم.



* قَوْلُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

٥٠٥١ - هَذَا وَأَوْلُهُمْ دُخُولًا خَيْرٌ خَلَدَ

قِيَّ اللَّهُ مَنْ قَدْ خُصَّ بِالْفُرْقَانِ

٥٠٥٢ - وَالْأَنْبِيَاءَ عَلَى مَرَاتِبِهِمْ مِنَ الثَّ

تَفْصِيلِ تِلْكَ مَوَاهِبِ الْمَنَّانِ

٥٠٥٣ - هَذَا وَأُمَّةٌ أَحْمَدُ سَبَّاقُ بَا

قِيَّ الْخَلْقِ عِنْدَ دُخُولِهِمْ بِيَجَانِ

(١) مسند أحمد (١٥٠٢)، وقال الشيخ شعيب: إسناده حسن.

(٢) سنن الترمذي (٢٣٥٢).

(٣) صحيح مسلم (٢٩٧٩).

٥٠٥٤- وَأَحَقُّهُمْ بِالسَّبْقِ أَسْبَقُهُمْ إِلَى الْ

إِسْلَامِ وَالتَّضَدِّيقِ بِالْقُرْآنِ

٥٠٥٥- وَلِذَا أَبُو بَكْرٍ هُوَ الصِّدِّيقُ أَشَدُّ

بِقُفُومِهِمْ دُخُولًا قَوْلِ ذِي الْبُرْهَانِ

٥٠٥٦- وَرَوَى ابْنُ مَاجَةَ أَنَّ أَوْلَهُمْ يَصَا

فِحُهُ إِلَهُ الْعَرْشِ ذُو الْإِحْسَانِ

٥٠٥٧- وَيَكُونُ أَوْلَهُمْ دُخُولًا جَنَّةَ الْ

فِرْدَوْسِ ذَلِكَ قَامِعُ الْكُفْرَانِ

٥٠٥٨- فَارُوقُ دِينِ اللَّهِ نَاصِرُ قَوْلِهِ

وَرَسُولُهُ وَشَرَائِعِ الْإِيمَانِ

٥٠٥٩- لَكِنَّهُ أَثَرٌ ضَعِيفٌ فِيهِ مَجْدٌ

سُرُوحٌ يَسْمَى خَالِدًا بَيِّنَانِ

٥٠٦٠- لَوْ صَحَّ كَانَ عُمُومُهُ الْمَخْضُوضُ بِالضِّ

صِدِّيقِ قَطْعًا غَيْرَ ذِي نُكْرَانِ

الشَّرح

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ ذكر أن أول الناس دخولا من هذه الأمة أبو بكر، وأنه رُوِيَ حديث ضعيف أن أول من يدخل الفردوس من هذه الأمة عمر بن الخطاب. ولكنه ضعيف، قال: فإن صح فعموم قوله أولهم مخصوص بحديث أبي بكر، يعني: أولهم بعد أبي بكر، وإذا كان عمر أولهم بعد أبي بكر فالأمر واضح؛ لأن أفضل هذه الأمة بعد أبي بكر عمر بن الخطاب رَحِمَهُ اللهُ.



* قوله رَحِمَهُ اللهُ:

٥٠٦١- هَذَا وَأَوْلَهُمْ دُخُولًا فَهَوَ حَمَفٌ

مَادَّ عَلَى الْحَالَاتِ لِلرَّحْمَنِ

٥٠٦٢- إن كَانَ فِي السَّرَاءِ أَصْبَحَ حَامِدًا

أَوْ كَانَ فِي الضَّرِّ فَحَمْدٌ ثَانٍ

٥٠٦٣- هَذَا الَّذِي هُوَ عَارِفٌ بِإِلَهِهِ

وَصِفَاتِهِ وَكَمَالِهِ الرَّئِيسَانِي

٥٠٦٤- وَكَذَا الشَّهِيدُ فَسَبْقُهُ مُتَيَقَّنٌ

وَهُوَ الْجَدِيدُ بِذَلِكَ الْإِحْسَانِ

٥٠٦٥- وَكَذَلِكَ الْمَمْلُوكُ حِينَ يَقُومُ بِالْ

حَقِّينِ سَبْأًا بِغَيْرِ تَوَانٍ

٥٠٦٦- وَكَذَا فَقِيرٌ ذُو عِيَالٍ لَيْسَ بِالْ

مِلْحَاحِ بَلْ ذُو عِفَّةٍ وَصِيَانِ

الشَّرح

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

كل هذه التي ذكرها المؤلف هي أوليات نسبية؛ لأنه لو لم نقل بذلك لكانت الأحاديث متعارضة، فيقال: هو أول بالنسبة لهذا الصنف، مثلاً الفقير ذو العيال نقول هو أول الفقراء، كذلك العبد المملوك الذي قام بحق الله وحق سيده هو أول الممالك، وهكذا نجعل الأولية نسبية؛ حتى لا يحصل التعارض بين هذه الآثار.



فصل
في عدد الجنات وأجناسها

- ٥٠٦٧ - وَالْجَنَّةُ اسْمُ الْجِنْسِ وَهِيَ كَثِيرَةٌ
جَدًّا وَلَكِنْ أَصْلُهَا نَوْعَانِ
٥٠٦٨ - ذَهَبَتَانِ بِكُلِّ مَا حَوَتْهُ مِنْ
حَلِيٍّ وَأَنْبِيَةٍ وَمِنْ بُنْيَانِ
٥٠٦٩ - وَكَذَلِكَ أَيْضًا فِضَّةٌ ثَتَانِ مِنْ
حَلِيٍّ وَبُنْيَانِ وَكُلٌّ لِأَوَانِ
٥٠٧٠ - لَكِنَّ دَارَ الْخُلْدِ وَالْمَأْوَى وَعَدَدُ
وَالسَّلَامِ إِضَافَةٌ لِمَعَانِ
٥٠٧١ - أَوْصَافُهَا اسْتَدْعَتْ إِضَافَتَهَا إِلَيْهِ
سَهْلًا مَذْحَجَةٌ فِي غَايَةِ التَّبْيَانِ
٥٠٧٢ - لَكِنَّمَا الْفِرْدَوْسُ أَعْلَاهَا وَأَوْ
سَطُهَا مَسَاكِينُ صَفْوَةِ الرَّحْمَنِ
٥٠٧٣ - أَعْلَاهُ مَنْزِلَةٌ لِأَعْلَى الْخَلْقِ مِنْ
زَلَّةٍ هِيَ الْمَبْعُوثُ بِالْقُرْآنِ
٥٠٧٤ - وَهِيَ الْوَسِيلَةُ وَهِيَ أَعْلَى رُتْبَةٍ
خَلَصَتْ لَهُ فَضْلًا مِنَ الرَّحْمَنِ

الشَّحْ

قال العلامة ابن عثيمين رَحْمَةً:

يريد أن يقول المؤلف في هذه القطعة: إن الجنة لها أسماء متعددة، لكن أصلها أربعة: جنتان من ذهب

آيتها وما فيها، وجتان من فضة آيتها وما فيها (١) هذا الأصل وما بقى فإنه أوصاف لموصوف واحد، فجنة المأوى وعدن ودار السلام وما أشبهها، فهذه أوصاف لموصوف واحد، أما الفردوس فهو أعلى الجنة. ووسط الجنة ومنه تُفجر أنهار الجنة، وسكانه صفوة عباد الله من الرسل والأنبياء والصديقين والشهداء وأعلامهم محمد رسول الله ﷺ، الذي أعطي الوسيلة؛ وهي أعلى درجة في الجنة، قال النبي ﷺ: «لَا يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ» (٢).



* قوله رَحَّمَ اللَّهُ:

٥٠٧٥ - وَلَقَدْ أَتَى فِي سُورَةِ الرَّحْمَنِ تَفْ

ضِيلِ الْجَنَانِ مَفْضًا بَيِّنًا

٥٠٧٦ - هِيَ أَرْبَعُ ثِنْتَانِ فَاضِلَتَانِ ثُمَّ

مَ يَلِيهَمَا ثِنْتَانِ مَفْضُولَانِ

٥٠٧٧ - فَالْأُولَيَانِ الْفَضْلِيَانِ لِأَوْجِهِ

عَشْرٍ وَيَعُسُرُ نَظْمَهَا بِوِزَانِ

٥٠٧٨ - وَإِذَا تَأَمَّلْتَ السِّيَاقَ وَجَدْتَهَا

فِيهِ تَلُوحٌ لِمَنْ لَهُ عَيْنَانِ

٥٠٧٩ - سُبْحَانَ مَنْ عَرَسَتْ يَدَاهُ جَنَّةَ أَلْ

فِرْدَوْسٍ عِنْدَ تَكَامُلِ الْبُنْيَانِ

٥٠٨٠ - وَيَدَاهُ أَيْضًا أَتَقَنَّتْ لِبِنَائِهَا

فَتَبَارَكَ الرَّحْمَنُ أَعْظَمُ بَانَ

٥٠٨١ - هِيَ فِي الْجِنَانِ كَادِمٌ وَكِلَاهُمَا

تَفْضِيلُهُ مِنْ أَجْلِ هَذَا الشَّانِ

٥٠٨٢ - لَكِنَّمَا الْجَهْمِيُّ لَيْسَ لَدَيْهِ مَنْ

(١) صحيح: انظر صحيح الجامع (٣١٠١).

(٢) صحيح البخارى (٦٩٨٧).

ذَا الْفُضْلِ شَيْءٌ فَهُوَ ذُو نُكْرَانٍ

٥٠٨٣- وَلَدَ عَقُوقٌ عَنَى وَالِدَهُ وَلَمْ

يُثْبِتَ بِذَا فَضْلاً عَلَى الشَّيْطَانِ

٥٠٨٤- فَكِلَاهُمَا تَأْيِيرٌ قُدْرَتِهِ وَتَأْ

ثِيرُ الْمَشِيئَةِ لَيْسَ ثَمَّ يَدَانِ

٥٠٨٥- إِلَّا هُمَا أَوْ نِعْمَتَاهُ وَخَلْقُهُ

كُلٌّ بِنِعْمَةِ رَبِّهِ الْمَنَّانِ

الشَّرح

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

يقول المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

وَلَقَدْ آتَى فِي سُورَةِ الرَّحْمَنِ تَفْضِيلَ الْجَنَانِ مُفْصَلًا بَيِّنًا

و يجوز تفضيل الجنان مفصلاً، لكن الأول أحسن لأجل أن نحصل على معنيين؛ أحدهما التفضيل، والثاني التفصيل.

هِيَ أَرْبَعٌ ثِنْتَانِ فَاضْلَتَانِ ثَمَّ

فَالأُولَيَانِ الْفُضْلَيَانِ لِأَوْجُهٍ

ليته لم يعسر.

وَإِذَا تَأَمَّلْتَ السِّيَاقَ وَجَدْتَهَا فِيهِ تَلْوِخٌ لِمَنْ لَهُ عَيْنَانِ

نجد هذه الأوجه العشر المذكورة لابن القيم في كتابه «حادي الأرواح» يقول: قال معمر رَحِمَهُ اللهُ وقال: كان عموم من ﴿خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّانٍ﴾ [الرحمن: ٤٦]. فذكر اسمها، ثم قال: ﴿وَمِنْ دُونِهَا جَنَّانٍ﴾ [الرحمن: ٦٢]. فهذه أربعة قالت طائفة: من دونها أي: أقرب منها إلى الأرض، فيكونان فوقها وقالت طائفة: تحتها وهذا في لغة العرب وفي الصحاح دون تقيض فوق، ويقال: دون هذا أي: أقرب منه والسياق يدل على تفضيل الجنتين الأوليين من وجوه؛ أحدها قوله: ﴿ذَوَاتَا أَفْنَانٍ﴾ [الرحمن: ٤٨]. جمع فنن وهو العصن، أو جمع فن وهو أصناف شتى من الفواكه وغيرها، ولم يذكر ذلك في اللتين بعدهما.

ماذا قال في اللتين بعدهما قال تعالى: ﴿فِيهَا فَكِكُهُمْ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ [الرحمن: ٦٨]. وهذا مقابل قوله تعالى: ﴿فِيهَا مِنْ كُلِّ فَكِكَةٍ﴾ [الرحمن: ٥٢].

الثاني قوله: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾ [الرحمن: ٥٠]. وفي الآخرين قوله: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ فَضَّخَتَانِ﴾ [الرحمن: ٦٦]. وهي الفؤارة والجارية هي أحسن من الفؤارة؛ لأنها تتضمن الفؤارة والجران.

الثالث: ﴿فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَنَكِهَةٍ زَوْجَانِ﴾ [الرحمن: ٥٢]. وفي الآخرين قال: ﴿فِيهِمَا فَنَكِهَةٌ وَنَحْلٌ وَرَمَانٌ﴾ [الرحمن: ٦٨]. ولا ريب أن الأول أكمل.

وكذلك ﴿ذَوَاتَا أَفْنَانِ﴾ [الرحمن: ٤٨]. يقابلها ﴿مُدَّهَامَتَانِ﴾ [الرحمن: ٦٤]. وقوله: ﴿فِيهِمَا فَنَكِهَةٌ وَنَحْلٌ وَرَمَانٌ﴾ [الرحمن: ٦٨]. والذي يقابل قوله: ﴿فِيهِمَا فَنَكِهَةٌ وَنَحْلٌ وَرَمَانٌ﴾ [الرحمن: ٦٨]، يقابلها قوله: ﴿فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَنَكِهَةٍ زَوْجَانِ﴾ [الرحمن: ٥٢].

ولا ريب أن الأول أكمل، قالت طائفة: الزوجان الرطب واليابس، وفيه نظر. وقالت طائفة: صنف معروف وصنف من شكل غريب.

والظاهر: أنه الحلو والحامض والأبيض والأحمر؛ لأن اختلاف أصناف الفواكه أعجب وألذ للعين والشم والله أعلم، الرابع قوله: ﴿مُتَّكِبِينَ عَلَى فُرْشٍ بَطَّائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾ [الرحمن: ٥٤]، وهذا تنبيه على فضل الظواهر وخطرها، وفي الآخرين ﴿مُتَّكِبِينَ عَلَى رَقَرِفٍ حُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾ [الرحمن: ٧٦]. وفسر الرفرف بالمجالس والبسط والفرش، وعلى كل فلم يصفه بما وصف به فرش الأولين.

الخامس: ﴿وَجَنَى الْجَنَيْنِ دَانٍ﴾ [الرحمن: ٥٤]. أى: قريب سهل يتناولونه كيف شاءوا، ولم يذكر ذلك في الآخرين، السادس: ﴿فِيهِنَّ قَصْرَتٌ أَلْطَرَفِ﴾ [الرحمن: ٥٦]. أى: على أزواجهن فلا يردن غيرهن وقال في الآخرين: ﴿حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾ [الرحمن: ٧٢]. ومن قصرت طرفها على زوجها أكمل ممن قصرت بغيرها. السابع: ﴿قَصْرَتٌ أَلْطَرَفِ﴾ [الرحمن: ٥٦]. أى: هن قاصرات أطرافهن على أزواجهن هذا معنى، المعنى الثاني: أن أزواجهن أيضًا لا ينظرون إلى غيرهن لكماهن وحسنهن، فهن قاصرات على أزواجهن، فعلى الوجه الأول يكون الطرف قاصر؛ فهو من باب إضافة اسم الفاعل إلى فاعله، وعلى الثاني من باب إضافته إلى مفعوله، والآية تحمل هذا وهذا، والقاعدة أننا نحملها على المعنيين، فهن قاصرات أطرافهن على أزواجهن لا ينظرن إلى غيرهن، وهن كذلك يقصرن أطراف أزواجهن عليهن بحيث لا يريد الإنسان سوى هذه الزوجة، أما الأخرى فقال: ﴿حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾ [الرحمن: ٧٢]، أى: هن مقصورات.

السابع: أنه وصفهن بشبه الياقوت والمرجان في صفاء اللون وإشراقه وحسنه. فائدة: قوله: في الخيام ما تؤدي إلى التفضيل في قوله: ﴿مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾ [الرحمن: ٧٢]؛ لأن الأولى لم يذكر في (الخيام) فهن سارحات في الخيام وفي الرحبات وفي كل مكان ومع ذلك هن قاصرات الطرف، فالظاهر أن قوله في (الخيام) لا يدل على التفضيل.

السابع: أنه وصفهن بشبه الياقوت والمرجان في صفاء اللون وإشراقه وحسنه، ولم يذكر ذلك في التي بعدها. الثامن: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ [الرحمن: ٦٠] وهذا يقتضي أنهم من أهل

الإحسان المطلق الكامل، فكان جزاؤهم بإحسان كامل.

التاسع: أنه جعلها جزاء لمن خاف مقامه، والخائفون نوعان: مقربون وأصحاب اليمين. فذكر جتي المقربين ثم جتي أصحاب اليمين.

العاشر: أنه قال: ﴿وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن: ٦٢] والسياق يدل على أنه لا نقيض فوق، فكان للمقربين منهم الجنتان العاليتان، ولأصحاب اليمين اللتان دونهما، والراجح أن لكل واحد جنتان، وقيل: أن جموع الخائفين يشتركون فيها، ويرجع الأول قوله ﷺ: «شأنان في رياض الجنة إحداهما جزاء لأداء الأوامر والثانية جزاء اجتناب المحارم» انتهى كلامه.

فإن قال قائل: في الجنتين الآخرين قال: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ﴾ [الرحمن: ٧٠]. ولم يذكر ذلك في الأولين قال: ﴿فِيهِنَّ قَصِيرَاتٌ الْظُّرْفِ﴾ [الرحمن: ٥٦]. فالجواب أن قوله ﴿فِيهِنَّ﴾ مع قوله في بقية الآيات ﴿فِيهِنَّ﴾ تدل على أن أوصاف الحور في الجنان الأربع كلها، يعني: خيرات حسان تشمل الجنتين الأولين والجنتين الآخرين، فتمتاز الأولين بأنهن قاصرات الطرف في مقابل مقصورات في الخيام، أما ﴿خَيْرَاتٌ حِسَانٌ﴾ خيرات الطباع حسان الوجوه، فهذه شاملة للجنات الأربع؛ ولهذا تجده هنا قال: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ﴾ [الرحمن: ٧٠]. وفي تفسير الجلالين قال: فيهن لا تعود إلى الجنات الأربع، ولكن فيهن أي: في قصورهن، والصحيح ما أشرت إليه؛ ولهذا لم يذكر ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ هذه الجملة أنها خاصة بالجنتين الآخرين.

«مسألة:» الجنتان في الآيتين هل بينهما تقابل؟

«الجواب:» لا الظاهر والله أعلم أن هذه مثل قول الرسول «جنتان من ذهب آيتهما وما فيها، وجنتان منه فضة آيتهما وما فيها»^(١). وأن الأولين للمقربين والآخرين لأصحاب اليمين.

قال المؤلف:

وَإِذَا تَأَمَّلْتَ السِّيَاقَ وَجَدْتَهَا
سُبْحَانَ مَنْ عَرَسَتْ يَدَاهُ جَنَّةَ أَلْ
وَيَدَاهُ أَيْضًا أَتَقَنَّتْ لِنِبَاتِهَا
هِيَ فِي الْجَنَانِ كَادِمٌ وَكِلَاهُمَا

قوله: هي. أي: الفردوس في الجنان كآدم في البشر، أي: أن الفردوس خلقها الله بيده وآدم خلقه الله

بيده.

هِيَ فِي الْجَنَانِ كَادِمٌ وَكِلَاهُمَا
مَا هَذَا الشَّانُ؟ أَنْ اللَّهَ خَلَقَهَا بِيَدِهِ.

لَكِنَّمَا الْجَهْمِيُّ لَيْسَ لَدَيْهِ مِنْ ذَا الْفَضْلِ شَيْءٌ فَهُوَ ذُو نُكْرَانٍ
حيث إنَّ الجهمي لا يثبت لله اليمين، ولا يثبت أن الله خلق آدم بيده، ولا خلق جنة الفردوس
بيده، ولكن يرى أن المراد باليد القوة والقدرة؛ ولهذا قال:

لَكِنَّمَا الْجَهْمِيُّ لَيْسَ لَدَيْهِ مِنْ ذَا الْفَضْلِ شَيْءٌ فَهُوَ ذُو نُكْرَانٍ
وَلَدٌ عَقُوقٌ عَقَّ وَالِدَهُ وَلَمْ يَشِثْ بِذَا فَضْلًا عَلَى الشَّيْطَانِ
صدق رَحِمَهُ اللهُ، فالجهمي عتق والده آدم؛ حيث أنكروا هذا الفضل الذي ميزه الله به، وهو أنه خلقه
بيده فقال: إن الله خلق آدم بقوته وخلق الشيطان أيضًا بقوته، إذن لا فضل لآدم على الشيطان، مع أن
الله أشار إلى هذا الفضل في قوله: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]،

فَكِلَاهُمَا تَأْيِيْرٌ قُدْرَتِهِ وَتَأْيِيْرٌ الْمَشِيئَةِ لَيْسَ ثَمَّ يَدَانِ
إِلَّا هُمَا أَوْ نِعْمَتَاهُ وَخَلْقُهُ كُلٌّ بِنِعْمَةِ رَبِّهِ الْمَنَّانِ
هذا رأى الجهمي.



* قوله رَحِمَهُ اللهُ:

٥٠٨٦ - لَمَّا قَضَى رَبُّ الْعِبَادِ الْعَرْشَ قَا

ل تَكَلَّمَنِي فَتَكَلَّمْتُ بَيْنَانِ

٥٠٨٧ - قَدْ أَفْلَحَ الْعَبْدُ الَّذِي هُوَ مُؤْمِنٌ

مَاذَا ادَّخَرْتُ لَهُ مِنَ الْإِحْسَانِ

٥٠٨٨ - وَلَقَدْ رَوَى حَقًّا أَبُو الدُّرْدَاءِ ذَا

كَ عُويْمَرُ أَثَرًا عَظِيمَ الشَّانِ

٥٠٨٩ - يَهْتَرُّ قَلْبُ الْعَبْدِ عِنْدَ سَمَاعِهِ

طَرَبًا بِقَدْرِ حَالَاوَةِ الْإِيْمَانِ

٥٠٩٠ - مَا مِثْلُهُ أَبَدًا يُقَالُ بِرَأْيِهِ

أَوْ كَانَ يَا أَهْلًا بِذَا الْعِزْفَانِ

٥٠٩١ - فِيهِ التُّزُولُ ثَلَاثُ سَاعَاتٍ فَاخُ

— ذَاهُنَّ يَنْظُرُ فِي الْكِتَابِ الثَّانِي

٥٠٩٢ - يَمْحُو وَيُثَبِّتُ مَا يَشَاءُ بِحِكْمَةٍ

وَبِعِزَّةِ رَبِّرَحْمَةٍ وَخَنَانٍ

٥٠٩٣ - فَتَرَى الْفَتَى يَمْسِي عَلَى حَالٍ وَيَضُ

سَبْحُ فِي سَوَاهَا مَا هُمَا مِثْلَانِ

٥٠٩٤ - هُوَ نَائِمٌ وَأُمُورُهُ قَدْ دُبِّرَتْ

لَيْلًا وَلَا يَذْرِي بِذَلِكَ الشَّانِ

٥٠٩٥ - وَالسَّاعَةُ الْأُخْرَى إِلَى عَدْنٍ مَسَا

كِنِ أَهْلِهِ هُمْ صَفْوَةُ الرَّحْمَنِ

٥٠٩٦ - الرَّسُلُ ثُمَّ الْأَنْبِيَاءُ وَمَعَهُمُ الضُّ

صِدِّيقٌ حَسْبُ فَلَا تَكُنْ بِجَبَانِ

٥٠٩٧ - فِيهَا الَّذِي وَاللَّهِ مَا عَيْنٌ رَأَتْ

كَأَلًا وَلَا سَمِعَتْ بِهِ الْأَذْنَانِ

٥٠٩٨ - كَأَلًا وَلَا قَلْبٌ بِهِ خَطَرَ الْمَثَا

لُ لَهُ تَعَالَى اللَّهُ ذُو السُّلْطَانِ

٥٠٩٩ - وَالسَّاعَةُ الْأُخْرَى إِلَى هَذِي السَّمَاءِ

ءٍ يَقُولُ هَلْ مِنْ تَائِبٍ نَذْمَانِ

٥١٠٠ - أَوْ دَاعٍ أَوْ مُسْتَغْفِرٍ أَوْ سَائِلٍ

أُعْطِيهِ إِنِّي وَاسِعُ الْإِحْسَانِ

٥١٠١ - حَتَّى يَصَلَّى الْفَجْرُ يَشْهَدُهَا مَعَ الْ

أَمْلَاكِ تِلْكَ شَهَادَةُ الْقُرْآنِ

٥١٠٢ - هَذَا الْحَدِيثُ بِطَوْلِهِ وَسِيَاقِهِ

وَتَمَامِهِ فِي سُنَّةِ الطَّبْرَانِي (١)

الشَّحْ

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

يقول المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

لَمَّا قَضَى رَبُّ الْعِبَادِ الْعَرْشَ قَا ل تَكَلَّمِي فَتَكَلَّمْتُ بِبَيَانِ

قال: تكلمي. يعني: الجنة، فتكلمت فقالت: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ①﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ② وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ③ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ④ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ⑤ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ⑥ فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ⑦ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ ذُرْعُونَ ⑧ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿ [المؤمنون: ١-٩]، هذه سبع صفات عليك بها ثم قال: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ⑩﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ ﴿ [المؤمنون: ١٠-١١]، ثم ذكر حديثاً يقول:

وَلَقَدْ رَوَى حَقًّا أَبُو الدَّرْدَاءِ دَا لِكَ غَوِيْمِرٌ أَثْرًا عَظِيْمَ الشَّانِ

قوله: ولقد روى حقاً أبو الدرداء إلى آخره. أي: أن أبا الدرداء روى هذا الأثر موقوفاً عليه، ومثله لا يقال بالرأي.

قوله: أو كان. أي: أو كان قاله: برأيه، فيا أهلاً بذلك ولفظه: «يُنزِلُ اللهُ تَعَالَى فِي آخِرِ ثَلَاثِ سَاعَاتٍ بَيِّقِينَ مِنَ اللَّيْلِ فَيَنْظُرُ اللهُ فِي السَّاعَةِ الْأُولَى فِي الْكِتَابِ الَّذِي لَا يَنْظُرُ فِيهِ عَيْزُهُ فَيَمْحُو مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ، ثُمَّ يَنْظُرُ فِي السَّاعَةِ الثَّانِيَةِ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ وَهِيَ مَسْكَنَةُ النَّبِيِّ لَا يَكُونُ مَعَهُ فِيهَا أَحَدٌ إِلَّا الْأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ وَالصَّادِقُونَ، وَفِيهَا مَا لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، ثُمَّ يَهْبِطُ آخِرَ سَاعَةٍ مِنَ اللَّيْلِ، فَيَقُولُ أَلَا مُسْتَغْفِرٍ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ، أَلَا سَائِلٍ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ أَلَا دَاعٍ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ» (٢) حَتَّى يَطْلُعَ الْفَجْرُ».

على كمال حال: إذا صح هذا عن أبو الدرداء فإن مثله لا يقال بالرأي، وأبو الدرداء ليس ممن عرف بالأخذ عن بني إسرائيل فيكون له حكم الرفع.



(١) [٥١٠٢: ٥٠٩٩] قال العلامة محمد خليل هراس:

وأما في الساعة الثالثة فينزل إلى خلقه يسبط لهم يد رحمة وشفوه حتى تصلي الفجر التي يشهدها الله وملائكته، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ قُرْءَانَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء: ٧٨].

(٢) كنز العمال (٣٤٠٨).

فصل
في بناء الجنة

- ٥١٠٣ - وَيَبْنَوُهَا اللَّيْنَاتُ مِنْ ذَهَبٍ وَأَخْ
سِرَى فِضَّةٍ نَوْعَانِ مُخْتَلِفَانِ
٥١٠٤ - وَقُضُورُهَا مِنْ لَوْلُؤٍ وَزَبَرْجَدٍ
أَوْ فِضَّةٍ أَوْ خَالِصِ الْعَقِيَانِ
٥١٠٥ - وَكَذَلِكَ مِنْ دُرٍّ وَيَاقُوتٍ بِهِ
نُظِمَ الْبِنَاءُ بِغَايَةِ الْإِثْقَانِ
٥١٠٦ - وَالطِّينُ مِسْكٌ خَالِصٌ أَوْ زَعْفَرَانٌ
نَّ جَابِئًا أَثْرَانِ مَقْبُولَانِ
٥١٠٧ - لَيْسَا بِمُخْتَلَفَيْنِ لِأَنَّكُمَا
فَهُمَا الْمَلَأُ لِذَلِكَ الْبُنْيَانِ

الشرح

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

يقول رَحِمَهُ اللهُ: أو خالص العقيان هو الذهب، وقوله: الطين مسك أو زعفران، ليس بينهما تناقض؛ لأنهما يكونان مخلوطين، ويملأ بهما البناء فلا تنافي بينهما.



فصل
في أرضها وحبائها وتربتها

- ٥١٠٨ - وَالْأَرْضُ مَزْمَرَةٌ كَخَالِصِ فِضَّةٍ
مِثْلُ الْمِرَاةِ تَنَالُهَا الْعَيْنَانِ
٥١٠٩ - فِي مُسْلِمٍ تَشْبِيهُهَا بِالذَّرْمِكِ الضِّ
صَافِي وَبِالْمِسْكِ الْعَظِيمِ الشَّانِ
٥١١٠ - هَذَا لِحُسْنِ اللَّوْنِ لَكِنْ ذَا لَطِيْفِ
سِبِّ الرِّيحِ صَارَ هُنَاكَ تَشْبِيْهَانِ
٥١١١ - حَضْبَاؤُهَا دُرٌّ وَيَأْفُوتُ كَذَا
كَ لَأَلِيٍّ تُثْرَتْ كَثْرَ جَمَّانِ
٥١١٢ - وَتُرَابُهَا مِنْ رَعْفَرَانٍ أَوْ مِنْ أَلِ
مِسْكِ الَّذِي مَا اسْتُلِّ مِنْ غِرْلَانِ
الشَّحْ

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

المقصود بالدرمك الأرض الجيدة التي يضرب لونها إلى صفرة مع نعومتها. وهو معنى ما ذكره سفيان بن عيينة عن مجاهد أن أرض الجنة من فضة، وترابها المسك، فاللون في البياض لون الفضة، والرائحة رائحة المسك. يقول رَحِمَهُ اللهُ:

وَتُرَابُهَا مِنْ رَعْفَرَانٍ أَوْ مِنْ أَلِ مِسْكِ الَّذِي مَا اسْتُلِّ مِنْ غِرْلَانِ

وذلك لأن المسك يقولون: إنه دم نوع من الغزلان، كما قال المتنبي:

لَكِنَّ تَفَقُّ الأَنَامِ وَأَنْتَ مِنْهُمْ فَإِنَّ المِسْكَ بَعْضُ دَمِ الغِرَالِ

وأن هذا النوع من الغزلان يروض على صفة معينة، ثم بعد ذلك يطارد حتى يتعب، فإذا تعب نزل

منه دم عند سرته ثم يأتي هؤلاء الذين يتولونه، فيربطوا هذا الدم بخيط ربطاً شديداً قوياً؛ من أجل ألا يعود الدم إلى الجسم ومن أجل ألا يأتي هذا الجزء شيء من الغذاء، وبعد مدة يتقطع عنه الغذاء فيموت، ثم ينزل مسكاً في وعائه، وعاءه ما هذا؟ الجلد الذي انفصل، وهذا النوع من المسك يقولون: هو أطيب أنواع المسك.



* قوله رَحِمَهُ اللهُ:



٥١١٣ - غُرْفَاتِهَا فِي الْجَوْ يَنْظُرُ بَطْنُهَا

مِنْ ظَهْرِهَا وَالظُّهُرُ مِنْ بَطْنَانِ

٥١١٤ - سَكَانُهَا أَهْلُ الْقِيَامِ مَعَ الصِّيَا

مِ وَطَيْبِ الْكَلِمَاتِ وَالْإِحْسَانِ

٥١١٥ - ثِنْتَانِ خَالِصِ حَقِّهِ سُبْحَانَهُ

وَعَيْدُهُ أَيْضًا لَهُمْ ثِنْتَانِ

الشَّرْحُ

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

لأن الرسول سئل عن ساكنيها، فقال: «مَنْ أَطَالَ الْقِيَامَ وَأَدَامَ الصِّيَامَ وَأَطَابَ الْكَلَامَ وَأَطَعَمَ الطَّعَامَ»^(١). فالقيام والصيام حقه - سبحانه وتعالى - وطيب الكلام وإطعام الطعام هذا للعباد، على أننا نرى أن طيب الكلام يشمل الذكر وقراءة القرآن وغير ذلك، فهو أعم من كونه حقاً خاصاً للإنسان.



فصل
في خيام أهل الجنة

- ٥١١٦ - لِلْعَبْدِ فِيهَا خَيْمَةٌ مِنْ لَوْلِيٍّ
قَدْ جُورَفَتْ هِيَ صَنْعَةُ الرَّحْمَنِ
- ٥١١٧ - سِتُّونَ مِيلاً طُولُهَا فِي الْجَوْ فِي
كُلِّ الزَّوَايَا أَجْمَلُ النَّشْوَانِ
- ٥١١٨ - يَغْشَى الْجَمِيعَ فَلَا يَشَاهِدُ بَعْضُهُمْ
بَعْضًا وَهَذَا لِاتِّسَاعِ مَكَانِ
- ٥١١٩ - فِيهَا مَقَاصِيرٌ بِهَا الْأَبْوَابُ مِنْ
ذَهَبٍ وَدُرٍّ زِينٌ بِالْمَرْجَانِ
- ٥١٢٠ - وَخِيَامُهَا مَنْضُوبَةٌ بِرِيَاضِهَا
وَشَوَاطِئُ الْأَنْهَارِ ذِي الْجَرِيَانِ
- ٥١٢١ - مَا فِي الْخِيَامِ سِوَى الَّتِي لَوْ قَابَلْتُ
لِلْيَسِيرِينَ لَقُلْتُ مُنْكَسِفَانِ
- ٥١٢٢ - اللَّهُ هَاتِيكَ الْخِيَامُ فَكَمْ بِهَا
لِلْقَلْبِ مِنْ عُلُقٍ وَمِنْ أَشْجَانِ
- ٥١٢٣ - فِيهِنَّ حُورٌ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ حَيَّةٌ
سَرَاتٍ حِسَانٌ هُنَّ خَيْرُ حِسَانِ
- ٥١٢٤ - خَيْرَاتُ أَخْلَاقِ حِسَانٍ أَوْجُهُ
فَالْحُسْنُ وَالْإِحْسَانُ مُتَّفَقَانِ

الشَّرح

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

بَيَّنَّ الْمُؤَلِّفَ رَحِمَهُ اللهُ أَنَّ فِيهَا خِيْمَةٌ مِنْ لَوْلُؤٍ مَجُوفَةٍ، وَالَّذِي صَنَعَهَا الرَّحْمَنُ عَزَّ وَجَلَّ، فَهِيَ مَقْتَضَى رَحْمَتِهِ سِتُونَ مِثْلًا طَوْلَهَا فِي الْجَوِّ، وَالْمِثْلُ كَيْلُو وَنِصْفٌ تَقْرِيْبًا، إِذْ نَ تَسْعِينَ كَيْلُو طَوْلَهَا فِي الْجَوِّ، وَفِي كُلِّ الزَّوَايَا أَجْمَلُ النَّسَاءِ سِوَاءَ كُنَّ مِنَ الْحُورِ أَوْ مِنَ نِسَاءِ الدُّنْيَا، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾ [الرَّحْمَنُ: ٧٢]، يَغْشَى الْجَمِيعَ، يَعْنِي: الرَّجُلُ يَغْشَى الْجَمِيعَ يَعْنِي بِالْجَمَاعِ، فَلَا يَشَاهِدُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَهَذَا لِاتْسَاعِ الْمَكَانِ، وَلَمَّا يَجْعَلُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بَيْنَهُمْ مِنَ السِّتْرِ، (أَمَا وَخِيَامَهَا).

فِيهَا مَقَاصِيرٌ بِهَا الْأَبْوَابُ مِنْ ذَهَبٍ وَدُرٍّ زَيْنَ بِالْمُرْجَانِ
مَقَاصِيرٌ: جَمْعُ مَقْصُورَةٍ، فَالْجَنَّةُ فِيهَا أَبْوَابُهَا مِنْ ذَهَبٍ وَدُرٍّ وَمَرْجَانٍ، وَالْإِنْسَانُ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَتَخِيلَ مِثْلَ هَذَا الْحَسَنِ مَهْمَا بَلَغَ تَخِيلُهُ فِي الْقُوَّةِ.

وَخِيَامُهَا مَنُضُّوَةٌ بِرِيَاضِهَا وَشَوَاطِئُ الْأَنْهَارِ ذِي الْجَرِيَانِ
يَعْنِي: أَنَّ الْخِيَامَ بِالرِّيَاضِ وَعَلَى شَوَاطِئِ الْأَنْهَارِ.
مَا فِي الْخِيَامِ سِوَى الَّتِي لَوْ قَابَلْتُ نِسَاءَ لَوْ قَابَلْتُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ، لَقَلْتُ لِلشَّمْسِ وَلِلْقَمَرِ انْكَسَفَ مِنْ نُورِهَا وَبِهَائِهَا، أَسْأَلُ اللهُ أَنْ يَجْعَلَنِي وَإِيَاكُمْ مِنْهُمْ.

لِلْقَلْبِ مِنْ عُلُقٍ وَمِنْ أَشْجَانِ
رَأَتْ حِسَانٌ هُنَّ خَيْرٌ حِسَانِ
فَالْحُسْنُ وَالْإِحْسَانُ مُتَّفَقَانِ
لِلْقَلْبِ مِنْ عُلُقٍ وَمِنْ أَشْجَانِ
رَأَتْ حِسَانٌ هُنَّ خَيْرٌ حِسَانِ
فَالْحُسْنُ وَالْإِحْسَانُ مُتَّفَقَانِ
أَفَادَنَا الْمُؤَلِّفُ أَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ﴾ [الرَّحْمَنُ: ٧٠]، أَنَّ الْخَيْرَاتِ تَعُودُ إِلَى الْأَخْلَاقِ، وَالْحِسَانِ تَعُودُ إِلَى الْوَجْهِ، فَهِنَّ خَيْرَاتِ الْأَخْلَاقِ حِسَانِ الْوَجْهِ إِذَا كَامَلَتْ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا.





فصل

في أرائكها وسررها

٥١٢٥- فِيهَا الْأَرَائِكُ وَهِيَ مِنْ سُرُرٍ عَلِيَّةٍ

مِنْ الْحِجَالِ كَثِيرَةٌ الْأَلْوَانِ

٥١٢٦- لَا تَسْتَحِقُّ اسْمَ الْأَرَائِكِ دُونَ هَا

تِيكَ الْحِجَالِ وَذَلِكَ وَضَعُ لِسَانِ

٥١٢٧- بَشْخَانَةٌ يَدْعُونَهَا بِلِسَانِ فَارِسِ

رِسٍ وَهُوَ ظَهْرُ الْبَيْتِ ذِي الْأَرْكَانِ

الشرح

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

الأرائك: هي السرر التي عليها الحجال، مثل الخيمة الصغيرة ولكنها كثيرة الألوان، السرر لا تستحق أن تسمى أريكة إلا بهذا الحجال.
وقوله: (وذلك وضع لسان) يعني: اللسان العربي.

بَشْخَانَةٌ يَدْعُونَهَا بِلِسَانِ فَارِسِ رِسٍ وَهُوَ ظَهْرُ الْبَيْتِ ذِي الْأَرْكَانِ

ومعنى كلامه أن البشخانة في لسان فارس هي في اللغة العربية ظهر البيت، ذي الأركان هكذا يظهر لي.
قال الناظم في «حادي الأرواح»: قلت ها هنا ثلاثة أشياء؛ أحدها السرح، والثاني الحجلة. وهي البشخانة التي تعلق فوقها، والثالث الفراش الذي على السرير، ولا يسمى السرير أريكة حتى يجتمع فيه ذلك كله.

وفي الصحاح الأريكة: سرير متخذ مزين في قبة أو بيت، فإذا لم يكن فيه سرير فهو حجلة، وفي الحديث أن خاتم النبي ﷺ في زر حجلة، وهو الزر الذي يجمع بين طرفيها من جملة أزرارها. المهم إنها هي الحجال التي تسمى البشخانة في لغة فارس.

قد يقول قائل: سبق في حديث النبي ﷺ أن الإنسان له في الجنة مُلْكٌ يرى أقصاه كما يرى أدناه^(١)،

وهنا يقول أنه في الجنة، يعني الزوايا لا يري بعضهم بعضاً، فكيف الجمع؟
نقول: هذا لاتساع المكان، ولما جعل الله بينهم من الستر، يعني يمكن أن يري الرجل زوجته، ولا ترى إحداهما الأخرى، هذا هو الظاهر والله أعلم.



* قوله رَحِمَهُ اللهُ:

فصل
في أشجارها وثمارها وظلالها

٥١٢٨ - أَشْجَارُهَا نَوْعَانِ مِنْهَا مَالَةٌ

فِي هَذِهِ الدُّنْيَا مِثَالُ دَانٍ

٥١٢٩ - كَالسِّدْرِ أَضَلُّ التَّبَقِ مَخْضُودٌ مَكَاءُ

نَ الشُّوْكِ مِنْ ثَمَرِ ذَوِي أَلْوَانِ

٥١٣٠ - هَذَا وَظِلُّ السِّدْرِ مِنْ خَيْرِ الظِّلِّ

لِ وَنَفْعُهُ التَّزْوِيحُ لِلأَبْدَانِ

٥١٣١ - وَثَمَارُهُ أَيْضًا ذَوَاتُ مَنَافِعِ

مِنْ بَعْضِهَا تَفْرِيحُ ذِي الأَخْرَانِ

٥١٣٢ - وَالطَّلْحُ وَهُوَ المَوْزُ مَنْضُودٌ كَمَا

نُضِدَتْ يَدٌ بِأَصْبَاحِ وَبَنَانِ

٥١٣٣ - أَوْ أَنَّهُ شَجَرُ البُوَادِي مُوقَرًا

حَمَلًا مَكَانَ الشُّوْكِ فِي الأَغْصَانِ

٥١٣٤ - وَكَذَلِكَ الرُّمَانُ وَالأَعْنَابُ وَالنِّ

نْخَلُ الأُتِي مِنْهَا القُطُوفُ دَوَانِ

٥١٣٥ - هَذَا وَنَوْعٌ مَالَةٌ فِي هَذِهِ الدُّ

دُنِيَا نَظِيرٌ كَي يَرَى بَعِيَانِ
٥١٣٦ - يَكْفِي مِنَ التَّعْدَادِ قَوْلُ إِلَهَنَا

مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ بِهَا زَوْجَانِ
٥١٣٧ - وَأَتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا فِي اللَّوْنِ مُخَدَّ

سَلَفِ الطُّغُومِ فَذَلِكَ ذُو أَلْوَانِ
٥١٣٨ - أَوْ أَنَّهُ مُتَشَابِهٌ فِي الْإِسْمِ مُخَدَّ

سَلَفِ الطُّغُومِ فَذَلِكَ قَوْلُ ثَانِ
٥١٣٩ - أَوْ أَنَّهُ وَسَطُ خِيَارِ كُلُّهُ

فَالْفَحْلُ مِنْهُ لَيْسَ ذَا ثِيَابِ
٥١٤٠ - أَوْ أَنَّهُ لِثِمَارِنَا ذِي مُشَبِّهِ

فِي اسْمِهِ وَلَوْنٍ لَيْسَ يَخْتَلِفَانِ
٥١٤١ - لَكِنْ بِهَجَّتِهَا وَلَذَّةِ طَعْمِهَا

أَمْرٌ سِوَى هَذَا الَّذِي تَجِدَانِ
٥١٤٢ - فَيَلِدُهَا فِي الْأَكْلِ عِنْدَ مَنَالِهَا

وَتَلِدُهَا مِنْ قَبْلِهِ الْعَيْنَانِ
الشَّرح

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

يقول المؤلف رَحِمَهُ اللهُ تعالى: «فصل في أشجارها وثمارها وظلالها». وأشجارها ذكر أنها نوعان؛ نوع له في الدنيا نظير، ونوع لا نظير له في الدنيا، ومثل الذي له نظير في الدنيا قوله:

كَالسِّدْرِ أَضْلُ النَّبَقِ مَخْضُودٌ مَكَا
نَ الشُّوكِ مِنْ ثَمَرِ ذَوِي أَلْوَانِ

السدر - هو شجر النبق - فيه شوك لكن في الجنة لا شوك فيه، قال الله تعالى: ﴿فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ﴾ [الواقعة: ٢٨]، ومخضود يعني: ليس فيه شوك، وإنما مكان الشوك ثمر ذوو ألوان.

هَذَا وَظِلُّ السِّدْرِ مِنْ خَيْرِ الظِّلَا
لِ وَنَفْعُهُ التَّزْوِيحُ لِلْأَبْدَانِ

قوله: (هذا وظل السدر) يعني ظل السدر في الجنة يكون من خير الظلال وأبرده، وفيه أيضًا



ترويح للبدن، حيث يجد الإنسان فيه نشوة ولذة ، ومن المعلوم أن الجنة ليس فيها شمس، فإذا لم يكن فيها شمس وليس فيها برودة ولا حرارة، وإنما هي معتدلة فإنه يكون فيه الترويح للأبدان والتنعم، وثمار السدر أيضًا ذوات منافع.

وَتِمَّازُهُ أَيْضًا ذَوَاتُ مَنَافِعٍ مِنْ بَعْضِهَا تَفْرِيحُ ذِي الْأَحْرَانِ
يعني: أن ثمر السدر له منافع كثيرة، ويمكن الرجوع في هذا إلى كتب الطب، من جملتها أنه يفرح الحزين ويخفف الحزن عليه.

وَالطَّلْحُ وَهُوَ الْمَوْزُ مَنْضُودٌ كَمَا نَضِدَتْ يَدٌ بِأَصَابِعِ وَبَنَانٍ
يعني: كما أن اليد منضودة بالأصابع أيضًا الطلح منضود الموز، لكن ليس كمنضود موز الدنيا، بل هو أعظم بكثير، وألذ للعين وأشهى للنفس.

أَوْ أَنَّهُ شَجَرُ الْبَوَادِي مُوقَرًا حَمَلًا مَكَانَ الشُّوكِ فِي الْأَعْصَانِ
شجر البوادي معروف بالطلح، تجذونه في الشعاب وفي البوادي، ففيها إذا قولان: القول الأول أن الطلح المنضود هو شجر الموز، والثاني أنه شجر البوادي، لكن بدلًا من الشوك تكون ثمار شجر البوادي، وكلكم يعرف أنه ذو شوك عظيم مثل الإبر.

وَكَذَلِكَ الرُّمَّانُ وَالْأَعْنَابُ وَالنَّخْلُ النَّبِي مِنْهَا الْقُطُوفُ دَوَانٍ
وقوله: (وكذلك الرمان) يعني: مما له نظير في الدنيا.

كما قال تعالى: ﴿فِيهَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ [الرحمن: ٦٨]، أمَّا الأعناب ففي قوله تعالى: ﴿وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ﴾ [الأنعام: ٩٩].

هَذَا وَنَوْعٌ مَّالَهُ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا نَظِيرٌ كَيْ يَرَى بَعِيَانٍ
يَكْفِي مِنَ التَّعْدَادِ قَوْلُ إِلَهِنَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ بِهَا زَوْجَانِ
يعني: كل فاكهة أي: ما يتفكه به الإنسان مما يوجد في الدنيا ومما لا يوجد فيها زوجان، والزوجان هما الصنفان يعني: أنها صنفان متنوعان من كل فاكهة.

وَأَتَوْا بِهِ مُتَشَابِهًا فِي اللَّوْنِ مُحْدٍ تَلِفَ الطُّغُومِ فَذَلِكَ ذُو أَلْوَانٍ
قوله: «وأتوا به متشابهًا». قال الله تعالى في سورة البقرة: ﴿وَأَتَوْا بِهِمْ مُتَشَابِهًا﴾ [البقرة: ٢٥].

يعني: يؤتى بالفواكه متشابهة إذا رأيتها ظننتها شيئًا واحدًا، فإذا أكلتها وجدتها تختلف في طعمها، وهذا أعتقد أنه يكون فيه انبساط للنفس، وهو أن يكون شيء واحد نظرًا ولكنه يختلف طعمًا، تخيل الآن أن بين يديك طبقًا فيه فاكهة تظنها شيئًا واحدًا، ثم إذا أخذت كل واحد وإذا هي تختلف عن الأخرى، فيكون هذا ألذ مما لو جاء طبقًا واحدًا على صنف واحد يقول: أو أنه متشابهًا. إن كان متشابهًا فقد أتى به المؤلف على سبيل الحكاية، وهو في القرآن منصوب لا مرفوع، فيكون أتى به على

سبيل الحكاية، وإن كان «متشابهة» بالرفع فقد أتى به على الإعراب، يعني متشابه خبر أن.
أَوْ أَنَّهُ مُتَشَابِهَةٌ فِي الْإِسْمِ مُخْرَجَةٌ تَلْفُ الطُّغُومِ فَذَلِكَ قَوْلُ ثَانٍ
الأول متشابه في اللون وهذا متشابه في الاسم، لكن طعمه يختلف، فالرمان مثلاً الاسم واحد
والطعم يختلف.

أَوْ أَنَّهُ وَسَطٌ خَيْرٌ كُلُّهُ فَالْفَحْلُ مِنْهُ لَيْسَ ذَا ثِيَابٍ
المتشابه بمعنى: الوسط، ولعل المؤلف أخذه من قوله تعالى: ﴿اللَّهُ زَلَّ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا
مُتَشَابِهًا﴾ [الزمر: ٢٣].

فإن قيل : معنى متشابهاً يشبه بعضه بعضاً في الاسم.

قلنا: متشابهاً أي: يشبه ما عندنا في الدنيا، ولكنه لا شك أنه يخالفه، ولهذا قال بعدها:

لَكِنْ بَهَجَتْهَا وَلَذَّةِ طَعْمِهَا أَمْرٌ سِوَى هَذَا الَّذِي تَجِدَانِ
فِي لَذَّهَا فِي الْأَكْلِ عِنْدَ مَنَالِهَا وَتَلَذُّهَا مِنْ قَبْلِهِ الْعَيْنَانِ
قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمَا بِالْجَنَّةِ أَلْ عَلِيًّا سِوَى أَشْمَاءِ مَا تَرِيَانِ
يَكْفِي مِنَ التَّعْجَاجِ قَوْلُ إِلَهِنَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ بِهَا رُؤْجَانِ



* قَوْلُهُ رَحِمَ اللَّهُ:

٥١٤٣- قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمَا بِالْجَنَّةِ أَلْ

عَلِيًّا سِوَى أَشْمَاءِ مَا تَرِيَانِ

٥١٤٤- يَغْنِي الْحَقَائِقَ لَا تُمَاطِلُ هَذِهِ

وَكَيْلَاهُمَا فِي الْإِسْمِ مُتَّفَقَانِ

٥١٤٥- يَا طَيْبَ هَاتِيكَ الثِّمَارِ وَعَزْسِهَا

فِي الْمِسْكِ ذَلِكَ الثَّرْبُ لِلْبُسْتَانِ

٥١٤٦- وَكَذَلِكَ الْمَاءِ الَّذِي يَسْقَى بِهِ

يَا طَيْبَ ذَلِكَ الْوَرْدِ لِلظُّمَانِ

٥١٤٧- وَإِذَا تَنَاوَلْتَ الثِّمَارَ أَتَتْ نَظِي

رَتُهَا فَحَلَّتْ دُونَهَا بِمَكَانِ

- ٥١٤٨- لَمْ تَنْقَطِعْ أَبَدًا وَلَمْ تَرْقُبْ مَسِيءَ
رَ الشَّمْسِ مِنْ حَمَلٍ إِلَى مِيزَانِ
- ٥١٤٩- وَكَذَلِكَ لَمْ تُنْمَعْ وَلَمْ تَحْتَجَّ إِلَى
أَنْ تَزْتَقِيَ لِلْقُنُوقِ فِي الْعِيدَانِ
- ٥١٥٠- بَلْ ذُلِّتْ تِلْكَ الْقُطُوفُ فَكَيْفَ مَا
شِئْتَ انْتَرَعْتَ بِأَسْهَلِ الْإِمْكَانِ
- ٥١٥١- وَلَقَدْ أَتَى أَثْرُ بَأَنَّ السَّاقَ مِنْ
ذَهَبٍ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ بِبَيَانِ
- ٥١٥٢- قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَهَاتِيكَ الْجُدُوهُ
عُ زُمُرْدٌ مِنْ أَحْسَنِ الْأَلْوَانِ
- ٥١٥٣- وَمُقَطَّعَاتُهُمْ مِنَ الْكَرْبِ الَّذِي
يَهَا وَمِنْ سَاعَةٍ مِنَ الْعَقِيَانِ
- ٥١٥٤- وَتَمَارُهَا مَا فِيهِ مِنْ عَجْمٍ كَأَمْ
سَائِلِ الْقِلَالِ فَجَلَّ ذُو الْإِحْسَانِ
- ٥١٥٥- وَظِلَالُهَا مُنْتَدَةٌ لَيْسَتْ تَقِي
حَارًّا وَلَا شَمْسًا وَأَتَى ذَانِ
- ٥١٥٦- أَوْ مَا سَمِعْتَ بِظِلِّ أَضَلِّ وَاحِدٍ
فِيهِ لِسِيرِ الرَّايِبِ الْعَجْلَانِ
- ٥١٥٧- مِائَةٌ سِنِينَ قُدِّرَتْ لَا تَنْقُضِي
هَذَا الْعَظِيمِ الْأَضَلِّ وَالْأَفْئَانِ
- ٥١٥٨- وَلَقَدْ رَوَى الْخُدْرِيُّ أَيْضًا أَنَّ طُوبَى
بَى قَدْرُهَا مِائَةٌ بِإِلَّا نَقْصَانِ

٥١٥٩- تَتَفَتَّحُ الْأَكْمَامُ فِيهَا عَنْ لِيَا

سِيَهُمْ بِمَا شَاءُوا مِنْ الْأَلْوَانِ
الشرح

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

يقول المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمَا بِالْجَنَّةِ أَلْ
عُلْيَا سِوَى أَسْمَاءٍ مَا تَرِيَانِ

يعني: ليس في الجنة مما في الدنيا إلا الأسماء فالرمان ليس معناه أن رمان الجنة كرماننا، بل اسمه رمان والحقيقة تختلف؛ لأن الله تعالى قال: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مِمَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: ١٧]، وقال سبحانه وتعالى في الحديث القدسي: «أَعَدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ»^(١). ولو كان ما هناك كالذي هنا لكننا نعلم ما فيها من قرة الأعين؛ ولهذا قال: ليس فيها إلا الأسماء. قاله ابن عباس رَحِمَهُ اللهُ.

يقول:

يَغْنِي الْحَقَائِقُ لَا تُمَاتِلُ هَذِهِ
وَكِلَاهُمَا فِي الْإِسْمِ مُتَّفَقَانِ

في نسخة متحذان، والمعنى واحد.

يَا طَيْبَ هَاتِيكَ الثَّمَارِ وَعَازِسِهَا
فِي الْمِسْكِ ذَاكَ الثَّرْبُ لِلْبُشْتَانِ

لأن طيب الثمار يكون من طيب الأرض ومن طيب الماء، وأرضها طيبة لأنها مسك، أما الماء:

وَكَذَلِكَ الْمَاءُ الَّذِي يَسْقَى بِهِ
يَا طَيْبَ ذَاكَ الْوَرْدِ لِلظُّمآنِ

ماء غير آسن.

وَإِذَا تَنَاوَلْتَ الثَّمَارَ أَتَتْ نَظِيْدَ
رُثْهَآ فَحَلَلْتَ دُونَهَا بِمَكَانِ

سبحان الخلاق العليم! إذا تناولت الثمرة من الشجرة نبت فوراً مكانها ثمرة بدون تعب، وبدون

انتظار إلى زمن، ولهذا قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ: (حلت دونها بمكان).

لَمْ تَنْقَطِعْ أَبَدًا وَلَمْ تَزُقْ فِي سِيْدِ
رَ الشَّمْسِ مِنْ حَمَلِ إِلَى مِيزَانِ

يعني: أن الثمار عندنا لها أوقات معلومة وفي غيرها لا توجد، أما هناك - اللهم اجعلنا ممن يجنيها -

فإنك إذا أخذت ثمرة نبت بسرعة بدلها في مكانها، ومع هذا يقول:

وَكَذَلِكَ لَمْ تُمْنَعْ وَلَمْ تَحْتَجَّ إِلَى
أَنْ تَزْتَقِيَ لِلْقِنُو فِي الْعِيدَانِ

يعني: لا أحد يمنعك، يقول: انتظر ولا تحتاج إلى أن تصعد إلى القنو، والقنو يعني: ما نسميه نحن: القنا والعذق، فلا يحتاج يرقى مثلاً للنخلة أو للشجرة؛ لأن قطوفها دانية.

بَلْ ذُلِّلَتْ تِلْكَ الْقُطُوفُ فَكَيْفَ مَا شِئْتَ انْتَزَعْتَ بِأَسْهَلِ الْإِمْكَانِ

يقول العلماء: الإنسان إذا رأى إلى ثمرة من ثمار الجنة واشتهاها تدلى الغصن إليه، وأخذ الثمر سواء كان جالساً أو مضطجعاً أو على أي حال، قال الله تعالى: ﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾ [الحاقة: ٢٣]، وقال: ﴿وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذَلُّلاً﴾ [الإنسان: ١٤].

وَلَقَدْ أَتَى أَثْرَبِ بَأْسِ السَّاقِ مِنْ ذَهَبٍ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ بَيَّانٍ فَسَاقِ الشَّجَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ، أَمَّا الْجُدُوعُ.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَهَاتِيكَ الْجُدُوعُ عَ زَمْرُدٍ مِنْ أَحْسَنِ الْأَلْوَانِ

لو تصورت الآن أمامك شجرة ساقها ذهب وجذعها من الزمرد. تخيلت منظرًا عجيبًا يبهج النفس مع أن الذهب الذي هناك كالذهب الذي هنا، ولا الزمرد كالزمرد سبحان الله! كيف نميل إلى الدنيا؟! بل كيف نعيش بها ونحن نؤمن ونشهد الله أننا نؤمن بهذا الذي وعد الله المتقين؟ ومع ذلك كأنا في سكرة! كأنا في غفلة! فنسأل الله أن يعاملنا بالعفو.

قال:

وَمُقَطَّعَاتُهُمْ مِنَ الْكَرْمِ الَّذِي فِيهَا وَمِنْ سَعْفِ مِنَ الْعُقَيَانِ

مقطعاتهم يعني: ما يلبسون من المقاطع.

وَمُقَطَّعَاتُهُمْ مِنَ الْكَرْمِ الَّذِي فِيهَا وَمِنْ سَعْفِ مِنَ الْعُقَيَانِ

الكرم هو العنب، وله أوراق معروفة، فهم يأخذون مقطعاتهم من هذا الكرم إذا الكرم فيه عنب وفيه ثياب.

وَيَمَارُهَا مَا فِيهِ مِنْ عَجْمٍ كَأَمْ ثَالِ الْقِلَالِ فَجَلَّ ذُو الْإِحْسَانِ

ثمارها ما فيه عجم، والعجم النوى.

وَيَمَارُهَا مَا فِيهِ مِنْ عَجْمٍ كَأَمْ ثَالِ الْقِلَالِ فَجَلَّ ذُو الْإِحْسَانِ

قوله: (القلال): هي جرة يجعل فيها الماء، لكنها جرة كبيرة تسمى عندنا الزير، ما أدري هل هي لغة عام أم لا؟ وهي من الفخار وهذه من الثمار! أنتم الآن لو تصورتهم هذه الثمار لقلتم هذه كبيرة ما تشد لها النفس، لكن إذا كان الإنسان طوله ستون ذراعاً وعرضه سبعة أذرع، تكون هذه الثمرة مناسبة ولا شك، ثم على فرض أن أحداً في الجنة لم يتلذذ برؤية شيء ما أو طعمه، فسوف يتحول إلى ما يتلذذ، قال الله تعالى: ﴿وَفِيهَا مَا اشْتَهَى النَّفْسُ وَكَذَلِكَ الْأَعْيُنُ﴾ [الزخرف: ٧١].

وَظِلَالُهَا مُتَمَدَّةٌ لَيْسَتْ تَقِي حَرًّا وَلَا شَمْسًا وَأَنْتَى دَانٍ

قوله: (ذان) أى: الحر والشمس، والاستفهام هنا للاستبعاد، يعني: ما فيها. أو بل للنفي، أي ما فيها شمس ولا فيها حر، بل هو ظل ممدود، قال أهل العلم: كما يكون الظل فيما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس، يعني: نور لكن لا ترى شمسًا.

أَوْ مَا سَمِعْتَ بِظِلِّ أَضَلِّ وَاحِدٍ فِيهِ يَسِيرُ الرَّكِبُ الْعَجَلَانِ
مِائَةً سِنِينَ قَدَرْتَ لَا تَنْقُضِي هَذَا لِعَظِيمِ الْأَصْلِ وَالْأَفْئَانِ

يعني: في شجرة يسير الراكب العجلان فيها مائة سنة، لا يقطع ظلها، وهي شجرة من أشجار كثيرة في مكان صاحب الجنة.

وَلَقَدْ رَوَى الْخُدْرِي أَيْضًا أَنَّ طُوبَى بَى قَدْرَهَا مِائَةً بِأَلَا تُقْصَانِ
تَنْفَتِّحُ الْأَكْمَامُ فِيهَا عَنْ لِبَاسِهِمْ بِمَا شَاءُوا مِنْ الْأَلْوَانِ

شجرة طوبى كبيرة واسعة طويلة، فيها أكمام مثل كم طلع النخل، تفتح عن لباس متنوع في ألوانه، يلبسه أهل الجنة، اللهم اجعلنا ممن يسكنها من عندك وكرمك.



* قوله رَحِمَهُ اللهُ:

فصل
في سماع أهل الجنة

٥١٦٠ - قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَيُرْسَلُ رَبُّنَا

رِيحًا تَهْرُ دَوَائِبَ الْأَعْصَانِ

٥١٦١ - فَتُبِيرُ أَضْوَاتًا تَلْدُ لِمَسْمَعِ الْ

إِنْسَانِ كَالنَّعْمَاتِ بِالْأُورَانِ

٥١٦٢ - يَا لَذَّةِ الْأَسْمَاعِ لَا تَتَعَوَّضِي

بِلَذَّةِ الْأَوْتَارِ وَالْعِيْدَانِ

٥١٦٣ - أَوْ مَا سَمِعْتَ سَمَاعَهُمْ فِيهَا غِنَا

ءِ الْخُورِ بِالْأَضْوَاتِ وَالْأَلْحَانِ

٥١٦٤ - وَهَذَا لِيَذِيكَ السَّمَاعِ فَإِنَّهُ

مَلَأْتُ بِهِ الْأُذُنَانِ بِالْإِحْسَانِ!

٥١٦٥ - وَهَذَا لِيَذِيكَ السَّمَاعِ وَطَيْبِهِ

مِنْ مِثْلِ أَقْمَارٍ عَلَى أَغْصَانِ!

٥١٦٦ - وَهَذَا لِيَذِيكَ السَّمَاعِ فَكَمِ بِهِ

لِلْقَلْبِ مِنْ طَرَبٍ وَمِنْ أَشْجَانِ!

٥١٦٧ - وَهَذَا لِيَذِيكَ السَّمَاعِ وَلَمْ أَقُلْ

ذِيكَ تَضْعِيفًا لِيهِ بِلِسَانِ

٥١٦٨ - مَا ظَنُّ سَامِعَةٍ بِصَوْتِ أَطِيبِ أَلْ

أَصْوَاتٍ مِنْ حُورِ الْجِنَانِ حِسَانِ

٥١٦٩ - نَحْنُ النَّوَاعِمُ وَالْحَوَالِدُ خَيْرًا

تِ كَامِلَاتِ الْحُسْنِ وَالْإِحْسَانِ

٥١٧٠ - لَسْنَا نَمُوتُ وَلَا نَخَافُ وَمَا لَنَا

سَخَطٌ وَلَا ضِغْنٌ مِنَ الْأَضْغَانِ

٥١٧١ - طُوبَى لِمَنْ كُنَّا لَهُ وَكَذَاكَ طُو

بِي لِلَّذِي هُوَ حَظَّنَا الْحَقَّانِي

٥١٧٢ - فِي ذَلِكَ آثَارُ رُوسِنَ وَذِكْرُهَا

فِي التِّرْمِذِيِّ وَمُعْجَمِ الطَّبْرَانِيِّ

٥١٧٣ - وَرَوَاهُ يَحْيَى شَيْخُ الْأَوْزَاعِيِّ تَفَد

سِيرًا لِلْفُطَيَّةِ «يَحْبَرُونَ» أَغَانِ (١)

(١) [٥١٦٣ : ٥١٧٣] قال العلامة محمد خليل هراس:

ولقد وردت الآثار أيضًا بأن الحور العين يغنين في كل صباح بأعذب الألحان، روى الترمذي بإسناده عن النعمان بن سعد عن علي قال: قال رسول الله ﷺ: [إن في الجنة لمجتمعًا للحور العين يرفعن بأصوات لم تسمع الخلائق بمثلها، يقلن: نحن الخالدات فلا نبئد، ونحن الناعمات فلا نبأس، ونحن الراضيات فلا نسخط، طوبى لمن كان لنا وكنا له].

٥١٧٤- نَزَّهَ سَمَاعَكَ إِنْ أَرَدْتَ سَمَاعَ ذِي

يَاكَ الْغِنَاءَ عَنْ هَذِهِ الْأَحْصَانِ

٥١٧٥- لَا تُؤْثِرِ الْأَذْنَى عَلَى الْأَعْلَى فَتُحْ

رَمَ ذَا وَذَا يَا ذَلَّةَ الْحَزْمَانِ

٥١٧٦- إِنْ اخْتِيَارَكَ لِلْسَّمَاعِ النَّازِلِ أَلْ

أَذْنَى عَلَى الْأَعْلَى مِنَ الثَّقْصَانِ

٥١٧٧- وَاللَّهِ إِنْ سَمَاعَهُمْ فِي الْقَلْبِ وَالْ

إِيْمَانِ مِثْلُ السُّمِّ فِي الْأَبْدَانِ

٥١٧٨- وَاللَّهِ مَا أَنْفَكَ الَّذِي هُوَ ذَابُهُ

أَبَدًا مِنَ الْإِشْرَاكِ بِالرَّحْمَنِ

٥١٧٩- فَالْقَلْبُ بَيْتُ الرَّبِّ جَلَّ جَلَالُهُ

حُبًّا وَاجْلَالًا مَعَ الْإِحْسَانِ

٥١٨٠- فَإِذَا تَعَلَّقَ بِالسَّمَاعِ أَصَارَهُ

عَبْدًا لِكُلِّ فُلَانَةٍ وَفُلَانِ

٥١٨١- حُبُّ الْكِتَابِ وَحُبُّ الْأَحَانِ الْغِنَاءِ

وروى الطبراني من حديث ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ «إن أزواج أهل الجنة ليغنين أزواجهن بأحسن أصوات ما سمعها أحد قط، وأن مما يغنين به؛ نحن الخيرات الحسان أزواج قوم كرام، ينظرون بعشرة أعين. وأن مما يغنين به: نحن الخالدات فلانمتنه، نحن الأمانات فلا نخفته، نحن المقييات فلا نظعنهن». وروى أبو نعيم في وصف الجنة من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «إن في الجنة شجرة جذوعها من ذهب وفروعها من زبرجد ولؤلؤ، فتهب لها ريح فيصطفقن، فما سمع السامعون بصوت شيء قط أذ منه». وروى الأوزاعي عن شيخه يحيى بن أبي كثير في تفسير قوله تعالى (مُجْبِرُونَ) قال الخبر السماع في الجنة.

فوا لهفتا على ذلك السماع الذي تمتلئ منه الأذان لذة ونشوة. ووالهفتا لذلك السماع وطيبه حين تنطلق به حناجر الحور الحريرية وتتمايل عنده رءوسهن كأنها أقمار على أغصان، ووالهفتا لذلك السماع الذي ملأ القلوب طرباً وشجناً، ولم أقل بذيالك بصيغة التصغير تحقيراً له وتهويناً من شأنه، فما ظنك بأطيب صوت في أعذب لحن يخرج من أجمل امرأة، لا شك أنه قد اجتمعت له كل عناصر اللذة والإمتاع.

فِي قَلْبِ عَبْدٍ لَيْسَ يَجْتَمِعَانِ
٥١٨٢- ثَقُلَ الْكِتَابُ عَلَيْهِمْ لَمَّا رَأَوْا

تَقْيِيدَهُ بِشَرَائِعِ الْإِيمَانِ
٥١٨٣- وَاللَّهُوْ خَفَّ عَلَيْهِمْ لَمَّا رَأَوْا

مَا فِيهِ مِنْ طَرَبٍ وَمِنْ أَلْحَانِ
٥١٨٤- قُوْتُ الثُّقُوبِ وَإِنَّمَا الْقُرْآنُ قُوْ

تُ الْقَلْبِ أَنْيَ يَسْتَوِي الْقُوْتَانِ!
٥١٨٥- وَلِذَا تَرَاهُ حَظُّ ذِي الثُّفْصَانِ كَالْ

جُهَالِ وَالصَّيْبَانِ وَالنِّشْوَانِ
٥١٨٦- وَالذُّهُمُ فِيهِ أَقْلُهُمْ مِنْ أَلْ

عَقْلِ الصَّحِيحِ فَسَلْ أَخَا الْعِرْفَانِ
٥١٨٧- يَا لَذَّةِ الْمُسَاقِ لَسْتَ كَلَذَّةِ أَلْ

أَبْرَارِ فِي عَقْلِ وَلَا قُرْآنِ
الشَّحْ

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

هذا الفصل في سماع أهل الجنة، وذكر رَحِمَهُ اللهُ أنه نوعان: النوع الأول من الأشجار؛ حيث يرسل الله عز وجل ريحاً تهز ذوائبها، فتثير أصواتاً لذيذة على المسمع كأنها النغمات لا تؤثر الأذن على الأعلى، والنوع الثاني غناء الحور العين، نسأل الله أن يجعلني وإياكم ممن يسمعون.

لَا تُؤْثِرُ الْأَذْنَى عَلَى الْأَعْلَى فَتُحَدِّدُ زَمَ دَا وَذَا يَا ذَلَّةَ الْجَزْمَانِ
قوله: فتحرم ذا. يعني: الأعلى والأدنى؛ لأن من أثر الحياة الدنيا حُرِمَ الدنيا والآخرة؛ لأنه لم يستفد من دينه ودينه، ولكن إذا أثر الأخرى على الدنيا ربح الدنيا والآخرة؛ ولهذا أقسم الله عز وجل بالعصر، فقال: ﴿وَالْعَصْرِ ① إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٍ ②﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿ [العصر: ١-٣]. يقول:

إِنَّ اخْتِيَارَكَ لِلسَّمَاعِ النَّازِلِ أَلْ أَدْنَى عَلَى الْأَعْلَى مِنَ الثُّفْصَانِ

قوله : (من نقصان) أي العقل والدين، فالذي يختار السماع النازل على الأعلى ناقص العقل وناقص الدين .

وَاللَّهُ إِنَّ سَمَاعَهُمْ فِي الْقَلْبِ وَالْإِيمَانَ مِثْلُ السُّمِّ فِي الْأَبْدَانِ
يعني: أنه يسري في القلب فيفسده كما يفسد السم البدن، فالسم إذا غرّز في البدن لا يستطيع الإنسان إمساكه، فيسرى في البدن بسرعة وبقوة، وانظر إلى اللديغ إذا لدغ كيف يسرى السم في بدنه؟ ولا يستطيع أحد أن يوقفه، هذا مثل سماع الأغاني - والعياذ بالله - يسرى في القلب فيفسده وفي الإيمان فيفسده كما يسرى السم في الأبدان.

وَاللَّهُ مَا أَنْفَكَ الَّذِي هُوَ دَابُّهُ أَبَدًا مِنَ الْإِشْرَاكِ بِالرَّحْمَنِ
أقسم المؤلف ﷻ أن الذي يكون دأبه الغناء لا ينفك من الإشراك بالرحمن، وذلك كما قال المؤلف ﷻ.

فَالْقَلْبُ بَيْتُ الرَّبِّ جَلَّ جَلَالُهُ حُبًّا وَإِجْلَالًا مَعَ الْإِحْسَانِ
فَإِذَا تَعَلَّقَ بِالسَّمَاعِ أَصَارَهُ عَبْدًا لِكُلِّ فَلَانَةٍ وَقُلَانِ
ولهذا تجدد المفتونين بأهل الغناء لا يكون في قلوبهم إلا أولئك القوم الذين فتنوا بهم، فتكون محبتهم مزاحمة لمحبة الله؛ فيكونون مشركين مع الله في المحبة، نسأل الله العافية قال تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّوهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ﴾ [البقرة: ١٦٥]، وهذا وجه قوله:

وَاللَّهُ مَا أَنْفَكَ الَّذِي هُوَ دَابُّهُ
ثم قال المؤلف ﷻ:

حُبُّ الْكِتَابِ وَحُبُّ الْأَحَانِ الْغِنَا
فِي قَلْبِ عَبْدٍ لَيْسَ يَجْتَمِعَانِ
لا فهل هما نقيضان أو ضدان؟ لا. ضدان؛ لأنه قد يكون فيه حب ثالث لا أحان الغناء، ولا القرآن بل يجب مثلاً المال على محبة الله، فالمهم أنها ليس يجتمعان، لأن حب القرآن يوجب للإنسان التعلق بالله عز وجل، بخلاف حب الألمان.

تَقْوِيْدُهُ بِشَرَايِعِ الْإِيمَانِ
وَاللَّهُ هُوَ خَفَّ عَلَيْهِمْ لَمَّا رَأَوْا
مَا فِيهِ مِنْ طَرَبٍ وَمِنْ الْأَحَانِ
وَاللَّهُ هُوَ خَفَّ عَلَيْهِمْ لَمَّا رَأَوْا
إذا سمعوا الألمان أصغوا واستمعوا، وإذا سمعوا القرآن فكأنها يصب في آذانهم الأناك، يعني: الرصاص المذاب والعياذ بالله.

قُوْتُ النَّفُوسِ وَإِنَّمَا الْقُرْآنُ قُوْتُ
تُ الْقَلْبِ أُنَى يَسْتَوِي الْقُوْتَانِ
قوله: قوت النفوس. يقصد الطرب والألمان هو قوت النفوس، أما القرآن فهو قوت القلوب.



وَلِذَا تَرَاهُ حَظُّ ذِي النُّقْصَانِ كَأَلْ — جُهَالٍ وَالصَّبِيانِ وَالنِّسْوَانِ
فترى الطرب والألحان بحبهم ذي النقصان كالجهال والصبيان والنسوان.
أما العقلاء فإنهم يترفعون عنه ويهجرونه.

وَأَلْذُهُمْ فِيهِ أَقْلُهُمْ مِنَ الْعَلْ — عَقْلِ الصَّحِيحِ فَسَلْ أَخَا الْعِرْفَانِ
قوله: (فسل أخا العرفان) يريد نفسه، والمعنى: اسأل خبيراً؛ لأن أذهم فيه أقلهم من العقل الصحيح.

يَا لَذَّةَ الْفُسَّاقِ لَسْتَ كَلَذَّةَ الْعَلْ — أَبْرَارٍ فِي عَقْلِ وَلَا قِرَانَ
مسألة: هل الآثار فيها أصوات الأشجار وغناء الحور صحيحة؟

الجواب: أما الأشجار فهذا أثر عن ابن عباس، وابن عباس ^{رضي الله عنه} ممن عرف بالأخذ عن بني إسرائيل، ولكن نحن عندنا آية في كتاب الله وهي قوله: ﴿وَفِيهَا مَا نَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ﴾ [الزخرف: ٧١]، فمثلاً إذا اشتهى الإنسان شيئاً من هذا فلا مانع من أن يكون، ولكن قد يقال: إن الإنسان لا يشتهي إلا شيئاً جعله الله في هذه الجنات، فإذا طالب بصحة النقل فلا بد من تصحيح النقل؛ ولهذا نريد من الإخوة تصحيح الحديث في مسألة غناء الحور.

أَوْ مَا سَمِعْتَ سَمَاعَهُمْ فِيهَا غِنَا — ءِ الْحُورِ بِالْأَصْوَاتِ وَالْأَلْحَانِ
إلى أن قال:

فِي ذَاكَ أَثَارٌ رُوِيَ عَنْهُ وَذَكَرَهَا — فِي التِّرْمِذِيِّ وَمُعْجَمِ الطَّبْرَانِيِّ



* قوله رَجَلَهُ؛

فصل

في أنهار الجنة

٥١٨٨ - أَنْهَارُهَا مِنْ غَيْرِ أُخْدُودٍ جَرَتْ

سُبْحَانَ مَنْسُوكِهَا عَنِ الْقَيْضَانِ

٥١٨٩ - مِنْ تَحْتِهِمْ تَجْرِي كَمَا شَاءُوا مُفَجِّجٌ

جَرَّةٌ وَمَا لِلنَّهْرِ مِنْ نَقْصَانِ

٥١٩٠ - عَسَلٌ مُصَفًّى ثُمَّ مَاءٌ ثُمَّ حُمْرٌ

رُثِمَ أَنَّهُارٌ مِنَ الْأَبْنَانِ

٥١٩١ - وَاللَّهِ مَا تِلْكَ الْمَوَادُّ كَهَذِهِ

لَكِنَّهُمَا فِي اللَّفْظِ مُجْتَمِعَانِ

٥١٩٢ - هَذَا وَبَيْنَهُمَا يَسِيرٌ تَشَابُهُ

وَهُوَ اشْتِرَاكٌ قَامَ بِالْأَذْهَانِ

الشَّرح

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

أنهار الجنة تجري بلا أهدود، والأهدود هو الشيء القائم الذي يمنع الماء من الانحراف يمينا أو يسارا، وكذلك أيضا من غير أهدود محفورة تحفر بالأرض، فليس لها أهدود قائمة ولا محفورة، فهي تجري كما يشاء صاحبها، يصرفها حيث يشاء، ثم هذه الأنهار غسل مصفى وماء غير آسن، وخمر لذة للشاربين، ولبن لم يتغير طعمه أنهار ما هي تأتي بأواني أنهار بيد الله عز وجل.

وَاللَّهِ مَا تِلْكَ الْمَوَادُّ كَهَذِهِ لَكِنَّهُمَا فِي اللَّفْظِ مُجْتَمِعَانِ

يعني: المواد اللبن والعسل والماء والخمر ليست كمواد الدنيا، لكنهما اشتراكا في اللفظ فقط، أما الحقيقة فتختلف كما تختلف الدنيا عن الآخرة، لكن بينهما اشتراك في أصل المعنى؛ لأنه لولا هذا الاشتراك في أصل المعنى ما فهم المعنى، فأصل اللبن هو لکن وصفه ومادته ليست كوصف ومادة لبن الدنيا، كذلك أيضا نقول بالماء والخمر والعسل.

مسألة: ما الفرق بين التشابه والاشتراك؟

الجواب: لا اشتراك في اللفظ والتشابه في المعنى تشابه لا تساوي الاشتراك في اللفظ، فالاشتراك في اللفظ معناه: لفظ واحد يدل على عدة معاني، هذا الاشتراك مثلا: عين تطلق على عدة معاني: على العين الباصرة والعين المنقودة (ذهب) والعين الجارية (الماء).



فصل
في طعام أهل الجنة

- ٥١٩٤ - وَطَعَامُهُمْ مَا تَشْتَهِيهِ نَفْسُهُمْ
وَلُحُومٌ طَيْرٍ نَاعِيمٍ وَسِمَانٍ
٥١٩٥ - وَفَوَاكِهَ شَتَّى بِحَسَبِ مَنَاهِمٍ
يَا شَبْعَةَ كَمَلْتِ لِيذِي الْإِيمَانِ
٥١٩٦ - لَحْمٌ وَخَمْرٌ وَالنِّسَاءُ وَفَوَاكِهَ
وَالطَّيِّبُ مَعِ رَوْحٍ وَمَعِ رِيحَانٍ
٥١٩٧ - وَصِحَافُهُمْ ذَهَبٌ تَطُوفُ عَلَيْهِمْ
بِأَكْفٍ خُدَّامٍ مِنَ الْوِلْدَانِ
٥١٩٨ - وَانظُرْ إِلَى جَعَلِ اللَّذَاذَةَ لِلْغِيُو
نِ وَشَهْوَةَ لِلنَّفْسِ فِي الْقُرْآنِ
٥١٩٩ - لِلْعَيْنِ مِنْهَا لَذَّةٌ تَدْعُو إِلَى
شَهْوَاتِهَا بِالنَّفْسِ وَالْأَمْرَانِ
٥٢٠٠ - سَبَبُ التَّنَاوُلِ وَهُوَ يُوَجِبُ لَذَّةً
أُخْرَى سِوَى مَا نَأَلَتِ الْعَيْنَانِ

الشرح

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:
قال تعالى: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ﴾ [الزخرف: ٧١]، فالعين إذا نظرت
تلذذت بها، فإذا تلذذت اشتهدت النفس، فإذا اشتهدت النفس تناول الإنسان.
وهل نحمل كلام الرسول ﷺ حينما تحدث عن الآخرة على الحقيقة أم على المجاز؟
على الحقيقة ما في شك حقيقته، لكنه ليس كحقيقة ما في الدنيا بل أعظم بكثير، لا مثلاً إذا ذكر النار

والإحراق فهو علي الحقيقة لا شك .



* قوله رَحِمَهُ اللهُ:

فصل
في شرابهم

- ٥٢٠١ - يَشْقُونَ فِيهَا مِنْ رَجِيْقِ خَتْمُهُ
بِالْمِسْكِ أَوْلُهُ كَمَثَلِ الثَّانِي
- ٥٢٠٢ - مِنْ خَمْرَةٍ لَذَّتْ لِشَارِبِهَا بِلَا
غَوْلٍ وَلَا دَاءٍ وَلَا نُقْصَانٍ
- ٥٢٠٣ - وَالخَمْرُ فِي الدُّنْيَا فَهَذَا وَصْفُهَا
تَغْتَالُ عَقْلَ الشَّارِبِ السُّكْرَانِ
- ٥٢٠٤ - وَبِهَا مِنَ الْأَدْوَاءِ مَا هِيَ أَهْلُهُ
وَيَخَافُ مِنْ عَدَمِ لِذِي الْوَجْدَانِ
- ٥٢٠٥ - فَتَنَى لَنَا الرَّحْمَنُ أَجْمَعَهَا عَنِ الْـ
خَمْرِ التِّي فِي جَنَّةِ الْحَيَوَانِ
- ٥٢٠٦ - وَشَرَابُهُمْ مِنْ سَلْسِيلِ مَرْجُهُ الْـ
كَافُورُ ذَاكَ شَرَابُ ذِي الْإِحْسَانِ
- ٥٢٠٧ - هَذَا شَرَابُ أَوْلِيِ الْيَمِينِ وَلَكِنَّ الْـ
أَبْرَارُ مَشْرُوبُهُمْ شَرَابُ ثَانِ
- ٥٢٠٨ - يَدْعَى بِتَشْنِيمِ سَنَامِ شَرَابِهِمْ
شَرِبُ الْمُقَرَّبِ خَيْرَ خَيْرَةِ الرَّحْمَنِ
- ٥٢٠٩ - صَفَى الْمُقَرَّبُ سَعِيَهُ فَصَفَا لَهُ

ذَاكَ الشَّرَابِ فَتَلَّكَ تَضُّ فَيَتَانِ

٥٢١٠- لَكِنَّ أَصْحَابَ الْيَمِينِ فَأَهْلُ مَزْ

جِ بِالْمَبَّاحِ وَلَيْسَ بِالْعِضْيَانِ

٥٢١١- مُزِجَ الشَّرَابِ لَهُمْ كَمَا مَزَّجُوا هُمُ الْ

أَعْمَالَ ذَاكَ الْمَزْجِ بِالْمِيزَانِ

٥٢١٢- هَذَا وَذُو التَّخْلِيطِ مُرَجَّى أَمْرُهُ

وَالْحُكْمُ فِيهِ لِرَبِّهِ السَّيِّدَانِ

الشَّرْحُ

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

قوله: (مرجى) لأنه قال: ﴿وَأَخْرُوجُ مُرَجَّوْنَ لِأَمْرِ اللهِ﴾ [التوبة: ١٠٦]، نعم مرجى بالألف عندنا؛ لأنه من رجا يرجى، ولكن القاعدة: إنه مرجى بالألف؛ لأن أصلها مرجأ بالهمز لكن سهلت للوزن.

هَذَا وَذُو التَّخْلِيطِ مُرَجَّى أَمْرُهُ وَالْحُكْمُ فِيهِ لِرَبِّهِ السَّيِّدَانِ



* قوله رَحِمَهُ اللهُ:

فصل

في مصرف طعامهم
وشرابهم وهضمه

٥٢١٣- هَذَا وَتَضْرِيفِ الْمَأْكَلِ مِنْهُمْ

عَرَّقَ يَفِيضُ لَهُمْ مِنَ الْأَبْدَانِ

٥٢١٤- كَرَوَائِحِ الْمُسْكِ الَّذِي مَا فِيهِ خَلْدٌ

طَّ غَيْرُهُ مِنْ سَائِرِ الْأَلْوَانِ

٥٢١٥- فَتَعُوذُ هَاتِيكَ الْبُطُونُ ضَوَامِرًا

تَبْغِي الطَّعَامَ عَلَى مَدَى الْأَزْمَانِ

٥٢١٦- لَا غَائِطَ فِيهَا وَلَا بَوْلَ وَلَا

مَخْطَ وَلَا بَضُقَ مِنَ الْإِنْسَانِ

٥٢١٧- وَلَهُمْ جُشَاءٌ رِيحُهُ مِسْكٌ يَكُونُ

نُبِّهِ تَمَامُ الْهَضْمِ لِلْإِنْسَانِ

٥٢١٨- هَذَا وَهَذَا صَحَّ عَنْهُ فَوَاحِدٌ

فِي مُسْلِمٍ وَلَا أَحْمَدَ الْأَثَرَانِ

الشرح

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

هذا الفصل واضح المعنى، وهو أن أهل الجنة لا يبولون ولا يتغوطون ولا يتمخطون ولا يبصقون، وطعامهم إذا أكلوا وشربهم يكون عرقا يفيض من الأبدان، وكذلك لهم جشاء، والجشاء: هو الذي يسمى عندنا باللغة العامية: تغرة مثل رائحة المسك، بينما التغرة عندنا مستكرهة ويحصل فيها رائحة كريهة، لكنها لأهل الجنة تكون رائحتها رائحة المسك، ويكون بها تمام الهضم، وكلما أكلوا وشربوا وشبعوا فإنه يفيض عرقاً، وتبقى البطون ضوامر فيأكلون دائماً، وإنما جعل الله لهم ذلك من أجل أن يتلذذوا بالطعام والشراب؛ لأنهم إذا أكلوا وشربوا تلذذوا، وإلا فلو شاء الله عز وجل لجعلهم لا يحتاجون إلى أكل ولا شرب، ولكن من أجل أن يتم سرورهم وتتم نعمتهم صار يحصل لهم هذا.



* قوله رَحِمَهُ اللهُ:



٥٢١٩- وَهُمْ الْمُلُوكُ عَلَى الْأَسِرَّةِ فَوْقَ هَا

تِيكَ الرَّءُوسِ مُرْصَعُ التَّيْجَانِ

٥٢٢٠- وَلِبَاسُهُمْ مِنْ سُنْدُسٍ خُضِرٍ وَمِنْ

إِسْتَبْرَقٍ نَوْعَانِ مَعْرُوفَانِ

٥٢٢١- مَا ذَاكَ مِنْ دُودِ بَنَى مِنْ فَوْقِهِ

تِلْكَ الْبُيُوتَ وَعَادَ ذَا طَيْرَانَ

٥٢٢٢ - كَلَّا وَلَا تُسَجَّتْ عَلَى الْمُنْوَالِ نَسْ

سَجَّ ثِيَابِنَا بِالْقُطْنِ وَالْكَيْتَانِ

٥٢٢٣ - حُلِّلْ تَشْقُ ثِمَارَهَا عَنْهَا فِتْب

سَدُو كَالرِّيَاطِ بِأَحْسَنِ الْأَلْوَانِ

٥٢٢٤ - بِيضٌ وَخَضِرٌ ثُمَّ صُفْرٌ ثُمَّ حُمْ

رٌّ شُيْبَةٌ بِشِقَاقِ النَّعْمَانِ

٥٢٢٥ - لَا تَقْبَلِ الدَّنَسَ الْمُقَرَّبَ لِلْبَلَى

مَا لِلْبَلَى أَبَدًا بِهِنَّ يَدَانِ

٥٢٢٦ - وَنَصِيفٌ إِحْدَاهُنَّ وَهَوَ خِمَارُهَا

لَيْسَتْ لَهُ الدُّنْيَا مِنَ الْأَثْمَانِ

٥٢٢٧ - سَبْعُونَ مِنْ حُلْلِ عَلَيْهَا لَا تَعُو

قُ الطَّرْفَ عَنْ مُخِّ وَرَا السِّيْقَانِ

٥٢٢٨ - لَكِنْ تَرَاهُ مِنْ وَرَا ذَا كُلِّهِ

مِثْلَ الشَّرَابِ لِيَدِي زُجَاجِ أَوَانِ

الشَّحْ

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

هذا أيضًا لباس أهل الجنة كما قال الله عز وجل في القرآن الكريم: ﴿مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾ [الكهف: ٣١]. يقول المؤلف نوعان معروفان السندس والإستبرق، وهما من أعلى أنواع الحرير، وإن كنا لا نعرفهما تمامًا لكن لا شك أنهما من أفضل أنواع اللباس.

مَا ذَاكَ مِنْ دُودٍ بَنَى مِنْ فَوْقِهِ تِلْكَ الْبُيُوتَ وَعَادَ ذَا طَيْرَانَ

يشير إلى أن الحرير يكون من دود القز وهي دودة مثل الدودة التي تكون في التمر وغيرها، ويخرج منها هذا الحرير الذي ينطوي عليها وفي النهاية تموت.

كَلَّا وَلَا نُسِجَتْ عَلَى الْمِنَوَالِ نَسْجَ ثِيَابِنَا بِالْقَطْنِ وَالْكَتَانِ
لأن ثياب الحرير التي في الدنيا لا بد أن يكون فيها خلط من الكتان والقطن.
حُلِّلَ تَشْقُؤُ ثِمَارَهَا عَنْهَا فَبِـ دُوكَالِرِبَاطٍ بِأَحْسَنِ الْأَلْوَانِ
يعني: أن هذه الحلل تأتي من أشجار الجنة وقال:

بِضٍّ وَخُضْرٍ ثُمَّ صَفْرٌ ثُمَّ حُمْرٌ رَشِبَهَتْ بِشَقَائِقِ الثُّعْمَانِ

يعني: هل رأيت شقائق النعمان؟ وشقائق النعمان نوع من الزهور الطيب الذي يروق للعين رؤيتها.
ثم قال:

لَا تَقْبَلُ الدَّنَسُ الْمُقَرَّبَ لِلْبَلَى مَا لِلْبَلَى أَبَدًا بَهَنَّ يَدَانِ
ثيابنا هنا في الدنيا تتمزق مع طول الزمن وتتوسخ أيضًا؛ أما ثياب الجنة فإنها لا تقرب ذلك، ثم قال:
وَنَصِيفٌ إِحْدَاهُنَّ وَهَوَّ خِمَارُهَا لَيْسَتْ لَهُ الدُّنْيَا مِنَ الْأَثْمَانِ
يعني: أفضل من الدنيا كلها.

سَبْعُونَ مِنْ حُلْلِ عَلَيْهَا لَا تَعْوُ الْوَاحِدَةَ مِنَ الْحُورِ عَلَيْهَا سَبْعُونَ حَلَّةً، وهذه الحلل لا تمنع الطرف عن مخ وراء السيقان،
يعني: يرى مخ سيقانها من وراء ذلك، ولا تظنوا أن هذه الرؤية كرؤيتنا في الدنيا نحن، لو رأينا المخ في
السيقان ربما كرهنا ذلك ونمجه، لكنه في الآخرة على خلاف ذلك، فيراه الإنسان فيتلذذ لرؤية هذا
المخ في الساق؛ ولهذا قال:

لَكِنْ يَرَاهُ مِنْ وَرَاءِ دَاكُلِهِ مِثْلَ الشَّرَابِ لِذِي زُجَاجِ أَوَانِ

أي: لو وضعت شراباً في الزجاج رأيت الماء من ورائها، ولكنك تراه في أحسن مرئي.

مسألة: ما صحة ما يقال من أن في القرآن كلمات غير عربية مثل: سندس، وإستبرق؟

الجواب: في القرآن الكريم كلمات دخلت على العرب لكن لما نطقوا بها صارت عربية، وكل
العرب الذين من بني إسماعيل كلهم أخذوا عربيتهم من غيرهم؛ ولهذا يسمون العرب المستعربة،
فقول بعض الناس: إن القرآن فيه من العجمة نقول: لا هذا خطأ؛ لأنه لما استعمله العرب في خطابهم
صار عربياً.

مسألة: هل المقصود بالخمار في الآخرة هو الخمر المعهود في الدنيا؟

الجواب: نعم ما تغطي به الرأس.

«فائدة» أحوال الآخرة لا تقاس بأحوال الدنيا، فالإنسان في الجنة إذا تمنى ولداً حملت امرأته
وولدت بسرعة له ما يشتهي، ذلك إن صح ما ورد في ذلك، وإلا فإن نساء الجنة لا يلدن.





فصل

في فرشهم وما يتبعها



٥٢٢٩- وَالْفُرْشُ مِنْ إِسْتَبْرَقٍ قَدْ بَطِنَتْ

مَا ظَنُّكُمْ بِظَهَارَةِ لِبْطَانِ

٥٢٣٠- مَرْفُوعَةٌ فَوْقَ الْأَسِرَّةِ يَتَكِي

هُوَ وَالْحَيِيبُ بِخَلْوَةٍ وَأَمَانِ

٥٢٣١- يَتَحَدَّثَانِ عَلَى الْأَرَائِكِ مَا تَرَى

جَبِينِ فِي الْخَلَوَاتِ يَنْتَجِيانِ

٥٢٣٢- هَذَا وَكَمْ زُرْبِيَّةٍ وَنَمَارِقِ

وَوَسَائِدِ ضَفَّتْ بِأَلَا حُسْبَانِ

الشَّحْ

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

مسألة: ما معنى قول النبي عليه الصلاة والسلام عن الحسن والحسين بأنهما سيدا شباب أهل الجنة^(١)، مع أن أهل الجنة كلهم شباب؟
الجواب: هذا باعتبار أنهم شباب في الدنيا، فهما سيدا شباب أهل الجنة في الدنيا مع وجود شباب وشيوخ الصحابة وذلك في عهد الرسول ﷺ، فتلك السيادة هي في الدنيا، فهذان الرجلان سيدا الشباب لأهل الجنة الذين في الدنيا.





فصل

في حلى أهل الجنة

- ٥٢٢٣- وَالْحَلِي أَضْفَى لَوْلُوٍ وَزَبْرَجِدٍ
وَكَذَلِكَ أَسْوَرَةٌ مِنَ الْعِيقَانِ
- ٥٢٢٤- مَا ذَاكَ يَخْتَضُّ الْإِنَاثَ وَإِنَّمَا
هُوَ لِلْإِنَاثِ كَذَلِكَ لِلذُّكْرَانِ
- ٥٢٢٥- الثَّارِكِينَ لِبَاسِهِ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا
لَأَجْلِ لِبَاسِهِ بِجَنَانِ
- ٥٢٢٦- أَوْ مَا سَمِعْتَ بِأَنَّ جَلِيَّتَهُمْ إِلَى
حَيْثُ انْتَهَاءِ وَضُوئِهِمْ بِوِزَانِ
- ٥٢٢٧- وَكَذَا وَضُوءُ أَبِي هُرَيْرَةَ كَانَ قَدْ
فَازَتْ بِهِ الْعَضُدَانِ وَالسَّاقَانِ
- ٥٢٢٨- وَسِوَاهُ أَنْكَرَ دَا عَلَيْهِ قَائِلًا
مَا السَّاقُ مَوْضِعُ جَلِيَةِ الْإِنْسَانِ
- ٥٢٢٩- مَا ذَاكَ إِلَّا مَوْضِعُ الْكَعْبَيْنِ وَالرُّزْ
زَنَيْنِ لَا السَّاقَانِ وَالْعَضُدَانِ
- ٥٢٣٠- وَلِذَلِكَ أَهْلُ الْفِيقَةِ مُخْتَلِفُونَ فِي
هَذَا وَفِيهِ عِنْدَهُمْ قَوْلَانِ
- ٥٢٣١- وَالرَّاجِحُ الْأَقْوَى انْتِهَاءُ وَضُوئِنَا
لِلْمُزْفَقِينَ كَذَلِكَ الْكَعْبَانِ

٥٢٣٢ - هَذَا الَّذِي قَدْ حَدَّهُ الرَّحْمَنُ فِي الْ

قُرْآنِ لَا تَعْدِلُ عَنِ الْقُرْآنِ

٥٢٣٣ - وَاحْفَظْ حُدُودَ الرَّبِّ لَا تَتَعَدَّهَا

وَكَذَلِكَ لَا تَجْنَحْ إِلَى التُّفْصَانِ

٥٢٣٤ - وَأَنْظُرْ إِلَى فِعْلِ الرَّسُولِ تَجِدْهُ قَدْ

أَبْدَى الْمُرَادَ وَجَاءَ بِالتَّيْيَانِ

٥٢٣٥ - وَمَنْ اسْتَطَاعَ يَطِيلُ غُرَّتَهُ فَمَوْ

قُوفٌ عَلَى الرَّاوي هُوَ الْفَوْقَانِي

٥٢٣٦ - فَأَبُو هُرَيْرَةَ قَالَ ذَا مِنْ كَيْسِهِ

فَعَدَا يَمِيْزُهُ أَوْلُو الْعِرْفَانِ

٥٢٣٧ - وَنُعَيْمُ الرَّاوي لَهُ قَدْ شَكَّ فِي

رَفْعِ الْحَدِيثِ كَذَا رَوَى الشُّبَيْبَانِي

٥٢٣٨ - وَإِطَالَةُ الْغُرَاتِ لَيْسَ بِمُمْكِنِ

أَبْدًا وَذَا فِي غَايَةِ التَّيْيَانِ

الشَّرْحُ

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

قوله: (فصل في حلى أهل الجنة) يقول فيه:

وَالْحَلْيُ أَضْفَى لَوْلُؤٍ وَرَبْرَجِدٍ وَكَذَلِكَ أُسُورَةٌ مِنَ الْعُقْيَانِ

وأسورة أهل الجنة ذكر الله أنها ثلاث أصناف: من فضة، ولؤلؤ، وذهب وإذا تخيلت هذه الأصناف على الذراع وجدت لها منظرًا عجيبًا؛ فهي لؤلؤ صافٍ وذهب خالص وفضة خالصة يكون لها منظر لا يمكن أن يبلغ تصورك مدى هذا المنظر، ويقول ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: هذا لا يختص بالإناث بل يشمل الإناث والرجال، حتى الرجال يتحلون بالذهب وبالفضة وباللؤلؤ؛ لأنهم تركوا هذا في الدنيا فألبسهم الله إياه في الآخرة.

أَوْ مَا سَمِعْتُ بِأَنَّ حَلِيَّتَهُمْ إِلَى حَيْثُ انْتَهَاءِ وَضُوءِهِمْ بِوِزَانِ

والوضوء ينتهى إلى المرفق في اليد، وإلى الكعب في الرَّجُل، وقد قال النبي ﷺ: «تَبْلُغُ الحِلْيَةَ مِنَ الْمُؤْمِنِ حَيْثُ يَبْلُغُ الوُضُوءُ»^(١). قال:

وَكَذَا وُضُوءُ أَبِي هُرَيْرَةَ كَانَ قَدْ فَارَتْ بِهِ العَضُدَانِ وَالسَّاقَانِ
العضدان في اليد، والساقان في الرجل، وكان أبو هريرة إذا توضأ يبالغ حتى يصل إلى قرب
المنكب، وكذلك في الساق يبالغ حتى يصل إلى قرب الركبة، ولكن يقول ابن القيم:
وَسِوَاهُ أَنْكَرَ ذَا عَلَيْهِ قَائِلًا مَا السَّاقُ مَوْضِعُ حَلِيَّةِ الإِنْسَانِ
يقول الرسول ﷺ: «تَبْلُغُ الحِلْيَةَ مِنَ الْمُؤْمِنِ». والساق لا يحلى، فالحلية تكون في الرجل في أسفل ولا
تكون في الساق.

مَا ذَاكَ إِلا مَوْضِعُ الكُعْبَيْنِ وَالرُّزُ زُنْدَيْنِ لآ السَّاقَانِ وَالْعَضُدَانِ
يقول: إن الحلية تكون إلى الكعب، وتكون أيضًا للزندان فقط، ما هما الزندان؟ هما العظمان لأن
الذراع هذا فيه عظام، فلكل إنسان أربعة أزنداد في كل يد اثنتان العضد ما فوق المرفق والساق أيضًا
فوق الكعب ثم قال ﷺ:

وَلِذَلِكَ أَهْلُ الفِئَةِ مُحْتَلِفُونَ فِي هَذَا وَفِيهِ عِنْدَهُمْ قَوْلَانِ
القولان عند أهل الفقه: هل يسن مجاوزة محل الفرض أو لا يسن؟ يعني: هل ينبغي للإنسان إذا
توضأ أن يغسل العضد كما يغسل الذراع؟ وهل يغسل الساق كما يغسل القدم من الرجل؟ فيه
خلاف، والمشهور عندنا في مذهب الحنابلة: أنه تسن الزيادة على محل الفرض، لكن ابن القيم يقول:
وَالرَّاجِحُ الأَقْوَى انْتِهَاءُ وُضُوءِنَا لِلْمُزَفَّقَيْنِ كَذَلِكَ الكُعْبَانِ
الراجح في النظر والأقوى في الدليل، فالراجح نظرًا ودليلاً أنه إلى الكعب في الرَّجُل، وإلى المرفق
في اليد.

هَذَا الَّذِي قَدْ حَدَّهُ الرَّحْمَنُ فِي الـ هُزْرَانِ لَا تُعْدِلُ عَنِ الْقُرْآنِ
لأن الله تعالى قال: ﴿وَأَيِّدِيكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾ [المائدة: ٦]، وقال: ﴿وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾
[المائدة: ٦]. فالله حدد فلا تعدل عن القرآن.

وَاحْفَظْ حُدُودَ الرَّبِّ لَا تَتَعَدَّهَا وَكَذَاكَ لَا تَجْنَحْ إِلَى التَّقْصَانِ
و الناس في الحدود ينقسمون إلى قسمين: قسم يتعدى الحدود، وقسم يقصر عنها، فأنت لا تعد
ولا تقصر.

وَأَنْظُرْ إِلَى فِعْلِ الرَّسُولِ تَجِدُهُ قَدْ أَبَدَى المُرَادَ وَجَاءَ بِالتَّيْيَانِ

صلوات الله وسلامه عليه، فإن النبي ﷺ في جميع الأحاديث التي وصفت وضوءه لم يذكر أنه كان يغسل العضد أو يغسل الساق، وغاية ما هنالك ما أخرجه مسلم^(١) من حديث أبي هريرة أنه غسل حتى أشرع في العضد وحتى أشرع في الساق، وقال: هكذا رأيت النبي ﷺ يفعل. وذلك لأنه لا يمكن أن يتحقق بلوغ الماء إلى الكعيبين إلا إذا شرع في الساق، وكذلك بالنسبة للعضد أما أن يبلغ حتى يرتفع، قال:

وَمِنْ اسْتِطَاعَ يَطِيلُ غُرَّتُهُ فَمَوْ قُوفَ عَلَى الرَّاويِ هُوَ الْفُوقَانِي
يشير إلى قوله ﷺ في الحديث: «فَمَنْ اسْتِطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يُطِيلَ غُرَّتَهُ وَتَحْجِلَهُ فَلْيَفْعَلْ»^(٢).

يقول: هذا موقوف على الراوي الفوقاني. ومن الراوي الفوقاني؟ هو أبو هريرة؛ لأنه هو منتهى السند. فَأَبُو هُرَيْرَةَ قَالَ ذَا مِنْ كَيْسِهِ فَعَدَا يَمِيرُهُ أَوْلُو الْعِرْفَانِ
يعني: جاء به من عنده بقوله: (فمن استطاع منكم أن يطيل). وإلا فإن النبي ﷺ لم يقله.

وَتُعَيْمُ الرَّاويِ لَهُ قَدْ شَكَّ فِي رَفَعَ الْحَدِيثِ كَذَا رَوَى الشَّيْبَانِي
نعيم المجرم الذي روى الحديث عن أبي هريرة يقول: قد شك في رفعه، وقوله: كذا روى الشيباني. الشيباني يعني به: الإمام أحمد بن حنبل. أي أن رواية الإمام أحمد شك نعيم فيها هل هذا من قول الرسول ﷺ أو من قول أبي هريرة؟ ثم قال:

وَإِطَالَةُ الْغُرَّتِ لَيْسَ بِمُمْكِنٍ أَبَدًا وَذَا فِي غَايَةِ التَّبْيَانِ

إطالة الغرات لا يمكن فالغرة هي الوجه، وهل يمكن للإنسان أن يطيل وجهه؟ لا يمكن فالمنتهى: إذا وصل الغسل إلى الأذن لم تكن الأذن من الوجه؛ أو صعد به إلى فوق الناصية لم تكن الناصية من الوجه إذا إطالة الغرات التي ذكرت في الحديث: «فَمَنْ اسْتِطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يُطِيلَ غُرَّتَهُ». غير ممكن يعني: لو أمكن إطالة التحجيل لم يمكن إطالة الغرات، والنبي عليه الصلاة والسلام لا يمكن أن يتكلم بكلام غير ممكن، فكلام النبي ﷺ لا يمكن إلا أن يكون واقعاً موافقاً للحقيقة.

والخلاصة الآن: أن أهل اللجنة يحلون من أساور من ذهب ولؤلؤ ومن فضة وأن الحلية تبلغ إلى حيث يبلغ الوضوء؛ ففي اليدين إلى المرفقين وفي الرجلين إلى الكعيبين - نسأل الله أن يجعلنا وإياكم من هؤلاء.

هَذَا وَلَيْسَ الْقَاصِرَاتُ كَمَنْ عَدَتْ مَقْصُورَةٌ فَهَمَّا إِذَا صَنَّفَانِ

قوله: (كمن عدت مقصورة) يشير إلى إلى الجنتين الآخرين قال تعالى: ﴿حُرِّمَتْ مَقْصُورَاتُ فِي الْخِيَارِ﴾ [الرحمن: ٧٢]، وفي الجنتين الأوليين قال: ﴿فِيهِنَّ قَصِرَاتُ الظَّرْفِ﴾ [الرحمن: ٥٦] فليس القاصرات المقصورات وهذا صريح، فهما إذا صنفان: صنف مقصور وصنف قاصر.

(١) رواه مسلم (٢٤٦).

(٢) رواه البخاري (١٣٦)، ومسلم (٢٤٦).

يَا مُطَلِّقَ الطَّرْفِ الْمُعَدَّبِ فِي الْأَلَى جُرِّدَنَّ عَنْ حُسْنٍ وَعَنْ إِحْسَانٍ

قوله: (في الألى) يعني: اللاتى، والمراد نساء الدنيا.

قوله: (في الألى) جردن عن حسن وعن إحسان) قوله: (عن حسن) يعني: باعتبار نساء الجنة؛ لأن حسن نساء أهل الدنيا مهما كان لا ينسب إطلاقاً إلى حسن نساء أهل الجنة، وكذلك الإحسان في النساء قليل ولو أحسنت يوماً أساءت دهرًا، هذا الغالب عليهن؛ ولهذا أمر النبي عليه الصلاة والسلام بأن نصبر على النساء وقال: «إِنَّهُنَّ خُلِقْنَ مِنْ ضَلَعِ أَعْوَجٍ وَأَعْوَجُ شَيْءٌ فِي الضَّلَعِ أَعْلَاهُ إِنْ ذَهَبَتْ تَقِيْمُهُ كَسَرَتْهُ وَإِنْ اسْتَمْتَعْتَ بِهَا اسْتَمْتَعْتَ بِهَا عَلَى عَوْجٍ»^(١).



* قوله رَحِمَهُ اللهُ:

٥٢٦٧- لَا تَسِيْبِيَنَّكَ ضُورَةٌ مِنْ تَحْتِهَا الدُّ

دَاءُ السُّدُوي تَبُوءُ بِالْحُسْنِ رَانَ

٥٢٦٨- قَبِيحَتْ خَلَاتِقُهَا وَقُبِيحَ فِعْلُهَا

شَيْطَانَةٌ فِي ضُورَةِ الْإِنْسَانِ

٥٢٦٩- تَنْقَادُ لِلْأَنْذَالِ وَالْأَرْذَالِ هُمْ

أَكْفَاؤُهَا مِنْ دُونِ ذِي الْإِحْسَانِ

٥٢٧٠- مَا نَمُّ مِنْ دِينٍ وَلَا عَقْلٍ وَلَا

خُلُقِي وَلَا خَوْفٍ مِنَ الرَّحْمَنِ

٥٢٧١- وَجَمَالَهَا زُورٌ وَمَضْنُوعٌ فَإِنْ

تَرَكْتَهُ لَمْ تَطْمَخْ لَهَا الْعَيْنَانِ

٥٢٧٢- طَبِعْتُ عَلَى تَرْكِ الْحِفَاظِ فَمَا لَهَا

بُوفَاءٌ حَقَّ الْبَعْلِ قَطَّ يَدَانِ

٥٢٧٣- إِنْ قَصَرَ السَّاعِي عَلَيْهَا سَاعَةٌ

قَالَتْ: وَهَلْ أَوْلَيْتَ مِنْ إِحْسَانِ؟

(١) رواه البخاري (١٢١٢)، ومسلم (١٤٦٨).

٥٢٧٤- أَوْ رَامَ تَقْوِيمًا لَهَا اسْتَعَصَتْ وَلَمْ

تَقْبَلُ سِوَى التَّغْوِيحِ وَالتَّقْصَانِ

٥٢٧٥- أَفْكَارُهَا فِي الْمَكْرِ وَالْكِيدِ الَّذِي

قَدْ حَارَ فِيهِ فِكْرَةُ الْإِنْسَانِ

٥٢٧٦- فَجَمَالَهَا قَشْرُ رَقِيقٍ تَحْتَهُ

مَا شِئْتَ مِنْ عَيْبٍ وَمِنْ نَقْصَانِ

٥٢٧٧- نَقْدُ رَدِيءٍ فَوْقَهُ مِنْ فِضَّةٍ

شَيْءٌ يَظُنُّ بِهِ مِنَ الْأَثْمَانِ

٥٢٧٨- فَالْتَّاقِدُونَ يَرُونَ مَاذَا تَحْتَهُ

وَالنَّاسُ أَكْثَرُهُمْ مِنَ الْعُمِيَانِ

٥٢٧٩- أَمَا جَمِيلَاتُ الْوُجُوهِ فَحَائِنَا

تُ بُوْلِهِنَّ وَهُنَّ لِلْأَخْوَإِنِ

الشَّرْحُ

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

هذا الذي ذكره ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ في وصف النساء لعله يريد بهذا النساء الباغيات، أي: اللاتي يُحْنُّ أزواجهن بالزنى واتخاذ الأخدان وما أشبه ذلك، ولا يريد بهذا جميع النساء؛ لأن الله تعالى قال في كتابه: ﴿فَالصَّادِقَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللهُ﴾ [النساء: ٣٤] وكم من امرأة ليست على ما وصف ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ في هذا، لكنه يريد بذلك الباغيا اللاتي يحدعن بجهلهن الذي هو زيف تجميل وليس جمالاً في الحقيقة فهو قشر رقيق تحته البلاء، والناقد معناها: البصير بالشيء الذي يدري ماذا تحته والناس أكثرهم من العميان.



* قوله رَحِمَهُ اللهُ:

٥٢٨٠- وَالْحَافِظَاتُ الْغَيْبِ مِنْهُنَّ الَّتِي

قَدْ أَضْبَحَتْ فَرْدًا مِنَ النَّسْوَانِ

٥٢٨١- فَانْظُرْ مَصْرَاعَ مَنْ يَلِيكَ وَمَنْ خَلَا

- مِنْ قَبْلُ مِنْ شَيْبٍ وَمِنْ شُبَّانِ
 ٥٢٨٢- وَارْغَبْ بِعَقْلِكَ أَنْ تَبِيعَ الْعَالِيِ الْـ
 بَاقِيِ بِذَا الْأَذْنَى الَّذِي هُوَ فَانِ
 ٥٢٨٣- إِنْ كَانَ قَدْ أَغْيَاكَ خُودٌ مِثْلُ مَا
 تَبِغِي وَلَمْ تَنْظُرِي إِلَى ذَا الْآنِ
 ٥٢٨٤- فَاخْطُبِ مِنَ الرَّحْمَنِ خُودًا ثُمَّ قَدْ
 دِمَّ مَهْرَهَا مَا دُمْتَ ذَا إِمْكَانِ
 ٥٢٨٥- ذَاكَ النِّكَاحِ عَلَيْكَ أَيْسُرُ إِنْ يَكُنْ
 لَكَ نِسْبَةٌ لِلْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ
 ٥٢٨٦- وَاللَّهُ لَمْ تَخْرُجْ إِلَى الدُّنْيَا لِلذِّ
 ذَةِ عَيْشِهَا أَوْ لِلْحُطَامِ الْقَانِيِ
 ٥٢٨٧- لَكِنْ خَرَجْتَ لِكَيْ تُعَدَّ الزَّادَ لِلذِّ
 أُخْرَى فَجِئْتَ بِأَقْبَحِ الْخُسْرَانِ
 ٥٢٨٨- أَهْمَلْتَ جَمَعَ الزَّادِ حَتَّى فَاتَ بَلْ
 فَاتَ الَّذِي أَلْهَاكَ عَنْ ذَا الشَّانِ
 ٥٢٨٩- وَاللَّهُ لَوْ أَنَّ الْقُلُوبَ سَلِيمَةً
 لَتَقَطَّعْتَ أَشْفَا مِنْ الْجِزْمَانِ
 ٥٢٩٠- لَكِنَّهَا سَكْرَى بِحُبِّ حَيَاتِهَا الذِّ
 ذُنْيَا وَسَوْفَ تُفِيقُ بَعْدَ زَمَانِ

الشَّرْحُ

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

يقول: إذا أغيأك في هذه الدنيا خود يعني: امرأة مستورة طيبة الخلق والخلق (فاخطب إلى الرحمن) يعني: قدم المهر إلى الله عز وجل لخطبة الحور العين وذلك بالإيمان والعمل الصالح، والعمل الصالح مهر أيسر من مهور نساء الدنيا، وهو أيضًا يطيب به القلب وينشرح به الصدر وتنشط به النفس، فلا حياة ألد من حياة أهل الإيمان والصلاح أبدًا، حتى قال بعض السلف: لو يعلم الملوك وأبناء الملوك ما

نحن فيه لجالدونا عليه بالسيف . والملوك وأبناء الملوك سرورهم ورفاهيتهم سرور جسد لاسرور قلب، ورفاهية جسد لا رفاهية نفس، وإن كانوا منعمين ويخُدُّون وتقدم لهم أطيب الفواكه والأطعمة والفرش والأسيرة، لكن نفوسهم ليست مسرورة فنفسهم في حبس وفي ضيق، لكن قال الله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: ٩٧]، حياة طيبة لم يقل لنوسعن عليه في الرزق والقصور والمراتب، بل نحييه حياة طيبة، فتجد قلبه منشراحًا منشراحًا مسرورًا دائمًا لا ينغلق، حتى إنه إذا انغلق فتح الله له باب الاستغفار، كما قال النبي عليه الصلاة والسلام: «إنه ليرآن على قلبي وإني لأستغفر الله سبعين مرة»^(١). فتجده دائمًا منشراحًا؛ لأنه يقول بلسان الحال: إن فاتتني الدنيا أدركت الآخرة وإن لم تفتني جمعت بين الدنيا والآخرة، فهو يترقب دارًا أكمل من داره التي هو فيها، أكمل بكثير لأنه يؤمن بها فيترقبها ويسعى للوصول إليها، ومع ذلك يجعل الله في قلبه من السرور، فالبهجة وطيب العيش ما لا يحصل لغيره، يقول ابن القيم:

وَاللّٰهُ لَمْ تَخْرُجْ إِلَى الدُّنْيَا لِلذِّدَّةِ عَيْشِهَا أَوْ لِلْحُطَامِ الْفَانِي

هذا صحيح، فما خرجنا لنعيش في الدنيا كالبهائم نأكل ونشرب وننام فقط، ولكن خرجنا لكي نعدّ الزاد للآخرة، كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] وقال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ (١١٥) ﴿تَتَعَلَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ﴾ [المؤمنون: ١١٥]، [١١٦] تعالى وتعظم أن يخلقنا عبثًا لا نرجع إليه كما قال: ﴿يَتَأْتِيَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾ [الانشقاق: ٦] سوف نقف بين يدي الله عز وجل ملاقة ومحاسبتنا ثم نؤتى الكتب بالآيات أو بالشاغل - نسأل الله أن يجعل كتابنا باليمين - يقول:

لَكِنْ خَرَجْتَ لِكَيْ تُعِدَّ الزَّادَ لِلْأُخْرَىٰ فَجِئْتَ بِأَفْبَحِ الْخُسْرَانِ

أهملت جمع الزاد حتى فات بل فات الذي أهلك عن ذا الشأن

إذا فاته زادان، زاد الآخرة، والزاد الذي ألهاه عن زاد الآخرة، ما الذي ألهاه عن هذا الزاد؟ الدنيا ومتعها فاتت؛ الدنيا الآن لا يمضي منها دقيقة فترجع، فكلها تفوت دقائق ولحظات وإذا أنت على شفا البئر وانتهيت، لكن نعيم الآخرة يزاد ويبقى ولا يفنى أبدًا قال تعالى: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا مَا مَدَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرٌ مَّجْدُودٍ﴾ [هود: ١٠٨]، لا ينقطع أبدًا، فكيف نؤثر الفاني على الباقي؟ والله إنه جهل منا يا إخوان، جهل وغفلة وتغافل، كيف نفضل الدنيا على الآخرة مع أننا نحس بها نراها تذهب ولا ترجع تفوت؟ فإذا لم نستدرك أعمارنا بالأعمال الصالحة فاتتنا الدنيا والآخرة قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ أَلَا ذٰلِكَ هُوَ الْخُسْرٰنُ الْمُبِينُ﴾ [الزمر: ١٥]، فلهذا قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ وغفر له وجزاه عنا خيرًا قال: (فات الذي أهلك عن ذي الشأن)، وما الذي

ألهاء عن هذا الشأن؟ إنها الدنيا.

وَاللَّهُ لَوَ أَنَّ الْقُلُوبَ سَلِيمَةً لَتَقَطَّعْتَ أَسْفًا مِنَ الْحِزْمَانِ

أقسم - وصدق والله - لو أن قلوبنا سليمة لتقطعت أسفاً من الحرمان، فما أكثر الساعات التي تمر بنا ونحن نحرم منها لا نستفيد منها تذهب سهلة والعمر والزمن أعلى من الذهب وأعلى من الفضة، فالذهب والفضة لو ذهبت يأتي بدلها شيء، لكن العمر والزمن لا يأتي بدله شيء، إذا ذهب ذهب ما فيه قال تعالى: ﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المنافقون: ١١]، قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿١١﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ٩٩، ١٠٠]، قال تعالى: ﴿لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصْدَقَ وَأَكْنَ مِنَّ الصَّالِحِينَ﴾ [المنافقون: ١٠]، أنت الآن في مهلة فاغتنم الوقت، واجعل لنفسك حزباً من كتاب الله عز وجل، واجعل لنفسك وقتاً للعمل الصالح، قم في آخر الليل ولو نصف ساعة قبل الفجر ناج ربك وادعه فإنه تعالى ينزل إلى السماء الدنيا يقول: «مَنْ يَدْعُونِي فَاسْتَجِبْ لَهُ، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأَعْطِيهِ، مَنْ يَسْتَعْفِرُنِي فَأَغْفِرْ لَهُ»^(١). من الذي لا يقدر أن يقوم قبل الفجر بنصف ساعة؟! أمر بسيط جداً، نحن نسأل الله أن يرحمنا برحمته، لا نقوم ثلث الليل ونصف الليل، لكن أفلا يمكن أن نقوم نصف ساعة فقط نذكر الله فيها؟! فتوضأ ونصلي ما شاء الله ونوتر، هذا أمر أظنه بسيطاً جداً؛ كذلك أيضاً نجعل حياتنا كلها ذكراً لله، فإن المؤمن الكيس هو الذي يجعل حياته كلها ذكراً لله؛ لأن في كل شيء أمامنا آية من آيات الله فإذا ذكرنا هذا الشيء الذي أمامنا من آيات الله ذكرنا بذلك الله عز وجل، ذكرنا الله فيكون الإنسان دائماً يذكر الله عز وجل بما يشاهد من آيات الكونية بل بما يشاهد من نفسه وتقلباتها.

فقلوبنا على وتيرة واحدة دائماً فهي في غفلة أحياناً وفي إنابة أحياناً في تذكرو أحياناً في حياة بينة، أحياناً يحيا قلبك حياة تتمتع بها مدة من الزمن تتذكرها ربنا تتذكر حالة وقفت فيها بين يدي الله عز وجل مصلياً ساجداً ولو من قبل ثلاثين سنة أو أكثر حسب عمر الإنسان؛ لأنها أثرت في قلبه، فمثل هذه الأشياء ينبغي أن نستغلها، وألا نغفل فالغفلة موت وهي قسوة للقلب وموت للقلب، يقول:

وَاللَّهُ لَوَ أَنَّ الْقُلُوبَ سَلِيمَةً لَتَقَطَّعْتَ أَسْفًا مِنَ الْحِزْمَانِ

حزناً تقطع من حرمانها .

لَكِنَّهَا سَكْرَى بِحُبِّ حَيَاتِهَا الدُّنْيَا وَسَوْفَ تَفِيقُ بَعْدَ زَمَانٍ

صدق، فالقلوب سكرى بل بحب حياتها الدنيا تسعى للدنيا أولاً وأخراً ينام الإنسان وهو يفكر في الدنيا ويستيقظ وهو يفكر في الدنيا، ومتى تفيق؟ قال: وسوف تفيق بعد زمان.

فمتى هذا؟ عند الموت يفيق الإنسان، ويقول: ليتني فعلت ليتنى فعلت وأشد من ذلك إفاقة إذا

كان يوم القيامة، قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعْزُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ بَلَيْتَنِي أَخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾
 يَوْمَئِذٍ لَيْتَنِي لَمْ أَخَذْ فَلَانَا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ ﴿
 [الفرقان: ٢٧: ٢٩]، أو يقولها القائل نفسه الذي عض عليه يقول ﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ
 حَذُولًا﴾ [الفرقان: ٢٩] وهناك لا يرفع الندم عند الموت، أسأل الله تعالى بأسمائه وصفاته أن يجعلني
 وإياكم ممن يعتمم الأوقات بالأعمال الصالحة، وأن يثبتنا عند الممات وبعد الممات، وفي يوم يجعل
 الولدان شيبًا إنه جواد كريم.



* قوله رَحِمَهُ اللهُ:



- ٥٢٩١- فَاسْمَعِ صِفَاتِ عَرَائِسِ الْجَنَّاتِ ثُمَّ
 مَ اخْتَرِ لِنَفْسِكَ يَا أَخَا الْعِرْفَانَ
 ٥٢٩٢- حُورٌ حِسَانٌ قَدْ كَمُلْنَ خَلَائِقًا
 وَمَحَاسِنًا مِنْ أَكْمَلِ النَّسْوَانِ
 ٥٢٩٣- حَتَّى يَحَارَ الطَّرْفُ فِي الْحُسْنِ الَّذِي
 قَدْ أُلْبَسَتْ فَالطَّرْفُ كَالْحَيْرَانِ
 ٥٢٩٤- وَيَقُولُ لَمَّا أَنْ يُشَاهِدَ حُسْنَهَا
 سُبْحَانَ مُعْطِي الْحُسْنِ وَالْإِحْسَانِ
 ٥٢٩٥- وَالطَّرْفُ يَشْرَبُ مِنْ كُثُوسِ جَمَالِهَا
 فَتَرَاهُ مِثْلَ الشَّارِبِ النَّسْوَانِ
 ٥٢٩٦- كَمَلْتُ خَلَائِقَهَا وَأُكْمَلُ حُسْنَهَا
 كَالْبَدْرِ لَيْلِ اللَّيْلِ بَعْدَ ثَمَانِ
 ٥٢٩٧- وَالشَّمْسُ تَجْرِي فِي مَحَاسِنِ وَجْهِهَا
 وَاللَّيْلُ تَحْتَ ذَوَائِبِ الْأَغْصَانِ

- ٥٢٩٨- فتراه يعجب وهو موضع ذاك من
 ليل وشمس كيف يجتمعان
 ٥٢٩٩- ويقول سبحان الذي ذا صنعه
 سبحان من صنعة الإنسان
 ٥٣٠٠- لا الليل يدرك شمسها فتغيب عن
 مد مجيئه حتى الصبح الثاني
 ٥٣٠١- والشمس لا تأتي بطرد الليل بل
 يتصاحبان كلاهما أخوان^(١)
 ٥٣٠٢- وكلاهما مزاة صاحبه إذا
 ما شاء يبصر وجهه يريان
 ٥٣٠٣- فيرى محاسن وجهه في وجهها
 وترى محاسنها به بعيان
 ٥٣٠٤- حمر الخدود تغورهن لآلئ
 سود العيون فواتر الأقفان
 ٥٣٠٥- والبزق يبدو حين يبسم نغزها
 فيضيء سقف القصر بالجدران
 ٥٣٠٦- ولقد زوينا أن بزقا لامعا
 يبدو فيسأل عنه من بجان؟
 ٥٣٠٧- فيقال هذا ضوء نغري صاحك
 في الجنة العليا كما تريان
 ٥٣٠٨- لله لآثم ذلك الثغر الذي

(١) [٥٣٠١: ٥٣٠٠] قال العلامة محمد خليل هراس:

روى أبو سعيد الخدري عن النبي ﷺ في تفسير قوله تعالى ﴿ كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ﴾ [الرحمن: ٥٨] قال: ينظر إلى وجهه في خدها أصفى من المرأة، وإن أدنى لؤلؤة عليها لتضيء ما بين المشرق والمغرب، وأنه ليكون عليها سبعون ثوباً ينفذها بصره حتى يرى مخ ساقها من وراء ذلك.

- فِي لُئِمِهِ إِذْرَاكَ كُلِّ أَمَانِي
 ٥٣٠٩- رِيَانَةُ الْأَعْطَافِ مِنْ مَاءِ الشَّبَابِ
 بِفِعْضَتُهَا بِالْمَاءِ ذُو جَرِيَانِ
 ٥٣١٠- لَمَّا جَرَى مَاءُ النَّعِيمِ بَعْضُهَا
 حَمَلُ التَّمَارِ كَثِيرَةَ الْأَلْوَانِ
 ٥٣١١- فَالْوَرْدُ وَالثَّقَاحُ وَالرُّمَّانُ فِي
 غُضْنِ تَعَالَى غَارِسِ الْبُسْتَانِ^(١)
 ٥٣١٢- وَالْقَدُّ مِنْهَا كَالْقَضِيبِ اللَّذِنِ فِي
 حُسْنِ الْقَوَامِ كَأَوْسَطِ الْفُضْبَانِ
 ٥٣١٣- فِي مَغْرَسِ كَالْعَاجِ تَحَسَّبُ أَنَّهُ
 عَالِي الثَّقَا أَوْ وَاحِدُ الْكُتْبَانِ
 ٥٣١٤- لَا الظُّهْرُ يَلْحَقُهُ وَلَيْسَ تُدِيهَا
 بِلَوْاحِقِ لِلْبَطْنِ أَوْ بِدَوَانِ
 ٥٣١٥- لَكِنَّهُنَّ كَوَاعِبٌ وَنَوَاهِدُ
 فَتُهُ وَوَدُهْنٌ كَأَلْطَفِ الرُّمَّانِ
 ٥٣١٦- وَالْجَيْدُ ذُو طُولٍ وَحُسْنِ فِي بِيَا
 ضِ وَاعْتِدَالِ لَيْسَ ذَا نُكْرَانِ
 ٥٣١٧- يَشْكُو الْحَلِي بِعَادَهُ فَلَهُ مَدَى الْ
 أَيَّامِ وَسَوَاسِ مِنْ الْهَجْرَانِ
 ٥٣١٨- وَالْمِغْضَمَانِ فَإِنْ تَشَأْ شَبَّهْتَهُمَا
 بِسَبِيكَيْنِ عَلَيْهِمَا كَفَّانِ

(١) [٥٣٠٩ : ٥٣١١] قال العلامة محمد خليل هراس:

وهي أيضًا طرية الجسم بضته، تكاد تنفجر شبابًا وصحة وامتلاء، يجري ماء الشباب في جسمها المشوق فيزيده لينا وطراوة وحسنًا، فهي يضاء باكرها النعيم وجرى ماؤه في غصنها الناعم الرخيم، فحمل من كل الثمار ففيه ما شئت من ورد على الحدود وتفتح على الجبين ورمان في الصدور؛ فتعالى الله غارس ذلك البستان الذي أودعه من كل ما تشتهي النفس وتلذه العينان.

- ٥٣١٩- كَالزُّنْدِ لَيْنًا فِي نُعُومَةٍ مَلَمَسٍ
أَضْدَافُ دُرٍّ دُورَتْ بِـوِزَانِ
- ٥٣٢٠- وَالصَّدرُ مُتَسِّعٌ عَلَى بَطْنِ لَهَا
حُقَّتْ بِهِ خَضِرَانِ ذَاتُ ثَمَانِ
- ٥٣٢١- وَعَلَيْهِ أَحْسَنُ سُرَّةٍ هِيَ مَجْمَعُ الْ
خَضِرِينَ قَدْ غَارَتْ مِنَ الْأَعْكَانِ
- ٥٣٢٢- حُقُّ مِنَ الْعَاجِ اسْتِنْدَارٌ وَحَوْلُهُ
حَبَّاتُ مِسْكِ جَلٌّ ذُو الْإِثْقَانِ
- ٥٣٢٣- وَإِذَا انْحَدَرَتْ رَأَيْتَ أَمْرًا هَائِلًا
مَا لِلصِّفَاتِ عَلَيْهِ مِنْ سُلْطَانِ
- ٥٣٢٤- لَا الْحَيْضُ يَغْشَاهُ وَلَا بَوْلٌ وَلَا
شَيْءٌ مِنَ الْأَفْئَاتِ فِي التَّسْوَانِ
- ٥٣٢٥- فَخِذَانِ قَدْ حَفَّابَهُ حَزَّالَهُ
فَجَنَابُهُ فِي عِزَّةٍ وَصِيَانِ
- ٥٣٢٦- قَامَا بِخِدْمَتِهِ هُوَ السُّلْطَانُ بَيْنَ
نَهْمَا وَحَقُّ طَاعَةِ السُّلْطَانِ
- ٥٣٢٧- وَهُوَ الْمُطَاعُ أَمِيرُهُ لَا يَتَّهَى
عَنْهُ وَلَا هُوَ عِنْدَهُ بِجَبَانِ
- ٥٣٢٨- وَجَمَاعَتُهَا فَهُوَ الشِّفَاءُ لِصَبِّهَا
فَالصَّبُّ مِنْهُ لَيْسَ بِالضُّجْرَانِ
- ٥٣٢٩- وَإِذَا يَجَامِعُهَا تَعُودُ كَمَا انْتَشَتْ
بِكُرًّا بَغِيْرِ دَمٍ وَلَا نَقْصَانِ
- ٥٣٣٠- فَهُوَ الشَّهِيءُ وَعُضُوهُ لَا يَنْثَنِي

جاء الحديث بذًا بلا نكران^(١)

٥٣٣١- وَلَقَدْ رَوَيْنَا أَنَّ شُغْلَهُمُ الَّذِي

قَدْ جَاءَ فِي «يَس» دُونَ بَيَانِ

٥٣٣٢- شُغْلَ الْعُرُوسِ بِعُزْسِهِ مِنْ بَعْدِ مَا

عَبَثَتْ بِهِ الْأَشْوَاقُ طُولَ زَمَانِ

٥٣٣٣- بِاللهِ لَا تَسْأَلُهُ عَنْ أَشْغَالِهِ

تِلْكَ اللَّيَالِي شَأْنُهُ ذُو شَانِ

٥٣٣٤- وَاضْرِبْ لَهُ مَثَلًا بِصَبِّ غَابٍ عَنْ

مَحْبُوبِهِ فِي شَاسِعِ الْبُلْدَانِ

٥٣٣٥- وَالشُّوقُ يَزْعِجُهُ إِلَيْهِ وَمَا لَهُ

بِلِقَائِهِ سَبَبٌ مِنَ الْإِمْكَانِ

٥٣٣٦- وَاقَى إِلَيْهِ بَعْدَ طُولِ مَغِيْبِهِ

عَنْهُ وَصَارَ الْوَضَلُ ذَا إِمْكَانِ

٥٣٣٧- أَتَلُوْمُهُ إِنْ صَارَ ذَا شُغْلٍ بِهِ

لَا وَالَّذِي أَعْطَى بِلا حُسْبَانِ

٥٣٣٨- يَا رَبُّ غَفْرًا قَدْ طَعَتْ أَقْلَامُنَا

يَا رَبُّ مَعْذِرَةً مِنَ الطُّغْيَانِ

الشَّرح

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

يشكو الحلي بعبادة فله مدى الـ أيام وسواس من الهجران

يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: حتى إن الحلي وهو على الصدر يشكو من جود جيدها فهو دائر من هذا

الهجر في هم وقلق.

(١) [٥٣٢٨: ٥٣٣٠] قال العلامة محمد خليل هراس:

وأما جماعها فهو الراحة الكبرى واللذة العظمى لعاشقها الوهان، اختص بها واختصت به من دون الرجال والنسوان، وهو لا يمل أبداً جماعها ولا يكسل عنه، بل كلما نزل عنها تجدد له نشاطه كما كان، فهو يشتهيها دائماً وعضوه لا يعتريه انثناء ولا غيضان.

يَا رَبُّ غَفْرًا قَدْ طَعْتَ أَقْلَامَنَا يَا رَبُّ مَعذِرَةً مِنَ الطُّغْيَانِ

رَحِمَهُ اللهُ هذا صحيح، فلقد طغت أقلامه فهو يعتذر إلى الله من الطغيان في الآيات هذه، وإن شاء الله لا يَأْتُمُّ بها فهو يقصد بهذا التشويق إلى ما في الجنة من الحور العين، وأنه ليس ما في الجنة كما في الدنيا هن أزواج لكنهن أزواج مطهرة، فليس في الجنة مما في الدنيا إلا الأسماء فقط فأراد المؤلف في هذا الوصف العجيب الغريب أن يشوق الإنسان إلى هؤلاء الأزواج حتى يعمل لهن، نسأل الله أن يجعلنا وإياكم من أزواجهن وأن يرزقنا العلم النافع والعمل الصالح.

مسألة: هل نساء الدنيا في الجنة يشبهن الحور العين؟

الجواب الحور ما هي من الإنس، فالحور نساء خلقن في الجنة لأهل الجنة، لكن نساء الدنيا يكن أحسن من الحور في الجنة وأفضل منهن أيضًا. والحور خلقن بكلمة (كن فيكون).



* قوله رَحِمَهُ اللهُ:



٥٣٣٩- أَقْدَامُهَا مِنْ فِضَّةٍ قَدْ رُكِبَتْ

مِنْ فَوْقِهَا سَاقَانِ مُلْتَقَّانِ

٥٣٤٠- وَالسَّاقُ مِثْلُ الْعَاجِ مَلْمُومٌ يَرَى

مُخَّ الْعِظَامِ وَرَأَاهُ بَعِيَانِ

٥٣٤١- وَالرَّيْحُ مِسْكٌ وَالْجُسُومُ نَوَاعِمُ

وَاللُّونُ كَالْيَاقُوتِ وَالْمَرْجَانِ

٥٣٤٢- وَكَلَامُهَا يَسْبِي الْعُقُولَ بِنَعْمَةٍ

زَادَتْ عَلَى الْأَوْتَارِ وَالْعِيدَانِ

٥٣٤٣- وَهِيَ الْعَرُوبُ بِشَكْلِهَا وَبِدْرِهَا

وَتَحْبُّبٍ لِلزَّوْجِ كُلِّ أَوَانِ

٥٣٤٤- وَهِيَ الَّتِي عِنْدَ الْجَمَاعِ تَزِيدُ فِي

حَرَكَاتِهَا لِلْعَالَمِينَ وَالْآذَانِ

٥٣٤٥- لُطْفًا وَحُسْنًا تَبْعُلُ وَتَغْنِجُ

وَتَحْبُوبُ تَفْسِيرِ ذِي الْعِرْفَانِ

٥٣٤٦- بِلَيْكِ الْحَلَاوَةِ وَالْمَلَاخَةِ أَوْجِبَا

إِطْلَاقَ هَذَا اللَّفْظِ وَضَعَ لِسَانِ

٥٣٤٧- فَمَلَاخَةُ التَّصْوِيرِ قَبْلَ غِنَاجِهَا

هِيَ أَوَّلُ وَهِيَ الْمَحَلُّ الثَّانِي

٥٣٤٨- فَإِذَا هُمَا اجْتَمَعَا لِصَبِّ وَامِقِ

بَلَغَتْ بِهِ اللَّذَاتُ كُلَّ مَكَانٍ^(١)

فصل

٥٣٤٩- أَتْرَابُ سِنَّ وَاحِدٍ مُتَمَاثِلِ

سِنَّ الشُّبَابِ لِأَجْمَلِ الشُّبَابِ

٥٣٥٠- بِكُرٍّ فَلَمْ يَأْخُذْ بِكَارَتِهَا سِوَى الْ

مَحْبُوبِ مِنْ إِنْسِ وَلَا مِنْ جَانِ

٥٣٥١- حِضْنٌ عَلَيْهِ حَارِسٌ مِنْ أَعْظَمِ الْ

حُرَّاسِ بِأَسَا شَأْنُهُ ذُو شَانِ

٥٣٥٢- فَإِذَا أَحْسَسَ بِدَاخِلِ لِلْحِضْنِ وَوَلَدِ

لِي هَارِبًا فَتَرَاهُ ذَا إِمْعَانِ

٥٣٥٣- وَيَعُودُ وَهَنَا حِينَ رَبُّ الْحِضْنِ يَخُ

رُجٌ مِنْهُ فَهُوَ كَذَا مَدَى الْأَزْمَانِ

٥٣٥٤- وَكَذَا رَوَاهُ أَبُو هُرَيْرَةَ أَنَّهَا

تَنْصَاعُ بِكُرًّا لِلْجَمَاعِ الثَّانِي

(١) [٥٣٤٥: ٥٣٤٨] قال العلامة محمد خليل هراس:

وبالجمله فبهى جامعه لكل صفات العروب من اللطف والرقه وحسن التبعيل للزوج والتغنج له والتعجب إليه فكمال لذة الرجل بها بأمرين: أولها ملاحه صورتها والثاني غناجها وحسن مودتها فإذا هما اجتمعا للعاشق الوهان بلغ من اللذة أرفع مكان.

٥٣٥٥- لَكِنَّ دَرَجًا أَبَا السَّمْحِ الَّذِي

فِيهِ يَضَعُهُ أَوْلُو الْإِثْقَانِ

٥٣٥٦- هَذَا وَبَعْضُهُمْ يَصَحِّحُ عَنْهُ فِي الثَّ

تَفْسِيرِ كَالْمَوْلُودِ مِنْ حَبَّانِ

٥٣٥٧- فَحَدِيثُهُ دُونَ الصَّحِيحِ وَإِنَّهُ

فَوْقَ الضَّعِيفِ وَلَيْسَ ذَا إِثْقَانِ

الشَّرْحُ

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

هذا وإن ضعف الحديث في هذه المسألة لكنه ظاهر القرآن قال الله تعالى: ﴿إِنَّا أَنشَأْنَهُمْ إِنشَاءً﴾ (٣٥) ﴿جَعَلْنَهُمْ أَبْكَارًا﴾ (٣٦) ﴿عُرْبًا أَرْبَابًا﴾ [الواقعة: ٣٦: ٣٧]، قال: ﴿جَعَلْنَهُمْ أَبْكَارًا﴾ يعني: عند كل جماع ولو كانت بكرًا في أول مرة لم يكن لها هذا الإنشاء الذي قال الله فيه: ﴿إِنَّا أَنشَأْنَهُمْ إِنشَاءً﴾ يعني: إنشاء يغير إنشاءه النساء في الدنيا.

فالصحيح يعني حتى لو كان الحديث ضعيفًا أنهم ينشأن أباكارًا بعد أن جامعها ونزع منها عادات بكرًا، والله عز وجل على كل شيء قدير.



* قوله رَحِمَهُ اللهُ:

٥٣٥٨- يَعْطَى الْمُجَامِعُ قُوَّةَ الْمِائَةِ الَّتِي اجْتَمَعَتْ

لِأَقْوَى وَاحِدِ الْإِنْسَانِ

٥٣٥٩- لِأَنَّ قُوَّتَهُ تُضَاعَفُ هَكَذَا

إِذْ قَدْ يَكُونُ لِأَضْعَفِ الْأَرْكَانِ

٥٣٦٠- وَيَكُونُ أَقْوَى مِنْهُ ذَا نَقْصٍ مِنَ الْإِيمَانِ

وَالْأَعْمَالِ وَالْإِحْسَانِ

٥٣٦١- وَلَقَدْ رَوَيْنَا أَنَّهُ يَغْشَى بِيَوْمِ

وَاحِدٍ مِائَةَ مِنَ النَّسْوَانِ

٥٣٦٢- وَرِجَالَهُ شَرْطُ الصَّحِيحِ رَوَوْا لَهُمْ

فِيهِ وَذَا فِي مُعْجَمِ الطَّبْرَانِيِّ

- ٥٣٦٣- هَذَا دَلِيلٌ أَنَّ قَدْرَ نِسَائِهِمْ
مُتَّفَاوِتٌ بِتَّفَاوِتِ الْإِيْمَانِ
- ٥٣٦٤- وَبِهِ يَزُولُ تَوْهُمُ الْإِشْكَالِ عَن
تِلْكَ النَّصُوصِ بِمِنَّةِ الرَّحْمَنِ
- ٥٣٦٥- وَبِقُوَّةِ الْمَائَةِ الَّتِي حَصَلَتْ لَهَا
أَفْضَى إِلَى مَائَةِ بِلَا خَوْرَانِ
- ٥٣٦٦- وَأَعْفُهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا هُوَ أَلْ
أَقْوَى هُنَاكَ لِرُؤْيَاهِ فِي الْفَانِي
- ٥٣٦٧- فَاجْمَعْ قُورَاكَ لِمَا هُنَاكَ وَعَمِّضْ أَلْ
عَيْنَيْنِ وَاضْبُرْ سَاعَةً لِرَمَانِ
- ٥٣٦٨- مَا هَا هُنَا وَاللَّهِ مَا يَسْوِي قُلَا
مَةَ ظُفْرٍ وَاحِدَةٍ تُرَى بِجَنَانِ
- ٥٣٦٩- مَا هَا هُنَا إِلَّا الْبِقَارُ وَسَيِّءُ أَلْ
أَخْلَاقِ مَعِ عَيْبٍ وَمَعِ نَقْصَانِ
- ٥٣٧٠- هَمٌّ وَعَظْمٌ دَائِمٌ لَا يَنْتَهِي
حَتَّى الطَّلَاقِ أَوْ الْفِرَاقِ الثَّانِي
- ٥٣٧١- وَاللَّهُ قَدْ جَعَلَ النِّسَاءَ عَوَانِيَا
شُرْعًا فَأُضْحَى الْبُغْلُ وَهُوَ الْعَانِي
- ٥٣٧٢- لَا تُؤْثِرُ الْأَذْنَى عَلَى الْأَعْلَى فَإِنِ
تَفَعَّلَ رَجَعَتْ بِذَلَّةٍ وَهَوَانِ
- الشرح

قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله:

- أَخْلَاقِ مَعِ عَيْبٍ وَمَعِ نَقْصَانِ أَلْ
قوله: (ما ههنا إلا البقار) أي: المشاجرة .
هَمٌّ وَعَظْمٌ دَائِمٌ لَا يَنْتَهِي
- حَتَّى الطَّلَاقِ أَوْ الْفِرَاقِ الثَّانِي

قوله: (هَمٌّ وَغَمٌّ): هم لما مضى وغم لما يأتي (لا ينتهي حتى الطلاق أو الفراق الثاني) والفراق الثاني هو الموت عن زوجته .

وَاللَّهُ قَدْ جَعَلَ النِّسَاءَ عَوَانِيَا شَرَعًا فَأَضْحَى الْبَعْلُ وَهُوَ الْعَانِي
لَا تُؤْثِرُ الْأَدْنَى عَلَى الْأَعْلَى فَإِنْ تَفَعَّلَ رَجَعَتْ بِذَلَّةٍ وَهَوَانِ

قوله: (قد جعل الله النساء عوانياً) يعني: مثل الأسرى عند الرجال، فأضحى البعل وهو العاني يعني: انعكست القضية فصار البعل هو الأسير، وكأن ابن القيم يشاهد حال كثير من الناس اليوم، فالיום أصبح الزوج هو الأسير عند الزوجة، ماذا تريدان؟ فيفعل حتى إنه ليحمل ابنه ومتاعه الذي يشتريه من السوق، نعم ابنه يحمله على عربية يزفه ومتاعه بيده، والزوجة تتندح ما عليها شيء أبداً!! هذا عكس الحقيقة فكانت زوجة الزبير بن العوام تحمل النوى من المدينة، النوى: العبس أو الفصم من المدينة إلى بستانه خارج المدينة، هذا هو الحقيقة فهن عوان، لكن علينا أن نتقى الله فيهن، ونعطينهن مثل ما نحب أن يعطونا.



* قوله رَحْمَاتُهُ:



٥٣٧٣- وَإِذَا بَدَتْ فِي حُلَّةٍ مِنْ لَيْسَهَا

وَتَمَائِلَاتٍ كَتَمَائِلِ النَّشْوَانِ

٥٣٧٤- تَهْتَرُ كَالْعُضَنِ الرَّطِيبِ وَحَمْلُهُ

وَرَدٌّ وَتُقَاحٌ عَلَى رُمَّانِ

٥٣٧٥- وَتَبَخَّرَتْ فِي مَشِيهَا وَيَحِقُّ ذَا

كَ لِمِثْلَهَا فِي جَنَّةِ الْحَيَوَانِ

٥٣٧٦- وَوَصَائِفٍ مِنْ خَلْفِهَا وَأَمَامَهَا

وَعَلَى شَمَائِلِهَا وَعَنْ أَيْمَانِ

٥٣٧٧- كَالْبَدْرِ لَيْلَةَ تَمِّهِ قَدْ حُفَّ فِي

عَسَقِ الدُّجَى بِكَوَاكِبِ الْمِيزَانِ

- ٥٣٧٨ - فالطرف منه وقلبه ولسانه
 في الدهش والإعجاب والشبحان
- ٥٣٧٩ - والقلب قبل زفافها في عرسه
 والعزس إنر العزس متصان
- ٥٣٨٠ - حتى إذا ما واجهته تقابلاً
 أرايت إذ يتقابل القمـران؟
- ٥٣٨١ - فسـل المـتيم هل يحل الصبر عن
 ضم وتقييل وعن فلتان؟
- ٥٣٨٢ - وسـل المـتيم أين خلف صبره
 في أي واد أم بأي مكان؟
- ٥٣٨٣ - وسـل المـتيم كيف حالته وقد
 ملئت له الأذنان والعينان
- ٥٣٨٤ - من منطق رقت حواشيه ووجد
 به كم به للشمس من جريان؟
- ٥٣٨٥ - وسـل المـتيم كيف عيشته إذا
 وهما على فرشيهما خـوان
- ٥٣٨٦ - يتساقطان لآلئاً مثورة
 من بين منظوم كنظم جمان؟
- ٥٣٨٧ - وسـل المـتيم كيف مجلسه مع الـ
 مخبـوب في روح وفي ريحان
- ٥٣٨٨ - وتـدور كاسات الرجـيق عليهما
 بأكف أقمار من الولدان
- ٥٣٨٩ - يتنازعان الكأس هذا مرة
 والخود أخرى ثم يتكئان

٥٣٩٠ - فَيُضْمُّهَا وَتَضْمُّهُ أَرَأَيْتَ مَعْدُ

شُوقَيْنِ بَعْدَ الْبُعْدِ يَلْتَقِيَانِ

٥٣٩١ - غَابَ الرَّقِيبُ وَغَابَ كُلُّ مُنْكَدٍ

وَهُمَا بِثُوبِ الْوُضَلِ مُشْتَمِلَانِ

٥٣٩٢ - أَتْرَاهُمَا ضَجْرَيْنِ مِنْ ذَا الْعَيْشِ لَا

وَحَيَاةِ رَبِّكَ مَا هُمَا ضَجْرَانِ

٥٣٩٣ - وَيزِيدُ كُلُّ مِنْهُمَا حُبًّا لِيَا

حِبِّهِ جَدِيدًا سَائِرِ الْأَزْمَانِ

٥٣٩٤ - فَوْضَالِهِ يَكْشُوهُ حُبًّا بَعْدَهُ

مُتَسَلِّسًا لَا يَنْتَهِي بِزَمَانِ

٥٣٩٥ - فَالْوَضَلُ مَخْفُوفٌ بِحُبِّ سَائِقِ

وَيَلْأَجِيقِي وَكِلَاهُمَا صِنُونَانِ

٥٣٩٦ - فَزَوْقٌ لَطِيفٌ بَيْنَ ذَاكَ وَبَيْنَ ذَا

يَدْرِيهِ ذُو شُغْلٍ بِهِذَا الشَّانِ

٥٣٩٧ - وَمَزِيدُهُمْ فِي كُلِّ وَقْتٍ حَاصِلٌ

سُبْحَانَ ذِي الْمَلَكُوتِ وَالسُّلْطَانِ

٥٣٩٨ - يَا غَافِلًا عَمَّا خُلِقْتَ لَهُ انْتَبِهْ

جَدُّ الرَّجِيلِ وَلَسْتَ بِالْيَقْظَانِ

٥٣٩٩ - سَارَ الرِّفَاقُ وَخَلْفُوكَ مَعَ الْأَلَى

قَنِعُوا بِذَا الْحَظِّ الْخَسِيسِ الْفَانِي

٥٤٠٠ - وَرَأَيْتَ أَكْثَرَ مَنْ تَرَى مُتَحَلِّفًا

فَتَبِعَتْهُمْ وَرَضِيَتْ بِالْحِزْمَانِ

٥٤٠١ - لَكِنْ أَتَيْتَ بِحُطَّتِي عَجْزٍ وَجْهَ

لِ بَعْدِ ذَا وَصَحِبْتَ كُلَّ أَمَانِي

٥٤٠٢- مَتَّكَ نَفْسِكَ بِاللَّحَاقِ مَعَ الْقَعْوِ

دَعْنِ الْمَسِيرِ وَرَاحَةَ الْأَبْدَانِ

٥٤٠٣- وَلَسَوْفَ تَعْلَمُ حِينَ يَنْكَشِفُ الْعِطَاءُ

مَاذَا صَنَعْتَ وَكُنْتَذَا إِمْكَانٌ^(١)

فصل

في ذكر الخلاف بين الناس هل تحبل نساء أهل الجنة أم لا

٥٤٠٤- وَالنَّاسُ بَيْنَهُمْ خِلَافٌ هَلْ بَهَا

حَبْلٌ وَفِي هَذَا لَهُمْ قَوْلَانِ

٥٤٠٥- فَتَفَاهُ طَاوُوسٌ وَإِبْرَاهِيمُ ثُمَّ

مَ مُجَاهِدٌ وَهُمْ أَوْلُو الْعِرْفَانِ

٥٤٠٦- وَرَوَى الْعُقَيْلِيُّ الصَّدُوقُ أَبُو رَزِيٍّ

سَنِ صَاحِبِ الْمَبْعُوثِ بِالْقُرْآنِ

٥٤٠٧- أَنْ لَا تَوَالِدَ فِي الْجِنَانِ رَوَاهُ تَعْفُ

لِيَقًا مُحَمَّدُ الْعَظِيمُ الشَّانِ

٥٤٠٨- وَحَكَاهُ عَنْهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ إِسْمَ

حَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ذُو الْإِثْقَانِ

٥٤٠٩- لَا يُشْتَهَى وَلَدُ بِهَا وَلَوْ اشْتَهَا

هُ لَكَانَ ذَلِكَ مُحَقَّقًا إِمْكَانٌ

٥٤١٠- وَرَوَى هِشَامٌ لِابْنِهِ عَنْ عَامِرٍ

(١) [٥٤٠٣: ٥٤٠٠] قال العلامة محمد خليل هراس:

ورأيت أكثر الناس قد أخذوا إلى الأرض ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها وتخلفوا عن الركب السائر فتبعتهم في تخلفهم ورضيت لنفسك ما رضوا لأنفسهم من الخيبة والحرمان، وسلكت أشنع خطتين يمكن أن يسلكهما إنسان، وهما خطتنا العجز والجهل، فيس الخطتان، ومع ذلك تمنك نفسك بالحقاق مع هذا القعود والتخلف عن السباق، ومع إثارة الراحة والسلامة على مشقة السعي والانطلاق، ولسوف تعلم عاقبة تخلفك حين ينكشف لك الغطاء وتعض بنان الندم على ما ضيعت من فرص كنت عندها ذا قدرة وإمكان.

- عَنْ نَاجِي عَنِ سَعْدِ بْنِ سِنَانٍ
 ٥٤١١- أَنَّ الْمُنْعَمَ بِالْجِنَانِ إِذَا اشْتَهَى الْـ
 وُلْدَ الَّذِي هُوَ نُسَخَةٌ الْإِنْسَانِ
 ٥٤١٢- فَالْحَمْلُ ثُمَّ الْوَضْعُ ثُمَّ السِّنُّ فِي
 فَرْدٍ مِنَ السَّاعَاتِ فِي الْأَزْمَانِ
 ٥٤١٣- إِسْنَادُهُ عِنْدِي صَحِيحٌ قَدْ رَوَاهُ
 هُوَ التِّرْمِذِيُّ وَأَحْمَدُ الشَّيْبَانِيُّ
 ٥٤١٤- وَرِجَالُ ذَا الْإِسْنَادِ مُخْتَجٌّ بِهِمْ
 فِي مُسْلِمٍ وَهُمْ أَوْلُو إِتْقَانٍ
 ٥٤١٥- لَكِنَّ غَرِيبٌ مَا لَهُ مِنْ شَاهِدٍ
 فَرَدَّ بِذَا الْإِسْنَادِ لَيْسَ بِثَابِتٍ
 ٥٤١٦- لَوْلَا حَدِيثُ أَبِي رَزِينٍ كَانَ ذَا
 كَالنَّصِّ يَقْرُبُ مِنْهُ فِي التِّيَابِ
 ٥٤١٧- وَلِذَاكَ أَوْلَاهُ ابْنُ إِبْرَاهِيمَ بِالشَّـ
 شَرْطِ الَّذِي هُوَ مُتَّفَعِي الْوَجْدَانِ
 ٥٤١٨- وَبِذَاكَ رَامَ الْجَمْعَ بَيْنَ حَدِيثِهِ
 وَأَبِي رَزِينٍ وَهُوَ ذُو إِمْكَانٍ
 ٥٤١٩- هَذَا وَفِي تَأْوِيلِهِ نَظَرٌ فَإِنْ
 نَ إِذَا لِتَحْقِيقِي وَذِي إِتْقَانِ
 ٥٤٢٠- وَلَرَبَّمَا جَاءَتْ لِغَيْرِ تَحَقُّقِي
 وَالْعَكْسُ فِي إِنْ ذَاكَ وَضَعُ لِسَانِ
 الشَّرْحُ

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

إِذْنُ فِهْمِنَا الْآنَ أَنَّ النَّفْسَ فِي حَالٍ لَا يُسْتَهَى فِيهَا الْوَلَدُ، كَمَا فِي حَدِيثِ أَبِي رَزِينِ الْعَقِيلِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ،
 وَالْإِتْبَاتُ فِيهَا إِذَا اشْتَهَى الْوَلَدَ وَهَذَا الْجَمْعُ لَا شَكَّ أَنَّهُ يُوَافِقُ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ

وَتَلَدُ الْأَعْيُنُ ﴿ [الزخرف: ٧١]، فما المانع إذا اشتهى الإنسان ولدًا في الجنة أن يولد له في مدة وجيزة في ساعات؟ ولكن هل الإنسان هناك يكون في نفسه شوق إلى الأولاد؟ الله أعلم، لكن قد لا يجعل الله له شوقًا للأولاد، ويكون نعيمه فيما عنده من الحور والولدان وغير ذلك، وكذلك الذرية الذين تبعوه؛ لأن الله قال: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِذْنِ الْحَقِّمَانِ لَهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ ﴾ [الطور: ٢١]، والإنسان نجاهه في الدنيا قد تطيب نفسه عن الأولاد إذا كثروا ولا يكن له همٌّ بالأولاد، فكيف بالجنة التي فيها من النعيم ما يسلى الإنسان عن كل شيء؟! لهذا نجتمع بين الأحاديث الدالة على الولد والأحاديث النافية بأن نقول: إنه إذا اشتهى فلا مانع يمكن أن يكون، وحيثئذ يحمل النفي على أنهم لا يشتهون الولد وإذا لم يشتهوه لا يولد لهم، لكن المؤلف أيضًا تعقب هذا الجمع، وقال:

هَذَا وَفِي تَأْوِيلِهِ نَظَرٌ فَإِنْ نَ إِذَا لِتَحْقِيقِ وَذِي إِتْقَانِ

وَلَزُبَّ مَا جَاءَتْ لِغَيْرِ تَحْقُوقِ وَالْعَكْسُ فِي إِنْ ذَاكَ وَضَعُ لِسَانِ

هذا فرق بين إن الشرطية وإذا الشرطية، يقولون: (إذا) لتوقيت المحقق و(إن) لتعليق غير المحقق، فمثلاً إذا قلت: إذا قام زيد فقم. هذا يشعر بأن زيدا سيقوم وأن قيامك مربوط بقيامه فهي للتوقيت، وإذا قلت: إن قام زيد فقم. فهذه شرطية؛ لأنه قد يقوم وقد لا يقوم، وكل إنسان يجد الفرق بين: إذا قام زيد فقم، وبين إن قام هذا هو الأصل في اللغة العربية، لكن مع ذلك قد تأتي إذا بما لم يتحقق وإن بما تحقق.



* قوله رَحِمَهُ اللهُ:

٥٤٢١ - وَاحْتَجَّ مَنْ نَصَرَ الْوِلَادَةَ أَنَّ فِي الْ

جَنَاتِ سَائِرِ شَهْوَةِ الْإِنْسَانِ

٥٤٢٢ - وَاللَّهُ قَدْ جَعَلَ الْيَنِينَ مَعَ النَّسَا

مِنْ أَعْظَمِ الشَّهَوَاتِ فِي الْقُرْآنِ

٥٤٢٣ - فَأَجِيبَ عَنْهُ بِأَنَّهُ لَا يَشْتَهِي

وَلَدًا وَلَا حَبْلًا مِنْ النِّسْوَانِ

٥٤٢٤ - وَاحْتَجَّ مَنْ مَنَعَ الْوِلَادَةَ أَنَّهَا

مَلْزُومَةٌ أَمْرَانِ مُتَتَبِعَانِ

٥٤٢٥ - حَيْضٍ وَإِنزَالِ الْمَنِيِّ وَذَانِكَ الْ

أَمْرَانِ فِي الْجَنَّاتِ مَفْقُودَانِ

٥٤٢٦ - [لَكِنَّمَا الْمَوْجُودُ نَوْعٌ غَيْرُ مَعْدٍ

هُودٍ فَمَاذَا النَّفْسِي وَالْإِبْثَاتِ مَتَّحِدَانِ

٥٤٢٧- وَرَوَى صُدِّي عَنْ رَسُولِ اللَّهِ أَنْ

نَ مِنْهُمْ إِذْ ذَاكَ ذُو فُقُودَانِ

٥٤٢٨- بَلْ لَا مَنِي وَلَا مَيَّةَ هَكَذَا

يَزُوي سُلَيْمَانٌ هُوَ الطَّبْرَانِي

٥٤٢٩- وَأَجِيبَ عَنْهُ بِأَنَّهُ نَوْعٌ سِوَى الْ

مَغْهُودِ فِي الدُّنْيَا مِنَ النَّسْوَانِ

٥٤٣٠- فَالْتَفِي لِلْمَغْهُودِ فِي الدُّنْيَا مِنَ الْ

إِبْلَادِ وَالْإِبْثَاتِ نَوْعٌ ثَانِ

٥٤٣١- وَاللَّهُ خَالِقُ نَوْعِنَا مِنْ أَرْبَعِ

مُتَقَابِلَاتٍ كُلُّهَا بِوَرَانِ

٥٤٣٢- ذَكَرَ وَأُنْثَى وَالَّذِي هُوَ ضِدُّهُ

وَكَذَلِكَ مِنْ أُنْثَى بِإِلَّا ذَكَرَانَ

٥٤٣٣- وَالْعَكْسُ أَيْضًا مِثْلُ حَوًّا أَمْنَا

هِيَ أَرْبَعٌ مَعْلُومَةٌ التَّيْبَانِ

٥٤٣٤- وَكَذَلِكَ مَوْلُودُ الْجِنَانِ يَجُوزُ أَنْ

يَأْتِيَ بِإِلَّا حَايِضٌ وَلَا فَيْضَانِ

٥٤٣٥- وَالْأَمْرُ فِي ذَا مُمْكِنٌ فِي نَفْسِهِ

وَالْقَطْعُ مُمْتَنِعٌ بِإِلَّا بُرْهَانَ

٥٤٣٦- [فَلذَلِكَ عِنْدِي الْوَقْفُ حَتَّى يَسْتَبِي

نَ لِي الصَّوَابُ بِفَضْلِ ذِي الْإِحْسَانِ]

الشَّرْحُ

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

الأربعة الأنواع التي جرت على بني آدم في خلقهم هي: الأول: من ذكر وأنثى والثاني: من أنثى بلا ذكر، والثالث: من ذكر بلا أنثى، والرابع: لا من ذكر ولا من أنثى، فأدم لا من ذكر ولا أنثى، وحواء

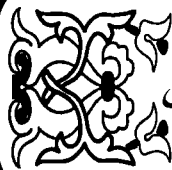
من ذكر بلا أنثى، وعيسى من أنثى بلا ذكر، وسائر الناس من ذكر وأنثى.

وَكَذَلِكَ مَوْلُودُ الْجِنَانِ يَجُوزُ أَنْ يَأْتِيَ بِلاَ حَيْضٍ وَلَا فَيْضَانِ
وَالْأَمْرُ فِي ذَا مُمَكِّنٍ فِي نَفْسِهِ وَالْقَطْعُ مُتَمَتِّعٌ بِلاَ بُرْهَانِ

جزاه الله خيراً هذا هو العدل، يقول: يمكن أن يأتي بلا حيض وبلا إنزال، لكننا لا نقطع، بهذا والذي يظهر- والعلم عند الله - أنهم لا يشتهون الأولاد وأنهم لو اشتهوها لحصل بدون فضلات من حيض أو مني والله على كل شيء قدير، لكن الظاهر - والله أعلم - أن أهل الجنة في غنى عن الأولاد فهم لا يحتاجون إلى بقاء النسل كما نحتاجه نحن في الدنيا، فالإنسان إذا مات بلا أولاد انتهى ولا يبقى له ذكر، فالأولاد هم بقاء الإنسان في الحقيقة، وأيضاً الذرية الصغار هؤلاء يكونون مع أهلهم في منازلهم، كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ [الذريات: ٢١]، فإذا كان معهم ذريتهم الصغار وعندهم هؤلاء الحور والنعيم الذي لا يخطر على بال أحد فهم في غنى عن الأولاد، ولكن مع ذلك الذي نجزم به من دلالة الآية ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ﴾ [الزخرف: ٧١]، أنه لو اشتهى الإنسان الولد لحصل وأنه ليس بالضروري أن يكون هناك حيض أو مني، ليس بضروري؛ لأن الله خلق الجنس البشري كما قال ابن القيم من أصناف أربعة، وهم كلهم بشر كلهم في الدنيا، فكيف بالآخرة؟! قد يكون الولد من دون إنزال ومن دون الحيض، وأيضاً الحمل المعروف في بني آدم أنه يبقى مدة وما جاء به الحديث من حمل نساء أهل الجنة لا يبقى مدة والله أعلم.



* قوله رَحِمَ اللهُ:



فصل



في رؤية أهل الجنة ربهم تبارك وتعالى
ونظرهم إلى وجهه الكريم

٥٤٣٧- وَيَرَوْنَهُ سُبْحَانَهُ مِنْ فَوْقِهِمْ

نَظَرَ الْعِيَانِ كَمَا يَرَى الْقَمَرَانَ

٥٤٣٨- هَذَا تَوَاتَرَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ لَمْ

يَنْكِرْهُ إِلَّا فَايِسُ الدُّوَابِّ

٥٤٣٩- وَأَتَى بِهِ الْقُرْآنُ تَضْرِيحًا وَتَعًا

رِيضًا هُمَا بِسِيَاقِهِ نَوْعَانِ

٥٤٤٠- وَهِيَ الزِّيَادَةُ قَدْ أَتَتْ فِي يُونُسَ

تَفْسِيرَ مَنْ قَدْ جَاءَ بِالْقُرْآنِ

٥٤٤١- وَرَوَاهُ عَنْهُ مُسْلِمٌ بِصَحِيحِهِ

يَرْوِي ضَهَبٌ ذَا بِلَا كِتْمَانِ

٥٤٤٢- وَهُوَ الْمَزِيدُ كَذَلِكَ فَسَّرَهُ أَبُو

بَكْرٍ هُوَ الصِّدِّيقُ ذُو الْإِيقَانِ

٥٤٤٣- وَعَلَيْهِ أَصْحَابُ الرَّسُولِ وَتَابِعُو

هُمُ بَعْدَهُمْ تَبِيعَةَ الْإِحْسَانِ

٥٤٤٤- وَلَقَدْ أَتَى ذِكْرُ اللَّقَاءِ لِرَبَّنَا الزَّ

رَحْمَنِ فِي سُورَةِ الْقُرْآنِ

٥٤٤٥- وَلِقَاؤُهُ إِذْ ذَاكَ رُؤْيَتْهُ حَكَى الْ

إِجْمَاعِ فِيهِ جَمَاعَةٌ بَيِّنَانِ

٥٤٤٦- وَعَلَيْهِ أَصْحَابُ الْحَدِيثِ جَمِيعُهُمْ

لُغَةً وَعُزْفًا لَيْسَ يَخْتَلِفَانِ

الشَّحْ

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

هذا الفصل مهم جداً وهو في إثبات رؤية أهل الجنة لله رب العالمين، وهذه الرؤية رؤية حق بالعين ورؤية حق بالقلب؛ لأن القلب يعلم والعين ترى، وبذلك يحصل علم اليقين وعين اليقين، وقد تواتر عن رسول الله ﷺ رؤية المؤمنين لربهم تواتراً قطعياً، وجاء في القرآن في عدة آيات؛ ولهذا حكم بعض السلف بكفر من أنكر رؤية الله عز وجل، وقال: من أنكر رؤية الله في الآخرة فهو كافر لأنه خالف صحيح القرآن وصحيح السنة والنبي عليه الصلاة والسلام قرر هذه الرؤية وأنها رؤية بالعين، قال: «إِنَّكُمْ سَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ الْقَمَرَ كَيْلَةَ الْبَدْرِ» وقال: «إِنَّكُمْ تَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ الشَّمْسَ صَحْوًا لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ»^(١). وهل بعد هذا التوكيد تحريف للمحرف، أبداً؛ ولهذا نقول: إن الكتاب ومتواتر السنة قد دلا على إثبات رؤية الله عز وجل من المؤمنين، بقى غير المؤمنين هل يرون الله؟ أما

(١) سبق تخريج أحاديث الرؤية سابقا.

الكفار فلا يرون الله؛ لقول الله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُورُونَ﴾ [المطففين: ١٥]، يومئذ متى؟ ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [المطففين: ٦]، يوم القيامة، أما المنافقون فيرون الله في عرصات القيامة ثم يُحْجَبُ بينهم وبينه، كما جاء في حديث أبي سعيد في قصة كشف الله عز وجل عن ساقه فيسجد له كل مؤمن سجد لله في الدنيا ويعجز عن ذلك كل من سجد لله رياء وسمعة وهم المنافقون وفي هذا زيادة الحسرة عليهم؛ لأن مَنْ لم يروه أصلاً أهون مصيبة من الذين رأوه ثم حُجِبُوا عنه أليس كذلك؟ بلى ولهذا قال عز وجل: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ﴾ (٦٣) أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا ﴿الواقعة: ٦٣: ٦٥﴾، ولم يقل لو نشاء لم ننبئه بل قال: ﴿لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا﴾ بعد نباته أشد من تعلقها به بعد بذره، فإذا حرمته بعد النبات صار أشد وقعا وقال: ﴿أَفَرَأَيْتُم مَاءَ الْيَوْمِ يُسْفَرُونَ﴾ (٦٨) أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ [الواقعة: ٦٨: ٧٠]، ولم يقل جل ذكره لو نشاء لم ننزله؛ لأنه إذا نزل ثم فسد صار أشد وقعا على النفوس؛ لأن النفس بعد نزوله تتعلق به فإذا حرمته صارت أشد عليها مما لو لم تره، فالمنافقون يرون الله في عرصات القيامة ثم يحجبون عنه، نسأل الله لنا ولكم العافية، وأن يجعلنا ممن يراه ببصره في جنات النعيم، يقول المؤلف:

هَذَا تَوَاتَرَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ لَمْ يَنْكُرْهُ إِلَّا فَايَسُدُّ الْإِيمَانَ

لا ينكر رؤية الله إلا من فسد إيمانه، وقد ذكرت لكم أن بعض السلف أطلق الكفر على من أنكر رؤية الله قال: إنه كافر خارج عن الإسلام لأنه مكذب لله عز وجل ولرسوله، قال:

وَأَتَى بِهِ الْقُرْآنُ تَضْرِيحًا وَتَعَفٍ رِيضًا هُمَا بِسِيَاقِهِ نَوْعَانِ

يعني: أن إثبات الرؤية في القرآن الكريم نوعان: صريح وتعريض، الصريح في قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، والحسنى هي الجنة، والزيادة النظر إلى وجه الله، مَنْ فسر هذا؟ يقول المؤلف:

وَهِيَ الزِّيَادَةُ قَدْ أَتَتْ فِي يُونُسَ تَفْسِيرَ مَنْ قَدْ جَاءَ بِالْقُرْآنِ

وَرَوَاهُ عَنْهُ مُسْلِمٌ بِصَحِيحِهِ يَزْوِي ضَهَبَ ذَا بِلَا كَثْمَانِ

إذا ثبت في «صحيح مسلم» أن المراد بالزيادة في قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، النظر إلى وجه الله، والذي فسرها أعلم الناس بكلام الله، وتفسيره نص كنص القرآن كما أن تفسير الصحابي كنص الرسول عند بعض العلماء كالحاكم رحمه الله فإنه يرى أن تفسير الصحابي للقرآن في حكم المرفوع، لكن جمهور العلماء على خلافه وهو الصحيح، أما تفسير الرسول للآية فهو كنص القرآن.

وَهُوَ الْمَزِيدُ كَذَلِكَ فَسَّرَهُ أَبُو بَكْرٍ هُوَ الصِّدِّيقُ ذُو الْإِقْبَانِ

قوله: «المزيد» كما في قوله - تعالى -: ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق: ٣٥]، ولدنيا مزيد: يعني زيادة، وفسرها أبو بكر بأنها النظر إلى وجه الله، وما قيمة تفسير جاء من أبي بكر؟ لأن تفسير أبي بكر أقوم التفسير؛ لأنه أعلم الناس بالقرآن بعد رسول الله ﷺ؛ ولهذا قال: هو الصديق في مقاله وحاله رحمته الصادق في قوله المصدق لمن قامت البينة على صدقه.

(ذو الإيقان): الإيقان ضد الشك، فإيقان أبي بكر رحمته أقوى الناس أو أقوى إيمانًا في الناس بعد الرسل، قال:

وَعَلَيْهِ أَصْحَابُ الرَّسُولِ وَتَابِعُوهُمُ بَعْدَهُمْ تَبِيعَةَ الْإِحْسَانِ
عليه أى على هذا التفسير - تفسير أبي بكر - بأن المراد بالمزيد الرؤية إلى وجه الله، كل الصحابة والتابعين لهم تبعية الإحسان. ما هي تبعية الإحسان؟ الظاهرية، ثم قال:

وَلَقَدْ آتَى ذِكْرُ اللَّقَاءِ لِرَبِّنَا الرَّحْمَنِ فِي سُورٍ مِنَ الْقُرْآنِ
وَلِقَاؤُهُ إِذْ ذَاكَ رُؤْيُهُ حَكَى الْإِجْمَاعِ فِيهِ جَمَاعَةٌ بَيَّانِ
وَعَلَيْهِ أَصْحَابُ الْحَدِيثِ جَمِيعُهُمْ لُغَةً وَعُرْفًا لَيْسَ يَخْتَلِفَانِ
قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾ [الانشقاق: ٦]، وقال أيضًا: ﴿فَمَنْ كَانَ
رَبِحَ الْوَالِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا﴾ [الكهف: ١١٠]، آيات كثيرة فيها إثبات لقاء الله، فهل يكون لقاء
بلا رؤية؟! يقول أصحاب الحديث كلهم أجمعوا بأن المراد باللقاء الرؤية، وهذا قد يكون من
أدلة التعريض؛ لأنه ليس فيه التصريح بالرؤية.



* قوله رَحِمَهُ اللهُ:

٥٤٤٧ - هَذَا وَيَكْفِي أَنَّهُ سُبْحَانَهُ

وَصَفَّ الْوُجُوهَ بِنُضْرَةٍ بِجَنَانِ

٥٤٤٨ - وَأَعَادَ أَيضًا وَصَفَهَا نَظْرًا وَذَا

لَا شَكَّ يَفْهَمُ رُؤْيَةَ بَعِيَانِ

٥٤٤٩ - وَأَتَتْ أَدَاةَ «إِلَى» لِرَفْعِ الْوَهْمِ مِنْ

فِكْرِ كَذَلِكَ تَرَقُّبُ الْإِنْسَانِ

٥٤٥٠ - أَضَافَهُ لِمَحَلِّ رُؤْيَتِهِمْ بِذِكْرِ

رِ الْوُجُوهِ إِذْ قَامَتْ بِهِ الْعَيْنَانِ

٥٤٥١ - تَاللهَ مَا هَذَا بِفِكْرٍ وَأَنْتَظَا

- رِ مُغْتَيْبٍ أَوْ رُؤْيَاةٍ بِجَنَانٍ
 ٥٤٥٢ - مَا فِي الْجِنَانِ مِنْ انْتِظَارٍ مُؤَلِّمٍ
 وَاللَّفْظُ يَا بَاهُ لِذِي الْعَرْفَانِ
 ٥٤٥٣ - لَا تُفْسِدُوا لَفْظَ الْكِتَابِ فَلَيْسَ فِيهِ
 هِ حِيلَةٌ يَا فِرْقَةَ الرُّوْعَانِ
 ٥٤٥٤ - مَا فَوْقَ ذَا التَّضْرِيحِ شَيْءٌ مَا الَّذِي
 يَأْتِي بِهِ مِنْ بَعْدِ ذَا التَّبْيَانِ؟
 ٥٤٥٥ - لَوْ قَالَ أَبِينِ مَا يُقَالُ لَقُلْتُمْ
 هُوَ مُجْمَلٌ مَا فِيهِ مِنْ تَبْيَانِ
 الشَّحْ

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

هذا أيضا من الأدلة أن الله عز وجل قال: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [إِنَّ رَبَّهَا نَاطِرَةٌ] ﴿القيامة: ٢٢: ٢٣﴾، ناصرة يعني حسنة، قال: ﴿إِنَّ رَبَّهَا نَاطِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٣]، ربه: الضمير يعود على الوجوه، يعني هذه الوجوه تنظر إلى ربه، ناظرة بمعنى: رائية، قال أي: نظر عين، واستدل المؤلف بهذا بأدلة؛ أولا: حسن الوجوه المنتظر هل يحسن وجهه؟ قد يحسن وقد لا يحسن المنتظر للشيء المحبوب إليه، فمثلا إنسان وعدناه شيئا وجعل ينتظر أحيانا يأمل فرضا قال: سأعطيك مليون أحيانا يقنط ويأس فيسوء ويسود وجهه يقول: أخاف أن لا يعطيني شيئا مليون ريال! فقام وجهه يتلهلله وهو ينتظر أبطأ وتأخر ترى الظاهر إن صاحبنا يكون وجهه كالحا ييأس، لكن هذه ناظرة في حال نظرها إلى ربه، كيف تكون منتظرة؟ ثم إذا قال: إلى ثواب ربه ناظرة قلنا: هذا خلاف الظاهر، ما الذي يمنع ربنا عز وجل أن يقول إلى ثواب ربه؟

ويذكر أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ حين سافر إلى مكة رأى عالما من علماءها على كرسي يحدث الناس فأعجبه حديثه وأعجب به، فلما أراد أن يقوم - وهو شيخ كبير معتبر عند أهل مكة - لما من علي الكرسي قال: يا كعبة الله يا كعبة الله! هذا أشرك وهو لا يدري، وكان الشيخ محمد بن عبد الوهاب ذكيا، فلما جلس الشيخ ينتظر الإقامة قال له الشيخ محمد سلم عليه وكيف أنت؟ من أين أنت؟ قال: أنا من نجد وكلمه قال: لكن أنا أعجبنى كلامك جزاك الله خيرا كلام طيب، وأنا أريد أقرأ عليك من القرآن قال: تفضل يا بني. فقرأ من آخر القرآن ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴿١﴾﴾ [الناس: ١]، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴿١﴾﴾ [الفلق: ١]، ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾﴾ [الإخلاص: ١]، تبت، والكافرون، والنصر، والكوثر، و الماعون، ولإيلاف قريش عندما وصل

لإيلاف قريش قال: ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ﴾ ① إِيْلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ② فَلْيَعْبُدُوا آلَ بَيْتِ ③ الَّذِينَ أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَءَامَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ﴿ [قريش: ١: ٤]، قال: فليعبدوا البيت قال: ما هذا ليعبدوا البيت؟ قال: هكذا أنا أعلم عليك. قال: ما يمكن لو عبدوا البيت لأشركوا والله ما يأمر بالشرك. قال: وما الصواب؟ قال: الصواب ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾ يقول هكذا قال الشيخ الله يجازيك خيرًا ويفتح عليك أما ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ﴾ يقول الشيخ له: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ أَدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ ولا ادعوا الكعبة أو البيت قال: لا ادعوني أستجب لكم ما هنا أحد يدعى إلا الله قال: أنا سمعتك يا شيخ لما أردت تقوم من الكرسي قلت يا كعبة الله قال: الله يفتح عليك يا ولدي ثم شكره قال جزاك الله خيرًا هكذا نصح الشيخ.

فأقول يعني: إن الذين يقولون: ﴿رُجُوءٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ﴾ ④ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ ⑤ ﴿ [القيامة: ٢٢: ٢٣]، أي: إلى ثواب ربها يقول: لماذا لا نقول إلى ثواب ربها؟ ما الذي يمنعك؟ وهل هذا إلا تدليس؟ لو كان الله عز وجل يريد: إلى ثواب ربها ناظرة ويقول إلى ربها ماذا يكون؟ يكون في هذا أعظم تدليس في الخلق، والله يقول: ﴿يَسِّرُنَا اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا﴾ [النساء: ١٧٦]، ولكان في هذا أيضًا دلالة إلى الكفر لأن الذين ينكرون رؤية الله يقولون: من قال إن الله يرى فهو كافر؛ لأنه أثبت أن الله جسم والقول بالتجسيم كفر، فهل يمكن أن الله تعالى يعبر بعبارة توهم النظر إليه عز وجل وهو يريد أن يقول النظر إلى الثواب؟ لا يمكن، ثم قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ:

هَذَا وَيَكْفِي أَنَّهُ سُبْحَانَهُ وَصَفَ الْوُجُوهَ بِنَضْرَةٍ بِعَيْنَانِ

وَأَعَادَ أَيْضًا وَصَفَهَا بِالنَّضْرَةِ فَقَالَ: ﴿رُجُوءٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ﴾ ثم وصفها وصفًا آخر فقال: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾.

وَأَعَادَ أَيْضًا وَصَفَهَا نَظْرًا وَذَا لَا شَكَّ يَفْهَمُ رُؤْيَا بَعِيَانِ

وَأَنْتَ أَدَاةٌ «إِلَىٰ» لِرَفْعِ الْوَهْمِ مِنْ فِكْرٍ كَذَلِكَ تَرْتَقِبُ الْإِنْسَانَ

يعني: لو حذف (إلى) لكان يحتمل أن المراد بالنظر نظر القلب وهو الفكر، كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَنْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [يونس: ١٠١]، أي: ﴿قُلْ أَنْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ﴾ نظر عين أو نظر قلب؟ لأنها لم تعد بـإلى ولما أراد نظر العين قال: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَىٰ الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ [الغاشية: ١٧]، وقال: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَىٰ السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا﴾ [ق: ٦]، فنظر العين يتعدى بإلى ونظر القلب يتعدى بنفسه بدون أداة؛ ولهذا قال:

وَأَنْتَ أَدَاةٌ إِلَىٰ لِرَفْعِ الْوَهْمِ مِنْ فِكْرٍ كَذَلِكَ تَرْتَقِبُ الْإِنْسَانَ

وَأَصَافُهُ لِمَحَلِّ رُؤْيِهِمْ بِذِكْرِ الْوَجْهِ إِذْ قَامَتْ بِهِ الْعَيْنَانِ

أنا عندي لعلها وأضافه عندكم نقاط بدون نقاط إى هذا الصحيح (وإضافة لمحل رؤيتهم) يعني أضاف النظر، لمحل رؤيتهم بذكر الوجه إذ قامت به العينان.

أضاف النظر إلى الوجه لماذا؟ لأن الوجه محل العينين، فإذا كان محل العينين، فما الذي ينظر هل الوجه نفسه ينظر أو العين التي في الوجه؟ العين التي في الوجه هي التي تنظر، قال:

تَاللَّهِ مَا هَذَا بِفِكْرٍ وَأَنْتَظَا رِ مُعَيَّبٍ أَوْ رُؤْيَةٍ بِجِنَانِ

(تالله) أقسم بأن هذا ليس نظر فكري؛ لأنه يدل عليه السياق يعني: يدل على أنه ليس بنظر فكري، أي يدل على منع كونه نظر فكري، وليس المعنى انتظاراً؛ لأن الانتظار أشد من النار والجنة ما فيها انتظار وليس المراد أيضاً أنه رؤية القلب؛ لأن بعضهم يقول إلى ربها ناظرة بقلوبها. وسبحان الله العظيم نمع رؤية العين التي هي في الوجه وثبت رؤية القلب وهو في الصدر هذا لا شك أنه تحريف، قال:

مَا فِي الْجِنَانِ مِنْ أَنْتَظَارٍ مُؤَلِّمٍ وَاللَّفْظُ يَأْبَاهُ لِذِي الْعِرْفَانِ

لَا تُفْسِدُوا لَفْظَ الْكِتَابِ فَلَيْسَ فِيهِ هِ حِيلَةٌ يَا فِرْقَةَ الرُّوْعَانِ

من يعني بذلك؟ الذين يحرفون الآية ويحرفون نصوص الرؤية وينكرونها، يقول بعض العلماء: إن من أنكر رؤية الله حرياً بأن يجرمها، نعوذ بالله لأنه والعياذ بالله أنكر ما أثبتته الله لنفسه.

مَا فَوْقَ ذَا التَّصْرِيحِ شَيْءٌ مَا الَّذِي يَأْتِي بِهِ مِنْ بَعْدِ ذَا التَّبَيُّانِ؟

يعني: أن هذا تصريح واضح وهو قوله: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِنَّ رَبَّهَا نَاطِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢: ٢٣]، هذا صريح، (ما الذي يأتي به من بعد ذا التبيان؟) الجواب: ليس بعد هذا التبيان شيء.

لَوْ قَالَ أَبِينَ مَا يُقَالُ لَقُلْتُمْ هُوَ مُجْمَلٌ مَا فِيهِ مِنْ تَبَيُّانٍ

يعني: هذه طريقة أهل التحريف، يقولون: هذه ألفاظ مجملة، هذه ألفاظ غير مرادة، هذه على تقدير محذوف. وما أشبه ذلك اللهم اهدنا صراطك المستقيم.



* قوله رَحِمَهُ اللهُ:

٥٤٥٦- وَلَقَدْ آتَى فِي سُورَةِ التَّطْفِيفِ أَنْ

نَ الْقَوْمَ قَدْ حُجِبُوا عَنِ الرَّحْمَنِ

٥٤٥٧- فَيَدُلُّ بِالْمَفْهُومِ أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ

مَنْ يَرْوَاهُ فِي جَنَّةِ الْحَيَوَانِ

٥٤٥٨- وَيَبْدَأُ اسْتَدْلَ الشَّافِعِيُّ وَأَحْمَدُ

وَسِوَاهُمَا مِنْ عَالِمِي الْأَزْمَانِ

٥٤٥٩- وَآتَى بِذَا الْمَفْهُومِ تَصْرِيحًا بِأَنَّ

خِرَهَا فَلَا تُخَدَعُ عَنِ الْقُرْآنِ

٥٤٦٠ - وَأَتَى بِذَلِكَ مُكَذِّبًا لِلْكَافِرِ

سَنِ السَّاخِرِينَ بِشِيعَةِ الرَّحْمَنِ

٥٤٦١ - ضَحِكُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَوْمَئِذٍ كَمَا

ضَحِكُوا هُمْ مِنْهُمْ عَلَى الْإِيمَانِ

٥٤٦٢ - وَأَتَابَهُمْ نَظْرًا إِلَيْهِ ضِدًّا مَا

قَدْ قَالَهُ فِيهِمْ أَوْلُوا الْكُفْرَانَ

٥٤٦٣ - فَلِذَلِكَ فَسَرَهَا الْأَيْمَةُ أَنَّهُ

نَظَرَ إِلَى الرَّبِّ الْعَظِيمِ الشَّانِ

٥٤٦٤ - اللَّهُ ذَاكَ الْفَهْمُ يُؤْتِيهِ الَّذِي

هُوَ أَهْلُهُ مَنْ جَادَ بِالْإِحْسَانِ

الشَّحْ

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

المؤلف رَحِمَهُ اللهُ ذكر دليلاً ثالثاً على الرؤية، وهو قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ [١٥] أي: الفجار ﴿كَلَّا إِنْ كُنَّ الْفُجَارُ لَفِي سِجِّينَ﴾ [٧] ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينَ﴾ [٨] ﴿كُنْتُ مَرْفُومٌ﴾ [٩] ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ [١٠] ﴿الَّذِينَ يَكِيدُونَ يَوْمَ الدِّينِ﴾ [المطففين: ٧: ١١]، إلى قوله: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ [١٥] [المطففين: ١٥]، مفهومه أن الأبرار الذين هم ضدهم لا يحجبون عن الله، دليل رابع قوله في آخر السورة: ﴿عَلَى الْأَرْأْيِكِ يَنْظُرُونَ﴾ [المطففين: ٣٥]، ماذا ينظرون؟ فسرها العلماء الأئمة أنهم ينظرون الرب عز وجل، وإن كانت تشمل النظر إلى ما أعطاهم الله من النعيم في الجنة؛ لأنهم على الأرائك: السرر والأريكة معروفة، ﴿عَلَى الْأَرْأْيِكِ يَنْظُرُونَ﴾ [المطففين: ٣٥]، ينظرون إلى ما أعطاهم الله من النعيم وينظرون الرب عز وجل كما فسره بذلك الأئمة، وعلى ذلك يكون لدينا من القرآن كم؟ أربعة أدلة أو خمسة؛ الأول الزيادة والثاني المزيد والثالث اللقاء والرابع النظر لقوله: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ﴾ [٢٢] ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [٢٣] [القيامة: ٢٢: ٢٣]، والخامس حجب الكفار والسادس ﴿عَلَى الْأَرْأْيِكِ يَنْظُرُونَ﴾، هذه ستة أدلة من القرآن الكريم على ثبوت رؤية الله عز وجل، أسأل الله أن لا يجرمني وإياكم منها، والحقيقة أنها هي أكبر نعيم في الجنة، أكبر نعيم في الجنة هو النظر إلى وجه الله؛ لأن الناس يجدون في هذه النظرة من نعيم القلب وسرور الوجه والأنس ما لا يجدونه في أي شيء من النعيم الذي هم فيه، وسيأتي إن شاء الله بقية الكلام على هذا.

* قَوْلُهُ رَحِمَهُ اللَّهُ (١) :

- ٥٤٦٥- وَرَوَى ابْنُ مَاجَةَ مُسْنِدًا عَنْ جَابِرٍ
خَبْرًا وَشَاهِدُهُ فِي الْقُرْآنِ
- ٥٤٦٦- بَيْنَاهُمْ فِي عَيْشِهِمْ وَسُرُورِهِمْ
وَنَعِيمِهِمْ فِي لَذَّةٍ وَتَهَانِي
- ٥٤٦٧- وَإِذَا بَنُورٍ سَاطِعٌ قَدْ أَشْرَقَتْ
مِنْهُ الْجَنَانُ قَصِيهَا وَالذَّانِي
- ٥٤٦٨- رَفَعُوا إِلَيْهِ رُءُوسَهُمْ فَرَأَوْهُ نُورًا
رَ الْرَبِّ لَا يَخْفَى عَلَى إِنْسَانٍ
- ٥٤٦٩- وَإِذَا بِرَبِّهِمْ تَعَالَى فَوْقَهُمْ
قَدْ جَاءَ لِلتَّسْلِيمِ بِالْإِحْسَانِ
- ٥٤٧٠- قَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ فَيَرُونَهُ
جَهْرًا تَرَاهُ مِنْهُمْ الْعَيْنَانِ
- ٥٤٧١- مِضْدَاقٌ ذَا «يَس» قَدْ ضَمِنْتُهُ عِنْدَ
سَدِّ الْقَوْلِ مِنْ رَبِّ بِهِمْ رَحْمَنٍ
- ٥٤٧٢- مَنْ رَدَّ ذَا فَعَلَى رَسُولِ اللَّهِ رَدًّا
دَوَسَّوْفَ عِنْدَ اللَّهِ يَلْتَقِيَانِ
- ٥٤٧٣- فِي ذَا الْحَدِيثِ عُلُوُّهُ وَكَلَامُهُ
وَمَجِيئُهُ حَتَّى يَرَى بَعِيَانِ
- ٥٤٧٤- هَذِي أَصُولُ الدِّينِ فِي مَضْمُونِهِ
لَا قَوْلَ جَهْمٍ صَاحِبِ الْبُهْتَانِ (٢)

(١) تنبيه: هذه الأبيات لم يتعرض الشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين رحمه الله لشرحها ، ونظرًا لما سرنا عليه في منهج الكتاب أننا اعتمدنا على النسخة التي راجعها وحققها الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد رحمه الله فقد نقلنا مادة الشرح التي أبان بها الشيخ العلامة محمد خليل هراس معاني هذه الأبيات كاملة.

(٢) [٥٤٦٥: ٥٤٧٤] قال العلامة محمد خليل هراس:

روى ابن ماجه في سننه من حديث محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله قال: قال النبي ﷺ: «بينا أهل الجنة في نعيمهم إذ سجع

- ٥٤٧٥- وَكَذَا حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ ذَلِكَ أَلْ
 —خَبْرُ الطَّوِيلِ أَتَى بِهِ الشَّيْخَانِ
 ٥٤٧٦- فِيهِ تَجَلَّى الرَّبِّ جَلَّ جَلَالُهُ
 وَمَجِيئُهُ وَكَلَامُهُ بَيْنَهُمَا
 ٥٤٧٧- وَكَذَلِكَ رُؤْيَاهُ وَتَكْلِيمُهُ لِمَنْ
 يَخْتَارُهُ مِنْ أُمَّةِ الْإِنْسَانِ
 ٥٤٧٨- فِيهِ أَصُولُ الدِّينِ أَجْمَعُهَا فَلَا
 تَخْدَعُكَ عَنْهُ شَيْعَةُ الشَّيْطَانِ
 ٥٤٧٩- وَحَكَى رَسُولُ اللَّهِ فِيهِ تَجَدُّدُ أَلْ
 —غَضَبِ الَّذِي لِلرَّبِّ ذِي السُّلْطَانِ
 ٥٤٨٠- إِجْمَاعُ أَهْلِ الْعَزْمِ مِنْ رَسُولِ الْإِلَهِ
 —وَذَلِكَ إِجْمَاعُ عَلِيِّ الْبُرْهَانِ
 ٥٤٨١- لَا تُخْدَعَنَّ عَنِ الْحَدِيثِ بِهَذِهِ أَلْ
 آرَاءِ فَهِيَ كَثِيرَةٌ الْهَدْيَانِ
 ٥٤٨٢- أَضْحَابُهَا أَهْلُ التَّخْرُصِ وَالتَّنَا
 قُضِ وَالتَّهَاتُرِ قَائِلُو الْبُهْتَانِ
 ٥٤٨٣- يَكْفِيكَ أَنْتَ لَوْ حَرَضْتَ فَلَنْ تَرَى
 فِتْنَيْنِ مِنْهُمْ قَطُّ يَتَفَقَّهَانِ
 ٥٤٨٤- إِلَّا إِذَا مَا قَلَّدُوا لِسَوَاهُمَا
 فَتَرَاهُمْ جِيلاً مِنَ الْعُمَيَّانِ

لهم نور فرفعوا رءوسهم فإذا الرب جل جلاله قد أشرف عليهم من فوقهم فقال: السلام عليكم يا أهل الجنة، وهو قول الله عز وجل: ﴿سَلِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ رَجِيمٍ﴾ فلا يلتفتون إلى شيء مما هم فيه من التعميم ما داموا ينظرون إليه حتى يجتنب عنهم وتبقى فيهم بركته ونوره، ومصداق هذا الحديث في سورة يس عند قوله تعالى: ﴿سَلِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ رَجِيمٍ﴾ [يس: ٥٨].
 فمن رد هذا الحديث فقد رد على رسول الله ﷺ ودفع كلامه وسوف يكون خصمه يوم القيامة. وقد تضمن هذا الحديث أصولاً عظيمة من عقائد الدين، فثبت علوه سبحانه على خلقه ومجيئه وتكليمه ورؤية عباده المؤمنين له بأبصارهم. وهذه هي أصول الدين التي تضمنتها الآيات والأحاديث لا قول المعطلة قبحهم الله الذين ينفون علوه سبحانه وكلامه ورؤيته.

٥٤٨٥ - وَيَقُودُهُمْ أَعْمَى يَظُنُّ كَمُبْصِرٍ

يَا مِخْنَةَ الْعِمْيَانِ خَلْفَ فُلَانٍ

٥٤٨٦ - هَلْ يَسْتَوِي هَذَا وَمُبْصِرٌ رُشِدِهِ

اللَّهُ أَكْبَرُ كَيْفَ يَسْتَوِيَانِ؟^(١)

(١) [٥٤٧٥: ٥٤٨٦] قال العلامة محمد خليل هراس:

روى الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أُنِّي رسول الله ﷺ بلحم فُرِعَ إليه الذراع وكانت تعجبه فنهش منها نهشة ثم قال: «أنا سيد الناس يوم القيامة، وهل تدرون مم ذلك؟ يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد يسمعونهم الداعي وينفذهم البصر وتدنو الشمس فيبلغ الناس من الغم والكره ما لا يطيقون ولا يحتملون، فيقول الناس لبعض: ألا ترون ما أنتم فيه مما قد بلغكم؟ ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم؟ فيقول بعض الناس عليكم بأدم فيأتون آدم عليه السلام، فيقولون: يا آدم أنت أبو البشر، خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك، فاشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول آدم: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، وإنه قد نهاني عن الشجرة فعصيت، نفسي نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى نوح، فيأتون نوحاً، فيقولون: يا نوح أنت أول الرسل إلى أهل الأرض، وقد ساءك الله عبداً شكوراً اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول نوح: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، وإنه قد كانت لي دعوة دعوتها على قومي، نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى إبراهيم، فيأتون إبراهيم فيقولون: يا إبراهيم أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، فذكر كذباته، نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى موسى، فيأتون موسى عليه السلام فيقولون: يا موسى أنت رسول الله، اصطفاك الله برسالاته وبكلامه على الناس، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم موسى: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، وإني قد قتلت نفساً لم أؤمر بقتلها، نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غير اذهبوا إلى عيسى، فيأتون عيسى فيقولون: يا عيسى أنت رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وكلمت الناس في المهدي صبيها فاشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم عيسى: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ولم يذكر ذنباً، نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى محمد ﷺ فيأتون محمداً ﷺ، فيقولون: يا محمد أنت رسول الله وخاتم الأنبياء وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه، ألا ترى ما قد بلغنا؟ فأقوم فأتى تحت العرش فأقع ساجداً لربي عز وجل، ثم يفتح الله علي ويلهمني من حماده وحسن الثناء عليه شيئاً ما لم يفتحه علي أحد قبلي، فيقال: يا محمد ارفع رأسك وسل تعطه واشفع تشفع، فأرفع رأسي فأقول: أمتي يا رب أمتي يا رب، فيقال: يا محمد أدخل من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب، ثم قال: والذي نفس محمد بيده إن ما بين المصرعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وهجر. أو كما بين مكة وبصرى»، أخرجه في الصحيحين.

فهذا الحديث قد تضمن أصولاً كبيرة من وجود الله فوق عرشه وتجليه وتكليمه لخير خلقه وأشرف رسله محمد ﷺ، وقد أخبر الرسول فيه عن إخوانه من أولي العزم أنهم يحشون غضب الرب الذي بلغ من الشدة مبلغاً لم يبلغه من قبل ولن يبلغه من بعد، فلا تخدع أيها السني عن هذه الأحاديث العظيمة التي تملأ القلب نوراً وبصيرة، ولا تنصرف عنها إلى هذه الآراء الضالة الكثيرة السقط والهراء، وهي لم تصدر عن أحد ممن يعتد بهم في العلم والمعرفة، ولكن عن قوم كثر تحرصهم في دين

- ٥٤٨٧- أَوْ مَا سَمِعْتَ مُنَادِي الْإِيمَانِ يُحَدِّثُ
 — بِرُّ عَنِ مُنَادِي جَنَّةِ الْحَيَوَانِ
 ٥٤٨٨- يَا أَهْلَهَا لَكُمْ لَدَى الرَّحْمَنِ وَعْدٌ
 — وَهُوَ مُنْجِزُهُ لَكُمْ بِضَمَانِ
 ٥٤٨٩- قَالُوا أَمَا بَيَّضْتَ أَوْجُهَنَا كَذَا
 — أَعْمَالَنَا ثَقَلْتَ فِي الْمِيزَانِ
 ٥٤٩٠- وَكَذَلِكَ قَدْ أَذْخَلْتَنَا الْجَنَّاتِ حَيْثُ
 — نَحْنُ أَجْرَتْنَا حَقًّا مِنَ النَّيِّرَانِ
 ٥٤٩١- فَيَقُولُ عِنْدِي مَوْعِدٌ قَدْ آتَى
 — أُعْطِيكُمْ—وَهُ بِرَحْمَتِي وَخَنَائِي
 ٥٤٩٢- فَيَرَوْنَهُ مِنْ بَعْدِ كَشْفِ حِجَابِهِ
 — جَهْرًا رَوَاهُ ذَا مُسْلِمٍ بَيِّنَانِ
 ٥٤٩٣- وَلَقَدْ أَنَا فِي الصَّحِيحِينَ اللَّذِي
 — نِ هُمَا أَصْحُ الْكُتُبِ بَعْدَ قُرْآنِ
 ٥٤٩٤- بِرِوَايَةِ الثَّقَةِ الصَّدُوقِ جَرِيرِ الْ
 — سَبْجَلِيِّ عَمَّنْ جَاءَ بِالْقُرْآنِ
 ٥٤٩٥- أَنَّ الْعِبَادَ يَرَوْنَهُ سُبْحَانَهُ
 — رُؤْيَا الْعِيَانِ كَمَا يُرَى الْقَمَرَانِ
 ٥٤٩٦- فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ كُلَّ وَفْتٍ فَاحْفَظُوا أَلْ
 — بِزُودِينَ مَا عَشْتُمْ مَدَى الْأَزْمَانِ
 ٥٤٩٧- وَلَقَدْ رَوَى بِضَعِّ وَعِشْرُونَ امْرَأَةً

الله، وعظم تناقضهم واضطرابهم واشتد تهاثرهم بالكذب، والبُهتان، ويكفيك دليلاً على حيرتهم واضطرابهم أنك لن تجد طائفتين منهم تلتقيان عند رأي واحد إلا إذا كانا قد قلدا غيرهما فيه بلا بينة ولا دليل، فهم كجماعة من العميان يقودهم أعمى مثلهم يحسب أنه بصير، فيا محنة هؤلاء مما يقودهم إليه هذا الأحمق الغرير، فهل يستوي هذا الضال المضل ومن ألهمه الله رشده، فهو يمشي على هدى من الله ونور، كلا لا يستويان أبداً في عقل المتأمل البصير.

- مِنْ صَخْبِ أَحْمَدَ خَيْرَةَ الرَّحْمَنِ
 ٥٤٩٨- أَخْبَارَ هَذَا الْبَابِ عَمَّنْ قَدْ أَتَى
 بِالْوَحْيِ تَفْصِيلاً بِأَلَا كَيْتَمَانَ
 ٥٤٩٩- وَأَلْذُ شَيْءٍ لِلْقُلُوبِ فَهَذِهِ أَلْ
 أَخْبَارُ مَعَ أَمْثَالِهَا هِيَ بِهَجَّةِ الْإِيمَانِ^(١)
 ٥٥٠٠- وَاللَّهُ لَوْلَا رُؤْيَةُ الرَّحْمَنِ فِي أَلْ
 سَجَّاتِ مَا طَابَتْ لِذِي الْعِزْفَانِ
 ٥٥٠١- أَعْلَى النَّعِيمِ نَعِيمُ رُؤْيَةِ وَجْهِهِ
 وَخِطَابِهِ فِي جَنَّةِ الْخَيَوَانِ
 ٥٥٠٢- وَأَشَدُّ شَيْءٍ فِي الْعَذَابِ حِجَابُهُ

(١) [٥٤٨٧: ٥٤٩٩] قال العلامة محمد خليل هراس:

أما سمعت منادي الإيوان وهو رسول الله صلوات الله وسلامه عليه يخبر عن ذلك المنادي الذي يُنادي أهل الجنة: يا أهل الجنة إن ربكم تبارك وتعالى يستزيركم فحي على زيارته، فيقولون سمعاً وطاعة، وينهضون إلى الزيارة مبادرين، فإذا بالنجائب قد أعدت لهم فيستنون على ظهورها مُسرعين حتى إذا انتهوا إلى الوادي الأفصح الذي جعل لهم موعداً وجمعوا هناك فلم يُغادر الداعي منهم أحداً، أمر الرب تبارك وتعالى بكرسيه فنُصب هناك ثم نُصبت لهم منابر من نور ومنابر من لؤلؤ ومنابر من زبرجد ومنابر من ذهب ومنابر من فضة وجلس أدناهم - وحاشاهم أن يكون فيهم دنيء - على كئيبان المسك ما يرون أن أصحاب الكراسي فوقهم في العطايا، حتى إذا استقرت بهم مجالسهم واطمأنت بهم أماكنهم نادى المنادي: يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعداً يريد أن يُتجزكموه فيقولون: ما هو؟ ألم يُبيض وجوهنا ويُثقل موازيننا، ويُدخلنا الجنة ويُزحزحنا عن النار، فيبيناهم كذلك إذ سطع لهم نور أشرفت له الجنة، فرفعوا رءوسهم فإذا الجبار جل جلاله وتقديست أسماؤه قد أشرف عليهم من فوقهم، وقال: يا أهل الجنة سلامٌ عليكم، فلا تُرد هذه التحية بأحسن من قوهم: اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام، فيتجلى لهم الرب تبارك وتعالى يضحك إليهم ويقول: يا أهل الجنة، فيكون أول ما يسمعون منه تعالى: أين عبادي الذين أطاعوني بالغيب ولم يروني؟ فهذا يوم المزيد، فيجتمعون على كلمة واحدة أن قد رضينا فارض عنا، فيقول: يا أهل الجنة لو لم أرض عنكم لم أسكنكم جنتي، هذا يوم المزيد فاسألوني، فيجتمعون على كلمة واحدة: أرنا وجهك نظر إليه، فيكشف لهم الرب جل جلاله الحجب ويتجلى لهم، فيغشاهم من نوره ما لولا أن الله تعالى قضى ألا يحترقوا لا حترقوا، ولا يبقى في ذلك المجلس أحد إلا حاضره ربه تعالى مُحاضرة حتى أنه ليقول له يا فلان: أتذكر يوم فعلت كذا وكذا؟ يُذكره ببعض غدواته في الدنيا، فيقول: يا رب ألم تغفر لي؟ فيقول: بمغفرتي بلغت منزلتك هذه ... الحديث. ولقد جاء في صحيح البخاري ومسلم اللذين هما أصح الكتب على الإطلاق بعد كتاب الله عز وجل من رواية الصحابي الجليل جرير بن عبد الله البجلي أن المؤمنين يرون ربهم بأبصارهم يوم القيامة عياناً، وقد تقدمت رواية الحديث، وبالجملة فأحاديث الرؤية متواترة في المعنى رواها أكثر من عشرين صحابياً قد ذكرنا أسماء بعضهم وأحاديثهم فيما سبق، ولا شيء ألد للقلوب ولا أبهج للنفوس من رواية مثل هذه الأحاديث التي تُحرك شوق المؤمن إلى شهود ذلك الجانب الأقدس التي تتضاءل دونه أنواع المتع واللذات.

- سُبْحَانَهُ عَن سَاكِنِي التِّيَرَانِ
 ٥٥٠٣ - وَإِذَا رَأَهُ الْمُؤْمِنُونَ نُسُوا الَّذِي
 هُمْ فِيهِ مِمَّا نَالَتِ الْعَيْنَانِ
 ٥٥٠٤ - فَإِذَا تَوَارَى عَنْهُمْ عَادُوا إِلَى
 لَذَاتِهِمْ مِنْ سَائِرِ الْأَوَانِ
 ٥٥٠٥ - فَلَهُمْ نَعِيمٌ عِنْدَ رُؤْيِيهِ سَوَى
 هَذَا النَّعِيمِ فَحَبَّبَ ذَا الْأَمْرَانَ
 ٥٥٠٦ - أَوْ مَا سَمِعْتَ سُؤَالَ أَعْرَفٍ خَلَقَهُ
 بِجَلَالِ الْمَبْعُوثِ بِالْقُرْآنِ
 ٥٥٠٧ - شَوْقًا إِلَيْهِ وَلَذَّةَ النَّظَرِ الَّذِي
 لِحَالِ وَجْهِ الرَّبِّ ذِي السُّلْطَانِ
 ٥٥٠٨ - فَالشُّوقُ لَذَّةُ رُوحِهِ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا
 وَيَوْمَ قِيَامَةِ الْأَبْدَانِ
 ٥٥٠٩ - تَلْتَذُّ بِالنَّظَرِ الَّذِي فَازَتْ بِهِ
 دُونَ الْجَوَارِحِ هَذِهِ الْعَيْنَانِ
 ٥٥١٠ - وَاللَّهُ مَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا أَلَذُّ
 مِنْ أَشْتِيَاقِ الْعَبْدِ لِلرَّحْمَنِ
 ٥٥١١ - وَكَذَلِكَ رُؤْيَاهُ وَجْهَهُ سُبْحَانَهُ
 هِيَ أَكْمَلُ اللَّذَاتِ لِلْإِنْسَانِ
 ٥٥١٢ - لَكِنَّمَا الْجَهْمِيُّ يُنْكِرُ ذَا وَذَا
 وَالْوَجْهَةَ أَيْضًا خَشْيَةَ الْحِذْيَانِ
 ٥٥١٣ - تَبَالَهُ الْمَخْدُوعُ أَنْكَرَ وَجْهَهُ
 وَلَقَاءَهُ وَمَحَبَّةَ السُّلْطَانِ
 ٥٥١٤ - وَكَلَامَهُ وَصِفَاتِهِ وَعُلُوَّهُ

وَالْعَزْشَ عَطَّلَهُ مِنْ الرَّحْمَنِ

٥٥١٥ - فَتَرَاهُ فِي وَادٍ وَرُسُلُ اللَّهِ فِي

وَادٍ وَذَا مِنْ أَعْظَمِ الْكُفْرَانِ^(١)

فصل

في كلام الرب جل جلاله مع أهل الجنة

٥٥١٦ - أَوْ عَلِمْتَ بِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ

حَقًّا يَكْلِمُ حَزْبَهُ بِجَنَانٍ

٥٥١٧ - فَيَقُولُ جَلَّ جَلَالُهُ هَلْ أَنْتُمْ

رَاضُونَ قَالُوا نَحْنُ ذُو رِضْوَانٍ

٥٥١٨ - أَمْ كَيْفَ لَا نَزَضَى وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا

مَا لَمْ يَنْلُهُ قَطُّ مِنْ إِنْسَانٍ

(١) [٥٥١٥ : ٥٥٠٠] قال العلامة محمد خليل هراس:

وأشد شيء في عذاب أهل النار هو احتجاج الرب تبارك وتعالى عنهم وحرمانهم من النظر إلى وجهه الكريم، وإذا تجلى الرب لعباده المؤمنين في الجنة نسوا كل ما هم فيه من ألوان النعيم من أجل ما ظفرت به أعينهم من اللذة الكبرى بالنظر إلى وجه الله عز وجل، فإذا ما احتجب عنهم عادوا إلى ما كانوا فيه من ألوان السرور والنعيم، فلهم نعيمان في الجنة، نعيم عند رؤيته سبحانه وهو أجلها وأشرفها، ونعيم عند احتجاجه بما هم فيه من ظلال وفواكه وحرور وولدان إلى آخره، فحبذا النعيمان.

ولقد روى الإمام أحمد من حديث أبي مجلز قال: «(صلى بنا عمارة صلاة فأوجز فيها فأنكروا ذلك. فقال: ألم أتم الركوع والسجود؟ قالوا: بلى. قال: أما أني قد دعوت فيها بدعاء كان رسول الله ﷺ يدعو به «اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق أحيني ما علمت الحياة خيراً لي، وتوفني إذا علمت الوفاة خيراً لي، وأسألك خشيتك في الغيب والشهادة، وكلمة الحق في الغضب والرضا، والقصد في الغنى والفقر، ولذة النظر إلى وجهك الكريم، والشوق إلى لقائك في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة، اللهم زينا بزينة الإيمان، واجعلنا هداة مهتدين»» أخرجه ابن حبان والحاكم في صحيحهما.

فالشوق إلى لقاء الله عز وجل هو لذة الروح في هذه الدنيا للمؤمن. وفي يوم القيامة يلتذ بالنظر إلى وجهه الكريم الذي هو حظ العين من دون الجوارح كلها. وليس في هذه الدنيا لدى أهل المعرفة بالله لذة تعدل لذة الشوق إلى لقاء الله كما أنه ليس في الآخرة لذة تعدل لذة النظر إلى وجهه سبحانه.

لكن الجهمي الأعطل لا يؤمن بلقاء ولا بنظر ولا بوجه، لأنها عنده من مستلزمات الحوادث، فهلاكاً لهذا المغرور الذي استمسك بشبهه وأهية ظنها معقولات صحيحة، فنفي من أجلها ما ثبت بالنصوص الصريحة القطعية من الوجه واللقاء والمحبة والكلام والعلو وسائر الصفات، حتى عطل العرش عن أن يكون فوقه إله يُعبد ورب يُصلى له ويُسجد، فهو بإنكاره وتعطيله في واد، ورسول الله وأتباعهم في إثباتهم لكلمات الرب كلها في واد، ومخالفة الرسل عليهم السلام ومشاقبتهم واتباع غير سبيلهم من أقبح أنواع الكفر الذي باء به هذا الجهمي العنيد.

- ٥٥١٩- هَلْ تَمَّ شَيْءٌ غَيْرَ ذَا فَيَكُونُ أَفْ
 ضَلَ مِنْهُ نَسْأَلُهُ مِنَ الْمَنَانِ؟
- ٥٥٢٠- فَيَقُولُ أَفْضَلُ مِنْهُ رِضْوَانِي فَلَا
 يَغْشَاكُمْ سُخْطٌ مِنَ الرَّحْمَنِ
- ٥٥٢١- وَيَذَكِّرُ الرَّحْمَنُ وَاحِدَهُمْ بِمَا
 قَدْ كَانَ مِنْهُ سَالِفَ الْأَزْمَانِ
- ٥٥٢٢- مِنْهُ إِلَيْهِ لَيْسَ تَمَّ وَسَاطَةٌ
 مَا ذَاكَ تَوَيْخًا مَعَ الْعُقْرَانِ
- ٥٥٢٣- لَكِنَّ يَعْزِفُهُ الَّذِي قَدْ نَالَهُ
 مِنْ فَضْلِهِ وَالْعَفْوِ وَالْإِحْسَانِ
- ٥٥٢٤- وَيَسَلِّمُ الرَّحْمَنُ جَلَّ جَلَالُهُ
 حَقًّا عَلَيْهِمْ وَهُوَ فِي الْقُرْآنِ
- ٥٥٢٥- وَكَذَاكَ يُسْمِعُهُمْ لِدَيْدِ خِطَابِهِ
 سُبْحَانَهُ بِتِلَاوَةِ الْفُرْقَانِ
- ٥٥٢٦- فَكَأَنَّهُمْ لَمْ يَسْمَعُوهُ قَبْلَ ذَا
 هَذَا رَوَاهُ الْحَافِظُ الطَّبْرَانِيُّ
- ٥٥٢٧- هَذَا سَمَاعٌ مُطْلَقٌ وَسَمَاعُنَا أَلْ
 قُرْآنَ فِي الدُّنْيَا فَنَوْعٌ ثَانِ
- ٥٥٢٨- وَاللَّهُ يُسْمِعُ قَوْلَهُ بِوَسَاطَةٍ
 وَبِدُونِهَا نَوْعَانِ مَعْرُوفَانِ
- ٥٥٢٩- فَسَمَاعٌ مُوسَى لَمْ يَكُنْ بِوَسَاطَةٍ
 وَسَمَاعُنَا بِتَوْشِطِ الْإِنْسَانِ
- ٥٥٣٠- مَنْ صَيَّرَ النَّوْعَيْنِ نَوْعًا وَاحِدًا
 فَمُخَالِفٌ لِلْعَقْلِ وَالْقُرْآنِ

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

في هذه الأبيات ذكر المؤلف رَحِمَهُ اللهُ أن الله يكلم أهل الجنة من وجهين: الوجه الأول: بيان ما مَنَّ الله به عليهم من نعيم فيقول لهم عز وجل: هل أنتم راضون بما أنتم فيه؟ فيقولون: كيف لا نرضى وقد أعطيتنا كذا وكذا؟! فيقول لهم: أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبدًا، النوع الثاني: أنه يحدث بعضهم بما جرى منه في سالف الزمن في الدنيا فعلت كذا وفعلت كذا وفعلت كذا. لا تويحًا ولكن لإظهار فضله عز وجل عليه؛ حتى يزداد حبًّا لله وتعظيمًا له وشكرًا له سبحانه وتعالى، الثالث: وهو على خلاف الأول أنه يُسَمِعُهُمُ القرآن جل وعلا فيقرأ القرآن وهم يسمعون فيسمعون كلامًا منه عز وجل، يسمعون كلامه منه وهو غير ساعنا لكلامه؛ لأن ساعنا لكلامه بواسطة الإنسان وهو محمد ﷺ، وكل منا يسمع غيره بواسطة المعلم يُسَمِعُ المتعلم كلام الله بواسطة. وهكذا إلى أن يصل إلى الرسول ﷺ، ومن سوى بين النوعين؟! وقال: الكل مخلوق فهو مخالف للقرآن، والذين قالوا بهذا من؟ المعتزلة والجهمية.



* قوله رَحِمَهُ اللهُ:

فصل
في يوم المزيد وما أعد لهم
فيه من الكرامات

- ٥٥٣١- أَوْ مَا سَمِعْتَ بِشَأْنِهِمْ يَوْمَ الْمَزِيدِ
يَدِ وَأَنَّه شَأْنٌ عَظِيمُ الشَّانِ
- ٥٥٣٢- هُوَ يَوْمٌ جُمُعَتِنَا وَيَوْمٌ زِيَارَةِ الزُّ
رَحْمَنَ وَقَسَتْ صَلَاتِنَا وَأَذَانَ
- ٥٥٣٣- وَالسَّابِقُونَ إِلَى الصَّلَاةِ هُمْ الْأَلَى
فَازُوا بِذَلِكَ السَّبْقِ بِالْإِحْسَانِ
- ٥٥٣٤- سَبَقَ بِسَبْقِي وَالْمُؤَخَّرُ هَا هُنَا
مُتَأَخِّرٌ فِي ذَلِكَ الْمَيْدَانِ
- ٥٥٣٥- وَالْأَقْرَبُونَ إِلَى الْإِمَامِ فَهُمْ أَوْلُو الزُّ
زُلْفَى هُنَاكَ فَهَذَا هُنَا قُرْبَانِ

- ٥٥٣٦ - قُرْبٌ بِقُرْبٍ وَالْمُبَاعِدُ مِثْلُهُ
بُعْدٌ بِبُعْدٍ حِكْمَةُ الدِّيَانِ
- ٥٥٣٧ - وَلَهُمْ مَنَابِرٌ لُّؤْلُؤٌ وَزَبَرٌ جَدٍ
وَمَنَابِرُ الْيَأْقُوتِ وَالْعَقِيَانِ
- ٥٥٣٨ - هَذَا وَأَدْنَاهُمْ وَمَا فِيهِمْ دَنِيٌّ
مِنْ فَوْقِ ذَلِكَ الْمِسْكَ كَالكُتُبَانِ
- ٥٥٣٩ - مَا عِنْدَهُمْ أَهْلُ الْمَنَابِرِ فَوْقَهُمْ
مِمَّا يَرُونَ بِهِمْ مِنَ الْإِحْسَانِ
- ٥٥٤٠ - فَيَرُونَ رَبَّهُمْ تَعَالَى جَهْرَةً
نَظَرَ الْعِيَانِ كَمَا يُرَى الْقَمَرَانِ
- ٥٥٤١ - وَيَحَاضِرُ الرَّحْمَنُ وَاحِدَهُمْ مُحَا
ضِرَةَ الْحَيِّبِ يَقُولُ يَا بَنَ فُلَانِ
- ٥٥٤٢ - هَلْ تَذَكَّرُ الْيَوْمَ الَّذِي قَدْ كُنْتَ فِيهِ
مُهْتَابِرًا بِالذَّنْبِ وَالْعِضْيَانِ
- ٥٥٤٣ - فَيَقُولُ رَبِّ أَمَا مَتَّتَ بِعَفْوِهِ
قَدِّمًا فَإِنَّكَ وَاسِعُ الْعُفْرَانِ
- ٥٥٤٤ - فَيَجِيبُهُ الرَّحْمَنُ مَغْفِرَتِي الَّتِي
قَدْ أَوْصَلْتُكَ إِلَى الْمَحَلِّ الدَّنِي (١)

الشرح

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

المؤلف رَحِمَهُ اللهُ بَيَّنَّ أَنَّ اللهَ جَلَّ وَعَلَا يَوْمَ الْمَزِيدِ الَّذِي هُوَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ هُوَ يَوْمُ الزِّيَارَةِ أَي: زِيَارَةِ أَهْلِ الْجَنَّةِ لِلرَّبِّ عَزَّ وَجَلَّ وَتَكُونُ فِي وَقْتِ صَلَاةِ الْجُمُعَةِ، وَالسَّابِقُونَ إِلَى الْجُمُعَةِ هُمُ السَّابِقُونَ إِلَى ذَلِكَ الْمَكَانِ، وَالقَرِيبُونَ مِنَ الْإِمَامِ هُمُ الْقَرِيبُونَ إِلَى الرَّحْمَنِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، وَلَكِنْ لَا يَرِدُ عَلَيْنَا أَنَّ الْإِمَامَ يَتَأَخَّرُ

(١) [٥٥٤١: ٥٥٤٤] قال العلامة محمد خليل هراس:

وقد ذكرنا فيما سبق محاضرة الرب جل شأنه لهم، وأنه يسأل أحدهم فيقول يا فلان بن فلان ألم تفعل كذا يوم كذا - من غدارته في الدنيا - فيقول يا رب ألم تغفر لي؟ فيقول: بل فمغفرتي لك التي أوصلتك إلى ما أنت فيه.

إلى وقت الصلاة؛ لأنه تأخر اتباعاً للسنّة، فإن الرسول ﷺ كان لا يأتي الجمعة إلا إذا أراد أن يخطب ويصلي فيكون بمنزلة السابق إن لم يكن بمنزلة أسبق الناس إذا كان من نيته - أي الإمام - أنه لو لا السنّة لكان يسبق إلى المسجد من أول الناس فله ما نوى.

هل نفهم من ذلك أن هناك مكان معين في الجنة هو الذي يذهبون إليه؟ هذا هو الظاهر؛ لأنه لو لم يكن هناك مكان معين في الجنة يذهبون إليه ما كان في سابق ومسبق صار كل بمنزله.



* قوله رَحِمَهُ اللهُ:

فَصَلُّ
في المطر الذي يصيبه هناك

٥٥٤٥ - وَيَظِلُّهُمْ إِذْ ذَاكَ مِنْهُ سَحَابٌ

تَأْتِي بِمِثْلِ الْوَابِلِ الْهَثَّانِ

٥٥٤٦ - بَيْنَا هُمْ فِي النُّورِ إِذْ عَشِيَّتُهُمْ

سُبْحَانَ مُنْشِئَتِهَا مِنَ الرِّضْوَانِ

٥٥٤٧ - فَتَظَلُّ تُمْطِرُهُمْ بِطَيْبٍ مَا رَأَوْا

شَبَّهَا لَهُ فِي سَالِفِ الْأَزْمَانِ

٥٥٤٨ - فَيَزِيدُهُمْ هَذَا جَمَالًا فَوْقَ مَا

بِهِمْ وَتِلْكَ مَوَاهِبُ الْمَثَّانِ^(١)

(١) [٥٥٤٥: ٥٥٤٨] قال العلامة محمد خليل هراس:

روى بقية بن الوليد عن كثير بن مرة قال (إن من المزيد أن تمر السحابة بأهل الجنة فتقول: ماذا تريدون أن أمطركم؟ فلا يتمنون شيئاً إلا أمطروا).

وروى عبد الله بن المبارك من حديث شفي بن ماته قال: قال رسول الله ﷺ: إن من نعيم أهل الجنة أنهم يتزاورون على المطايا والنجب، وأنهم يؤتون في الجنة بخيل مُسرجة مُلجمة لا تروث ولا تبول يركبونها حتى يتوها حيث شاء الله فيأتيهم مثل السحابة فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت. فيقولون أمطري علينا فما يزال المطر عليهم حتى ينتهي ذلك فوق أمانهم.

فصل

في سوق الجنة الذي ينصرفون إليها من ذلك المجلس

- ٥٥٤٩- فَيَقُولُ جَلَّ جَلَالُهُ قُومُوا إِلَيَّ
مَا قَدْ ذَخَرْتُ لَكُمْ مِنَ الْإِحْسَانِ
- ٥٥٥٠- يَأْتُونَ سُوقًا لَا يُبَاعُ وَيُشْتَرَى
فِيهِ فَخُذْ مِنْهُ بِلاَ أَثْمَانِ
- ٥٥٥١- قَدْ أَسْلَفَ الثُّجَّارُ أَثْمَانَ الْمَيِّ
عَ بَعْفِهِمْ فِي بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ
- ٥٥٥٢- اللَّهُ سُوقٌ قَدْ أَقَامَتْهُ الْمَلَأُ
بِكَةِ الْكِرَامِ بِكُلِّ مَا إِحْسَانِ
- ٥٥٥٣- فِيهَا الَّذِي وَاللَّهِ لَا عَيْنٌ رَأَتْ
كَلاَّ وَلَا سَمِعَتْ بِهِ أُذُنَانِ
- ٥٥٥٤- كَلاَّ وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى قَلْبِ امْرِئٍ
فِيكُونَ عَنْهُ مُعَبَّرًا بِلِسَانِ
- ٥٥٥٥- فَيَرَى امْرَأً مِنْ فَوْقِهِ فِي هَيْئَةٍ
فَيْرُوعُهُ مَا تَنْظُرُ الْعَيْنَانِ
- ٥٥٥٦- فَإِذَا عَلَيْهِ مِثْلُهَا إِذْ لَيْسَ يَلُ
حَقُّ أَهْلِهَا شَيْءٌ مِنَ الْأَحْزَانِ
- ٥٥٥٧- وَهَذَا لِدَا السُّوقِ الَّذِي مَنْ حَلَّهُ
نَالَ التَّهَانِي كُلَّهَا بِأَمَانِ
- ٥٥٥٨- يُدْعَى بِسُوقِ تَعَارُفٍ مَا فِيهِ مِنْ
صَخْبٍ وَلَا غِيْشٍ وَلَا أَيْمَانِ
- ٥٥٥٩- وَتِجَارَةٌ مَنْ لَيْسَ تُلْهِيه تِجَا
رَاتٌ وَلَا يَبِيعُ عَنِ الرَّحْمَنِ
- ٥٥٦٠- أَهْلُ الْمُرُوءَةِ وَالْفُتُوَّةِ وَالنُّقَى

وَالذِّكْرُ لِلرَّحْمَنِ كُلُّ أَوَانٍ

٥٥٦١- يَا مَنْ تَعَوَّضَ عَنْهُ بِالسُّوقِ الَّذِي

رُكِبَتْ لَدَيْهِ رَايَةُ الشَّيْطَانِ

٥٥٦٢- لَوْ كُنْتَ تَدْرِي قَدَرَ ذَلِكَ السُّوقِ لَمْ

تَرْكَبْ إِلَى سُوقِ الْكَسَادِ الْفَانِي (١)

فصل

في حالهم عند رجوعهم إلى أهلهم ومنازلهم

٥٥٦٣- فَإِذَا هُمْ رَجَعُوا إِلَى أَهْلِيهِمْ

بِمَوَاهِبِ حَصَلَتْ مِنَ الرَّحْمَنِ

٥٥٦٤- قَالُوا لَهُمْ أَهْلًا وَرَحْبًا مَا الَّذِي

أُعْطَيْتُمْ مِنْ ذَا الْجَمَالِ الثَّانِي

٥٥٦٥- وَاللَّهِ لَا زِدْتُمْ جَمَالًا فَوْقَ مَا

كُنْتُمْ عَلَيْهِ قَبْلَ هَذَا الْآنِ

٥٥٦٦- قَالُوا وَأَنْتُمْ وَالَّذِي أَنْشَأَكُمْ

قَدْ زِدْتُمْ حُسْنًا عَلَى الْإِحْسَانِ

٥٥٦٧- لَكِنْ يَحِقُّ لَنَا وَقَدْ كُنَّا إِذَا

جَلَسَاءَ رَبِّ الْعَرْشِ ذِي الرِّضْوَانِ

٥٥٦٨- فَهُمْ إِلَى يَوْمِ الْمَزِيدِ أَشَدُّ شَوْ

قًا مِنْ مُحِبِّ اللَّحْيِبِ الدَّانِي (٢)

(١) [٥٥٥٢: ٥٥٦٢] قال العلامة محمد خليل هراس:

فله در ذلك السوق الذي نصبته الملائكة لأولياء الله وحزبه، كم فيه من تحف وهدايا مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

ويرى الرجل من هو أعلى منه منزلة في هيئة من الخلي والخلل تروعه وتدهشه ويتمنى لو كان له مثلها، فإذا هو قد ألبس منها، وذلك لأن الجنة ليست دار حزن بل يجد الإنسان فيها كل ما يشتهي، فوا لهفتا على هذه السوق التي من ظفر بها وصل إلى مُنتهى البغية وأطيب الأمل.

وهو سوق تعارف بين أهل الجنة، فلا صخب ولا غش ولا أريان فاجرة ولا غير ذلك مما يجري في أسواق الدنيا.

(٢) [تعقيب] قال العلامة محمد خليل هراس: روى مسلم في صحيحه من حديث ثابت البناني عن أنس بن مالك أن رسول الله

فصل

في خلود أهل الجنة ودوام صحتهم ونعيمهم،
وشبابهم واستحالة الموت والنوم عليهم

٥٥٦٩- هَذَا وَخَاتِمَةُ النَّعِيمِ خُلُودُهُمْ

أَبَدًا بِدَارِ الْخُلْدِ وَالرِّضْوَانِ

٥٥٧٠- أَوْ مَا سَمِعْتَ مُنَادِي الْإِيمَانِ يُخْرِ

بِرُّ عَنِ مَنَادِيهِمْ بِحُسْنِ بَيَانِ

٥٥٧١- لَكُمْ حَيَاةٌ مَا بِهَا مَوْتُ وَعَا

فِيهِ بِلَا سَقَمٍ وَلَا أَحْزَانِ

٥٥٧٢- وَلَكُمْ نَعِيمٌ مَا بِهِ بُؤْسٌ وَمَا

لِشَبَابِكُمْ هَرَمٌ مَدَى الْأَرْمَانِ

٥٥٧٣- كَلَّا وَلَا نَوْمٌ هُنَاكَ يَكُونُ ذَا

نَوْمٍ وَمَوْتُ بَيْنَنَا أَخْوَانِ

٥٥٧٤- هَذَا عَلِمْنَاهُ اضْطِرَارًا مِنْ كِتَابِ

بِالله فَافْهَمْ مُقْتَضَى الْقُرْآنِ

الشَّحْ

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

وذلك مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ﴾ [الأنعام: ٦٠]،

فسمى النوم وفاة فالنوم أخو الموت؛ ولهذا لما لم يكن موت في الجنة لم يكن نوم، ولأن النوم في الدنيا إنما
نضطر إليه؛ لأنه يهدم التعب السابق ويمجد النشاط للاحق فهو يريح من عمل سابق ويمجد النشاط
لعمل لاحق، أما في الآخرة فالأمر ليس كذلك.

ﷺ قال: «إن في الجنة لسوقاً يأتونها كل جمعة فتهب ريح الشمال فتحثو في وجوههم وثيابهم فيزدادون حسناً وجمالاً،
فيرجعون إلى أهلهم وقد ازدادوا حسناً وجمالاً، فيقول لهم أهلهم: والله لقد ازددتهم حسناً وجمالاً فيقولون والله وأنتم لقد
ازددتم حسناً وجمالاً».



فهل تتمتع في النوم؟

نوم التمتع يكون في الدنيا؛ لأن البدن يكون متعبًا فيتلذذ بالنوم كما إذا كان جائعًا يتلذذ بالأكل والشرب.

وهذه الزيارة كيف لا يطلبون الاستمرار؟

يقول: إذا كانوا يتلذذون بهذه الزيارة لماذا لا يطلبون استمرارها؟ نقول: لو استمرت ما كان لها هذا الشوق وصارت معتادة، ما هو معلوم إذا صار موعد يتشوقون إليه ويتطلعون إليه ثم يحصل لهم، صار ألد، وجرب هذا في شيء توعد به وشيء يكون عندك دائمًا، هذه طبيعة أهل الدنيا، كذلك الطبيعة تقريبًا واحدة كل يعرف إنه من تمام اللذة والشوق والتنعم أن تكون المسألة تأتي على فترات؛ ولهذا ذكر ابن القيم في نفس النظم أن الله هو الذي يقول لهم: انصرفوا إلى ما أعددت لكم.

وهذا يدل على أنه لو كان الأمر راجعًا إليهم لبقوا ما انصرفوا.



* قَوْلُهُ رَحِمَهُ اللهُ:

٥٥٧٥- وَالْجَهْمُ شَيْخُ الْقَوْمِ أَفْنَاهَا وَأَفْ

سَنَى أَهْلَهَا تَبَّالِذَا الْفَقَّانِ

٥٥٧٦- طَرْدًا لِنَفْسِي دَوَامِ فِعْلِ الرَّبِّ فِي أَلْ

مَاضِي وَفِي مُسْتَقْبَلِ الْأَزْمَانِ

٥٥٧٧- وَأَبُو الْهُذَيْلِ يَقُولُ يَفْنَى كُلُّ مَا

فِيهَا مِنْ الْحَرَكَاتِ لِلشُّكَّانِ

٥٥٧٨- وَتَصِيرُ دَارُ الْخُلْدِ مَعَ سُكَّانِهَا

وَيَمَارِهَا كَحِجَارَةِ الْبُنْيَانِ

٥٥٧٩- قَالُوا وَلَوْلَا ذَلِكَ لَمْ يَثْبُتْ لَنَا

رَبٌّ لِأَجْلِ تَسْلُسُلِ الْأَعْيَانِ

٥٥٨٠- فَالْقَوْمُ إِمَّا جَاحِدُونَ لِرَبِّهِمْ

أَوْ مُنْكَرُونَ حَقَائِقِ الْإِيمَانِ

الشَّرح

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

أشار المؤلف إلى رأيين في دوام الجنة مقابلين لما دل عليه الكتاب والسنة وإجماع الأمة؛ الرأي الأول: رأى جهم يقول إن الجنة وما فيها تفتنى كالنار كل شيء يفنى ولا يبقى إلا الله وهذا بناء على أن التسلسل في المستقبل ممنوع كالتسلسل في الماضي، يعني تسلسل المخلوقات عندهم ممنوع، ما يمكن تبقى المخلوقات إلى ما لا نهاية له هذا رأى الجهمية .

وأبو الهذيل هو العلاف الصوفي وقد جاء بقول عجيب يقول: تفتنى الحركات ونمو الأشجار ويبقى الشيء كالأحجار، يعني: أهل الجنة تبقى أجسامهم لكن ليس هناك حركة، وتبقى الأشجار لكن ما فيها ثمار، تبقى الجنة لكن من فيها أحجار حتى الرجل إذا كان قد رفع اللقمة إلى فمه أو الفاكهة ثم قضى الله عليهم بقي بفاكهته رافعاً يده إلى ما لا نهاية له وإذا كان على زوجته بقي عليها أبد الأبدين؛ لأنه يرى أن الحركات تفتنى والأعيان تبقى؛ حذرًا من التسلسل.

قَالُوا وَلَوْلَا ذَلِكَ لَمْ يَثْبُتْ لَنَا رَبٌّ لِأَجْلِ تَسْلُسُلِ الْأَعْيَانِ

يقولون: لو قلنا بالتسلسل - تسلسل الأعيان - لم يكن فرق بين الرب وبين المخلوق؛ لأن المخلوق يبقى والرب يبقى أبد الأبدين، فلو قلنا بالتسلسل لزم أن يكون الخالق والمخلوق شيئاً واحداً وهؤلاء كما قال ابن القيم:

فَالْقَوْمُ إِمَّا جَاحِدُونَ لِرَبِّهِمْ أَوْ مُنْكَرُونَ حَقَائِقَ الْإِيمَانِ

يعني: إن أقروا بالله ولكن استمروا على هذا القول فهم ينكرون لحقائق الإيمان؛ لأن هناك فرقاً بين التسلسل الذي هو من فعل الله عز وجل وبين دوام الرب عز وجل، فالرب باقٍ بنفسه واجب البقاء بنفسه، وهذه الأشياء متسلسلة بفعل الله عز وجل لو شاء لأفناها ثم إن تسلسلها أيضاً يخلف بعضها بعضاً عيناً الثمرة إذا أخذت جاء بدلها ثمرة. وإن كانت مثل الأعيان مثل البشر والحوور وما أشبه ذلك باقية لكنها باقية بقاء الله بقاءً واجباً عقلاً أو جائزاً عقلاً، أو بقاءً جائزاً عقلاً واجباً شرعاً؛ لأنه يجب أن نؤمن ببقائها، وأما عقلاً فإنه يمكن أن الله يهلكها والله أعلم .



فصل

في ذبح الموت بين الجنة والنار
والرد على من قال: إن الذبح لملك الموت
وأن ذلك مجاز لا حقيقة له

- ٥٥٨١- أَوْ مَا سَمِعْتَ بِذَبْحِهِ لِلْمَوْتِ بَيِّـ
نَ الْمُنْزَلِينَ كَذَبِحِ كَبِشِ الضَّانِ
٥٥٨٢- حَاشَا لِيَذَا الْمَلِكِ الْكَرِيمِ وَإِنَّمَا
هُوَ مَوْتُنَا الْمَخْتُومُ لِلْإِنْسَانِ
٥٥٨٣- وَاللَّهُ يَنْشِئُ مِنْهُ كَبِشًا أَمْلَحًا
يَوْمَ الْمَعَادِ يُرَى لَنَا بَعِيَانِ
٥٥٨٤- يَنْشِي مِنَ الْأَعْرَاضِ أَجْسَامًا كَذَا
بِالْعَكْسِ كُلُّ قَابِلٍ الْإِمْكَانِ
٥٥٨٥- أَفَمَا تُصَدِّقُ أَنَّ أَعْمَالَ الْعِبَا
دِ تُحَطُّ يَوْمَ الْعَرْضِ فِي الْمِيزَانِ؟
٥٥٨٦- وَلِذَاكَ تَثْقُلُ تَارَةً وَتَخِفُّ أُخْرَ
رَى ذَاكَ فِي الْقُرْآنِ ذُو تَبِيَانِ
٥٥٨٧- وَلَهُ لِسَانٌ كِفْتَاهُ تُقِيمُهُ
وَالْكَفْتَانِ إِيْلَيْهِ نَاطِرَتَانِ
٥٥٨٨- مَا ذَاكَ أَمْرًا مَعْنَوِيًا بَلْ هُوَ أَلْ
مَحْسُوسُ حَقًّا عِنْدَ ذِي الْإِيْمَانِ
٥٥٨٩- أَوْ مَا سَمِعْتَ بِأَنَّ تَسْبِيحَ الْعِبَا

- دِ وَذَكَرَهُمْ وَقِرَاءَةَ الْقُرْآنِ
 ٥٥٩٠- يُنْشِئُهُ رَبُّ الْعَرْشِ فِي صُورٍ تُجَا
 دِلْ عَنْهُ يَوْمَ قِيَامَةِ الْأَبْدَانِ؟
 ٥٥٩١- أَوْ مَا سَمِعْتَ بِأَنَّ ذَلِكَ حَوْلَ عَزْر
 شِ السَّرَبِّ ذُو صَوْتٍ وَذُو دَوْرَانِ
 ٥٥٩٢- يَشْفَعُنَّ عِنْدَ الرَّبِّ جَلَّ جَلَالُهُ
 وَيَذَكِّرُونَ بِصَاحِبِ الْإِحْسَانِ؟
 ٥٥٩٣- أَوْ مَا سَمِعْتَ بِأَنَّ ذَلِكَ مُؤَنَسٌ
 فِي الْقَبْرِ لِلْمَلْفُوفِ فِي الْأَكْفَانِ
 ٥٥٩٤- فِي صُورَةِ الرَّجُلِ الْجَمِيلِ الْوَجْهِ فِي
 سِنِّ الشَّبَابِ كَأَجْمَلِ الشُّبَّانِ؟
 ٥٥٩٥- أَوْ مَا سَمِعْتَ بِأَنَّ مَا تَتْلُوهُ فِي
 أَيَّامِ هَذَا الْعُمْرِ مِنْ قُرْآنِ
 ٥٥٩٦- يَأْتِي يَجَادِلُ عَنْكَ يَوْمَ الْحَشْرِ لِلزُّ
 رَحْمَنِ كَيْ يَنْجِيكَ مِنْ نِيرَانِ
 ٥٥٩٧- فِي صُورَةِ الرَّجُلِ الَّذِي هُوَ شَاحِبٌ
 يَا حَبَّذَا ذَاكَ الشَّفِيعُ الدَّانِي
 ٥٥٩٨- أَوْ مَا سَمِعْتَ حَدِيثَ صِدْقٍ قَدْ أَتَى
 فِي سُورَتَيْنِ مِنْ أَوَّلِ الْقُرْآنِ؟
 ٥٥٩٩- فِرْقَانٍ مِنْ طَيْرٍ صَوَّافٍ بَيْنَهُمَا
 شَرْقٌ وَمِنْهُ الضُّوْءُ ذُو تَبْيَانِ
 ٥٦٠٠- شَبَّهَهُمَا بِعَمَامَتَيْنِ وَإِنْ تَشَاءُ

بَغِيَايَتَيْنِ هُمَا لِيَذَا مَثَلَانِ

٥٦٠١- هَذَا مِثَالُ الْأَجْرِ وَهُوَ فِعَالُنَا

لِتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ بِالْإِحْسَانِ

٥٦٠٢- أَوْ مَا سَمِعْتَ بِقَلْبِهِ سُبْحَانَهُ أَلْ

أَعْيَانٍ مَنْ لَوْنٍ إِلَى أَلْوَانٍ؟

٥٦٠٣- فَالْمَوْتُ يَنْشِيهِ لَنَا فِي صُورَةٍ

خَلَّاقُهُ حَتَّى يُرَى بِعِيَانٍ

٥٦٠٤- وَالْمَوْتُ مَخْلُوقٌ بِنِصِّ الْوَحْيِ وَالْ

مَخْلُوقُ يَقْبَلُ سَائِرَ الْأَكْوَانِ

٥٦٠٥- فِي نَفْسِهِ وَبِنَشْأَةِ أُخْرَى بِقُدْرَةٍ

رَةٍ قَالِبِ الْأَعْرَاضِ وَالْأَعْيَانِ

الشَّرْحُ

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

في هذه الأبيات بين المؤلف رَحِمَهُ اللهُ أنه يؤتى بالموت بين الجنة والنار، وينادى أهل الجنة والنار فيقال لهم هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم هذا الموت. فيذبح وهم ينظرون، ثم يقال: يا أهل الجنة خلود ولا موت، ويا أهل النار خلود ولا موت، وقولهم: هذا الموت يعنون هذا الذي جيء فيه على صورة كبش أبيض، وليس هو ملك الموت وإنما هو الموت نفسه، والمؤلف يقول رَحِمَهُ اللهُ والرد على من قال إن الذبح لملك الموت وأن ذاك مجاز أي أن إطلاق الموت عليه مجاز عن ملك الموت، قال:

أَوْ مَا سَمِعْتَ بِذَبْحِهِ لِلْمَوْتِ يَبِي

سَنِ الْمَنْزِلَيْنِ كَذَبِحِ كَبِشِ الضَّانِ

المنزلين: منزل أهل الجنة، ومنزل أهل النار.

حَاشَا لِيَذَا الْمَلِكِ الْكَرِيمِ وَإِنَّمَا

هُوَ مَوْتُنَا الْمَحْتُومُ لِلْإِنْسَانِ

حاشا يعني: أنزه أن يكون الذبح لنفس الملك، وإنما هو للموت المحتوم.



وَاللَّهُ يَنْشِئُ مِنْهُ كَيْشًا أَمْلَحًا يَوْمَ الْمَعَادِ يَرَى لَنَا بَعِيَانِ

قوله: (أملحًا) بالصرف والتنوين من أجل ضرورة الشعر، (ينشى من الأعراض) يعني: الله عز وجل.

يَنْشِئِي مِنَ الْأَعْرَاضِ أَجْسَامًا كَذَا بِالْعَكْسِ كُلُّ قَابِلٍ الْإِمْكَانِ

بحيث يجعل الأجسام أعراضًا يعني: أن قلب الأعيان إلى أعراض والأعراض إلى أعيان أمر ممكن قابل الإمكان؛ لأن الله على كل شيء قدير.

أَفَمَا تُصَدِّقُ أَنَّ أَعْمَالَ الْعِبَا دِ تَحَطُّ يَوْمَ الْعَرْضِ فِي الْمِيزَانِ

الجواب: بلى.

وَكَذَلِكَ تَثْقُلُ تَارَةً وَتَخْفُ أُخْرَى سَرَى ذَلِكَ فِي الْقُرْآنِ ذُو تَبَيَانِ

نعم لقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ [الزلزلة: 6]، وقوله: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ [الزلزلة: 8].

وَلَهُ لِسَانٌ كِفَّتَاهُ تَقِيمُهُ وَالْكَفَّتَانِ إِلَيْهِ نَاطِرَتَانِ

يعني: له - أي للميزان - الذي يكون يوم القيامة كفتان تقيمه وله أيضًا لسان كيف لسان؟ هل للموازين ألسنة؟ نعم أرايتم الميزان سابقًا، الميزان سابقًا عبارة عن حديدة ممدودة وفي وسطها حديدة مركوزة، هذه الحديدية المركوزة مثبتة بمسار كالقوس عليها على هذه الحديدية المنصوبة القائمة الكفتان يمين وشمال إذا رجحت إحدهما مال اللسان وظهر إليها، وإذا خفت إحدهما خرج اللسان، هذا هو الميزان سابقًا، ويمكن الآن معروف يعني قد يكون باقياً في الآثار.

مَا ذَلِكَ أَمْرًا مَعْنَوِيًّا بَلْ هُوَ أَلْ مَحْسُوسٌ حَقًّا عِنْدَ ذِي الْإِيمَانِ

هذا رد على المعتزلة الذين قالوا: إن الوزن يوم القيامة ليس محسوسًا ولكن المراد به إقامة العدل فهو عندهم أمر معنوي.

مَا ذَلِكَ أَمْرًا مَعْنَوِيًّا بَلْ هُوَ أَلْ مَحْسُوسٌ حَقًّا عِنْدَ ذِي الْإِيمَانِ

بل هو ميزان حسي توزن به الأعمال، وإذا كانت توزن به الأعمال وهو حسي لزم أن يكون الموزون كذلك حسيًا عينياً يرجح تارة ويخف أخرى.

أَوْ مَا سَمِعْتَ بِأَنَّ تَسْبِيحَ الْعِبَا دِ وَذَكَرَهُمْ وَقِرَاءَةَ الْقُرْآنِ

يَنْشِئِهِ رَبُّ الْعَرْشِ فِي ضُورٍ تُجَا دِلْ عَنْهُ يَوْمَ قِيَامَةِ الْأُبْدَانِ؟

الجواب: بلى.

أَوْ مَا سَمِعْتَ بِأَنَّ ذَلِكَ حَوْلَ عَرْشِ الرَّبِّ ذُو صَوْتٍ وَذُو دَوْرَانٍ
التسييح يدور حول عرش الرحمن عز وجل وله صوت.

يَشْفَعْنَ عِنْدَ الرَّبِّ جَلَّ جَلَالُهُ وَيَذْكُرُونَ بِصَاحِبِ الْإِحْسَانِ
أنه فلان بن فلان وأن هذا الذكر جاء منه.

أي: ما يقع من العبد من تسييح وذكر لله وقراءة القرآن ينشئه الله في صور طيز لها دوي ودوران حول العرش تجادل عن صاحبها يوم القيامة.

في الحديث ما يُذَكَّرُ مِنْ جَلَالِ اللَّهِ وَتَسْبِيحِهِ وَتَحْمِيدِهِ وَتَهْلِيلِهِ يَتَعَاطَفُنَ حَوْلَ الْعَرْشِ لَهْنِ دَوِيِّ الْنَحْلِ يَذْكُرْنَ بِصَاحِبِهِنَّ، ذَكَرَهُ أَحْمَدُ وَذَلِكَ قَوْلُهُ فِي حَدِيثِ عَذَابِ الْقَبْرِ وَنَعِيمِهِ فِي الصُّورَةِ الَّتِي يَرَاهَا، فَيَقُولُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحِ وَأَنَا عَمَلُكَ السَّيِّئِ. وَهَذَا حَقِيقَةٌ لَا خِيَالَ، وَلَكِنَّ اللَّهَ أَنْشَأَ لَهُ مِنْ عِلْمِهِ صُورَةَ حَسَنَةً وَصُورَةَ قَبِيحَةً، وَقَالَ قَتَادَةُ: بَلَّغْنَا أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا خَرَجَ مِنْ قَبْرِهِ صُورٌ لَهُ عَمَلُهُ فِي صُورَةٍ حَسَنَةٍ فَيَقُولُ لَهُ: مَنْ أَنْتَ فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأَرَاكَ أَمْرًا صَادِقًا، فَيَقُولُ لَهُ أَنَا عَمَلُكَ فَيَكُونُ لَهُ نُورًا وَقَائِدًا إِلَى الْجَنَّةِ وَأَمَّا الْكَافِرُ إِذَا خَرَجَ مِنْ قَبْرِهِ صُورٌ لَهُ عَمَلُهُ فِي صُورَةٍ سَيِّئَةٍ وَبِشَارَةٍ سَيِّئَةٍ، فَيَقُولُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأَرَاكَ أَمْرًا سُوءًا فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ فَيَنْطَلِقُ بِهِ حَتَّى يُدْخِلَهُ فِي النَّارِ»^(١).

أَوْ مَا سَمِعْتَ بِأَنَّ ذَلِكَ مُؤَنَسٌ فِي الْقَبْرِ لِلْمَلْفُوفِ فِي الْأَكْفَانِ
يعني: العمل الصالح يأتي إلى الرجل إذا دفن يؤنسه، ويكون:

فِي صُورَةِ الرَّجُلِ الْجَمِيلِ الْوُجْهِ فِي سِرِّ الشُّبَابِ كَأَجْمَلِ الشُّبَّانِ؟
لأجل أن يؤنسه، ويقول من أنت؟ فوجهك الذي يأتي بالخير فيقول: أنا عملك الصالح.
أَوْ مَا سَمِعْتَ بِأَنَّ مَا تَتْلُوهُ فِي أَيَّامِ هَذَا الْعُمْرِ مِنْ قُرْآنٍ
يَأْتِي يَجَادِلُ عَنْكَ يَوْمَ الْحَشْرِ لِلرَّحْمَنِ كَمَا يَنْجِيكَ مِنْ نِيرَانِ
هذا أيضًا جاءت به السنة أن القرآن يأتي شافعًا لأصحابه.

فِي صُورَةِ الرَّجُلِ الَّذِي هُوَ شَاحِبٌ يَا حَبَّذَا ذَاكَ الشَّفِيعِ الدَّانِي
أَوْ مَا سَمِعْتَ حَدِيثَ صِدْقٍ قَدْ أَتَى فِي سُورَتَيْنِ مِنَ أَوَّلِ الْفُرْقَانِ

و هما: البقرة وآل عمران.

فِرْقَانٍ مِنْ طَيْرٍ صَوَافٍ بَيْنَهَا شَرْقٍ وَمِنْهُ الضُّوءُ ذُو تَيْبَانَ
شِبْهَهُمَا بَعْمَامَتَيْنِ وَإِنْ تَشَأْ بَغْيَايَتَيْنِ هُمَا لِيَذَا مَثَلَانِ
هَذَا مِثَالُ الْأَجْرِ وَهُوَ فِعَالُنَا لِيَتْلَاوَةَ الْقُرْآنِ بِالْإِحْسَانِ

فالمؤلف رحمه الله بين أن الذي يأتي يوم القيامة كأنها غمامتان أو غيابتان^(١) الأجر وليست البقرة وآل عمران؛ لأن البقرة وآل عمران كلام الله عز وجل غير مخلوق، وإنما المراد بذلك الأجر يأتي يوم القيامة كأنها غمامتان أو غيابتان أو فرقان من طير صواف يحاجان عن صاحبها يوم القيامة. فقراءتنا للقرآن ما هي؟ معنى من المعاني تأتي يوم القيامة كما هو معلوم.



* قوله رحمه الله:

٥٦٠٦ - وَكَذَلِكَ الْأَعْرَاضُ يَقْلِبُ رُبُّهَا

أَعْيَانَهَا وَالْكَوْلُ ذُو إِمْكَانِ

٥٦٠٧ - لَمْ يَفْهَمْ الْجُهَّالُ هَذَا كُلَّهُ

فَأَتَوْا بِتَأْوِيلَاتٍ ذِي الْبُطْلَانِ

٥٦٠٨ - فَمُكَذِّبٌ وَمُؤَوَّلٌ وَمُحَيَّرٌ

مَا ذَاقَ لَطْعَمَ حَلَاوَةِ الْإِيمَانِ

٥٦٠٩ - لَمَّا فَسَا الْجُهَّالُ فِي آذَانِهِ

أَعْمَوْهُ دُونَ تَدْبِيرِ الْقُرْآنِ

٥٦١٠ - فَتَنَّى لَنَا الْعِطْفَيْنِ مِنْهُ تَكْبُرًا

وَتَبَحْثُرًا فِي حُلَّةِ الْهَذْيَانِ

٥٦١١ - إِنْ قُلْتَ قَالَ اللَّهُ قَالَ رَسُولُهُ

فَيَقُولُ جَهْلًا: أَيْسَ قَوْلُ فَلَانٍ؟



الشرح

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

أعوذ بالله على كل حال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ بَيِّنَ أن الذي يذبح هو الموت نفسه، وأن ذلك ليس بغريب على قدرة الله، فإن الله تعالى يقلب الأعيان أجسامًا كما أنه يقلب الأعمال المعاني أجسامًا ربما يجعل الأعمال معاني فقط .

مسألة: ما معنى قلب الأعيان إلى أعمال؟

الجواب: لعله يريد بهذا ما يظهر مما يضرب مثلًا للنائم في أعماله الصالحة: يرى شخصًا في صورة جيدة جميلة وعليه ثياب جيدة إشارة إلى أعماله ربما يقصد هذا وإلا ما أذكر شيئًا في هذا المعنى.



فصل

في أن الجنة قيعان وأن غراسها
الكلام الطيب والعمل الصالح

٥٦١٢- أَوْ مَا سَمِعْتَ بِأَنَّهَا الْقِيَعَانُ فَاغْ

رِسْ مَا تَشَاءُ بِذَا الزَّمَانِ الْفَانِي

٥٦١٣- وَغِرَاسُهَا التَّنْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ وَالتَّ

تَحْمِيمُ وَالتَّوْحِيدُ لِلرَّحْمَنِ

٥٦١٤- بَّيَّا لِتَارِكِ غَرَسِهِ مَاذَا الَّذِي

قَدْ فَاتَهُ فِي مُدَّةِ الْإِمْكَانِ

٥٦١٥- يَا مَنْ يَقْرُبُ بِذَا وَلَا يَسْعَى لَهُ

بِاللَّهِ قُلْ لِي كَيْفَ يَجْتَمِعَانِ

٥٦١٦- أَرَأَيْتَ لَوْ عَطَّلْتَ أَرْضَكَ مِنْ غِرَا

سِ مَا الَّذِي تَجْنِي مِنَ الْبُسْتَانِ

٥٦١٧- وَكَذَاكَ لَوْ عَطَّلْتَهَا مِنْ بَذْرِهَا

تَزُجُّو الْمَغْلَّ يَكُونُ كَالْكَيْمَانِ

٥٦١٨- مَا قَالَ رَبُّ الْعَالَمِينَ وَعَبْدُهُ

هَذَا فَرَا جِعَ مُقْتَضَى الْقُرْآنِ

٥٦١٩- وَتَأْمَلِ الْبَاءَ الَّتِي قَدْ عَيَنْتِ

سَبَبَ الْفَلَاحِ لِحِكْمَةِ الْفُرْقَانِ

٥٦٢٠- وَأُظْنُ بِأَنَّ النَّفْيَ قَدْ عَرَّوْتِكَ فِي

ذَلِكَ الْحَدِيثِ أَتَى بِهِ الشَّيْخَانِ

٥٦٢١- لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّاتِ أَضَلًّا كَادِحٌ

بِالسَّعْيِ مِنْهُ وَلَوْ عَلَى الْأَجْفَانِ

٥٦٢٢- وَاللَّهِ مَا بَيْنَ النَّضْوِصِ تَعَارُضٌ

وَالْكُلُّ مَضْدَرُهَا عَنِ الرَّحْمَنِ

٥٦٢٣- لَكِنَّ بَا الْإِبْتَاتِ لِلتَّشْيِيبِ وَالْ

بَاءُ التِّي لِلتَّفْيِ بَا الْأَثْمَانِ

٥٦٢٤- وَالْفَرْقُ بَيْنَهُمَا فَفَرْقٌ ظَاهِرٌ

يُذَرِّبُهُ ذُو حَظٍّ مِنْ الْعِرْفَانِ

الشَّرْحُ

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

هذا الفصل ذكر المؤلف رَحِمَهُ اللهُ أن الجنة قيعان يعني: خالية من النبات وأن غراسها التسيح والتكبير والتحميد والتهليل، ثم قال:

بَا لِتَارِكِ غَرْسِهِ مَاذَا الَّذِي قَدْ فَاتَهُ فِي مُدَّةِ الْإِمْكَانِ

يَا مَنْ يَقْرُؤُ بِدَا وَلَا يَسْعَى لَهُ بِاللَّهِ قُلْ لِي كَيْفَ يَجْتَمِعَانِ

يعني: كيف يجتمع أن تقر بأن الجنة قيعان وأن غراسها العمل الصالح ثم لا تسعى لهذا؟ هل هذا ممكن؟!

الجواب: لا لأن من أقر بهذا وأن الجنة قيعان وأنها تحتاج إلى عمل صالح يغرس فيها فلا بد أن يغرس العمل الصالح، ثم ضرب مثالين الأول:

أَرَأَيْتَ لَوْ عَطَلْتَ أَرْضَكَ مِنْ غَرَا بِسَ مَا الَّذِي تَجْنِي مِنَ الْبُشْتَانِ

لا شيء. أو:

وَكَذَلِكَ لَوْ عَطَلْتَهَا مِنْ بَدْرِهَا تَرْجُو الْمَعْلَلُ يَكُونُ كَالْكَيْمَانِ

الجواب: لا يمكن كيف لا تبذر أو كيف ترجو أن يكون الزرع كالكيهان، يعني: كوما كثيرة وأنت لم تبذر.

مَا قَالَ رَبُّ الْعَالَمِينَ وَعَبْدُهُ هَذَا فَرَا جَعُ مُفْتَضَى الْقُرْآنِ

يعني: أنك تعطل وتترك العمل وتفوز بالجنة؟!

وَتَأْمَلِ الْبَاءَ الَّتِي قَدْ عَيَّنْتُ سَبَبَ الْفَلَاحِ لِحِكْمَةِ الْفُرْقَانِ

وَأَظُنُّ بَاءَ النَّفْيِ قَدْ عَرَّثَكَ فِي

ذَلِكَ الْحَدِيثِ أَتَى بِهِ الشَّيْخَانِ

في القرآن الكريم آيات متعددة يقول الله تعالى: ﴿أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٣٢]،

﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧]، وما أشبه ذلك من الآيات فأثبت أن العمل يدخل الإنسان به

الجنة، ثم ثبت عن النبي عليه الصلاة والسلام فيما رواه الشيخان أنه قال: «لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ أَحَدٌ بِعَمَلِهِ»

قالوا: ولأنت يا رسول الله؟ قال: «وَلَا أَنَا إِلَّا أَنْ يَتَعَمَّدَنِي اللَّهُ بِرَحْمَتِهِ»^(١). فالمهمل قال: إذا لا أعمل ما

دام العمل لا يدخلني الجنة، وإنما الذي يدخلني رحمة الله إذا لا أعمل؛ ولهذا قال:

وَأَظُنُّ بَاءَ النَّفْيِ قَدْ عَرَّثَكَ فِي ذَاكَ الْحَدِيثِ أَتَى بِهِ الشَّيْخَانِ

ما هي باء النفي؟ لن يدخل الجنة أحد بعمله فغرفته وقال: لا أعمل ما دام الأمر راجعاً إلى

مغفرة الله ورحمته فلا حاجة للعمل، ثم قال مبيناً وموضحاً:

لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ أَضْلاً كَادِحٌ بِالسَّعْيِ مِنْهُ وَلَوْ عَلَى الْأَجْفَانِ

هذا النص الذي جاء بالحديث أنه لا يدخل الجنة أحد بعمله، قال:

وَاللَّهُ مَا بَيْنَ النَّضُوصِ تَعَارُضٌ وَالْكَوْلُ مَضْرُهَا عَنِ الرَّحْمَنِ

جملة (والكل مصدرها) يحتمل أن تكون حالية يعني: ما فيها تعارض والحال أنها صادرة من

الله؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ كَانِ مِنْ عِنْدِ عَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢]، ويحتمل أنها

استثنائية، يعني: وإذا كان مصدرها من الرحمن فإنها لن تتعارض.

لَكِنَّ بَاءَ الْإِثْبَاتِ لِلنَّسِيبِ وَالْبَاءُ الَّتِي لِلنَّفْيِ بَاءُ الْأَثْمَانِ

يعني: باء الإثبات في قوله: جزاء بما كنتم تعملون للتسبيح يعني: أنها باء السببية، وفي قول

النبي: «لَنْ يَدْخُلَ أَحَدٌ الْجَنَّةَ بِعَمَلِهِ». للأثمان يعني: لن يكون العمل ثمناً لدخول الجنة، ولهذا

يسمونها باء العوض، إذا الإثبات للسبب والنفي للعوض، وحيث لا تعارض، قال:

وَالْفَرْقُ بَيْنَهُمَا فَفَرَّقْ ظَاهِرٌ يَذْرِيهِ ذُو حَظٍّ مِنَ الْعَرْفَانِ



فصل

في إقامة الماتم على المتخلفين
عن رفقة السابقين

- ٥٦٢٥- بِاللّهِ مَا عُدْرُ امْرِئٍ هُوَ مُؤْمِنٌ
حَقًّا بِهِذَا لَيْسَ بِالْيَقْظَانِ
- ٥٦٢٦- بَلْ قَلْبُهُ فِي رَقْدَةٍ فَإِذَا اسْتَمَفَا
قَ فَلَيْبِسُهُ هُوَ حُلَّةُ الْكُنْزَانِ
- ٥٦٢٧- تَاللّهِ لَوْ شَافَتْكَ جَنَاتُ النَّعِيمِ
مِ طَلَبْتَهَا بِنَفَائِسِ الْأَثْمَانِ
- ٥٦٢٨- وَسَعَيْتَ جَهْدَكَ فِي وَصَالِ نَوَاعِمِ
وَكَوَاعِبِ بِيضِ الْوُجُوهِ حِسَانِ
- ٥٦٢٩- جُلَيْتَ عَلَيْكَ عَرَائِيسُ وَاللّهِ لَوْ
تُجَلَى عَلَى صَخْرٍ مِنَ الصَّوَّانِ
- ٥٦٣٠- رَقَّتْ حَوَاشِيهِ وَعَادَ لَوْفَتِهِ
يَنْهَالُ مِثْلَ نَقَامِ الْكُتُبَانِ
- ٥٦٣١- لَكِنَّ قَلْبِكَ فِي الْقَسَاوَةِ جَازَ حَدِ
دِ الصَّخْرِ فَالْخَنَسَاءُ فِي أَشْجَانِ
- ٥٦٣٢- لَوْ هَزَكَ الشُّوقُ الْمُقِيمِ وَكُنْتَ ذَا
حِيسٍ لَمَّا اسْتَبَدَلْتَ بِالْأَدْوَانِ
- ٥٦٣٣- أَوْ صَادَفَتْ مِنْكَ الصِّفَاتُ حَيَاةَ قَلْدِ

- سِبْ كُنْتَ ذَا طَلَبٍ لِهَذَا الشَّانِ
 ٥٦٣٤- حُودٌ لِعَيْنَيْنِ تُزْفُ إِلَيْهِ مَا
 ذَا حِيلَةَ الْعَيْنَيْنِ فِي الْعَشْيَانِ؟^(١)
 ٥٦٣٥- شَمْسٌ تُزْفُ إِلَى ضَرِيرٍ مُتَعَدٍ
 يَا مَحْنَةَ الْحَسَنَاءِ بِالْعُمَيَّانِ
 ٥٦٣٦- يَا سِلْعَةَ الرَّحْمَنِ لَسْتَ رَخِيصَةً
 بَلْ أَنْتِ غَالِيَةٌ عَلَى الْكَسَلَانِ
 ٥٦٣٧- يَا سِلْعَةَ الرَّحْمَنِ لَيْسَ يِنَالُهَا
 فِي الْأَلْفِ إِلَّا وَاحِدٌ لَا اثْنَانِ
 ٥٦٣٨- يَا سِلْعَةَ الرَّحْمَنِ مَنْ ذَا كَفُوَهَا
 إِلَّا أَوْلُو التَّقْوَى مَعَ الْإِيمَانِ
 ٥٦٣٩- يَا سِلْعَةَ الرَّحْمَنِ سُوقُكَ كَاسِدٌ
 بَيْنَ الْأَرَادِلِ سِيفَلَةَ الْحَيَوَانِ
 ٥٦٤٠- يَا سِلْعَةَ الرَّحْمَنِ أَيْنَ الْمُشْتَرِي
 فَلَقَدْ عَرِضْتَ بِأَيْسَرِ الْأَثْمَانِ
 ٥٦٤١- يَا سِلْعَةَ الرَّحْمَنِ هَلْ مِنْ خَاطِبٍ
 فَالْمَهْرُ قَبْلَ الْمَوْتِ ذُو إِمْكَانِ
 ٥٦٤٢- يَا سِلْعَةَ الرَّحْمَنِ كَيْفَ تَصَبَّرَ الْ
 خُطَّابُ عَنْكَ وَهُمْ ذُووْ إِيْمَانِ؟

(١) [٥٦٣٣، ٥٦٣٤] قال العلامة محمد خليل هراس:

وما أروع قوله ﷺ في وصف الجنة فيما رواه عنه أسامة رضي الله عنه: «ألا هل من مشمر للجنة؟ فإن الجنة لا خطر لها، وهي ورب الكعبة نور يتلألأ وريحانة تهتز وقصر مشيد، ونهر مطرد وثمره نضيجة وزوجة حسناء جميلة وحلل كثيرة ومقام في أبد دار سليمة، وفاكهة وخضر، وحبرة ونعمة في محلة عالية هبية».

٥٦٤٣- يَا سِلْعَةَ الرَّحْمَنِ لَوْلَا أَنَّهَا

حُجِبَتْ بِكُلِّ مَكَارِهِ الْإِنْسَانِ

٥٦٤٤- مَا كَانَ عَنْهَا قَطُّ مِنْ مُتَخَلِّفٍ

وَتَعَطَّلَتْ دَارَ الْجَزَاءِ الثَّانِي

الشرح

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

هذه المعاني كلها واضحة، لكن أشار إلى معنى جليل جداً وهو أن الجنة حُفَّتْ بالمكاره؛ لأنه لولا هذا ما كان للنار أحد يدخلها، يعني لو كانت الجنة محفوفة بالشهوات كالنار ما بقي أحد للنار؛ فحفت الجنة بالمكاره من أجل ألا ينالها إلا من تجشم هذه المكاره، قال تعالى: ﴿فَلَا أَقْنَمَ أَلْعَبَةَ﴾ [البلد: ١١]، ولهذا تجد المؤمن يكابد نفسه ويصبر على الوضوء في المكاره على الإتيان للمساجد، ويصبر على ما يناله من أذى الناس ويصبر على ما يناله من تعب في العبادة، وأحياناً تجده يصابر ويصبر على كبح نفسه عن شهواتها فليست المسألة هينة؛ ولذلك كانت الجنة محفوفة بالمكاره، ولكنها كما قال ابن القيم عدة مرات: ما هي إلا ساعة ثم تنقضي وكل العمر الذي مضى قبل ساعتنا هذه كأنه ساعة كأننا لم نعش فيها، فالمسألة أيام يسيرة ثم ارتحال وينقضي زمن العمل إلى زمن الجزاء، ولكن اصبر وصابر حتى تنال ما يناله الصابرون، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠]، وهذا أمر واضح، انظر إلى آبائك انظر إلى إخوانك الذين هم أكبر منك وانظر إلى أقرانك وانظر إلى من هو دونك كلهم رحلوا عن الدنيا وكأنهم لم يخلقوا فيها.

يَنِينَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ فِيهَا مُخْبِرًا حَتَّى يُرَى خَبْرًا مِنَ الْأَخْبَارِ

و ما هي إلا ساعة ثم تنقضي هذه المكاره فاصبر عليها، أي: اصبر على كبح نفسك عن شهواتها واصبر على الواجبات التي أمرك الله بها واصبر على البلايا التي تصيبك من نفسك أو من الله عز وجل أو من الناس، اصبر حتى تنال دار الراحة، نسأل الله أن يكتب لنا ولكم هذه الدار، اللهم صل على محمد.

مسألة: الصراط على وجه جهنم هل هو من إحفاف الجنة بالمكاره؟

الجواب: لا ما هي منها، المكاره في الدنيا فقط.



* قوله رَحِمَهُ اللهُ:

٥٦٤٥- لَكِنَّهَا حُجِبَتْ بِكُلِّ كَرِيهَةٍ

لِيَصِدَّ عَنْهَا الْمُبْطِلُ الْمُتَوَانِي

٥٦٤٦- وَتَنَالَهَا الْهِمَمُ الَّتِي تَسْمُو إِلَى

رُتَبِ الْعُلَى بِمَشِيئَةِ الرَّحْمَنِ

٥٦٤٧- فَاتَّعَبَ لِيَوْمِ مَعَادِكَ الْأَذْنَى تَجِدُ

رَاحَاتِهِ يَوْمَ الْمَعَادِ الثَّانِي

٥٦٤٨- وَإِذَا أَبَتْ تَفْقَادُ نَفْسِكَ فَاتَّهَمُ

بِهَا ثُمَّ رَاجِعْ مَطْلِعَ الْإِيمَانِ

٥٦٤٩- فَإِذَا رَأَيْتَ اللَّيْلَ بَعْدُ وَضُبْحَهُ

مَا انشَقَّ عَنْهُ عَمُودُهُ لِأَذَانِ

٥٦٥٠- وَالنَّاسُ قَدْ صَلَّوْا ^(١) الصُّبْحَ وَأَنْ

تَنْظُرُوا طُلُوعَ الشَّمْسِ قُزِبَ زَمَانِ

٥٦٥١- فَاعْلَمْ بِأَنَّ الْعَيْنَ قَدْ عَمِيَتْ فَنَا

شَدَّ رَبُّكَ الْمَعْرُوفَ بِالْإِحْسَانِ

٥٦٥٢- وَاسْأَلْهُ إِيْمَانًا يَبَاشِرُ قَلْبَكَ أَلْ

مَخْجُوبَ عَنْهُ لِتَنْظُرَ الْعَيْنَانِ

٥٦٥٣- وَاسْأَلْهُ نُورًا هَادِيًا يَهْدِيكَ فِي

طُرُقِ الْمَسِيرِ إِلَيْهِ كُلِّ أَوَانِ

الشَّحْ

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

هذه الأبيات عظيمة في شخذ الهمم فإذا رأيت من نفسك التخلف والإباء بالألا تعانق

(١) صَلَّوْا): يعني قضاوا الصلاة، وهي غير صَلَّوْا التي هي فعل أمر.

من وُفِّقُوا للخير ورأوا أنوار الصباح فقل لها:

فَاعْلَمْ بِأَنَّ الْعَيْنَ قَدْ عَمِيَتْ فَنَّا شَدَّ رَبُّكَ الْمَعْرُوفَ بِالْإِحْسَانِ

قوله: (فناشد ربك المعروف بالإحسان) أي: الذي عُرِفَ بالإحسان وهو الله عز وجل.

وَاسْأَلْهُ إِيمَانًا يَبَاشِرُ قَلْبَكَ أَلْ مَمْحُجُوبَ عَنْهُ لِيَنْتَظَرَ الْعَيْنَانَ

يعني: اسأله إيمانًا يباشر القلب؛ لأن هذا هو النافع أما الإيمان الذي لا يصل إلى الحناجر أو لا يتجاوز الحناجر فليس بإيمان؛ لأن الإيمان هو الذي يباشر القلب مباشرة، فإذا رأيت من نفسك أن الإيمان لم يباشر قلبك فعليك باللجوء إلى الله عز وجل و اسأله وأنت ساجد في آخر الليل واسأله بين الأذان والإقامة؛ وفي أوقات الإجابة أن يمنَّ عليك بإيمان يباشر قلبك ويحيي به قلبك؛ لأن هذا هو الإيمان النافع.

لكن الإيمان الذي لا يتجاوز الحناجر كل يدركه حتى المنافقين كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ﴾ [المنافقون: ٤]، ولكن الإيمان الذي يباشر القلب ويصل إلى القلب حتى يكون بينه وبين الله صلة هذا هو الذي ينفع فإذا لم تجد نفسك على هذا الوجه فاتهمها، ومن الذي يهديك من ضلالك إلا الله عز وجل فارجع إلى الله ولا تيأس وتقول: دعوت دعوت فلم أجد إيمانًا ولا خشوعًا ولا يقينًا بل كرر السؤال لله؛ لأنه يحب الملحين في الدعاء، وربما يكون الله عز وجل قد منعك أول مرة لمصلحة حتى يعلم عز وجل صدقك في الطلب؛ لأن الصادق في الطلب يلح وإذا تأخر أَلَحَ وإذا تأخر أَلَحَ، وإذا علم الله عز وجل منك صدق نيتك فسيعطيك منالك؛ لأن الله أكرم منك فسأله والتجأ إليه واعترف به ربًّا ولا تُلْحِقْ نفسك اليأس أبدًا، وتقول: والله أنا دعوت لكن ما وجدت الإيمان - يشكو هذا كثير من الناس - وما باشر قلبي وما وجدت طعمه بل: الجأ إلى الله وأكثر من الذكر و الصلاة و من قراءة القرآن و من فعل الخير و الإحسان لإخوانك تجد هذا، أما كون الإنسان يريد أن يأتيه الشيء بدون تعب فهذا لا يمكن ولهذا يقول رَحِمَهُ اللهُ:

فَاعْلَمْ بِأَنَّ الْعَيْنَ قَدْ عَمِيَتْ فَنَّا شَدَّ رَبُّكَ الْمَعْرُوفَ بِالْإِحْسَانِ

قوله: (المعروف) صفة لرب وليست مفعول ناشد.

وَاسْأَلْهُ إِيمَانًا يَبَاشِرُ قَلْبَكَ أَلْ مَمْحُجُوبَ عَنْهُ لِيَنْتَظَرَ الْعَيْنَانَ

وَاسْأَلْهُ نُورًا هَادِيًا يَهْدِيكَ فِي طُرُقِ الْمَسِيرِ إِلَيْهِ كُلِّ أَوَانٍ

يعني: اسألوا الله عز وجل ولا تيأسوا من رحمة الله فإن الله عز وجل أكرم منا، فمن تقرب إليه شبرًا تقرب إليه ذراعًا، ومن تقرب إليه ذراعًا تقرب إليه باعًا، ومن أتاه يمشي أتاه هرولة، فهو أسرع إلى عبده من عبده إليه لكن المسألة تحتاج إلى مصابرة وإلى انتظار الفرج وإلى عدم اليأس من رحمة الله عز وجل.



* قوله رَحْمَتَهُ:

٥٦٥٤- وَاللَّهِ مَا خَوْفِي الذُّنُوبَ فَإِنَّهَا

لَعَلِّي طَرِيقِ الْعَفْوِ وَالْعُفْرَانِ

٥٦٥٥- لَكِنَّمَا أَخْشَى انْسِلَاخَ الْقَلْبِ مِنْ

تَحْكِيمِ هَذَا الْوَحْيِ وَالْقُرْآنِ

٥٦٥٦- وَرِضًا بِآرَاءِ الرِّجَالِ وَخَرْصِهَا

لَا كَأَنَّ ذَلِكَ بِمَنْتَةِ الرَّحْمَنِ

٥٦٥٧- فَبِأَيِّ وَجْهِ أَلْتَقِي رَبِّي إِذَا

أَعْرَضْتُ عَنْ ذَا الْوَحْيِ طُولَ زَمَانٍ

٥٦٥٨- وَعَزَلْتُهُ عَمَّا أُرِيدُ لِأَجْلِهِ

عَزَلًا حَقِيقِيًّا بِإِلَّا كِتْمَانٍ

٥٦٥٩- صَرَّخْتُ أَنَّ يَقِينَنَا لَا يَسْتَفَا

ذُبِهِ وَلَيْسَ لَدَيْهِ مِنْ إِتْقَانٍ

٥٦٦٠- أَوْلَيْتُهُ هَجْرًا وَتَأْوِيلًا وَتَحْ

رِيفًا وَتَقْوِيضًا بِإِلَّا بُرْهَانٍ

٥٦٦١- وَسَعَيْتَ جَهْدِي فِي عُقُوبَةِ مُمَسِّكٍ

بِعُرَاهُ لَا تَقْلِيدَ رَأْيِ فُلَانٍ^(١)

الشَّرْحُ

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

وَاللهُ مَا خَوْفِي الذُّنُوبَ فَإِنَّهَا لَعَلَى طَرِيقِ الْعَفْوِ وَالْغُفْرَانِ

يعني: الذنوب سهلة بالنسبة لما هو أعظم منها مما يذكره المؤلف؛ لأنها على طريق العفو والغفران من الله منة وتفضلاً ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿ [النساء: ٤٨]، فقد يمنُّ اللهُ عز وجل على الإنسان بكلمة واحدة من رضاه يبلغ بها رضاه؛ والحسنات يذهب السيئات، فامرأة دخلت الجنة وغُفِرَ لها حيث سقت كلبًا يلهث من العطش وهذا فعل يسير، فالذنوب في الحقيقة كما قال المؤلف على طريق العفو والغفران لكن الخوف الذي يخشى منه هو ارتفاع الإيمان من القلب هذا هو الذي يُخشى منه كثيرًا ويجب أن يكون الإنسان منه على حذر- أجازنا الله وإياكم من ذلك - هذا هو الذي يجب أن تحذره أن يرتفع الإيمان من قلبك فهذا هو الذي نسأل الله أن يبعده عنا وعنكم .

لَكِنَّمَا أَخْشَىٰ انْسِلَاحَ الْقَلْبِ مِنْ تَحْكِيمِ هَذَا الْوَحْيِ وَالْقُرْآنِ

وَرِضًا بِآرَاءِ الرِّجَالِ وَخَرِصَهَا لَا كَانَ ذَلِكَ بِمِثْلِ الرَّحْمَنِ

أي: هذا أيضًا مما يخشى منه خشية عظيمة؛ لأن الذي لا يحكم القرآن منسلخ خارج من الإيمان ولو صلَّى وصام وزكَّى وفعل كل الطاعات وهو لا يحكم القرآن فإنه كافر مرتد قال تعالى: ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ [المائدة: ٤٤]؛ ولهذا قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ :

(١) [٥٦٥٧ : ٥٦٦١] قال العلامة محمد خليل هراس:

يعرض المؤلف في هذه الأبيات الأولى بخصوصه الذين أعرضوا عن حكم الوحي ورضوا بالتقليد والتبعية الذليلة وعزلوا نصوص الوحي عما أريد بها من الإرشاد والبيان عزلاً حقيقياً صرحوا به بلا حياء ولا كتمان، وقالوا أنها ظواهر لفظية لا يُستفاد منها الإيقان، وهي خطايات لم تسم إلى درجة البرهان فأوسعوها هجراً وتعطيلاً، وساموها تحريفاً وتأويلًا، وتفويضًا وتجهيلًا بلا بينة ولا برهان، ولم يكتفوا بذلك الجرم الشنيع ولا بالجناية على النصوص، بل سعوا كذلك جهدهم في عقوبة أهلها المتمسكين بها الذين ربأوا بأنفسهم عن مهانة التقليد ولم يقبلوا - وقد خلقهم الله أحرارًا - أن يكونوا من جملة العبيد.

لَكِنَّمَا أَخْشَى انْسِلَاخَ الْقَلْبِ مِنْ تَحْكِيمِ هَذَا الْوَحْيِ وَالْقُرْآنِ

قوله (والقرآن) يحتمل أن يكون عطف مرادف على مرادفه كقول الشاعر:

فَأَلْفَى قَوْلَهَا كَذِبًا وَمِثْلًا

و يحتمل أن يريد بالوحي السنة؛ لأنها الوحي الثاني ويكون القرآن هو كلام الله عز وجل وأيهما أولى إذا دار الأمر بين كون الكلام مؤسسًا أو مؤكدًا؟ الأول؛ لأننا إذا حملناه على التأسيس لم يكن هناك تكرار وإذا حملناه على التوكيد صار هناك تكرار.

وَرِضًا بِآرَاءِ الرِّجَالِ وَخَزِصَهَا لَا كَانَ ذَلِكَ بِمِثَّةِ الرَّحْمَنِ

قد يقول قائل: إن الإنسان قد يُعرض عن تحكيم القرآن ولا يحكم آراء الرجال. فنقول: هذا محال لا بد للإنسان من أحد طريقين إما طريقين خيراً وإما طريق شر، كما قال تعالى: ﴿فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾ [يونس: ٣٢]، وجاء في الحديث «أَصْدَقُ الْأَسْمَاءِ حَارِثُ وَهَمَّامٌ»؛ لأن كل إنسان له همة وله عملٌ إذا أُعرض عن تحكيم القرآن لا بد أن يمشي على طريقٍ فإلى أين يذهب إذا ترك القرآن، إلى هوى نفسه أو إلى آراء غيره؟! وإذا نظرنا إلى بعض الحكام اليوم في الدول الإسلامية وجدنا أن هذا الوصف ينطبق عليهم تمامًا فقد أُعرضوا عن تحكيم القرآن وحكموا بآراء الرجال والرجال الذين حكموا بآرائهم كفار.

قد نقول: إن هذا الذي حكموا به في زمانهم ومكانهم وأمتهم مناسبًا لكن هل يبقى مناسبًا للأمم في كل زمان وفي كل مكان؟ أبدًا لا يمكن إلا كلام الله عز وجل وكلام رسوله، فهو صالح لكل زمان ومكان وأمة، لكن هذه القوانين المستوردة الشرق أو من الغرب كلها من وضع الرجال في وقت قد يكون مناسبًا وقد يكون غير مناسب فيكون مناسبًا إذا وضعها في زمانهم ومكانهم وأمتهم وقد يكون غير مناسب، لأنهم غير معصومين ولا مدركين لكل الأمور والمشاكل، ومع ذلك يأتي هؤلاء الجهال فيتلقفون هذه القوانين ويطبّقونها على شعب مسلم يتناقض غاية التناقض مع الأمم التي سُنت فيها هذه القوانين؛ وهذا من جهلهم، - نسأل الله أن يهديهم إلى صراطه المستقيم وأن يولي على المسلمين خيارهم.

كذلك أيضًا أهل الكلام في العقائد تركوا الكتاب والسنة وقالوا: إن اليقين لا يحصل بالقرآن ولا بالسنة، فمن أين نأخذ؟ لا بد لنا من عقيدة نأخذها من الفلاسفة ومنطق اليونان وآراء الرجال، أما القرآن فهو وإن كان يفيد اليقين في ثبوته فإنه لا يفيد اليقين في

دلالته - أعود بالله - يقول: القرآن ما عندنا إشكال في ثبوته ومتيقن ومتواتر غاية التواتر، لكن لا يفيد اليقين في دلالتة.

أما السنة قالوا: أولاً ننظر هل تفيد اليقين في ثبوتها أولاً ويقول: المتواتر يفيد اليقين، والآحاد اضربوا به عرض الحائط ولا تقبلوه في العقائد ثم أخبار الآحاد أيضاً متيقن الثبوت، لكن هل هو متيقن الدلالة - المتواتر متيقن الثبوت - لكن هل هو متيقن الدلالة؟ يقولون فيه مثل القرآن ليس متيقن الدلالة إذن لا يمكن أن يفيد القرآن ولا السنة فاليقين في جانب العقائد وتكون كل العقائد المبنية على القرآن والسنة مبنية على ظن فإلى أين نرجع إذا لم نستفد اليقين من الكتاب والسنة؟ إلى العقول المتناحرة المختلفة كل واحد منهم يضلل الآخر، بل الإنسان نفسه يتناقض في مؤلفاته في أول عمره وفي آخر عمره؛ فكما قال شيخ الإسلام في «الفتوى الحموية»: يا ليت شعري بأي شيء يوزن الكتاب والسنة بعقل زيد أو بعقل عبيد، وقال الإمام مالك: أفكلما جاءنا رجل أجدل من رجل تركنا الكتاب والسنة لقول هذا المجادل هل هذا لائق؟ لا إذن الذي يُخاف عليه كما قال المؤلف: (انسلاخ القلب من تحكيم هذا الوحي والقرآن)، (ورضى بآراء الرجال وخرصها). وقوله: (لا كان ذاك بمنة الرحمن) هذه الجملة دعائية يقول: أسأل الله أن لا يكون ذلك بمتته.

فَبِأَيِّ وَجْهِ أَلْتَقِيَ رَبِّي إِذَا
أَعْرَضْتُ عَنْ ذَا الْوَحْيِ طُولَ زَمَانٍ

يشير إلى أولئك الخلفاء الذين آذوا أهل السنة بالضرب والحبس والقتل إذا تمسكوا بالقرآن وتركوا آراء الرجال نسأل الله أن يهدينا وإياكم صراطه المستقيم، وأن يجعلنا وإياكم من الدعاة إلى الحق على بصيرة إنه جواد كريم.



* قوله رَحِمَهُ اللهُ:

٥٦٦٢- يَا مُعْرِضًا عَمَّا يَرَادُ بِهِ وَقَدْ

جَدَّ الْمَسِيرُ فَمُنْتَهَاهُ دَانٍ

٥٦٦٣- جَدَّلَانُ يَضْحَكُ أَمَّا مُتَبَخِّرًا

فَكَأَنَّهُ قَدْ نَالَ عَقْدَ أَمَانٍ

٥٦٦٤- خَلَعَ الشُّرُورُ عَلَيْهِ أَوْفَى حُلَّةٍ

- طَرَدَتْ جَمِيعَ الْهَمِّ وَالْأَحْزَانِ
 ٥٦٦٥- يَحْتَالُ فِي حُلْلِ الْمَسْرَةِ نَاسِيًا
 مَا بَعْدَهَا مِنْ حُلَّةِ الْأَكْفَانِ
- ٥٦٦٦- مَا سَعِيهِ إِلَّا لِطِيبِ الْعَيْشِ فِي
 دُنْيَا وَلَوْ أَفْضَى إِلَى التَّيْرَانِ
- ٥٦٦٧- قَدْ بَاعَ طِيبَ الْعَيْشِ فِي دَارِ
 مِمَّ بَدَا الْخُطَامُ الْمُضْمَجِلِ الْفَانِي
- ٥٦٦٨- إِنِّي أَظُنُّكَ لَا تُصَدِّقُ كَوْنَهُ
 بِالْقُرْبِ بَلْ ظَنَّ بِلَا إِيقَانِ
- ٥٦٦٩- بَلْ قَدْ سَمِعْتَ النَّاسَ قَالُوا جَنَّةً
 أَيُّضًا وَنَارًا بَلْ لَهُمْ قَوْلَانِ
- ٥٦٧٠- وَالْوَقْفُ مَذْهَبُكَ الَّذِي تَخْتَارُهُ
 وَإِذَا انْتَهَى الْإِيْمَانُ لِلرُّجْحَانِ
- ٥٦٧١- أَمْ تُؤْوِزُ الْأَذْنَى عَلَيْهِ وَقَالَتِ النَّفْسُ
 الَّتِي اشْتَغَلَتْ عَلَى الشَّيْطَانِ
- ٥٦٧٢- أَتَبِيعُ نَقْدًا حَاصِلًا بِنَسِيئَةٍ
 بَعْدَ الْمَمَاتِ وَطَيِّ ذِي الْأَكْوَانِ
- ٥٦٧٣- لَوْ أَنَّهُ بِنَسِيئَةِ الدُّنْيَا لَهَا
 نَ الْأَمْرُ لَكِنْ فِي مَعَادِ ثَانِ
- ٥٦٧٤- دَغَ مَا سَمِعْتَ النَّاسَ قَالُوهُ وَخَذُ
 مَا قَدْ رَأَيْتَ مُشَاهِدًا بَعِيَانِ
- ٥٦٧٥- وَاللَّهُ لَوْ جَالَسْتَ نَفْسَكَ خَالِيًا

وَبَحَثَهَا بَحْثًا بِلَا رَوْعَانِ

٥٦٧٦- لَرَأَيْتَ هَذَا كَامِنًا فِيهَا وَلَوْ

أَمِنْتَ لِأَلْفَتِهِ إِلَى الْأَذَانِ

٥٦٧٧- هَذَا هُوَ السِّرُّ الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ اخْرُ

تَارَتْ عَلَيْهِ الْعَاجِلُ الْمُتَدَانِي

٥٦٧٨- نَقَدْ قَدْ اشْتَدَّتْ إِلَيْهِ حَاجَةٌ

مِنْهَا وَلَمْ يَخْضَلْ لَهَا بِهِوَانِ

٥٦٧٩- أَتَبِعُهُ بِنَسِيئَةٍ فِي غَيْرِ هَذَا

ذِي الدَّارِ بَعْدَ قِيَامَةِ الْأُبْدَانِ

٥٦٨٠- هَذَا وَإِنْ جَزَمْتَ بِهَا قَطْعًا وَلَوْ

كُنْ حَظُّهَا فِي حَيْزِ الْإِمْكَانِ

٥٦٨١- مَا ذَاكَ قَطْعِيًّا لَهَا وَالْحَاصِلُ أَل

مَوْجُودٌ مَشْهُودٌ بِرَأْيِ عِيَانٍ^(١)

الشرح

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

يَا مُعْرِضًا عَمَّا يَرَادُ بِهِ وَقَدْ جَدَّ الْمَسِيرُ فَمُتَّهَاهُ ذَانِ

(١) [٥٦٧٨ : ٥٦٨١] قال العلامة محمد خليل هراس:

وهذا الذي تعلقه به النفس من باطل هذا العيش وغروره ومطالبتها إياه أن يحرص عليه وأن لا يضحى به في سبيل أجل غير مضمون ليس أمرًا فرضيًا تقديريًا، بل لو أنه خلا بنفسه وبحث أغوارها في غير مُحادثة لوجده مُستقرًا في أعماقها ولكنها تخفيه خوفًا من الاتهام بالإلحاد والزندقة، ولو أنها أمنت لتحدثت به في غير مواربة ولا خفاء، وهذا هو حقيقة السر الذي جعلها تختار هذا العاجل القريب على المؤمل البعيد، فهو متاع حاضر قد اشتدت رغبتها فيه وتعبت في تحصيله، فكيف تطيب أن تتبعه بنسيئة، لا في هذه الدنيا ولكن في دار أخرى لا تحيي إلا بعد فناء هذه الأجسام وقيامها من قبورها في نشأة أخرى. هذا ولو أنها جازمت بوجود هذا النعيم في العقبى لكنها لا تدري إن كانت ستكون من أهله أم لا؟، فنصيبتها منه غير مقطوع به، بل هو في حيز الإمكان، فكيف يُقاس عندها بالخاص بالوجود الذي تحسه وتراه.

قوله: (يا معرضًا) يخاطب أيُّ مُعرض، ولهذا صارت منصوبة؛ لأنها نكرة غير مقصودة، (عما يراد به) وما الذي يراد به؟ عبادة الله - عز وجل - التي غايتها الجزاء إن خيرًا فخير وإن شرًا فشر.

وقوله: (وقد جد المسير فمنتهاه دان) المسير الذي نسيره نحن إلى الآخرة جاد جدًا جدًا ليلاً ونهارًا يقظةً ومنامًا، وكل من سار على الدرب وصل لا سيما راحل لا يستريح في كل اللحظات وفي كل الساعات وفي كال الحالات؛ ولهذا قال: (فمنتهاه دان).
جَذْلَانُ يَضْحَكُ أَمِنَا مُتَبَحِّثِرًا فَكَأَنَّهُ قَدْ نَالَ عَقْدَ أَمَانٍ
قوله: (جذلان) أي شديد الفرح.

وكان الإنسان في هذه الدنيا لطول أمله قد نال عقد أمان أنه لن يرتحل عنها مع أن المنتهى قريب.

خَلَعَ الشُّرُورُ عَلَيْهِ أَوْقَى حُلَّةٍ طَرَدَتْ جَمِيعَ الْهَمِّ وَالْأَحْزَانِ
يعني: أنه مغتبط بالدنيا مسرور بها طردت عنه جميع الهموم والأحزان، لكنها في الحقيقة تطرد الهموم والأحزان في لحظة ثم تعود الأحزان، فهذه المسرات هي كالدواء المهدئ إذا انتهى مفعوله يعود الألم أشد، ولهذا قال الشاعر وهو صادق:

لَا طِيبَ لِلْعَيْشِ مَا دَامَتْ مُنْعَصَةً لِدَائِهِ بِإِكْرَارِ الْمَوْتِ وَالْهَرَمِ
المنتهى: إما موت عاجل أو هرم يصل الإنسان به إلى حالة الطفولة ويملئه حتى أهله وأشفق الناس عليه يملونه؛ الطفل يُحْنُّ عليه ويحمل باليدين وعلى الأكتاف، والهرم يلقى في الأرض كأنه ثوب خلق لا يهتمون به ولا يأملون له بشيء ولا يرجونه يقول:

يَحْتَالُ فِي حُلِّ الْمَسْرَةِ نَائِسًا مَا بَعْدَهَا مِنْ حُلَّةِ الْأَكْفَانِ
يعني: أنت الآن عليك ثياب نظيفة وجميلة وحسنة بهية والواجب أن تتذكر حلل الأكفان حينما تُدرج بثلاث لفائف ليس فيها أكمام وليس فيها جيب فيه نفقة وليس فيها حُلِي ولا شيء من الدنيا.

مَا سَعِيَ إِلَّا لِطِيبِ الْعَيْشِ فِي الدُّنْيَا وَلَوْ أَفْضَى إِلَى النَّيْرَانِ
أعوذ بالله يقول: أنا أعيش في الدنيا بسرور والآخرة ولو بالنار وهذه حال كثير من الناس - نسأل الله العافية -.

قَدْ بَاعَ طَيْبَ الْعَيْشِ فِي دَارِ النَّعِيِّ سِمَ بَدَا الْحَطَامِ الْمُضْمَجَلِ الْفَنَائِي

والبيعة خاسرة أو رابحة؟ خاسرة غاية الخسران، فهو خسر الدنيا والآخرة فهذا المسكين لم ينتفع ببقائه في الدنيا ولم ينتفع بالآخرة في الآخرة.

إِنِّي أَظُنُّكَ لَا تُصَدِّقُ كَوْنَهُ بِالْقُرْبِ بَلْ ظَنَّ بِلَا إِيقَانِ

يعني: كأنه يخاطب نفسه يقول: لا، أظنك لا تصدق كونه بالقرب بل ظن بلا إيقان تظن ظن تشكك في اليوم الآخر وليس عندك إيمان ولا يقين.

بَلْ قَدْ سَمِعْتَ النَّاسَ قَالُوا جَنَّةً أَيْضًا وَنَارًا بَلْ لَهُمْ قَوْلَانِ

هكذا تقول: الناس لهم قولان في الجنة والنار، هل هي موجودة أو غير موجودة؟ حكى الله عن الكفار: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا﴾ [التغابن: ٧]، فالكفار يقولون: ما يوجد بعث ولا جنة ولا نار والمؤمنون يقولون: هناك جنة ونار، فالتناس الآن لهم قولان في المسألة فما مذهبك أنت؟ قال:

وَالْوَقْفُ مَذْهَبُكَ الَّذِي تَحْتَارُهُ وَإِذَا انْتَهَى الْإِيمَانُ لِلرُّجْحَانِ

يعني: مذهبك إذا رأيت خلاف الناس توقفت حتى وإذا انتهى الإيمان للرجحان لو كان الذي عندك الراجح هو الإيمان فبقي متوقفاً، والنفس لا شك الأمانة بالسوء، والشيطان لا شك أنه يأتي بمثل هذه الوسوس للإنسان - نعوذ بالله منها-

أَمْ تُؤَثِّرُ الْأَذَى عَلَيْهِ وَقَالَتِ النَّفْسُ نَفْسُ الَّتِي اشْتَغَلَتْ عَلَى الشَّيْطَانِ

أَتَبِيحُ نَقْدًا حَاصِلًا بِنَسِيئَةٍ بَعْدَ الْمَمَاتِ وَطَيَّ ذِي الْأَكْوَانِ

أيها أولى البيع بالنقد أم المؤجل؟ بالنقد فبالنقد أولى، لأن الناس تقول أنت الآن عندك نقد وهذا سرور في الدنيا امرح وافرح واسرح؛ لأن الذي في الآخرة مؤجل نسيئة، وإذا كان في شك منه قد يوفى وقد لا يوفى على زعمهم.

لَوْ أَنَّهُ بِنَسِيئَةِ الدُّنْيَا لَهَا نَ الْأَمْرُ لَكِنْ فِي مَعَادِ ثَانِ

يعني: النفس تقول: لو أنه نسيئة في الدنيا كانت المسألة هينة؛ لأن النسيئة في الدنيا تحييء عند حلول الأجل لكن هذه النسيئة تحييء يوم القيامة هكذا تقول النفس.

دَعَّ مَا سَمِعْتَ النَّاسَ قَالُوهُ وَخُذْ مَا قَدْ رَأَيْتَ مُشَاهِدًا بِيَعَانِ

قوله: (دع ما سمعت الناس قالوه) ماذا يريد به؟ النار والجنة هو الجزاء.

وَاللّٰهُ لَوْ جَالَسَتْ نَفْسَكَ خَالِيًا
لَرَأَيْتَ هَذَا كَامِنًا فِيهَا وَلَوْ
وَبَحِثْتَهَا بِحُثًا بِلا رَوْعَانِ
أَمِنْتَ لِأَلْقَتْهُ إِلَى الْأَذَانِ

يعني: لو أنك خلوت بنفسك وتجردت عن الشرع وعن دليل القرآن والسنة لرأيت الكامن في نفسك هو أن تؤثر الدنيا على الآخرة وأن تبقى في شك من الآخرة، والمراد النفس الأمارة بالسوء، أما النفس ذات العقل والإيمان فلا تقل هذا القول.

هَذَا هُوَ السُّرُّ الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ اخْرُ
نَقْدٌ قَدْ اشْتَدَّتْ إِلَيْهِ حَاجَةٌ
سَارَتْ عَلَيْهِ الْعَاجِلُ الْمُتَدَانِ
مِنْهَا وَلَمْ يَخْضُلْ لَهَا بِهَوَانِ
يعني: المحصول عليه شيء هين فهي أدركته بمشقة فأثرته على الآخرة.



* قوله رَحِمَهُ اللهُ:

٥٦٨٢- فَتَأَلَّفْتُ مِنْ بَيْنِ شَهْوَتِهَا وَشُبِّ

— هَتُّهَا قِيَاسَاتٍ مِنَ الْبُطْلَانِ

٥٦٨٣- وَاشْتَنَجَدْتُ مِنْهَا رِضًا بِالْعَاجِلِ الْ

أَذْنَى عَلَى الْمَوْعُودِ بَعْدَ زَمَانِ

٥٦٨٤- وَأَتَى مِنَ التَّأْوِيلِ كُلِّ مُلَائِمِ

لِمُرَادِهَا يَا رِقَّةَ الْإِيْمَانِ

٥٦٨٥- وَصَعْتُ إِلَى شُبُهَاتِ أَهْلِ الشِّرْكِ وَالْث

تَغْطِيلِ مَعَ نَقْصِ مِنَ الْعِرْفَانِ

٥٦٨٦- وَاشْتَنَقَصْتُ أَهْلَ الْهُدَى وَرَأَيْتُهُمْ

فِي النَّاسِ كَالْعُرَبَاءِ فِي الْبُلْدَانِ

٥٦٨٧- وَرَأَتْ عُقُولَ النَّاسِ دَائِرَةً عَلَى

جَمْعِ الْخَطَامِ وَخِدْمَةِ السُّلْطَانِ

- ٥٦٨٨- وَعَلَى الْمَلِيحَةِ وَالْمَلِيحِ وَعِشْرَةَ الْ
أَحْبَابِ وَالْأَصْحَابِ وَالْإِخْوَانَ
- ٥٦٨٩- فَاسْتَوْعَرْتُ تَرْكَ الْجَمِيعِ وَلَمْ تَجِدْ
عَوَضًا تَلْدُ بِهِ مِنَ الْإِحْسَانِ
- ٥٦٩٠- فَالْقَلْبُ لَيْسَ يَقْرَأُ إِلَّا فِي إِنَا
ءٍ فَهُوَ دُونَ الْجِسْمِ ذُو جَوْلَانِ
- ٥٦٩١- يَبْغِي لَهُ سَكَنًا يَلْدُ بِقُرْبِهِ
فَتَرَاهُ شَبَهَ الْوَالِدِ الْخَيْرَانِ
- ٥٦٩٢- فَيَجِبُ هَذَا ثُمَّ يَهْوَى غَيْرَهُ
فَيَظَلُّ مُنْتَقِلًا مَدَى الْأَزْمَانِ
- ٥٦٩٣- لَوْ نَالَ كُلَّ مَلِيحَةٍ وَرِيَاسَةٍ
لَمْ يَطْمَئِنَّ وَكَانَ ذَا دَوْرَانِ
- ٥٦٩٤- بَلْ لَوْ يِنَالُ بِأَسْرِهَا الدُّنْيَا لَمَّا
قَرَّتْ بِمَا قَدْ نَالَهُ الْعَيْنَانِ
- ٥٦٩٥- نَقِلُ فُوَادَكَ حَيْثُ شِئْتَ مِنَ الْهَوَى
وَاخْتَرِ لِنَفْسِكَ أَحْسَنَ الْإِنْسَانِ
- ٥٦٩٦- فَالْقَلْبُ مُضْطَرٌّ إِلَى مَحْبُوبِهِ الْ
أَعْلَى فَلَا يَغْنِيهِ حُبُّ ثَانِ
- ٥٦٩٧- وَصَالِحُهُ وَفَلَّاحُهُ وَنَعِيمُهُ
تَجْرِيْدُهُ هَذَا الْحُبِّ لِلرَّحْمَنِ
- ٥٦٩٨- فَإِذَا تَخَلَّى مِنْهُ أَضْبَحَ حَائِرًا
وَيَعُودُ فِي ذَا الْكَوْنِ ذَا هَيْمَانَ

الشَّرْحُ

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

ما قاله المؤلف فيمن تعلق قلبه بغير الله فإنه لن يستقر أبداً صحيح يقول رَحِمَهُ اللهُ:

فَتَأَلَّفْتُ مِنْ بَيْنِ شَهْوَتَيْهَا وَشُبِّهِ هَتَّهَا قِيَاسَاتٍ مِنَ الْبُطْلَانِ

قوله: (ما بين شهوتها) أي: هواها، (وشبهتها) أي: جهلها يعني تولد من هوى النفس وجهلها قياسات من البطلان، يعني: أقيسة باطلة في أن هذا هو الأولى وهذا هو الأولى، كما فضلت الدنيا على الآخرة.

وَاسْتَنْجَدْتُ مِنْهَا رِضًا بِالْعَاجِلِ الْ أَدْنَى عَلَى الْمَوْعُودِ بَعْدَ زَمَانٍ

العاجل الأدنى هو الدنيا والموعود بعد الزمان الآخرة.

وَأَتَى مِنَ التَّأْوِيلِ كُلِّ مُلَائِمٍ لِمُرَادِهَا يَارِقَّةَ الْإِيْمَانِ

يعني: أنها اتبعت كل ما يلائمها بسبب ما عندها من هذه التأويلات والأقيسة الفاسدة ونسيت الآخرة.

وَصَعَتْ إِلَى شُبُهَاتِ أَهْلِ الشَّرْكِ تَعْطِيلٍ مَعَ نَقْصٍ مِنَ الْعِرْفَانِ

وَاسْتَنْقَصَتْ أَهْلَ الْهُدَى وَرَأَيْتُهُمْ فِي النَّاسِ كَالْعُرْبَاءِ فِي الْبُلْدَانِ

هذا هو الواقع على كثير من الناس اليوم، يستنقصون أهل الخير وأهل الهدى وأهل الحق ويقولون: هذا غريب ما يعرف الناس ولا يعرف أحوالهم وهذا أبله وهذا درويش وما أشبه ذلك.

وَرَأَتْ عُقُولَ النَّاسِ دَائِرَةً عَلَى جَمْعِ الْخَطَامِ وَخِدْمَةِ السُّلْطَانِ

قوله: (جمع الخطام) يعني: الدنيا (وخدمة السلطان) أي: أن يكونوا حوله؛ لأنهم يزعمون أنهم إذا كانوا حوله فإنهم ينالون بذلك شرفاً وعلواً.

وَعَلَى الْمَلِيحَةِ وَالْمَلِيحِ وَعِشْرَةَ الْأَحْبَابِ وَالْأَصْحَابِ وَالْإِخْوَانَ

المليحة من النساء يعني: التي يهواها الرجل، والمليح من الرجال: الذي تهواه النساء يعني: النساء ليس لهن همٌ إلا بطلب المليح، والرجال ليس لهم همٌ إلا بطلب المليحة من النساء.

وقوله: (وعشرة الأحباب والأصحاب والإخوان) يعني: ما يُستأنس به من الأصحاب

والخلان.

فَاسْتَوْعَرْتَ تَرْكَ الْجَمِيعِ وَلَمْ تَجِدْ عَوْضًا تَلْدُ بِهِ مِنَ الْإِحْسَانِ
يعني: رأيت أن هجر الجميع صعباً؛ لأنها لم تجد بدله عوضاً ولو وجدت بعده بدله
عوضاً وهو الاقتصار على محبة الله عز وجل واللجوء إليه ورجائه والخوف من عقابه ما
همها كل هذا.

فَالْقَلْبُ لَيْسَ يَقْرُ إِلَّا فِي إِنَاءٍ ۚ فَهُوَ دُونَ الْجِسْمِ ذُو جَوْلَانٍ
قوله: (فالقلب ليس يقر إلا في إناء) هذه: حكمة عظيمة فإن القلب لا يقر إلا في إناء
لكن ما هذا الإناء الذي يقر فيه؟ قد يكون إناء خير وقد يكون إناء شر لكن (فهو دون
الجسم ذو جولان) وهذا مطابق للواقع فنحن الآن جالسون هنا وقلوب بعضنا تجول
يميناً وشمالاً فالقلب يتجول والبدن في مكان، واحد ولهذا يقول: (فهو دون الجسم ذو
جولان).

يَنْبَغِي لَهُ سَكَنًا يَلْدُ بِقُرْبِ الْوَالِهِ هُوَ الْمَتَحِيرُ ، وَالْحَيْرَانُ تَوَكِيدُ .
فَقَرَاهُ شِبْهَ الْوَالِيهِ الْحَيْرَانِ

فِيحِبُّ هَذَا ثُمَّ يَهْوَى غَيْرَهُ
فِيظَلُّ مُنْتَقِلًا مَدَى الْأَزْمَانِ
ثم ضرب مثلاً قال:

لَوْ نَالَ كُلَّ مَلِيحَةٍ وَرِيَاسَةٍ لَمْ يَطْمَئِنَّ وَكَانَ ذَا دَوْرَانٍ
يعني: لو نال كل مليحة وكل رئاسة تمني أحسن من هذه المليحة، وأوسع من
الرئاسة، قال أنا مثلاً أمير على هذه القطعة من الأرض فيا ليت لي مثلها.
وعنده امرأة مليحة قال ليتني عندي امرأة أجمل من هذه ، لأن التي عندي كبيرة في
السن وهي تجعد شعرها وتعطف وجهها وأريد شابة مع أنها كانت في بداية حياتها معه
شابة قد أرضته لكن تغيرت الحال فهو يطلب الأحسن منها .

بَلْ لَوْ يَنَالُ بِأَسْرِهَا الدُّنْيَا لَمَا قَرَّتْ بِمَا قَد نَالَهُ الْعَيْنَانِ
يعني: لو يُعطى الدنيا كلها لا بتغى دنيا أعظم منها فهو لا يستقر، لكن ما الذي يستقر
فيه القلب؟ قال:

نَقَلَ فُوَادَكَ حَيْثُ شِئْتَ مِنَ الْهَوَىٰ وَاخْتَرْتَ لِنَفْسِكَ أَحْسَنَ الْإِنْسَانِ

يعني: أن تكون أحسن بنى آدم .

فَالْقَلْبُ مُضْطَرٌّ إِلَىٰ مَحْبُوبِهِ الْـ

أَعْلَىٰ فَلَا يَغْنِيهِ حُبُّ ثَانِ

المحبوب الأعلى هو الله جل وعلا - نسأل الله أن يجعلنا وإياكم ممن ملأ قلبه محبة الله - .

وَصَلَاخُهُ وَفَلَاخُهُ وَنَعِيمُهُ

تَجْرِيدُ هَذَا الْحُبِّ لِلرَّحْمَنِ

يعني: الذي يريد الفلاح والسعادة والهناء والراحة فليجرد حبه لله ليستريح ويطمئن؛ لأنه لا يهيمه أحد، ويجب الغير لله، وفي الله ولا يحبه مع الله بحيث تراحم محبته لهذا المخلوق محبة الله وهذا يعتبر نوعاً من الشرك قال تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ﴾ [البقرة: ١٦٥] يوجد بعض النساء - كما نسمع من الأسئلة - تحب زوجها حباً شديداً حتى إنها أحيانا تبوح بها في قلبها و تقول: أنت عندي أحب من كل شيء حتى من الله - أعود بالله ؛ لأن القلب - والعياذ بالله - إذا امتلأ بحب المخلوق، فنسي كل شيء لكن إذا امتلأ بحب الله ذكر الله في كل شيء وعلى أية حالة وصار يسير على هدى من الله ونور فلا يجب إلا لله ولا يكره إلا لله ولا يوالي إلا لله ولا يعادي إلا لله ولهذا أنا أدعو نفسي وإياكم إلى إخلاص المحبة لله عز وجل فاجعلوا ربكم أحب شيء إليكم حتى تحبوا من يحبه الله وتكرهوا من يكرهه الله وتستريحوا، أما المحبة المبنية على الدنيا أو على ما في الدنيا فهي في الحقيقة مُتعبَة، كما قال بعضهم: الحب عذاب إلا من الله - عز وجل - فإن محبته راحة القلب وسكون القلب؛ ولهذا يقول :

فَالْقَلْبُ مُضْطَرٌّ إِلَىٰ مَحْبُوبِهِ الْـ

أَعْلَىٰ فَلَا يَغْنِيهِ حُبُّ ثَانِ

وَصَلَاخُهُ وَفَلَاخُهُ وَنَعِيمُهُ

تَجْرِيدُ هَذَا الْحُبِّ لِلرَّحْمَنِ

و ليس معنى ذلك أنك لا تحب أحداً إذا أحببت الله - عز وجل - فبالضرورة إذا أحببت الله سوف تحب من يحبه الله ولهذا جاء في الحديث «رَجُلَانِ تَحَابَبَا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ» وهذا ضرورة أن تحب من يحبه الله ؛ لكن محبتك لمن يحبه الله تابعة لمحبة الله وحينئذ لا يمكن أن تراحمها بل هي فرع عنها؛ ولهذا تجدك تحب هذا المرء ما دام أهلاً للحب في الله فإذا انحرف - والعياذ بالله - فإنك ستكرهه ولا تحبه ولا بد، أن تكرهه إذن املاً قلبك بمحبة الله تسترح حتى أقوالك وأفعالك ومشيك ومجيئك وعودك ونومك كله نافعا لك؛ لأنك ستستحضر أنك تفعله لله - عز وجل - يقول :

فَإِذَا تَخَلَّى مِنْهُ أَضْبَحَ حَائِرًا وَيَعُودُ فِي ذَا الْكُونِ ذَا هَيْمَانَ

أي: إذا خلى من حب الرحمن - عز وجل، صار حائرًا هائمًا مرة هنا ومرة هنا ومرة هنا فعلينا بتجريد المحبة لله ومع ذلك أيضًا التعظيم لله - عز وجل -؛ لأن بالمحبة يكون فعل الطاعة، وبالتعظيم يكون ترك المعصية؛ لأنك إذا علمت عظمة الرب - عز وجل - هبتة وخفت من معصيته، وإذا أحببته رغبت فيه وطلبتَه، ولهذا لا يمكن أن تتم العبادة إلا على هذين الأساسين: المحبة والتعظيم، ولا تقبل ولا تصح إلا بشرطين أساسيين أيضًا وهما: الإخلاص والمتابعة للرسول ﷺ، فهناك مبنى أصل وهناك مصحح. أما المبنى الأصل فهو: الحب والتعظيم فبالحب تكون الطاعة وفعل الأوامر طلبًا لهذا المحبوب، ولو قال لك من تحب من البشر افعل كذا وكذا فعلى قدر محبتك يكون امتثالك وطاعتك، إذا كنت تحبه لو دعاك بالليلة الظلماء أجبته ولو يقول: نم فوق السطح في الليلة الباردة نمت؛ لأنك تحبه وتطلب الوصول إليه ورضاه، لكن إذا لم يكن في قلبك تعظيم له لا يهمنك أن تعصيه؛ لأنك آمن أما إذا كانت محبة وتعظيم فإنك لن تعود عاصيًا له، ولهذا لا تقوم عبادة الله - عز وجل - إلا على هذين الأساسين أما المصحح فهو: الإخلاص والمتابعة الإخلاص لله والمتابعة لشرعه - عز وجل -.

و في الحقيقة هذه جواهر قد تعدل كل النونية في كل ما مر علينا من خلافات المعطلة والمعتزلة وغيرهم ويضاف إليها ذكره ما أعد الله من الكرامة لأهل الجنة وهذه أبيات عظيمة تنفعك في السير إلى الله - عز وجل - نسأل الله أن يلهمنا وإياكم الرشاد والسداد .



فصل

في زهد أهل العلم والإيمان وإيثارهم
الذهب الباقي على الخرف الفاني

٥٦٩٩- لَكِنَّ ذَا الْإِيْمَانِ يَعْلَمُ أَنَّ هَـ

ذَا كَالظَّلَالِ وَكُلُّ هَذَا فَاِنْ

٥٧٠٠- كَخِيَالِ طَيْفٍ مَا اسْتَتَمَّ زِيَارَةَ

إِلَّا وَفَجْرُ رَحِيلِهِ بِأَذَانِ

٥٧٠١- وَسَحَابَةٍ طَلَعَتْ يَوْمَ صَائِفِ

فَالظِّلُّ مَنْسُوخٌ بِضَرْبِ زَمَانِ

٥٧٠٢- وَكَزْهَرَةٍ وَافَى الرَّيِّعُ بِحُسْنِهَا

زَالَا مَعًا فَكِلَاهُمَا أَخْوَانِ

٥٧٠٣- أَوْ كَالسَّرَابِ يُلُوحُ لِلظَّمْآنِ فِي

وَسَطِ الْهَجِيرِ بِمُسْتَوَى الْقِيَعَانِ

٥٧٠٤- أَوْ كَالْأَمَانِيِّ طَابَ مِنْهَا ذِكْرُهَا

بِالْقَوْلِ وَاسْتِحْضَارِهَا بِجَنَانِ

٥٧٠٥- وَهِيَ الْغُرُورُ رُغُوشُ أَمْوَالِ الْمَفَا

لَيْسِ الْأَلَى اتَّجَرُوا بِبَلَاءِ أَثْمَانِ

٥٧٠٦- أَوْ كَالطَّعَامِ يَلْدُ عِنْدَ مَسَاغِهِ

لَكِنَّ عُقْبَاهُ كَمَا تَجِدَانِ

٥٧٠٧- هَذَا هُوَ الْمَثَلُ الَّذِي ضَرَبَ الرَّسُو

لُ لَهَا وَذَا فِي غَايَةِ التَّبَيُّانِ
الشَّرْحُ

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

قوله: (فصل في زهد أهل العلم والإيمان، وإيثارهم الذهب الباقي على خزف فان) هناك زهد وورع والفرق بينهما أن الزهد ترك ما لا ينفع في الآخرة، والورع ترك ما يضر في الآخرة، والواسطة بينهما ما لا نفع فيه ولا ضرر، فالزاهد يتركه والورع لا يتركه هذا هو الفرق بينهما.

وأما قوله خزف وذهب فالفرق بينهما أن الخزف من الطين المشوي والذهب معروف .
لَكِنَّ ذَا الْإِيْمَانِ يَعْلَمُ أَنَّ هَذَا كَالظَّلَالِ وَكُلُّ هَذَا فَإِنْ

يعني: أصحاب الإيمان يعلمون أن ما ذكر من وصف الدنيا كالظلال ونحن نعلم جميعاً أن الظل يزول كلما ارتفعت الشمس زال حتى ينمحي.

كَخَيَالِ طَيْفٍ مَا اسْتَمَّتْ زِيَارَةٌ إِلَّا فَجَزُرَ رَحِيلُهُ بِأَذَانِ

خيال الطيف يعني: أن الإنسان تخيل طائفاً به أو أن طائفاً طاف به ثم في مدة يسيرة صار صبحه.

وقوله: (صبح رحيله بأذان) أي: بإعلان حيث قيل له ارحل .

وَسَحَابَةٌ طَلَعَتْ يَوْمَ صَائِفٍ فَالظِّلُّ مُنْسُوخٌ بِقُرْبِ زَمَانِ

سحابة الصيف المعروف أنها سريعة الجري، وأن ظلها مع حرارة الشمس مفيد جداً لكن سحابة الشتاء لا يُستفاد من ظلها كثيراً؛ لأنه قد يكون الصحو أفضل من ظلها لكن سحابة الصيف جميلة وهي أيضاً تزول سريعاً هكذا الدنيا كذلك كما جاء وصفها .

وَكَرْهَرَةٍ وَافْسَى الرَّبِيعِ بِحُسْنِهَا زَالاً مَعَا فِكْلَاهُمَا أَخْوَانِ

زهرة في الربيع تكون حسنة مفتحة رطبة لكن إذا جاء الصيف زالت كلها كذلك تكون لامعة ثم بعد ذلك تذبل وتزول .

أَوْ كَالسَّرَابِ يُلُوحُ لِلظُّمَأَنِ فِي وَسْطِ الْهَجِيرِ بِمُسْتَوَى الْقَيْعَانِ

يعني: إذا كنت في قاع واسع تظن أن هذا القاع ماء قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلُوهُمْ كَسْرَابٍ بِقَيْعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا ﴾ [النور: ٣٩] وإذا خرجت في أيام الصيف وجاء الهجير - وهو وسط النهار - ورأيت القيعان تظن أنها ماء وليست كذلك فإذا

كان الإنسان في حرارة الشمس وفي الكبد وفي العطش الشديد تجده يفر من هنا ومن هنا
لهذه القيعان يظن أنها ماء فإذا هي ليست بشيء هكذا الدنيا وغرورها .

أَوْ كَالْأَمَانِيِّ طَابَ مِنْهَا ذِكْرُهَا بِالْقَوْلِ وَاسْتَحْضَارِهَا بِجَنَانِ

أي: بالقلب والأمني التمني، فالإنسان يفكر أحيانًا و يقول: سأفعل سأكون كذا
سأنجح ثم أصل المرتبة العاشرة ثم بعد ذلك أصير وزيرًا إلى آخره .

ويجوز بالرفع ويجوز بالجر (بجنان) أي: بالقلب .

وَهِيَ الْعُرُورُ رُءُوسُ أَمْوَالِ الْمَفَا لَيْسَ الْأَلَى اتَجَرُوا بِأَلَا أْتَمَانَ

هذا المثل معروف عندنا وكان أيضًا في زمن المؤلف فعندنا مثلاً نقول: التمني رأس مال
المفالس.

أَوْ كَالطَّعَامِ يَلْدُ عِنْدَ مَسَاغِهِ لَكِنَّ عُقْبَاهُ كَمَا تَجِدَانِ

يعني: عقباه وخيمة فالإنسان يأكل طعامًا لذيذًا فتجده يملأ بطنه منه ثم يعود هذا
الطعام إلى تُّخمة وأذى وربما إلى ضرر لكنه عند أكله كان يتلذذ به .

هَذَا هُوَ الْمَثَلُ الَّذِي ضَرَبَ الرَّسُو لُ لَهَا وَذَا فِي غَايَةِ التَّبْيَانِ

قوله: (هذا هو المثل) يحتمل أن المراد به آخر مثل فتكون الإشارة تعود إلى أقرب مذكور
كالضمير يعود إلى أقرب مذكور، ويحتمل أن يكون المراد من هذا جنس الأمثال السابقة،
يعني: هذه الأمثال ضربها الرسول عليه الصلاة والسلام لهذه الدنيا .



* قَوْلُهُ رَحِمَهُ:

٥٧٠٨ - وَإِذَا أَرَدْتَ تَرَى حَقِيقَتَهَا فَخُذْ

مِنْهُ مِثَالًا وَاجِدًا ذَا شَانِ

٥٧٠٩ - أَدْخِلْ بِجَهْدِكَ أَضْبُعًا فِي الْيَمِّ وَإِنْ

ظُنَّ مَا تَعَلَّقَهُ إِذَا بَعِيَانِ

٥٧١٠ - هَذَا هُوَ الدُّنْيَا كَذَا قَالَ الرَّسُو

لُ مُمْتَلًا وَالْحَقُّ ذُو تَبْيَانِ



- ٥٧١١- وَكَذَلِكَ مَثَلَهَا بِظِلِّ الدَّوْحِ فِي
وَقْتِ الحَرُورِ لِقَائِلِ الرُّكْبَانِ
- ٥٧١٢- هَذَا وَلَوْ عَدَلَتْ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ
عِنْدَ الإلَهِ الحَقِّ فِي المِيزَانِ
- ٥٧١٣- لَمْ يَسْقِ مِنْهَا كَافِرًا مِنْ شَرِبَةٍ
مَاءٍ وَكَانَ أَحَقُّ بِالحِزْمَانِ
- ٥٧١٤- تَاللهِ مَا عَقَلَ امْرُؤٌ قَدْ بَاعَ مَا
يَبْقَى بِمَا هُوَ مُضْمَجِلٌّ فَإِنِ
- ٥٧١٥- هَذَا وَتُفْتِي ثُمَّ تَقْضِي حَاكِمًا
بِالحِجْرِ مِنْ سَفَهٍ لَذَا الإِنْسَانِ
- ٥٧١٦- إِذْ بَاعَ شَيْئًا قَدْرُهُ فَوْقَ الَّذِي
يَعْتَاضُهُ مِنْ هَذِهِ الأَثْمَانِ
- ٥٧١٧- فَمَنْ السَّفِيهُ حَقِيقَةً إِنْ كُنْتَ ذَا
عَقْلٍ وَأَيْنَ العَقْلِ لِلسُّكْرَانِ!
- ٥٧١٨- وَاللهِ لَوْ أَنَّ القُلُوبَ شَهِدَتْ مِنْهُ
نَاكَانَ شَأْنٌ غَيْرُ هَذَا الشَّانِ
- ٥٧١٩- نَفْسٌ مِنَ الأنْفَاسِ هَذَا العَيْشُ إِنْ
قَسَنَاهُ بِالعَيْشِ الطَّوِيلِ الثَّانِي
- ٥٧٢٠- يَا حِسَّةَ الشُّرَكَاءِ مَعَ عَدَمِ الوَفَا
ءِ وَطَوِيلِ جَفَوَاتِهَا مَعَ الحِزْمَانِ
- ٥٧٢١- هَلْ فِيكَ مُعْتَبِرٌ فَيَسْأَلُو عَاشِقُ
بِمَصَارِعِ العُشَّاقِ كُلِّ زَمَانِ

٥٧٢٢- لَكُنْ عَلَى تَلْكَ الْعُيُونِ غِشَاوَةٌ

وَعَلَى الْقُلُوبِ أَكِنَّةُ النَّسِيَانِ

٥٧٢٣- وَأَخُو الْبَصَائِرِ حَاضِرٌ مُتَقَيِّظٌ

مُتَقَرِّدٌ عَنِ زُمْرَةِ الْعُمِيَانِ

٥٧٢٤- يَسْمُو إِلَى ذَاكَ الرَّفِيقِ الْأَرْفَعِ أَلْ

أَعْلَى وَخَلَى اللَّغَبَ لِلصَّبِيَانِ

٥٧٢٥- وَالنَّاسُ كُلُّهُمْ فَصِيَانٌ وَإِنْ

بَلَّغُوا سِوَى الْأَفْرَادِ وَالْوَحْدَانِ

٥٧٢٦- وَإِذَا رَأَى مَا يَشْتَهِيهِ قَالَ مَوْ

عِدْكَ الْجَنَانَ وَجَدَّ فِي الْأَثْمَانِ

٥٧٢٧- وَإِذَا رَأَى مَا تَشْتَهِيهِ نَفْسُهُ

قَالَ انظُرِي عُقْبَاهُ بَعْدَ زَمَانِ

٥٧٢٨- وَإِذَا أَبَتْ إِلَّا الْجَمَاحَ أَعَاضَهَا

بِالْعِلْمِ بَعْدَ حَقَائِقِ الْإِيْمَانِ

٥٧٢٩- وَيَرَى مِنَ الْخُسْرَانِ بَيْعَ الدَّائِمِ أَلْ

بِاقِي بِهِ يَا ذَلَّةَ الْخُسْرَانِ

٥٧٣٠- وَيَرَى مَصَارِعَ أَهْلِهِ مِنْ حَوْلِهِ

وَقُلُوبُهُمْ كَمَرَاجِلِ التَّيْرَانِ

٥٧٣١- حَسْرَاتُهَا هُنَّ الْوُقُودُ فَإِنْ خَبَتْ

زَادَتْ سَاعِيْرًا بِالْوُقُودِ الثَّانِي

٥٧٣٢- جَاءُوا فُرَادَى مِثْلَ مَا خَلِقُوا بِأَلْ

مَالٍ وَلَا أَهْلٍ وَلَا إِخْوَانِ

٥٧٣٣- مَا مَعَهُمْ شَيْءٌ سِوَى الْأَعْمَالِ فَهْوَ

سِي مَتَّاجِرٌ لِلنَّارِ أَوْ لِجَنَانِ

٥٧٣٤- تَسْعَى بِهِمْ أَعْمَالُهُمْ سَوْقًا إِلَى الدُّ

دَارِينَ سَوْقَ الْخَيْلِ بِالرُّكْبَانِ

٥٧٣٥- صَبَرُوا قَلِيلًا فَاسْتَرَأَوْا دَائِمًا

يَا عِرَّةَ التُّوفِيقِ لِلْإِنْسَانِ

٥٧٣٦- حَمَدُوا التَّقَى عِنْدَ الْمَمَاتِ كَذَا الشَّرَى

عِنْدَ الصُّبْحِ فَحَبَّبْنَا الْحَمْدَانَ

٥٧٣٧- وَحَدَّثَ بِهِمْ عَزَمَاتُهُمْ نَحْوَ الْعُلَى

وَسَرَوْا فَمَا نَزَلُوا إِلَى نُعْمَانَ

٥٧٣٨- بَاعُوا الَّذِي يَفْتَى مِنَ الْخَرْفِ الْخَسِيءِ

سِيسَ بِدَائِمٍ مِنْ خَالِصِ الْعَقِيَانِ

٥٧٣٩- رُفِعَتْ لَهُمْ فِي السَّيْرِ أَعْلَامُ السَّعَا

دَةِ وَالْهُدَى يَا ذَلَّةَ الْحَيْرَانِ

٥٧٤٠- فَتَسَابَقَ الْأَقْوَامُ وَابْتَدَرُوا لَهَا

كَتَسَابَقِ الْفُرْسَانِ يَوْمَ رَهَانَ

٥٧٤١- وَأَخُو الْهُوَيْنَا فِي الدِّيَارِ مُخَلَّفٌ

مَعَ شَكْلِهِ يَا حَيَّةَ الْكَسْلَانِ^(١)

(١) [٥٧٣٧ : ٥٧٤١] قال العلامة محمد خليل هراس:

ونقضت بهم عزائمهم نحو العلافسروا إليها مُدْلِجِينَ ولم ينزلوا بشيء من منازل الطريق مستريحين، ولكنهم
واصلوا السير إلى غايتهم معرضين عن هذا الخرف الخسيس مؤثرين عليه الذهب النفيس. وقد رفعت لهم في
سيرهم رايات السعادة والهداية فتبينوا معالم الطريق، فساروا قاصدين غير مُتعثرين ولا معوجين ولا وائين
ولا متخلفين حتى وصلوا إلى غايتهم سالمين.

الشرح

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

هذه الأبيات يريد بها المؤلف رَحِمَهُ اللهُ بيان حقيقة الدنيا ونسبتها إلى الآخرة يقول رَحِمَهُ اللهُ:

وَإِذَا أَرَدْتَ تَرَى حَقِيقَتَهَا فَخُذْ مِنْهُ مِثَالاً وَاحِدًا ذَا شَانَ
أَدْخُلْ بِجَهْدِكَ أَصْبُعًا فِي الِيمِ وَإِذَا بَعِيَانِ
هَذَا هُوَ الدُّنْيَا كَذَا قَالَ الرَّسُو لُ مُمَثِّلًا وَالْحَقُّ ذُو تَبْيَانِ

يعني: إذا أردت نسبة الدنيا إلى الآخرة فاغمس أصبعك في اليم، يعني في البحر وانظر بم يرجع لا يرجع بشيء بالنسبة للبحر، فهكذا نسبة الدنيا إلى الآخرة وقد روى الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ أن النبي ﷺ قال: «لَمْ يَضَعْ سُوِّطٌ أَحَدِكُمْ فِي الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنْ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا» .

وَكَذَاكَ مِثْلَهَا يَظِلُّ الدَّوْحِ فِي وَقْتِ الْحَزْوَرِ لِقَائِلِ الرُّكْبَانِ

يعني: النبي ﷺ، والدوح يعني: شجرة كبيرة استظل بها الراكب ثم قام وتركها، استظل عن الحر فقط.

هَذَا وَلَوْ عَدَلْتَ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ عِنْدَ الْإِلَهِ الْحَقِّ فِي الْمِيزَانِ
لَمْ يَسْقِ مِنْهَا كَافُرًا مِنْ شَرِبَةٍ مَاءً وَكَانَ الْحَقُّ بِالْحِزْمَانِ

يعني: لو أن الدنيا عند الله تساوى جناح بعوضة ما سقى منها أعداءه شربة ماء.

تَاللهِ مَا عَقَلُ امْرِئٍ قَدِ بَاعَ مَا بِيَقَى بِمَا هُوَ مُضْمَجَلٌّ فَإِنْ

أقسم بأن العقل منتف عن شخص باع الذي يبقى بالذي هو فان فكما أنه لا عقل له فهو أيضًا لا دين عنده.

هَذَا وَتَفْتِي ثُمَّ تَقْضِي حَاكِمًا بِالْحَجَرِ مِنْ سَفَهٍ لِيَذَا الْإِنْسَانِ

يعني: هذا الذي باع ما يبقى بما يفنى تجده يفتي ويقضي بأن من قدّم الآخرة على الدنيا فهو سفيه يُحجر عليه كما يُحجر على صاحب المال، ووجه وجوب الحجر أو القضاء بالحجر قال:

إِذْ بَاعَ شَيْئًا قَدْرُهُ فَوْقَ الَّذِي يَغْتَاضُهُ مِنْ هَذِهِ الْأَثْمَانِ



يعني: هذا هو السفية .

فَمَنْ السَّفِيهِ حَقِيقَةً إِنْ كُنْتَ ذَا عَقْلٍ وَأَيْنَ الْعَقْلَ لِلْسَّكَرَانِ!

هل السفية الذي باع الآخرة بالدنيا أو باع الدنيا بالآخرة ؟ الأول الذي باع الآخرة بالدنيا أما الذي اعتاض الآخرة عن الدنيا هو العاقل الرشيد .

وَاللَّهِ لَوْ أَنَّ الْقُلُوبَ شَهِدْنَ مِنْ نَا كَانَ شَأْنٌ غَيْرُ هَذَا الشَّانِ

يعنى: لو تأمل الإنسان بقلبه وتفكر لكان شأن آخر غير هذا الشأن .

نَفْسٌ مِنَ الْأَنْفَاسِ هَذَا الْعَيْشُ إِنْ قَسَنَاهُ بِالْعَيْشِ الطَّوِيلِ الثَّانِي

وَالنَّفْسُ كَمَا نَعْلَمُ قَلِيلٌ جَدًّا بِالنِّسْبَةِ لِمَا لَمْ يَمُتْ مِنَ الدُّنْيَا فَضْلًا عَنْ زَمَانِ الْآخِرَةِ .

يَا حِسَّةَ الشُّرَكَاءِ مَعَ عَدَمِ الْوَفَا ءِ وَطَوِيلِ جَفَوْتَهُمَا مَعَ الْحَرَمَانِ

يعنى: ما أخس الشركاء إذا لم يكن وفاء وطالت الجفوة مع المهجران للشركاء، فإنه لا شك أنهم شركاء رغبوا بالأدنى عن الأعلى.

هَلْ فِيكَ مُعْتَبَرٌ فَيَسْأَلُو عَاشِقُ بِمَصَارِعِ الْعُشَّاقِ كُلِّ زَمَانٍ

يعنى: هل أحد منكم يعتبر بعشاق الدنيا كيف صرعتهم ولم يستفيدوا منها شيئًا والاستفهام هنا للتشويق.

لَكِنْ عَلَى تِلْكَ الْعُيُونِ غِشَاوَةٌ وَعَلَى الْقُلُوبِ أَكِنَّةُ النِّسْيَانِ

يعنى: الترك، فالعيون لا تبصر والقلوب لا تذكر؛ لأن على العيون غشاوة وعلى القلوب أكنة النسيان.

وَأَخُو الْبَصَائِرِ حَاضِرٌ مُتَقَيِّظٌ مُتَفَرِّدٌ عَنْ زُمْرَةِ الْعَمِيَانِ

قوله: (أخو البصائر) جمع بصيرة، والبصيرة بصر القلب، والبصر بصر العين، فذوو البصائر هم حاضرون متيقظون متفردون عن زمرة العميان.

يَسْمُو إِلَى ذَاكَ الرَّفِيقِ الْأَرْفَعِ أَلْ أَعْلَى وَخَلَى اللَّعْبَ لِلصَّبِيَانِ

الرفيق الأرفع هو الجنة ونعيم الآخرة، (وخلى اللعب للصبيان) اللعب هو الدنيا قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌّ وَلَهْوٌ﴾ [محمد: ٣٦]

وقوله: (للصبيان) يعنى بهم صبيان العقول لا صبيان الأعمار فهم شيوخ لكن عقولهم عقول الصبيان.

وَالنَّاسُ كُلُّهُمْ فَصِيانٌ وَإِنْ بَلَّغُوا سِوَى الْأَفْرَادِ وَالْوَحْدَانِ
قوله: (وإن بلغوا) يعني: وإن كبروا .

وقوله: (سوى الأفراد و الوحدان) أي: إلا الأفراد و الوحدان ويقصد القلائل .

وَإِذَا رَأَى مَا يَشْتَهِيهِ قَالَ مَوَّءٌ عِدُّكَ الْجِنَانُ وَجَدَّ فِي الْأَثْمَانِ
يعني: يقول لنفسه موعذك الجنان وجدَّ في الأثمان .

وَإِذَا أَبَتْ إِلَّا الْجِمَاحَ أَعَاضَهَا بِالْعِلْمِ بَعْدَ حَقَائِقِ الْإِيمَانِ

يعني: إن أبت نفسه إلا أن تجمع ولا تَدُلُّ فإنه يعيضاها بالعلم بعد حقائق الإيـمان ويرجع إلى العلم الشرعي مع حقيقة الإيـمان وحينئذ يميل إلى المنزل أو الرفيق الأعلى .

وَيَرَى مِنَ الْخُسْرَانِ بَيْعَ الدَّائِمِ الْكُلْ هَذَا وَصِفٌ لِلدُّنْيَا .
وَبَاقِي بِهِ يَا ذَلَّةَ الْخُسْرَانِ

وَيَرَى مِصْرَاعَ أَهْلِهَا مِنْ حَوْلِهِ
يعني: من الحرارة و القلق و عدم الثبات .

حَسْرَاتُهَا هُنَّ الْوُقُودُ فَإِنْ خَبَتْ زَادَتْ سَعِيرًا بِالْوُقُودِ الثَّانِي

يعني: الحسرة إذا هانت جاءت حسرة أخرى فتجد صاحب الدنيا دائماً في حسرة لما فاته من الربح أو لما حصل عليه من الخسران .

جَاءُوا فُرَادَى مِثْلَ مَا خُلِقُوا بِلَا مَالٍ وَلَا أَهْلِ وَلَا إِخْوَانٍ

يعني: يعود على أهل الدنيا بل و على أهل الآخرة أيضاً قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْتَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرْكُكُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ﴾ [الأنعام: ٩٤] .

مَا مَعَهُمْ شَيْءٌ سِوَى الْأَعْمَالِ فَهِيَ مَتَاجِرٌ لِلنَّارِ أَوْ لِجِنَانِ

يعني: إن كانت صالحة فهي متاجر للجنان، وإن كانت سيئة فمتاجر للنيران نسأل الله العافية .

تَسْعَى بِهِمْ أَعْمَالُهُمْ سَوْقًا إِلَى الدَّارِ بَيْنَ سَوْقِ الْخَيْلِ بِالرُّكْبَانِ

صَبَرُوا قَلِيلاً فَاسْتَرَحَوْا دَائِمًا يَا عِزَّةَ التَّوْفِيقِ لِلْإِنْسَانِ

يعني: الذين صبروا قليلاً ثم استراحوا دائماً هم أهل الخير و السعادة صبروا في هذه



الدنيا على الطاعة، وصبروا عن المعصية و صبروا على الأقدار المؤلمة ثم استراحوا .

وقوله: (يا عزة التوفيق للإنسان) يعني: ما أعزها وأقلها فإن الموفقين من الناس قليلون.

حَمَدُوا التَّقَى عِنْدَ الْمَمَاتِ كَذَا عِنْدَ الصُّبْحِ فَحَبَّذَا الْحَمْدَانِ

يعني: أنهم لما حضرهم الموت حمدوا ما أنعم الله به عليهم من التقوى والإيمان؛ لأنهم أدركوا أنهم رابحون بخلاف من حضره الموت وهو على العكس من هذا فإنه لن يحمده نفسه.

وَحَدَّثَ بِهِمْ عَزَمَاتِهِمْ نَحْوَ الْعَلَاءِ وَسَرَوْا فَمَا نَزَلُوا إِلَى نُعْمَانَ

يعني: أنهم جدُّوا في السير و حَدَّتْ بهم العزمات من الحداء وهو للإبل يعني: أنها أسرعت بهم.

وقوله: (وسروا) و السرى يكون في الليل.

وقوله: (فما نزلوا إلى نعمان)، ونعمان اسم وادٍ معروف.

بَاعُوا الَّذِي يَفْتَى مِنَ الْخَرْفِ سِيسَ بِدَائِمٍ مِنْ خَالِصِ الْعَقْيَانِ

(العقيان) هو الذهب فهم باعوا الأدنى من الخرف بالأعلى من الذهب .

رُفِعَتْ لَهُمْ فِي السَّيْرِ أَعْلَامُ السَّعَا دةٌ وَالْهُدَى يَا ذَلَّةَ الْحَيْرَانِ

يعني: فاهتدوا بها لما رفعت لهم أعلام السعادة والهدى و بقي الحيران في ذل و حيرة.

فَتَسَابَقَ الْأَقْوَامُ وَابْتَدَرُوا لَهَا كَتَسَابَقِ الْفُرْسَانِ يَوْمَ رِهَانِ

يوم الرهان يعني: المسابقة بعوض وتسمى مراهنه وهي جائزة شرعاً.

وَأَخُو الْهُوَيْنَا فِي الدِّيَارِ مُخَلَّفٌ مَعَ شَكْلِهِ يَا خَيْبَةَ الْكَشَلَانِ

وحاصل الأبيات: هو ذم الدنيا والركون إليها و ذم أهلها ومدح الآخرة والنهوض إليها و المسارعة فيها ومدح أهلها، ربنا آتانا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار .



فصل

في رغبة قائلها إلى من يقف عليها
من أهل العلم والإيمان أن يتجرد لله ويحكم
عليها بما يوجبه الدليل والبرهان، فإن رأى حقا
قبله وحمد الله عليه وإن رأى باطلا
عرّفه به وأرشد إليه

٥٧٤٢- يا أيها القاري لها اجلس مجلس الـ

— حَكَمَ الْأَمِينِ اثْتَابَهُ الْخُصْمَانِ

٥٧٤٣- وَأَحْكُمْ هَذَاكَ اللَّهُ حُكْمًا يَشْهَدُ الْـ

— عَقْلُ الصَّرِيحِ بِهِ مَعَ الْقُرْآنِ

٥٧٤٤- واطبِرْ وَلَا تَعْجَلْ بتكفيرِ الذي

قد قالها جهلاً بلا برهان

٥٧٤٥- وَأَخْبِسْ لِسَانَكَ بُزْهَةً عَنْ كُفْرِهِ

حَتَّى تُعَارِضَهَا بِأَلَا عُذْوَانِ

٥٧٤٦- فَإِذَا فَعَلْتَ فَعِنْدَهُ أَمْثَالُهَا

فَنِزَالِ آخِرُ دَعْوَةِ الْفُرْسَانِ

٥٧٤٧- فَالْكُفْرُ لَيْسَ سِوَى الْعِنَادِ وَرَدِّ مَا

جَاءَ الرَّشُوعُ بِهِ لِقَوْلِ فُلَانِ

٥٧٤٨- فَانظُرْ لَعَلَّكَ هَكَذَا دُونَ الَّذِي

قَدْ قَالَهَا فَتَفُوزَ بِالْخُسْرَانِ

٥٧٤٩- فَالْحَقُّ شَمْسٌ وَالْعُيُونُ نَوَاطِرُ

لَا تَحْتَفِي إِلَّا عَلَى الْعَيْنَانِ

٥٧٥٠- وَالْقَلْبُ يَغْمَى عَنْ هُدَاهُ كَمِثْلَ مَا

تَعْمَى وَأَعْظَمَ هَذِهِ الْعَيْنَانِ

٥٧٥١- هَذَا وَإِنِّي بَعْدُ مُمْتَحَنٌ بَأْسَ

بَعَاةٍ وَكُلُّهُمُ ذُوو أَضْغَانِ

٥٧٥٢- فَظُّ غَلِيظٌ جَاهِلٌ مُتَمَعِّلِمٌ

ضَخْمُ الْعِمَامَةِ وَاسِعُ الْأَرْذَانِ

٥٧٥٣- مُتَفِيهِتٌ مُتَشَدِّقٌ مُتَضَلِّعٌ

بِالْجَهْلِ ذُو ضَلْعٍ مِنَ الْعَرْفَانِ

٥٧٥٤- مُزَجَى الْبُضَاعَةِ فِي الْعُلُومِ وَإِنَّهُ

زَاجٍ مِنَ الْإِيهَامِ وَالْهَيْذِيَانِ

٥٧٥٥- يَشْكُو إِلَى اللَّهِ الْخُفُوقَ تَظَلَّمَا

مِنْ جَهْلِهِ كَشَايَةِ الْأَبْدَانِ

٥٧٥٦- مِنْ جَاهِلٍ مُتَطَبِّبٍ يَفْتِي الْوَرَى

وَيَجِيْلُ ذَاكَ عَلَى قَضَا الرَّحْمَنِ

٥٧٥٧- عَجَّتْ فُرُوجُ الْخَلْقِ ثُمَّ دِمَاؤُهُمْ

وَخُفُّوْقُهُمْ مِنْهُ إِلَى الدِّيَانِ

٥٧٥٨- مَا عِنْدَهُ عِلْمٌ سِوَى التَّكْفِيرِ وَالثَّ

تَبْدِيعِ وَالتَّضْلِيلِ وَالبُهْتَانِ

٥٧٥٩- فَإِذَا تَيَقَّنَ أَنَّهُ الْمَعْلُوبُ عِنْدَ

دَتَقَابِلِ الْفُرْسَانِ فِي الْمِيدَانِ

٥٧٦٠- قَالَ اشْتَكُوهُ إِلَى الْقُضَاةِ فَإِنَّهُمْ

- حَكَمُوا وَإِلَّا أَشْكُوهُ لِلسُّلْطَانِ
 ٥٧٦١- قُولُوا لَهُ هَذَا يَحِلُّ الْمَلِكُ بَلْ
 هَذَا يُرِيدُ الْمَلِكُ مِثْلَ فُلَانٍ
 ٥٧٦٢- فَأَعْقِرْهُ مِنْ قَبْلِ اسْتِدَادِ الْأَمْرِ مِنْ
 هُوَ بِقُوَّةِ الْأَتْبَاعِ وَالْأَعْوَانِ
 ٥٧٦٣- وَإِذَا دَعَاكُمْ لِلرُّشُورِ وَحُكْمِهِ
 فَادْعُوهُ لِلْمَعْقُولِ بِالْأَذْهَانِ
 ٥٧٦٤- فَإِذَا اجْتَمَعْتُمْ فِي الْمَجَالِسِ فَالْغُطُّوا
 وَالْعَوُوا إِذَا مَا اخْتَجَّ بِالْقُرْآنِ
 ٥٧٦٥- وَاسْتَنْصِرُوا بِمَحَاضِرِ وَشَهَادَةِ
 قَدْ أَضْلَحْتَ بِالرِّفْقِ وَالْإِنْفَانِ
 ٥٧٦٦- لَا تَسْأَلُوا الشُّهَدَاءَ كَيْفَ تَحْمَلُوا
 وَبِأَيِّ وَقْتٍ بَلْ بِأَيِّ مَكَانٍ
 ٥٧٦٧- وَازْفُوا شَهَادَتَهُمْ وَمَشُوا حَالَهَا
 بَلْ أَضْلِحُوهَا غَايَةَ الْإِمْكَانِ
 ٥٧٦٨- وَإِذَا هُمْ شَاهِدُوا فَزَكُّوهُمْ وَلَا
 تُضْعَعُوا لِقَوْلِ الْجَارِحِ الطَّعَّانِ
 ٥٧٦٩- قُولُوا عَدَالَةً مِثْلِهِمْ قَطْعِيَّةً
 لَسْنَا نُعَارِضُهَا بِقَوْلِ فُلَانٍ
 ٥٧٧٠- ثَبَّتْ عَلَى الْحُكَّامِ بَلْ حَكَمُوا بِهَا
 فَالْقَدْخُ فِيهَا غَيْرُ ذِي إِمْكَانٍ
 ٥٧٧١- مَنْ جَاءَ يَقْدَحُ فِيهِمْ فَلْيَتَّخِذْ

ظَهَرَ كَمَثَلِ حِجَارَةِ الصَّوَّانِ

٥٧٧٢- وَإِذَا هُوَ اسْتَغْدَاهُمْ فَجَوَابَكُمْ

أَتَرُدُّهَا بِعِدَاوَةِ الدِّيَانِ^(١)

الشَّحْ

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

قوله: (فصل في رغبة قائلها إلى من يقف عليها من أهل العلم والإيمان أن يتجرد لله) يعني: يتعد عن الهوى ، (ويحكم عليها بما يوجهه الدليل والبرهان، فإن رأى حقاً قبله وحمد الله عليه وإن رأى باطلاً عرفه به وأرشد إليه) وهذا هو الحق، إن رأى حقاً قبله وإن رأى باطلاً رده لكن يعرف به من أجل أن يستدرك ويرشد إليه قال :

يَا أَيُّهَا الْقَارِي لَهَا اجْلِسْ مَجْلِسَ حَكَمِ الْأَمِينِ انْتَابِهِ الْخَضَمَانِ

الحَكَمُ الأمين لا بد أن يكون عنده علم؛ لأنه لا يصل إلى الحكم إلا بعلم فإذا كان عنده علم وأمانة فهو حكم أمين.

وَاحْكُمْ هَذَاكَ اللهُ حُكْمًا يَشْهَدُ أَلْ عَقْلُ الصَّرِيحِ بِهِ مَعَ الْقُرْآنِ

يعني: يشهد به العقل والسمع، وقوله: (العقل الصريح) هذه دائماً نسمعها في كلام ابن

(١) [٥٧٥٧: ٥٧٧٢] قال العلامة محمد خليل هراس:

وقصارى علمه رمى خصومه بأشنع التهم من التكفير والتبديع والتضليل وبتهم بالإثم والعدوان، فإذا دُعي إلى المناظرة وأيقن أنه مُنْهَزَمٌ مغلوب لجأ إلى حيلة العاجز الضعيف، وهي الجأ بالشكوى مرة إلى القضاء ومرة إلى السلطان وهو يستعدي عليه السلطان بأن كلامه هذا يثير فتنة تحل عقد الملك، بل تزيله، وأن الواجب هو عقره والقضاء عليه قبل أن يجتمع عليه الناس ويكثر أتباعه وأعوانه، وهو يوصي من معه ويرسم لهم الخطط، فيقول إذا دعاكم إلى الكتاب والسنة، فادعوه إلى ما قال الغزالي والرازي وغيرهما، وإذا اجتمعتم معه في مجلس فثوشوا عليه حتى لا يُسمع كلامه، وإذا ما ساق حجج القرآن فالتغوا فيها وردوها عليه بأنها ظواهر لفظية لا تنفيذ اليقين، ثم استنصروا عليه بما حزر ضده من محاضر وبشهادات الزور التي أدت ضده بإحكام وإتقان، ولا تسألوا هؤلاء الشهود كيف تحملوها ولا عن وقت تحملها ومكانه، بل أصلحوا ما فيها من خلل وسووها تسوية حتى تُقبل، وإذا هم شهدوا عليه بالزور فزكوا شهادتهم ولا تلتفتوا إلى قول - من يجرحهم أو يطعن فيهم، وقولوا له إن عدالتهم قطعية قد حكم بها الحكام وقبلها القضاة، فالطعن فيها مستحيل، ومن أراد أن يقدح في عدالتهم فليستند على ظهر متين.

القيم وشيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ، والمراد بالعقل الصريح السالم من الشبهات والشهوات هذا هو العقل الصريح ، وهو مأخوذ من الماء الصريح أو اللبن الصريح الذي لم يخلط معه شيء فهو السالم من الشبهات والشهوات، فالشبهات منشأها من الجهل، والشهوات منشأها الهوى مع العلم، لأن آفات العقول إما جهل بالحق وإما هوى يُرَدُّ به الحق، فلو تأملت كل الضلالات وجدتها لا تخرج عن هذا - مثلاً - النصارى علتهم الشبهات إلا بعد أن علموا الحق، واليهود علتهم الشهوات، أما العقل الصريح فهو السالم من الشبهات والشهوات، مع القرآن هذا الدليل السمعي.

وَاحْبِسْ لِسَانَكَ بُزْهَةً عَنْ كُفْرِهِ حَتَّى تُعَارِضَهَا بِأَلَا عُدْوَانَ

يعني: احبس لسانك لا تستعجل وإذا رأيت فيها ما لا ترضاه فلا تكفر صاحبها كما هو شأن أهل البدع حيث يكفرون من عاداهم، (حتى تعارضها) يعني: حتى يتسنى لك أن تعارضها وتبطل ما فيها بلا عدوان.

فَإِذَا فَعَلْتَ فَعُنْدَهُ أَمْثَالُهَا فَيَزَالِ آخِرَ دَعْوَةِ الْفُرْسَانِ

قوله: (إذا فعلت) يعني: جلست هذا المجلس عند الحكم عليها، (عنده أمثالها) عند من الظاهر أنها عند مؤلفها أي: عندنا أمثالها مما يبين به الحق.

وقوله: (فزال آخر دعوة الفرسان) نزال اسم فعل أمر من النزول وهي كلمة يتداعى بها الفرسان عند القتال، هذه آخر دعوة الفرسان ففي الأول يتطارد الفرسان وفي النهاية يقول نزال أي: انزل فقد حل القتال.

وَالْقَلْبُ يَعْمَى عَنْ هُدَاهُ كَمَا تَعْمَى وَأَعْظَمَ هَذِهِ الْعَيْشَانِ

أعظم بالتصيب يعني: ويعمى عمى أعظم.

هَذَا وَإِنِّي بَعْدَ مُتَحَنِّ بَأْسٍ بَعَّةٍ وَكُلُّهُمْ ذُوو أَضْغَانِ

لما ذكر وحثَّ على الحَكَمِ الأمين، ذكر أن هناك أربعة أشخاص، والمراد أنهم أربعة بأوصافهم يخشى منهم متحن بهم.، وقوله: (ذوو أضعاف) يعني: أحقاد.

فَطَّ غَلِيظٌ جَاهِلٌ مُتَمَعِّلٌ صَحْحُمُ الْعِمَامَةِ وَاسِعُ الْأَرْذَانِ

وقوله: (فظ غليظ جاهل متمعلم)، يعني: ليس في قلبه لين فهو فظ في قوله، غليظ في طبعه ويضاف إلى ذلك أنه يدعي العلم.

وقوله: (ضخم العمامة واسع الأردن) يعني: عمامته كبيرة وأردانه واسعة، وهي أكمامه لا وليست ضيقة وكانوا يفعلون هذا المشايخ الكبار يكبرون عمامتهم ويوسعون أردانهم وأكمامهم حتى إنك تكاد أن تقول. إن هذا الكمّ يصلح أن يكون قميصاً من سعته أو أكثر. المتفهب معناه أنه كأننا يمشي على قفاه من شدة إعجابه بنفسه والعياذ بالله.

مُتَّفَهِّبٌ مُتَّشَدِّقٌ مُتَّضَلِّعٌ بِالْجَهْلِ ذُو ضَلْعٍ مِنَ الْعِرْفَانِ

وقوله: (ذو ضلع) يعني: كما قال في القاموس والعهدة على الناقل، (ضلع وذو جلع من العرفان) يعني: أنه خال من العرفان ليس عنده علم.

مُزَجِّى الْبُضَاعَةِ فِي الْعُلُومِ وَإِنَّهُ زَاجٍ مِنَ الْإِيهَامِ وَالْهَذْيَانِ

قوله: (مزجي البضاعة) يعني: قليل البضاعة، ومنه قوله تعالى: ﴿وَجِئْنَا بِبُضْعَةٍ مُرْتَجَلَةٍ﴾ [يوسف: ٨٨]، أي: قليلة.

وقوله: (وإنه زاج من الإيهام والهذيان) يعني: هو في العلوم قليل لكن الهذيان والإيهام والتشكيك هو مملوء منها.

يَشْكُو إِلَى اللَّهِ الْحُقُوقَ تَظَلُّمًا مِنْ جَهْلِهِ كَشَايَةِ الْأَبْدَانِ

يعني: أنه دائماً يشكو الحقوق تظلماً؛ لأنه جاهل وهذه حال كثير من الناس يقول: أضع الناس الحقوق أو أضعوا حقوقي أو ما أشبه ذلك.

مِنْ جَاهِلٍ مُتَطَيَّبٍ يَفْتِي الْوَرَى وَيَحِيلُ ذَاكَ عَلَى قَضَا الرَّحْمَنِ

هذا من أوصافه أنه جاهل متطيب، وهل هو طيب علم أو طيب بدن؟ الظاهر أنه طيب علم،

ثم يفتي الناس ويقول: هذا حكم الله وهذا شرع الله.

عَجَّتْ فُرُوجَ الْخَلْقِ ثُمَّ دِمَاؤُهُمْ وَحُقُوقُهُمْ مِنْهُ إِلَى الدِّيَانِ

قوله: (عجّت فروج الخلق) يعني: أنه يحكم بالأنكحة والطلاق فيقول لهذا بانة زوجتك منك وإذا بانة منه حلّت للثاني فيحلها لمن لا تحل له أو يفسخ نكاح من لا يستحق الفسخ أو ما أشبه ذلك.





فصل

في حال العدو الثاني

- ٥٧٧٣- أَوْ حَاسِدٍ قَدْ بَاتَ يَغْلِي صَدْرُهُ
بَعْدَ أَوْتِي كَالْمَرْجَلِ الْمَلَانِ
- ٥٧٧٤- لَوْ قُلْتُ هَذَا الْبَحْرُ قَالَ مُكَذِّبًا
هَذَا السَّرَابُ يَكُونُ بِالْقِيَعَانِ
- ٥٧٧٥- أَوْ قُلْتُ هَذَا الشَّمْسُ قَالَ مُبَاهِتًا
الشَّمْسُ لَمْ تَطْلُعْ إِلَى ذَا الْآنِ
- ٥٧٧٦- أَوْ قُلْتُ قَالَ اللهُ قَالَ رَسُوْلُهُ
عَضِبَ الْخَيْبُ وَجَاءَ بِالْكِثْمَانِ
- ٥٧٧٧- أَوْ حَرَفَ الْقُرْآنَ عَنْ مَوْضُوعِهِ
تَحْرِيفَ كَذَابِ عَلَى الْقُرْآنِ
- ٥٧٧٨- صَالَ النَّضُوضُ عَلَيْهِ فَهَوَّ بِدَفْعِهَا
مُتَوَكِّلًا بِالْبَدَابِ وَالْدَيْدَانِ
- ٥٧٧٩- فَكَلَامُهُ فِي النَّصِّ عِنْدَ خِلَافِهِ
مِنْ بَابِ دَفْعِ الصَّائِلِ الطَّعَّانِ
- ٥٧٨٠- فَالْقَضُ دَفْعُ النَّصِّ عَنْ مَذْلُوْلِهِ
كَيْلًا يَضُوْلُ إِذَا التَّقَى الرَّحْفَانِ

الشرح

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

هذا الثاني ليس متمعلًا ولا متشيخًا ولا عليه أزدان واسعة ولا يدعى أنه عالم فذ، لكنه

حاسد لا يريد أن يكون لابن القيم فضل، إذا قلت هذا البحر قال: هذا السراب ما عندك بحر أو قلت هذه الشمس قال: ما بعدُ طلعت الشمس إلى الآن أو قلت: هذا كلام الله ورسوله حينئذ يغضب - والعياذ بالله - ويأتي بالكتمان.

إذا كان حديثاً قال: هذا ما يصح هذا خبر آحاد لا يصح، فإذا كان لا يمكن دفعه من حيث الثبوت ذهب بحرفه؛ ولهذا قال:

أَوْ حَرَّفَ الْقُرْآنَ عَنْ مَوْضُوعِهِ تَحْرِيفَ كَذَابٍ عَلَى الْقُرْآنِ
صَالَ النَّضُوصُ عَلَيْهِ فَهُوَ بِدْفِعِهَا مُتَوَكِّلٌ بِالذَّابِ وَالذَّيْدَانِ

قوله: (صال) الصواب صالت النفوس لكن جمع التكسير يجوز فيه التذكير والتأنيث لا سيما أن ضرورة الشعر تدعو إلى ذلك.

والمعنى: أنه متوكل بالعادة أي: يدفعا كعادته، و(الدأب) بمعنى: العادة قال تعالى: ﴿كَذَابٍ ءَالٍ فِرْعَوْنَ﴾ [آل عمران: ١١]، أي: عادتهم، أما الديدان بالفتح واضحة وهي تعني: ديدنه أي دينه أنه يدفع النصوص ودأبه كذلك.

فَكَلَامُهُ فِي النَّصِّ عِنْدَ خِلَافِهِ مِنْ بَابِ دَفْعِ الصَّائِلِ الطَّعَّانِ

يعني: إذا خالفه النص، و لهذا تجده يلتزم أحياناً أشياء لا يلتزمها عند السعة ففي المناظرات بعض الناس إذا أتى بالنصوص وقيل: كلامك يلزم منه كذا وكذا التزمه مع أنه عند السعة لا يلتزم هذا الشيء لكن، عند الضرورة والمناظرة ربما يلتزم هذا الشيء فتجده يقابل النصوص إذا خالفته فيدافعها كمدافعة الصائل.

فَالْقَضُ دَفْعُ النَّصِّ عَنْ مَذْلُومِهِ كَيْلًا يَصُولُ إِذَا التَّقَى الرَّخْفَانِ

خلاصة هذا العدو: أنه رجل حاسد لو يرى الحقائق الحسية والسمعية لا يقبل، وهذه مضادة لابن القيم رَحِمَهُ اللهُ.



* قوله رَحِمَهُ اللهُ:



٥٧٨١ - وَالثَّالِثُ الْأَعْمَى الْمَقْلَدُ ذَيْنِكَ الزُّ

رَجُلَيْنِ قَائِدُ زُمَرَةَ الْعِمْيَانِ

٥٧٨٢ - فَاللُّغْنُ وَالتَّكْفِيرُ وَالتَّبْدِيعُ وَالثَّ

تَضَلِيلُ وَالتَّفْسِيقُ بِالْعُدْوَانِ

٥٧٨٣ - فَإِذَا هُمْ سَأَلُوهُ مُسْتَنْدًا لَهُ

قَالَ اسْمَعُوا مَا قَالَهُ الرَّجُلَانِ

الشَّحْ

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

هذا المقلد أعمى يصف ابن القيم بأنه كافر مبتدع ضال، وما أشبه ذلك فيقال ما مستندك قال: (اسمعوا ما قاله الرجلان): الحاسد والمتعلم إذن ما عنده شيء فهو مقلد أعمى.



فصل
في حال العدو الرابع

- ٥٧٨٤ - هَذَا وَرَابِعُهُمْ وَلَيْسَ بِكَلْبِهِمْ
حَاشَا الْكِلَابِ الْآكِلِي الْأَتَّانِ
- ٥٧٨٥ - خَنْزِيرُ طَبَعٍ فِي خَلِيقَةٍ بَاطِقٍ
مُتَسَوِّقٌ بِالْكَذِبِ وَالْبُهْتَانِ
- ٥٧٨٦ - كَالْكَلْبِ يَتَّبِعُهُمْ يَمْشِشُ أَعْظَمًا
يَزْمُونَهَا وَالْقَوْمُ لِلْخَمَانِ
- ٥٧٨٧ - يَتَفَكَّهُونَ بِهَا رَخِيصًا سِغْرَهَا
مَيْتًا بِلَا عَوْضٍ وَلَا أَثْمَانِ
- ٥٧٨٨ - هُوَ فَضْلَةٌ فِي النَّاسِ لَا عِلْمَ وَلَا
دِينَ وَلَا تَمَكِينَ ذِي سُلْطَانِ
- ٥٧٨٩ - فَإِذَا رَأَى شَرًّا تَحَرَّكَ يَبْتَغِي
ذِكْرًا كَمِثْلِ تَحَرُّكِ الثُّعْبَانِ
- ٥٧٩٠ - لِيُرْوَلَ عَنْهُ أَدَى الْكَسَادِ فَيَنْفُقُ الْ
كَلْبُ الْعُقُورُ عَلَى قَطِيعِ الضَّانِ
- ٥٧٩١ - فَبَقَاؤُهُ فِي النَّاسِ أَعْظَمُ مِخْنَةً
مِنْ عَسْكَرٍ يَغْرَى إِلَى غَازَانِ
- ٥٧٩٢ - هَذِي بِضَاعَةٌ ضَارِبٌ فِي الْأَرْضِ يَبْ

— غِي تَاجِرًا يَتَّاعُ بِالْأَثْمَانِ

٥٧٩٣- وَجَدَ الثَّجَارَ جَمِيعَهُمْ قَدْ سَافَرُوا

عَنْ هَذِهِ الْبُلْدَانِ وَالْأَوْطَانِ

٥٧٩٤- إِلَّا الصَّعَافِقَةَ الَّذِينَ تَكَلَّفُوا

أَنْ يَتَّجِرُوا فِينَا بِبِلَا أَثْمَانِ

٥٧٩٥- فَهُمْ الزُّبُونُ لَهَا فَبِاللَّهِ ازْحَمُوا

مِنْ بَيْعَةٍ مِنْ مُفْلِسِ مِدْيَانِ

٥٧٩٦- يَا رَبِّ فَارْزُقْهَا بِحَقِّكَ تَاجِرًا

قَدْ طَافَ فِي الْأَفَاقِ وَالْبُلْدَانِ

٥٧٩٧- مَا كُلُّ مَنْشُوشٍ لَدَيْهِ أَضْفَرٌ

ذَهَبًا يَرَاهُ خَالِصَ الْعَقِيَانِ

٥٧٩٨- وَكَذَا الرَّجَاجُ وَدُرَّةُ الْعَوَاصِ فِي

تَمْيِيزِهِ مَا إِنْ هُمَا مِثْلَانِ

الشَّرح

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

هَذَا وَرَابِعُهُمْ وَلَيْسَ بِكُلْبِهِمْ حَاشَا الْكِلَابِ الْآكِلِي الْأَثْمَانِ

يشير إلى قوله تعالى: ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾ [الكهف: ٢٢]، لكن يقول هذا ما

هو كلب بل الكلاب تنزه عنه ، حاشا الكلاب الآكلي الأثمان.

خِنْزِيرٌ طَبَعٌ فِي خَلِيقَةِ نَاطِقٍ مُتَسَوِّقٌ بِالْكَذْبِ وَالْبُهْتَانِ

يعني: طبعه طبع خنازير، ولكن خليقته خليقة إنسان.

وقوله: (ولا متسوق) من التسويق يعني: أنه ليس عنده إلا الكذب والبهتان.

كَالْكَلْبِ يَتَّبِعُهُمْ يَمْشِشُ أَعْظَمًا يَرْمُونَهَا وَالْقَوْمُ لِلْحَمَانِ



يَتَفَكَّهُونَ بِهَا رَخِيصًا سَعْرَهَا مَيْتًا بِلاَ عَوَضٍ وَلاَ أَثْمَانٍ
 هذا تابع فهو يقول ما يقوله الناس، مثل: الكلب يتبع الناس يمشمش أعظمًا تُرمى،
 والكلاب الآن تجدونها إذا رُميت العظام تمشمشها أي: تشمها أولاً ثم تأكل ما فيها من
 اللحم، والقوم الآخرون يتفكهون باللحم.

قوله: (رخيصًا سعرها ميثًا بلا عوض ولا أثمان)، يعني: هذا الرجل هو الذي يغتاب
 ليس له رصيد من العلم ولا تقليد ولا هدف إذن هو إنسان يغتاب، إذا حضر مجلسًا يمدح
 ابن القيم مدحًا عظيمًا وإذا حضر مجلسًا آخر يذمه ذمًا، فليس عنده قاعدة يبني عليها
 عداوة أو صداقة، لكنه كالكلب يتبع هؤلاء الناس الذين يأكلون اللحوم ويرمون العظام
 فيمشمشها.

هُوَ فَضْلَةٌ فِي النَّاسِ لَا عِلْمَ وَلاَ دِينَ وَلاَ تَمَكِينَ ذِي سُلْطَانٍ
 و هؤلاء موجودون كثيرًا في عامة الناس يتبعون كل ناعق وليس عندهم علم ولا دين
 وليسوا من ذوى السلطان.

فَإِذَا رَأَى شَرًّا تَحَرَّكَ يَتَّبِعِي ذِكْرًا كَمَثَلِ تَحَرُّكِ الثُّعْبَانِ
 يعني: إذا سمع في المجلس غيبة شرع يتكلم ويأتي بالكذب والبهتان من أجل أن يقال:
 ما شاء الله هذا رجل بليغ في المجلس، هذا رجل له كلمة ويكون له ذكر في الناس - الله
 يكفيك لسانه - وهكذا كمثل تحرك الثعبان.

لِيَزُولَ عَنْهُ أذى الكَسَادِ فَيَنْفِقَ الـ كَلْبُ الْعُقُورَ عَلَى قَطِيعِ الضَّانِ
 يعني: يقول هذا - وليس فيه خير - من أجل أن يزول عنه أذى الكساد وأذى الكساد:
 أن الرجل إذا كان في المجلس ولم يتكلم يُقال: هذا خشب ولا يُرفع له رأسًا، لكن لو تكلم
 ولو بالباطل إلتفت الناس إلى ما يقول، فهذا يريد أن يعمل عملاً يُذكر به ويكون له شأن
 في المجلس فيزول كساده.

وقوله: (فينفق الكلب العقور على ذكور الضان)، والكلب العقور إذا وجد ذكور
 الضان كانت فريسته والضان معروفة بالذلل والجبن فإذا أتاها كلب عقور فيا ويلها منه.

فَبَقَاؤُهُ فِي النَّاسِ أَعْظَمُ مِحْنَةً مِنْ عَسْكَرٍ يَغْزِي إِلَى غَازَانِ
 قوله: (غازان) أحد ملوك التتار أي: بقاء هذا الرجل محنة، وليس في كلامه رَحْمَانُهُ



اعتراض على القدر لكنه محاولة لإصلاح أمثال هؤلاء الناس.

هَذِي بِضَاعَةٌ صَارِبٌ فِي الْأَرْضِ غِي تَاجِرًا يَبْتَسَعُ بِالْأَثْمَانِ
وَجَدَ الثُّجَارَ جَمِيعَهُمْ قَدْ سَافَرُوا عَنِ هَذِهِ الْبُلْدَانِ وَالْأَوْطَانِ
إِلَّا الصَّعَافِقَةَ الَّذِينَ تَكَلَّفُوا أَنْ يَتَّجِرُوا فِينَا بِلَا أَثْمَانِ

و بثت البضاعة أن يكون الإنسان ممن يفتاب الناس؛ ليقع في أعراضهم في كل مكان وفي كل مجلس يطلب من هذا دأبه إلا الصعافقة والصعافقة هم المفاليس، لكن الهراس قال: هؤلاء المفاليك الذين يتجرون في أعراض الناس بلا عوض ولا أثمان.

فَهُمُ الرِّبُونُ لَهَا فَبِاللَّهِ اذْحَمُوا مِنْ بَيْعَةٍ مِنْ مُفْلِسِ مِدْيَانِ
يعني: كثير الديون ثم قال:

يَارِبَ فَارَزُقُهَا بِحَقِّكَ تَاجِرًا قَدْ طَافَ بِالْأَفَاقِ وَالْبُلْدَانِ

قوله: (يارب فارزقها)، الظاهر أنه يريد المنظومة.

وقوله: (بحقك) توسل إلى الله سبحانه وتعالى بحقه وحقه أن نعبده والعبادة من فعل العباد، والتوسل بأفعال العباد ليس شرعياً؛ لأن فعل العباد لا ينفع إلا من فعله، ولكنه يقول: (يا رب فارزقها بحقك) أي الذي أوجبه على نفسك وهو ما قاله سبحانه وتعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]، فكأن الحق الذي أوجبه الله على نفسه هو إجابة الدعاء، فالمؤلف يدعو الله ويسأله بهذا الحق عز وجل وهو إجابة الداعي أن يرزقها تاجرًا ذا خبرة قد طاف بالآفاق والبلدان.

مَا كُلُّ مَنْقُوشٍ لَدَيْهِ أَصْفَرٌ ذَهَبًا يَرَاهُ خَالِصَ الْعُقْيَانِ
لأن الذهب يُعرف من غيره.

وَكَدًّا الزُّجَاجُ وَدُرَّةُ الْغَوَاصِ فِي تَمْيِيزِهِ مَا إِنْ هُمَا مَثَلَانِ

أيها أحسن الزجاج المصنوع من الخزف أو درة الغواص؟ الثاني بالتأكيد، فهو يميز بين الزجاجه وبين الدرّة.

قوله: (ما إن) إن زائدة وتقديرها ما هنا مثلان، ابن مالك يقول:

إِعْمَالٌ لَيْسَ أَعْمَلَتْ مَا دُونَ إِنْ

هنا هل تعمل أو لا تعمل؟ لا تعمل؛ لأن فيها إن (ما إن هما مثلان) فهو كقول

الشاعر:

بني غدانة ما إن أنتم ذهب
ولا صريف ولكن أنتم الخرف



* قوله رَحِمَهُ اللهُ:

فصل

في توجه أهل السنة إلى رب العالمين
أن ينصر دينه وكتابه ورسوله
وعبادته المؤمنين

٥٧٩٩- هَذَا وَنَضْرُ الدِّينِ فَرَضٌ لَّا زِمَ

لَا لِلْكَفَايَةِ بَلْ عَلَى الْأَعْيَانِ

٥٨٠٠- بِيَدٍ وَإِمَّا بِاللِّسَانِ فَإِنْ عَجَزُ

تَ فَبِالتَّوَجُّهِ وَالِدُّعَا بِجَنَانِ

٥٨٠١- مَا بَعْدَ ذَلِكَ وَاللَّهِ لِلْإِيمَانِ حَبْ

بَةٌ خَزَدَلٍ يَا نَاصِرَ الْإِيمَانِ

٥٨٠٢- بِحَيَاةٍ وَجْهَكَ خَيْرَ مَسْئُولٍ بِهِ

وَيُنُورِ وَجْهَكَ يَا عَظِيمَ الشَّانِ

٥٨٠٣- وَبِحَقِّ نِعْمَتِكَ الَّتِي أَوْلَيْتَهَا

مِنْ غَيْرِ مَا عَوَّضَ وَلَا أْتَمَانَ

٥٨٠٤- وَبِحَقِّ رَحْمَتِكَ الَّتِي وَسِعَتْ جَمِيعَ

عَ الْخَلْقِ مُحْسِنَتُهُمْ كَذَلِكَ الْجَانِي

٥٨٠٥- وَبِحَقِّ أَسْمَاءِ لَكَ الْحُسْنَى مَعَا

- نِيهَا نَعْوَتُ الْمَدْحِ لِلرَّحْمَنِ
 ٥٨٠٦ - وَيَحِقُّ حَمْدِكَ وَهُوَ حَمْدٌ وَاسِعٌ أَلْ
 أَكْوَانِ بَلْ أَضْعَافُ ذِي الْأَكْوَانِ
 ٥٨٠٧ - وَيَأْتِيكَ اللَّهُ الْإِلَهَ الْحَقُّ مَعًا
 بُؤْدُ الْوَرَى مُتَقَدِّسٌ عَنْ ثَانِ
 ٥٨٠٨ - بَلْ كُلُّ مَعْبُودٍ سِوَاكَ فَبَاطِلٌ
 مِنْ دُونِ عَرْشِكَ لِلثَّرَى التَّحْتَانِي
 ٥٨٠٩ - وَبِكَ الْمَعَادُ وَلَا مَلَادَ سِوَاكَ أَنْ
 سَتَ غِيَاثُ كُلِّ مُلَدِّدٍ لَهْفَانِ
 ٥٨١٠ - مَنْ ذَاكَ لِلْمُضْطَرِّ يَسْمَعُهُ سِوَا
 لِكَ يَجِيبُ دَعْوَتَهُ مَعَ الْعِضْيَانِ
 ٥٨١١ - إِنَّا تَوَجَّهْنَا إِلَيْكَ لِحَاجَةٍ
 تُرَضِّبُكَ طَائِبِيهَا أَحَقُّ مَعَانِ
 ٥٨١٢ - فَاجْعَلْ قَضَاهَا بَعْضَ أَنْعَمِكَ الَّتِي
 سَبَعْتَ عَلَيْنَا مِنْكَ كُلَّ زَمَانِ
 ٥٨١٣ - انْضُرْ كِتَابَكَ وَالرُّسُولَ وَدِينَكَ أَلْ
 عَالِي الَّذِي أَنْزَلْتَ بِالْبُرْهَانِ
 ٥٨١٤ - وَاخْتَرْتَهُ دِينًا لِنَفْسِكَ وَاضْطَفَيْ
 سَتَ مُقِيمَهُ مِنْ سَائِرِ الْإِنْسَانِ
 ٥٨١٥ - وَرَضِيئَتَهُ دِينًا لِمَنْ تَرْضَاهُ مِنْ
 هَذَا الْوَرَى هُوَ قِيمُ الْأَذْيَانِ
 ٥٨١٦ - وَأَقْرَّ عَيْنَ رَسُولِكَ الْمُبْعُوثِ بِالذِّ

دِينِ الْخَيْفِ بِنَضْرِهِ الْمَتَدَانِي

٥٨١٧- وَأَنْضُرُهُ بِالنُّضْرِ الْعَزِيزِ كَمِثْلِ مَا

قَدْ كُنْتَ تَنْضُرُهُ بِكُلِّ زَمَانٍ

٥٨١٨- يَا رَبِّ وَأَنْضُرْ خَيْرَ حِزْبَيْنَا عَلَى

حِزْبِ الضَّلَالِ وَعَسْكَرِ الشَّيْطَانِ

٥٨١٩- يَا رَبِّ وَاجْعَلْ شَرَّ حِزْبَيْنَا فِدَى

لِخِيَارِهِمْ وَلِعَسْكَرِ الْقُرْآنِ

٥٨٢٠- يَا رَبِّ وَاجْعَلْ حِزْبَكَ الْمَنْصُورَ أَهْ

لَ تَرَاحِمٍ وَتَوَاضُلٍ وَتَدَانٍ

٥٨٢١- يَا رَبِّ وَارْحَمَهُمْ مِنَ الْبَدْعِ الَّتِي

قَدْ أُخْدِثَتْ فِي الدِّينِ كُلِّ زَمَانٍ

٥٨٢٢- يَا رَبِّ جَنِّبْهُمْ طَرَائِقَهَا الَّتِي

تُنْفِضِي بِسَالِكِهَا إِلَى التَّيْرَانِ

٥٨٢٣- يَا رَبِّ وَاهْدِهِمْ بِنُورِ الْوَحْيِ كَيْ

يَصِلُوا إِلَيْكَ فَيُظْفَرُوا بِجَنَانِ

٥٨٢٤- يَا رَبِّ كُنْ لَهُمْ وَلِيًّا نَاصِرًا

وَاحْفَظْهُمْ مِنْ فِتْنَةِ الْفِتَّانِ

٥٨٢٥- وَأَنْضُرْهُمْ يَا رَبِّ بِالْحَقِّ الَّذِي

أَنْزَلْتَهُ يَا مُنْزِلَ الْفُرْقَانِ

٥٨٢٦- يَا رَبِّ إِنَّهُمْ هُمُ الْغُرَبَاءُ قَدْ

أَوُوا إِلَيْكَ وَأَنْتَ ذُو الْإِحْسَانِ

٥٨٢٧- يَا رَبُّ قَدْ عَادُوا لِأَجْلِكَ كُلِّ هَـ

لَمَّا خَلَقَ إِلَّا صَادِقُ الْإِيمَانِ

٥٨٢٨ - قَدْ فَارَقُوهُمْ فِيكَ أَحْوَجَ مَا هُمْ

دُنِيَا إِلَيْهِمْ فِي رِضَا الرَّحْمَنِ

٥٨٢٩ - وَرَضُوا وَلَايَتَكَ الَّتِي مَنْ نَالَهَا

نَالَ الْأَمَانَ وَنَالَ كُلَّ أَمَانِي

٥٨٣٠ - وَرَضُوا بِوَحْيِكَ مِنْ سِوَاهُ وَمَا ارْتَضُوا

بِسِوَاهُ مِنْ آرَاءِ ذِي الْأَذْهَانِ

٥٨٣١ - يَا رَبِّ تَبَتُّهُمْ عَلَى الْإِيمَانِ وَاجِدْ

عَلَهُمْ هُدَاةَ التَّائِبِ الْخَيْرَانِ

٥٨٣٢ - وَأَنْصُرْ عَلَى حِزْبِ الثُّفَاةِ عَسَاكِرَ الْ

إِثْبَاتِ أَهْلِ الْحَقِّ وَالْعِزْفَانِ

٥٨٣٣ - وَأَقِمْ لِأَهْلِ الشُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ الْ

أَنْصَارَ وَأَنْصُرْهُمْ بِكُلِّ مَكَانِ

٥٨٣٤ - وَاجْعَلْهُمْ لِلْمُتَّقِينَ أُمَّةً

وَأَرْزُقْهُمْ صَبْرًا مَعَ الْإِيقَانِ

٥٨٣٥ - تَهْدِي بِأَمْرِكَ لَا بِمَا قَدْ أَحَدْتُوا

وَدَعَوْا إِلَيْهِ النَّاسَ بِالْعُدْوَانِ

٥٨٣٦ - وَأَعِزَّهُمْ بِالْحَقِّ وَأَنْصُرْهُمْ بِهِ

نَصْرًا عَزِيْرًا أَنْتَ ذُو السُّلْطَانِ

٥٨٣٧ - وَاعْفِرْ ذُنُوبَهُمْ وَأَصْلِحْ شَأْنَهُمْ

فَلَأَنْتَ أَهْلُ الْعَفْوِ وَالْعُفْرَانِ

٥٨٣٨ - وَلَكَ الْمَحَامِدُ كُلُّهَا حَمْدًا كَمَا

- يُضِيكَ لَا يَفْنَى عَلَى الْأَزْمَانِ
 ٥٨٣٩- مِلءَ السَّمَوَاتِ الْعُلَى وَالْأَرْضِ وَالْأَمْشَانِ
 مَوْجُودٌ بَعْدُ وَمُنْتَهَى الْإِمْكَانِ
 ٥٨٤٠- مِمَّا تَشَاءُ وَرَاءَ ذَلِكَ كُلِّهِ
 حَمْدًا بَغَيْرِ نَهَائِيَةِ بَرَمَانِ
 ٥٨٤١- وَعَلَى رَسُولِكَ أَفْضَلَ الصَّلَوَاتِ وَالْتِ
 تَسْلِيمِ مِنْكَ وَأَكْمَلَ الرِّضْوَانِ
 ٥٨٤٢- وَعَلَى صَحَابَتِهِ جَمِيعًا وَالْأَلَى
 تَبْعُوهُمْ مِنْ بَعْدُ بِالْإِحْسَانِ

الشَّحْ

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

وقوله: (فصل في توجه أهل السنة إلى رب العالمين أن ينصر دينه وكتابه ورسوله وعباده المؤمنين) التوجه هو صرف الوجه إلى الشيء والمعنى: أن أهل السنة يتوجهون إلى الله عز وجل بهذا الفصل أو بما تضمنه هذا الفصل.

هَذَا وَنَصْرُ الدِّينِ فَرَضٌ لَازِمٌ لَا لِلْكَفَايَةِ بَلْ عَلَى الْأَعْيَانِ

يعنى: أن نصر الدين فرض، فعلى كل واحد من المسلمين أن ينصر الدين في نفسه وفي أهله وفي قومه وفي سائر المسلمين؛ ونصر الدين بالدفاع عنه والدعوة إليه والغيرة عليه والجهاد دونه بقدر ما يستطيع الإنسان من قوة حسب ما وجهه الله تعالى إليه من الحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن.

بِيَدٍ وَإِمَّا بِاللِّسَانِ فَإِنْ عَجَزَتْ فَبِالتَّوَجُّهِ وَالِدُّعَا بِجَنَانِ

يعنى: تنصره بيديك أو بلسانك أو بالدعاء؛ وهذه المراتب الثلاث هي التي قال فيها رسول الله ﷺ «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلسَانِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ» والإنكار بالقلب لا يكفي أن يكون الإنسان كارها للمنكر، بل لابد مع ذلك من مفارقة أهل المنكر فمن جلس معهم وهو يقول إني منكر بقلبي فهو كاذب، لقول الله

تعالى: ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتَ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِذْ أَنْتُمْ إِذَا مَتَلْتُمْهُمُ ﴾ [النساء: ١٤٠]، فعليك أن تقوم، أما إن أُكْرِهْتَ على البقاء وهُدِّدْتَ إذا خرجت، فهذا يكون الإنسان فيه معذورًا عند الله؛ لأنه مكره على هذا الشيء.

مَا بَعْدَ ذَلِكَ وَاللَّهُ لِلْإِيمَانِ حَبٌّ بَةً خَزْدَلٍ يَا نَاصِرَ الْإِيمَانِ

قوله: (ما بعد ذا) يعني: الإنكار بالقلب والتوجه إلى الله بالدعاء ما بعده شيء.

بِحَيَاةٍ وَجْهِكَ خَيْرٌ مَسْئُولٍ بِهِ وَبِنُورٍ وَجْهِكَ يَا عَظِيمَ الشَّانِ

بدأ المؤلف رَحِمَهُ اللهُ يتوسل إلى الله عز وجل بحياة وجهه عز وجل ويجوز التوسل بها؛ لأنها من صفاته، والتوسل إلى الله بصفاته جائز ففي الحديث الصحيح «اللَّهُمَّ بَعْلَمِكَ الْغَيْبِ وَقُدْرَتِكَ عَلَى الْخَلْقِ أَحْيَيْنِي إِذَا عَلِمْتَ الْحَيَاةَ خَيْرًا لِي وَتَوَفَّيْنِي إِذَا عَلِمْتَ الْوَفَاةَ خَيْرًا لِي» قال بعلمك الغيب، وعلم هنا صفة.

وقوله: (وبنور وجهك يا عظيم الشأن) فنور وجه الله عز وجل لو كشف الحجاب عنه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه، يعني: لأحرقت سبحاته أي: بهاؤه وعظمته ونوره كل شيء انتهى إليه بصره من خلقه، وبصره لو انتهى إلى كل شيء لأحرق كل شيء، ولكن الله تعالى احتجب عن عباده بحجب من النور حجب عظيم، ولهذا لما قيل للرسول عليه الصلاة والسلام هل رأيت ربك قال: «نُورٌ أُنَّى أَرَاهُ» يعني: أنه حال بيني وبينه أنوار عظيمة وحجب.

وَبِحَقِّ نِعْمَتِكَ الَّتِي أَوْلَيْتَهَا مِنْ غَيْرِ مَا عَوِضَ وَلَا أُنْتَمَانِ

حق النعمة هو الشكر والشكر عمل صالح والأعمال الصالحة يجوز للإنسان أن يتوسل بها وقد قص علينا النبي ﷺ قصة رجال ثلاثة وقعوا في هلكة وتوسلوا إلى الله بصالح أعمالهم، وهم الذين انطبق عليهم الغار، فتوسل أحدهم إلى الله بالبر العظيم التام، والثاني بالعفة التامة، والثالث بالوفاء التام، توسلوا إلى الله حتى أزاح الله عنهم هذه الصخرة وخرجوا؛ فالتوسل إلى الله بالعمل الصالح جائز.

وَبِحَقِّ رَحْمَتِكَ الَّتِي وَسَعَتْ جَمِيعَ عِ الْخَلْقِ مُحْسِنُهُمْ كَذَلِكَ الْجَانِي

يعني: وسعت المحسن من الخلق والجاني، وهذه الرحمة العامة فإنها وسعت كل الخلق حتى الكفار مرحومون برحمة الله، ولولا رحمة الله ما نزل عليهم الغيث ولا نبع لهم الماء ولا

أثمرت لهم الأشجار، ولكن الله تعالى رحمهم رحمة بين الله عز وجل مغبتها فقال ﴿ وَالَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (١٨٢) وَأَمَلِي لَهُمْ إِنْ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿ [الأعراف: ١٨٢: ١٨٣].

وَبِحَقِّ أَسْمَاءٍ لَكَ الْحُسْنَى مَعَا نِيهَا نَعْوَتُ الْمَدْحِ لِلرَّحْمَنِ

وقوله: (وبحق أسماء لك الحسنى) أيضا أسماء الله الحسنى يتوسل بها إلى الله عز وجل فقد قال النبي ﷺ: «أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ أَوْ اسْتَأْذَنْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ رَبِيعَ قَلْبِي»، هذا توسل إلى الله بأسمائه، وقوله رَحْمَانُهُ: إن هذه الأسماء معانيها نعوت، فيه الرد على المعتزلة الذين يقولون: إن أسماء الله مجرد أعلام لا تحمل معاني فعليم سميع بصير معناه مسمى بهذا الاسم فقط لا متصف بصفة السمع والعلم والبصر وما أشبه ذلك فيقولون: إن أسماء الله أعلام فقط، أما نحن فنقول: إن أسماء الله أعلام وأوصاف وهي باعتبار دلالتها على الذات مترادفة، وباعتبار دلالة كل اسم منها على معناه متباينة؛ فالله الرحمن الرحيم السميع العليم تدل على ذات واحدة، إذًا هي بهذا المعنى مترادفة لكن الله يدل على الألوهية، والرحمن على الرحمة، والسميع على السمع والبصير على البصر، فهي من حيث هذا المعنى تكون متباينة فكل اسم منها له معنى غير معنى الاسم الآخر ولهذا قال: (معانيها نعوت المدح للرحمن).

وَبِحَقِّ حَمْدِكَ وَهُوَ حَمْدٌ وَاسِعٌ أَلْ أَكْوَانٍ بَلْ أَضْعَافُ ذِي الْأَكْوَانِ

قوله: (وبحق حمدك) إن كان المراد بحمده حمد الناس إياه، فإن حمدهم إياه من الأعمال الصالحة، ويكون هذا من باب التوسل بالأعمال الصالحة، وإن كان المراد بالحمد حمد الله من يستحق الحمد فهذا من باب التوسل بصفات الله عز وجل، فحمدك الآن مصدر مضاف إما للفاعل وإما للمفعول فالله سبحانه وتعالى حامد ومحمود.

وَبِأَنَّكَ اللَّهُ الْإِلَهُ الْحَقُّ مَعَا بُوْدُ الْوَرَى مُتَقَدِّسٌ عَنْ ثَانٍ

هذا توسل إلى الله بصفاته وهو تفرده بالألوهية فإن الله تعالى متفرد بالألوهية.

بَلْ كُلُّ مَعْبُودٍ سِوَاكَ فَبَاطِلٌ مِنْ دُونِ عَرْشِكَ لِلشَّرَى التَّحْتَانِي

أي أن: كل معبود سوى الله فهو باطل لقوله تعالى ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْتَ مَا كُنْتَ مِنَ الدُّنْيَا هُوَ الْبَاطِلُ ﴾ [الحج: ٦٢].

وَبِكَ الْمَعَاذُ وَلَا مَلَاذَ سِوَاكَ أَنْ تَ غِيَاثُ كُلِّ مُلَدِّدٍ لَهْفَانَ

قوله: (وبك المعاذ) قدم الخبر لإفادة الحصر، والمعاذ يعني: العياذ فهو مصدر ميمي يعني أننا لا نعوذ إلا بك ولا نلوذ إلا بك، قال أهل العلم والفرق بين أن العياذ واللياذ أن العياذ مما يخاف واللياذ مما يرجى، وعلى هذا قال أحد الشعراء يمدح ممدوحاً له يقول:

يَا مَنْ أَلُوذُ بِهِ فِيمَا أَوْمَلُهُ وَمَنْ أَعُوذُ بِهِ مِمَّا أَحَاذِرُهُ

لَا يَجْبِرُ النَّاسَ عِظْمًا أَنْتَ كَاسِرُهُ وَلَا يَهْيِضُونَ عِظْمًا أَنْتَ جَابِرُهُ

وهذا الوصف لا يستحقه إلا الله عز وجل. المهم أنه قال:

يَا مَنْ أَلُوذُ بِهِ فِيمَا أَوْمَلُهُ وَمَنْ أَعُوذُ بِهِ مِمَّا أَحَاذِرُهُ

وقوله (أنت غياث) يعني: الذي تغيث، والغوث إزالة الشدة ومنه دعاءنا «اللَّهُمَّ أَغِثْنَا» أي أزل شدتنا.

مَنْ ذَاكَ لِلْمُضْطَرِّ يَسْمَعُهُ سِوَاكَ يَجِيبُ دَعْوَتَهُ مَعَ الْعِضْيَانِ

قوله: (المضطر) يعني: الذي أوجته الضرورة إلى دعاء الله، فإن الله تعالى يجيب دعاءه ولو كان عاصياً؛ لأن ضرورته جعلته يصدق في اللجوء إلى الله فأجاب الله دعوته، وانظر إلى المشركين مثلاً إذا حصل لهم موج: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ فَلَمَّا بَجَّنَهُمْ إِلَى الْآبِرِ﴾ [لقمان: ٣٢] أشركوا وهو يعلم أنهم سيسركون سبحانه وتعالى؛ ولكن لضرورتهم وصدق لجوئهم في تلك الحال يبيهم عز وجل؛ لأنه أكرم الأكرمين وأرحم الراحمين فيجيبهم مع علمه بعصيانهم ومع علمه أنهم سيرجعون لشركهم إذا نجوا.

إِنَّا تَوَجَّهْنَا إِلَيْكَ لِحَاجَةٍ تُرْضِيكَ طَالِبِينَهَا أَحَقُّ مُعَانِ

من هنا بدأ المؤلف بما يدعو به.

فَاجْعَلْ قَضَاءَهَا بَعْضَ أَنْعَمِكَ الَّتِي سَبَعْتَ عَلَيْنَا مِنْكَ كُلَّ زَمَانِ

ما هي الحاجة؟ قال:

أَنْضُرْ كِتَابَكَ وَالرُّسُولَ وَدِينَكَ أَلْ عَالِي الَّذِي أَنْزَلْتَ بِالْبُرْهَانِ

هذه الحاجة التي لنا، وهذه يجب أن تكون حاجة لكل مسلم.

وَاخْتَرْتَهُ دِينًا لِنَفْسِكَ وَاصْطَفَيْتَ مَقِيمَهُ مِنْ سَائِرِ الْإِنْسَانِ

قوله: (واخترته ديناً لنفسك) دلّ عليه قوله تعالى: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمْ

يَا رَبِّ جَنَّبْهُمْ طَرَائِقَهَا الَّتِي

تُقْضَى بِسَالِكِهَا إِلَى التَّيْرَانِ

أي: طرائق البدع.

يَا رَبِّ وَاهْدِهِمْ بِبُورِ الْوَحْيِ كَيْ

يَصْلُوا إِلَيْكَ فَيُطْفَرُوا بِجَنَانِ

يَا رَبِّ كُنْ لَهُمْ وَلِيًّا نَاصِرًا

وَاحْفَظْهُمْ مِنْ فِتْنَةِ الْفَتَّانِ

وَأَنْضِرْهُمْ يَا رَبِّ بِالْحَقِّ الَّذِي

أَنْزَلْتَهُ يَا مُنْزِلَ الْفِرْقَانِ

يَا رَبِّ إِنَّهُمْ هُمُ الْغُرَبَاءُ قَدْ

لَجَّئُوا إِلَيْكَ وَأَنْتَ ذُو الْإِحْسَانِ

قوله: (يا رب إنهم هم الغرباء قد لجأوا إليك) : هذا من باب التوسل بالحال وهو أن يتوسل الإنسان إلى الله بحاله، والتوسل إلى الله بالحال جائز ومنه قول موسى ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص: ٢٤]، فإذا توسل الإنسان بحاله إلى الله، فإن هذه الحال سبب لعطف الله عز وجل عليه وعنايته به.

يَا رَبُّ قَدْ عَادُوا لِأَجْلِكَ كُلُّ هـ

ذَا الْخُلُقِ إِلَّا صَادِقُ الْإِيمَانِ

قَدْ فَارَقُوهُمْ فِيكَ أَحْوَجَ مَا هُمْ

دُنْيَا إِلَيْهِمْ فِي رِضَا الرَّحْمَنِ

يعني: أنهم فارقوا أعداء الله مع أنهم محتاجون إليهم في أمور الدنيا لكن من أجل رضا الله عادوهم وفارقوهم.

وَرَضُوا وَلَا يَتَّكُ الْتِي مَنْ نَالَهَا

نَالَ الْأَمَانَ وَنَالَ كُلَّ أَمَانِي

قوله: (نال الأمان) ضد الخوف، ونال كل أمان أي: كل أمنية وليس كل أمان الذي هو ضد الخوف لثلا يكون البيت مكررا.

وَرَضُوا بِوَحْيِكَ مِنْ سِوَاهُ وَمَا ارْتَضُوا

بِسِوَاهُ مِنْ آرَاءِ ذِي الْأَذْهَانِ

يعني: صاروا يتحاكمون إلى الوحي لا إلى آراء الرجال.

يَا رَبِّ تَبَتَّهِمْ عَلَى الْإِيمَانِ وَاجِ

عَلَّهُمْ هُدَاةَ النَّائِبِ الْحَيْرَانِ

وَأَنْضِرْ عَلَى حِزْبِ الثَّقَاةِ عَسَاكِرَ الْ

إِثْبَاتِ أَهْلِ الْحَقِّ وَالْعِرْفَانِ

وَأَقِمْ لِأَهْلِ الشُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ الْ

أَنْصَارَ وَأَنْضِرْهُمْ بِكُلِّ مَكَانِ

وَاجْعَلْهُمْ لِلْمُتَّقِينَ أُمَّةً

وَارْزُقْهُمْ صَبْرًا مَعَ الْإِيْقَانِ

هذا يشير إلى قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لِمَا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا

يُوقِنُونَ ﴿ [السجدة: ٢٤]. أي: تهدي بأمرك، يعني: أئمة تهدي بأمرك.

تَهْدِي بِأَمْرِكَ لَا بِمَا قَدْ أَحَدْتُوا وَدَعَاؤُا إِلَيْهِ النَّاسِ بِالْعُدْوَانِ

يعني: اجعلهم أئمة يهدون بأمرك لا بما قد أحدث الناس ودعوا إليه بالعدوان.

وَأَعَزَّهُمْ بِالْحَقِّ وَأَنْصُرُهُمْ بِهِ نَصْرًا عَزِيْزًا أَنْتَ ذُو السُّلْطَانِ

وَاعْفِرْ ذُنُوبَهُمْ وَأَصْلِحْ شَأْنَهُمْ فَلَأَنْتَ أَهْلُ الْعَفْوِ وَالْعُفْرَانِ

وَلَكَ الْمَحَامِدُ كُلُّهَا حَمْدًا كَمَا يَرْضِيكَ لَا يَفْسَى عَلَى الْأَزْمَانِ

مِلءَ السَّمَاوَاتِ الْعُلَى وَالْأَرْضِ وَالْ مَوْجُودِ بَعْدَ وَمُنْتَهَى الْإِمْكَانِ

مِمَّا تَشَاءُ وَرَاءَ ذَلِكَ كُلِّهِ حَمْدًا بِغَيْرِ نِهَايَةٍ بِزَمَانِ

هذا يشير إلى قول الرسول عليه الصلاة والسلام: «مِلءُ السَّمَاوَاتِ وَمِلءُ الْأَرْضِ وَمِلءُ مَا بَيْنَهُمَا وَمِلءُ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ».

وَعَلَى رَسُولِكَ أَفْضَلُ الصَّلَوَاتِ وَالذِّ تَسْلِيمِ مِنْكَ وَأَكْمَلُ الرِّضْوَانِ

وَعَلَى صَحَابَتِهِ جَمِيعًا وَالْأَلْي تَبِعُوهُمْ مِنْ بَعْدُ بِالْإِحْسَانِ

الحمد لله رب العالمين قد انتهت القصيدة النونية وعلقتنا عليها بما فتح الله به علينا ونسأل الله أن ينفعنا بها والحقيقة أن هذه القصيدة كما قرأتموها أو قرأها أكثركم قصيدة رائعة ولا يعاب عليها إلا أن أفهامنا قاصرة دونها، وأنها أحياناً يكون فيها تكرار من أجل تثبيت المعاني، وهو رحمة الله يكرر كثيراً من أجل تثبيت المعاني ولأهمية الموضوع، وهذا أمر مألوف حتى في القرآن الكريم من الأشياء المكررة معانيها ما هو معلوم، بل في بعض الآيات تجد الآية برمتها مكررة مثل قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ جِهْدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَيَسَّ الْمَصِيرُ﴾ [التوبة: ٧٣] كل هذا من أجل تثبيت الأمور الهامة في أذهان الناس.

انتهى - بفضل الله - المجلد الرابع

وبه تم شرح القصيدة النونية

لِلْعَلَامَةِ ابْنِ الْعِثِمِيِّ رَحِمَهُ اللهُ



الفهرس

الصفحة

الموضوع

- ٥ تمهيد بين يدي الفصل (كلام السعدي رحمه الله).
- ٧ **فصل** في النوع الثاني من نوعي توحيد الأنبياء والمرسلين المخالف لتوحيد المعطلين والمشركين
- ١٦ **فصل**
- ٢٨ تمهيد بين يدي الفصل (كلام السعدي رحمه الله).
- ٢٩ **فصل** في صف العسكريين وتقابل الصفيين واستدارة رحى الحرب العوان وتساؤل الأقران
- ٤٥ **فصل**
- ٥١ تمهيد بين يدي الفصل (كلام السعدي رحمه الله).
- ٥٢ **فصل** في عقد الهدنة والأمان الواقع بين المعطلة وأهل الإلحاد حزب جنكسخان
- ٦٥ تمهيد بين يدي الفصل (كلام السعدي رحمه الله).
- ٦٦ **فصل** في مصارع النفاة المعطلين بأسنة أمراء الإثبات الموحدين
- ٧٩ تمهيد بين يدي الفصل (كلام السعدي رحمه الله).
- **فصل** في بيان أن المصيبة التي حلت بأهل التعطيل والكفران من جهة

- ٨٠ الأسماء التي ما أنزل الله بها من سلطان
- ١٠٣ تمهيد بين يدي الفصل (كلام السعدي رحمه الله)
- فصل** فِي كَسْرِ الطَّاعُوتِ الَّذِي نَفَّوْا بِهِ صِفَاتِ ذِي الْمَلَكُوتِ
وَالْجَبْرُوتِ.....
- ١٠٥ وَالْجَبْرُوتِ.....
- ١١٩ تمهيد بين يدي الفصل (كلام السعدي رحمه الله)
- فصل** فِي مَبْدَأِ الْعِدَاوَةِ الْوَاقِعَةِ بَيْنَ الْمُثَبِّتِينَ الْمُوَحِّدِينَ وَبَنِي النِّفَاةِ
الْمَعْطَلِينَ.....
- ١٢٠ الْمَعْطَلِينَ.....
- ١٣٦ تمهيد بين يدي الفصل (كلام السعدي رحمه الله)
- فصل** فِي بَيَانِ أَنَّ التَّعْطِيلَ أَسَاسُ الزُّنْدَقَةِ، وَالْإِثْبَاتَ أَسَاسُ الْعِلْمِ
وَالْإِيمَانَ.....
- ١٣٧ وَالْإِيمَانَ.....
- ١٥٦ تمهيد بين يدي الفصل (كلام السعدي رحمه الله)
- فصل** فِي بَهْتِ أَهْلِ الشُّرْكِ وَالتَّعْطِيلِ فِي رَمِيهِمْ أَهْلَ التَّوْحِيدِ وَالْإِثْبَاتِ
بِتَنْقِيصِ الرَّسُولِ.....
- ١٥٨ بِتَنْقِيصِ الرَّسُولِ.....
- ١٩٨ تمهيد بين يدي الفصل (كلام السعدي رحمه الله)
- فصل** فِي تَعْيِينِ اتِّبَاعِ السُّنَّةِ وَالْقُرْآنِ طَرِيقًا لِلنَّجَاةِ مِنَ النَّيِّرَانِ.....
- ١٩٩ فِي تَعْيِينِ اتِّبَاعِ السُّنَّةِ وَالْقُرْآنِ طَرِيقًا لِلنَّجَاةِ مِنَ النَّيِّرَانِ.....
- ٢٠٦ تمهيد بين يدي الفصل (كلام السعدي رحمه الله)
- فصل** فِي تَيْسِيرِ السَّيْرِ إِلَى اللَّهِ عَلَى الْمُثَبِّتِينَ الْمُوَحِّدِينَ وَإِمْتِنَاعِهِ عَلَى
الْمَعْطَلِينَ وَالْمُشْرِكِينَ.....
- ٢٠٧ الْمَعْطَلِينَ وَالْمُشْرِكِينَ.....
- ٢٢١ تمهيد بين يدي الفصل (كلام السعدي رحمه الله)
- فصل** فِي ظُهُورِ الْفَرْقِ بَيْنَ الطَّائِفَتَيْنِ، وَعَدَمِ التَّبَاسُهِ إِلَّا عَلَى مَنْ لَيْسَ
بِذِي عَيْنِينَ.....
- ٢٢٢ بِذِي عَيْنِينَ.....
- ٢٢٦ تمهيد بين يدي الفصل (كلام السعدي رحمه الله)



- ٢٢٧ **فصله** في التفاوت بين حظ المثبتين والمعطلين من وحي رب العالمين....
- ٢٤١ تمهيد بين يدي الفصل (كلام السعدي رحمه الله)
- **فصله** في بيان الاستغناء بالوحي المنزل من السماء عن تقليد الرجال
 ٢٤٢ والآراء.....
- تمهيد بين يدي الفصل (كلام السعدي رحمه الله)
- ٢٢٦ **فصله** في بيان شروط كفاية النصين والاستغناء بالوحيين.....
- ٢٦٨ **فصله**
- ٢٧٦ تمهيد بين يدي الفصل (كلام السعدي رحمه الله)
- ٢٨١ **فصله** في لازم المذهب هل هو مذهب أم لا؟
- ٢٨٣ تمهيد بين يدي الفصل (كلام السعدي رحمه الله)
- ٢٩٥ **فصله** في الرد عليهم في تكفيرهم أهل العلم والإيمان وذكر انقسامهم إلى
 ٢٩٧ أهل الجهل والتفريط والبدع والكفران.....
- **فصله**
- ٣٠٧ تمهيد بين يدي الفصل (كلام السعدي رحمه الله)
- ٣١٥ **فصله** في تلاعب المكفرين لأهل السنة والإيمان بالدين كتلاعب
 ٣١٦ الصبيان.....
- تمهيد بين يدي الفصل (كلام السعدي رحمه الله)
- ٣٣٢ **فصله** في أن أهل الحديث هم أنصار رسول الله ﷺ، ولا يبغض الأنصار
 ٣٣٣ رجل يؤمن بالله واليوم الآخر.....
- تمهيد بين يدي الفصل (كلام السعدي رحمه الله)
- ٣٤٤ **فصله** في تعيين الهجرة من الآراء والبدع إلى سنته، كما كانت فرضًا من
 ٣٤٥ الأمصار إلى بلدته عليه السلام.....

- ٣٦١ فصل في ظهور الفرق المبين بين دعوة الرسل ودعوة المعطلين.....
- فصله في شكوى أهل السنة والقرآن أهل التعطيل والآراء المخالفة لها إلى الرحمن.....
- ٣٧٢ فصله في أذان أهل السنة الأعلام بصريحها جهراً على رءوس منابر الإسلام.....
- ٣٩٠ فصله في تلازم التعطيل والشرك.....
- ٤٠٧ فصله في بيان أن المعطل شر من المشرك.....
- ٤١٣ فصله في مثل المشرك والمعطل.....
- ٤٢٦ فصله فيما أعد الله تعالى من الإحسان للمتمسكين بكتابه وسنة رسوله ﷺ عند فساد الزمان.....
- ٤٣١ فصله فيما أعد الله تعالى في الجنة لأولياته المتمسكين بالكتاب والسنة.....
- ٤٤٦ فصله في صفة الجنة لتي أعدها الله ذو الفضل والمنة لأولياته المتمسكين بالكتاب والسنة.....
- ٤٥٦ فصله في عدد درجات الجنة وما بين كل درجتين.....
- ٤٥٧ فصله في أبواب الجنة.....
- ٤٦٠ فصله في مقدار ما بين الباب والباب منها.....
- ٤٦١ فصله في مقدار ما بين مصراعي الباب الواحد.....
- ٤٦١ فصله في مفتاح باب الجنة.....
- ٤٦٣ فصله في منشور الجنة الذي يوقع به لصاحبها.....
- ٤٦٤ فصله في صفوف أهل الجنة.....
- ٤٦٧ فصله في صفة أول زمرة تدخل الجنة.....
- ٤٦٩ فصله في صفة الزمرة الثانية.....
- ٤٧٠ فصله في صفة الزمرة الثانية.....

- ٤٧١ فصلك في تفاضل أهل الجنة في الدرجات العلى
- ٤٧٢ فصلك في ذكر أعلى أهل الجنة منزلة وأدناهم
- ٤٧٣ فصلك في ذِكرِ سنِّ أهلِ الجنَّةِ
- ٤٧٥ فصلك في طول قاماتِ أهل الجنة وعَرْضِهِمْ
- ٤٧٦ فصلك في لحاهم وألوانهم
- ٤٧٦ فصلك في لِسَانِ أَهْلِ الجنَّةِ
- ٤٧٧ فصلك في ريح أهل الجنة من مسيرة كم يُوجد
- ٤٧٩ فصلك في أسبق الناس دخولا إلى الجنَّةِ
- ٤٨٣ فصلك في عدد الجنات وأجناسها
- ٤٩١ فصلك في بناء الجنة
- ٤٩٢ فصلك في أرضها وحبائنها وتربتها
- ٤٩٣ فصلك في صفة غرفاتها
- ٤٩٤ فصلك في خيام أهل الجنة
- ٤٩٦ فصلك في أرائكها وسررها
- ٤٩٧ فصلك في أشجارها وثمارها وظلالها
- ٥٠٤ فصلك في سماع أهل الجنة
- ٥٠٩ فصلك في أنهار الجنة
- ٥١١ فصلك في طعام أهل الجنة
- ٥١٢ فصلك في شراهم
- ٥١٣ فصلك في مصرف طعامهم وشراهم وهضمه
- ٥١٤ فصلك في لباس أهل الجنة
- ٥١٧ فصلك في فرشهم وما يتبعها

- ٥١٨ فصلك في حلّى أهل الجنة.
- ٥٢٧ فصلك
- ٥٣٢ فصلك
- ٥٣٣ فصلك
- ٥٣٦ فصلك
- ٥٣٩ فصلك في ذكر الخلاف بين الناس هل تحبل نساء أهل الجنة أم لا.....
- ٥٤٣ فصلك في رؤية أهل الجنة ربهم تبارك وتعالى ونظرهم إلى وجهه الكريم....
- ٥٥٧ فصلك في كلام الرب جل جلاله مع أهل الجنة.....
- ٥٥٩ فصلك في يوم المزيد وما أعد لهم فيه من الكرامة.....
- ٥٦١ فصلك في المطر الذي يصيبهم هناك.....
- ٥٦٢ فصلك في سوق الجنة الذي ينصرفون إليها من ذلك المجلس.....
- ٥٦٣ فصلك في حالهم عند رجوعهم إلى أهليهم ومنازلهم.....
- فصلك في خلود أهل الجنة ودوام صحتهم ونعيمهم، وشبابهم واستحالة الموت والنوم عليهم.....
- ٥٦٤ فصلك في ذبح الموت بين الجنة والنار والردّ على من قال: إن الذبح لملك الموت وأن ذلك مجاز لا حقيقة له.....
- ٥٦٧ فصلك في أن الجنة قيعان وأن غراسها الكلام الطيب والعمل الصالح.....
- ٥٧٤ فصلك في إقامة المآتم على المتخلفين عن رفقة السابقين.....
- ٥٧٧ فصلك في زهد أهل العلم والإيمان وإيثارهم الذهب الباقي على الخزف الفاني.....
- ٥٩٦ فصلك في رغبة قائلها إلى من يقف عليها من أهل العلم والإيمان أن يتجرد لله ويحكم عليها بما يوجبه الدليل والبرهان، فإن رأى حقا قبله وحمد
- ٦٠٦



.....	الله عليه وإن رأى باطلا عرفه به وأرشد إليه
٦١٢	فصل في حال العدو الثاني.....
٦١٤	فصل في حال العدو الثالث.....
٦١٥	فصل في حال العدو الرابع.....
	فصل في توجه أهل السنة إلى رب العالمين أن ينصر دينه وكتابه ورسوله
٦١٩ وعباده المؤمنين.....
٦٣٠ الفهرس.....

تحت الطبع:

التفسير الثمين

للعلامة ابن عثيمين

كتاب حوى:

- فرائد الفوائد
- حلّ مشكلات المسائل
- تفسير القرآن بالقرآن
- تفسير القرآن بالسنة
- تفسير القرآن بكلام الصحابة

شَرْحُ صَحِيحِ الْجَمَاهِرِ

سُخْنَةٌ مَضْبُوطَةٌ النَّصُوصُ مَحْرَجَةُ الْأَجَادِيثِ .

شَرْحُهُ وَأَمْتَلَاهُ : فَضِيلَةُ الشَّيْخِ الْعَلَامَةِ

عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْعُثَيْمِيِّ

رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى

نُسْخَةٌ مَنَقُحَةٌ - مَصْحُوحَةٌ

بِهَا : تَعْلِيقَاتٌ وَأَسْتَدْرَاكَاتٌ وَتَعْقِبَاتٌ لِلْعَلَامَةِ ابْنِ عُثَيْمِيٍّ

عَلَى كَلَامِ الْخَافِظِ ابْنِ حَجْرٍ فِي فَتْحِ الْبَارِي

رَحِمَهُمَا اللَّهُ تَعَالَى

وَبِحَبْأَشِيَّتِهِ

تَعْلِيقَاتُ الْعَلَامَةِ ابْنِ بَازٍ رَحِمَهُ اللَّهُ

وَفَوَائِدُ حَدِيثِيَّةٍ لِلْعَلَامَةِ الْأَلْبَانِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ

ذَكَرَ أَرْقَامَ أَطْرَافِ كُلِّ أَجَادِيثِ الْبَحَارِيِّ فِي السَّابِقِ وَالْآخِرِ عَلَيْهِ

الْإِشَارَةُ إِلَى مَعْلَقَاتِ الْبَحَارِيِّ وَبَيَانِ وَصْلِهَا .

تَرْقِيمُ الْكُتُبِ وَالْأَبْوَابِ وَالْأَحَادِيثِ وَفَقَالَ التَّرْقِيمُ مُحَمَّدُ فَوَازُ عَبْدُ الْبَاقِي .

اعْتَنَى بِهِ الْقَسَمُ الْعَالَمِيُّ بِالْأَزْوَاقِ

شرح
الجامع مع الألفاظ
في أخلاق الانجبار

تأليف

جمال الدين القاسمي

المتوفى سنة ١٣٣٢ هـ

رحمة الله تعالى

اعتنى به

قسم التحقيق بالدار

الدُّرُّ الْبَهِيَّةُ فِي بَيَانِهَا

الْمُنَاهِي الشَّرْعِيَّةَا

مِنْ نَصُوصِ الْكُتَابِ وَالسُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ

مُرْتَبَةً عَلَى الْأَبْوَابِ الْفِقْهِيَّةِ

بِمَعَاوَرَتَيْهَا مِنْ أَقْوَالِ شَيْخِ الْعَلَمَةِ

مُحَمَّدِ بْنِ صَالِحِ الْعِثْمِينِ

رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى

جَمَعَهَا وَرَتَبَهَا

قَسَمَ التَّحْقِيقَ بِالْذَّارِ